مَا تَيَسَّرَ

مِنْ خُطَبِ الْمِنبَرِ

(المجموعة الثانية)

تأليف:

أبي يوسف نجيب بن عبده بن قاسم الأحمدي الشرعبي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ

المقدمة

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَهَذِهِ الْمَجْمُوْعَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ خُطَبِي الْمِنبَرِيَّةِ: "مَا تَيَسَّرَ مِنْ خُطَبِ الْمِنبَرِ"، وَهِيَ سِتُّونَ خُطْبَةً، بِالْإِضَافَةِ إِلَى خُطْبَتَيِ الْعِيدَيْنِ وَخُطْبَةِ الْكُسُوفِ وَخُطْبَةِ الِاسْتِسْقَاءِ، فَتِلْكَ أَرْبَعٌ وَسِتُّوْنَ كَامِلَةٌ، وَفِيْهَا - بِحَمْدِ اللهِ وَفَضْلِهِ وَمَنِّهِ - عَنَاوِيْنُ شَيِّقَةٌ، وَمَوَاضِيْعُ مُثِيْرَةٌ، لَا تَرَاهَا فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ، وَفِيْهَا فَوَائِدُ وَتَنبِيْهَاتٌ، وَمَوَاعِظُ، وَأَحْكَامٌ، وَتَوْثِيْقٌ، وَتَحْقِيْقٌ، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

أَسْأَلُ الْمَوْلَى الْقَدِيرَ ﷻ أَن يَّنفَعَ بِهَا، وَأَن يُّيَسِّرَ إِخْرَاجَ مَا بَقِيَ مِنْهَا، وَأَن يَّجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً لِّوَجْهِهِ الْكَرِيْمِ، وَأَن يُّبَارِكَ فِيْ أَعْمَارِنَا، إِنَّهُ بَرٌّ رَحِيْمٌ، سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ.

ظلمت نفسي

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٨٣٤، و٦٣٢٦، و٧٣٨٧)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٧٧١) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: **«قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»**.

◄ هَذَا الدُّعَاءُ الَّذِي فِي هَذَا الْحَدِيْثِ مِنَ الْجَوَامِعِ، كَمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنْهُمُ الْكَرْمَانِيُّ، أَحَدُ شُرَّاحِ الْبُخَارِيِّ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ - كَمَا فِي "الْفَتْحِ"(ج١١/ص: ١٣١) -: لِأَنَّ فِيهِ الِاعْتِرَافَ بِغَايَةِ التَّقْصِيرِ، وَطَلَبَ غَايَةِ الْإِنْعَامِ.ا.هـ.

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِيْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "شَرْحِهِ عَلَى رِيَاضِ الصَّالِحِيْنَ": هَذَا دُعَاءٌ جَامِعٌ نَافِعٌ، **«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا»**، وَهَذَا اعْتِرَافٌ مِنَ الْعَبْدِ بِالظُّلْمِ، وَهُوَ

مِن وَسَائِلِ الدُّعَاءِ، يَعْنِي: أَنَّ ذِكْرَ الْإِنسَانِ حَالَهُ إِلَى رَبِّهِ ﷻ يَتَضَمَّنُ الدُّعَاءَ، فَهُوَ وَسِيلَةٌ، كَمَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، فَتَوَسَّلَ إِلَى اللهِ بِحَالِهِ، **«وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»**، هَذَا ثَنَاءٌ عَلَى اللهِ ﷻ، وَاعْتِرَافٌ بِالْعَجْزِ، وَأَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، لَوِ اجْتَمَعَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَلَى أَن يَغْفِرُوا لَكَ ذَنبًا وَاحِدًا مَا اسْتَطَاعُوا، وَإِنَّمَا الَّذِي يَغْفِرُ لَكَ هُوَ اللهُ ﷻ، وَقَوْلُهُ: **«فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ»**، أَضَافَهَا إِلَى اللهِ؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ أَبْلَغَ وَأَعْظَمَ؛ فَإِنَّ عِظَمَ الْعَطَاءِ مِنْ عِظَمِ الْمُعْطِي، **«وَارْحَمْنِي»**، فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَفِّقْنِي إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، **«إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»**، هَذَا تَوَسُّلٌ إِلَى اللهِ ﷻ بِاسْمَيْنِ مُنَاسِبَيْنِ لِلدُّعَاءِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: (اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي)، فَالْمُنَاسِبُ إِنَّكَ أَنتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، فَيَنبَغِي لِلإِنسَانِ أَن يَقُولَ هَذَا الدُّعَاءَ فِي صَلَاتِهِ، إِمَّا فِي سُجُودِهِ أَوْ بَعْدَ التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ، واللهُ الْمُوَفِّقُ.ا.هـ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: **«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ»**. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم: ١٤٨٢).

◄ وَفِيهِ: أَنَّهُ يَنبَغِي لِلدَّاعِي وَالْمُسْتَغْفِرِ أَن يُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيْ دُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ تَوْطِئَةً، وَهِيَ اعْتِرَافُهُ بِذُنُوبِهِ، وَنَظِيرُ هَذَا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٣٠٦، و٦٣٢٣) عَن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال: **«سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»**.

قَالَ: **«وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»**.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٧٧١) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: **«وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ**

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

وَفِيهِ: ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: **«اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»**.

وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي دُعَاءِ رُكُوبِ الدَّابَّةِ: **«سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٧٥٣، و٩٣٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٢٦٠٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٤٤٦).(١)

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (رقم: ٦٣٠٦) عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»**.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي شَأْنِ آدَمَ وَزَوْجِهِ بَعْدَ أَكْلِهِمَا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيَا عَنْهَا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي شَأْنِ مُوسَى بَعْدَ أَنْ وَكَزَ الْقِبْطِيَّ فَقَضَى عَلَيْهِ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

---

(١) وصححه: الترمذي، وابن حبان (رقم: ٢٦٩٧، و٢٦٩٨)، والحاكم (رقم: ٢٤٨٢)، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في "صحيح أبي داود" (رقم: ٢٣٤٢).

وَقَالَ ﷻ فِي شَأْنِ مَلِكَةِ سَبَأٍ لَمَّا جَاءَتْ سُلَيْمَانَ: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

هَؤُلَاءِ مِنْهُمُ النَّبِيُّ، وَالصِّدِّيقُ، وَالصَّالِحُ، كُلٌّ مِنْهُمْ قَالَ: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾.

◄ وَفِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا: أَنَّ الْعَبْدَ بِاقْتِرَافِهِ الْخَطَايَا إِنَّمَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ، وَلَا يَظْلِمُ اللهَ شَيْئًا، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[البقرة: ٥٧]، و[الأعراف: ١٦٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾ [الطلاق: ١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[النساء: ١١٠ - ١١٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾[هود: ١٠١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة:٣٦].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ، مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى، وَشَعْبَانَ**».(١)

قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، فَإِنَّ الظُّلْمَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوِزْرًا مِنَ الظُّلْمِ فِيمَا سِوَاهَا، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَظِيمًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُعَظِّمُ مِنْ أَمْرِهِ مَا شَاءَ».(٢)

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٢٣].

وَفِي حَدِيْثِ أَبِي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا : أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ، وَلَا شَكَّ فِي ذَلِكَ، ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وَفِي حَدِيْثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْآنِفِ الذِّكْرِ فِي دُعَاءِ رُكُوبِ الدَّابَّةِ: «**فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**».

وَفِيهِ أَيْضًا: قَالَ: «**إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي. يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي**».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٧٥٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ، فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي،**

---

(١) البخاري (رقم: ٣١٩٧، و٤٤٠٦، و٤٦٦٢، و٤٦٦٢، و٥٥٥٠، و٧٤٤٧)، ومسلم (رقم: ١٦٧٩).

(٢) رواه ابن جرير (ج١١/صـ:٤٤٤)، وابن أبي حاتم (رقم: ١٠٠١٠) بإسناد صحيح.

فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».

◄ قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: قَالَ الطَّبَرِيُّ: وَفِي حَدِيْثِ أَبِي بَكْرٍ الدَّلِيْلُ الْوَاضِحُ عَلَى تَكْذِيْبِ مَقَالَةِ مَن زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ الْإِيْمَانِ إِلَّا مَن كَانَ لَا خَطِيْئَةَ لَهُ وَلَا جُرْمَ، لِأَنَّ أَهْلَ الْإِجْرَامِ – زَعَمُوا – غَيْرُ مُؤْمِنِيْنَ، وَزَعَمُوا أَنَّ كَبَائِرَ الذُّنُوبِ وَصَغَائِرَهَا كَبَائِرُ!، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ مِنَ الصِّدِّيْقِيْنَ مِنْ أَهْلِ الْإِيْمَانِ، وَقَدْ أَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَن يَقُولَ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، فَاغْفِرْ لِي».**

وَفِيْهِ: دَلِيْلٌ عَلَى أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْعَبْدِ أَن يَكُونَ عَلَى حَذَرٍ مِن رَبِّهِ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، وَإِن كَانَ مِنْ أَهْلِ الِاجْتِهَادِ فِي عِبَادَتِهِ فِي أَقْصَى غَايَاتِهِ، إِذْ كَانَ الصِّدِّيْقُ مَعَ مَوْضِعِهِ مِنَ الدِّيْنِ لَمْ يَسْلَمْ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِغْفَارِ رَبِّهِ مِنْهُ.ا.هـ.

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيْرَهَا ... وَكَبِيْرَهَا ذَاكَ التُّقَى
وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْ ... ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيْرَةً ... إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

فِي تَرْجَمَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ "الْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ"(ج٧/صـ: ١٥)، وَ"الدُّرَرِ الْكَامِنَةِ"(ج١/صـ: ١٧٤): كَانَ كَثِيْرًا مَا يُنْشِدُ:

تَمُوتُ النُّفُوسُ بِأَوْصَابِهَا ... وَلَمْ تَدْرِ عُوَّادُهَا مَا بِهَا
وَمَا أَنصَفَتْ مُهْجَةٌ تَشْتَكِي ... أَذَاهَا إِلَى غَيْرِ أَحْبَابِهَا

وَأَيُّ حُبٍّ مِنَ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ مِن مَحَبَّتِهِ لِرَبِّهِ الَّذِي خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ وَهَدَاهُ وَكُلَّ بَلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَاهُ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَحُقَّ لِلْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ أَن يَشْكُوَ إِلَى مَوْلَاهُ لَظَى ذُنُوبِهِ:

إِذَا أَوْجَعَتْكَ لَظَى الذُّنُوب فَدَاوِهَا ... بِرَفْعِ يَدٍ بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلُ مُظْلِمُ
وَلَا تَقْنَطَن مِن رَحْمَةِ اللهِ إِنَّمَا ... قُنُوطُكَ مِنْهَا مِن ذُنُوبِكَ أَعْظَمُ

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيْحِهِ (برقم: ٢٥٧٧) عَنْ أَبِي ذَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فِيْمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: **«يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»**.

فِي هَذَا الْحَدِيْثِ الْقُدْسِيِّ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَا يَكَادُ يَنفَكُّ عَنِ الْخَطَإِ، وَأَنَّهُ بِطَبِيْعَتِهِ خَطَّاءٌ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَنبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، فَقَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَانِبِ التَّبْلِيْغِ، وعَصَمَهُمْ مِنَ الشِّرْكِ وَالْكَبَائِرِ، وَمِنَ الصَّغَائِرِ الَّتِي تُزْرِي بِفَاعِلِهَا وَتَحُطُّ مَنزِلَتَهُ وَتُسْقِطُ مُرُوأَتَهُ، وَمَا وَقَعَ مِنْهُم مِّن صَغَائِرَ سِوَاهَا فَإِنَّهُ بِتَأْوِيلٍ، أَوْ سَهْوٍ، أَوْ بِإِذْنٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فِي أَشْيَاءَ أَشْفَقُوا مِنَ الْمُؤَاخَذَةِ بِهَا، وَأَشْيَاءَ مِنْهُمْ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، أَحْدَثُوا عَلَى إِثْرِهَا تَوْبَةً صَارَ حَالُهُم بَعْدَهَا أَحْسَنَ وَأَكْمَلَ مِنْ حَالِهِمْ قَبْلَهَا.(١)

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيْحِهِ أَيْضًا (برقم: ٢٧٤٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ»**.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي "كَشْفِ الْمُشْكِلِ"(ج٣/ص: ٥٩٠): هَذَا دَلِيْلٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْعَبْدِ الذُّلُّ؛ فَإِنَّ الْمُذْنِبَ مُنكَسِرٌ لِذَنبِهِ، مُنَكِّسُ الرَّأْسِ لِجُرْمِهِ، وَبِهَذَا يَبِيْنُ ذُلُّ الْعُبُودِيَّةِ وَيَظْهَرُ عِزُّ الرُّبُوبِيَّةِ، وَفِيْهِ تَقْوِيَةٌ لِرَجَاءِ الْمُذْنِبِ فِي الْعَفْوِ.ا.هـ.

فَالْمُرَادُ مِنَ الْحَدِيْثِ أَنَّ عَلَى الْعَبْدِ أَن يَتَذَلَّلَ لِرَبِّهِ وَيُظْهِرَ افْتِقَارَهُ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ التَّهْوِيْنَ مِن شَأْنِ اقْتِرَافِ الذَّنبِ.

---

(١) راجع: "شرح النووي على مسلم"(برقم: ١٩٣).

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ بِالِاسْتِغْفَارِ وَحَثَّ عَلَيْهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيْرَةٍ مِن كِتَابِهِ، وَوَرَدَ مِن ذَلِكَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الصَّحِيْحَةِ الشَّيْءُ الْكَثِيْرُ الطَّيِّبُ.

قَالَ ﷻ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣ - ٧٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وَعِندَ التِّرْمِذِيِّ (رقم: ٣٥٤٠) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»**.(١)

---

(١) وحسنه الترمذي، وصححه الضياء في "المختارة"(ج٤/ص: ٣٩٩)(رقم: ١٥٧١)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ١٢٧).

وَقَدْ قَرَنَ اللهُ ﷻ بَيْنَ مَغْفِرَةِ الذَّنبِ وَالْمُؤَاخَذَةِ بِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِن كِتَابِهِ الْكَرِيْمِ، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٢٩]، و[المائدة: ١٨]، و[الفتح: ١٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

فَبَدَأَ بِالرَّحْمَةِ قَبْلَ الْعَذَابِ؛ لِأَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، فَفِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»**.

وَفِي رِوَايَةٍ: **«سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي»**.(١)

اسْتَغْفِرْ لِنَفْسِكَ، ولِوَالِدَيْكَ، وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ ﴾ [محمد: ١٩].

وكَانَ مِن دُعَاءِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [نوح: ٢٨]، وَمِن دُعَاءِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤١].

وَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَثِيْرَ الِاسْتِغْفَارِ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالسِّرِّ وَالْجِهَارِ، فَعَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٧٠٢).

---

(١) البخاري (رقم: ٣١٩٤، و٧٤٠٤، و٧٤٢٢، و٧٤٥٣، و٧٥٥٣، و٧٥٥٤)، ومسلم (رقم: ٢٧٥١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم: ٦٣٠٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا جَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسًا قَطُّ، وَلَا تَلَى قُرْآنًا، وَلَا صَلَّى صَلَاةً إِلَّا خَتَمَ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ، قَالَت: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَاكَ مَا تَجْلِس مَجْلِسًا، وَلَا تَتْلُو قُرْآنًا، وَلَا تُصَلِّي صَلَاةً إِلَّا خَتَمْتَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ! قَالَ: «نَعَمْ، مَن قَالَ خَيْرًا خُتِمَ لَهُ طَابِعٌ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ، وَمَن قَالَ شَرًّا كُنَّ لَهُ كَفَّارَةً: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوب إِلَيْكَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٤٤٨٦)، وَالنَّسَائِيُّ فِي "عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ"(رقم: ٣٠٨).(١)

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالذُّنُوبُ يَزُولُ مُوجِبُهَا بِأَشْيَاءَ: **أَحَدُهَا**: التَّوْبَة، **وَالثَّانِي**: الِاسْتِغْفَارُ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ يَغْفِرُ لَهُ إجَابَةً لِدُعَائِهِ وَإِن لَمْ يَتُبْ، فَإِذَا اجْتَمَعَتِ التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ فَهُوَ الْكَمَالُ. **الثَّالِث**: الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الْمُكَفِّرَةُ، إمَّا الْكَفَّارَاتُ الْمُقَدَّرَةُ، كَمَا يُكَفِّرُ الْمُجَامِعُ فِي رَمَضَانَ، وَالْمُظَاهِرُ، وَالْمُرْتَكِبُ لِبَعْضِ مَحْظُورَاتِ الْحَجِّ أَوْ تَارِكُ بَعْضِ وَاجِبَاتِهِ، أَوْ قَاتِلُ الصَّيْدِ، بِالْكَفَّارَاتِ الْمُقَدَّرَةِ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَجْنَاسٍ: هَدْيٌ، وَعِتْقٌ، وَصَدَقَةٌ، وَصِيَامٌ، وَإِمَّا الْكَفَّارَاتُ الْمُطْلَقَةُ، كَمَا قَالَ حُذَيْفَةُ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ، يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ، وَالصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»(٢)، وَقد دَّلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالْأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ فِي التَّكْفِيرِ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَسَائِرِ

---

(١) وصححه الحاكم (رقم: ١٨٢٧)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٣١٦٤)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٥٩٨).

(٢) البخاري (رقم: ٥٢٥، و١٤٣٥، و١٨٩٥، و٣٥٨٦، و٧٠٩٦)، ومسلم (رقم: ١٤٤).

الْأَعْمَالِ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا: مَن قَالَ كَذَا وَعَمِلَ كَذَا غُفِرَ لَهُ أَوْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ، وَهِي كَثِيرَةٌ لِمَن تَلَقَّاهَا مِنَ السُّنَنِ، خُصُوصًا مَا صُنِّفَ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ.ا.هـ.[1]

(١) "الزهد والورع"(صـ: ٨٧-٨٨).

مواعظ وعبر من نبإ موسى وفرعون

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

إِنَّ مِمَّا أَكْرَمَ اللهُ ﷻ بِهِ الْجِنَّ وَالْإِنسَ: الْعَقْلَ، الَّذِي هُوَ مَنَاطُ التَّكْلِيفِ، فَبِهِ يَعْتَبِرُونَ، وَبِهِ يَتَفَكَّرُونَ، وَبِهِ يَتَذَكَّرُونَ، وَبِهِ يَرْعَوُونَ وَيَنزَجِرُونَ، فَمَن قَادَهُ ذَلِكَ إِلَى قَبُولِ الْحَقِّ وَلُزُومِهِ فَهُوَ الْعَاقِلُ اللَّبِيبُ حَقًّا، وَالْفَطِنُ الْكَيِّسُ صِدْقًا.

وَالِاعْتِبَارُ هُوَ: الِاتِّعَاظُ، وَالتَّدَبُّرُ، وَالنَّظَرُ فِي حَقَائِقِ الْأُمُورِ وَمَا آلَتْ وَتَؤُولُ إِلَيْهِ؛ فَيَحْمِلُ ذَلِكَ عَلَى تَرْكِ مَا يَضُرُّ وَالْحِرْصِ عَلَى مَا يَنفَعُ.

وَقَدْ حَضَّ اللهُ ﷻ عِبَادَهُ عَلَى الِاعْتِبَارِ فِي مَوَاضِعَ عِدَّةٍ مِن كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، سَوَاءٌ بِتَأَمُّلِ الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهَا أَوِ الِاتِّعَاظِ بِالْأَحْدَاثِ التَّارِيخِيَّةِ وَأَخْذِ الْعِبَرِ وَالدُّرُوسِ مِنْهَا، وَأَخْبَرَ ﷻ أَنَّ ذَوِي الْعُقُولِ وَأُولِي الْأَبْصَارِ وَأَهْلَ الْخَشْيَةِ هُمُ الَّذِينَ يَعْتَبِرُونَ دُونَ مَن سِوَاهُمْ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ٥٣ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ [طه: ٥٣ - ٥٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [النور: ٤٣ - ٤٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٢١ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢١ - ٢٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴾ [الإسراء: ٥٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [آل عمران: ١٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

وَقَالَ: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴾ [النازعات: ١٥ - ٢٦].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَأَمَرَنَا ﷻ أَنْ نَعْتَبِرَ بِأَحْوَالِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَيْنَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمِمَّنْ قَبْلَهَا مِنْ الْأُمَمِ، وَذَكَرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّ سُنَّتَهُ فِي ذَلِكَ سُنَّةٌ مُطَّرِدَةٌ، وَعَادَتُهُ مُسْتَمِرَّةٌ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَيَنْبَغِي لِلْعُقَلَاءِ أَنْ يَعْتَبِرُوا بِسُنَّةِ اللَّهِ وَأَيَّامِهِ فِي عِبَادِهِ.ا.هـ.(١)

أَلَا وَإِنَّ مِن جُمْلَةِ الْعِبَرِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ: قِصَّةً عَظِيْمَةً، هِيَ أَكْثَرُ الْقَصَصِ فِي الْقُرْآنِ تَكْرَارًا، تَكَرَّرَ ذِكْرُهَا فِي الْقُرْآنِ فِي بِضْعٍ وَعِشْرِينَ مَوْضِعًا، وَهِيَ قِصَّةُ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مَعَ فِرْعَونَ مِصْرَ فِي زَمَانِهِ.

وَقَد تَّكَرَّرَ ذِكْرُ مُوسَى فِي الْقُرْآنِ فِي سِتَّةٍ وَّثَلَاثِيْنَ وَمِائَةِ مَوْضِعٍ، فَهُوَ أَكْثَرُ الْأَنبِيَاءِ ذِكْرًا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَتَكَرَّرَ ذِكْرُ فِرْعَوْنَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَرْبَعًا وَسَبْعِيْنَ مَرَّةً، فَهُوَ أَكْثَرُ مِن ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْقُرُونِ الْأُولَى الَّتِي أَهْلَكَهَا اللهُ ﷻ.

وَمَا تَكَرَّرَ ذِكْرُ هَذِهِ الْقِصَّةِ إِلَّا لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَرِ وَالْعِظَاتِ وَالدُّرُوسِ وَالْحِكَمِ الْبَاهِرَاتِ، وَمَا تَكَرَّرَ تَقَرَّرَ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٦].

إِنَّ فِي التَّارِيْخِ لَخَبَرًا، وَإِنَّ فِي الْحَوَادِثِ لَعِبَرًا، وَإِنَّ فِي الْآيَاتِ لَنُذُرًا، وَإِنَّ فِي الْقَصَصِ وَالْأَخْبَارِ لَمُدَّكَرًا وَّمُزْدَجَرًا، فَمِنَ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ الْمَأْخُوذَةِ مِن قِصَّةِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ:

◄ أَنَّ اللهَ يَصْطَفِي مِنْ عِبَادِهِ مَا شَاءَ، وَيَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَّشَاءُ، قَالَ ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]، فَاخْتَارَ بَنِي إِسْرَائِيْلَ عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِمْ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٢ - ٣٣].

وَقَالَ: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧، و١٢٢].

---

(١) "مجموع الفتاوى" (ج٢٨/ صـ: ٤٢٦-٤٢٧).

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠].

وَمِنَ الْخِصَالِ الَّتِي اسْتَحَقَّ بِهَا أُولَئِكَ تَفْضِيلَهُمْ عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِمْ مَا ذَكَرَهُ اللهُ ﷻ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، وَالرَّهْبَةُ خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِعَمَلٍ.

ثُمَّ لَمَّا غَيَّرُوا غَيَّرَ اللهُ ﷻ مَا بِهِمْ، قال ﷻ: ﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[البقرة: ٢١١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[المائدة: ٦٠].

وَاخْتَارَ اللهُ ﷻ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وَمُوسَى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ مِّن بَيْنِ الْبَشَرِ فَضْلًا: مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ثُمَّ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

◄ وَمِن تِلْكَ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ: أَنَّ اللهَ ﷻ يَحْفَظُ أَوْلِيَاءَهُ، وَيَنصُرُهُمْ، وَيُدَافِعُ عَنْهُمْ، فَقَدْ حَفِظَ اللهُ ﷻ كَلِيمَهُ مُوسَى فِي مَوَاقِفَ وَمَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، وَدَفَعَ عَنْهُ مَخَاطِرَ مُسْتَطِيرَةً.

فَقَدْ وُلِدَ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فِي وَقْتٍ كَانَ فِرْعَونُ يَذْبَحُ فِيهِ أَبْنَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَسْتَحْيِي نِسَائَهُمْ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٤٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[القصص: ٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ

عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ٧ - ١٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ ﴾ [طه: ٣٧ - ٤٠].

فَشَاءَ اللهُ ﷻ أَن يَّتَرَبَّى مُوسَى فِي قَصْرِ فِرْعَونَ، بَيْنَ الْخَدَمِ وَالْحَشَمِ وَفِي النِّعْمَةِ وَالْأُبَّهَةِ!؛ ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ﴾.

ثُمَّ أَنجَاهُ اللهُ ﷻ بَعْدَ قَتْلِهِ الْقِبْطِيَّ إِلَى مَدْيَنَ، فَمَكَثَ فِيهَا عَشْرَ سِنِيْنَ يَرْعَى الْغَنَمَ لِلرَّجُلِ الَّذِي أَنكَحَهُ ابْنَتَهُ، قَالَ ﷻ: ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ

أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾[القصص: ٢٩ - ٣٥].

فَأَيَّدَهُ اللهُ ﷻ بِالْمُعْجِزَاتِ الظَّاهِرَاتِ وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ،﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[النمل: ١٢].

وَحِينَمَا أَمَرَهُ اللهُ بِالذَّهَابِ إِلَى فِرْعَوْنَ مَعَ أَخِيهِ هَارُونَ: ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[طه: ٤٥ - ٤٦].

وَفِي مَوْقِفِهِ مَعَ السَّحَرَةِ: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[طه: ٦٧ - ٦٩].

وَمَوْقِفٌ آخَرُ عَظِيمٌ، هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْمَوَاقِفِ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ كُلِّهِ، مَوْقِفٌ مَّهِيبٌ خَالِدٌ: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾[الشعراء: ٦١ - ٦٨].

وَكَم مِّن مَقَامٍ عَظِيمٍ قَامَهُ مُوسَى للهِ ﷻ، قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - يَقُولُ: انْظُرْ إلَى مُوسَى - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - رَمَى الْأَلْوَاحَ الَّتِي فِيهَا كَلَامُ اللَّهِ الَّذِي كَتَبَهُ بِيَدِهِ فَكَسَرَهَا، وَجَرَّ بِلِحْيَةِ نَبِيٍّ مِثْلِهِ، وَهُوَ هَارُونُ، وَلَطَمَ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا، وَعَاتَبَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَرَفَعَهُ عَلَيْهِ، وَرَبُّهُ تَعَالَى يَحْتَمِلُ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَيُحِبُّهُ وَيُكْرِمُهُ وَيُدَلِّلُهُ؛ لِأَنَّهُ قَامَ لِلَّهِ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ الْعَظِيمَةَ فِي مُقَابَلَةِ أَعْدَى عَدُوٍّ لَهُ، وَصَدَعَ بِأَمْرِهِ، وَعَالَجَ أُمَّتَيِ الْقِبْطِ وَبَنِي إسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ كَالشَّعْرَةِ فِي الْبَحْرِ.

وَانْظُرْ إلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى حَيْثُ لَمْ يَكُنْ لَهُ هَذِهِ الْمَقَامَاتُ الَّتِي لِمُوسَى، غَاضَبَ رَبَّهُ مَرَّةً، فَأَخَذَهُ وَسَجَنَهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، وَلَمْ يَحْتَمِلْ لَهُ مَا احْتَمَلَ لِمُوسَى، وَفَرْقٌ بَيْنَ مَنْ إذَا

أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالْمَحَاسِنِ مَا يَشْفَعُ لَهُ، وَبَيْنَ مَنْ إِذَا أَتَى بِذَنْبٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِكُلِّ شَفِيعٍ، كَمَا قِيلَ:

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ... جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعِ

فَالْأَعْمَالُ تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَتُذَكِّرُ بِهِ إِذَا وَقَعَ فِي الشَّدَائِدِ، قَالَ تَعَالَى عَنْ ذِي النُّونِ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤]، وَفِرْعَوْنُ لَمَّا لَمْ تَكُنْ لَهُ سَابِقَةُ خَيْرٍ تَشْفَعُ لَهُ، وَقَالَ: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠]، قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] .ا.هـ.

◄ وَمِن تِلْكَ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ الْمُسْتَفَادَةِ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ: رِفْقُ اللهِ ﷻ، وَحُبُّهُ الْعُذْرَ، قَالَ ﷻ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النساء: ١٦٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء: ١٥].

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ: رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللهُ الْمُرْسَلِينَ، مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: **«وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ»**.

فاللهُ ﷻ يَعْلَمُ أَنَّ عَاقِبَةَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِلَى تَبَابٍ، وَقَدْ أَمَرَ مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِإِلَانَةِ الْقَوْلِ لَهُ، قَالَ ﷻ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

---

(١) البخاري (رقم: ٧٤١٦)، ومسلم (رقم: ١٤٩٩).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا عِبْرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهُوَ أَنَّ فِرْعَوْنَ فِي غَايَةِ الْعُتُوِّ وَالِاسْتِكْبَارِ، وَمُوسَى صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ إِذ ذَّاكَ، وَمَعَ هَذَا أُمِرَ أَلَّا يُخَاطِبَ فِرْعَوْنَ إِلَّا بِالْمُلَاطَفَةِ وَاللِّينِ، كَمَا قَالَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾: يَا مَنْ يَتَحَبَّبُ إِلَى مَنْ يُعَادِيهِ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَتَوَلَّاهُ وَيُنَادِيهِ؟

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: قُولَا لَهُ: إِنِّي إِلَى الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ أَقْرَبُ مِنِّي إِلَى الْغَضَبِ وَالْعُقُوبَةِ.

وَعَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾: أَعْذِرَا إِلَيْهِ، قُولَا لَهُ: إِنَّ لَكَ رَبًّا وَلَكَ مَعَادًا، وَإِنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ جَنَّةً وَنَارًا.ا.هـ.

ذَكَرُوا أَنَّ وَاعِظًا دَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ، فَوَعَظَهُ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِ فِي الْقَوْلِ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: يَا رَجُلُ، ارْفِقْ؛ فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ إِلَى مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي، وَأَمَرَهُ بِالرِّفْقِ، بَعَثَ مُوسَى وَهَارُون إِلَى فِرْعَون، فَأَوْصَاهُمَا بِقَوْلِهِ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].(١)

◄ وَمِن تِلْكَ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ: أَنَّ التَّمْكِيْنَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ ابْتِلَاءٍ، قَالَ ﷻ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥ - ٦]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ۝١٢٧ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٢٨ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧ - ١٢٩].

(١) "موارد الظمآن لدروس الزمان"(ج٢/صـ: ١٠٦-١٠٧).

وَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وَهَذِهِ سُنَّةٌ مِّنَ اللهِ مَاضِيَةٌ فِي خَلْقِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾ [محمد: ٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَأَلَ رَجُلٌ الشَّافِعِيَّ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَيُّمَا أَفْضَلُ لِلرَّجُلِ: أَن يُّمَكَّنَ أَوْ يُبْتَلَى؟ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا يُمَكَّنُ حَتَّى يُبْتَلَى؛ فَإِن اللهَ ابْتُلِيَ نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدًا صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَلَمَّا صَبَرُوا مَكَّنَهُمْ.

فَلَا يَظُنَّ أَحَدٌ أَنَّهُ يَخْلُصُ مِنَ الْأَلَمِ الْبَتَّةَ! وَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ، فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَن يَّعْرِفَهُ.ا.هـ.(١)

وَالْحَقُّ مُمْتَحَنٌ وَّمَنصُورٌ فَلَا تَعْجَبْ فَهَذِي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ

◄وَمِن تِلْكَ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ: أَنَّ اللُّجُوءَ إِلَى الْبَطْشِ وَالتَّهْدِيْدِ وَالتَّخْوِيْفِ وَاسْتِعْمَالَ السِّحْرِ وَتَقْلِيْبَ الْحَقَائِقِ وَتَضْلِيْلَ النَّاسِ بِضَاعَةُ الْمُبْطِلِيْنَ الَّذِينَ أَعْيَتْهُمُ الْحُجَجُ وَأَفْلَسُوا مِن نُّورِ الْحَقِّ، قَالَ ﷻ: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ

(١) "الفوائد"(صـ: ٢٠٨).

وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ
أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ
مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ
ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ
رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ
وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا
فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ﴾[الأعراف: ١٠٦ - ١٢٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا
بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ
مَكَانًا سُوًى ﴾ [طه: ٥٦ - ٥٨]، الْآيَاتُ إِلَى قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن
سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى
يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟
ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ
فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا
وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى
هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾
[طه:٦٦-٧٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى
يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ ۙ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [القصص: ٣٨ - ٣٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [غافر: ٢٦ - ٢٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

◄ وَمِن تِلْكَ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ: أَنَّ اللهَ ﷻ يَأْخُذُ الْمُسْتَكْبِرِيْنَ وَالْمُعْرِضِيْنَ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ؛ لَعَلَّهُمْ يَسْتَكِيْنُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٠ - ١٣٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٨ - ٥٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٢]، وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

◄ وَمِن تِلْكَ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ: أَنَّ عَاقِبَةَ الظَّالِمِينَ وَالْبُغَاةِ وَالظَّلَمَةِ وَالْجَبَّارِينَ وَخِيمَةٌ، وَنَتَائِجَهُمْ أَلِيمَةٌ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ، قَالَ ﷻ: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢١ - ٢٦]، وَقَالَ ﷻ: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٠- ٤٢]، وَقَالَ ﷻ: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٦ - ١٣٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٨ - ٤٠].

وَقَالَ: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ

كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾[الزخرف: ٥١ - ٥٦].

فَأَهْلَكَ اللهُ فِرْعَوْنَ بِجِنسِ مَا كَانَ يَفْتَخِرُ بِهِ، فَقَدْ كَانَ يَفْتَخِرُ بِالْأَنْهَارِ الَّتِي تَجْرِي مِن تَحْتِهِ، فَأَجْرَاهَا اللهُ ﷻ مِن فَوْقِهِ، وَأَغْرَقَهُ فِيهَا، وَالْجَزَاءُ مِن جِنسِ الْعَمَلِ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ﴾ [هود: ٩٦ - ١٠٣].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»**.

قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٦٨٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٨٣).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

◄ فَمِن الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ الْمُسْتَفَادَةِ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ أَيْضًا: أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي تَضَمَّنَ فَرَحَ الْمُؤْمِنِيْنَ بِظُهُورِ الصَّالِحِيْنَ وَهَلَاكِ الظَّالِمِينَ مَذْكُورٌ بَيْنَ النَّاسِ مَشْهُورٌ، وَمُؤَرَّخٌ مَسْطُورٌ.

وَالْيَوْمُ الَّذِي أَنجى اللهُ فِيْهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ مِنْ أَعْظَمِ مَشَاهِدِ التَّارِيْخِ وَأَكْثَرِهَا ذِكْرًا بَيْنَ النَّاسِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ وَتَتَابُعِ الدُّهُورِ.

وَهَذَا الْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ عَاشُوْرَاءَ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِيْنَةَ، فَوَجَدَ الْيَهُوْدَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُوْرَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَه؟»**. فَقَالُوْا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيْمٌ، أَنجَى اللهُ فِيْهِ مُوْسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوْسَى شُكْرًا، فَنَحْنُ نَصُوْمُهُ. فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ»**. فَصَامَهُ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١١٣٠).

وَحِرْصًا مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُخَالَفَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، عَزَمَ فِيْ آخِرِ عُمُرِهِ عَلَى صِيَامِ الْيَوْمِ الَّذِيْ قَبْلَهُ، فَلِمُسْلِمٍ (رقم: ١١٣٤) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حِيْنَ صَامَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُوْرَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، قَالُوْا: يَا رَسُوْلَ اللهِ، إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُوْدُ وَالنَّصَارَى. فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ»**.

قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَفِيْ رِوَايَةٍ: **«لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ»**.

وَفِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«نَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ»**، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّنَا أَحَقُّ بِالْأَنبِيَاءِ مِنْ أَقْوَامِهِمُ الَّذِيْنَ خَالَفُوْهُمْ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَتْبَاعُهُ وَهُمْ عَلَى غَيْرِ طَرِيْقَتِهِ وَمِلَّتِهِ، وَأَحَقُّ بِعِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ مِنَ النَّصَارَى الَّذِيْنَ أَلَّهُوهُ، وَقَدْ نَسَخَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِدِيْنِ الْإِسْلَامِ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْأَدْيَانِ، وَنَسَخَ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَا قَبْلَهَا مِنَ الرِّسَالَاتِ، وَنَسَخَ بِالْقُرْآنِ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ١٥٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**».

فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَتْبَاعِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُوَ خَيْرُ الرُّسُلِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ خَيْرُ الْكُتُبِ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَن نَّشْكُرَ اللهَ ﷻ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي لَا تَقُومُ لَهَا الدُّنْيَا، وَأَن نَّعْتَزَّ بِدِينِنَا دِينِ الْحَقِّ، وَأَن نَّعْتَقِدَ كُفْرَ الْيَهُودِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالنَّصَارَى الضَّالِّينَ؛ فَإِنَّ مِن نَّوَاقِضِ الْإِسْلَامِ: عَدَمَ تَكْفِيرِ الْكَافِرِ، أَوِ الشَّكَّ فِي كُفْرِهِ، أَوْ تَصْحِيحَ مَذْهَبِهِ، أَوِ اعْتِقَادَ أَنَّهُ يَسَعُ أَحَدًا الْخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أَلَا فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَسْعَوْنَ إِلَى هَدْمِ عَقِيدَةِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ! وَيَدْأَبُونَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَيْلًا وَنَهَارًا!، تَحْتَ عِدَّةِ شِعَارَاتٍ وَمُسَمَّيَاتٍ، إِمَّا: التَّسَامُحِ الدِّينِيِّ!، أَوْ حِوَارِ الْأَدْيَانِ!، أَوْ قَبُولِ الْآخَرِ!، أَوْ حُرِّيَّةِ الْفِكْرِ، أَوِ الِانفِتَاحِ، أَوِ التَّطْبِيعِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ من الْمُسَمَّيَاتِ، الَّتِي يُرَوَّجُ بِهَا لِلرِّدَّةِ وَالْكُفْرِ الْبَوَاحِ، أَوْ مَا قَارَبَهُمَا، واللهُ الْمُسْتَعَانُ!.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّهُ لَا إِيمَانَ إِلَّا بِوَلَاءٍ وَبَرَاءٍ، قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾[النساء: ١٤٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[المائدة: ٥١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[آل عمران: ٢٨].

فَمَن تَوَلَّى الْكَافِرِيْنَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ وَلَاءَ الْمَحَبَّةِ وَالنُّصْرَةِ فَهُوَ فِي حُكْمِهِمْ، كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾.

وَاعَجَبَاهُ! هَؤُلَاءِ الْمَنسُوبُونَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيْلَ الَّذِينَ أَنجَاهُمُ اللهُ ﷻ مِّن بَطْشِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ صَارَ لَهُمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ مِن نَّفَاذِ الْكَلِمَةِ، وَهَيْمَنَةِ الْإِعْلَامِ وَصَوْلَةِ الْمَالِ

وَالتَّحَكُّمِ بِشُعُوبِ الْأَرْضِ وَالْمَكْرِ بِالْمُسْلِمِيْنَ وَإِذْلَالِهِمْ وَتَرْجَمَةِ أَحْقَادِهِمْ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ بِالسَّعْيِ فِي إِقْصَاءِ الْمُسْلِمِيْنَ عَن دِيْنِهِمْ وَمُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ النَّقِيَّةِ الزَّكِيَّةِ دَعْوَةِ التَّوْحِيْدِ وَالِاتِّبَاعِ، دَعْوَةِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ الْحَقِّ، دَعْوَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنكَرِ مَا لَمْ يَكُن لَّهُم مِّن قَبْلُ!.

فَأَفِيْقُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أَنتُم مَّقْصُودُونَ، وَدِيْنُكُم مَّقْصُودٌ، وَعَقِيْدَتُكُم مَّقْصُودَةٌ، وَكَرَامَتُكُم مَّقْصُودَةٌ، فَلَا واللهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ إِذَا ذَهَبَ الْإِيْمَانُ!.

قَالَ ﷻ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وَقَالَ ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾[النساء: ٤٤ - ٤٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٥٩].

نَسْأَلُ اللهَ ﷻ الَّذِيْ أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَجُنُوْدَهُ وَأَنجَى مُوْسَى وَمَن مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ فِيْ هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيْمِ أَن يُهْلِكَ مَنْ هُوَ عَلَى طَرِيْقَةِ فَرْعَوْنَ فِي الْعُتُوِّ وَالِاسْتِكْبَارِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَأَن يُنجِيَ الْمُسْتَضْعَفِيْنَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِيْنَ فِيْ كُلِّ مَكَانٍ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ.

النفع

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَخْرَجَ الْإِمَامَانِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِن طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَلَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى، وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»**.

هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٢٨٢)، وَقَدْ بَوَّبَ عَلَيْهِ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (رقم: ٧٩) فِي كِتَابِ الْعِلْمِ مِن صَحِيْحِهِ: (بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ)، وَعِندَهُ: «كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ». وَعِندَهُ أَيْضًا: «فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ». وَعِندَهُ أَيْضًا: «وَزَرَعُوا».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَمَّا مَعَانِي الْحَدِيثِ وَمَقْصُودُهُ فَهُوَ تَمْثِيلُ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ بِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْغَيْثِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْأَرْضَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ، وَكَذَلِكَ النَّاسُ.

فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَرْضِ يَنْتَفِعُ بِالْمَطَرِ، فَيَحْيَى بَعْدَ أَنْ كَانَ مَيْتًا، وَيُنْبِتُ الْكَلَأَ، فَتَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ وَالدَّوَابُّ وَالزَّرْعُ وَغَيْرُهَا، وَكَذَا النَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنَ النَّاسِ يَبْلُغُهُ الْهُدَى وَالْعِلْمُ، فَيَحْفَظُهُ، فَيَحْيَا قَلْبُهُ، وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيُعَلِّمُهُ غَيْرَهُ، فَيَنْتَفِعُ وَيَنْفَعُ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْأَرْضِ مَا لَا تَقْبَلُ الِانْتِفَاعَ فِي نَفْسِهَا، لَكِنْ فِيهَا فَائِدَةٌ، وَهِيَ إِمْسَاكُ الْمَاءِ لِغَيْرِهَا، فَيَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ وَالدَّوَابُّ، وَكَذَا النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ النَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ حَافِظَةٌ، لَكِنْ لَيْسَتْ لَهُمْ أَفْهَامٌ ثَاقِبَةٌ، وَلَا رُسُوخَ لَهُمْ فِي الْعَقْلِ يَسْتَنْبِطُونَ بِهِ الْمَعَانِيَ وَالْأَحْكَامَ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمُ اجْتِهَادٌ فِي الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ بِهِ، فَهُمْ يَحْفَظُونَهُ حَتَّى يَأْتِيَ طَالِبٌ مُحْتَاجٌ مُتَعَطِّشٌ لِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ أَهْلٌ لِلنَّفْعِ وَالِانْتِفَاعِ، فَيَأْخُذَهُ مِنْهُمْ، فَيَنْتَفِعَ بِهِ، فَهَؤُلَاءِ نَفَعُوا بِمَا بَلَغَهُمْ.

وَالنَّوْعُ الثَّالِثُ مِنَ الْأَرْضِ السِّبَاخُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ وَنَحْوُهَا، فَهِيَ لَا تَنْتَفِعُ بِالْمَاءِ، وَلَا تُمْسِكُهُ لِيَنْتَفِعَ بِهَا غَيْرُهَا، وَكَذَا النَّوْعُ الثَّالِثُ مِنَ النَّاسِ لَيْسَتْ لَهُمْ قُلُوبٌ حَافِظَةٌ وَلَا أَفْهَامٌ وَاعِيَةٌ، فَإِذَا سَمِعُوا الْعِلْمَ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلَا يَحْفَظُونَهُ لِنَفْعِ غَيْرِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْعِلْمِ، مِنْهَا: ضَرْبُ الْأَمْثَالِ، وَمِنْهَا فَضْلُ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَشِدَّةُ الْحَثِّ عَلَيْهِمَا، وَذَمُّ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْعِلْمِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.ا.هـ.

فَلِعِظَمِ شَأْنِ الْعِلْمِ وَأَهَمِّيَّتِهِ وَكَثْرَةِ نَفْعِهِ مُثِّلَ بِالْغَيْثِ!، فَالْعِلْمُ وَالْهُدَى غَيْثُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، كَمَا أَنَّ الْمَطَرَ غَيْثُ الْأَرْضِ.

قَالَ سَابِقٌ الْبَلَوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْبَرْبَرِيِّ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ:

وَالْعِلْمُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوب كَمَا ... يَحْيَا النَّبَاتُ إِذَا مَا مَسَّهُ الْمَطَرُ
وَالْعِلْمُ يَجْلُو الْعَمَى عَن قَلْب صَاحِبِهِ ... كَمَا يُجْلِي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ
وَلَيْسَ ذُو الْعِلْم بِالتَّقْوَى كَجَاهِلِهَا ... وَلَا الْبَصِيرُ كَأَعْمَى مَا لَهُ بَصَرُ

وَإِنَّمَا قُيِّدَ الْعِلْمُ بِكَوْنِهِ نَافِعًا؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُورِثُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، فَإِذَا لَمْ يَكُن نَّافِعًا كَانَ وَبَالًا عَلَى صَاحِبِهِ.

فَالْعِلْمُ إِمَّا أَن يَكُونَ نَافِعًا أَوْ ضَارًّا، فَإِن لَّمْ يَنفَعْ فَإِنَّهُ يَضُرُّ لَا مَحَالَةَ، فَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٢٣).

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ مِنْ عِلْمٍ يَنْفَعُ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَضَرَّ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ». رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي "الْجَامِعِ"(رقم: ١٠٨٦).

وَقَالَ أَيْضًا: «الْعِلْمُ إِنْ لَمْ يَنْفَعْكَ ضَرَّكَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي "الزُّهْدِ"(رقم: ٦١١)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي "الْحِلْيَةِ"(ج٧/ص: ٢٧٧)، وَالْخَطِيبُ فِي "اقْتِضَاءِ الْعِلْمِ الْعَمَلَ"(رقم: ٨٤).

قَالَ الْخَطِيبُ: يَعْنِي: إِنْ لَمْ يَنْفَعْهُ بِأَنْ يُعْمَلَ بِهِ ضَرَّهُ؛ بِكَوْنِهِ حُجَّةً عَلَيْهِ.

فَالْعِلْمُ النَّافِعُ يَنتَفِعُ بِهِ صَاحِبُهُ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ، وَيَنتَفِعُ بِهِ مَن شَاءَ اللهُ مِمَّن بَلَغَهُ.

فَأَمَّا فِي حَيَاتِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ نُورًا لَهُ، يَقُودُهُ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ فَلِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ**(١) **انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَه»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٦٣١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) هكذا هو بلفظ: (الإنسان)، فيما وقفت عليه من مصادر السنة، ولم أره بلفظ: (ابن آدم) المشهور على الألسنة إلا عند ابن أبي الدنيا في "النفقة على العيال"(رقم:٤٣٠)، ولا شك أن اللفظين بمعنى، لكن هذا من باب تحري اللفظ.

وَعَلَى قَدْرِ إِخْلَاصِ حَامِلِ الْعِلْمِ وَعَمَلِهِ بِهِ يَكُونُ انتِفَاعُ غَيْرِهِ بِهِ، **«وَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»**، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.(١)

وَعِندَ أَحْمَدَ (رقم: ٢١٥٩٠)، وَأَبِي دَاوُدَ (رقم: ٣٦٦٠)، وَالتِّرْمِذِيِّ (رقم: ٢٦٥٦)، وَابْنِ مَاجَهْ (رقم: ٢٣٠)، وَالنَّسَائِيِّ فِي "الْكُبْرَى"(رقم: ٥٨١٦)، عَن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»**.(٢)

قَالَ مَحْمُودٌ الْوَرَّاقُ:

إِذَا أَنْتَ لَمْ يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ لَمْ تَجِدْ ... لِعِلْمِكَ مَخْلُوقًا مِنَ النَّاسِ يَقْبَلُهْ
وَإِنْ زَانَكَ الْعِلْمُ الَّذِي قَدْ حَمَلْتَهُ ... وَجَدتَّ لَهُ مَنْ يَجْتَنِيهِ وَيَحْمِلُهْ

رَوَى الطَّبَرَانِيُّ (ج٢/ص: ١٦٥)(رقم: ١٦٨١) عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَزْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ»**.(٣)

فَسَلِ اللهَ عِلْمًا نَافِعًا يُوْرِثُكَ الْخَشْيَةَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنفَعُ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِن ذَلِكَ، فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٨٤٣)، وَأَبُو يَعْلَى (رقم: ١٩٢٧)، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي "جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ"(رقم: ١٠٧٦) عَن جَابِرٍ

---

(١) رواه البخاري (رقم: ١٧٤١، و٤٤٠٦، و٥٥٥٠، و٧٤٤٧)، ومسلم (رقم: ١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ٦٧، و٦٨٠)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٤٠٤)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٣٥١).

(٣) وجود إسناده الألباني في "الصحيحة"(ج٧/ص: ١١٣٣)(تحت الحديث رقم: ٣٣٧٩).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ**».(١)

وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي "الْكُبْرَى"(رقم: ٧٨١٨)، وَابْنُ حِبَّانَ (رقم: ٨٢) بِلَفْظِ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَّافِعًا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَّا يَنْفَعُ**».

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَّافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُّتَقَبَّلًا**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٦٥٢١، و٢٦٦٠٢، و٢٦٧٠٠، و٢٦٧٣١)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٩٢٥)، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِندَ الطَّبَرَانِيِّ فِي "الدُّعَاءِ"(رقم: ٦٧٠)، وَبِهِ حَسَّنَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي "نَتَائِجِ الْأَفْكَارِ"(ج٢/ص: ٣١٣).

وَعِندَ الْحَاكِمِ (رقم: ١٨٧٩) عنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ! انفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا تَنفَعُنِي بِهِ**».(٢)

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٧٢٢) عَن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَّا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَّا يَخْشَعُ، وَمِن نَّفْسٍ لَّا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَّا يُسْتَجَابُ لَهَا**».

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (رقم:٦٥٦١، و٦٨٦٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم:٣٤٨٢)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٥٤٤٢) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَزَادَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ: «**أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ**».(٣)

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٤٠٢٣)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٥٤٧٠) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِالزِّيَادَةِ الْمَذْكُورَةِ.(٤)

---

(١) وذكره الألباني في "الصحيحة"(رقم: ١٥١١).

(٢) وذكره الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٣١٥١).

(٣) وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٧٨٥).

(٤) وهو أيضًا في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٨٨).

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (رقم: ٨٤٨٨، و٨٧٧٩، و٩٨٢٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ١٥٤٨)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٥٤٦٧، و٥٥٣٧)، وَابْنُ مَاجَهْ (٢٥٠، و٣٨٣٧)، وَالْحَاكِمُ (رقم: ٣٥٤، و٣٥٥، و١٩٥٨) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ (ج١١/صـ: ٥٢)(رقم: ١١٠٢٠)، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي جَامِعِهِ (رقم: ١٠٧٤) مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ (رقم: ١٠٤٧٦)، وَالدَّارِمِيُّ (رقم: بن ٥٧٥)، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي "جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ"(رقم: ٧٧٤، و٧٧٧، و١٠٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ مَثَلَ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، كَمَثَلِ كَنْزٍ لَا يُنْفَقُ فِي سَبِيلِ اللهِ»**.(١)

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

حَسْبِي بِعِلْمِي إِنْ نَفَعْ ... مَا الذُّلُّ إِلَّا فِي الطَّمَعْ
مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ رَجَعْ ... عَنْ سُوءِ مَا كَانَ صَنَعْ
مَا طَارَ شَيْءٌ فَارْتَفَعَ ... إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعْ

وَكَذَلِكَ مَا ضُرِبَ مثلًا لِلْعِلْمِ، وَهُوَ الْغَيْثُ، إِنَّمَا يُحْمَدُ لِمَنَافِعِهِ؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى المَطَرَ، قَالَ: **«اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٠٣٢) مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لَّا تُمْطَرُوا، وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا، وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٩٠٤) عنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا، حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ، قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَى النَّاسَ، إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ فَرِحُوا، رَجَاءَ أَنْ

(١) وذكره الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٣٤٧٩).

يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ؟ قَالَتْ: فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ، فَقَالُوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾** [الأحقاف: ٢٤]». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٨٢٨، و٤٨٢٩)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٨٩٩)(١٦).

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَيْضًا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٨٩٩)(١٥).

وَلَهُمَا أَيْضًا عَنْهَا، قَالَتْ: وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ، سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]**».(١)

وَمِن مَّنَافِعِ الْغَيْثِ إِحْيَاءُ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا، قَالَ ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، وَقَالَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩ - ١١].

وَقَدْ عُبِّرَ عَنْهُ بِالْمَاءِ، كَمَا فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ، أَوْ بِالْغَيْثِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ﴾ [الشورى: ٢٨]، أَوْ بِالرِّزْقِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الجاثية: ٥].

---

(١) رواه البخاري (رقم: ٣٢٠٦)، ومسلم (رقم: ٨٩٩)(١٥).

وَعُبِّرَ بِالْمَطَرِ فِي أَكْثَرِ مَوَاضِعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنِ الْعَذَابِ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ عَلَى الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾ [الأعراف: ٨٤]، و[الشعراء: ١٧٣]، و[النمل: ٥٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ [هود: ٨٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾[الحجر: ٧٤].

وَضَرَبَ اللهُ ﷻ لِلْحَقِّ فِي بَقَائِهِ وَانتِفَاعِ النَّاسِ بِهِ وَالْبَاطِلِ فِي اضْمِحْلَالِهِ وَزَوَالِهِ مَثَلَيْنِ عَظِيمَيْنِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ، احْتَمَلَتْ مِنْهُ الْقُلُوبُ عَلَى قَدْرِ يَقِينِهَا وَشَكِّهَا، فَأَمَّا الشَّكُّ فَلَا يَنْفَعُ مَعَهُ الْعَمَلُ، وَأَمَّا الْيَقِينُ فَيَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَهْلَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ﴾، وَهُوَ الشَّكُّ، ﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ وَهُوَ الْيَقِينُ، وَكَمَا يُجْعَلُ الْحُلِيُّ فِي النَّارِ فَيُؤْخَذُ خَالِصُهُ وَيُتْرَكُ خَبَثُهُ، فَكَذَلِكَ يَقْبَلُ اللَّهُ الْيَقِينَ وَيَتْرُكُ الشَّكَّ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى مَثَلَيْنِ مَضْرُوبَيْنِ لِلْحَقِّ فِي ثَبَاتِهِ وَبَقَائِهِ، وَالْبَاطِلِ فِي اضْمِحْلَالِهِ وَفَنَائِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾، أَيْ: مَطَرًا، ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾، أَيْ: أَخَذَ كُلُّ وَادٍ بِحَسْبِهِ، فَهَذَا كَبِيرٌ وَسِعَ كَثِيرًا مِنَ الْمَاءِ، وَهَذَا صَغِيرٌ، فَوَسِعَ بِقَدْرِهِ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الْقُلُوبِ وَتَفَاوُتِهَا، فَمِنْهَا مَا يَسَعُ عِلْمًا كَثِيرًا، وَمِنْهَا مَا لَا يَتَّسِعُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ بَلْ يَضِيقُ عَنْهَا، ﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ﴾، أَيْ: فَجَاءَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ الَّذِي سَالَ فِي هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ زَبَدٌ عَالٍ عَلَيْهِ، هَذَا مَثَلٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ﴾، هَذَا هُوَ الْمَثَلُ الثَّانِي، وَهُوَ مَا يُسْبَكُ فِي النَّارِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ؛ ﴿ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ ﴾، أَيْ: لِيَجْعَلَ حِلْيَةً أَوْ نُحَاسًا أَوْ حَدِيدًا، فَيُجْعَلُ مَتَاعًا، فَإِنَّهُ يَعْلُوهُ زَبَدٌ مِنْهُ، كَمَا يَعْلُو ذَلِكَ زَبَدٌ مِنْهُ، ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ﴾، أَيْ: إِذَا اجْتَمَعَا لَا

ثَبَاتَ لِلْبَاطِلِ وَلَا دَوَامَ لَهُ، كَمَا أَنَّ الزَّبَدَ لَا يَثْبُتُ مَعَ الْمَاءِ، وَلَا مَعَ الذَّهَبِ وَنَحْوِهِ مِمَّا يُسْبَكُ فِي النَّارِ، بَلْ يَذْهَبُ وَيَضْمَحِلُّ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾، أَيْ: لَا يُنْتَفَعُ بِهِ، بَلْ يَتَفَرَّقُ وَيَتَمَزَّقُ وَيَذْهَبُ فِي جَانِبِي الْوَادِي، وَيَعْلَقُ بِالشَّجَرِ وَتَنْسِفُهُ الرِّيَاحُ، وَكَذَلِكَ خَبَثُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ يَذْهَبُ، لَا يَرْجِعُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَبْقَى إِلَّا الْمَاءُ، وَذَلِكَ الذَّهَبُ وَنَحْوُهُ يُنْتَفَعُ بِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٣].

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كُنْتُ إِذَا قرأتُ مَثَلًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلَمْ أَفْهَمْهُ بَكَيت عَلَى نَفْسِي؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.ا.هـ.

وَذَكَرَ اللهُ ﷻ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ مَا يُنَاسِبُ مَا فِيهَا، وَهُوَ: أَنَّ اللهَ ﷻ هُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الضُّرُّ وَالنَّفْعُ، وَأَنَّ مَا يَدْعُو الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْلِيَاءِ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَمْلِكُوا ذَلِكَ لِغَيْرِهِمْ، فَقَالَ ﷻ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

وَهَذَا الْمَعْنَى مَذْكُورٌ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ ﷻ: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ [الفتح: ١١]، وَقَالَ ﷻ: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾[الفرقان: ٣].

وَقَالَ ﷻ فِي شَأْنِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُجَادَلَتِهِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۝٧٠ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[الشعراء: ٦٩ – ٧٤] .

وَقَالَ ﷻ: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[الأنبياء: ٦٦ - ٦٧].

وَقَالَ ﷻ فِي شَأْنِ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾[طه: ٨٩].

وَقَالَ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾[الحج: ١١ - ١٣].

وَقَالَ مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف: ١٨٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٩].

وَكَذَا الشَّأْنُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ ﷻ: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ [سبأ: ٤٢]، وَقَالَ ﷻ: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨].

وَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ٢١٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: **«لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»**.

وَأَمَّا مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»**.(١)

(١) البخاري (رقم: ٦٢٠٨)، ومسلم (رقم: ٢٠٩)(٣٥٧).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ (رقم:٢٠٩)(٣٥٧): قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ فَهَلْ نَفَعَهُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ، فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ**»، فَهَذَا النَّفْعُ الْمَذْكُورُ مِنْ خَصَائِصِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَتَبًّا لِعُقُولٍ ضَلَّتْ، وَأَضَلَّتْ، فَعَبَدَ أَصْحَابُهَا مَخْلُوقَاتٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنفَعُ، كَالْأَحْجَارِ!، أَوْ كَالْمَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ!، وَكَذَلِكَ مَا يَتَوَلَّاهُ مَن تَوَلَّى مِن دُونِ اللهِ كَالشَّيْطَانِ، وَكَالسِّحْرِ وَالسَّحَرَةِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢ - ١٠٣].

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ذَكَرَ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ عِلْمَ السِّحْرِ مَضَرَّةٌ مَحْضَةٌ، لَيْسَ فِيهِ مَنفَعَةٌ، لَا دِينِيَّةٌ وَلَا دُنْيَوِيَّةٌ، كَمَا يُوجَدُ بَعْضُ الْمَنَافِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ فِي بَعْضِ الْمَعَاصِي، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فَهَذَا السِّحْرُ مَضَرَّةٌ مَحْضَةٌ، فَلَيْسَ لَهُ دَاعٍ أَصْلًا، فَالْمَنْهِيَّاتُ كُلُّهَا إِمَّا مَضَرَّةٌ مَحْضَةٌ، أَوْ شَرُّهَا أَكْبَرُ مِنْ خَيْرِهَا، كَمَا أَنَّ الْمَأْمُورَاتُ إِمَّا مَصْلَحَةٌ مَحْضَةٌ أَوْ خَيْرُهَا أَكْثَرُ مِن شَرِّهَا.ا.هـ.

فَالضُّرُّ وَالنَّفْعُ بِيَدِ اللهِ، وَالْمُوَحِّدُ يُوقِنُ بِذَلِكَ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الحَجَرِ الأَسْوَدِ، فَقَبَّلَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ».(١)

(١) البخاري (رقم: ١٥٩٧، و١٦٠٥)، ومسلم (رقم: ١٢٧٠).

وَمِمَّا يَنبَغِي التَّنبِيهُ عَلَيْهِ أَنَّ الضَّارَّ، وَالنَّافِعَ لَيْسَا اسْمَيْنِ للهِ ﷻ، لَكِنْ هُمَا وَصْفَانِ للهِ ﷻ، فَالضُّرُّ وَالنَّفْعُ بِيَدِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَضُرُّ وَيَنفَعُ، فَلَا يَنفَعُ غَنِيًّا مِّنَ اللهِ ﷻ غِنَاهُ.

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ: **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»**.(١)

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٤٧٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: **«رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ: اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»**.

وَلَهُ أَيْضًا (رقم: ٤٧٨) نَحْوُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَهُوَ ﷻ غَنِيٌّ عَنْ عِبَادِهِ، لَا تَنفَعُهُ طَاعَةُ الْمُطِيعِينَ، وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ الْعَاصِينَ، وَإِنَّمَا يَنفَعُونَ أَنفُسَهُمْ أَوْ يَضُرُّونَهَا، قَالَ ﷻ: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

وَقَالَ ﷻ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: **«يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٧٧) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

(١) البخاري (رقم: ٨٤٤، و٦٣٣٠، و٦٦١٥، و٧٢٩٢)، ومسلم (رقم: ٥٩٣).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ!، بَادِرْ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ إِلَى اللهِ ﷻ قَبْلَ أَن لَّا تَنفَعَ التَّوْبَةُ، إِمَّا بِنُزُولِ الْمَوْتِ، أَوْ بِحُلُولِ الْعَذَابِ، أَوْ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِن مَّغْرِبِهَا.

قَالَ ﷻ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[النساء: ١٨].

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٦١٦٠، و٦٤٠٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٥٣٧)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٤٢٥٣).(١)

وَقَالَ ﷻ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤ – ٨٥].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، فَيَوْمَئِذٍ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام: ١٥٨]»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٥٨).

---

(١) وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (رقم: ٦٢٨)، والحاكم (رقم: ٧٦٥٩)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني لغيره في تعليقه على "المشكاة"(رقم: ٢٣٤٣).

(٢) البخاري (رقم: ٤٦٣٥، و٤٦٣٦، و٦٥٠٦، و٧١٢١)، ومسلم (رقم: ١٥٧).

فَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وَاحْرِصُوا عَلَى سَلَامَةِ قُلُوبِكُمْ وَجَوَارِحِكُم مِّمَّا حَرَّمَ اللهُ، ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾[الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٥١٤)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٩٦٠).

وَهَذَا الدِّيْنُ الَّذِي أَرْسَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ رَسُولَهُ وَأَكْمَلَهُ لِعِبَادِهِ هُوَ عِلْمٌ نَافِعٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[التوبة: ٣٣].

فَاحْرِصْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ عَلَى مَا يَنفَعُكَ، فَقَدْ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٦٦٤) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَ«لَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ مِنْ عِلْمٍ يَنْفَعُ»، كَمَا قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، فَاحْرِصْ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ النَّافِعِ عِلْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعَلَى نَفْعِ النَّاسِ بِبَثِّهِ وَنَشْرِهِ فِيهِمْ.

وَتَدَبَّرْ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ أَصْلُ الْعِلْمِ، وَفِي تَدَبُّرِهِ الْهُدَى وَالْبَرَكَةُ وَالنُّورُ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ، فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٨٢٢)(٢٧٥).

وَالْزَمِ السُّنَّةَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا؛ فَإِنَّ فِي لُزُومِهَا النَّفْعَ وَالْبَرَكَةَ، وَفِي الزَّيْغِ عَنْهَا الْمَحْقُ وَالْهَلَكَةُ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور: ٦٣].

رَوَى أَحْمَدُ (رقم: ٢٢١٤١)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٢٢٢١) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْنِي بِأَمْرٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، قَالَ: «**عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ؛ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ**».(١)

وَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ٢٦١٨) عَنْ أَبِي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ، قَالَ: «**اعْزِلِ الْأَذَى عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ**».

وعِندَ أَبِي دَاوُدَ (رقم: ٤٨٨٨) عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ**».

فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «كَلِمَةٌ سَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا».(٢)

وَاحْرِصْ عَلَى أَن تَكُونَ نَافِعًا، بِمَا اسْتَطَعْتَ مِنْ خَيْرٍ وَمَعْرُوفٍ، فَعَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَدَغَتْ رَجُلًا مِنَّا عَقْرَبٌ، وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرْقِي؟ قَالَ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢١٩٩).

«**وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**»، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.(٣)

---

(١) وصححه ابن خزيمة (رقم: ١٨٩٣)، وابن حبان (رقم: ٣٤٢٥، و٣٤٢٦)، والحاكم (رقم: ١٥٣٣)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٩٨٦) وذكره العلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٤٨٨).

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ٥٧٦٠)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٢٣٤٢)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١١١٦).

(٣) رواه الطبراني في "الكبير"(ج١٢/ص: ٤٥٣)(رقم: ١٣٦٤٦)، و في "الأوسط"(رقم: ٦٠٢٦)، وفي "الصغير"(رقم: ٨٦١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
ورواه الطبراني في "الأوسط"(رقم: ٥٧٨٧)، والقضاعي في "مسند الشهاب"(١٢٩، و١٢٣٤) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ، وذكره الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٤٢٦).

سورة الفاتحة

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

◄ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِسُورَةِ الْفَاتِحَةِ؛ فَإِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدِ رَافِعِ بْنِ الْمُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: **«أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]». ثُمَّ قَالَ لِي: **«لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ»**. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ: **«لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟»**،قَالَ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، **هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٤٧٤، و٤٦٤٧، و٤٧٠٣، و٥٠٠٦).

وَفِي هَذَا الْحَدِيْثِ تَفْسِيْرٌ لِلْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ، فَالْفَاتِحَةُ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ.

وَهِيَ سَبْعُ آيَاتٍ بِالْإِجْمَاعِ، وَاخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ وَالْفُقَهَاءُ فِي عَدِّ الْبَسْمَلَةِ مِنْهَا، فَمَن لَّمْ يَعُدَّهَا آيَةً جَعَلَ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ آيَةً، وَجَعَلَ: ﴿غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ آيَةً، وَمَنْ عَدَّ الْبَسْمَلَةَ آيَةً جَعَلَهُمَا آيَةً وَّاحِدَةً.

وَهِيَ مَثَانِي؛ لِأَنَّهَا تُثَنَّى فِي كُلِّ رَكْعَةٍ.

◄ وَفِي حَدِيْثِ رَافِعِ بْنِ الْمُعَلَّى أَيْضًا: أَنَّ سُوْرَةَ الْفَاتِحَةِ هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ.

◄ وَفِيْهِ أَيْضًا: أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ سُوْرَةِ الْفَاتِحَةِ: ﴿ٱلحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَا أُبَيُّ»**، وَهُوَ يُصَلِّي، فَالتَفَتَ أُبَيٌّ وَلَمْ يُجِبْهُ، وَصَلَّى أُبَيٌّ، فَخَفَّفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، مَا مَنَعَكَ يَا أُبَيُّ أَنْ تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ؟»**. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: **«أَفَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنِ:** ﴿ٱستَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحيِيكُم﴾ [الأنفال: ٢٤]»، قَالَ: بَلَى، وَلَا أَعُودُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: **«تُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟»**، قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟»**. قَالَ: فَقَرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم:٩٣٤٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم:٢٨٧٥).(١)

---

(١) وصححه ابن خزيمة (رقم:٨٦١) مختصرًا، وصححه أيضًا: العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب" (رقم:١٤٥٣)، والعلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٤٢٤).

وَفِي هَذَا الْحَدِيْثِ أَيْضًا: أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ سُوْرَةِ الْفَاتِحَةِ: (أُمَّ القُرْآنِ).

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ فِي الأُولَيَيْنِ بِأُمِّ الكِتَابِ، وَسُورَتَيْنِ، وَفِي الرَّكْعَتَيْنِ الأُخْرَيَيْنِ بِأُمِّ الكِتَابِ وَيُسْمِعُنَا الآيَةَ، وَيُطَوِّلُ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى مَا لَا يُطَوِّلُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، وَهَكَذَا فِي العَصْرِ وَهَكَذَا فِي الصُّبْحِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ (رقم:٧٧٦).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: **«كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّفُ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: هَلْ قَرَأَ بِأُمِّ الكِتَابِ؟»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيِّ (رقم:١١٧١).

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا، بِلَفْظِ: «هَلْ قَرَأَ فِيهِمَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ؟».

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:٧٥٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم:٣٩٤).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: **«لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ»**.

وَفِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ (رقم:٣٩٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَن صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ»**. ثَلَاثًا، غَيْرُ تَمَامٍ.

◄ فَمِن فَضَائِلِ سُوْرَةِ الْفَاتِحَةِ: أَنَّهَا أُمُّ الْقُرْآنِ، وَأُمُّ الكِتَابِ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي أَوَّلِ كِتَابِ التَّفْسِيْرِ مِن صَحِيْحِهِ: وَسُمِّيَتْ أُمَّ الكِتَابِ؛ لِأَنَّهُ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي المَصَاحِفِ، وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ: وَقِيلَ: «إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِرُجُوعِ مَعَانِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ».

◄ وَمِن فَضَائِلِهَا أَيْضًا: أَنَّ قِرَاءَتَهَا رُكْنٌ مِّنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»**، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَن صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ»**. ثَلَاثًا، غَيْرُ تَمَامٍ.

وَلِهَذَا سُمِّيَتْ صَلَاةً؛ فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم:٣٩٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦- ٧]، **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»**.

هَلْ تَسْتَحْضِرُ أَيُّهَا الْمُصَلِّي مِثْلَ هَذَا فِي صَلَاتِكَ وَأَنتَ تَقْرَأُ سُورَةَ الْفَاتِحَةِ؟! قَلَّ واللهِ مَن يَّسْتَحْضِرُهُ!.

إِن قُلْتَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: (حَمِدَنِي عَبْدِي).

وَحَمْدُ اللهِ ﷻ: وَصْفُهُ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ؛ مَحَبَّةً وَّتَعْظِيمًا.

وَالرَّبُّ فِي اللُّغَةِ: السَّيِّدُ، وَالْمَالِكُ، وَالْمُنْعِمُ، والْمُتَصَرِّفُ لِلْإِصْلَاحِ، وَكُلُّ هَذِهِ مَعَانٍ صَحِيحَةٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ، رَبَّاهُم بِنِعَمِهِ، وَالْعَالَمُونَ: جَمْعُ عَالَمٍ، وَهُوَ مَا سِوَى اللَّهِ ﷻ.

وَلَا يُسْتَعْمَلُ الرَّبُّ لِغَيْرِ اللَّهِ ﷻ إِلَّا مُقَيَّدًا بِالْإِضَافَةِ، بِمَا يَلِيقُ بِهِ، فَيُقَالُ: رَبُّ الْبَيْتِ، رَبُّ الْإِبِلِ، وَهَكَذَا. وَأَمَّا الرَّبُّ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَلَا يُقَالُ إِلَّا لِلَّهِ ﷻ.

وَإِن قُلْتَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: (أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي).

وَالثَّنَاءُ عَلَى اللهِ ﷻ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، كَمَا فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٤٨٦) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَأَخْبَرَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَا يُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ، وَلَوْ أَحْصَى جَمِيعَ أَسْمَائِهِ لَأَحْصَى صِفَاتِهِ كُلَّهَا، فَكَانَ يُحْصِي الثَّنَاءَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ صِفَاتِهِ إِنَّمَا يُعَبَّرُ عَنْهَا بِأَسْمَائِهِ.ا.هـ.(١)

وَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: «**فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِن مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٧١٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٩٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِذَا كَانَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ لَا يُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ وَلَا يَعْرِفُ الْآنَ مَحَامِدَهُ الَّتِي يَحْمَدُهُ بِهَا عِنْدَ السُّجُودِ لِلشَّفَاعَةِ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ غَيْرُهُ عَارِفًا بِجَمِيعِ مَحَامِدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ؟ وَكُلُّ مَا لَهُ مِنْ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى فَإِنَّهُ دَاخِلٌ فِي مَحَامِدِهِ وَفِيمَا يُثْنِي عَلَيْهِ بِهِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَمَنْ كَانَ بِمَا لَهُ مِنْ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ أَعْلَمَ وَأَعْرَفَ كَانَ بِاَللَّهِ أَعْلَمَ وَأَعْرَفَ.ا.هـ.(٢)

وَالرَّحْمَنُ اسْمٌ للهِ ﷻ، خَاصٌّ بِهِ، فَلَا يَجُوزُ أَن يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ، وَهُوَ دَالٌّ عَلَى صِفَةِ الرَّحْمَةِ الذَّاتِيَّةِ، بَيْنَمَا الرَّحِيمُ دَالٌّ عَلَى الصِّفَةِ الْفِعْلِيَّةِ.

وَذِكْرُ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ يَبْعَثُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ الرَّجَاءَ وَيَحْمِلُ عَلَى حُسْنَ الظَّنِّ باللهِ ﷻ، فَمَا أَوْسَعَ رَحْمَةَ اللهِ ﷻ، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

وَقَدْ كَتَبَ رَبُّنَا ﷻ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، تَفَضُّلًا مِنْهُ، وَكَتَبَهَا لِلْمُتَّقِيْنَ الْمُنفِقِيْنَ الْمُوقِنِيْنَ الْمُذْعِنِيْنَ، قَالَ ﷻ: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢، و٥٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧].

---

(١) "درء تعارض العقل والنقل" (ج٣/ صـ: ٣٣٢-٣٣٣).

(٢) "مجموع الفتاوى" (ج٧/ صـ: ٥٧٣-٥٧٤).

وَمِن كَمَالِ اللهِ ﷻ أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»**.

وَفِي رِوَايَةٍ: **«سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي»**.(١)

وَإِن قُلْتَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، قَالَ اللهُ ﷻ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي.

وَ(مَجَّدَنِي)، أَيْ: عَظَّمَنِي، وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: ﴿مَلِكِ﴾.

وَيَوْمُ الدِّيْنِ هُوَ: يَوْمُ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ، يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وَأَسْمَاءُ اللهِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا هَذِهِ السُّوْرَةُ الْكَرِيْمَةُ: اللَّهُ، وَالرَّبُّ، وَالرَّحْمَنُ، وَالرَّحِيْمُ، وَالْمَلِكُ، هِيَ أُصُولُ أَسْمَاءِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَجَامِعُهَا، كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ.(٢)

فَإِن قُلْتَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، قَالَ اللهُ ﷻ: **«هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»**، اللهُ أَكْبَرُ!، مَا أَكْرَمَ اللهَ ﷻ، حَمِدَهُ عَبْدُهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: (وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)!.

قِفْ بِالْخُضُوعِ وَنَادِ يَا اللهُ ... إِنَّ الْكَرِيْمَ يُجِيْبُ مَنْ نَّادَاهُ
وَاطْلُبْ بِّطَاعَتِهِ رِضَاهُ فَلَمْ يَزَلْ ... بِالْجُودِ يُرْضِي طَالِبِيْنَ رِضَاهُ
وَاسْأَلْهُ مَسْأَلَةً وَّفْضَلًا إِنَّهُ ... مَبْسُوطَتَانِ لِسَائِلِيْهِ يَدَاهُ

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، هَذِهِ الْآيَةُ قِيْلَ: إِنَّهَا تَجْمَعُ سِرَّ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ؛ لأَنَّ الْخَلْقَ إِنَّمَا خُلِقُوا؛ لِلْعِبَادَةِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وَلَا قُدْرَةَ لِلْعِبَادِ عَلَيْهَا إِلَّا بِإِعَانَةِ اللهِ لَهُمْ؛ فَلِذَلِكَ

(١) البخاري (رقم: ٣١٩٤، و٧٤٠٤، و٧٤٢٢، و٧٤٥٣، و٧٥٥٣، و٧٥٥٤)، ومسلم (رقم: ٢٧٥١).

(٢) الطب النبوي من "زاد المعاد"(ج٤/ص: ١٦٣).

كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عَبْدِهِ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ، وَالْإِعَانَةُ مِنَ اللَّهِ فَضْلٌ مِنْهُ عَلَى عبْدِهِ.(١)

وَذِكْرُ الاسْتِعَانَةِ بَعْدَ الْعِبَادَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ مِن بَابِ ذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ؛ لِلتَّنبِيْهِ عَلَى فَضْلِ وَشَرَفِ الْخَاصِّ، وَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا سَبِيْلَ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ ﷻ إِلَّا بِعَوْنِهِ وَتَوْفِيْقِهِ.

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى ... فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

وَهَذَا قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي تَفْسِيْرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوهُ عَلَى أَمَرِكُمْ». أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيْرِهِ (ج١/صـ:٢٩).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقُدِّمَ الْمَفْعُولُ، وَهُوَ: ﴿إِيَّاكَ﴾، وَكُرِّرَ؛ لِلِاهْتِمَامِ وَالْحَصْرِ، أَيْ: لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْكَ، وَهَذَا هُوَ كَمَالُ الطَّاعَةِ، وَالدِّينُ يَرْجِعُ كُلُّهُ إِلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَهَذَا كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْفَاتِحَةُ سِرُّ الْقُرْآنِ، وَسِرُّهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فَالْأَوَّلُ تَبَرُّؤٌ مِنَ الشِّرْكِ، وَالثَّانِي تَبَرُّؤٌ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَالتَّفْوِيْضُ إِلَى اللَّهِ ﷻ.

وَإِنَّمَا قَدَّمَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عَلَى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَهُ هِيَ الْمَقْصُودَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا، وَالِاهْتِمَامُ وَالْحَزْمُ هُوَ أَنْ يُقَدَّمَ مَا هُوَ الْأَهَمُّ فَالْأَهَمُّ.ا.هـ.

فَإِذَا قُلْتَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦-٧]، قَالَ اللهُ ﷻ: **«هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»**.

وَهَذَا أَفْضَلُ الدُّعَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَأَنْفَعُهُ وَأَفْرَضُهُ، وَالْعِبَادُ أَحْوَجُ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْهِدَايَةُ إِلَى صِرَاطِ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ.(٢)

---

(١) "تفسير ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ"(ج١/صـ:٦٩).

ولشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كلام نحوه، راجع: "مجموع الفتاوى"(ج٨/صـ:٧٦، و١٠/صـ:١٨، و١٤/صـ:٧، و٢٢/صـ:٦٠٧)، و"مدارج السالكين"(ج١/صـ:٩٥، وما بعدها).

(٢) الطب النبوي من "زاد المعاد"(ج٤/صـ: ١٦٣).

وَإِن كَانَ أَصْلُ الْهِدَايَةِ حَاصِلًا فَالْمُرَادُ الزِّيَادَةُ وَالثَّبَاتُ وَالدَّوَامُ، وَصِرَاطُ اللهِ هُوَ الْإِسْلَامُ، فَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٧٦٣٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٨٥٩).[(١)]

فَتَذَكَّرْ أَيُّهَا الْعَبْدُ افْتِقَارَكَ إِلَى رَبِّكَ فِي الْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ ﴿ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

فَمَن تَنَكَّبَ هَذَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَقَعَ لَا مَحَالَةَ فِي صِرَاطِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَهُمُ الْيَهُودُ وَأَشْبَاهُهُمْ، مِمَّنْ عَلِمَ الْحَقَّ، فَخَالَفَهُ، أَوْ صِرَاطِ الضَّالِّينَ، وَهُمُ: النَّصَارَى وَأَشْبَاهُهُمْ، مِّمن جَهِلَ الْحَقَّ، فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهِ.

وَيُشْرَعُ لِمَن قَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ أَن يَّقُولَ إِذَا فَرَغَ مِنْهَا عَقِيبَ الدُّعَاءِ بِالْهُدَى: (آمِيْنَ)، وَمَعْنَاهُ: اللهُمَّ اسْتَجِبْ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٧٨٠، و٦٤٠٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٤١٠).

---

(١) وصححه الحاكم (رقم: ٢٤٥) على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: العلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١١٧٩)، وحسن إسناده العلامة الألباني في تعليقه على "المشكاة"(رقم: ٢٣٤٨).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَدِ اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ الْمُنْفَرِدَ يُؤَمِّنُ، وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ وَالْمَأْمُومُ فِي الصَّلَاةِ السِّرِّيَّةِ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْجُمْهُورُ فِي الْجَهْرِيَّةِ.

وَقَالَ فِي "الْمَجْمُوعِ"(ج٣/ صـ:٣٧١): التَّأْمِينُ سُنَّةٌ لِكُلِّ مُصَلٍّ فَرَغَ مِنْ الْفَاتِحَةِ، سَوَاءٌ الْإِمَامُ وَالْمَأْمُومُ وَالْمُنْفَرِدُ وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالصَّبِيُّ وَالْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالْمُضْطَجِعُ وَالْمُفْتَرِضُ وَالْمُتَنَفِّلُ، فِي الصَّلَاةِ السِّرِّيَّةِ وَالْجَهْرِيَّةِ، وَلَا خِلَافَ فِي شيء مِنْ هَذَا عِنْدَ أَصْحَابِنَا – يَعْنِي الشَّافِعِيَّةَ-.

قَالَ أَصْحَابُنَا: وَيُسَنُّ التَّأْمِينُ لِكُلِّ مَنْ فَرَغَ مِنْ الْفَاتِحَةِ، سَوَاءٌ كَانَ فِي صَلَاةٍ أَوْ خَارِجَهَا، قَالَ الْوَاحِدِيُّ: لَكِنَّهُ فِي الصَّلَاةِ أَشَدُّ اسْتِحْبَابًا.ا.هـ.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ: قَالَ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ: وَيُسْتَحَبُّ ذَلِكَ لِمَنْ هُوَ خَارِجُ الصَّلَاةِ، وَيَتَأَكَّدُ فِي حَقِّ الْمُصَلِّي، وَسَوَاءٌ كَانَ مُنْفَرِدًا أَوْ إِمَامًا أَوْ مَأْمُومًا، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.ا.هـ.

فَهَذِهِ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَأُمُّ الْكِتَابِ، وَأُمُّ الْقُرْآنِ، وَ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيْمُ، وَالصَّلَاةُ، وَالنُّوْرُ، وَالرُّقْيَةُ.

فَلْتَكُنْ أَوَّلُ عِنَايَتِكَ بِالْقُرْآنِ مَصْرُوفَةً إِلَيْهَا بِحِفْظِهَا وَإِتْقَانِهَا وَتَجْوِيْدِهَا وَتَدَبُّرِهَا وَتَحْفِيْظِهَا أَوْلَادَكَ وَالِاسْتِشْفَاءِ بِهَا، وَقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ، فَمِنَ الْمَصَائِبِ أَنَّ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مَن يَّبْلُغُ سِنَّ التَّكْلِيْفِ وَهُوَ لَا يَحْفَظُ الْفَاتِحَةَ، أَوْ لَا يُتْقِنُهَا، أَوْ لَا يُحْسِنُ قِرَاءَتَهَا، بَل رُبَّمَا بَلَغَ سِنَّ الشَّيْخُوخَةِ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ.

وَرُبَّمَا تَحَصَّلَ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا الْمُنِيْفَةِ وَالرُّتَبِ الشَّرِيْفَةِ فِي عُلُومِ الدُّنْيَا وَهُوَ لَا يُحْسِنُ قِرَاءَةَ الْفَاتِحَةِ مُجَوَّدَةً، وَهَذَا مِنَ الْإِفْلَاسِ!.

أَيُّهَا الْمُصَلِّي، لَا تَعْجَلْ بِقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ حَالَ وُقُوفِكَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا تُسْقِطْ بَعْضَ حُرُوفِهَا، وَتَجَنَّبِ اللَّحْنَ فِيْهَا، لَا سِيَّمَا الْجَلِيَّ مِنْهُ.

وَهَا هُنَا أَمْرٌ يَجِبُ التَّنَبُّهُ لَهُ وَالتَّنبِيْهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ تَحْرِيْكُ اللِّسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ فِي تَكْبِيْرَةِ الْإِحْرَامِ وَتَكْبِيْرَاتِ الِانتِقَالِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَسَائِرِ أَذْكَارِ الصَّلَاةِ، فَمَنِ اكْتَفَى بِتَمْرِيْرِهَا عَلَى الْقَلْبِ! مَا صَلَّى، وَلَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ أَصْلًا.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

◄ فَمِن فَضَائِلِ سُوْرَةِ الْفَاتِحَةِ أَيْضًا: أَنَّهَا نُورٌ، وَهَذَا وَصْفٌ لِّلْقُرْآنِ كُلِّهِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[النساء: ١٧٤]، وقَالَ ﷻ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، وقَالَ ﷻ: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وَالْفَاتِحَةُ أَعْظَمُ هَذَا النُّورِ؛ فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْقُرْآنِ وَأَفْضَلُهُ.

رَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ٨٠٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: **«أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»**.

◄ وَمِن فَضَائِلِ سُوْرَةِ الْفَاتِحَةِ: أَنَّهَا رُقْيَةٌ؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَلَمْ يُضِيفُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ رَاقٍ؟ فَإِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ لَدِيغٌ أَوْ مُصَابٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ، فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ الرَّجُلُ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَقَالَ: حَتَّى أَذْكُرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَتَبَسَّمَ، وَقَالَ: **«وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟»**، ثُمَّ قَالَ: **«خُذُوا مِنْهُمْ، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٠٠٧)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٢٠١).

وَفِي رِوَايَةٍ لِّلْبُخَارِيِّ (رقم:٢٢٧٦، و٥٧٤٩): أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ انْطَلَقُوا فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاَءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لاَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِّنْكُمْ شَيْءٌ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَرَاقٍ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ، فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ، فَانْطَلَقَ، فَجَعَلَ يَتْفُلُ، وَيَقْرَأُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، حَتَّى لَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلَبَةٌ، قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لاَ تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: **«وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ»**.

وَلَهُ أَيْضًا (رقم: ٥٧٣٦): فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ القُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ، وَيَتْفُلُ، فَبَرَأَ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَقَدْ تَضَمَّنَ هَذَا الْحَدِيثُ حُصُولَ شِفَاءِ هَذَا اللَّدِيغِ بِقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ عَلَيْهِ، فَأَغْنَتْهُ عَنِ الدَّوَاءِ، وَرُبَّمَا بَلَغَتْ مِنْ شِفَائِهِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ الدَّوَاءُ.

هَذَا مَعَ كَوْنِ الْمَحَلِّ غَيْرَ قَابِلٍ، إِمَّا لِكَوْنِ هَؤُلَاءِ الْحَيِّ غَيْرَ مُسْلِمِينَ، أَوْ أَهْلَ بُخْلٍ وَلُؤْمٍ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْمَحَلُّ قَابِلًا.(١)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَبِالْجُمْلَةِ فَمَا تَضَمَّنَتْهُ الْفَاتِحَةُ مِنْ إِخْلَاصِ الْعُبُودِيَّةِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ، وَتَفْوِيضِ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَيْهِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَسُؤَالِهِ مَجَامِعَ النِّعَمِ كُلِّهَا، وَهِيَ الْهِدَايَةُ الَّتِي تَجْلِبُ النِّعَمَ، وَتَدْفَعُ النِّقَمَ، مِنْ أَعْظَمِ الْأَدْوِيَةِ الشَّافِيَةِ الْكَافِيَةِ.

(١) "مدارج السالكين"(ج١/صـ: ٧٩).

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَوْضِعَ الرُّقْيَةِ مِنْهَا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ مِنْ أَقْوَى أَجْزَاءِ هَذَا الدَّوَاءِ، فَإِنَّ فِيهِمَا مِنْ عُمُومِ التَّفْوِيضِ وَالتَّوَكُّلِ، وَالِالْتِجَاءِ وَالِاسْتِعَانَةِ، وَالِافْتِقَارِ وَالطَّلَبِ، وَالْجَمْعِ بَيْنَ أَعْلَى الْغَايَاتِ، وَهِيَ عِبَادَةُ الرَّبِّ وَحْدَهُ، وَأَشْرَفِ الْوَسَائِلِ وَهِيَ الِاسْتِعَانَةُ بِهِ عَلَى عِبَادَتِهِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهَا، وَلَقَدْ مَرَّ بِي وَقْتٌ بِمَكَّةَ سَقِمْتُ فِيهِ وَفَقَدْتُ الطَّبِيبَ وَالدَّوَاءَ، فَكُنْتُ أَتَعَالَجُ بِهَا، آخُذُ شَرْبَةً مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، وَأَقْرَؤُهَا عَلَيْهَا مِرَارًا، ثُمَّ أَشْرَبُهُ، فَوَجَدْتُ بِذَلِكَ الْبُرْءَ التَّامَّ، ثُمَّ صِرْتُ أَعْتَمِدُ ذَلِكَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْجَاعِ، فَأَنْتَفِعُ بِهَا غَايَةَ الِانْتِفَاعِ.(١)

وَقَالَ أَيْضًا: وَقَدْ جَرَّبْتُ أَنَا مِنْ ذَلِكَ فِي نَفْسِي وَفِي غَيْرِي أُمُورًا عَجِيبَةً، وَلَا سِيَّمَا مُدَّةَ الْمُقَامِ بِمَكَّةَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَعْرِضُ لِي آلَامٌ مُزْعِجَةٌ، بِحَيْثُ تَكَادُ تَقْطَعُ الْحَرَكَةَ مِنِّي، وَذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ الطَّوَافِ وَغَيْرِهِ، فَأُبَادِرُ إِلَى قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ، وَأَمْسَحُ بِهَا عَلَى مَحَلِّ الْأَلَمِ، فَكَأَنَّهُ حَصَاةٌ تَسْقُطُ!، جَرَّبْتُ ذَلِكَ مِرَارًا عَدِيدَةً، وَكُنْتُ آخُذُ قَدَحًا مِنْ مَاءِ زَمْزَمٍ فَأَقْرَأُ عَلَيْهِ الْفَاتِحَةَ مِرَارًا، فَأَشْرَبُهُ فَأَجِدُ بِهِ مِنَ النَّفْعِ وَالْقُوَّةِ مَا لَمْ أَعْهَدْ مِثْلَهُ فِي الدَّوَاءِ، وَالْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ، وَصِحَّةِ الْيَقِينِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.ا.هـ.(٢)

فَأَيْنَ أَنتَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ مِنَ الِاسْتِشْفَاءِ بِسُورَةِ الْفَاتِحَةِ، فَمَا أَقْرَبَهَا مِن دَوَاءٍ! وَمَا أَيْسَرَهَا سَبَبًا عَظِيمًا مِّنْ أَسْبَابِ الشِّفَاءِ!، سَهْلَةُ الْتَنَاوَلِ، خَفِيفَةُ الْمَحْمَلِ، لَا كُلْفَةَ فِيهَا وَلَا مُؤْنَةَ، تاللهِ إِنَّ الْإِعْرَاضَ عَن تَدَبُّرِهَا غَفْلَةٌ وَّخِذْلَانٌ!، وَتَرْكَ الِاسْتِشْفَاءِ بِهَا لِمَنِ الْحِرْمَانِ!.

وَمِـنَ الْعَجَائِـبِ وَالْعَجَائِـبُ جَمَّـةٌ ... قُـرْبُ الشِّـفَاءِ وَمَـا إِلَيْـهِ وُصُـولُ
كَـالْعِيسِ فِي الْبَيْـدَاءِ يَقْتُلُهَـا الظَّـمَا ... وَالْمَـاءُ فَـوْقَ ظُهُورِهَـا مَحْمُـولُ

---

(١) الطب النبوي من "زاد المعاد"(ج٤/صـ: ١٦٣-١٦٤).
(٢) "مدارج السالكين"(ج١/صـ: ٨٠).

فتح الحي القيوم بذكر الأسباب المعينة على حفظ العلوم

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيْمِ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وَبَوَّبَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ بْنِ الْمُغِيْرَةِ بْنِ بردِزْبَهْ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ مِن صَحِيْحِهِ: (بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالعِلْمِ).

وَفَضْلُ الْعِلْمِ – بِحَمْدِ اللهِ ﷻ، وَلَهُ الْحَمْدُ قَدِيْمًا وَحَدِيْثًا – لَا يَزَالُ مَنْشُورًا فِي أَوْسَاطِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالِاتِّبَاعِ مَبْثُوثًا.

وَالْعِلْمُ لَا يُنَالُ إِلَّا بِالتَّعَلُّمِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨].

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَن يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَن يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوْقَهُ**». أَخْرَجَهُ الْخَطِيْبُ فِي تَارِيْخِهِ (ج٩/صـ:١٢٩) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَهُ شَوَاهِدُ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "الصَّحِيْحَةِ"(رقم: ٣٤٢).

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (رقم: ٢٦٦٤٧) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَا يُولَدُ عَالِمًا، وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ**». وَإِسْنَادُهُ صَحِيْحٌ.

وَمِن طَرِيْقِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي "جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ"(رقم: ٦١٥)، فِي: (بَابِ جَامِعٍ فِي بَيَانِ الْحَالِ الَّتِي يُنَالُ بِهَا الْعِلْمُ).

قَالَ سَابِقُ الْبَرْبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ –مِنَ الرَّجَزِ –:

قَدْ قِيْلَ قَبْلِي فِي الْكَلَامِ الْأَقْدَمِ ... إِنِّي وَجَدتُّ الْعِلْمَ بِالتَّعَلُّمِ

وَتَعَلُّمُ الْعِلْمِ أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْحِفْظِ، قَالَ وَجَلَّ فِي شَأْنِ الْقُرْآنِ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي رِسَالَتِهِ: "الْحَثِّ عَلَى حِفْظِ الْعِلْمِ وَذِكْرِ كِبَارِ الْحُفَّاظِ"(صـ:٣٤): «فَلَيْسَ الْعِلْمُ إِلا مَا حُصِّلَ بِالْحِفْظِ».

وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيْحِهِ (رقم: ٢٨٩٢) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي زَيْدٍ عَمْرِو بْنَ أَخْطَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا**».

وَقَالَ الرَّحَبِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي مَنظُومَتِهِ فِي الْفَرَائِضِ:

وَالْفَرْضُ فِي نَصِّ الْكِتَابِ سِتَّهْ ... لَا فَرْضَ فِي الْإِرْثِ سِوَاهَا الْبَتَّهْ

نِصْفٌ وَرُبْعٌ ثُمَّ نِصْفُ الرُّبْعِ ... وَالثُّلُثُ وَالسُّدْسُ بِنَصِّ الشَّرْعِ

وَالثُّلْثَانِ وَهُمَا التَّمَامُ فَاحْفَظْ فَكُلُّ حَافِظٍ إِمَامُ

وَيُذْكَرُ عَنِ الْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِيْنٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مَا انتَفَعْنَا إِلَّا بِمَا حَفِظْنَا».

وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ، فَإِنَّ الْإِنسَانَ لَا يَنتَفِعُ إِلَّا بِمَا حَفِظَ، وَلَا غِنَى لِكُلِّ ذِي فَنٍّ مِن فُنُونِ الْعِلْمِ عَنِ الْحِفْظِ، سَوَاءٌ أَكَانَ مُحَدِّثًا أَوْ فَقِيْهًا أَوْ أُصُوْلِيًا أَوْ مُقْرِئًا أَوْ نَحْوِيًا أَوْ مُفَسِّرًا أَوْ وَاعِظًا، بَل لَا يَنطَبِقُ عَلَيْهِ وَصْفٌ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ إِلَّا بِحِفْظٍ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي جَامِعِهِ (رقم: ٤٨٥) عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ، وَأَنَا شَابٌّ فِي فَرِيضَةٍ: **«احْفَظْ هَذِهِ، لَعَلَّكَ أَنْ تُسْأَلَ عَنْهَا»**.

وَيُنسَبُ إِلَى الْخَلِيْلِ بْنِ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيْدِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَوْلُهُ:

لَيْسَ بِعِلْمٍ مَا حَوَى الْقِمَطْرُ مَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا حَوَاهُ الصَّدْرُ

وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا فَجَمْعُكَ لِلْكُتْبِ لَا يَنْفَعُ
أَأَحْضُرُ بِالْجَهْلِ فِي مَجْلِسٍ وَعِلْمِيَ فِي الْكُتُبِ مُسْتَوْدَعُ

وَقَالَ آخَرُ:

مَنْ مُنِحَ الْحِفْظَ وَعَى مَنْ ضَيَّعَ الْحِفْظَ وَهِم

وَقَالَ آخَرُ:

اسْتَوْدَعَ الْعِلْمَ قِرْطَاسًا فَضَيَّعَهُ وَبِئْسَ مُسْتَوْدَعُ الْعِلْمِ الْقَرَاطِيْسَا

وَقَالَ آخَرُ:

فَإِذَا فَتَّشْتَهُ عَنْ عِلْمِهِ قَالَ عِلْمِي يَا خَلِيْلِي فِي السَّفَطْ
فِي كَرَارِيْسَ جِيَادٍ أُحْكِمَتْ وَبِخَطٍّ أَيِّ خَطٍّ أَيِّ خَطْ
فَإِذَا قُلْتَ لَهُ هَاتِ لَنَا حَكَّ لَحْيَيْهِ جَمِيعًا وَامْتَخَطْ

وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى مَن ضَيَّعَ الْكُتُبَ وَلَمْ يَتَعَاهَدْهَا، وَإِلَّا فَلَا بُدَّ مِن تَقْيِيْدِ الْعِلْمِ.

وَقَالَ آخَرُ:

عِلْمِي مَعِي أَيْنَمَا يَمَّمْتُ يَتْبَعُنِي ... بَطْنِي وِعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِ
إِن كُنتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ ... أَوْ كُنتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي

وقَالَ أَبُو مَعْشَرٍ فِي الْحِفْظِ:

يَا أَيُّهَا الْمُضَمِّنُ الصَّحَائِفَا ... مَا قَدْ رَوَى تُضَارِعُ الْمَصَاحِفَا
احْفَظْ وَإِلَّا كُنْتَ رِيحًا عَاصِفَا

وَقَالَ الشَّاذَكُونِي: «لَيْسَ الْعِلْمُ إِلَّا مَا دَخَلْتَ بِهِ الْحَمَّامَ».

وَقَالَ غَيْرُهُ: «الْعِلْمُ مَا إِذَا غَرِقَتْ سَفِينَتُكَ سَبَحَ مَعَكَ».

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حِينَ أَحْرَقُوا كُتُبَهُ:

فَإِن تُحْرِقُوا الْقِرْطَاسَ لَا تُحْرِقُوا ... تَضَمَّنَهُ الْقِرْطَاسُ بَلْ هُوَ فِي صَدْرِي
يَسِيْرُ مَعِي حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ رَكَائِبِي ... وَيَنزِلُ إِنْ أَنزِلْ وَيُدْفَنُ فِي قَبْرِي
دَعُونِيَ مِنْ إِحْرَاقِ رَقٍّ وَكَاغَدٍ ... وَقُولُوا بِعِلْمٍ كَيْ يَرَى النَّاسُ مَن يَدْرِي
وَإِلَّا فَعُودُوا فِي الْمَكَاتِبِ بَدْأَةً ... فَكَمْ دُونَ مَا تَبْغُونَ للهِ مِن سِتْرِ

وَلَا غِنَى لِمُسْلِمٍ عَنْ حِفْظٍ، فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى حِفْظِ الْفَاتِحَةِ؛ لِيَقْرَأَ بِهَا فِي صَلَاتِهِ، لِأَنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمَن لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَيَحْتَاجُ إِلَى حِفْظِ أَذْكَارِ الصَّلَاةِ، وُجُوبًا عَلَيْهِ فِي الْأَذْكَارِ الْوَاجِبَةِ، كَأَذْكَارِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالتَّشَهُّدِ، وَاسْتِحْبَابًا فِي الْأَذْكَارِ الْمُسْتَحَبَّةِ.

وَلَا غِنَى لِطَالِبِ الْعِلْمِ خُصُوصًا عَنِ الْحِفْظِ، فَإِنَّهُ يَطْلُبُ الْعِلْمَ، وَطَلَبُهُ إِيَّاهُ يَكُونُ بِأَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ: بِحِفْظِهِ وَفَهْمِهِ، وَالْغَايَةُ مِن طَلَبِهِ: الْعَمَلُ بِهِ.

وَالْحَدِيْثُ عَنِ الْحِفْظِ يَطُولُ وَيَتَشَعَّبُ، وَسَأَقْتَصِرُ فِي هَذَا الْمَقَامِ – إِن شَاءَ اللهُ – عَلَى جَانِبٍ وَاحِدٍ مِن جَوَانِبِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعُ مَقَامِي هَذَا، فَأَقُولُ مُسْتَعِيْنًا بِاللهِ:

إِنَّ لِحِفْظِ الْعِلْمِ أَسْبَابًا، وَلِتَحْصِيْلِهِ أَبْوَابًا، مِنْهَا:

١. الْإِخْلَاصُ للهِ ﷻ؛ فَإِنَّهُ لَا فَلَاحَ وَلَا انتِفَاعَ وَلَا قَبُولَ إِلَّا بِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيْثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.(١)

وَانفَرَدَ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١) بِاللَّفْظِ الْمَشْهُور عَلَى الْأَلْسِنَةِ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**».

٢. وَمِنْ أَسْبَابِ الْحِفْظِ: تَقْوَى اللهِ ﷻ، وَهُوَ جِمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَبِتَقْوَى اللهِ يَتَيَسَّرُ الْحِفْظُ وَطَلَبُ الْعِلْمِ.

قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

قَالَ كَثِيْرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِيْنَ: ﴿فُرْقَانًا﴾، مَخْرَجًا، أَيْ: جَعَلُوا هَذِهِ الْآيَةَ كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ – فِيْمَا نَقَلَهُ عَنْهُ ابْنُ كَثِيْرٍ –: ﴿فُرْقَانًا﴾، فَاصِلًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

وَهَذَا الْقَوْلُ أَقْرَبُ فِي تَفْسِيْرِ الْآيَةِ مِنَ النَّاحِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ وَمِن جِهَةِ سِيَاقِ الْآيَةِ، واللهُ أَعْلَمُ، وَهُوَ أَعَمُّ مِمَّا قَبْلَهُ، وَيَسْتَلْزِمُهُ، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ كَثِيْرٍ، حَيْثُ قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِنَّ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ، وُفِّقَ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ نَصْرِهِ وَنَجَاتِهِ وَمَخْرَجِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَسَعَادَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَكْفِيرِ ذُنُوبِهِ – وَهُوَ مَحْوُهَا – وَغَفْرُهَا: سَتْرُهَا عَنِ النَّاسِ – سَبَبًا لِنَيْلِ ثَوَابِ اللَّهِ الْجَزِيلِ.ا.هـ.

---

(١) البخاري (رقم: ٦٦٨٩)، ومسلم (رقم: ١٩٠٧).

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحديد: ٢٨].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ ﴾ [الحديد: ٢٨]، يَعْنِي: هُدًى يُتَبَصَّرُ بِهِ مِنَ الْعَمَى وَالْجَهَالَةِ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، كَقَوْلِهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفال: ٢٩]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ ﴾ [الحديد: ٢٨ - ٢٩].

كَذَا قَالَ، وَقَدْ نَازَعَ بَعْضُهُمْ فِي كَوْنِ هَذَا هُوَ مَعْنَى الْآيَةِ، قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْوَاوُ هُنَا لِلِاسْتِئْنَافِ؛ وَلَا يَصِحُّ أَن تَكُونَ مَعْطُوفَةً عَلَى ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾؛ لِأَنَّ تَعْلِيمَ اللهِ لَنَا حَاصِلٌ مَعَ التَّقْوَى، وَعَدَمِهَا، وَإِن كَانَ الْعِلْمُ يَزْدَادُ بِتَقْوَى اللهِ، لَكِنْ هَذَا يُؤْخَذُ مِنْ أَدِلَّةٍ أُخْرَى.ا.هـ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي "شُعَبِ الْإِيمَانِ"(رقم: ١٦٠٤) عَنْ عَلِيِّ بْنِ خَشْرَمٍ، قَالَ: شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ قِلَّةَ الْحِفْظِ، فَقَالَ: «**اسْتَعِنْ عَلَى الْحِفْظِ بِقِلَّةِ الذُّنُوبِ**».

وَقَدْ نَظَمَ بَعْضُهُمْ هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي

وَقَالَ اعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ ... وَنُورُ اللهِ لَا يُؤْتَاهُ عَاصِي

وَقَدْ نَسَبَ بَعْضُهُمْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مِنْهُمُ ابْنُ الْقَيِّمِ، فِي "الْجَوَابِ الْكَافِي"(ص:٥٢)!، وَفِي هَذِهِ النِّسْبَةِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ وَكِيعًا لَيْسَ مِن شُيُوخِ الشَّافِعِيِّ.

وَقَدْ قُلْتُ أَنَا فِي مَعْنَى هَذَا:

عَلَى دَرْبِ التُّقَى أَدِمِ الْعُبُورَا ... وَحَاذِرْ فِي ثَنَايَاهَا الْعُثُورَا

قَضَى اللهُ الْهُدَى وَالْعِلْمَ نُورًا وَخَصَّ بِهِ تَقِيًّا لَا عَصِيًّا

٣. وَمِنْ أَسْبَابِ حِفْظِ الْعِلْمِ: الِاسْتِعَانَةُ بِاللهِ ﷻ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

فَذِكْرُ الاسْتِعَانَةِ بَعْدَ الْعِبَادَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ مِن بَابِ ذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ؛ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ وَشَرَفِ الْخَاصِّ، وَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا سَبِيْلَ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ ﷻ إِلَّا بِعَوْنِهِ وَتَوْفِيْقِهِ.

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

قِيْلَ فِي الْفَاتِحَةِ: إِنَّهَا سِرُّ الْقُرْآنِ، وَقِيْلَ فِيْهَا أَيْضًا: سِرُّهَا هَذِهِ الْآيَةُ.

وَفِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٦٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**.

وَلَيْسَ شَيْءٌ أَنفَعَ مِنَ الْعِلْمِ مَعَ صِحَّةِ النِّيَّةِ، قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: «مَا مِنْ عَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ إِذَا صَحَّتِ النِّيَّةُ». أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي "الْحِلْيَةِ"(ج٦/ص:٣٦٦)، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي "الْجَامِعِ"(رقم:١١٩)، وَغَيْرُهُمَا.

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، كَمَا عِندَ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ فِي "الْجَامِعِ"(رقم:١٠٨٦): «لَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ مِنْ عِلْمٍ يَنْفَعُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَضَرَّ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ».

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: **«يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»**، فَقَالَ: **«أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ: لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم:٢٢١١٩، و٢٢١٢٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم:١٥٢٢)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ١٣٠٣).(١)

(١) وصححه ابن خزيمة (رقم:٧٥١)، وابن حبان (رقم:٢٠٢٠، و٢٠٢١)، والحاكم (رقم: ١٠١٠، و٥١٩٤) على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، فوهما؛ لأن فيه عقبة بن مسلم، وليس من =

وَثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ، كَمَا عِندَ الْبَزَّارِ (رقم:٢٠٧٥) مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١)

٤. وَمِنْ أَسْبَابِ الْحِفْظِ: النَّهْمَةُ، وَالنَّهْمَةُ فِي الْعِلْمِ رِزْقٌ مِنَ اللهِ عَظِيْمٌ لِمَنْ أُوتِيَهُ، فَعِندَ الْحَاكِمِ (رقم:٣١٢) مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ فِي عِلْمٍ لَا يَشْبَعُ، وَمَنْهُومٌ فِي دُنْيَا لَا يَشْبَعُ»**.(٢)

وَالنَّهْمَةُ: بُلُوغُ الْهِمَّةِ فِي الشَّيْءِ.

٥. وَمِنْ أَسْبَابِ الْحِفْظِ: مُدَاوَمَةُ النَّظَرِ، فَفِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِن "سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ"(ج١٢/ صـ: ٤٠٦) عَن مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الْفِرْيَابِيِّ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللهِ شَرِبَ دَوَاءَ الْحِفْظِ، يُقَالُ لَهُ: بَلَاذُرُ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا خَلْوَةً: هَلْ مِن دَوَاءٍ يَشْرَبُهُ الرَّجُلُ، فَيَنتَفِعُ بِهِ لِلْحِفْظِ؟ فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ، وَقَالَ: لَا أَعْلَمُ شَيْئًا أَنْفَعَ لِلْحِفْظِ مِنْ نَهْمَةِ الرَّجُلِ، وَمُدَاوَمَةِ النَّظَرِ». أَيْ: إِلَى الْكُتُبِ.

تَأَمَّلُوا إِلَى حَالِ أَكْثَرِ الْمُسْلِمِيْنَ الْآنَ، إِلَى مَاذَا يُدَاوِمُونَ النَّظَرَ؟! إِلَى شَاشَاتِ التِّلْفَازِ وَصَفَحَاتِ الْجَوَّالِ، إِلَى الْمَنَاظِرِ الْمُحَرَّمَةِ، الَّتِي تُفْسِدُ الْقُلُوبَ، وَتَمْسَخُ الْفِطَرَ!.

٦. وَمِنْ أَسْبَابِ الْحِفْظِ: مُذَاكَرَةُ الْمَحْفُوظِ، وَتَكْرِيْرُهُ وَتَحَفُّظُ مَا لَيْسَ بِمَحْفُوظٍ، فَآفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيَانُ، وَحَيَاةُ الْعِلْمِ مُدَارَسَتُهُ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: **«لَوْلَا النِّسْيَانُ لَكَانَ الْفُقَهَاءُ كَثِيْرًا»**. أَخْرَجَهُ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ فِي "الْمَعْرِفَةِ وَالتَّارِيْخِ"(ج٢/ صـ:٣٣).

رجالها، وهو ثقة، وصحح الحديث أيضًا: الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (رقم: ١٥٩٦)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١١٠٧).

(١) وذكره العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٨٦٧).

(٢) وذكره العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٥١).

وَصَحَّ عَنِ الشَّعْبِيِّ عِندَ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ فِي جَامِعِهِ (رقم: ٣٦٩) وَغَيْرِهِ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا كَتَبْتُ سَوْدَاءَ فِي بَيَاضٍ قَطُّ، وَمَا سَمِعْتُ مِنَ رَجُلٍ حَدِيثًا فَأَرَدتُّ أَنْ يُعِيدَهُ عَلَيَّ**». قَالَ: «**وَلَقَدْ نَسِيتُ مِنَ الْحَدِيثِ مَا لَوْ حَفِظَهُ إِنْسَانٌ كَانَ بِهِ عَالِمًا**».

وَمَعَ كَدِّ الذِّهْنِ فِي الْحِفْظِ، سَوَاءٌ بِمُرَاجَعَةِ الْمَحْفُوظِ، أَوْ حِفْظِ مَا لَيْسَ بِمَحْفُوظٍ تَقْوَى الْقُدْرَةُ عَلَى الْحِفْظِ، وَلْنَضْرِبْ لِذَلِكَ مِثَالًا مَحْسُوسًا مَلْمُوسًا:

الَّذِي يَعْمَلُ فِي الْحَجَرِ وَالطِّيْنِ، يَغْلُظُ جِسْمُهُ وَيَصِيْرُ خَشِنًا، وَيَجِدُ نَشَاطَهُ فِي مُمَارَسَةِ الْعَمَلِ، فَإِذَا تَوَقَّفَ عَنِ الْعَمَلِ ذَهَبَ نَشَاطُهُ، بَل رُبَّمَا تَعِبَ وَمَرِضَ!.

قَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي جُزْءٍ سَمَّاهُ: "الْحَثُّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَالِاجْتِهَادِ فِي جَمْعِهِ"(صـ: ٧١): وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَطْلُبُ الْعِلْمَ وَقَلْبُهُ شِعْبٌ مِنَ الشِّعَابِ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَن يَصِيْرَ وَادِيًا، وَلَا يُوضَعُ فِيْهِ شَيْءٌ إِلَّا الْتَهَمَهُ».

قُلْنَا: يُرِيْدُ أَنَّ أَوَّلَ الْحِفْظِ شَدِيْدٌ، يَشُقُّ عَلَى الْإِنسَانِ، ثُمَّ إِذَا اعْتَادَ سَهُلَ، وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ الشَّيْخُ أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصُّولِيِّ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ، قَالَ: «كَانَ الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ: كُلُّ وِعَاءٍ أَفْرَغْتَ فِيْهِ شَيْئًا فَإِنَّهُ يَضِيْقُ، إِلَّا الْقَلْبَ، فَإِنَّهُ كُلَّمَا أُفْرِغَ فِيْهِ اتَّسَعَ».

وَقَالَ أَبُو السَّمْحِ الطَّائِيُّ: كُنتُ أَسْمَعُ عُمُومَتِي فِي الْمَجْلِسِ يُنشِدُونَ الشِّعْرَ، فَإِذَا اسْتَعَدتُّهُمْ زَجَرُونِي وَسَبُّونِي، وَقَالُوا: تَسْمَعُ شَيْئًا وَّلَا تَحْفَظُهُ!.

قَالَ الشَّيْخُ: وَكَانَ الْحِفْظُ يَتَعَذَّرُ عَلَيَّ حِيْنَ ابْتَدَأْتُ أَرُومُهُ، ثُمَّ عَوَّدتُّهُ نَفْسِي، إِلَى أَنْ حَفِظْتُ قَصِيْدَةَ رُؤْبَةَ (وَقَاتِمُ الْأَعْمَاقِ خَاوِي الْمُخْتَرَقْ ...) فِي لَيْلَةٍ، وَهِيَ قَرِيْبٌ مِن مِائَتَيْ بَيْتٍ.ا.هـ.

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِنَّ مَنِ اسْتَكْثَرَ مِنَ الْحِفْظِ قَوِيَتْ حَافِظَتُهُ، وَمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنَ الْفِكْرِ قَوِيَتْ قُوَّتُهُ الْمُفَكِّرَةُ، وَلِكُلِّ عُضْوٍ رِيَاضَةٌ تَخُصُّهُ، فَلِلصَّدْرِ الْقِرَاءَةُ، فَلْيَبْتَدِىءْ فِيهَا مِنَ الْخُفْيَةِ إِلَى الْجَهْرِ بِتَدْرِيجٍ، وَرِيَاضَةُ السَّمْعِ بِسَمْعِ الْأَصْوَاتِ، وَالْكَلَامِ بِالتَّدْرِيجِ،

فَيَنْتَقِلُ مِنَ الْأَخَفِّ إِلَى الْأَثْقَلِ، وَكَذَلِكَ رِيَاضَةُ اللِّسَانِ فِي الْكَلَامِ، وَكَذَلِكَ رِيَاضَةُ الْبَصَرِ، وَكَذَلِكَ رِيَاضَةُ الْمَشْيِ بِالتَّدْرِيجِ، شَيْئًا فَشَيْئًا.ا.هـ.(١)

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: الطَّرِيقُ فِي إِحْكَامِ الْمَحْفُوظِ: كَثْرَةُ الإِعَادَةِ، وَالنَّاسُ يَتَفَاوَتُونَ فِي ذَلِكَ: فَمِنْهُمْ مَن يَّثْبُتُ مَعَهُ الْمَحْفُوظُ مَعَ قِلَّةِ التَّكْرَارِ، وَمِنْهُمْ مَن لَّا يَحْفَظُ إِلا بَعْدَ التَّكْرَارِ الْكَثِيرِ، فَيَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يُعِيْدَ بَعْدُ الْحِفْظَ؛ لِيَثْبُتَ مَعَهُ الْمَحْفُوظُ.

وَذَكَرَ الْحَدِيْثَ: **«تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِّنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ: وَكَانَ أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ: يُعِيدُ الدَّرْسَ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَإِنْ كَانَ إِلْكِيَا يُعِيدُ سَبْعِينَ مَرَّةً.(٢)

٧. وَمِنْ أَسْبَابِ حِفْظِ الْعِلْمِ: بَثُّهُ وَالتَّحْدِيْثُ بِهِ، وَمَا أَجْمَلَ مَا قَالَهُ الْأَلْبِيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَزِيْدُ بِكَثْرَةِ الْإِنفَاقِ مِنْهُ ... وَيَنقُصُ إِن بِهِ كَفًّا شَدَدتَّا

وَعِندَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (رقم: ٢٦٦٦٠) عَنْ إِسْمَاعِيْلَ بْنِ رَجَاءٍ، أَنَّهُ: «كَانَ يَأْتِي صِبْيَانَ الْكُتَّابِ فَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُ كَيْ لَا يَنْسَى».

وَعِندَهُ أَيْضًا (رقم:٢٦٦٦١) عَنْ إِبْرَاهِيْمَ النَّخَعِيِّ، قَالَ: «إِذَا سَمِعْتَ حَدِيثًا فَحَدِّثْ بِهِ حِينَ تَسْمَعُهُ، وَلَوْ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ مَنْ لَا يَشْتَهِيهِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ كَالْكِتَابِ فِي صَدْرِكَ».

وَفِي "جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ"(رقم: ٧١٣) عَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ، أَنَّهُ: «كَانَ إِذَا لَمْ يَجِدْ أَحَدًا أَتَى الْمَسَاكِينَ فَحَدَّثَهُمْ، يُرِيدُ بِذَلِكَ الْحِفْظَ».

وَكُلُّنَا يَعْلَمُ أَثَرَ الْخُطَبِ وَالْمُحَاضَرَاتِ وَالدُّرُوسِ فِي تَثْبِيْتِ الْمَحْفُوظِ، فَالْمَوْضُوعُ الَّذِي يُلْقِيْهِ الْخَطِيْبُ، ثُمَّ يُكَرِّرُ طَرْقَهُ يَثْبُتُ فِي صَدْرِهِ.

---

(١) "زاد المعاد"(ج٤/صـ: ٢٢٦).

(٢) "الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ"(صـ: ٤٣).

وَكَانَ قَتَادَةُ بْنِ دَعَامَةَ السَّدُوسِيِّ إِذَا سَمِعَ الْحَدِيْثَ يَخْتَطِفُهُ اخْتِطَافًا، يَأْخُذُهُ الْعَوِيْلُ وَالزَّوِيْلُ، حَتَّى يَحْفَظَهُ.(١)

٨. وَمِنْ أَسْبَابِ حِفْظِ الْعِلْمِ: الْعَمَلُ بِهِ، وَمُمَارَسَتُهُ؛ وَلِهَذَا لَا يُنسَبُ إِلَى فَنٍّ مِنَ الْفُنُونِ إِلَّا مَن كَانَ مُمَارِسًا لَهُ، فَلَا يُقَالُ فَقِيْهٌ إِلَّا لِمَن كَانَ مُمَارِسًا لِلْفِقْهِ بِالنَّظَرِ وَالتَّحْرِيْرِ وَالْبَحْثِ وَالتَّرْجِيْحِ وَالْفَتْوَى وَالتَّدْرِيْسِ، فَإِذَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ بِالتَّصْنِيْفِ فَنَاهِيْكَ بِهِ.

وَهَكَذَا فِي سَائِرِ الْفُنُونِ، هَذَا الْغَايَةُ مِن تَعَلُّمِ الْعِلْمِ.

فَمَن مَّارَسَ الْعِلْمَ وَعَاشَ وَاقِعَهُ مَعَهُ صَارَ الْعِلْمُ مَنْحُوتًا فِي صَدْرِهِ.

وَتَأَمَّلْ فِي حَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، مَعَ الْعِلْمِ، لَيْلًا وَنَهَارًا، حِلًّا وَتَرْحَالًا، فِي الْبَيْتِ وَفِي الطَّرِيْقِ، وَفِي الْمَسْجِدِ، فِي دَعْوَتِهِمْ، وَفِي تَوَرُّعِهِمْ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، وَتَمَيُّزِهِمْ عَنْ غَيْرِهِمْ، فَأَيْنَ تَجِدُ دَقَائِقَ الْوَرَعِ إِلَّا عِندَ أَهْلِ السُّنَّةِ؟!

وَلِهَذَا يَسْهُلُ عَلَيْهِمْ حِفْظُ الْعِلْمِ وَسَرْدُهُ، بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ.

٩. وَمِنْ أَسْبَابِ الْحِفْظِ: النَّظَرُ فِي سِيَرِ أَسْلَافِنَا وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيْمِ فِي هَذَا الْبَابِ وَغَيْرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْحَذُ الْهِمَمَ، وَكَمَا قِيْلَ:

فَتَشَبَّهُوا إِن لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ ... إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالْكِرَامِ فَلَاحُ

قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ "السِّيَرِ"(ج٢/صـ:٥٧٨): «سَيِّدُ الْحُفَّاظِ الْأَثْبَاتِ».

وَقَالَ فِي "تَذْكِرَةِ الْحُفَّاظِ"(ج٢/صـ:٥٧٨): وَكَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ، وَمِن كِبَارِ أَئِمَّةِ الْفَتْوَى، مَعَ الْجَلَالَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالتَّوَاضُعِ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: رَوَى عَنْهُ ثَمَانِمِائَةِ نَفْسٍ أَوْ أَكْثَرُ.ا.هـ.

وَكَانَ أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْفَظُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ آلَافِ حَدِيْثٍ.

---

(١) "سير أعلام النبلاء"(ج٥/صـ: ٢٧٢).

وَهَكَذَا جُمْلَةٌ مِنَ التَّابِعِيْنَ مِن سَادَاتِ الْحُفَّاظِ وَأَوْعِيَةِ الْعِلْمِ، كَسَعِيْدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَقَتَادَةَ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَابْنِ سِيْرِيْنَ وَالشَّعْبِيِّ وَمَن بَعْدَهُمْ.

فَفِي تَرْجَمَةِ قَتَادَةَ مِنَ "السِّيَرِ"(ج٥/صـ: ٢٦٩-٢٨٣): وَكَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ، وَمِمَّن يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي قُوَّةِ الْحِفْظِ.

وَقَالَ عَن نَّفْسِهِ: مَا سَمِعْتُ شَيْئًا إِلَّا وَحَفِظْتُهُ.

قَالَ مَعْمَرٌ: أَقَامَ قَتَادَةُ عِندَ سَعِيْدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، فَقَالَ لَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ: ارْتَحِلْ يَا أَعْمَى، فَقَدْ أَنزَفْتَنِي.

قَالَ قَتَادَةُ لِسَعِيْدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: يَا أَبَا النَّضْرِ، خُذِ الْمُصْحَفَ.

قَالَ: فَعَرَضَ عَلَيْهِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَلَمْ يُخْطِئْ فِيْهَا حَرْفًا.

قَالَ: فَقَالَ: يَا أَبَا النَّضْرِ، أَحْكَمْتُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: لَأَنَا لِصَحِيْفَةِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَحْفَظُ مِنِّي لِسُورَةِ الْبَقَرَةِ.

وَقَالَ سَعِيْدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ لِقَتَادَةَ: مَا كُنتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ خَلَقَ مِثْلَكَ.

وَعَن مَّعْمَرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ يَقُولُ: «مَا سَمِعَتْ أُذُنَايَ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا وَعَاهُ قَلْبِي».

قَالَ قَتَادَةُ: تَكْرِيْرُ الْحَدِيْثِ فِي الْمَجْلِسِ يُذْهِبُ نُورَهُ، وَمَا قُلْتُ لِأَحَدٍ قَطُّ: أَعِدْ عَلَيَّ.ا.هـ.

وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيْمِ أَحَدُ شُيُوخِ الْبُخَارِيِّ لُقِّبَ بِـ: (صَاعِقَة)؛ لِجَوْدَةِ حِفْظِهِ.

وَلُقِّبَ مِسْعَرُ بْنُ كِدَام – وَهُوَ أَحَدُ رِجَالِ الْجَمَاعَةِ – بِالْمُصْحَفِ؛ لِشِدَّةِ حِفْظِهِ.

وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ أَحَدُ شُيُوخِ أَصْحَابِ الْأُمَّاتِ السِّتِّ لُقِّبَ بِـ: بُنْدَار؛ لِحِفْظِهِ، وَالْبُنْدَارُ: الْحَافِظُ.

وَتَقَدَّمَ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ: **«مَا كَتَبْتُ سَوْدَاءَ فِي بَيَاضٍ قَطُّ، وَمَا سَمِعْتُ مِنَ رَجُلٍ حَدِيثًا فَأَرَدتُّ أَنْ يُعِيدَهُ عَلَيَّ»**.

وَكَانَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ يَسْرُدُ مِنْ حِفْظِهِ ثَلَاثِيْنَ أَلْفَ حَدِيْثٍ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ: قَالَ لِي أَبُو زُرْعَةَ: أَبُوكَ يَحْفَظُ أَلفَ أَلفِ حَدِيْثٍ.

فَقِيْلَ لَهُ: وَمَا يُدْرِيكَ؟

قَالَ: ذَاكَرْتُهُ، فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ الأَبْوَابَ.

وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ كَانَ يَقُولُ: «أَحْفَظُ سَبْعِيْنَ أَلْفَ حَدِيْثٍ، كَأَنَّهَا نَصْبَ عَيْنَيَّ».

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَاصِمٍ الْبَيْكَنْدِيُّ: قَدِمَ عَلَيْنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ، فَاجْتَمَعْنَا عِندَهُ لَيْلَةً، فَقَالَ بَعْضُنَا: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيْهِ يَقُولُ: كَأَنِّي أَنظُرُ إِلَى سَبْعِيْنَ أَلْفَ حَدِيْثٍ مِن كِتَابِي.

فَقَالَ مُحَمَّدٌ: أَوَتَعْجَبُ مِنْ هَذَا؟ لَعَلَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ مَن يَّنظُرُ إِلَى مِائَتَيْ أَلْفِ حَدِيْثٍ مِن كِتَابِهِ. قَالَ: وَإِنَّمَا عَنَى بِهِ نَفْسَهُ.

وقال مُحَمَّدُ بْنُ خَمْرَوَيْهِ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ يَقُولُ: أَحْفَظُ مِائَةَ أَلْفِ حَدِيْثٍ صَحِيْحٍ، وَأَحْفَظُ مِائَتَي أَلْفِ حَدِيْثٍ غَيْرِ صَحِيحٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: سَمِعْتُ أَبَا عَدِيِّ بْنَ عَبد اللَّهِ يَقُولُ: كُنْتُ بِالرَّيِّ وَأَنَا غُلامٌ فِي الْبَزَّازِينَ، فَحَلَفَ رَجُلٌ بِطَلاقِ امْرَأَتِهِ أَنَّ أَبَا زُرْعَة يَحْفَظُ مِائَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ، فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَبِي زُرْعَة بِسَبَبِ الرَّجُلِ: هَلْ طُلِّقَتِ امْرَأَتُهُ أَمْ لا؟ فَذَهَبْتُ مَعَهُمْ، فَذُكِرَ لأَبِي زُرْعَة مَا ذَكَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: مَا حَمَلَهُ عَلَى ذَاكَ؟ فَقِيلَ لَهُ: قَدْ جَرَى الْآنَ مِنْهُ ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ: قُلْ لَهُ: يُمْسِكُ امْرَأَتَهُ، إِنَّهَا لَمْ تُطَلَّقْ عَنْهُ، أَوْ كَمَا قَالَ.(١)

وقَالَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ: أَمْلَى عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عِشْرِيْنَ أَلْفَ حَدِيْثٍ حِفْظًا.

وَهَكَذَا مَن بَعْدَهُم مِنَ الْحُفَّاظِ الْأَثْبَاتِ كَبَقِيَّةِ أَصْحَابِ الْأُمَّاتِ السِّتِّ وَمَن بَعْدَهُمْ، كَابْنِ حِبَّانَ وَالدَّارَقُطْنِيِّ وَالْبَيْهَقِيِّ وَالْخَطِيْبِ وَابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ أُعْجُوبَةِ الزَّمَانِ، الَّذِي لَا يَنقَضِي مِنْهُ الْعَجَبُ!، وَالْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

---

(١) مقدمة "الكامل"(ج١/صـ: ٢٢٨).

حَتَّى أَهْلُ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، مِنْهُمْ مَن كَانَ مَطْبُوعًا عَلَى الْحِفْظِ، فَفِي تَرْجَمَةِ ابْنِ سِيْدَهْ صَاحِبِ "الْمُحْكَمِ": قَالَ أَبُو عُمَرَ الطَّلَمَنكِيُّ: دَخَلْتُ مَرْسِيَّةَ، فَتَشَبَّثَ بِي أَهْلُهَا؛ لِيَسْمَعُوا عَلَي "غَرِيْبَ الْمُصَنَّفِ"، فَقُلْتُ: انظُرُوا مَن يَقْرَأُ لَكُمْ، وَأُمْسِكُ أَنَا كِتَابِي، فَأَتَوْنِي بِإِنسَانٍ أَعْمَى يُعْرَفُ بِابْنِ سِيْدَهْ، فَقَرَأَهُ عَلَيَّ كُلَّهُ، فَعَجِبْتُ مِنْ حِفْظِهِ.

قَالَ: وَكَانَ أَعْمَى ابْنَ أَعْمَى.

وَفِي تَرْجَمَةِ الْمُتَنَبِّي مِنَ "السِّيَرِ"(ج١٦/صـ:٢٠٠): أَنَّهُ جَلَسَ عِنْد كُتُبِيٍّ، فطوَّلَ المطَالَعَةَ فِي كِتَابٍ للأَصْمَعِيِّ، فَقَالَ صَاحِبُهُ: يَا هَذَا أَتريدُ أَنْ تحفظَهُ؟

فَقَالَ: فَإِنْ كُنْتُ قَدْ حفظتُهُ؟

قَالَ: أَهَبُهُ لَكَ، قَالَ: فَأَخَذَ يَقْرَؤُهُ حَتَّى فرغَ منهُ، وَكَانَ ثَلاَثِيْنَ وَرقَةً!.

وَفِي "السِّيَرِ"(ج١٠/صـ:١٨٠) أَيْضًا: وَرَوَى: ثَعْلَبُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ النَّحَوِيِّ، قَالَ: قَدِمَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ، فَجَمَعَ أَهْلَ الْأَدَبِ، وَحَضَرْتُ، وَوَقَّعَ الْحَسَنُ عَلَى خَمْسِيْنَ رُقْعَةً، وَجَرَى ذِكْرُ الْحُفَّاظِ، فَذَكَرْنَا الزُّهْرِيَّ، وَقَتَادَةَ.

فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَأَنَا أُعِيْدُ مَا وَقَّعَ بِهِ الْأَمِيْرُ عَلَى التَّوَالِي، فَأَحْضَرْتُ الرِّقَاعَ.

فَقَالَ: صَاحِبُ الرُّقْعَةِ الْأُوْلَى كَذَا وَكَذَا، وَاسْمُهُ كَذَا وَكَذَا، وَوُقِّعَ لَهُ بِكَذَا وَكَذَا، وَالرُّقْعَةُ الثَّانِيَةُ كَذَا، وَالثَّالِثَةُ ... حَتَّى مَرَّ عَلَى نَيِّفٍ وَأَرْبَعِيْنَ رُقْعَةً.

فَقَالَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ: أَيُّهَا الْمَرْءُ، أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ مِنَ الْعَيْنِ.ا.هـ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

١٠. فَمِنْ أَسْبَابِ الْحِفْظِ أَيْضًا: انتِقَاءُ الْغِذَاءِ وَتَجْوِيْدُهُ:

قَالَ النَّاظِمُ:

وَاحْرِصْ عَلَى مَا زَادَ فِي الْحِفْظِ وَمَا ... بِهِ نُمُوُّ الْفَهْمِ مِمَّا عُلِمَا
تَأْثِيْرُهُ وَنَفْعُهُ كَالْعَسَلِ ... وَكَالزَّبِيْبِ بُكْرَةً وَلْتَسَلِ
مَوْلَاكَ أَن يَمْنَحَكَ التَّوْفِيْقَا ... وَأَن يُّسَهِّلَ لَكَ الطَّرِيْقَا

وَخَيْرُ مَا يُعِيْنُ عَلَى الْحِفْظِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ: الْعَسَلُ، وَالزَّنجَبِيْلُ، وَالزَّبِيْبُ، وَلَحْمُ الضَّأْنِ، وَلَحْمُ الدِّجَاجِ، وَاللُّبَانُ الذَّكَرُ.

ذَكَرَ هَذَا ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "الطِّبِّ النَّبَوِيِّ" مِن "زَادِ الْمَعَادِ"(ج٤/صـ: ٢٩٣، و٣١٢، و٣٤١، و٣٤٩، و٣٥٥).

فَذَكَرَ مِن فَوَائِدِ الْعَسَلِ قَوْلَ ابْنِ جُرَيْجٍ: قَالَ الزُّهْرِيُّ: «عَلَيْكَ بِالْعَسَلِ؛ فَإِنَّهُ جَيِّدٌ لِلْحِفْظِ».

وَذَكَرَ مِن فَوَائِدِ الزَّنجَبِيْلِ أَنَّهُ: يُنَشِّفُ الْبَلْغَمَ الْغَالِبَ عَلَى الْبَدَنِ، وَيَزِيدُ فِي الْحِفْظِ.

وَذَكَرَ مِن فَوَائِدِ الزَّبِيْبِ قَوْلَهُ: «وَفِيهِ نَفْعٌ لِلْحِفْظِ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْفَظَ الْحَدِيثَ، فَلْيَأْكُلِ الزَّبِيبَ».

وَقَالَ فِي لَحْمِ الضَّأْنِ: «يُقَوِّي الذِّهْنَ وَالْحِفْظَ».

وَقَالَ فِي لَحْمِ الدِّجَاجِ: «يَزِيدُ فِي الدِّمَاغِ وَالْمَنِيِّ، وَيُقَوِّي الْعَقْلَ».

وَذَكَرَ لِلُّبَانِ عِدَّةَ فَوَائِدَ، مِنْهَا أَنَّهُ يُذْهِبُ النِّسْيَانَ، وَيُجَفِّفُ الْبَلْغَمَ، وَيُنَشِّفُ رُطُوبَاتِ الصَّدْرِ، وَاسْتِعْمَالُهُ يَكُونُ بِأَن يُّنقَعَ مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ يُضَافَ إِلَيْهِ حَسَبَ الرَّغْبَةِ وَالْمَشِيْئَةِ سُكَّرٌ وَيُشْرَبُ عَلَى الرِّيْقِ.

لَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَا بُدَّ لَهُ مِن اقْتِنَاءِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، فَإِنَّ الْحِرْصَ عَلَى الْحَيَاةِ مَعَ الدِّجَاجِ وَلَحْمِ الْكِبَاشِ وَقَوَارِيرِ الْعَسَلِ يُفَوِّتُ الْعِلْمَ، وَعَامَّةُ طُلَّابِ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الدِّيَارِ الْيَمَنِيَّةِ هِمَمُهُمْ فِي تَيْسِيرِ الْكِفَايَةِ فِي أَقْوَاتِهِمُ الضَّرُورِيَّةِ، مَعَ إِقْبَالِهِمْ عَلَى الْعِلْمِ، وَهُم مَغْبُوطُونَ - واللهِ - وَبِهَذَا حَصَلَ خَيْرٌ فِي هَذِهِ الدِّيَارِ لَا نَظِيْرَ لَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ فِي بَابِ الِاسْتِفَادَةِ وَالتَّحْصِيلِ وَالصَّبْرِ عَلَى لَأْوَاءِ الطَّلَبِ وَتَحَمُّلِ الْمَشَاقِّ فِي ذَلِكَ.

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي "مَنَاقِبِ الشَّافِعِيِّ"(صـ:١٠٠) عَنْهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: «لا يَصْلُحُ طَلَبُ الْعِلْمِ إِلا لِمُفْلِسٍ»، فَقِيلَ: وَلا الْغَنِيُّ الْمُكْفِيُّ؟. فَقَالَ: «وَلَا الْغَنِيُّ الْمُكْفِيُّ».

وَأَخْرَجَ الْآبُرِيُّ فِي "مَنَاقِبِ الشَّافِعِيِّ"(صـ:١٠٢) عَنْهُ قَوْلَهُ: «**أَقْدَرُ النَّاسِ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ الْفُقَرَاءُ**».

وَقَالَ – كَمَا عِندَ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ فِي جَامِعِهِ (رقم:٦٠٢) –: «لَا يَطْلُبُ هَذَا الْعِلْمَ أَحَدٌ بِالْمَالِ وَعِزِّ النَّفْسِ، فَيُفْلِحُ، وَلَكِنْ مَنْ طَلَبَهُ بِذِلَّةِ النَّفْسِ وَضِيقِ الْعَيْشِ وَخِدْمَةِ الْعِلْمِ أَفْلَحَ».

وَقَالَ شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ طَلَبَ الحَدِيْثَ أَفْلَسَ، بِعْتُ طَسْتَ أُمِّي بِسَبْعَةِ دَنَانِيْرَ».

لَكِن لَا شَكَّ أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِمَن ثَبَتَ وَصَبَرَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، فَطَلَبُ الْعِلْمِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الرِّزْقِ، وَهُوَ سَبَبُ الرِّفْعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالَ ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وَعِندَ التِّرْمِذِيِّ (رقم:٢٣٤٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**».

ثُمَّ إِنَّ هُنَاكَ أَغْذِيَةً سَهْلَةَ الْمُتَنَاوَلِ، عَظِيْمَةَ النَّفْعِ فِي هَذَا الْبَابِ، يَنبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ اسْتِعْمَالُهَا، كَالزَّنجَبِيْلِ، وَأَنَا أُسَمِّي شَرَابَ الزَّنجَبِيْلِ: (عَسَلَ الْفُقَرَاءِ).

وَكَذَلِكَ اللُّبَانُ الذَّكَرُ، مَنَافِعُهُ عَظِيْمَةٌ مَعَ كَوْنِ سِعْرِهِ مُنَاسِبًا.

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخَذْتُ اللُّبَانَ سَنَةً؛ لِلْحِفْظِ، فَأَعْقَبَنِي صَبَّ الدَّمِ سَنَةً.

وَكَذَلِكَ الْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ!، وَزَيْتُهَا.

وَفِي الْمُقَابِلِ هُنَاكَ أَغْذِيَةٌ تُؤَثِّرُ عَلَى الْحِفْظِ، يَنبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَن لَّا يُكْثِرَ مِنْهَا، فَمِنْهَا: الْحَوَامِضُ، وَالْأَطْعِمَةُ الَّتِي تُوَلِّدُ الْبَلْغَمَ، كَالسَّمَكِ، وَالْجُبْنِ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي رِسَالَتِهِ: "الْحَثِّ عَلَى حِفْظِ الْعِلْمِ وَذِكْرِ كِبَارِ الْحُفَّاظِ"(صـ: ٣٩):

اعْلَمْ أَنَّ نِسْيَانَ الْمَحْفُوظِ مِنْ أَمْرَاضِ الدِّمَاغِ، وَذَلِكَ يَكُونُ غَالِبًا مِنْ سُوءِ مِزَاجٍ بَارِدٍ رَطْبٍ، يُرَطِّبُ الدِّمَاغَ، وَذَلِكَ يَكُونُ مِنْ كُلِّ مَا يُوَلِّدُ خَلْطًا بَلْغَمِيًّا وَفِيهِ تَبْخِيرٌ، وَيَتَوَلَّدُ كَثِيرًا مِنْ أَكْلِ الْبَصَلِ وَاللَّحْمِ، وَكَثْرَةِ أَكْلِ الْفَوَاكِهِ.

وَسَبَبُ فَسَادِ الذِّكْرِ: الْبَرْدُ فَإِنْ كَانَ مِنْ رُطُوبَةٍ فَصَاحِبُهُ لَا يَحْفَظُ مَا يُطْبَعُ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ يَبُوسِهِ فَإِنَّهُ لا يَحْفَظُ الأُمُورَ الْمَاضِيَةَ دُونَ الْحَادِثَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ يُبْسٍ مَعَ حَرٍّ كَانَ مَعَ اخْتِلاطِ الذِّهْنِ، وَأَكْثَرُ مَا يَعْرِضُ النِّسْيَانُ عَن بَرْدٍ وَّرُطُوبَةٍ.

وَقَدْ يَكُونُ عَنْ يُبْسٍ مُفْرِطٍ يُجَفِّفُ الدِّمَاغَ وَيَجْعَلُهُ كَالصَّخْرَةِ الَّتِي لا تَقْبَلُ أَنْ يَنْطَبِعَ فِيهَا شَيْءٌ.

وَقَدْ يُورِثُ النِّسْيَانَ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ لِخَاصَّتِهَا، مِثْلُ: الْحِجَامَةِ فِي النُّقْرَةِ، وَأَكْلِ الْكُزْبَرَةِ الرَّطِبَةِ، وَالتُّفَّاحِ الْحَامِضِ، وَالْمَشْيِ بَيْنَ جَمَلَيْنِ مَقْطُورَيْنِ!، وَكَثْرَةِ الْهَمِّ، وَقِرَاءَةِ أَلْوَاحِ الْقُبُورِ، وَالنَّظَرِ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ وَالْبَوْلِ فِيهِ، وَالنَّظَرِ إِلَى الْمَصْلُوبِ!، وَنَبْذِ الْقَمْلِ، وَأَكْلِ سُؤْرِ الْفَأْرِ!.ا.هـ.

وَكَذَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَزَادَ: «وَأَكْثَرُ هَذَا مَعْرُوفٌ بِالتَّجْرِبَةِ».

وَفِي تَرْجَمَةِ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ مِن "تَارِيخِ بَغْدَادَ"(ج٣/صـ: ٤٠١): قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ التَّمِيمِيُّ النَّحْوِيُّ: فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ فَمَا رَأَيْنَا أَحْفَظَ مِنْهُ، وَلَا أَغْزَرَ بَحْرًا مِنْ عِلْمِهِ، وَحَدَّثَنِي عَنْهُ أَبُو الْحَسَنِ الْعَرُوضِيُّ، قَالَ: اجْتَمَعْتُ أَنَا وَهُوَ عِندَ الرَّاضِي عَلَى الطَّعَامِ، وَكَانَ قَدْ عَرَفَ الطَّبَّاخُ مَا يَأْكُلُ أَبُو بَكْرٍ، فَكَانَ يُسَوِّي لَهُ قِلْيَةً يَّابِسَةً.

قَالَ: فَأَكَلْنَا نَحْنُ مِنْ أَلْوَانِ الطَّعَامِ وَأَطَايِبِهِ وَهُوَ يُعَالِجُ تِلْكَ الْقِلْيَةَ.

ثُمَّ فَرَغْنَا وَأُتِينَا بِحَلْوَاءَ، فَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا؛ وَقَامَ وَقُمْنَا إِلَى الْخَيْشِ، فَنَامَ بَيْنَ الْخَيْشَيْنِ، وَنِمْنَا نَحْنُ فِي خَيْشٍ يُنَافَسُ فِيهِ، وَلَمْ يَشْرَبْ مَاءً إِلَى الْعَصْرِ، فَلَمَّا كَانَ مَعَ الْعَصْرِ قَالَ لِغُلَامٍ: الْوَظِيفَةَ.

فَجَاءَهُ بِمَاءٍ مِنَ الْجُبِّ، وَتَرَكَ الْمَاءَ الْمُزَمَّلَ بِالثَّلْجِ، فَغَاظَنِي أَمْرُهُ، فَصِحْتُ بِصَيْحَةٍ، فَأَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْنَ بِإِحْضَارِي، وَقَالَ: مَا قِصَّتُكَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ، وَقُلْتُ: هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ يَحْتَاجُ إِلَى أَن يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَدْبِيْرِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ يَقْتُلُهَا، وَلَا يُحْسِنُ عِشْرَتَهَا.

قَالَ: فَضَحِكَ، وَقَالَ لَهُ: فِي هَذَا لَذَّةٌ، وَقَدْ جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ، وَصَارَ إِلْفًا، فَلَن يَّضُرَّهُ.

ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لِمَ تَفْعَلُ هَذَا بِنَفْسِكَ؟ قَالَ: أُبْقِي عَلَى حِفْظِي.

قُلْتُ لَهُ: قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي حِفْظِكَ، فَكَمْ تَحْفَظُ؟ قَالَ: أَحْفَظُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ صُندُوقًا!.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ: وَهَذَا مَا لَا يُحْفَظُ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، وَكَانَ أَحْفَظَ النَّاسِ لِلُغَةٍ، وَنَحْوٍ، وَشِعْرٍ، وَتَفْسِيْرِ قُرْآنٍ، فَحُدِّثْتُ أَنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ عِشْرِيْنَ وَمِائَةَ تَفْسِيْرٍ مِن تَفَاسِيْرِ الْقُرْآنِ بِأَسَانِيْدِهَا، وَقَالَ لَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ يُونُسَ: كَانَ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللهِ فِي الْحِفْظِ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيْلُ بْنُ الْقَاسِمِ الْقَالِيُّ: كَانَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ الْأَنبَارِيِّ يَحْفَظُ فِيْمَا ذُكِرَ ثَلَاثَ مِائَةِ أَلْفِ بَيْتِ شَاهِدٍ فِي الْقُرْآنِ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْبَصْرِيُّ عَنْ أَبِيْهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّن شَاهَدَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ ابْنِ الْأَنبَارِيِّ يُمْلِي مِنْ حِفْظِهِ لَا مِن كِتَابٍ، وَأَنَّ عَادَتَهُ فِي كُلِّ مَا كُتِبَ عَنْهُ مِنَ الْعِلْمِ كَانَتْ هَكَذَا، مَا أَمْلَى قَطُّ مِن دَفْتَرٍ.ا.هـ.

وَفِي تَرْجَمَةِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ مِنَ "السِّيَرِ"(ج٢١/صـ:٣٧٨): قَالَ الْمُوَفَّقُ عَبْدُ اللَّطِيْفِ فِي تَأْلِيْفٍ لَهُ: وَكَانَ يُرَاعِي حِفْظَ صِحَّتِهِ، وَتَلْطِيْفَ مِزَاجِهِ، وَمَا يُفِيد عَقْلَهُ قُوَّةً، وَذِهْنَهُ حِدَّةً، جُلُّ غذَائِهِ الْفَرَارِيجُ، وَيَعْتَاضُ عَنِ الفَاكِهَةِ بِالأَشْرِبَةِ وَالْمَعْجُونَاتِ.ا.هـ.

وَ الْفَرَارِيجُ: جمع فَرُّوج، وهو: (فَرْخُ الدَّجَاجِ) ، وَهُوَ الفَتِيُّ مِنْهُ، قَبْلَ أَن يَصِيْرَ دِيْكًا.

وَفِي الْجُمْلَةِ فَهَذَا بَابٌ مُهِمٌّ، وَالْمِعدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ، كَمَا يُقَالُ، وَإِذَا امْتَلَأَتِ الْمِعدَةُ نَامَتِ الْفِكْرَةُ، فَتَقْلِيْلُ الطَّعَامِ مُعِيْنٌ عَلَى التَّحْصِيْلِ وَالْحِفْظِ؛ وَلِهَذَا ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الصِّيَامَ يُعِيْنُ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ النَّاظِمُ:

أَكْثِرْ مِنَ الصِّيَامِ كَيْ يَكُونَا لَكَ عَلَى تَحْصِيلِهِ مُعِينَا

لَكِن يَّكُونُ ذَلِكَ بِالْقَدْرِ الَّذِي لَا تَذْهَبُ مَعَهُ الْقُوَى؛ فَاحْرِصْ عَلَى أَسْبَابِ السَّلَامَةِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«سَلُوا اللهَ الْمُعَافَاةَ - أَوْ قَالَ: الْعَافِيَةَ - فَلَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ قَطُّ بَعْدَ الْيَقِينِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَافِيَةِ - أَوِ الْمُعَافَاةِ»**.(١)

وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ: **«حَظٌّ مِنْ عِلْمٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَظٍّ مِنْ عِبَادَةٍ، وَلَأَنْ أُعَافَى فَأَشْكُرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْتَلَى فَأَصْبِرَ»**.

قَالَ: **«وَنَظَرْتُ فِي الْخَيْرِ الَّذِي لَا شَرَّ فِيهِ، فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْمُعَافَاةِ وَالشُّكْرِ»**.(٢)

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِيْنٍ فِي تَارِيْخِهِ بِرِوَايَةِ الدُّورِيِّ (رقم: ٢٦٩٦): سَمِعْتُ أَبَا مُعَاوِيَة - يَعْنِي الضَّرِيْرَ - يَقُولُ: «مَرِضْتُ مَرْضَةً، فَنَسِيْتُ أَرْبَعَمِائَةٍ». يَعْنِي: أَرْبَعَمِائَةِ حَدِيْثٍ!.

١١. وَمِنْ أَسْبَابِ الْحِفْظِ: السِّوَاكُ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الطِّبِّ النَّبَوِيِّ" مِن "زَادِ الْمَعَادِ"(ج٤/صـ: ٢٩٦)، مِن مَنَافِعِ السِّوَاكِ: أَنَّهُ يُقَوِّي الْعَمُودَ، وَيُطْلِقُ اللِّسَانَ، وَيُنَقِّي الدِّمَاغَ، وَيُصَفِّي الْحَوَاسَّ، وَيُجِدُّ الذِّهْنَ، وَيُطَيِّبُ الْفَمَ، وَيَشُدُّ اللِّثَةَ، وَيَقْطَعُ الْبَلْغَمَ، وَيَجْلُو الْبَصَرَ، وَيَذْهَبُ بِالْحَفَرِ، وَيُصِحُّ الْمِعِدَةَ، وَيُصَفِّي الصَّوْتَ، وَيُعِينُ عَلَى هَضْمِ الطَّعَامِ، وَيُسَهِّلُ مَجَارِيَ الْكَلَامِ، وَيُنَشِّطُ لِلْقِرَاءَةِ، وَالذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ، وَيَطْرُدُ النَّوْمَ.

---

(١) رواه أحمد (رقم:٥، و١٧، و٣٤)، وابن ماجه (رقم: ٣٨٤٩)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة"(رقم:٨٨١)، وغيرهم من حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وصححه الحاكم (رقم:١٩٣٨)، والضياء في "المختارة"(ج١/صـ:١٥٥-١٥٧)(رقم:٦٦، و٦٧، و٦٨)، والألباني في "صحيح الأدب المفرد"(رقم:٥٦١)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٧٠٦).

(٢) أخرجه معمر بن راشد في جامعه - وقد طبع ملحقًا بـ: "مصنف عبد الرزاق"(رقم: ٢٠٤٦٨) - عن قتادة، عنه، به، وله طرق أخرى ذكرتها في تحقيق "جامع بيان العلم وفضله"(رقم: ١٠٦).

حرمة تصوير ذوات الأرواح

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٨٦٧) عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

أَلَا وَإِنَّ مِن جُمْلَةِ الْفِتَنِ الَّتِي هِيَ مِن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَلَهَا أَثَرٌ ظَاهِرٌ فِي فَسَادِ الْقُلُوبِ، وَإِشَاعَةِ الْفَاحِشَةِ وَإِبْدَاءِ الْفَضَائِحِ وَكَشْفِ الْعَوْرَاتِ وَالْعُيُوبِ، فِتْنَةٌ لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَاعِلَهَا لَعْنًا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا حِسًّا وَّمَعْنًى، فِتْنَةٌ ابْتُلِيَ بِهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ الْجَمُّ الْغَفِيرِ وَالْخَلْقُ الْكَثِيرُ، فَمَآلُهَا خَطِيرٌ، وَشَرُّهَا مُسْتَطِيرٌ، إِنَّهَا فِتْنَةُ التَّصْوِيرِ؛ لَذَا وَجَبَ أَن يُّعْلَنَ عَلَيْهَا النَّكِيرُ، وَأَن يُّطْلَقَ مِنْهَا التَّحْذِيرُ، فَأَقُولُ مُسْتَعِيْنًا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ:

إِنَّ فِتْنَةَ التَّصْوِيْرِ مَعَ الْغُلُوِّ فِي الصَّالِحِيْنَ هِيَ الذَّرِيْعَةُ إِلَى ظُهُورِ الشِّرْكِ فِي الْأَرْضِ، فَبِهَاتَيْنِ الْفِتْنَتَيْنِ اسْتَدْرَجَ الشَّيْطَانُ مَنِ اسْتَدْرَجَ مِن بَنِي آدَمَ إِلَى إِحْدَاثِ أَوَّلِ كُفْرٍ فِيْهِمْ، قَالَ ﷻ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢١-٢٤].

رَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٩٢٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **«أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ»**.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيْمِ"(ج٢/صـ: ٣٠٠): وَيُبَيِّنُ صِحَّةَ هَذِهِ الْعِلَّةِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَن يَتَّخِذُ قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ.ا.هـ.

وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ فِتْنَتَيِ الشِّرْكِ وَالتَّصْوِيْرِ فِي غَيْرِ حَدِيْثٍ، فَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذَكَرَتَا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ، فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ أُولَئِكِ، إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٢٧)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٥٢٨).

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ أَوَائِلُهُمْ؛ لِيَتَأَنَّسُوا بِرُؤْيَةِ تِلْكَ الصُّوَرِ، وَيَتَذَكَّرُوا أَحْوَالَهُمُ الصَّالِحَةَ، فَيَجْتَهِدُوا كَاجْتِهَادِهِمْ، ثُمَّ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ جَهِلُوا مُرَادَهُمْ، وَوَسْوَسَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنَّ أَسْلَافَكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ وَيُعَظِّمُونَهَا، فَعَبَدُوهَا، فَحَذَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَن مِّثْلِ ذَلِكَ؛ سَدًّا لِلذَّرِيعَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى ذَلِكَ، وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ.ا.هـ.

وَعَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟: **«أَن لَّا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٩٦٩).

وَفِي رِوَايَةٍ لَّهُ: **«وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا»**.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: **«أَن لَّا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ»**، فِيهِ الْأَمْرُ بِتَغْيِيرِ صُوَرِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ.ا.هـ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ هَتَكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: **«يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ»**.

قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٩٥٤)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢١٠٧).

وَفِي رِوَايَةٍ لِّمُسْلِمٍ: **«الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللهِ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ لَّهُ أَيْضًا: قَالَتْ: كَانَ لَنَا سِتْرٌ فِيهِ تِمْثَالُ طَائِرٍ، وَكَانَ الدَّاخِلُ إِذَا دَخَلَ اسْتَقْبَلَهُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«حَوِّلِي هَذَا، فَإِنِّي كُلَّمَا دَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا»**.

وَفِي رِوَايَةٍ لَّهُ أَيْضًا: قَالَتْ: «قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ عَلَى بَابِي دُرْنُوكًا فِيهِ الْخَيْلُ ذَوَاتُ الْأَجْنِحَةِ، فَأَمَرَنِي فَنَزَعْتُهُ».

وَهِيَ أَيْضًا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (رقم: ٥٩٥٥) بِلَفْظِ: دُرْنُوكًا فِيهِ تَمَاثِيلُ.

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْبَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْ، فَعَرَفْتُ، أَوْ فَعُرِفَتْ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُوبُ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، فَمَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟»**. فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ، تَقْعُدُ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ،**

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ». ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»**، فَهُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْأُصُولِيُّونَ أَمْرَ تَعْجِيزٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود: ١٣].ا.هـ.

وَعَنْ أَبِي زُرْعَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ، دَارًا بِالْمَدِينَةِ، فَرَأَى أَعْلَاهَا مُصَوِّرًا يُصَوِّرُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٩٥٣).

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢١١١) أَيْضًا، وَعِنْدَهُ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي دَارِ مَرْوَانَ، فَرَأَى فِيهَا تَصَاوِيرَ، وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ: **«أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»**.

إِنَّ اللهَ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[الحشر: ٢٤]؛ فَلَا تَجُوزُ الْمُضَاهَاةُ بِخَلْقِ اللهِ.

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فَجَعَلَ يُفْتِي، وَلَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى سَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِهِ الصُّوَرَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: ادْنُهْ، فَدَنَا الرَّجُلُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«مَن صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَن يَّنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»**.(٢)

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الحَسَنِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ، إِنِّي إِنْسَانٌ إِنَّمَا مَعِيشَتِي مِن صَنْعَةِ يَدِي، وَإِنِّي أَصْنَعُ هَذِهِ التَّصَاوِيرَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لَا أُحَدِّثُكَ إِلَّا مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: **«مَن صَوَّرَ صُورَةً، فَإِنَّ اللَّهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا**

---

(١) البخاري (رقم: ٢١٠٥، و٥١٨١، و٥٩٥٧، و٥٩٦١)، ومسلم (رقم: ٢١٠٧).

(٢) البخاري (رقم: ٥٩٦٣)، ومسلم (رقم: ٢١١٠).

أَبَدًا». فَرَبَا الرَّجُلُ رَبْوَةً شَدِيدَةً، وَاصْفَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ، إِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَن تَصْنَعَ، فَعَلَيْكَ بِهَذَا الشَّجَرِ، كُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٩٦٣).

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢١١٠)(١٠٠): جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِهِ الصُّوَرَ، فَأَفْتِنِي فِيهَا، فَقَالَ لَهُ: ادْنُ مِنِّي، فَدَنَا مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: ادْنُ مِنِّي، فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، قَالَ: أُنَبِّئُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا، فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ»**.

وقَالَ: «إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٩٥٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢١٠٩).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ صَرِيحَةٌ فِي تَحْرِيمِ تَصْوِيرِ الْحَيَوَانِ، وَأَنَّهُ غَلِيظُ التَّحْرِيمِ، وَأَمَّا الشَّجَرُ وَنَحْوُهُ مِمَّا لَا رُوحَ فِيهِ فَلَا تَحْرُمُ صِنْعَتُهُ وَلَا التَّكَسُّبُ بِهِ، وَسَوَاءٌ الشَّجَرُ الْمُثْمِرُ وَغَيْرُهُ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ كَافَّةً، إِلَّا مُجَاهِدًا، فَإِنَّهُ جَعَلَ الشَّجَرَ الْمُثْمِرَ مِنَ الْمَكْرُوهِ.ا.هـ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالمُصَوِّرِينَ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٨٤٣٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٥٧٤).(١)

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ قُرِنَ الْمُصَوِّرُونَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِالْجَبَّارِ الْعَنِيدِ وَبِالْمُشْرِكِ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَقَد تَقَدَّمَتْ أَدِلَّةٌ قُرِنَتْ فِيهَا فِتْنَةُ التَّصْوِيرِ بِفِتْنَةِ الشِّرْكِ.

---

(١) وصححه الترمذي، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٥١٢)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٤٠٦).

وَقَدْ لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمُصَوِّرَ، كما في صحيح الْبُخَارِيِّ (رقم: ٢٠٨٦، و٢٢٣٨، و٥٣٤٧، و٥٩٦٢) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَنَعُوذُ باللهِ مِن لَّعْنَةِ اللهِ وَلَعْنَةِ رَسُولِهِ!.

فَالتَّصْوِيْرُ كَبِيْرَةٌ مِّن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَحَادِيْثُ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ فِي "الزَّوَاجِرِ عَنِ اقْتِرَافِ الْكَبَائِرِ"(ج٢/ص: ٤٨): [الْكَبِيْرَةُ الثَّامِنَةُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ: تَصْوِيْرُ ذِي رُوحٍ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ مِن مُّعَظَّمٍ أَوْ مُمْتَهَنٍ بِأَرْضٍ أَوْ غَيْرِهَا].

وَمِن شُؤْمِ الصُّوَرِ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا هِيَ فِيْهِ، فَقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَقد تَّقَدَّمَ.

وَلَهُمَا عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»**.(١)

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي "الْمُفْهِمِ": «إِنَّمَا لَمْ تَدْخُلِ الْمَلَائِكَةُ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورَةُ؛ لِأَنَّ مُتَّخِذَهَا قد تَّشَبَّهَ بِالْكُفَّارِ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ الصُّوَرَ فِي بُيُوتِهِمْ وَيُعَظِّمُونَهَا، فَكَرِهَتِ الْمَلَائِكَةُ ذَلِكَ، فَلَمْ تَدْخُلْ بَيْتَهُ؛ هَجْرًا لَهُ؛ لِذَلِكَ». نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي "الْفَتْحِ"(ج١٠/ص: ٣٩١-٣٩٢).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٩٥٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا فِيهِ تَصَالِيبُ إِلَّا نَقَضَهُ»**، وَبَوَّبَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: (بَابُ نَقْضِ الصُّوَرِ).

وَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ٩٦٩) عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟: **«أَن لَّا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»**.

---

(١) البخاري (رقم: ٣٢٢٥، و٣٣٢٢، و٤٠٠٢، و٥٩٤٩)، ومسلم (رقم: ٢١٠٦).

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ نَقْضِ صُوَرِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ، وَطَمْسِهَا، وَالْمُجْزِئُ مِن ذَلِكَ: إِزَالَةُ رَأْسِهَا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ لِي: أَتَيْتُكَ الْبَارِحَةَ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَكُونَ دَخَلْتُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ عَلَى الْبَابِ تَمَاثِيلُ، وَكَانَ فِي الْبَيْتِ قِرَامُ سِتْرٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، وَكَانَ فِي الْبَيْتِ كَلْبٌ، فَمُرْ بِرَأْسِ التِّمْثَالِ الَّذِي فِي الْبَيْتِ يُقْطَعُ، فَيَصِيرُ كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ، وَمُرْ بِالسِّتْرِ فَلْيُقْطَعْ، فَلْيُجْعَلْ مِنْهُ وِسَادَتَيْنِ مَنْبُوذَتَيْنِ تُوطَآنِ، وَمُرْ بِالْكَلْبِ فَلْيُخْرَجْ»**. فَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا الْكَلْبُ لِحَسَنٍ - أَوْ حُسَيْنٍ - كَانَ تَحْتَ نَضَدٍ لَهُمْ، فَأُمِرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٨٠٤٥)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤١٥٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٨٠٦).(١)

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَالنَّضَدُ: شَيْءٌ تُوضَعُ عَلَيْهِ الثِّيَابُ شَبَهُ السَّرِيرِ.

وَالشَّاهِدُ مِنْهُ قَوْلُهُ: **«فَمُرْ بِرَأْسِ التِّمْثَالِ الَّذِي فِي الْبَيْتِ يُقْطَعُ، فَيَصِيرُ كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ»**.

وَذَكَرَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الصَّحِيحَةِ"(رقم: ١٩٢١) حَدِيثًا مَرْفُوعًا: **«الصُّورَةُ الرَّأْسُ، فَإِذَا قُطِعَ الرَّأْسُ فَلَيْسَ بِصُورَةٍ»**، ثُمَّ قَالَ: فَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ قَطْعَ رَأْسِ الصُّورَةِ - أَيِ: التِّمْثَالِ الْمُجَسَّمِ يَجْعَلُهُ كَ (لَا صُورَةَ)، وَهَذَا فِي الْمُجَسَّمِ، كَمَا قُلْنَا، وَأَمَّا فِي الصُّورَةِ الْمَطْبُوعَةِ عَلَى الْوَرَقِ أَوِ الْمُطَرَّزَةِ عَلَى الْقُمَاشِ، فَلَا يَكْفِي رَسْمُ خَطٍّ عَلَى الْعُنُقِ لِيَظْهَرَ كَأَنَّهُ مَقْطُوعٌ عَنِ الْجَسَدِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الْإِطَاحَةِ بِالرَّأْسِ، وَبِذَلِكَ تَتَغَيَّرُ مَعَالِمُ الصُّورَةِ، وَتَصِيرُ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ»**، فَاحْفَظْ هَذَا، وَلَا تَغْتَرَّ بِمَا جَاءَ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْفِقْهِ وَمَنْ أَخَذَهَا أَصْلًا مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ.ا.هـ.

فَمَا أَعْظَمَ الْبَلِيَّةَ بِالصُّوَرِ فِي هَذَا الزَّمَانِ!، وَمَا أَقَلَّ مَن يَنقُضُهَا وَيَطْمِسُهَا!، واللهُ الْمُسْتَعَانُ!.

---

(١) قال الترمذي: «هذا حديث حسن». وصححه أيضًا: ابن حبان (رقم: ٥٨٥٣، و٥٨٥٤)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٣٥٦)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٣٤٦).

صَارَتْ صُوَرُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ مَشْهَدًا حَاضِرًا فِي حَيَاةِ النَّاسِ، لَا يَكَادُونَ يَنفَكُّونَ عَنْهُ، فَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى مِنْ غُرْبَةِ الدِّيْنِ، فَلَا تَسَلْ عَنْ حَالِ التِّلْفَازِ، وَمَا الَّذِي زَرَعَهُ فِي نُفُوسِ مُشَاهِدِيْهِ، فَبِئْسَ الْجِهَازُ التِّلْفَازُ، فَفِيْهِ إِلَى الْخَنَا إِيْعَازٌ، وَعَلَى الْوَقْتِ وَالْعِفَّةِ وَالصِّيَانَةِ إِجْهَازٌ.

وَأَعْظَمُ وَأَطَمُّ مِنْهُ الْآنَ: هَذِهِ الْجَوَّالَاتُ، فَلَقَدْ صَارَتْ عَلَى صِغَرِ حَجْمِهَا مِنْ أَوْسَعِ أَوْدِيَةِ الْبَاطِلِ وَالضَّلَالِ، وَمِنْ أَخْطَرِ وَسَائِلِ الْفِتْنَةِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى سُوءِ الْحَالِ.

رُبَّمَا يَجْلِبُ الرَّجُلُ لِامْرَأَتِهِ أَوْ لِابْنَتِهِ أَوْ لِأُخْتِهِ بِجَلْبِهِ التِّلْفَازَ إِلَى بَيْتِهِ عَشِيْقًا مُصَوَّرًا!.

وَرُبَّمَا يَجْلِبُ لَهُنَّ بِتَمْكِينِهِنَّ مِنَ الْجَوَّالَاتِ وَتَرْكِ الْحَبْلِ لَهُنَّ عَلَى الْغَارِبِ دُونَ مُرَاقَبَةٍ وَلَا رِعَايَةٍ عَشِيْقًا نَّاطِقًا حَاضِرًا.

فَرُبَّ نَظْرَةٍ مُحَرَّمَةٍ، أَوْ رِسَالَةٍ نَّصِّيَّةٍ أَوْ مُكَالَمَةٍ هَاتِفِيَّةٍ أَوْ مُحَادَثَةٍ عَبْرَ الْوَاتسِ أَوِ الْفَيْسُبوك جَرَّتْ إِلَى ارْتِكَابِ الزِّنَا أَوْ الْقُرْبِ مِنْهُ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، وَكَمَا قِيْلَ:

نَظْرَةٌ، فَابْتِسَامَةٌ، فَسَلَامٌ ... فَكَلَامٌ، فَمَوْعِدٌ، فَلِقَاءُ!

فَإِطْلَاقُ النَّظَرِ فِيْمَا حَرَّمَ اللهُ ﷻ مِنْ أَخْصَرِ الطُّرُقِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى فَسَادِ الْقُلُوبِ.

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

كَمْ نَظْرَةٍ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا ... فَتْكَ السِّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرِ

وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا ... فِي أَعْيُنِ الْغِيْدِ مَوْقُوفٌ عَلَى خَطَرِ

يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ ... لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ

فَكَيْفَ لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الصُّوَرُ: صُوَرَ نِسَاءٍ وَّرِجَالٍ عُرَاةٍ يَنزُو بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ!، تاللهِ إِنَّ إِفْسَادَهَا لَعَظِيْمٌ، وَفِعْلَهَا فِي الْقَلْبِ كَفِعْلِ السُّمِّ فِي الْبَدَنِ!.

لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِن كَمَدٍ ... إِن كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيْمَانُ

وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ ﷻ بِالْغَضِّ مِنَ الْأَبْصَارِ قَبْلَ أَمْرِهِ بِحِفْظِ الْفُرُوجِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١].

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّظَرَ الْحَرَامَ زِنَا الْعَيْنِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٦٥٧). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٢٤٣، و٦٦١٢) بَعْضَهُ.

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالنَّهْيُ عَن قُرْبَانِهِ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ عَن مُجَرَّدِ فِعْلِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَشْمَلُ النَّهْيَ عَن جَمِيعِ مُقَدِّمَاتِهِ وَدَوَاعِيهِ؛ فَإِنَّ مَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوْشِكُ أَن يَقَعَ فِيهِ، خُصُوصًا هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّفُوسِ أَقْوَى دَاعٍ إِلَيْهِ».

وَمُقَدِّمَاتُ الزِّنَا وَدَوَاعِيهِ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ عَمَّتْ بِهَا الْبَلْوَى، وَمِنْ أَخْطَرِهَا وَأَكْثَرِهَا شُيُوعًا فِي هَذَا الزَّمَانِ: النَّظَرُ الْحَرَامُ، فلَقَدْ فُتِحَ هَذَا الْبَابُ مِنْ أَبْوَابِ الشَّرِّ عَلَى النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ، فَالْقَنَوَاتُ وَالْمَوَاقِعُ الْإِبَاحِيَّةُ عَلَى شَبَكَةِ الْإِنترنت لَا تَتَوَقَّفُ عَن بَثِّ مَشَاهِدِ الْخَنَا وَالزِّنَا وَاللِّوَاطِ والرَّقْصِ وَالْمُجُونِ وَنَقْلِ صُوَرِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ العُرَاةِ وَهُمْ يَتَسافَدُونَ تَسافُدَ الْحُمُرِ!.

فلَقَدْ أَصْبَحَ التِّلْفَازُ وَالْجَوَّالُ دَاعِيَتا هذا الْعَصْرِ إِلَى الرَّذِيلَةِ، وَالْخَنَا، وَالدَّعَارَةِ، وَالتَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ، وَالانحِطَاطِ الْأَخْلَاقِيِّ!

وَالتِّلْفَازُ الْآنَ فِي أَكْثَرِ بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْبُيُوتُ الَّتِي تَخْلُو مِنْهُ قَلِيلَةٌ!.

وَالْجَوَّالُ صَارَ فِي مُتَنَاوَلِ النَّاسِ، صِغَارِهِمْ وَكِبَارِهِمْ، رِجَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أُحَذِّرُ صَاحِبَ كُلِّ بَيْتٍ مِنْ أَن يَضَعَ فِي بَيْتِهِ مِثْلَ هَذَا الدُّشِّ؛ لِأَنَّهُ سَوْفَ يُخَلِّفُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَيَكُونُ وَبَالًا عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، وَإِنِّي أَسْأَلُ وَاضِعَ الدُّشِّ فِي بَيْتِهِ وَهُوَ يَرَى هَذِهِ الْمَنَاكِيرِ الَّتِي تُبَثُّ مِنْهُ، هَلْ هُوَ بِهَذَا نَاصِحٌ لِأَهْلِ بَيْتِهِ أَوْ غَاشٌّ لَهُمْ؟ وَالْجَوَابُ - وَلَابُدَّ - أَنَّهُ غَاشٌّ، إِلَّا أَن يَكُونَ مِمَّن طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ، فَلَا يَحُسُّ، لَكِن سَيَقُولُ: إِنَّهُ غَاشٌّ. فَأَقُولُ لَهُ: اذْكُرْ قَوْلَ الرَّسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»**.ا.هـ.(١)

لَقَدْ صَارَ الزِّنَا وَاللِّوَاطُ يُوَثَّقَانِ بِالصَّوْتِ وَالصُّورَةِ، وَصَارَتْ مَشَاهِدُ الْخَنَا سَهْلَةَ الْتَنَاوَلِ، فَبِإِمْكَانِ مَن يَّقْتَنِي جَوَّالَاتِ اللَّمْسِ أَن يُنَزِّلَ أَصْنَافَ الْمَقَاطِعِ الْإِبَاحِيَّةِ: لَيْسَ مَصْدَرُهَا مِن فِرَنسَا أَوْ إِيطَالِيَا أَوِ الْيَابَانِ أَوْ رُوسِيَا أَوْ أَمْرِيكَا أَوْ بِرِيطَانِيَا فَحَسْبُ، بَلْ مِن دُوَلٍ مَحْسُوبَةٍ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعُرُوبَةِ، كَلُبْنَانَ أَوْ مِصْرَ، بَلْ: حَتَّى مِنْ أَرْضِ نَجْدَ وَالْحِجَازِ، وَالْيَمَنِ، الْقُطْرِ الَّذِي اشْتَهَرَ أَهْلُهُ بِالنَّخْوَةِ وَالْحَمِيَّةِ وَالْغَيْرَةِ وَالشَّهَامَةِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ!. فَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ عِظَمِ هَذَا الْبَلَاءِ، الَّذِي جَرَّ إِلَيْهِ التَّصْوِيرُ، وَإِطْلَاقُ النَّظَرِ فِيمَا حَرَّمَ اللهُ ﷻ، وَقَدْ حَصَلَ أَن وَقَعَ بَعْضُ الْأَوْلَادِ عَلَى بَعْضِ أَخَوَاتِهِ؛ مُحَاكِيًا مَا يُشَاهِدُ مِنَ الْخَنَا.

أَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ ... إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَن تَبْتَلَّ بِالْمَاءِ

هُنَاكَ قَصَصٌ وَّاقِعِيَّةٌ كَثِيرَةٌ فِي بِلَادِنَا هَذِهِ الَّتِي لَا زَالَ فِيهَا خَيْرٌ ظَاهِرٌ، قَصَصٌ تُؤْلِمُ قَلْبَ الْغَيُورِ، وَتَبْعَثُ فِي قَلْبِهِ الْوَحْشَةَ، فِيهَا فَضَائِحُ وَقَبَائِحُ، زِنًا وَّلِوَاطٌ، أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْهُمَا، وَهَتْكُ الْعَوْرَاتِ، وَإِبْدَاءُ السَّوْءَاتِ، وَانتِهَاكُ الْحُرُمَاتِ فِي الْخَلَوَاتِ وَالْجَلَوَاتِ،

(١) "مجموع فتاواه ورسائله"(ج١٥/صـ: ٣٠-٣١).

والحديث المذكور رواه البخاري (برقم: ٧١٥١)، ومسلم (برقم: ١٤٢).

وقد ذكرت مخاطر التلفاز ومفاسده في المجلس السادس عشر من كتابي: "مجالس رمضانية".

هِيَ نِتَاجُ الْبُعْدِ عَنِ اللهِ وَعَدَمِ مُرَاقَبَتِهِ، تُوَثَّقُ بِالصُّوَرِ، وَتُنشَرُ، فَتَعُمُّ بِهَا الْفَضِيْحَةُ، وَتَعْظُمُ بِهَا الْفِتْنَةُ!.

صَارَ التَّصْوِيرُ وَسِيْلَةً مِّنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُسْتَدْرَجُ بِهَا النِّسَاءُ، لِيُؤْخَذَ مَالُهَا، وَيُزْنَى بِهَا، وَكَمْ مِّن جَرِيْمَةٍ قَدْ وَقَعَتْ وَهَزَّتْ مُجْتَمَعَنَا الْيَمَنِيَّ مَعَ مَا عُرِفَ بِهِ مِنَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْقِيَمِ وَمِنَ النَّخْوَةِ وَالْغَيْرَةِ، مَنشَؤُهَا تَصْوِيرُ النِّسَاءِ، عَنْ طَرِيقِ بَعْضِ مَحَلَّاتِ الْكَوَافِيْرِ، أَوْ مَحَلَّاتِ صِيَانَةِ الْجَوَّالَاتِ، أَوْ شَبَكَاتِ الدَّعَارَةِ، ثُمَّ تُؤْخَذُ هَذِهِ الصُّوَرُ، وَيَسْتَدْرِجُ بِهَا جَمٌّ غَفِيرٌ مِّنَ النِّسْوَةِ!؛ حَتَّى تُفْعَلَ بِهِنَّ الْفَاحِشَةُ، مُوَثَّقَةً بِالصَّوْتِ وَالصُّورَةِ؛ لِتُبَاعَ هَذِهِ الْفِيْدِيُوهَاتِ إِلَى مُنَظَّمَاتٍ خَارِجِيَّةٍ أَوْ شَرِكَاتِ دَعَارَةٍ، وَرُبَّمَا نُشِرَتْ عَبْرَ الْمَوَاقِعِ الْإِبَاحِيَّةِ!، وَلَعَلَّ مَا خَفِيَ أَعْظَمُ، فَوَاأَسَفَى عَلَى الْحُرُمَاتِ!.

وَلَيْسَتِ الْمَرْأَةُ مُكْرَهَةً وَّالْحَالُ هَذَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ الْعَاقِلَةَ الْعَفِيْفَةَ لَا يُمْكِنُ أَن تُلَبِّيَ نِدَاءَ الزِّنَا بِهَا، حَتَّى وَإِنْ هُدِّدَتْ بِنَشْرِ صُوَرِهَا، وَلَكِنَّ الشَّأْنَ كَمَا قِيْلَ:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

الْعَفِيْفَةُ حَقًّا وَالصَّالِحَةُ صِدْقًا لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهَا الزُّنَاةُ الْفَجَرَةُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَتَأَمَّلُوا فِي مَوْقِفٍ عَظِيمٍ وَّقَعَ لِسَارَةَ زَوْجِ الْخَلِيْلِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَفِي الصَّحِيْحَيْنِ، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِسَارَةَ، فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ المُلُوكِ، أَوْ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ: دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: أُخْتِي، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: لاَ تُكَذِّبِي حَدِيثِي، فَإِنِّي أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكِ أُخْتِي، وَاللَّهِ إِنْ عَلَى الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي، إِلَّا عَلَى زَوْجِي فَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ، قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ يُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ تُصَلِّي، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ**

وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي، فَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ هَذَا الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ فَيُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ فِي الثَّانِيَةِ، أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ إِلَّا شَيْطَانًا، أَرْجِعُوهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَعْطُوهَا آجَرَ، فَرَجَعَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَتْ: أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ كَبَتَ الكَافِرَ وَأَخْدَمَ وَلِيدَةً». (١)

مَا أَعْظَمَهُ مِن مَّوْقِفٍ!، وَمَا أَجَلَّهَا مِنْ خَصْلَةٍ!: (وَأَحْصَنتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي).

إِنَّ مَا يُزْعِجُ الْأَسْمَاعَ وَيَقْرَعُ الْقُلُوبَ بَيْنَ الْحِينِ وَالْآخَرِ مِن قَصَصٍ وَّاقِعِيَّةٍ لِإِشَاعَةِ الْفَاحِشَةِ لَيْسَ مُجَرَّدَ حَوَادِثَ عَابِرَةٍ، بَل لَّا بُدَّ مِنْ أَخْذِ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ مِنْهَا، وَالسَّعِيْدُ مَن وُّعِظَ بِغَيْرِهِ.

فَإِخْلَالُ وُلَاةِ أُمُورِ النِّسَاءِ بِمَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِم مِّن صِيَانَةِ نِسَاءِهِمْ وَحَمْلِهِنَّ عَلَى الْعِفَّةِ وَالْحِشْمَةِ، سَوَاءٌ أَكُنَّ أُمَّهَاتٍ أَوْ بَنَاتٍ أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ زَوْجَاتٍ؛ يُورِثُ الْعَوَاقِبَ الْوَخِيْمَةَ وَالنَّتَائِجَ الْأَلِيْمَةَ، وَالذُّلَّ وَالْعَارَ!.

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِمَّن نَّالَ شَهْوَتَهُ ... مِنَ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ
تَبْقَى عَوَاقِبَ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِهَا ... لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِّن بَعْدِهَا النَّارُ

قَالَ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧].

وَتَمْكِينُهُنَّ مِنَ الْجَوَّالَاتِ وَاسْتِعْمَالِ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ، كَـ (الْوَاتَس)، وَالتَّسَاهُلُ فِي خُرُوجِهِنَّ إِلَى الْأَسْوَاقِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ وَبِدُونِ مَحْرَمٍ مَّعَ كَوْنِ الْفِتْنَةِ غَيْرَ مَأْمُونَةٍ، وَفِي وُرُودِهِنَّ مَحَلَّاتِ بَيْعِ أَوْ صِيَانَةِ الْجَوَّالَاتِ الَّتِي صَارَ بَعْضُ أَصْحَابِهَا كَالذِّئَابِ الْمُفْتَرِسَةِ، يَنْهَشُونَ الْأَعْرَاضَ، وَيَسْتَبِيْحُونَ الْحُرُمَاتِ وَيُتَاجِرُونَ بِمَشَاهِدِ الزِّنَا بِالنِّسَاءِ؛ خِيَانَةً لِلْأَمَانَةِ، وَتَضْيِيْعًا لَهَا، قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

---

(١) البخاري (رقم: ٢٢١٧، و٢٦٣٥، و٣٣٥٨)، ومسلم (رقم: ٢٣٧١).

وَكَذَلِكَ التَّسَاهُلُ فِي التَّصْوِيرِ، وَهُوَ كَبِيْرَةٌ مِّنَ الْكَبَائِرِ وَمِنَ الذَّرَائِعِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى الْفَاحِشَةِ، فَلِمَاذَا تُصَوِّرُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا؟ فَتَعْصِي بِذَلِكَ رَبَّهَا وَتُعِينُ شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ عَلَى نَفْسِهَا، وَمَا الدَّاعِي إِلَى تَصْوِيرِهَا فِي حَفْلِ زِفَافِهَا وَهِيَ بِكَامِلِ زِينَتِهَا، قَدْ بَدَا مِنْهَا شَعْرُهَا وَعَضُدَاهَا، وَشَيْءٌ مِن صَدْرِهَا وَمَا الدَّاعِي أَيْضًا إِلَى احْتِفَاظِهَا بِصُوَرِهَا فِي جَوَّالِهَا وَهِيَ عَلَى هَذَا الْحَالِ، هَذَا نَوْعُ دِيَاثَةٍ أَيُّهَا النَّاسُ، يُنبِئُ عَن قِلَّةِ الْغَيْرَةِ وَضَعْفِ الْإِيمَانِ!.

قَبْلَ ظُهُورِ التَّصْوِيرِ الرَّقْمِيِّ كَانَ هُنَاكَ مَا يُعْرَفُ بِالتَّصْوِيرِ الْفُوتُوغْرَافِيِّ، يُحْتَفَظُ فِيْهِ بِالصُّوَرِ بَعْدَ الْتِقَاطِهَا فِي أَفْلَامٍ، ثُمَّ تُحَمَّضُ، فَكَانَ يُذْهَبُ بِصُوَرِ حَفَلَاتِ الزِّفَافِ إِلَى اسْتُدْيُوهَاتِ التَّصْوِيرِ؛ لِتَحْمِيضِهَا، فَيَقِفُ الْعَامِلُونَ فِي مَحَلَّاتِ التَّصْوِيرِ عَلَى تِلْكَ الصُّوَرِ، بِرِضَا الزَّوْجِ أَوِ الْأَبِ أَوِ الْأَخِ أَوِ الِابْنِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الدِّيَاثَةِ!.

أَمَّا الْآنَ فَتُصَوَّرُ حَفَلَاتُ الْأَعْرَاسِ بِالْفِيدْيُو كِلِيب، صَوْتًا وَّصُورَةً!، وَرُبَّمَا يَكُونُ الَّذِي تَوَلَّى التَّصْوِيرَ أَجْنَبِيًا مِّنَ الْمَرْأَةِ!، وَتَصِلُ بَعْضُ هَذِهِ الصُّوَرِ إِلَى مُتَنَاوَلِ الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ، وَرُبَّمَا يَعُمُّ نَشْرُهَا عَبْرَ الشَّبَكَاتِ وَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ، إِمَّا عَن طَرِيقِ مَحَلَّاتِ صِيَانَةِ الْجَوَّالِ أَوْ عَن طَرِيقِ بَرَامِجِ اسْتِعَادَةِ الْمَلَفَّاتِ الْمَحْذُوفَةِ، أَوْ عَن طَرِيقِ سُقُوطِ الذَّوَاكِرِ فِي الطُّرُقَاتِ، أَوْ رُبَّمَا بِتَعَمُّدِ نَشْرِهَا مِن قِبَلِ بَعْضِ النِّسَاءِ أَنفُسِهِنَّ، بَلْ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِن ذَلِكَ، مِن تَصْوِيرِ بَعْضِ النِّسَاءِ نَفْسَهَا فِي غُرْفَةِ النَّوْمِ أَوِ الْحَمَّامِ عَارِيَةً أَوْ شِبْهَ عَارِيَةٍ، ثُمَّ تَبْعَثُ بِهَا إِلَى عَشِيقِهَا أَوْ تَنشُرُهَا مِنْ غَيْرِ حَيَاءٍ!، فَأَيْنَ الْغَيْرَةُ؟ وَأَيْنَ حَرَارَةُ الْإِيمَانِ؟ فَإِلَى اللهِ نَشْكُو كَثْرَةَ الْخَبَثِ وَظُهُورَ الْفَسَادِ وَالتَّخَاذُلَ عَنْ حِرَاسَةِ الْفَضِيلَةِ وَصِيَانَةِ الْحُرُمَاتِ، ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١١٢].

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَلَقَدْ صَارَ التَّصْوِيرُ فِتْنَةَ الْعَصْرِ، فَهُوَ مَشْهَدٌ حَاضِرٌ فِي حَيَاةِ النَّاسِ، فِي الْبُيُوتِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْمَحَلَّاتِ التِّجَارِيَّةِ، وَعَلَى الْأَرْصِفَةِ، فِي لَوْحَاتِ الدِّعَايَةِ وَالْإِعْلَانِ، وَعَلَى عَامَّةِ الْمَصْنُوعَاتِ، وَالَّتِي مِنْهَا الْمُعَلَّبَاتُ وَالْمُقَرْطَسَاتُ، فَالْبَسْكَوِيتُ: (أَبُو وَلَدٍ)!، وَالسَّمْنُ: (أَبُو بِنتٍ)!، وَالزَّيْتُ: (شِيْف)!، أَوِ (الطَّبَّاخ)!، عَلَيْهِ صُورَةُ الطَّبَّاخِ، وَالْحَلِيبُ: (الْبَقَرِيُّ)!، عَلَيْهِ صُورَةُ بَقَرَةٍ، وَحَلِيبُ الشَّاي (الْمُمْتَازُ): عَلَيْهِ صُورَةُ امْرَأَةٍ جَذَّابَةٍ!، وَالْمُهَدِّئُ الْبَارَامُول: (أَبُو قِطٍّ)!، وَالْكَبْرِيتُ (عُودُ الثِّقَابِ): أَبُو حِصَانٍ!، وَالزَّعْفَةُ: (أَبُو أَسَدٍ)!، أَوْ: (أَبُو فِيْلٍ)!، أَوْ: (أَبُو دُبٍّ)!، وَالسَّمَكُ الْمُعَلَّبُ (التُّونَةُ) عَلَيْهِ صُوَرُ أَسْمَاكٍ!، وَالشَّامْبُو وَالصَّابُونُ عَلَيْهِ صُوَرُ نِسَاءٍ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ!، أَوْشَكُوا أَن لَّا يَصْنَعُوا شَيْئًا إِلَّا وَصَوَّرُوا فِيْهِ، فاللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ!.

وَشِعَارُ بَعْضِ الدُّوَلِ صُورَةٌ، كَشِعَارِ دَوْلَتِنَا: (الطَّيْر)، وَهُوَ يُوجَدُ عَلَى جَمِيعِ الْأَوْرَاقِ وَالْوَثَائِقِ الرَّسْمِيَّةِ الْحُكُومِيَّةِ!، وَكَذَلِكَ الْعُمُلَاتُ الْوَرَقِيَّةُ لَا تَخْلُو مِن صُوَرِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ!.

للهِ دَرُّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ حَقًّا، لَا تَجِدُ دَقِيْقَاتِ الْوَرَعِ إِلَّا عِندَهُمْ، بُيُوتُهُمْ خَالِيَةٌ مِّنَ التِّلْفَازِ وَالصُّوَرِ، وَجَوَّالَاتُهُم سَلِيْمَةٌ مِّنَ الْمَحَاذِيرِ الشَّرْعِيَّةِ، وَإِذَا اشْتَرَى أَحَدُهُم مُّعَلَّبَاتٍ، كَحَلِيبِ الشَّاي، أَو مُقَرْطَسَاتٍ، كَحَفَّاظَاتِ الْأَطْفَالِ، أَوِ الصَّابُونِ لَا يَنقَلِبُ بِهَا إِلَى بَيْتِهِ إِلَّا وَقَدْ مَزَّقَ مَا فِيهَا مِن صُوَرٍ، كَثَّرَ اللهُ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ.

إِنَّ تَوَسُّعَ النَّاسِ فِي التَّصْوِيرِ وَاقْتِنَاءِ الصُّوَرِ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَمْرٌ عَجِيْبٌ، حَتَّى صَارَتْ صُوَرُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ تُطَرَّزُ عَلَى الثِّيَابِ أَوْ تُطْبَعُ عَلَيْهَا، وَشَاعَ لُبْسُ هَذِهِ الثِّيَابِ، خَاصَّةً فِي أَوْسَاطِ الشَّبَابِ، وَمُصِيبَةٌ أُخْرَى أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الصُّوَرِ لِكُفَّارٍ، مِن مُّغَنِّيهِمْ أَوْ لَعَّابِيهِمْ أَوْ نَحْوِهِمْ.

وَهَذَا فِيهِ تَعْظِيمٌ لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ، وَتَلْمِيعٌ لَّهُمْ، وَهَدْمٌ لِّبَابِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَأَذْكُرُ أَنَّهُ فِي مُظَاهَرَاتِ وَاعْتِصَامَاتِ مَا يُعْرَفُ بِـ: (الرَّبِيعِ الْعَرَبِيِّ) الْمَشْؤُومِ كَانَ بَعْضُهُمْ هُنَا فِي الْيَمَنِ يَرْفَعُ صُوَرَ (جِيْفَارَا)، وَجِيْفَارَا هَذَا عِلْجٌ مُّلْحِدٌ مَّادِيٌّ كَافِرٌ مِّن رُؤُوسِ الِاشْتِرَاكِيَّةِ!.

أَفَبِهَذَا يُرْجَى الْفَلَاحُ أَوْ يُؤَمَّلُ النَّجَاحُ؟!، كَلَا واللهِ.

وَقد تَّكُونُ بَعْضُ هَذِهِ الصُّوَرِ الْمُطَرَّزَةِ أَوِ الْمَطْبُوعَةِ صَلِيبًا، وَهُوَ شِعَارُ النَّصَارَى الْمُشْرِكِيْنَ، وَقَدْ يَكُونُ مُصَوَّرًا عَلَى أَعْلَامِ بَعْضِ الدُّوَلِ النَّصْرَانِيَّةِ، كبِرِيْطَانِيَا، وَسُوَيْسِرا، وَالسُّوَيْدِ، أَوْ عَلَى بَعْضِ الشِّعَارَاتِ، كَشِعَارِ فَرِيقِ بَرْشَلُونَةَ لِكُرَةِ الْقَدَمِ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ!.

فِي "فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ"(م.٢)(ج١/صـ: ٤٣٥): لَا يَجُوزُ اسْتِيرَادِ الْمَطَاوِي لِلْجَيْبِ الَّتِي عَلَيْهَا الشِّعَارُ الْمَذْكُورُ وَهُوَ الصَّلِيبُ؛ لِمَا فِيْهِ مِن تَرْوِيْجِ شِعَارِ النَّصَارَى بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ.

وَفِيْهَا أَيْضًا (م.١)(ج٢٤/صـ: ١٩): إِذَا عُلِمَ بِوُجُودِ الصَّلِيبِ فِي الْمَلَابِسِ بَعْدَ شِرَائِهَا فَإِنَّهُ تَحْرُمُ الصَّلَاةُ فِيْهَا، وَتَجِبُ إِزَالَةُ الصَّلِيْبِ بِمَا يُزِيْلُ صُوْرَتَهُ بِحَكٍّ أَوْ صَبْغٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

وَفِيْهَا أَيْضًا (م.١)(ج٣/صـ: ٤٣٨): صُنْعُ الصَّلِيبِ حَرَامٌ، سَوَاءٌ كَانَ مُجَسَّمًا، أَمْ نَقْشًا، أَمْ رَسْمًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، عَلَى جِدَارٍ أَوْ فَرْشٍ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، وَلَا يَجُوزُ إِدْخَالُهُ مَسْجِدًا وَّلَا بُيُوتًا وَلَا دُورَ تَعْلِيمٍ مِّن مَّدَارِسَ وَمَعَاهِدَ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَا يَجُوزُ الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِ، بَلْ يَجِبُ الْقَضَاءُ عَلَيْهِ وَإِزَالَتُهُ بِمَا يَذْهَبُ بِمَعَالِمِهِ مِن كَسْرٍ وَّمَحْوٍ وَطَمْسٍ وَّغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا يَجُوزُ بَيْعُهُ وَلَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ.

وَفِيْهَا أَيْضًا (م.٢)(ج٢/صـ: ٤٦٦): لَا يَجُوزُ تَصْوِيرُ الصُّلْبَانِ أَوْ غَيْرِهَا مِن رُّمُوزِ الْكُفْرِ وَنَشْرُهَا فِي الْمَجَلَّاتِ وَالْإِعْلَانَاتِ، إِلَّا إِذَا قُصِدَ مِن ذَلِكَ تَعْرِيفُ الْمُسْلِمِيْنَ بِهَا لِلْحَذَرِ مِنْهَا، حَتَّى لَا يَحْصُلَ مِنْهُمُ احْتِفَاءٌ بِهَا وَتَعْظِيْمٌ لَهَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَيُقْرَنُ نَشْرُهَا بِبَيَانٍ يُّفِيْدُ ذَلِكَ.

وَلَا يَجُوزُ تَصْوِيرُ الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ الْكُفْرِيَّةِ وَلَا عَرْضُهَا عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ؛ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى الْكُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمُنَاقَضَةِ دِيْنِ الْإِسْلَامِ، وَهَذَا الْعَمَلُ أَيْضًا دَاعٍ لِّلتَّعَلُّقِ وَالتَّأَثُّرِ بِهَا، وَخُصُوصًا مِّن ضُعَفَاءِ الْإِيْمَانِ، كَمَا أَنَّ فِي ذَلِكَ أَيْضًا كَسْرًا لِّحَاجِزِ النُّفْرَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْكُفْرِ، وَمَا كَانَ هَذَا سَبِيْلَهُ فَيَجِبُ الِابْتِعَادُ عَنْهُ.ا.هـ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِلَّا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ**»،(١) فَالْجَوَابُ عَنْهُ مِن وُّجُوهٍ:

مِنْهَا: أَنَّ الْأَحَادِيْثَ الْوَارِدَةَ فِي تَحْرِيْمِ التَّصْوِيرِ وَلَعْنِ الْمُصَوِّرِيْنَ وَالتَّصْرِيْحِ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَّوْمَ الْقِيَامَةِ مُطْلَقَةٌ عَامَّةٌ، لَيْسَ فِيْهَا تَقْيِيْدٌ وَّلَا اسْتِثْنَاءٌ، فَوَجَبَ الْأَخْذُ بِهَا، وَالتَّمَسُّكُ بِعُمُومِهَا وَإِطْلَاقِهَا.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى الصُّوَرَ الْمَوْجُودَةَ فِي السُّتُورِ وَالْحِيْطَانِ غَضِبَ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وَأَمَرَ بِهَتْكِ السُّتُورِ الَّتِي فِيْهَا الصُّوَرُ وَمَحْوِ الصُّوَرِ الَّتِي فِي الْجُدْرَانِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ الْمَذْكُورَ إِنَّمَا وَرَدَ فِي سِيَاقِ الْأَحَادِيْثِ الدَّالَّةِ عَلَى امْتِنَاعِ الْمَلَائِكَةِ مِن دُخُولِ الْبَيْتِ الَّذِي فِيْهِ تَصَاوِيْرُ، وَلَمْ يَرِدْ فِي سِيَاقِ الْأَحَادِيْثِ الْمَانِعَةِ مِنَ التَّصْوِيرِ، وَفَرْقٌ عَظِيْمٌ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ قَوْلَهُ: «**إِلَّا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ**»، يَجِبُ أَن تُّحْمَلَ عَلَى النُّقُوشِ الَّتِي لَيْسَتْ بِصُوَرٍ، أَوْ عَلَى الصُّوَرِ الَّتِي قُطِعَ رَأْسُهَا أَوْ طُمِسَ، أَوِ الَّتِي فِي الثِّيَابِ الَّتِي تُمْتَهَنُ بِاتِّخَاذِهَا وَسَائِدَ

---

(١) رواه البخاري (رقم: ٥٩٥٨)، ومسلم (رقم: ٢١٠٦) من حديث أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ورواه أحمد (رقم: ١٥٩٧٩)، والترمذي (رقم: ١٧٥٠)، والنسائي (رقم: ٥٣٤٩، و ٥٣٥٠) من حديث سهل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه أيضًا: ابن حبان (رقم: ٥٨٥١)، والألباني في "غاية المرام"(رقم: ١٣٤)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٤٦٣).

وَبُسُطًا، وَنَحْوَ ذَلِكَ، لَا فِيمَا يُنصَبُ وَيُرْفَعُ كَالسُّتُورِ عَلَى الْأَبْوَابِ وَالْجُدْرَانِ وَالْمَلَابِسِ، فَإِنَّ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ صَرِيحَةٌ فِي تَحْرِيمِ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ يَمْنَعُ مِن دُخُولِ الْمَلَائِكَةِ.ا.هـ.(١)

فَإِن قَالَ قَائِلٌ: فَمَا بَالُ صُوَرِ الْبَطَائِقِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْجَوَازَاتِ؟ قِيلَ: إِثْمُهَا عَلَى مَنْ أَلْزَمَ بِهَا.

وَمِنْ عَجِيبِ تَوَسُّعِ النَّاسِ فِي التَّصْوِيرِ وَاقْتِنَاءِ الصُّوَرِ فِي هَذَا الزَّمَانِ: أَنَّ مَا لَيْسَ مِن ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ صَارَ يُصَوَّرُ عَلَى هَيْئَةِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ، فَيُجْعَلُ لِلشَّجَرَةِ أَوْ لِلسَّيَّارَةِ أَوْ لِلشَّمْسِ مَثَلًا عَيْنَانِ وَفَمٌ، حَتَّى يَبْدُوَ عَلَى هَيْئَةِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ، وَبَرَامِجُ تَعْلِيمِ الْحُرُوفِ وَالْأَرْقَامِ لِلْأَطْفَالِ، تُعْرَضُ فِي بَعْضِهَا الْحُرُوفُ وَالْأَرْقَامُ عَلَى هَيْئَةِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ.

وَنَحْمَدُ اللهَ ﷻ أَوَّلًا وَآخِرًا، بَاطِنًا وَّظَاهِرًا، عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ الشَّرَائِعِ وَأَفْضَلُهَا، فَمَا حَرَّمَ اللهُ ﷻ عَلَى عِبَادِهِ إِلَّا مَا يَعُودُ عَلَيهِم بِالضَّرَرِ وَالْحَرَجِ، كَالتَّصْوِيرِ، فَإِنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى الشِّرْكِ، كَمَا سَلَفَ بَيَانُهُ؛ وَلِهَذَا بَوَّبَ الْإِمَامُ النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْفَذِّ: التَّوحِيدِ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ)؛ لِتَعَلُّقِ التَّصْوِيرِ بِالشِّرْكِ.

وَقَد تَّقَدَّمَ أَنَّ أَوَّلَ شِرْكٍ ظَهَرَ فِي الْأَرْضِ سَبَبُهُ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِيْنَ وَالتَّصْوِيْرُ، وَقَدْ عَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْعِجْلَ الَّذِي اتَّخَذَهُ لَهُمُ السَّامِرِيُّ بَعْدَ أَنْ آتَاهُمُ اللهُ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾[الأعراف: ١٤٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾[طه: ٨٨ - ٩١].

(١) "مجموع فتاوى ابن باز"(ج٣/صـ: ٢٢٤-٢٢٥).

وَكَانَ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ مِن دُونِ اللهِ، كَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ، وَهُبَلَ، وَإِسَافَ، وَنَائِلَةَ، وَيَقُولُونَ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر: ٣].

وَالنَّصَارَى يَعْبُدُونَ الصَّلِيبَ، وَيَلْبَسُونَهُ، وَيَتَوَسَّعُونَ فِي تَصْوِيرِهِ، وَقَدْ صَارَ شِعَارًا لَهُمْ!.

وَبَعْضُ النَّاسِ فِي الْهِندِ الْآنَ يَعْبُدُونَ فَرْجَ الْمَرْأَةِ!، وَيَصْطَحِبُ أَحَدُهُم مَّعَهُ صُورَةَ مَعْبُودِهِ (فَرْجِ الْمَرْأَةِ)!.

اللَّهُمَّ ادْفَعْ عَنَّا الْغَلَاءَ وَالْوَبَاءِ وَالرِّبَا وَالزِّنَا وَالْفَوَاحِشَ وَالْفِتَنَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ.

اللواط

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف:٣٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الأنعام:١٥١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الشورى: ٣٧].

وَمِن جُمْلَةِ الْفَوَاحِشِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ ﷻ حُرْمَةً شَدِيْدَةً أَكِيْدَةً: اللِّوَاطُ، وَهُوَ إِتْيَانُ الذَّكَرِ ذَكَرًا مِثْلَهُ!.

وَأَوَّلُ مَن جَاءَ بِهَذِهِ الْفَاحِشَةِ قَوْمُ لُوطٍ؛ وَلِهَذَا سُمِّيَتْ هَذِهِ الْفَاحِشَةُ: (اللِّوَاطَ)، أَيْ: عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ ﷻ قِصَّةَ قَوْمِ لُوْطٍ فِي ثَمَانِ مَوَاضِعَ مِن كِتَابِهِ الْكَرِيْمِ.

ذَكَرَهَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[الأعراف: ٨٠ - ٨١].

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَن فُتِنَ بِهَذِهِ الْفِتْنَةِ يَعْزِفُ عَنِ النِّسَاءِ وَيَصْرِفُ شَهْوَتَهُ إِلَى الرِّجَالِ.

قَالَ ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[الأعراف: ٨٢ - ٨٤].

وَذَكَرَهَا فِي سُورَةِ هُودٍ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰٓ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[هود: ٦٩ - ٧٨].

﴿ يُهْرَعُونَ ﴾، أَيْ: يُسْرِعُونَ إِلَيْهِ.

قَالَ ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾[هود: ٧٨].

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿ بَنَاتِى ﴾: أَيْ نِسَاءُ قَوْمِي؛ لِأَنَّهُنَّ بِمَنْزِلَةِ بَنَاتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَفْسِهِ: «**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ**». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم: ٨) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ [هود: ٧٨ - ٧٩].

أَرَادُوا أَضْيَافَهُ، الَّذِيْنَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَلَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، جَاءُوا عَلَى هَيْئَةِ رِجَالٍ حِسَانِ الْوُجُوهِ، وَلَمْ يَكُن لُّوطٌ أَيْضًا يَّعْلَمُ أَنَّهُم مَّلَائِكَةٌ؛ فَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[هود: ٨٠].

رَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٣٧٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم:١٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»**.

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[هود: ٨١ – ٨٣].

وَقَالَ ﷻ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾[النجم: ٥٣]، أي: أَسْقَطَهَا بَعْد رَفْعهَا إِلَى السَّمَاء مَقْلُوبَة إِلَى الْأَرْض، بِأَمْرِهِ جِبْرِيل بِذَلِك، ﴿فَغَشَّاهَا﴾[النجم: ٥٤] مِنْ الْحِجَارَة بَعْد ذَلِكَ ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٤].

وَذَكَرَهَا فِي سُورَةِ الْحِجْرِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ

جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾[الحجر: ٤٩ - ٧٧].

وَذَكَرَهَا فِي سُوْرَةِ الْأَنبِيَاءِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأنبياء:٧٤-٧٥].

وَذَكَرَهَا فِي سُوْرَةِ الشُّعَرَاءِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٧٥].

وَذَكَرَهَا فِي سُوْرَةِ النَّمْلِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [النمل: ٥٤ - ٥٨].

وَذَكَرَهَا فِي سُوْرَةِ الْعَنكَبُوتِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٨ - ٣٥].

وَذَكَرَهَا فِي سُوْرَةِ الْقَمَرِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٣٣ - ٤٠].

﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: مَحَاهَا، وَجَعَلَهَا بِلَا شَقٍّ، كَسَائِرِ الْوَجْهِ.

وَمَا اسْتَحَقَّ قَوْمُ لُوْطٍ هَذِهِ الْعُقُوبَةَ إِلَّا لِعِظَمِ جُرْمِهِمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّ اللِّوَاطَ جَرِيْمَةٌ، وَفَاحِشَةٌ شَنِيْعَةٌ؛ فَهِيَ وَالزِّنَا أَعْظَمُ الْفَوَاحِشِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَعْظَمُهَا ضَرَرًا عَلَى الدِّيْنِ وَالْمُرُوءَةِ وَالْأَخْلَاقِ.

فَضَرَرُهَا عَلَى الدِّيْنِ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّهَا مِن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَقَد دَلَّ عَلَى عِظَمِ حُرْمَتِهَا: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ"(ج١/صـ:٦٤): وَلَكِنَّ نَجَاسَةَ الزِّنَا وَاللِّوَاطِ أَغْلَظُ مِنْ غَيْرِهِمَا مِنَ النَّجَاسَاتِ، مِن جِهَةِ أَنَّهَا تُفْسِدُ الْقَلْبَ، وَتُضْعِفُ تَوْحِيْدَهُ

جِدًّا، وَلِهَذَا كَانَ أَحْظَى النَّاسِ بِهَذِهِ النَّجَاسَةِ أَكْثَرُهُمْ شِرْكًا، فَكُلَّمَا كَانَ الشِّرْكُ فِي الْعَبْدِ أَغْلَبَ كَانَتْ هَذِهِ النَّجَاسَةُ وَالْخَبَائِثُ فِيهِ أَكْثَرَ.

وَقَالَ (ج١/صـ:٦٥): فَلَيْسَ فِي الذُّنُوبِ أَفْسَدُ لِلْقَلْبِ وَالدِّينِ مِنْ هَاتَيْنِ الْفَاحِشَتَيْنِ، وَلَهُمَا خَاصِّيَّةٌ فِي تَبْعِيدِ الْقَلْبِ مِنَ اللهِ؛ فَإِنَّهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الْخَبَائِثِ.ا.هـ.

وَأَمَّا أَضْرَارُ اللِّوَاطِ الْخُلُقِيَّةُ، فَإِنَّهُ: يُسَبِّبُ قِلَّةَ الْحَيَاءِ.

فَلَا واللهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ ... وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي ... وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ

وَيُسَبِّبُ سُوءَ الْخُلُقِ، وَقَسْوَةَ الْقَلْبِ، وَيُذْهِبُ الْمُرُوءَةَ وَالنَّخْوَةَ وَالْكَرَامَةَ، وَرُبَّمَا قَادَ إِلَى جَرَائِمَ أُخْرَى، كَالتَّعَلُّقِ بِالْمُسْكِرَاتِ، وَيُسْقِطُ فَاعِلَهُ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَيَصِيرُ مَمْقُوتًا.

وَمِن شَأْنِ اللِّوَاطِ أَن يَصْرِفَ الرَّجُلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، وَقَدْ يَبْلُغُ بِهِ الْأَمْرُ إِلَى حَدِّ الْعَجْزِ عَن مُبَاشَرَتِهَا، وَبِذَلِكَ تَتَعَطَّلُ أَهَمُّ وَظِيفَةٍ مِن وَظَائِفِ الزَّوَاجِ، وَهِيَ إِيْجَادُ النَّسْلِ.

وَمِنْ أَضْرَارِ اللِّوَاطِ أَيْضًا: مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٤٠١٩)، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ (رقم:٨٦٢٣)، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا»**، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.(١)

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ (رقم: ٦٣٩٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ قَطُّ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، وَلَا فَشَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا أَخَذَهُمُ اللهُ بِالْمَوْتِ».

قَالَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الصَّحِيحَةِ"(ج١/صـ:٢١٩): «وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَهُوَ مَوْقُوفٌ فِي حُكْمِ الْمَرْفُوعِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ مِن قِبَلِ الرَّأْيِ».

---

(١) وراجع: "الصحيحة"(رقم: ١٠٦، و١٠٧).

وَقَدْ جُعِلَتْ عُقُوبَةُ اللِّوَاطِ أَن يُقْتَلَ الْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ بِهِ، سَوَاءٌ أَكَانَا مُحْصَنَيْنِ أَمْ لَا، وَهَذِهِ الْعُقُوبَةُ تَدُلُّ عَلَى عِظَمِ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ، وَالْمَفْعُولَ بِهِ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٧٣٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٤٦٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ١٤٥٦)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٢٥٦١).

وَهَذَا الْحَدِيثُ وَإِن كَانَ فِي سَنَدِهِ مَقَالٌ، لَكِن يَعْضُدُهُ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ صَحَّحَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْحُفَّاظِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الْجَوَابِ الْكَافِي"(صـ: ١٦٤): وَحَدُّ الزَّانِي الْمُحْصَنِ مُشْتَقٌّ مِنْ عُقُوبَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِقَوْمِ لُوطٍ بِالْقَذْفِ بِالْحِجَارَةِ، وَذَلِكَ لِاشْتِرَاكِ الزِّنَا وَاللِّوَاطِ فِي الْفُحْشِ، وَفِي كُلٍّ مِنْهُمَا فَسَادٌ يُنَاقِضُ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، فَإِنَّ فِي اللِّوَاطِ مِنَ الْمَفَاسِدِ مَا يَفُوتُ الْحَصْرَ وَالتَّعْدَادَ، وَلَأَنْ يُقْتَلَ الْمَفْعُولُ بِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُؤْتَى، فَإِنَّهُ يَفْسَدُ فَسَادًا لَا يُرْجَى لَهُ بَعْدَهُ صَلَاحٌ أَبَدًا، وَيَذْهَبُ خَيْرُهُ كُلُّهُ، وَتَمَصُّ الْأَرْضُ مَاءَ الْحَيَاءِ مِنْ وَجْهِهِ، فَلَا يَسْتَحِي بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ وَلَا مِنْ خَلْقِهِ، وَتَعْمَلُ فِي قَلْبِهِ وَرُوحِهِ نُطْفَةُ الْفَاعِلِ مَا يَعْمَلُ السُّمُّ فِي الْبَدَنِ.ا.هـ.

وَلِي قَصِيدَةٌ فِي اللِّوَاطِ، قُلْتُ فِيهَا:

حِمَامُ الْمَوْتِ لَا قَرْعُ السِّيَاطِ ... عَلَى مَن لَجَّ فِي دِينِ اللِّوَاطِ
فَيُقْتَلُ فَاعِلٌ بِخَنَاهُ حَدًّا ... وَمَفْعُولٌ بِهِ قَتْلَ الْعِبَاطِ
أَمَا اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ خَيْرُ قَرْنٍ ... وَهُمْ كَانُوا عَلَى أَهْدَى صِرَاطِ
عَلَى هَذَا وَلَكِنْ خُلْفُهُمْ فِي ... صِفَاتِ الْقَتْلِ مِنْ غَيْرِ اشْتِطَاطِ
تَذَكَّرْ قَوْمَ لُوطٍ مَا دَهَاهُمْ ... مِنَ الْجَبَّارِ فِي وَقْتِ الْغُطَاطِ
عَذَابٌ مِّنْهُ لَمْ يُجْمَعْ لِقَوْمٍ ... سِوَاهُمْ حِينَ لَجُّوا فِي انْخِرَاطِ
بِتَرْكِهِمُ النِّسَاءَ فَلَا تَشَهِّي ... وَإِتْيَانِ الذُّكُورِ عَلَى نَشَاطِ

فَأَنزَلَ رَبُّهُمْ رِجْزًا عَلَيْهِمْ وَأَمْطَرَهُمْ بِأَحْجَارِ فِرَاطِ
مُسَوَّمَةً فَدَمَّرَهَا عَلَيْهِمْ وَأَبْدَلَ عَالِيًا مِنْهَا بِوَاطِي
بِرَبِّكَ صُنْ جَنَابَكَ كُلَّ حِينٍ وَكُنْ مِمَّا يَشِينُكَ فِي احْتِيَاطِ
لِزَامًا مَنْ هَوَى الْمُرْدَانَ يَهْوِي بِهِ يَا صَاحِ فِي أَدْنَى انحِطَاطِ
فَقُبْحًا لِّلُوَاطِ وَسَاءَ فُحْشًا وَوَاعَجَبَاهُ مِنْ هَذَا التَّعَاطِي
مَفَاسِدُهُ تَفُوتُ الْحَصْرَ مِنْهَا لَحَاقُ ذَوِي التَّلَوُّطِ بِالسِّقَاطِ
وَتَفْعَلُ نُطْفَةٌ مِّن ذِي فِعَالٍ بِمَفْعُولٍ بِهِ فِعْلَ الْخُبَاطِ
وَيَذْهَبُ خَيْرُهُ وَيَزُولُ عَنْهُ الْـ حَيَاءُ فَبِئْسَ مُنحَلُّ الرِّبَاطِ
وَيَمْحُو عَارَهُ فِي الْأَرْضِ طُرًّا وُلُوجُ الْبَكْرِ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ!
حِمَامُ الْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ لِمَن قَدْ لَجَّ فِي دِينِ اللِّوَاطِ

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

◄ فَإِنَّ مِنَ الْوَاجِبِ سَدَّ كُلِّ طَرِيْقٍ يُّفْضِي إِلَى انتِشَارِ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ، وَذَلِكَ بِطَاعَةِ اللهِ ﷻ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَسْتَحْوِذُ عَلَى مَن نَّسِيَ ذِكْرَ اللهِ وَغَفَلَ عَن طَاعَتِهِ.

◄ وَيَجِبُ الْعِنَايَةُ بِالْأَوْلَادِ، وَلَا يَجُوزُ إِهْمَالُهُمْ؛ فَقَدْ يَتَعَاطَى بَعْضُ الْأَوْلَادِ هَذِهِ الْفَاحِشَةَ؛ بِسَبَبِ إِهْمَالِ الْآبَاءِ، وَرُبَّمَا تَعَلَّقَ مِن صِغَرِهِ بِهَذِهِ الْفَاحِشَةِ، فَيَرْبُو عَلَيْهَا.

◄ فَيَجِبُ إِبْعَادُهُمْ عَن قُرَنَاءِ السُّوءِ، وَعَلَى الْآبَاءِ تَرْبِيَةُ أَبْنَائِهِمْ عَلَى الْفُحُولَةِ وَالْخُشُونَةِ وَالرُّجُولَةِ، وَعَدَمِ التَّكَسُّرِ، وَإِبْعَادُهُمْ عَن مَجَالِسِ النِّسَاءِ؛ فَإِنَّهُمْ رُبَّمَا تَأَثَّرُوا بِطَبَائِعِهِنَّ، فَيُورِثُهُمْ ذَلِكَ تَكَسُّرًا!.

◄ وَالتَّكَسُّرُ وَالتَّشَبُّهُ بِالنِّسَاءِ كَبِيْرَةٌ مِّن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، فَفِي صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ (رقم: ٥٨٨٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالَ: «**أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ**».

◄ اشْغَلْ بَنِيْكَ بِالْخَيْرِ، وَإِلَّا شُغِلُوا بِالْبَاطِلِ.

إِنَّ الشَّبَابَ وَالفَرَاغَ وَالْجِدَهْ مَفْسَدَةٌ لِّلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ

◄ وَقَدْ يَكُونُ مِنْ أَسْبَابِ الْوُقُوعِ فِي فَاحِشَةِ اللِّوَاطِ: السِّحْرُ وَالْمَسُّ؛ فَإِنَّهُ رُبَّمَا تَلَبَّسَ بِالْإِنسَانِ الْمُصَابِ: شَيْطَانٌ لُّوطِيٌّ، فَيُكْسِبُهُ مِنْ خِصَالِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى تَقْوَى وَمُجَاهَدَةٍ، وَرُبَّمَا كَانَ السِّحْرُ مَوْضُوعًا لِهَذَا الْغَرَضِ؛ لِجَرِّ الْمَسْحُورِ إِلَى هَذِهِ الرَّذِيْلَةِ؛ نِكَايَةً بِهِ.

◄ وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ: إِطْلَاقُ النَّظَرِ فِيْمَا حَرَّمَ اللهُ، وَالْفِتْنَةُ بِالْمُرْدَانِ؛ وَلِهَذَا يَحْرُمُ النَّظَرُ إِلَى الْأَمْرَدِ، قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الْمَجْمُوعِ شَرْحِ الْمُهَذَّبِ"(ج٤/صـ:٢٧٨): «وَأَمَّا الْأَمْرَدُ الْحَسَنُ فَلَمْ أَرَ لِأَصْحَابِنَا – يَعْنِي الشَّافِعِيَّةَ – كَلَامًا فِي الْخَلْوَةِ بِهِ، وَقِيَاسُ الْمَذْهَبِ أَنَّهُ يَحْرُمُ الْخَلْوَةُ بِهِ، كَمَا قَالَ الْمُصَنِّفُ وَالْجُمْهُورُ، وَنَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، أَنَّهُ يَحْرُمُ النَّظَرُ إِلَيْهِ، وَإِذَا حَرُمَ النَّظَرُ فَالْخَلْوَةِ أَوْلَى؛ فَإِنَّهَا أَفْحَشُ وَأَقْرَبُ إِلَى الْمَفْسَدَةِ، وَالْمَعْنَى الْمَخُوفُ فِي الْمَرْأَةِ مَوْجُودٌ.

وَقَالَ أَيْضًا (ج٤/صـ:٦٣٥): وَيَنبَغِي أَن تُحْذَرَ مِن مُّصَافَحَةِ الْأَمْرَدِ الْحَسَنِ؛ فَإِنَّ النَّظَرَ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ حَرَامٌ عَلَى الصَّحِيحِ الْمَنْصُوصِ، وَبِهِ قَطَعَ الْمُصَنِّفُ فِي أَوَّلِ كِتَابِ النِّكَاحِ، وَقَدْ قَالَ أَصْحَابُنَا: كُلُّ مِنْ حُرِّمَ النَّظَرُ إِلَيْهِ حُرِّمَ مَسُّهُ.

وَقَالَ (ج٤/صـ:٦٣٧-٦٣٨): وَأَمَّا الْمُعَانَقَةُ وَتَقْبِيلُ وَجْهِ غَيْرِ الْقَادِمِ مِنْ سَفَرٍ وَنَحْوِهِ غَيْرِ الطِّفْلِ فَمَكْرُوهَانِ، صَرَّحَ بِكَرَاهَتِهِمَا الْبَغَوِيّ وَغَيْرُهُ، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا فِي التَّقْبِيلِ وَالْمُعَانَقَةِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ عِنْدَ الْقُدُومِ مِنْ سَفَرٍ وَنَحْوِهِ وَمَكْرُوهٌ فِي غَيْرِهِ هُوَ فِي غَيْرِ الْأَمْرَدِ الْحَسَنِ الْوَجْهِ، فَأَمَّا الْأَمْرَدُ الْحَسَنُ فَيَحْرُمُ بِكُلِّ حَالٍ تَقْبِيلُهُ، سَوَاءٌ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ أَمْ لَا،

وَالظَّاهِرُ أَنَّ مُعَانَقَتَهُ قَرِيبَةٌ مِنْ تَقْبِيلِهِ، وَسَوَاءٌ كَانَ الْمُقَبِّلُ وَالْمُقَبَّلُ صَالِحَيْنِ أَوْ غَيْرَهُمَا، وَيُسْتَثْنَى مِنْ هَذَا تَقْبِيلُ الْوَالِدِ وَالْوَالِدَةِ وَنَحْوِهِمَا مِنْ الْمَحَارِمِ عَلَى سَبِيلِ الشَّفَقَةِ.

وَقَالَ (ج٨/صـ:٤٧): يَحْرُمُ النَّظَرُ إلَى الْأَمْرَدِ وَالْحَسَنِ بِكُلِّ حَالٍ إلَّا لِحَاجَةٍ شَرْعِيَّةٍ.ا.هـ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَكَذَلِكَ النَّظَرُ إلَى الْأَمْرَدِ بِشَهْوَةٍ هُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَحْرِيمِ ذَلِكَ، كَمَا اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ النَّظَرِ إلَى الْأَجْنَبِيَّةِ وَذَوَاتِ الْمَحَارِمِ بِشَهْوَةٍ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ بَعْضُ التَّابِعِينَ: مَا أَنَا عَلَى الشَّابِّ التَّائِبِ مِنْ سَبُعٍ يَجْلِسُ إلَيْهِ بِأَخْوَفَ عَلَيْهِ مِنْ حَدَثٍ جَمِيلٍ يَجْلِسُ إلَيْهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّقُوا النَّظَرَ إلَى أَوْلَادِ الْمُلُوكِ؛ فَإِنَّ فِتْنَتَهُمْ كَفِتْنَةِ الْعَذَارَى. وَمَا زَالَ أَئِمَّةُ الْعِلْمِ وَالدِّينِ يُوَصُّونَ بِتَرْكِ صُحْبَةِ الْأَحْدَاثِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَا سَقَطَ عَبْدٌ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ إلَّا ابْتَلَاهُ بِصُحْبَةِ هَؤُلَاءِ الْأَنْتَانِ.ا.هـ.(١)

وَرُبَّمَا كَانَتِ الْفِتْنَةُ بِبَعْضِ الْمُرْدَانِ الْحِسَانِ أَعْظَمَ من الْفِتْنَةِ بِبَعْضِ النِّسَاءِ، قَالَ الْمُوَفَّقُ عَبْدُ اللَّطِيفُ – كَمَا فِي "سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ"(ج٢١/صـ:٢٩٣) – فِي تَرْجَمَةِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ عُثْمَانَ بْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّيْنِ الْأَيُّوْبِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بَلَغَ مِنْ عفَّته أَنَّهُ كَانَ لَهُ غُلَامٌ تُرْكِيٌّ، بِأَلْف دِيْنَار، يُقَالُ لَهُ: أَبُو شَامَةَ، فَوَقَفَ، فَرَاعَهُ حُسْنُه، فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْزِعَ ثِيَابَهُ، وَجَلَسَ مِنْهُ مَجْلِس الخَنَا، فَأَدْرَكَهُ تَوفِيقٌ، فَأَسْرَعَ إِلَى سُرِّيَّة لَهُ، فَقضَى وَطَرَهُ.ا.هـ.

فَاحْذَرْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ إِطْلَاقَ النَّظَرِ فِي الْمُحَرَّمَاتِ عَلَى الْوَاقِعِ، وَفِي التِّلْفَازِ وَشَاشَاتِ الْجَوَّالَاتِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَحْصَرِ الطُّرُقِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى خَرَابِ الْقُلُوبِ وَفَسَادِ الطَّوِيَّةِ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيْلَ:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

(١) "مجموع الفتاوى"(١٥ج/ صـ: ٤١٥، وصـ: ٤٢٠).

كَمْ نَظْرَةٍ فتكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا ... فَتْكَ السِّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرِ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا ... فِي أَعْيُنِ الْغِيدِ مَوْقُوفٌ عَلَى خَطَرِ
يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ ... لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ

وَسَدًّا لِذَرَائِعِ الْفِتْنَةِ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ عِبَادَهُ بِالْغَضِّ مِنَ الْأَبْصَارِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٦٥٧).

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٢٤٣، و٦٦١٢) دُونَ ذِكْرِ الْأُذُنَيْنِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢١٥٩) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **«سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي»**.

وَمِن جُمْلَةِ الْفَوَاحِشِ أَيُّهَا النَّاسُ، وَالَّتِي لَهَا صِلَةٌ بِاللِّوَاطِ: إِتْيَانُ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ فَاحِشَةٌ، مُخَالِفٌ لِلشَّرْعِ وَالْفِطْرَةِ وَالْمُرُوءَةِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الَّذِي يَأْتِي امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا، لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٧٦٨٤)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٩٢٣).(١)

وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (رقم: ١١٦٥) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ (رقم: ٤٢٠٣)، وَالضِّيَاءُ فِي "الْمُخْتَارَةِ"(ج١٣/ص:٤٣)(رقم: ٦١، و٦٢).

(١) وصححه البوصيري في "مصباح الزجاجة"(رقم: ٦٩٠)، والألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ١٨٧٨).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٩٧٣٣، و ١٠٢٠٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٢١٦٢). وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ" (رقم: ١٨٧٨).

وَفِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**هِيَ اللُّوطِيَّةُ الصُّغْرَى**»، يَعْنِي الرَّجُلَ يَأْتِي امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٦٧٠٧، و٦٩٦٧، و٦٩٦٨)، وَظَاهِرُ إِسْنَادِهِ الْحُسْنُ، لَكِنْ أَعَلَّهُ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ بِالْوَقْفِ.

فَكَمَا أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ اللِّوَاطِ يَصْرِفُ هِمَّةَ الرَّجُلِ عَنِ الْمَرْأَةِ، وَقَدْ يُعَطِّلُ أَهَمَّ وَظِيفَةٍ مِن وَظَائِفِ الزَّوَاجِ، وَهِيَ إِيْجَادُ النَّسْلِ، فَهُوَ كَذَلِكَ يُسَبِّبُ أَضْرَارًا ظَاهِرَةً عَلَى الْأَعْضَاءِ التَّنَاسُلِيَّةِ.

وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ اللِّوَاطِ يَنبَغِي أَن يُشَاعَ التَّحْذِيرُ مِنْهُ، وَأَلَّا يُتَحَرَّجَ مِن ذَلِكَ، لَا سِيَّمَا مَعَ انتِشَارِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا دِينٌ، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾[الأحزاب: ٥٣].

وَمِمَّا يَجِبُ أَن يُعْلَمَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحَرْثِ هُنَا: الْقُبُلُ، الَّذِي هُوَ مَحَلُّ خُرُوجِ الْوَلَدِ.

وَيُبَيِّنُ هَذَا أَيْضًا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِۖ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وَيُبَيِّنُهُ أَيْضًا سَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ، فَعَن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ: إِذَا جَامَعَهَا مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الوَلَدُ أَحْوَلَ، فَنَزَلَتْ: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢٣]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٥٢٨)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٤٣٥).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «فِي قُبُلِهَا».

وَقَدْ بَوَّبَ عَلَيْهِ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: (بَابُ جَوَازِ جِمَاعِهِ امْرَأَتَهُ فِي قُبُلِهَا، مِن قُدَّامِهَا، وَمِن وَرَائِهَا مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِلدُّبُرِ).

خصائص العدد سبعة

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٤ - ٩٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣]، قَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الْعَدَدُ، مِنْهُ شَفْعٌ، وَمِنْهُ وَتْرٌ.

وَقَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَعُمَّانِ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، شَفْعَهَا وَوَتْرَهَا، وَالشَّفْعُ: الزَّوْجُ، وَالْوَتْرُ: الْفَرْدُ.

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا غِنَى لِلنَّاسِ عَنِ الْعَدِّ وَالْإِحْصَاءِ، مِن قَدِيمٍ وَحَدِيثٍ، سَوَاءٌ فِي الْعِبَادَاتِ أَوْ فِي الْمُعَامَلَاتِ، فَالْعَدُّ ضَرُورَةٌ مِنَ الضَّرُورَاتِ.

وَالْأَعْدَادُ الزَّوْجِيَّةُ مَا كَانَتْ تَقْبَلُ الْقِسْمَةَ عَلَى اثْنَيْنِ مِنْ غَيْرِ بَاقٍ، وَهِيَ: الِاثْنَانِ وَمُضَاعَفَاتُهَا، أَرْبَعَةٌ، وَسِتَّةٌ، وَثَمَانِيَةٌ، وَهَكَذَا.

وَالْأَعْدَادُ الْفَرْدِيَّةُ مَا لَا يَقْبَلُ الْقِسْمَةَ عَلَى اثْنَيْنِ إِلَّا بِبَوَاقِي، وَهِيَ: الْوَاحِدُ، وَالثَّلَاثَةُ، وَالْخَمْسَةُ، وَالسَّبْعَةُ، وَهَكَذَا.

وَالْأَعْدَادُ الْفَرْدِيَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَعْدَادِ الزَّوْجِيَّةِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:٦٤١٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم:٢٦٧٧).

فَمِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى: (الْوِتْرُ)، وَ(الْوَاحِدُ)، وَ(الْأَحَدُ)، وَمَعْنَى الْوِتْرُ: الْوَاحِدُ الَّذِي لَا شَرِيْكَ لَهُ.

وَأَفْضَلُ الْأَعْدَادِ الْفَرْدِيَّةِ: الْوَاحِدُ، وَالثَّلَاثَةُ، وَالْخَمْسَةُ، وَالسَّبْعَةُ، وَقَدْ وَقَعَتْ تَقْدِيْرًا فِي عِبَادَاتٍ كَثِيْرَةٍ، فَفِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا»**.

وَعِنْدَ أَحْمَدَ وَأَصْحَابِ السُّنَنِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ، أَوْتِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ»**.(١)

يُقَالُ: وَتْرٌ، وَوِتْرٌ، بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ.

وَفِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«وَمَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ»**.(٢)

---

(١) "المسند"(رقم: ٨٧٧، و١٢١٤، و١٢٢٥، و١٢٢٨، و١٢٦٢)، و"سنن أبي داود"(رقم: ١٤١٦)، و"سنن الترمذي"(رقم: ٤٥٣، و٤٥٤)، و"سنن النسائي"(رقم: ١٦٧٥، و١٦٧٦)، و"سنن ابن ماجه"(رقم: ١١٦٩).

وصححه محدثا العصر الإمامان: الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح أبي داود"(رقم: ١٢٧٤)، والوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٩٦٥).

(٢) البخاري (رقم: ١٦١، و١٦٢)، ومسلم (رقم: ٢٣٧).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (رقم: ٩٥٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لاَ يَغْدُو يَوْمَ الفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ، وَيَأْكُلُهُنَّ وِتْرًا**».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تُوُفِّيَتْ إِحْدَى بَنَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**اغْسِلْنَهَا وِتْرًا: ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، إِنْ رَأَيْتُنَّ، وَاغْسِلْنَهَا بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ كَافُورًا، أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ**».(١)

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَعْنَى «**يُحِبُّ الْوِتْرَ**»: تَفْضِيلُ الْوِتْرِ فِي الْأَعْمَالِ وَكَثِيرٍ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَجَعَلَ الصَّلَاةَ خَمْسًا، وَالطَّهَارَةَ ثَلَاثًا، وَالطَّوَافَ سَبْعًا، وَالسَّعْيَ سَبْعًا، وَرَمْيَ الْجِمَارِ سَبْعًا، وَأَيَّامَ التَّشْرِيقِ ثَلَاثًا، وَالِاسْتِنْجَاءَ ثَلَاثًا، وَكَذَا الْأَكْفَانُ، وَفِي الزَّكَاةِ خَمْسَةُ أَوْسُقٍ، وَخَمْسُ أَوَاقٍ مِنَ الْوَرِقِ، وَنِصَابُ الْإِبِلِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَجَعَلَ كَثِيرًا مِنْ عَظِيمِ مَخْلُوقَاتِهِ وِتْرًا: مِنْهَا السَّمَاوَاتُ، وَالْأَرْضُونَ، وَالْبِحَارُ، وَأَيَّامُ الْأُسْبُوعِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَاهُ مُنْصَرِفٌ إِلَى صِفَةِ مَنْ يَعْبُدِ اللَّهَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالتَّفَرُّدِ مُخْلِصًا لَهُ.ا.هـ.

وَمِن جُمْلَةِ الْأَعْدَادِ الْوِتْرِيَّةِ الْفَرْدِيَّةِ وَمِنْ خِيَرَتِهَا: الْعَدَدُ (سَبْعَةٌ)، وَلِهَذَا الْعَدَدِ خَوَاصُّ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الطِّبِّ النَّبَوِيِّ مِنَ "الزَّادِ"(ج٤/صـ:٩١-٩٢): فَلَا رَيْبَ أَنَّ لِهَذَا الْعَدَدِ خَاصِّيَّةً لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ، وَالسَّبْعَةُ جَمَعَتْ مَعَانِيَ الْعَدَدِ كُلِّهِ وَخَوَاصَّهُ، فَإِنَّ الْعَدَدَ شَفْعٌ وَوَتْرٌ، وَالشَّفْعُ أَوَّلٌ وَثَانٍ، وَالْوَتْرُ كَذَلِكَ، فَهَذِهِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ: شَفْعٌ أَوَّلٌ وَثَانٍ، وَوَتْرٌ أَوَّلٌ وَثَانٍ، وَلَا تَجْتَمِعُ هَذِهِ الْمَرَاتِبُ فِي أَقَلَّ مِن سَبْعَةٍ، وَهِيَ عَدَدٌ كَامِلٌ، جَامِعٌ لِمَرَاتِبِ الْعَدَدِ الْأَرْبَعَةِ، أَعْنِي الشَّفْعَ وَالْوَتْرَ، وَالْأَوَائِلَ وَالثَّوَانِيَ، وَنَعْنِي بِالْوَتْرِ الْأَوَّلِ: الثَّلَاثَةَ، وَبِالثَّانِي الْخَمْسَةَ، وَبِالشَّفْعِ الْأَوَّلِ: الِاثْنَيْنِ، وَبِالثَّانِي الْأَرْبَعَةَ.ا.هـ.

وَقَدْ وَقَعَ لِلْعَدَدِ سَبْعَةٍ مِنَ الْخَوَاصِّ قَدَرًا وَشَرْعًا شَيْءٌ كَثِيرٌ، فَمِنْ خَوَاصِّ الْعَدَدِ (سَبْعَةٍ) قَدَرًا وَكَوْنًا:

---

(١) البخاري (رقم: ١٢٥٣، و١٢٥٤، و١٢٥٨، و١٢٦١، و١٢٦٣)، ومسلم (رقم: ٩٣٩).

◄ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا، وَالْأَرَضِيْنَ سَبْعًا، قَالَ ﷻ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾ [فصلت: ١٢]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]، وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ [الملك: ٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا﴾ [نوح: ١٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، الْآيَة.

وَعَن سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِّنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَفِيهِمَا أَيْضًا عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ، وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ، اجْتَنِبِ الْأَرْضَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»**.(٢)

وَمَعْنَى: (يُطَوَّقُهُ): يُجْعَلُ فِي عُنُقِهِ كَالطَّوْقِ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (رقم: ٢٤٥٤، و٣١٩٦) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، خُسِفَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ»**.

◄ وَجَعَلَ اللهُ ﷻ الْأَيَّامَ سَبْعًا، وَسَخَّرَ اللهُ الرِّيْحَ عَلَى عَادٍ ﴿سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾ [الحاقة: ٧].

◄ وَرَأَى الْمَلِكُ فِي زَمَانِ يُوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَنَامِهِ: ﴿سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ﴾[يوسف: ٤٣]، فَأَوَّلَهَا يُوْسُفُ بِقَوْلِهِ:

(١) البخاري (رقم: ٣١٩٨)، ومسلم (رقم: ١٦١٠).
(٢) البخاري (رقم: ٣١٩٥)، ومسلم (رقم: ١٦١٢).

﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧ - ٤٩].

◄ وَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَوْمِهِ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا، فَقَالَ: «**اللهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ**». قَالَ: فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ مِنَ الْجُوعِ، وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ أَحَدُهُمْ فَيَرَى كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَبِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللهَ لَهُمْ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٠ - ١٥].

قَالَ: أَفَيُكْشَفُ عَذَابُ الْآخِرَةِ؟ ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]، فَالْبَطْشَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ، وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ، وَآيَةُ الرُّومِ.(١)

◄ وَجَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَبْوَابَ النَّارِ سَبْعَةً، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

◄ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (برقم: ٢٨٤٢) مَرْفُوعًا، وَالرَّاجِحُ وَقْفُهُ، لَكِن لَهُ حُكْمُ الرَّفْعِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ مِن قَبِيلِ الرَّأْيِ.

(١) البخاري (برقم: ١٠٠٧، و٤٨٢٤)، ومسلم (برقم: ٢٧٩٨).

◄ وَفِي الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ: مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٩٢٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا، فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ».

◄ وَلَهُ أَيْضًا (رقم: ٢٩٤٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ».

وَمِمَّا وَرَدَ لِلسَّبْعَةِ مِنَ الْخَصَائِصِ شَرْعًا فِي بَابِ الْفَضَائِلِ:

◄ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَضَّلَ سُوْرَةَ الْفَاتِحَةِ عَلَى سَائِرِ سُوَرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ، فَهِيَ أُمُّ الْكِتَابِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيْمُ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ رَافِعِ بْنِ الْمُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]».

ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟»، قَالَ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٤٧٤، و٤٦٤٧، و٤٧٠٣، و٥٠٠٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أُبَيُّ**»، وَهُوَ يُصَلِّي، فَالتَفَتَ أُبَيٌّ وَلَمْ يُجِبْهُ، وَصَلَّى أُبَيٌّ، فَخَفَّفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، مَا مَنَعَكَ يَا أُبَيُّ أَنْ تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ؟**». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: «**أَفَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾** [الأنفال: ٢٤]»، قَالَ: بَلَى، وَلَا أَعُودُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: «**تُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟**»، قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟**». قَالَ: فَقَرَأَ أُمَّ القُرْآنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ.(١)

وَهِيَ سَبْعُ آيَاتٍ بِالْإِجْمَاعِ، وَاخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ وَالْفُقَهَاءُ فِي عَدِّ الْبَسْمَلَةِ مِنْهَا، فَمَن لَّمْ يَعُدَّهَا آيَةً جَعَلَ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ آيَةً، وَجَعَلَ: ﴿غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ آيَةً، وَمَنْ عَدَّ الْبَسْمَلَةَ آيَةً جَعَلَهُمَا آيَةً وَّاحِدَةً.

◄ وَمِن فَضَائِلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنَّهُ يَدْخُلُ مِنْهَا الْجَنَّةَ: سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَّلَا عَذَابٍ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ وَصَفَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**».(٢)

---

(١) "مسند أحمد"(رقم: ٩٣٤٥)، و"سنن الترمذي"(رقم: ٢٨٧٥)، وصححه ابن خزيمة (رقم: ٨٦١) مختصرًا، وصححه أيضًا: العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ١٤٥٣)، والعلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٤٢٤).

(٢) البخاري (رقم: ٥٧٠٥، و٥٧٥٢، و٦٥٤١)، ومسلم (رقم: ٢١٨).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِن طَرِيقِ أَبِي حَازِمٍ، عَن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ** - لَا يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيَّتُهُمَا قَالَ - **مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**».(١)

◄ وَفِيهِمَا أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَكْفَؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ؛ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ**». قَالَ: فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**بَلَى**». قَالَ: تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً - كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ضَحِكَ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: «**بَلَى**». قَالَ: «إِدَامُهُمْ بَالَامُ وَنُونٌ»، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: «ثَوْرٌ وَنُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا».(٢)

◄ وَفِي الطَّهَارَةِ: مَا لَهُمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**حَقٌّ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ [يومًا]، يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ**».(٣)

◄ وَفِي الصَّلَاةِ: شُرِعَت تَّكْبِيرَاتُ الْعِيدَيْنِ فِي الْأُولَى سَبْعًا سِوَى تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ.

◄ وَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَن يُعَلَّمَ الْوَلَدُ الصَّلَاةَ لِسَبْعِ سِنِينَ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٩٥) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.(٤)

---

(١) البخاري (رقم: ٣٢٤٧، و٦٥٤٣، و٦٥٥٤)، ومسلم (رقم: ٢١٩).

(٢) البخاري (رقم: ٦٥٢٠)، ومسلم (رقم: ٢٧٩٢).

(٣) البخاري (رقم: ٨٩٧، و٨٩٨، و٣٤٨٧)، ومسلم (رقم: ٨٤٩).

(٤) وله شاهد من حديث سَبْرَة بن معبد، أخرجه أحمد (رقم: ١٥٣٣٩)، وأبو داود (رقم: ٤٩٤)، والترمذي (رقم: ٤٠٧). وراجع: "الإرواء" (رقم: ٢٤٧)، و"صحيح أبي داود" (رقم: ٥٠٩).

◄ وَفِي مُضَاعَفَةِ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ وَالْإِنفَاقِ قَالَ ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ١٨٩٢) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ»**.

◄ وَهَذِهِ الْمُضَاعَفَةُ فِي سَائِرِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا (رقم: ١١٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ»**.

قَالَ اللهُ ﷻ: **«إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»**.

وَذِكْرُ الصَّوْمِ فِي الْحَدِيثِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا (رقم: ٥٩٢٧).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: **«إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ ﷻ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»**.(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٧٥٠١).

(١) البخاري (رقم: ٦٤٩١)، ومسلم (رقم: ١٣١).

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا (رقم: ١٢٨): «**إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً**».

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللهَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٢٩).

◄ وَفِي الْحَجِّ شَرَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِعِبَادِهِ الطَّوَافَ سَبْعًا، أيًا كَانَ، سَوَاءٌ أَكَانَ طَوَافَ الْقُدُومِ أَمْ طَوَافَ الْعُمْرَةِ، أَمْ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ، أَمْ طَوَافَ النَّافِلَةِ، وَشَرَعَ السَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعًا، وَرَمْيَ الْجِمَارِ سَبْعًا سَبْعًا.

◄ وَفِي فَضْلِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٣٧٥٣)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣١١١)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ١٨٤٦، و٣١٩٤)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٢٨٠٣) عَن جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ**». أَيِ: الَّتِي تَمُوتُ فِي نِفَاسِهَا.(١)

◄ وَفِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: «**أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، أَوِ الْمُقْسِمِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي،**

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٣١٨٩، و٣١٩٠)، والحاكم (رقم: ١٣٠٠)، والعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب" (رقم: ١٣٩٨).

وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمَ - أَوْ عَنْ تَخَتُّمٍ - بِالذَّهَبِ، وَعَنْ شُرْبٍ بِالْفِضَّةِ، وَعَنِ الْمَيَاثِرِ، وَعَنِ الْقَسِّيِّ، وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالْإِسْتَبْرَقِ وَالدِّيبَاجِ». (١)

وَفِيهِمَا أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ». (٢)

◄ وَرَوَى الْبُخَارِيِّ (رقم: ٥١٠٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «حَرُمَ مِنَ النَّسَبِ سَبْعٌ، وَمِنَ الصِّهْرِ سَبْعٌ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَمِمَّا اتَّفَقَ أَيْضًا لِلْعَدَدِ (سَبْعَةٍ) مِنَ الْخَصَائِصِ قَدَرًا وَشَرْعًا فِي بَابِ الطِّبِّ:

◄ مَا فِي صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ (رقم: ١٩٨، و٤٤٤٢، و٥٧١٤) عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ - بَعْدَمَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ -: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ، لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ». وَأُجْلِسَ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ تِلْكَ، حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا: «أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ». ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ.

---

(١) البخاري (رقم: ١٢٣٩، و٥١٧٥، و٥٦٣٥، و٥٨٦٣، و٦٢٣٥)، ومسلم (رقم: ٢٠٦٦).

(٢) البخاري (رقم: ٢٧٦٦، و٦٨٥٧)، ومسلم (رقم: ٨٩).

◄ وَعَن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَن تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ، وَلَا سِحْرٌ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الطِّبِّ النَّبَوِيِّ مِنَ "الزَّادِ"(ج٤/صـ: ٩٢): وَلِلْأَطِبَّاءِ اعْتِنَاءٌ عَظِيْمٌ بِالسَّبْعَةِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِحِكْمَتِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ فِي تَخْصِيْصِ هَذَا الْعَدَدِ.

وَقَالَ أَيْضًا: وَنَفَعَ هَذَا الْعَدَدُ مِنْ هَذَا التَّمْرِ مِنْ هَذَا الْبَلَدِ مِنْ هَذِهِ الْبُقْعَةِ بِعَيْنِهَا مِنَ السَّمِّ وَالسِّحْرِ، بِحَيْثُ تَمْنَعُ إِصَابَتُهُ مِنَ الْخَوَاصِّ الَّتِي لَوْ قَالَهَا بُقْرَاطُ وَجَالِيْنُوسُ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَطِبَّاءِ، لَتَلَقَّاهَا عَنْهُمُ الْأَطِبَّاءُ بِالْقَبُولِ وَالْإِذْعَانِ وَالِانْقِيَادِ!، مَعَ أَنَّ الْقَائِلَ إِنَّمَا مَعَهُ الْحَدْسُ وَالتَّخْمِينُ وَالظَّنُّ، فَمَنْ كَلَامُهُ كُلُّهُ يَقِينٌ وَقَطْعٌ وَبُرْهَانٌ وَوَحْيٌ أَوْلَى أَنْ تُتَلَقَّى أَقْوَالُهُ بِالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ، وَتَرْكِ الِاعْتِرَاضِ.ا.هـ.

◄ وَفِي صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ (رقم: ٥٦٨٧) مِن طَرِيْقِ خَالِدِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: خَرَجْنَا وَمَعَنَا غَالِبُ بْنُ أَبْجَرَ، فَمَرِضَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَعَادَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ، فَقَالَ لَنَا: عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الحُبَيْبَةِ السَّوْدَاءِ، فَخُذُوا مِنْهَا خَمْسًا أَوْ سَبْعًا، فَاسْحَقُوهَا، ثُمَّ اقْطُرُوهَا فِي أَنْفِهِ بِقَطَرَاتِ زَيْتٍ، فِي هَذَا الجَانِبِ وَفِي هَذَا الجَانِبِ، فَإِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدَّثَتْنِي: أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنَّ هَذِهِ الحَبَّةَ السَّوْدَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلَّا مِنَ السَّامِ»** قُلْتُ: وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: المَوْتُ.

◄ وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ فِي "شَرْحِ الْبُخَارِيِّ"(ج٩/صـ:٤٤٦): وَفِي كُتُبِ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَن يَأْخُذَ سَبْعَ وَرَقَاتٍ مِن سِدْرٍ أَخْضَرَ، فَيَدُقَّهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ، ثُمَّ يَضْرِبَهُ بِالْمَاءِ، وَيَقْرَأَ فِيْهِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَذَوَاتِ: ﴿قُلْ﴾ [الإخلاص: ١]، [الفلق: ١]، و[الناس]، ثُمَّ يَحْسُو مِنْهُ ثَلَاثَ حَسَوَاتٍ، وَيَغْتَسِلَ بِهِ؛ فَإِنَّهُ يَذْهَبُ عَنْهُ كُلُّ مَا بِهِ إِن شَاءَ اللهُ، وَهُوَ جَيِّدٌ لِلرَّجُلِ إِذَا حُبِسَ عَنْ أَهْلِهِ.ا.هـ.

---

(١) البخاري (رقم: ٥٤٤٥، و٥٧٦٩)، ومسلم (رقم: ٢٠٤٧).

وَقَالَ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - كَمَا فِي "مَجْمُوعِ فَتَاوَاهُ"(ج٢٨/صـ:٣٤٥) فِي ذِكْرِ التَّدَاوِي بِسِحْرِ الصَّرْفِ وَالرَّبْطِ -: عَلَيْكَ أَن تَسْتَعْمِلَ الْقِرَاءَةَ: الْفَاتِحَةَ، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَالْإِخْلَاصِ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، تَنفُثُ عَلَى نَفْسِكَ أَوْ تَنفُثُ فِي الْمَاءِ، وَإِذَا طَرَحْتَ فِيهِ سَبْعَ وَرَقَاتٍ مِنَ السِّدْرِ مَدْقُوقَةً ثُمَّ اسْتَحْمَمْتَ بِهَا فَإِنَّ هَذَا مُجَرَّبٌ لِزَوَالِ هَذَا الْبَلَاءِ.

وَقَالَ أَيْضًا: تَقْرَأُ فِي يَدَيْكَ عِندَ النَّوْمِ، تَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَالْإِخْلَاصِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، ثُمَّ تَمْسَحُ عَلَى رَأْسِكَ وَوَجْهِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَيَزُولُ الْبَلَاءُ إِن شَاءَ اللهُ، وَإِن قَرَأْتَ هَذَا فِي مَاءٍ وَاسْتَحْمَمْتَ بِهِ زَالَ الْبَلَاءُ، وَإِن جَعَلْتَ فِيهِ سَبْعَ وَرَقَاتٍ مِنَ السِّدْرِ كَمَا فَعَلَ بَعْضُ السَّلَفِ، ثُمَّ قَرَأْتَ فِيهَا أَوْ قَرَأَ فِيهَا غَيْرُكَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَسُوْرَةَ الْإِخْلَاصِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ وَآيَاتِ السِّحْرِ مِن سُوْرَةِ الْأَعْرَافِ وَسُوْرَةِ يُونُسَ وَسُوْرَةِ طَهَ، فَإِنَّهُ يَزُولُ الْبَأْسُ إِن شَاءَ اللهُ، تَغْتَسِلُ بِهِ وَيَزُولُ الْبَأْسُ إِن شَاءَ اللهُ.ا.هـ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ (رقم: ٢١٣٧، و٢١٣٨، و٢١٨٢، و٣٢٩٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣١٠٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٠٨٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»**.

وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ"(رقم: ٥٣٦)، وَلَفْظُهُ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَادَ الْمَرِيضَ جَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ (سَبْعَ مِرَارٍ): **«أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ»**. فَإِنْ كَانَ فِي أَجَلِهِ تَأْخِيرٌ عُوفِيَ مِن وَجَعِهِ.(١)

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٢٩٧٥، و٢٩٧٨)، والحاكم (رقم: ١٢٦٨، و١٢٦٩، و١٢٧٠، و٧٤٨٧، و٧٤٨٨، و٧٨٨٩، و٧٨٩٠، و٨٢٨٢٨)، وقال في إحدى هذه المواضع: «على شرط البخاري ومسلم»، ووافقه الذهبي.

وصححه أيضًا: الضياء في "المختارة"(ج١٠/صـ: ٣٦٨-٣٧١)(رقم: ٣٩٤، و٣٩٥، و٣٩٦، و٣٩٧، و٣٩٨، و٣٩٩)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٣٤٨٠)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٦٤١).

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٢٠٢) عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: (بِاسْمِ اللهِ) ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»**.

أَمَّا مَا لَمْ يَثْبُتْ فِي فَضَائِلِ هَذَا الْعَدَدِ شَرْعًا فَإِنَّ تَحَرِّيَهُ مَذْمُومٌ، كَفِعْلِ بَعْضِ النَّاسِ إِذَا طَلَبَ الِاغْتِسَالَ لِلْمَعِيْنِ (الَّذِي أُصِيبَ بِالْعَيْنِ)، فَإِنَّهُ يَقْتَصِرُ عَلَى سَبْعَةِ أَشْخَاصٍ أَوْ سَبْعِ بُيُوتٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُن فِي ذَلِكَ تُهَمَةٌ!.

وَكَفِعْلِ أَهْلِ الشَّعْوَذَةِ، الَّذِيْنَ يَأْمُرُونَ بَعْضَ مُرْتَادِيْهِم بِأَخْذِ سَبْعَةِ أَعْوَادٍ، مِن سَبْعِ طُرُقٍ، ثُمَّ التَّبَخُّرِ بِهَا، وَهَذَا مِنَ الْخُرَافَاتِ الَّتِي لَا تَزِيْدُ صَاحِبَهَا إِلَّا خَبَالًا وَّوَبَالًا!.

الغضب

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الروم: ٢٧].

وَ﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ هُوَ: الْوَصْفُ الْأَكْمَلُ، فللَّهِ ﷻ صِفَاتُ الْكَمَالِ الَّتِي تَلِيْقُ بِهِ.

وَصِفَاتُهُ ﷻ عَلَى قِسْمَيْنِ:

◄ ذَاتِيَّةٌ، لَا تَنفَكُّ عَنْهُ، فَلَمْ يَزَلْ ﷻ مُتَّصِفًا بِهَا.

◄ وَفِعْلِيَّةٌ تَتَعَلَّقُ بِمَشِيْئَتِهِ، وَمِنْهَا الْغَضَبُ، فَاللَّهُ ﷻ يَغْضَبُ غَضَبًا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ، وَهُوَ يَغْضَبُ مَتَى مَا شَاءَ، وَمَشِيْئَتُهُ تَابِعَةٌ لِحِكْمَتِهِ ﷻ.

فَاتَّقِ – أَيُّهَا الْمُسْلِمُ – غَضَبَ اللهِ ﷻ، وَأَنتَ تَسْأَلُ اللهَ ﷻ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِن رَكَعَاتِ صَلَاتِكَ – فَرْضًا كَانَتْ أَمْ نَفْلًا – أَن يَهْدِيَكَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ وَأَن يُجَنِّبَكَ طَرِيْقَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ – وَهُمُ الْيَهُودُ، وَمَن كَانَ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ، مِمَّنْ عَلِمَ الْحَقَّ، فَخَالَفَهُ،

وَطَرِيْقَ الضَّالِّيْنَ، وَهُمُ النَّصَارَى، وَمَن كَانَ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ، مِمَّن جهل الْحَقَّ، فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهِ.

فَالْيَهُودُ أُمَّةٌ غَضَبِيَّةٌ، غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ، قَالَ ﷻ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَهَذَا غَضَبٌ مَشْفُوعٌ بِاللَّعْنَةِ وَالْمَسْخِ، وَهُوَ أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ الْغَضَبِ.ا.هـ.(١)

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨٠ - ٨١]، وَقَالَ ﷻ: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠].

---

(١) "بدائع الفوائد"(ج ٢/ صـ: ٣٠).

فَكُفْرُهُمْ وَقَتْلُهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَعِصْيَانُهُمْ وَعُدْوَانُهُمْ وَطُغْيَانُهُمْ وَحَسَدُهُمْ أَهْلَ الْإِيْمَانِ عَلَى مَا مَنَّ اللهُ ﷻ به عليهم أَوْجَبَ لَهُمْ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهِمْ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾: وَلَا رَيْبَ أَنَّ تَعْطِيْلَهُم مَا عَطَّلُوهُ مِن شَرَائِعِ التَّوْرَاةِ وَتَحْرِيْفَهُمْ وَتَبْدِيْلَهُمْ يَسْتَدْعِي غَضَبًا، وَتَكْذِيْبَهُمُ الْأَنبِيَاءَ يَسْتَدْعِي غَضَبًا آخَرَ، وَقَتْلَهُم إِيَّاهُمْ يَسْتَدْعِي غَضَبًا آخَرَ، وَتَكْذِيْبَهُمُ الْمَسِيْحَ، وَطَلَبَهُمْ قَتْلَهُ، وَرَمْيَهُمْ أُمَّهُ بِالْبُهْتَانِ الْعَظِيْمِ يَسْتَدْعِي غَضَبًا، وَتَكْذِيْبَهُمُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَسْتَدْعِي غَضَبًا، وَمُحَارَبَتَهُمْ لَهُ وَأَذَاهُمْ لِأَتْبَاعِهِ يَقْتَضِي غَضَبًا، وَصَدَّهُم مَنْ أَرَادَ الدُّخُولَ فِي دِيْنِهِ عَنْهُ يَقْتَضِي غَضَبًا، فَهُمُ الْأُمَّةُ الْغَضَبِيَّةُ، أَعَاذَنَا اللهُ مِنْ غَضَبِهِ، فَهِيَ الْأُمَّةُ الَّتِي بَاءَتْ بِغَضَبِ اللهِ الْمُضَاعَفِ الْمُتَكَرِّرِ، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَذَا الِاسْمِ وَالْوَصْفِ مِنَ النَّصَارَى.ا.هـ.(١)

وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ ﷻ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِيْنَ تَوَلِّيَ مَنْ غَضِبَ اللهُ ﷻ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٥١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٤ - ١٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣].

---

(١) "بدائع الفوائد"(ج٢/ص: ٣٠).

وَكُلُّ مَن كَفَرَ باللهِ وَآثَرَ دُنْيَاهُ عَلَى أُخْرَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مَوْلَاهُ، قَالَ ﷻ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[النحل:١٠٦- ١٠٧].

وَكُلُّ مَنْ حَاجَّ فِي اللهِ رَبِّهِ وَأَسَاءَ الظَّنَّ بِهِ وَآثَرَ إِبْعَادَهُ عَلَى قُرْبِهِ وَأُشْرِبَ النِّفَاقَ فِي قَلْبِهِ فَغَضَبُ اللهِ جَزَاؤُهُ وِفَاقًا؛ بِكَسْبِهِ.

قَالَ ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴾ [الشورى: ١٦]، وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ﴾[الفتح: ٦].

وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَالْمُلَاعَنَةُ إِن كَانَ زَوْجُهَا الَّذِي لَاعَنَهَا صَادِقًا، كُلُّ هَذِهِ الْكَبَائِرِ يَسْتَحِقُّ أَهْلُهَا غَضَبَ اللهِ ﷻ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ٩٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥ - ١٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [النور: ٤ - ٩].

وَمِن ذَلِكَ أَيْضًا: مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ**»، يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ، «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**».(١)

وَفِيهِمَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ؛ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**».

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى؛ تَصْدِيقَ ذَلِك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.(٢)

وَأَشَدُّ غَضَبٍ يَغْضَبُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ غَضَبُهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَأْتِي النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَن يَّغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ.

ثُمَّ يَأْتُونَ نُوحًا، ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ مُوسَى، ثُمَّ عِيسَى، فَكُلُّهُمْ يَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَذْكُرُ ذَنبًا خَلَا عِيسَى، ثُمَّ يَأْتُونَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَن لَّا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ**».(٣)

---

(١) البخاري (رقم: ٤٠٧٣)، ومسلم (رقم: ١٧٩٣).

(٢) البخاري (رقم: ٢٥١٥، و٢٦٦٩، و٢٦٧٦، و٤٥٤٩، و٦٦٧٦)، ومسلم (رقم: ١٣٨).

(٣) البخاري (رقم: ٣٣٤٠، و٤٧١٢)، ومسلم (رقم: ١٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِن كَمَالِ اللهِ ﷻ أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»**.

وَفِي رِوَايَةٍ: **«سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي»**.(١)

وَالرَّحْمَةُ الْمُضَافَةُ إِلَى اللهِ ﷻ قِسْمَانِ:

أحدهما: رَحْمَةٌ مَخْلُوقَةٌ، إِضَافَتُهَا إِلَى اللهِ ﷻ لِلتَّشْرِيفِ، مِن بَابِ إِضَافَةِ الْمَفْعُولِ إِلَى فَاعِلِهِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٧]، و[الفرقان: ٤٨]، و[النمل: ٦٣]، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ﴾ [هود: ٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«تَحَاجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ، وَسَقَطُهُمْ، وَعَجَزُهُمْ، فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٨٥٠، و٧٤٤٩)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٨٤٦).

فَالْجَنَّةُ رَحْمَةٌ مَخْلُوقَةٌ، مُضَافَةٌ إِلَى اللهِ ﷻ إِضَافَةَ الْمَخْلُوقِ بِالرَّحْمَةِ إِلَى خَالِقِهِ، وَسَمَّاهَا رَحْمَةً؛ لِأَنَّهَا خُلِقَتْ بِالرَّحْمَةِ وَلِلرَّحْمَةِ، وَخُصَّ بِهَا أَهْلُ الرَّحْمَةِ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُهَا الرُّحَمَاءُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أيضًا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٤٦٩)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٧٥٢).

---

(١) البخاري (رقم: ٣١٩٤، و٧٤٠٤، و٧٤٢٢، و٧٤٥٣، و٧٥٥٣، و٧٥٥٤)، ومسلم (رقم: ٢٧٥١).

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢٧٥٣) عَن سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»**.

والأخرى: رَحْمَةٌ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، مُضَافَةٌ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِضَافَةَ صِفَةٍ إِلَى مَوْصُوفٍ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].(١)

وَمن غَضَبِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَكُونُ لِغَضَبِ عَبْدِه، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٢٣٧، و٥١٩٣)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٤٣٦).

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ (رقم: ٥١٩٤): **«إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: **«إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا»**.(٢)

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢٥٠٤) عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَتَى عَلَى سَلْمَانَ، وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟!، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: **«يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ»**. فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ، أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَخِي.

---

(١) راجع: "بدائع الفوائد"(ج٢/صـ:١٨٣-١٨٤)، و"مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية"(صـ:٥٢-٥٣).

(٢) البخاري (رقم: ٣٢٣٧، و٥١٩٣)، ومسلم (رقم: ١٤٣٦).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهَذَا الْإِتْيَانُ لِأَبِي سُفْيَانَ كَانَ وَهُوَ كَافِرٌ فِي الْهُدْنَةِ بَعْدَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَفِي هَذَا فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِسَلْمَانَ وَرُفْقَتِهِ هَؤُلَاءِ، وَفِيهِ مُرَاعَاةُ قُلُوبِ الضُّعَفَاءِ وَأَهْلِ الدِّينِ وَإِكْرَامُهُمْ وَمُلَاطَفَتُهُمْ.ا.هـ.

هَذَا غَضَبُ اللهِ ﷻ، وَهُوَ صِفَةُ كَمَالٍ، لَا نَقْصَ فِيهَا بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَمَن تَأَوَّلَ هَذِهِ الصِّفَةَ بِلَازِمِهَا – وَهُوَ الِانتِقَامُ(١) أَوْ إِرَادَةُ الِانتِقَامِ(٢) – فَقَدْ ضَلَّ وَأَبْعَدَ النُّجْعَةَ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ فَرَّقَ بَيْنَ الْغَضَبِ وَبَيْنَ الِانتِقَامِ، فَجَعَلَ الِانتِقَامَ مُرَتَّبًا عَلَى الْغَضَبِ وَنَتِيجَةً لَهُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﷻ فِي شَأْنِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الزخرف: ٥٥].

وَأَمَّا غَضَبُ الْمَخْلُوقِ فَلَا يَكُونُ صِفَةَ كَمَالٍ إِلَّا إِذَا كَانَ للهِ ﷻ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: **«مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٥٦٠، و٦١٢٦، و٦٧٨٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٣٢٧).

وَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا (رقم: ٢٣٢٨) عَنْهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: **«مَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ ﷻ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ ﷻ»**.

وَقَالَ ﷻ فِي شَأْنِ مُوسَى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[الأعراف: ١٥٠ – ١٥١].

---

(١) هذا تفسير المعتزلة، وهم يعطلون صفات الله ﷻ كلها، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

(٢) وهذا تفسير الأشاعرة، وهم يثبتون سبع صفات فقط!، منها صفة الإرادة، على خلاف بين أهل السنة في طريقة إثباتها، ويؤولون بقيتها ببعض لوازمها!.

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَلَمَّا قَدِمَ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَرَأَى مَا أَصَابَ قَوْمَهُ مِنَ الْفِتْنَةِ اشْتَدَّ غَضَبُهُ، وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ عَن رَأْسِهِ، وَفِيهَا كَلَامُ اللهِ الَّذِى كَتَبَهُ لَهُ، وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ وَلِحْيَتِهِ، وَلَمْ يَعْتِبِ اللهُ عَلَيْهِ فِى ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ حَمَلَهُ عَلَيْهِ الْغَضَبُ للهِ، وَكَانَ اللهُ ﷻ قَدْ أَعْلَمَهُ بِفِتْنَةِ قَوْمِهِ، وَلَكِن لَمَّا رَأَى الْحَالَ مُشَاهَدَةً حَدَثَ لَهُ غَضَبٌ آخَرُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ.(١)

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - يَقُولُ: انْظُرْ إِلَى مُوسَى - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - رَمَى الْأَلْوَاحَ الَّتِي فِيهَا كَلَامُ اللَّهِ الَّذِي كَتَبَهُ بِيَدِهِ، فَكَسَرَهَا، وَجَرَّ بِلِحْيَةِ نَبِيٍّ مِثْلِهِ، وَهُوَ هَارُونُ، وَلَطَمَ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ، فَفَقَأَهَا، وَعَاتَبَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَرَفَعَهُ عَلَيْهِ، وَرَبُّهُ تَعَالَى يَحْتَمِلُ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَيُحِبُّهُ وَيُكْرِمُهُ وَيُدَلِّلُهُ، لِأَنَّهُ قَامَ لِلَّهِ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ الْعَظِيمَةَ فِي مُقَابَلَةِ أَعْدَى عَدُوٍّ لَهُ، وَصَدَعَ بِأَمْرِهِ، وَعَالَجَ أُمَّتَي الْقِبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ كَالشَّعْرَةِ فِي الْبَحْرِ.

وَانْظُرْ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى حَيْثُ لَمْ يَكُنْ لَهُ هَذِهِ الْمَقَامَاتُ الَّتِي لِمُوسَى، غَاضَبَ رَبَّهُ مَرَّةً، فَأَخَذَهُ وَسَجَنَهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، وَلَمْ يَحْتَمِلْ لَهُ مَا احْتَمَلَ لِمُوسَى.ا.هـ.(٢)

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، لِمَن كَانَتِ الْمُغَاضَبَةُ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أحدهما: مُغَاضِبًا لِقَوْمِهِ، أَيْ غَضْبَان عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا، فَذَهَبَ مِنْ عِنْدِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لَهُ فِي ذَلِكَ.

---

(١) "جامع العلوم والحكم"(ج١/صـ: ٣٦١-٣٦٢).

(٢) "مدارج السالكين"(ج١/صـ: ٣٣٧).

ثانيهما: مُغَاضِبًا لِرَبِّه، وَالْمَعْنَى: مُغَاضِبًا؛ مِنْ أَجْلِ رَبِّهِ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ مَا سِوَى غَضَبِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ ﷻ فَهُوَ فِي حَقِّ الْعَبْدِ صِفَةُ نَقْصٍ، وَمَا أَعْظَمَ مَا أَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي جَاءَهُ يَسْتَوْصِيْهِ، قَالَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦١١٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَهَذَا الْحَدِيْثُ مِن جُمْلَةِ الْأَحَادِيْثِ الَّتِي هِيَ مِن قَوَاعِدِ الدِّيْنِ وَعَلَيْهَا مَدَارُ الْإِسْلَامِ؛ وَلِهَذَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الْأَرْبَعِيْنَ".

وَعِندَ أَحْمَدَ (رقم: ٢٣١٧١) عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي؟ قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»، قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ: فَفَكَّرْتُ، حِينَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ.(١)

وَعِندَهُ أَيْضًا (رقم: ١٥٩٦٤، و٢٠٣٥٧) عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَمٍّ لَّهُ يُقَالُ لَهُ: جَارِيَةُ بْنُ قُدَامَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي قَوْلًا وَّأَقْلِلْ عَلَيَّ لَعَلِّي أَعْقِلُهُ، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**». فَأَعَادَ عَلَيْهِ مِرَارًا، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «**لَا تَغْضَبْ**».(٢)

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهَذَا الرَّجُلُ طَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَن يُّوصِيَهُ وَصِيَّةً وَّجِيزَةً جَامِعَةً لِّخِصَالِ الْخَيْرِ؛ لِيَحْفَظَهَا عَنْهُ؛ خَشْيَةَ أَن لَّا يَحْفَظَهَا لِكَثْرَتِهَا،

---

(١) وصححه: الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٢٧٤٦)، والوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٥١٣).

(٢) وصححه: ابن حبان (رقم: ٥٦٨٩)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٢٧٤٨)، والوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٥١٣).

فَوَصَّاهُ النَّبِيُّ أَنْ لَا يَغْضَبُ، ثُمَّ رَدَّدَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ عَلَيْهِ مِرَارًا، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُرَدِّدُ عَلَيْهِ هَذَا الْجَوَابَ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْغَضَبَ جِمَاعُ الشَّرِّ، وَأَنَّ التَّحَرُّزَ مِنْهُ جِمَاعُ الْخَيْرِ.ا.هـ.(١)

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الشَّدِيْدَ حَقًّا هُوَ الَّذِي يَقْهَرُ نَفْسَهُ وَيَمْلِكُهَا حَالَ الْغَضَبِ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦١١٤)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٦٠٩).

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢٦٠٩) عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟»** قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: **«لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»**.

فَمَن مَّلَكَ نَفْسَهُ حَالَ الْغَضَبِ فقد قَهَرَهَا وقَهَرَ الشَّيْطَانَ؛ فَلِهَذَا شُرِعَ التَّعَوُّذُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ حَالَ الْغَضَبِ.

فَعَن سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ، [أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ]»**، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: **«تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ»**، فَقَالَ: أَتُرَى بِي بَأْسٌ؟! أَمَجْنُونٌ أَنَا؟! اذْهَبْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٢٨٢، و٦٠٤٨، و٦١١٥)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٦١٠).

وَكَانَ مِن دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٨٣٢٥)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ١٣٠٥، و١٣٠٦) مِنْ حَدِيْثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.(١)

---

(١) "جامع العلوم والحكم"(ج١/ص: ٣٦١-٣٦٢).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلَمَّا كَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِالْحَقِّ فِي رِضَاهُ، فَإِذَا غَضِبَ أَخْرَجَهُ غَضَبُهُ إِلَى الْبَاطِلِ، وَقَدْ يُدْخِلُهُ أَيْضًا رِضَاهُ فِي الْبَاطِلِ، سَأَلَ – أَيِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ – اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مِن تَوْفِيقِهِ لِكَلِمَةِ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَى.

قَالَ: وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا تَكُن مِّمَّنْ إِذَا رَضِيَ أَدْخَلَهُ رِضَاهُ فِي الْبَاطِلِ، وَإِذَا غَضِبَ أَخْرَجَهُ غَضَبُهُ مِنَ الْحَقِّ.(٢)

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٩٣٢) عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي الدَّجَّالِ: «**إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا**».

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ – وَهُوَ مِنْ أَطِبَّاءِ الْقُلُوبِ –: «الْغَضَبُ مَرْكَبُ الشَّيْطَانِ».(٣)

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْغَضَبُ غَوْلُ الْعَقْلِ، يَغْتَالُهُ كَمَا تَغْتَالُهُ الْخَمْرُ؛ وَلِهَذَا: «**نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْضِيَ الْقَاضِي بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ**».(٤)

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۞ ﴾ [يونس: ١١].

قَالَ السَّلَفُ: هُوَ دُعَاءُ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِهِ فِي حَالِ الْغَضَبِ، وَلَوْ اسْتَجَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَأَهْلَكَهُ وَأَهْلَكَ مَن يَّدْعُو عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُهُ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ الدَّاعِيَ لَمْ يَقْصِدْهُ.(٥)

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمَنْشَأُ جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ السَّافِلَةِ، وَبِنَاؤُهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ: الْجَهْلُ، وَالظُّلْمُ، وَالشَّهْوَةُ، وَالْغَضَبُ.

---

(١) "جامع العلوم والحكم"(ج١/صـ: ٣٦١-٣٦٢).

(٢) "إغاثة اللهفان"(ج١/صـ: ٢٩).

(٣) "إغاثة اللهفان"(ج١/صـ: ٩٨).

(٤) "إعلام الموقعين"(ج٢/صـ: ١١٩)، والحديث المذكور رواه البخاري (رقم: ٧١٥٨)، و(رقم: ١٧١٧) عن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) "إعلام الموقعين"(ج٣/صـ: ٤٧).

فَالْجَهْلُ: يُرِيهِ الْحَسَنَ فِي صُورَةِ الْقَبِيحِ، وَالْقَبِيحَ فِي صُورَةِ الْحَسَنِ، وَالْكَمَالَ نَقْصًا، وَالنَّقْصَ كَمَالًا.

وَالظُّلْمُ: يَحْمِلُهُ عَلَى وَضْعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَيَغْضَبُ فِي مَوْضِعِ الرِّضَا، وَيَرْضَى فِي مَوْضِعِ الْغَضَبِ، وَيَجْهَلُ فِي مَوْضِعِ الْأَنَاةِ، وَيَبْخَلُ فِي مَوْضِعِ الْبَذْلِ، وَيَبْذُلُ فِي مَوْضِعِ الْبُخْلِ، وَيُحْجِمُ فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ، وَيُقْدِمُ فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ، وَيَلِينُ فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ، وَيَشْتَدُّ فِي مَوْضِعِ اللِّينِ، وَيَتَوَاضَعُ فِي مَوْضِعِ الْعِزَّةِ، وَيَتَكَبَّرُ فِي مَوْضِعِ التَّوَاضُعِ.

وَالشَّهْوَةُ: تَحْمِلُهُ عَلَى الْحِرْصِ، وَالشُّحِّ، وَالْبُخْلِ، وَعَدَمِ الْعِفَّةِ، وَالنَّهْمَةِ، وَالْجَشَعِ، وَالذُّلِّ، وَالدَّنَاءَاتِ كُلِّهَا.

وَالْغَضَبُ: يَحْمِلُهُ عَلَى الْكِبْرِ، وَالْحِقْدِ، وَالْحَسَدِ، وَالْعُدْوَانِ، وَالسَّفَهِ.

وَيَتَرَكَّبُ مِن بَيْنِ كُلِّ خُلُقَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ: أَخْلَاقٌ مَذْمُومَةٌ.

وَمِلَاكُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَصْلَانِ: إِفْرَاطُ النَّفْسِ فِي الضَّعْفِ، وَإِفْرَاطُهَا فِي الْقُوَّةِ، فَيَتَوَلَّدُ مِنْ إِفْرَاطِهَا فِي الضَّعْفِ: الْمَهَانَةُ وَالْبُخْلُ، وَالْخِسَّةُ وَاللُّؤْمُ، وَالذُّلُّ وَالْحِرْصُ، وَالشُّحُّ، وَسَفْسَافُ الْأُمُورِ وَالْأَخْلَاقِ.

وَيَتَوَلَّدُ مِنْ إِفْرَاطِهَا فِي الْقُوَّةِ: الظُّلْمُ وَالْغَضَبُ وَالْحِدَّةُ، وَالْفُحْشُ وَالطَّيْشُ.(١)

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَرْكَانُ الْكُفْرِ أَرْبَعَةٌ: الْكِبْرُ، وَالْحَسَدُ، وَالْغَضَبُ، وَالشَّهْوَةُ، فَالْكِبْرُ يَمْنَعُهُ الِانْقِيَادَ، وَالْحَسَدُ يَمْنَعُهُ قَبُولَ النَّصِيحَةِ وَبَذْلَهَا، وَالْغَضَبُ يَمْنَعُهُ الْعَدْلَ، وَالشَّهْوَةُ تَمْنَعُهُ التَّفَرُّغَ لِلْعِبَادَةِ.

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَزَوَالُ الْجِبَالِ عَنْ أَمَاكِنِهَا أَيْسَرُ مِن زَوَالِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ عَمَّن بُلِيَ بِهَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا صَارَتْ هَيْئَاتٍ رَاسِخَةً، وَمَلَكَاتٍ وَّصِفَاتٍ ثَابِتَةً.

---

(١) "مدارج السالكين"(ج٢/صـ: ٢٩٤-٢٩٥).

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَكُلُّ الْآفَاتِ مُتَوَلِّدَةٌ مِنْهَا، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتْ فِي الْقَلْبِ أَرَتْهُ الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَالْحَقَّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ، وَالْمَعْرُوفَ فِي صُورَةِ الْمُنكَرِ وَالْمُنكَرَ فِي صُورَةِ الْمَعْرُوفِ، وَقَرَّبَتْ مِنْهُ الدُّنْيَا، وَبَعَّدَتْ مِنْهُ الْآخِرَةَ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ كُفْرَ الْأُمَمِ رَأَيْتَهُ نَاشِئًا مِنْهَا، وَعَلَيْهَا يَقَعُ الْعَذَابُ.

قَالَ: وَمَنشَأُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ مِن جَهْلِهِ بِرَبِّهِ وَجَهْلِهِ بِنَفْسِهِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَالْغَضَبُ مِثْلُ السَّبُعِ، إِذَا أَفْلَتَهُ صَاحِبُهُ بَدَأَ بِأَكْلِهِ، وَالشَّهْوَةُ مِثْلُ النَّارِ، إِذَا أَضْرَمَهَا صَاحِبُهَا بَدَأَتْ بِإِحْرَاقِهِ، وَالْكِبْرُ بِمَنْزِلَةِ مُنَازَعَةِ الْمَلِكِ مُلْكَهُ، فَإِن لَّمْ يُهْلِكَكَ طَرَدَكَ عَنْهُ، وَالْحَسَدُ بِمَنْزِلَةِ مُعَادَاةِ مَنْ هُوَ أَقْدَرُ مِنكَ، وَالَّذِي يَغْلِبُ شَهْوَتَهُ وَغَضَبَهُ يَفْرَقُ الشَّيْطَانُ مِن ظِلِّهِ، وَمَن تَغْلِبُهُ شَهْوَتُهُ وَغَضَبُهُ يَفْرَقُ مِنْ خَيَالِهِ.ا.هـ.(١)

وَمِنْ أَوْصَافِ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، وَالَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

وَمِنْ أَوْصَافِ الْمُتَّقِيْنَ أَيْضًا، وَالَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

هَذَا إِن كَانَ الْعَفْوُ فِي مَحَلِّهِ.

رَوَى أَحْمَدُ (رقم: ٦١١٤)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٤١٨٩) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِن جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِن جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ؛ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ»**.(٢)

---

(١) "الفوائد"(ج٢/صـ: ١٥٧-١٥٩).

(٢) وصححه: الضياء في "المختارة"(ج١٣/صـ: ١٦٧)(رقم: ٢٦٨، و٢٦٩)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٢٧٥٢)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (رقم: ٧٢٧).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ (ج٤/صـ: ٢٠٧): وَالْغَيْظُ أَصْلُ الْغَضَبِ، وَكَثِيرًا مَا يَتَلَازَمَانِ لَكِنَّ فُرْقَانَ مَا بَيْنَهُمَا: أَنَّ الْغَيْظَ لَا يَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ، بِخِلَافِ الْغَضَبِ فَإِنَّهُ يَظْهَرُ فِي الْجَوَارِحِ مَعَ فِعْلِ مَا لَا بُدَّ.

قال: وَقَدْ فَسَّرَ بَعْضُ النَّاسِ الْغَيْظَ بِالْغَضَبِ، وَلَيْسَ بِجَيِّدٍ.ا.هـ.

الحزن

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ (رقم: ٣٧١٢، و ٤٣١٨) عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا»**. قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: **«بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»**.(١)

(١) وله شاهد من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (رقم:٣٤١) من طريق عبد الله بن زبيد، عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به، وفيه انقطاع. =

هَذَا حَدِيْثٌ عَظِيْمٌ مِنْ أَحَادِيْثِ الرَّسُولِ الْكَرِيْمِ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيْمِ، فِيْهِ عُلُومٌ غَزِيْرَةٌ، وَفَوَائِدُ كَثِيْرَةٌ، مِنْهَا:

◄ أَنَّ مَا تَضَمَّنَهُ مِن دُعَاءٍ هُوَ مِن جُمْلَةِ أَدْوِيَةِ: الْهَمِّ وَالْحُزْنِ، فَالْهَمُّ يَكُونُ عَلَى مَكْرُوهٍ يُتَوَقَّعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، يَهْتَمُّ بِهِ الْقَلْبُ، وَالْحُزْنُ عَلَى مَكْرُوهٍ مَاضٍ مِن فَوَاتِ مَحْبُوبٍ أَوْ حُصُولِ مَكْرُوهٍ إِذَا تَذَكَّرَهُ أَحْدَثَ لَهُ حُزْنًا، وَهُنَاكَ قِسْمٌ ثَالِثٌ تَكْتَمِلُ بِهِ أَقْسَامُ الْمَكْرُوهَاتِ الْوَارِدَةِ عَلَى الْقَلْبِ، وَهُوَ الْغَمُّ: وَالْغَمُّ يَكُونُ عَلَى مَكْرُوهٍ حَاصِلٍ فِي الْحَالِ يُوجِبُ لِصَاحِبِهِ الْغَمَّ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي كِتَابِهِ "شِفَاءِ الْعَلِيْلِ"(صـ: ٢٧٤): «فَهَذِهِ الْمَكْرُوهَاتِ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ وَأَدْوَائِهِ».

وممن صحح هذا الحديث من الأئمة الحفاظ:

١. ابن حبان (برقم: ٩٧٢).
٢. الحاكم (برقم: ٤٣١٨).
٣. أحمد بن شاكر في تعليقه على "المسند"(ج٥/صـ:٢٦٧).
٤. الألباني في "الصحيحة"(برقم: ١٩٩).
٥. الوادعي في تحقيق "المستدرك".
٦. شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد نقل تصحيح ابن حبان له محتجًا به في مواضع عدة من كتبه.
٧. ابن القيم في "شفاء العليل"(صـ:٢٧٤)، و"جلاء الأفهام"(صـ:١٥٢)، و"الجواب الكافي" (صـ:٢٠٨)، و"بدائع الفوائد"(ج١/صـ:١٦٦، وج٢/صـ:١٨٧)، و"الصواعق المرسلة" (ج٣/ صـ: ٩١٣).
٨. ابن الموصلي في "مختصر الصواعق"(صـ: ١٢٨)، متابعًا في ذلك: ابن القيم.
٩. وكذا صححه ابن الوزير في "إيثار الحق"(صـ: ١٥٩).
١٠. وحسنه بشاهده عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الحافظ في "أمالي الأذكار"، فيما نقله عنه ابن علان في "الفتوحات الربانية"(ج٤/صـ:١٣)، كما في "تحقيق المسند"(ج٦/صـ:٢٥٠).

وراجع لشرح هذا الحديث: "الفوائد"(صـ:٢١-٢٦)، و"شفاء العليل"(صـ:٢٧٤-٢٧٧) للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولمزيد تخريجه: راجع: "تلخيص القواعد المثلى"، بتلخيصي، وتعليقي.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "طَرِيْقِ الْهِجْرَتَيْنِ وَبَابِ السَّعَادَتَيْنِ"(صـ:٢٧٨): اعْلَمْ أَنَّ الْحُزْنَ مِنْ عَوَارِضِ الطَّرِيْقِ، لَيْسَ مِن مَّقَامَاتِ الْإِيْمَانِ، وَلَا مِن مَّنَازِلِ السَّائِرِيْنَ؛ وَلِهٰذَا لَمْ يَأْمُرِ اللهُ بِهِ فِي مَوْضِعٍ قَطُّ وَلَا أَثْنَى عَلَيْهِ، وَلَا رَتَّبَ عَلَيْهِ جَزَاءً وَّلَا ثَوَابًا، بَلْ نَهَى عَنْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

وَقَالَ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

فَالْحُزْنُ بَلِيَّةٌ مِنَ الْبَلَايَا الَّتِي نَسْأَلُ اللهَ دَفْعَهَا وَكَشْفَهَا، وَلِهٰذَا يَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، فَحَمِدُوهُ عَلَى أَنْ أَذْهَبَ عَنْهُمْ تِلْكَ الْبَلِيَّةَ وَنَجَّاهُم مِّنْهَا.

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»**.(١)

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَاسْتَعَاذَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مِن ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ، كُلُّ شَيْئَيْنِ مِنْهَا قَرِيْنَانِ: فَالْهَمُّ وَالْحَزَنُ قَرِيْنَانِ، وَهُمَا الْأَلَمُ الْوَارِدُ عَلَى الْقَلْبِ، فَإِن كَانَ عَلَى مَا مَضَى فَهُوَ الْحُزْنُ، وَإِن كَانَ عَلَى مَا يُسْتَقْبَلُ فَهُوَ الْهَمُّ. فَالْأَلَمُ الْوَارِدُ إِن كَانَ مَصْدَرُهُ فَوْتَ الْمَاضِي أَثَّرَ الْحُزْنَ، وَإِن كَانَ مَصْدَرُهُ خَوْفَ الْآتِي أَثَّرَ الْهَمَّ.

وَالْعَجْزُ وَالْكَسَلُ قَرِيْنَانِ، فَإِنَّ تَخَلُّفَ مَصْلَحَةِ الْعَبْدِ وَبُعْدَهَا عَنْهُ إِن كَانَ مِنْ عَدَمِ الْقُدْرَةِ فَهُوَ عَجْزٌ، وَإِن كَانَ مِنْ عَدَمِ الْإِرَادَةِ فَهُوَ كَسَلٌ.

وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ قَرِيْنَانِ، فَإِنَّ الْإِحْسَانَ يُفْرِحُ الْقَلْبَ وَيَشْرَحُ الصَّدْرَ وَيَجْلِبُ النِّعَمَ وَيَدْفَعُ النِّقَمَ، وَتَرْكُهُ يُوجِبُ الضَّيْمَ وَالضِّيْقَ وَيَمْنَعُ وُصُولَ النِّعَمِ إِلَيْهِ، فَالْجُبْنُ تَرْكُ الْإِحْسَانِ بِالْبَدَنِ، وَالْبُخْلُ تَرْكُ الْإِحْسَانِ بِالْمَالِ.

(١) رواه البخاري (رقم: ٢٨٩٣، و٥٤٢٥، و٦٣٦٣، و٦٣٦٩) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَضَلَعُ الدَّيْنِ وَغَلَبَةُ الرِّجَالِ قَرِينَانِ، فَإِنَّ الْقَهْرَ وَالْغَلَبَةَ الْحَاصِلَةَ لِلْعَبْدِ إِمَّا مِنْهُ وَإِمَّا مِنْ غَيْرِهِ، وَإِن شِئْتَ قُلْتَ: إِمَّا بِحَقٍّ وَإِمَّا بِبَاطِلٍ مِنْ غَيْرِهِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ الْحُزْنَ مِمَّا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحُزْنَ يُضْعِفُ الْقَلْبَ وَيُوهِنُ الْعَزْمَ، وَيَضُرُّ الْإِرَادَةَ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَى الشَّيْطَانِ مِنْ حُزْنِ الْمُؤْمِنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المجادلة: ١٠].

فَالْحُزْنُ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ، يَمْنَعُهُ مِن نُّهُوضِهِ وَسَيْرِهِ وَتَشْمِيرِهِ، وَالثَّوَابُ عَلَيْهِ ثَوَابُ الْمَصَائِبِ الَّتِي يُبْتَلَى الْعَبْدُ بِهَا بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، كَالْمَرَضِ وَالْأَلَمِ وَنَحْوِهِمَا، وَأَمَّا أَن يَكُونَ عِبَادَةً مَأْمُورًا بِتَحْصِيلِهَا وَطَلَبِهَا فَلَا، فَفَرْقٌ بَيْنَ مَا يُثَابُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ مِنَ الْمَأْمُورَاتِ، وَمَا يُثَابُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَلِيَّاتِ، وَلَكِن يُحْمَدُ فِي الْحُزْنِ سَبَبُهُ وَمَصْدَرُهُ وَلَازِمُهُ لَا ذَاتُهُ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ إِمَّا أَن يَحْزَنَ عَلَى تَفْرِيطِهِ وَتَقْصِيرِهِ فِي خِدْمَةِ رَبِّهِ وَعُبُودِيَّتِهِ، وَإِمَّا أَن يَحْزَنَ عَلَى تَوَرُّطِهِ فِي مُخَالَفَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ وَضَيَاعِ أَيَّامِهِ وَأَوْقَاتِهِ.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ وَعَلَى حَيَاتِهِ، حَيْثُ شَغَلَ قَلْبَهُ بِمِثْلِ هَذَا الْأَلَمِ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ قَلْبُهُ مَيِّتًا لَمْ يُحِسَّ بِذَلِكَ وَلَمْ يَحْزَن وَلَمْ يَتَأَلَّمْ، فَمَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ، وَكُلَّمَا كَانَ قَلْبُهُ أَشَدَّ حَيَاةً كَانَ شُعُورُهُ بِهَذَا الْأَلَمِ أَقْوَى، وَلَكِنَّ الْحُزْنَ لَا يُجْدِي عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُضْعِفُهُ، بَلِ الَّذِي يَنفَعُهُ أَن يَسْتَقْبِلَ السَّيْرَ وَيَجِدَّ وَيُشَمِّرَ، وَيَبْذُلَ جَهْدَهُ، وَهَذَا نَظِيرُ مَنِ انقَطَعَ عَن رُّفْقَتِهِ فِي السَّفَرِ، فَجَلَسَ فِي الطَّرِيقِ حَزِينًا كَئِيبًا، يَشْهَدُ انقِطَاعَهُ، وَيُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِاللَّحَاقِ بِالْقَوْمِ، فَكُلَّمَا فَتَرَ وَحَزِنَ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِاللَّحَاقِ بِرُفْقَتِهِ، وَوَعَدَهَا إِن صَبَرَتْ أَن تَلْحَقَ بِهِمْ، وَيَزُولُ عَنْهَا وَحْشَةُ الِانقِطَاعِ، فَهَكَذَا السَّالِكُ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ، وَدِيَارِ الْمُقَرَّبِينَ.

وَأَخَصُّ مِنْ هَذَا الْحُزْنِ حُزْنُهُ عَلَى قَطْعِ الْوَقْتِ بِالتَّفْرِقَةِ الْمُضْعِفَةِ لِلْقَلْبِ عَن تَمَامِ سَيْرِهِ وَجِدِّهِ فِي سُلُوكِهِ، فَإِنَّ التَّفْرِقَةَ مِنْ أَعْظَمِ الْبَلَاءِ عَلَى السَّالِكِ، وَلَا سِيَّمَا فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ، فَالْأَوَّلُ حُزْنٌ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي الْأَعْمَالِ، وَهَذَا حُزْنٌ عَلَى نَقْصِ حَالِهِ مَعَ اللهِ وَتَفْرِقَةِ قَلْبِهِ وَكَيْفَ صَارَ ظَرْفًا لِتَفْرِقَةِ حَالِهِ، وَاشْتِغَالِ قَلْبِهِ بِغَيْرِ مَعْبُودِهِ.

وَأَخَصُّ مِنْ هَذَا الْحُزْنِ حُزْنُهُ عَلَى جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ قَلْبِهِ كَيْفَ هُوَ خَالٍ مِن مَّحَبَّةِ اللهِ؟ وَعَلَى جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ بَدَنِهِ كَيْفَ هُوَ مُنصَرِفٌ فِي غَيْرِ مَحَابِّ اللهِ؟ فَهَذَا حُزْنُ الْخَاصَّةِ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا حُزْنُهُمْ عَلَى كُلِّ مُعَارِضٍ يَشْغَلُهُمْ عَمَّا هُمْ بِصَدَدِهِ مِنْ خَاطِرٍ أَوْ إِرَادَةٍ أَوْ شَاغِلٍ مِّنْ خَارِجٍ.

فَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ مِنَ الْحُزْنِ لَا بُدَّ مِنْهَا فِي الطَّرِيْقِ، وَلَكِنَّ الْكَيِّسَ مَن لَّا يَدَعُهَا تَمْلِكُهُ وَتُقْعِدُهُ.

إِلَى أَن قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ اللهَ أَحَبَّهُ وَلَا بُدَّ، وَمَنْ أَحَبَّهُ انقَشَعَتْ عَنْهُ سَحَائِبُ الظُّلُمَاتِ، وَانكَشَفَتْ عَن قَلْبِهِ الْهُمُومُ وَالْغُمُومُ وَالْأَحْزَانُ، وَعُمِرَ قَلْبُهُ بِالسُّرُورِ وَالْأَفْرَاحِ، وَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ وُفُودُ التَّهَانِي وَالْبَشَائِرِ مِن كُلِّ جَانِبٍ، فَإِنَّهُ لَا حُزْنَ مَعَ اللهِ أَبَدًا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَن نَّبِيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فَدَلَّ أَنَّهُ لَا حُزْنَ مَعَ اللهِ، وَأَنَّ مَن كَانَ اللهُ مَعَهُ فَمَا لَهُ وَلِلْحُزْنِ؟ وَإِنَّمَا الْحُزْنُ كُلُّ الْحُزْنِ لِمَن فَاتَهُ اللهُ، فَمَنْ حَصَلَ اللهُ لَهُ فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَحْزَنُ؟ وَمَن فَاتَهُ اللهُ فَبِأَيِّ شَيْءٍ يَفْرَحُ؟ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨]، فَالْفَرَحُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ تَبَعٌ لِلْفَرَحِ بِهِ سُبْحَانَهُ، فَالْمُؤْمِنُ يَفْرَحُ بِرَبِّهِ أَعْظَمَ مِن فَرَحِ كُلِّ أَحَدٍ بِمَا يَفْرَحُ بِهِ مِنْ حَبِيْبٍ أَوْ حَيَاةٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ نِعْمَةٍ، أَوْ مُلْكٍ، يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُ بِرَبِّهِ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، وَلَا يَنَالُ الْقَلْبُ حَقِيْقَةَ الْحَيَاةِ حَتَّى يَجِدَ طَعْمَ هَذِهِ الْفَرْحَةِ وَالْبَهْجَةِ، فَيَظْهَرَ سُرُورُهَا فِي قَلْبِهِ وَنَضْرَتُهَا فِي وَجْهِهِ، فَيَصِيْرَ لَهُ حَالٌ مِنْ حَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَيْثُ لَقَّاهُمُ اللهُ نَضْرَةً وَسُرُورًا.

فَلِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ، فَهَذَا هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي شَمَّرَ إِلَيْهِ أُولُو الْهِمَمِ وَالْعَزَائِمِ، وَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ الْخَصَائِصِ وَالْمَكَارِمِ.ا.هـ.[1]

(١) "طريق الهجرتين وباب السعادتين"(صـ: ٢٧٩-٢٨١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِن نَّصَبٍ وَّلَا وَصَبٍ، وَّلَا هَمٍّ وَّلَا حُزْنٍ وَّلَا أَذًى وَّلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ.(١)

فَلَا بُدَّ مِنَ الْحُزْنِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، دَارِ الغُصَصِ وَالْأَحْزَانِ، قَالَ اللهُ ﷻ فِي شَأْنِ يَعْقُوبَ وَوَجْدِهِ عَلَى ابْنِهِ يُوسُفَ: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ [يوسف: ٨٤].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ تُوُفِّيَ ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**».(٢)

فَهَذَانِ الْحُزْنَانِ بِمُصِيبَةٍ وَّمَكْرُوهٍ.

وَذَكَرَ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ حُزْنَ الَّذِينَ لَمْ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَهُ وَلَمْ يَجِدْ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَا يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ٩٢﴾ [التوبة: ٩٢].

وَهَذَا الْحُزْنُ سَبَبُهُ فَوَاتُ طَاعَةٍ.

وَإِنَّمَا يَذْهَبُ الْحُزْنُ عَنِ الْعَبْدِ فِي الْجِنَانِ دَارِ الْحُبُورِ وَالسُّرُورِ، قَالَ اللهُ ﷻ فِي شَأْنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

وَالشَّيْطَانُ عَدُوٌّ لِلْإِنسَانِ مُبِينٌ، يَسْعَى فِي هَلَاكِهِ وَإِلْحَاقِ الضَّرَرِ بِهِ، وَجَلْبِ الْحُزْنِ لَهُ؛ لِيُثَبِّطَهُ عَنِ الْخَيْرِ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[المجادلة: ١٠].

وَالْمَنْهِيُّ عَنْهُ مِنَ النَّجْوَى: مُنَاجَاةُ اثْنَيْنِ دُونَ ثَالِثٍ، بِأَن يَتَحَدَّثَا سِرًّا، أَوْ بِلِسَانٍ لَّا يَفْهَمُهُ الثَّالِثُ، فَأَمَّا إِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ثَلَاثَةٍ فَلَا بَأْسَ.

---

(١) البخاري (رقم: ٥٦٤١)، ومسلم (رقم: ٢٥٧٣).

(٢) البخاري (رقم: ١٣٠٣)، ومسلم (رقم: ٢٣١٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٨٥٢)، وَزَادَ: قَالَ أَبُو صَالِحٍ: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: فَأَرْبَعَةً؟ قَالَ: «لَا يَضُرُّكَ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

◄ فَفِي الْحَدِيْثِ أَيْضًا: فَضْلُ إِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِظْهَارِ الْعَبْدِ ضَعْفَهُ وَافْتِقَارَهُ إِلَى رَبِّهِ، **«اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ»**.

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾.

سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ - كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى"(ج٢٢/صـ:٤٨٨) -: عَنْ امْرَأَةٍ سَمِعَتْ فِي الْحَدِيثِ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ»**، إِلَى آخِرِهِ، فَدَاوَمَتْ عَلَى هَذَا اللَّفْظِ، فَقِيلَ لَهَا: قَوْلِي: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَمَتُك، بِنْتُ أَمَتِك»، إِلَى آخِرِهِ. فَأَبَتْ إِلَّا الْمُدَاوَمَةَ عَلَى اللَّفْظِ، فَهَلْ هِيَ مُصِيبَةٌ أَمْ لَا؟ فَأَجَابَ:

بَلْ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَمَتُكَ بِنْتُ عَبْدِك ابْنِ أَمَتِكَ»، فَهُوَ أَوْلَى وَأَحْسَنُ، وَإِن كَانَ قَوْلُهَا: عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ، لَهُ مَخْرَجٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ، كَلَفْظِ الزَّوْجِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.ا.هـ.

---

(١) البخاري (رقم: ٦٢٨٨)، ومسلم (رقم: ٢١٨٣).

(٢) البخاري (رقم: ٦٢٩٠)، ومسلم (رقم: ٢١٨٤).

◄ وَفِي الْحَدِيْثِ أَيْضًا: أَنَّ نَوَاصِيَ الْعِبَادِ بِيَدِ اللهِ ﷻ: «نَاصِيَتِي بِيَدِكَ»، فَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ بِعِبَادِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

◄ وَفِي الْحَدِيْثِ أَيْضًا: اعْتِقَادُ الْمُؤْمِنِ فِي حُكْمِ اللهِ وَقَضَائِهِ، سَوَاءٌ أَكَانَ كَوْنِيًا، وَذَلِكَ بِالرِّضَى وَالتَّسْلِيْمِ، أَوْ شَرْعِيًّا، بِلُزُومِ طَاعَتِهِ وَتَقْوَاهُ ﷻ: «مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ».

فَكُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ، وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

◄ وَفِي الْحَدِيْثِ أَيْضًا: سُؤَالُ اللهِ ﷻ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ».

وَمَعْنَى الْحُسْنَى: الْبَالِغَةُ فِي الْحُسْنِ غَايَتَهُ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الإسراء: ١١٠].

◄ وَفِيْهِ أَيْضًا: أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ ﷻ غَيْرُ مَحْصُورَةٍ بِعَدَدٍ مُعَيَّنٍ بِالنِّسْبَةِ لَنَا؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ».

◄ وَأَمَّا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١)؛ فَلَيْسَ فِيْهِ حَصْرٌ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: أَنَّ مِن جُمْلَةِ أَسْمَاءِ اللهِ ﷻ: تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ اسْمًا، انفَرَدَتْ بِفَضِيْلَةٍ لَيْسَتْ لِغَيْرِهَا، وَهِيَ: أَنَّ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ.

◄ وَفِي الْحَدِيْثِ أَيْضًا: أَنَّهُ يَنبَغِي لِلْعَبْدِ أَن يُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيْ دُعَاءِهِ رَبَّهُ: ثَنَاءً عَلَيْهِ.

◄ وَفِي الْحَدِيْثِ أَيْضًا: ذِكْرُ فَضِيْلَةٍ مِن فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، وَأَعْظِمْ بِهَذِهِ الْفَضِيْلَةِ، وَأَنْعِمْ بِهَا، وَهِيَ: أَنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَنُورُ الصُّدُورِ، وَجَلَاءُ الْأَحْزَانِ، وَذَهَابُ الْهُمُومِ.

---

(١) البخاري (رقم: ٢٧٣٦، و٧٣٩٢)، ومسلم (رقم: ٢٦٧٧).

فَسُبْحَانَ اللهِ: يَدْعُو بِدُعَاءٍ؛ لِيَرْفَعَ بِهِ حُزْنَهُ وَهَمَّهُ، فَلَا يَقُولُ: أَذْهِبْ حُزْنِي وَهَمِّي، وَلَكِن يَّقُولُ: «**أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي**».

فَكَانَتِ النَّتِيجَةُ: «**إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**».

مَا ذَكَرَ سِوَى الْقُرْآنِ، وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فِيهِ شِفَاءُ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ، وَذَهَابُ الْغُمُومِ وَالْهُمُومِ، وَهُوَ نُورٌ وَّهُدًى، وَمَوْعِظَةٌ وَّشِفَاءٌ، وَرَحْمَةٌ، وَهُوَ كَرِيمٌ، عَظِيمٌ، عَلِيٌّ، حَكِيمٌ.

فَالْقُرْآنُ نُورُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَبِيعُهَا، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وَهَكَذَا هِدَايَةُ الْمُؤْمِنِ بِالْقُرْآنِ نُورٌ، فَالْعَامِلُونَ بِالْقُرْآنِ عَلَى نُورٍ مِن رَّبِّهِمْ، ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

بِنَفسِي مَنِ اسْتَهْدَى إِلَى اللهِ وَحْدَهُ ... وَكَانَ لَهُ الْقُرْآنُ شِرْباً وَمَغْسَلَا
وَطَابَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ فَتَفَتَّقَتْ ... بِكُلِّ عَبِيرٍ حِينَ أَصْبَحَ مُخْضَلَا
فَطُوبَى لَهُ وَالشَّوْقُ يَبْعَثُ هَمَّهُ ... وَزَنْدُ الأَسَى يَهْتَاجُ فِي الْقَلْبِ مُشْعِلَا

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ "الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ" – عَلَى اخْتِلَافٍ فِي نِسْبَةِ هَذَا الْكِتَابِ إِلَيْهِ –: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَدْعُونَ مَن ضَلَّ إِلَى الْهُدَى، وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى، يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللهِ الْمَوْتَى، وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللهِ أَهْلَ الْعَمَى، فَكَم مِّن قَتِيلٍ لِإِبْلِيْسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكَم مِّن ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ، فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَى النَّاسِ، وَأَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ».

[أَلَا خَبِّرَا لِمُقْتَرِحِ النُّوَاحِ ... أَطِيرُ إِلَيْهِ مَنشُورَ الْجَنَاحِ
فَأَسْأَلَهُ وَأَلْطُفَهُ عَسَاهُ ... سَيُسْلِي مَا بِقَلْبِي مِن جِرَاحِ
وَيَجْلُو مَا دَجَا مِن لَيْلِ جَهْلِي ... بِنُورِ هُدًى كَمُنسَلَخِ الصَّبَاحِ

◄ وَفِي الْحَدِيْثِ أَيْضًا: أَنَّهُ يَنبَغِي لِمَن سَمِعَ عِلْمًا نَافِعًا أَن يَّعْمَلَ بِهِ: قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «**بَلَى، يَنْبَغِي لِمَن سَمِعَهَا أَن يَّتَعَلَّمَهَا**».

الصد عن سبيل الله

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيْمِ مُخْبِرًا عَن شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يُخَاطِبُ قَوْمَهُ: ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٦].

فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَعْظُ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمَهُ، فَإِنَّهُ نَهَاهُمْ، وَأَمَرَهُمْ، وذكَّرَهُمْ، وَحَذَّرَهُمْ، فنهَاهُمْ عَنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ الْحِسِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ، ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾، وَالصِّرَاطُ: الطَّرِيْقُ، الْحِسِّيُّ مِنْهُ وَالْمَعْنَوِيُّ.

وَنَهَاهُمْ عَنِ الصَّدِّ عَن سَبِيْلِ اللهِ.

وَسَبِيْلُ اللهِ ﷻ هُوَ الطَّرِيْقُ الْمَعْنَوِيُّ الْمُوصِلُ إِلَيْهِ، وَهُوَ دِيْنُهُ.

وَنَظِيْرُ هَذَا قَوْلُهُ ﷻ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

وَأَمَرَهُم بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾، وَهَذَا تَذْكِيْرٌ لَهُم بِنِعْمَةٍ مِن نِّعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَهِيَ تَكْثِيْرُهُم بَعْدَ قِلَّةٍ.

وَحَذَّرَهُم بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

وَقَدْ أَخْبَرَ ﷻ عَن سَائِرِ الْكُفَّارِ أَنَّ مِن شَأْنِهِمُ: الصَّدَّ عَن سَبِيْلِ اللهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[الأنفال: ٤٧].

وَهَؤُلَاءِ هُم مُّشْرِكُو قُرَيْشٍ حِيْنَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ إِلَى بَدْرٍ ﴿بَطَرًا﴾ أَيْ: دَفْعًا لِلْحَقِّ، وَزَهْوًا، وَاسْتِخْفَافًا بِالنِّعْمَةِ، ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ أَيْ: مُفَاخَرَةً وَكِبْرًا.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ وَهَذَا هُوَ مَقْصُودُهُمُ الْأَعْظَمُ الَّذِي خَرَجُوا مِنْ أَجْلِهِ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢ – ٣].

فَتَوَعَّدَهُمُ اللهُ ﷻ بِالْوَيْلِ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ۚ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٣ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٣ – ٣٤].

وَفِي قِرَاءَةٍ سَبْعِيَّةٍ: ﴿وَصَدُّوا عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ﴾.

وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

فَتَوَعَّدَهُمُ اللهُ ﷻ بِالْعَذَابِ الْمُضَاعَفِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج: ٢٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[النساء: ١٦٧].

فَأَخْبَرَ ﷻ أَنَّهُمْ فِي ضَلَالٍ بَعِيْدٍ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٣٢].

وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [محمد: ٣٤].

فَأَخْبَرَ ﷻ بِحُبُوطِ أَعْمَالِ الصَّادِّيْنَ عَن سَبِيْلِهِ.

هَذَا وَإِنَّ لِلصَّدِّ عَن سَبِيْلِ اللهِ ﷻ سُبُلًا مُتَنَوِّعَةً، وَصُوَرًا مُتَعَدِّدَةً، مِنْهَا:

◄ النَّأْيُ عَنِ الْخَيْرِ وَالنَّهْيُ عَنْهُ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦].

وَالنَّأْيُ عَنِ الْخَيْرِ يَكُونُ بِإِعْرَاضِ النَّائِي بِنَفْسِهِ، وَالنَّهْيُ عَنْهُ يَكُونُ بِحَمْلِهِ غَيْرَهُ عَلَى الْإِعْرَاضِ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥].

◄ وَيَكُونُ الصَّدُّ عَن سَبِيْلِ اللهِ ﷻ أَيْضًا بِالْإِعْرَاضِ عَنِ التَّحَاكُمِ إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ ﷻ، قَالَ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ

ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٠ - ٦٥].

◄ وَيَكُونُ أَيْضًا بِالْجِدَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[الزخرف: ٥٧ - ٥٩].

﴿ يَصِدُّونَ ﴾، أَيْ: يَضِجُّونَ وَيَصِيحُونَ فَرَحًا بِذَلِكَ الْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ.

وَهَذِهِ قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ، بِكَسْرِ الصَّادِ، وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَخَلَفٌ: ﴿ يَصُدُّونَ ﴾، بِضَمِّ الصَّادِ، مِنَ الصُّدُودِ.

وَهَذَا شَأْنُ الْكَافِرِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، الصَّدُّ عَن سَبِيلِ اللهِ ﷻ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾ [الكهف: ٥٦].

◄ وَمِن وَسَائِلِ الصَّدِّ عَن سَبِيلِ اللهِ ﷻ: التَّرْوِيجُ لِلْبِدَعِ وَأَهْلِهَا، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ السُّنَّةِ وَأَهْلِهَا.

وَالْبِدَعُ أَهْوَاءٌ زُيِّنَتْ لِأَصْحَابِهَا، فَاتَّخَذُوهَا دِينًا، كَمَا قَالَ رَبُّنَا ﷻ: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴾ [محمد: ١٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨].

وَقَالَ ﷻ مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦].

وَمِن جُمْلَةِ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ: الْمَوَالِدُ، وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَحَاذِيرَ شَرْعِيَّةٍ كَثِيرَةٍ، شِرْكِيَّةٍ وَبِدْعِيَّةٍ وَفِسْقِيَّةٍ، يُصَدُّ بِهَا عَنِ التَّوْحِيدِ وَعَنِ السُّنَّةِ، وَعَنِ الطَّاعَةِ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ.

◄ وَمِن وَّسَائِلِ الصَّدِّ عَن سَبِيْلِ اللهِ: الْغِنَاءُ.

قَالَ ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان: ٦ - ٧].

قَالَ تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «نَزَلَتْ فِي الْغِنَاءِ وَأَشْبَاهِهِ».

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ؟ -: «هُوَ الْغِنَاءُ وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»، يُرَدِّدُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.(١)

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: ﴿لِيَضِلَّ﴾، بِفَتْحِ الْيَاءِ، أَيْ: هُوَ، وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ أَعَمُّ؛ فَإِنَّ الَّذِي مِن شَأْنِهِ الْإِضْلَالُ يَكُونُ مُتَّصِفًا بَوَصْفِ الضَّلَالِ مِن بَابٍ أَوْلَى.

وَهَذَا الْإِضْلَالُ بِحَسَبِ الِالْتِهَاءِ قِلَّةً وَكَثْرَةً.

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ، إِذْ قَالَ فِي نُونِيَّتِهِ:

واللهِ إِنَّ سَمَاعَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَالْـ	إِيْمَانِ مِثْلُ السُّمِّ فِي الْأَبْدَانِ
واللهِ مَا انفَكَّ الَّذِيْ هُوَ دَأْبُهُ	أَبَدًا مِنَ الْإِشْرَاكِ بِالرَّحْمَنِ
فَالْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ	حُبًّا وَإِخْلَاصًا مَعَ الْإِحْسَانِ
فَإِذَا تَعَلَّقَ بِالسَّمَاعِ أَصَارَهُ	عَبْدًا لِكُلِّ فُلَانَةٍ وَفُلَانِ

(١) راجع: "تحريم آلات الطرب"(ص:١٤٣).

حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ أَلْحَانِ الْغِنَا ... فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
ثَقُلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمُ لَمَّا رَأَوْا ... تَقْيِيْدَهُ بِشَرَائِعِ الْإِيْمَانِ
وَاللَّهْوُ خَفَّ عَلَيْهِمُ لَمَّا رَأَوْا ... مَا فِيْهِ مِن طَرَبٍ وَمِنْ أَلْحَانِ
قُوْتُ النُّفُوسِ وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ قُوْ ... تُ الْقَلْبِ أَنَّى يَسْتَوِي الْقُوْتَانِ

◄ وَكَذَلِكَ مِن وَّسَائِلِ الصَّدِّ عَن سَبِيْلِ اللهِ ﷻ فِي هَذَا الزَّمَانِ: التِّلْفَازُ، وَالِاسْتِعْمَالُ السَّيِّءُ لِلْجَوَّالَاتِ، وَقَدْ عَلِمَ كُلُّ مُنصِفٍ عَاقِلٍ مَا لِهَذَيْنِ مِنَ الْأَثَرِ الظَّاهِرِ عَلَى الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، و[آل عمران: ٧].

◄ وَكَذَلِكَ مِن وَّسَائِلِ الصَّدِّ عَن سَبِيْلِ اللهِ ﷻ: الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ، قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩١].

فَمَآلُ شُرْبِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ إِلَى الصَّدِّ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ.

وَحُرْمَةُ الْخَمْرِ مِمَّا عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ مِن دِيْنِ الْإِسْلَامِ، وَقَد دَّلَّ عَلَى حُرْمَتِهِ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ.

وَعِندَ التِّرْمِذِيِّ (رقم: ١٢٩٥) وَابْنِ مَاجَهْ (رقم: ٣٣٨١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الخَمْرِ عَشَرَةً: عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَآكِلَ ثَمَنِهَا، وَالمُشْتَرِي لَهَا، وَالمُشْتَرَاةَ لَهُ**».(١)

وَكَذَلِكَ الْمُخَدِّرَاتُ تُشَارِكُ الْخَمْرَ فِي هَذِهِ الْحُرْمَةِ.

(١) وحسن إسناده: الضياء في "المختارة"(رقم:٢١٨٧، و٢١٨٨)، وصححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم:٢٣٥٧)، وحسنه الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٦١).

وَمَا حَرَّمَ اللهُ ﷻ الْخَمْرَ إِلَّا لِمَضَارِّهَا الْمُتَكَاثِرَةِ، وَالَّتِي مِنْهَا مَا ذُكِرَ فِي الْآيَةِ؛ وَلِهَذَا فَإِنَّ الْخَمْرَ لَا يَشْرَبُهَا إِلَّا ذَاهِبُ الْإِيْمَانِ أَوْ ضَعِيْفُهُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١)

وَمِن مَّضَارِّهَا أَيْضًا: أَنَّهَا تُذْهِبُ الْغَيْرَةَ وَالنَّخْوَةَ وَالْمُرُوءَةَ، وَتُزْرِي بِالْإِنسَانِ، حَيْثُ إِنَّهُ يُفْسِدُ عَقْلَهُ بِنَفْسِهِ؛ طَلَبًا لِلَذَّةٍ بَهِيْمِيَّةٍ!.

وَمِن وَّسَائِلِ الصَّدِّ عَن سَبِيْلِ اللهِ أَيْضًا: الْمَيْسِرُ، وَهُوَ الْقِمَارُ، وَضَابِطُهُ: أَنَّهُ كُلُّ مُعَامَلَةٍ تَقُومُ عَلَى مُخَاطَرَةٍ، دَائِرَةٍ بَيْنَ الْغُنْمِ وَالْغُرْمِ.

وَيَدْخُلُ فِيْهِ مُبَارَيَاتُ كُرَةِ الْقَدَمِ الْمُنَظَّمَةُ، كَمُبَارَيَاتِ كَأْسِ الْعَالَمِ!، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا سَبَقَ إِلَّا فِي نَصْلٍ، أَوْ خُفٍّ، أَوْ حَافِرٍ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(٢)

نَاهِيْكَ عَن مَحَاذِيْرِهَا الْأُخْرَى، وَالَّتِي مِنْهَا: إِضَاعَةُ الْأَوْقَاتِ، وَالْإِخْلَالُ بِالْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾ [النساء: ١٧٦].

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ لِلصَّدِّ عَن سَبِيْلِ اللهِ عَوَاقِبَ وَخِيْمَةً وَنَتَائِجَ أَلِيْمَةً، فَمِنْهَا:

١. أَنَّ اللهَ ﷻ يُذِيْقُ فَاعِلَهُ: السُّوءَ، وَيُعَذِّبُهُ، قَالَ ﷻ: ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النحل: ٩٤].

---

(١) البخاري (رقم: ٥٥٧٨، و٦٨١٠)، ومسلم (رقم: ٥٧).

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ٤٦٩٠)، والألباني في "الإرواء"(رقم:١٥٠٦)، وفي "صحيح أبي داود"(رقم: ٢٣١٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:١٣٩٤).

وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

٢. وَمِنْهَا: حُصُولُ الضَّلَالِ، وَإِحْبَاطِ الْأَعْمَالِ، قَالَ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ١]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٣٢].

٣. وَمِنْهَا: الْوُقُوعُ فِي الْهَلَكَةِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦].

٤. وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُوجِبُ اللَّعْنَةَ، قَالَ ﷻ: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٤ - ٤٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [هود: ١٨ - ١٩].

٥. وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُفْضِي إِلَى الْحَسْرَةِ وَالِانكِسَارِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

عيادة المريض

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٢٤٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢١٦٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ لِّمُسْلِمٍ (رقم: ٢١٦٢)(٥): **«حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»**. قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: **«إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»**.

فَفِي هَذَا الْحَدِيْثِ أَنَّ مِن جُمْلَةِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيْهِ: عِيَادَتَهُ إِذَا مَرِضَ.

وَلَهُمَا أَيْضًا عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: **«أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، أَوِ الْمُقْسِمِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ»**.(١)

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم: ٣٠٤٦، و٥١٧٤، و٥٣٧٣، و٥٦٤٩) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِيَ»**.

وَفِي هَذَيْنِ الْحَدِيْثَيْنِ أَيْضًا: الْأَمْرُ بِعِيَادَةِ الْمَرِيْضِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى وُجُوبِهَا، وَهِيَ مِن فُرُوضِ الْكِفَايَةِ، إِذَا قَامَ بِهَا مَن يَكْفِي مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ سَقَطَ الْإِثْمُ وَالْحَرَجُ عَن بَاقِيْهِمْ.

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي وَقْتِنَا الْحَالِي حَصَلَ - وللهِ الْحَمْدُ - الِاتِّصَالُ بِالْهَاتِفِ، فَإِنَّ الْإِنسَانَ إِذَا لَمْ يَتَمَكَّن مِّنَ الذَّهَابِ إِلَى الْمَرِيْضِ بِنَفْسِهِ، فَهَذَا الْهَاتِفُ يَدْخُلُ عَلَى الْبُيُوتِ بِدُونِ اسْتِئْذَانٍ؛ لِهَذَا نَقُولُ: إِذَا لَمْ تَتَمَكَّن مِّنْ عِيَادَةِ الْمَرِيْضِ بِنَفْسِكَ فَإِنَّكَ تَتَّصِلُ بِالْهَاتِفِ، وَتَسْأَلُ عَنْ حَالِهِ وَيُكْتَبُ لَكَ بِذَلِكَ الْأَجْرُ إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَى، واللهُ الْمُوَفِّقُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمُرَادُ بِالْمَرِيْضِ الَّذِي يُعَادُ هُوَ الَّذِي انقَطَعَ فِي بَيْتِهِ وَلَا يَخْرُجُ، وَأَمَّا الْمَرِيْضُ مَرَضًا خَفِيْفًا لَا يَعُوقُهُ عَنِ الْخُرُوجِ وَمُصَاحَبَةِ النَّاسِ فَإِنَّهُ لَا يُعَادُ، لَكِن يُّسْأَلُ عَنْ حَالِهِ إِذَا عَلِمَ بِهِ الْإِنسَانُ.ا.هـ.(٢)

وَقَدْ بَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيْحِهِ عَلَى هَذَيْنِ الْحَدِيْثَيْنِ بِقَوْلِهِ: (بَابُ وُجُوبِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ).

وَكَانَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: عِيَادَةُ الْمَرْضَى، فَعَن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: عَادَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ أَشْفَيْتُ

(١) البخاري (رقم: ١٢٣٩، و٢٤٤٥، و٥١٧٥، و٥٦٣٥، و٥٨٦٣، و٦٢٢٢، و٦٢٣٥)، ومسلم (رقم: ٢٠٦٦).

(٢) "شرح رياض الصالحين"(كتاب عيادة المريض وتشييع الميت).

مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٩٣٦، و٤٤٠٩، و ٦٣٧٣)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٦٢٨).

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٩٢٥) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبَرَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَا أَخَا الْأَنْصَارِ، كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟»**، فَقَالَ: صَالِحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟»**. فَقَامَ، وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلَا خِفَافٌ، وَلَا قَلَانِسُ، وَلَا قُمُصٌ، نَمْشِي فِي تِلْكَ السِّبَاخِ حَتَّى جِئْنَاهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ، حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ.

وَلَهُمَا عَن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ يَعُودَانِي مَاشِيَيْنِ، فَأُغْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ صَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ، فَأَفَقْتُ.(١)

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْعَرِقَةِ، رَمَاهُ فِي الْأَكْحَلِ، فَضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ، يَعُودُهُ مِنْ قَرِيبٍ. الْحَدِيث.(٢)

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرِضَ عَادَهُ أَصْحَابُهُ، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَعُودُونَهُ، الْحَدِيث. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٦٥٨)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٤١٢).

فَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ قُرْبَةٌ وَّعِبَادَةٌ، وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِهَا أَحَادِيْثُ، مِنْهَا:

مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٦٨) عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ»**.

---

(١) البخاري (رقم: ٤٥٧٧، و٥٦٥١، و٦٧٢٣، و٧٣٠٩)، ومسلم (رقم: ١٦١٦).

(٢) البخاري (رقم: ٤١٢٢)، ومسلم (رقم: ١٧٦٩).

وَفِي رِوَايَةٍ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «جَنَاهَا».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: يَؤُولُ بِهِ ذَلِكَ إِلَى الْجَنَّةِ وَاجْتِنَاءِ ثِمَارِهَا، وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى فَضْلِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ.ا.هـ.

وَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا (رقم: ٢٥٦٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَّهُ لَوَجَدتَّنِي عِنْدَهُ؟!»**.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَإِنَّمَا أَضَافَ اللهُ ذَلِكَ إِلَى نَفْسِهِ أَوَّلًا؛ لِلتَّرْغِيبِ وَالْحَثِّ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، و[الحديد: ١١].

وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَكْبَرِ الْحُجَجِ الدَّامِغَةِ لِأَهْلِ التَّأْوِيلِ، الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ نُصُوصَ الصِّفَاتِ عَنْ ظَاهِرِهَا بِلَا دَلِيلٍ مِّن كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَلَا مِن سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا يُحَرِّفُونَهَا بِشُبَهٍ بَاطِلَةٍ، هُمْ فِيهَا مُتَنَاقِضُونَ مُضْطَرِبُونَ، إِذْ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ خِلَافَ ظَاهِرِهَا كَمَا يَقُولُونَ لَبَيَّنَهُ اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ كَانَ ظَاهِرُهَا مُمْتَنِعًا عَلَى اللهِ كَمَا زَعَمُوا لَبَيَّنَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَلَوْ كَانَ ظَاهِرُهَا اللَّائِقُ بِاللهِ مُمْتَنِعًا عَلَى اللهِ لَكَانَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِن وَّصْفِ اللهِ تَعَالَى بِمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَا لَا يُحْصَى إِلَّا بِكُلْفَةٍ، وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْمُحَالِ.ا.هـ.(١)

وَقَالَ أَيْضًا فِي شَرْحِهِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى قُرْبِ الْمَرِيضِ مِنَ اللهِ ﷻ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ الْمَرِيضَ حَرِيٌّ بِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ إِذَا دَعَا لِشَخْصٍ أَوْ دَعَا عَلَى شَخْصٍ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عِندَ الْمَرِيضِ وَعِندَ مَنْ عَادَهُ؛ لِقَوْلِهِ: **«لَوَجَدتَّنِي عِنْدَهُ»**.ا.هـ.(٢)

---

(١) "القواعد المثلى في صفات الله وأسماءه الحسنى" (صـ: ٧٦).

(٢) "شرح رياض الصالحين" (كتاب عيادة المريض وتشييع الميت).

وَفِي عِيَادَةِ الْمَرِيضِ فَوَائِدُ عِدَّةٌ:

◄ مِنْهَا: التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

◄ وَمِنْهَا: حُصُولُ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ.

◄ وَمِنْهَا: أَنَّ الصَّحِيحَ يَتَذَكَّرُ قَدْرَ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْعَافِيَةِ، وَالْعَافِيَةُ خَيْرُ مَا يُؤْتَاهُ امْرُؤٌ بَعْدَ الْيَقِينِ.

فَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ (رقم:٥، و١٧، و٣٤)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٨٤٩)، وَأَبُو يَعْلَى (رقم:١٢١، و١٢٤)، وَغَيْرُهُمْ مِن طَرِيقِ أَوْسَطَ البَجَلِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَقَامِي هَذَا عَامَ الْأَوَّلِ، وَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: **«سَلُوا اللهَ الْمُعَافَاةَ - أَوْ قَالَ: الْعَافِيَةَ - فَلَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ قَطُّ بَعْدَ الْيَقِينِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَافِيَةِ - أَوِ الْمُعَافَاةِ»**.

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ (رقم:٥)، وَالنَّسَائِيِّ فِي "عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ" (رقم:٨٨١) التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الْقَائِلَ هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ رَأَى مُبْتَلًى، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ»**. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٤٣٢)، وَحَسَنَهُ.(٢)

◄ وَمِنْهَا: أَنَّهَا تُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَى الْمَرِيضِ، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا سَبَبًا لِشِفَاءِهِ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَا تُطِلِ الْجُلُوسَ عِندَهُ؛ فَحَالُ الْمَرِيضِ غَيْرُ حَالِ الصَّحِيحِ، فَرُبَّمَا يَمَلُّ، وَأَحَبَّ أَن تَقُومَ عَنْهُ؛ لِيَأْتِيَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ إِذَا

---

(١) وذكره الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٦٠٢)، وذكر له شاهدًا من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ذكره أيضًا في "الصحيحة"(رقم: ٢٧٣٧).

(٢) وصححه الحاكم (رقم: ١٩٣٨)، والضياء في "المختارة"(ج١/صـ:١٥٥-١٥٧)(رقم: ٦٦، و٦٧، و٦٨)، والألباني في "صحيح الأدب المفرد"(رقم: ٥٦١)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٧٠٦).

رَأَيْتَ أَنَّ الْمَرِيْضِ مُسْتَأْنِسٌ بِكَ، وَيَفْرَحُ أَن تَبْقَي وَأَن تُطِيْلَ الْجُلُوسَ عِندَهُ فَهَذَا خَيْرٌ، وَلَا بَأْسَ بِهِ، وَهَذَا رُبَّمَا يَكُونُ سَبَبًا فِي شِفَائِهِ؛ لِأَنَّ مِنْ أَسْبَابِ الشِّفَاءِ: إِدْخَالَ السُّرُورِ عَلَى الْمَرِيْضِ، وَمِنْ أَسْبَابِ دَوَامِ الْمَرَضِ وَزِيَادَتِهِ: إِدْخَالَ الْغَمِّ عَلَيْهِ، فَمَثَلًا: إِذَا جِئْتَ مَرِيضًا، وَقُلْتَ لَهُ: أَنتَ الْيَوْمَ أَحْسَنُ مِنْ أَمْسِ، حَتَّى وَإِن لَّمْ يَكُنْ أَحْسَنَ مِن جِهَةِ الْمَرَضِ، لَكِن تَقُولُ: أَحْسَنُ مِنْ أَمْسِ؛ لِأَنَّكَ زِدتَّ خَيْرًا مَا بَيْنَ أَمْسِ وَالْيَوْمِ، صَلَّيْتَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، اسْتَغْفَرْتَ، هَلَّلْتَ، زَادَ أَجْرُكَ بِالْمَرَضِ، وَذَلِكَ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ السُّرُورُ، وَلَا تَقُل لَّهُ: أَنتَ أَمْسِ أَحْسَنُ مِنَ الْيَوْمِ، فَهَذَا خَطَأٌ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَإِن كَانَ مِمَّن يُّحِبُّ الْقَصَصَ وَهِيَ حَقٌّ وَّلَيْسَتْ كَذِبًا، وَكَانَ ذَلِكَ مَدْعَاةً لِّإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِ فَهَذَا أَيْضًا طَيِّبٌ؛ لِأَنَّ مِنَ الْمُهِمِّ إِدْخَالَ السُّرُورِ عَلَى الْمَرِيْضِ، وَإِذَا أَرَدتَّ أَن تَقُومَ فَاسْتَأْذِن؛ فَإِنَّ هَذَا أَيْضًا مِمَّا يَسُرُّهُ؛ لِأَنَّهُ رُبَّمَا يَوَدُّ أَن تَبْقَي، فَلَا يَأْذَنُ لَكَ.ا.هـ.(١)

◄ وَمِن فَوَائِدِ عِيَادَةِ الْمَرِيْضِ أَيْضًا: أَنَّ عِيَادَةَ الْمَرِيْضِ تَحْمِلُ عَلَى الشَّفَقَةِ عَلَيْهِ وَمُوَاسَاتِهِ، وَالدُّعَاءِ لَهُ، وَالْمُؤْمِنُ يَتَأَلَّمُ لِأَلَمِ أَخِيْهِ وَيَتَوَجَّعُ لِوَجَعِهِ.

قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٠١١)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٨٦).

وَلَهُمَا عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»**.(٢)

وَلَا يَنبَغِي لِمَنْ عَادَ مَرِيْضًا أَن يُّغْفِلَ الدُّعَاءَ لَهُ، وَإِن رَّآهُ مُحْتَاجًا إِلَى رُقْيَةٍ رَّقَاهُ، فَقَدْ أَخْرَجَ أَحْمَدُ (رقم: ٢١٣٧، و٢١٣٨، و٢١٨٢، و٣٢٩٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣١٠٦)،

(١) "شرح رياض الصالحين"(كتاب عيادة المريض وتشييع الميت).

(٢) رواه البخاري (رقم: ٤٨١، و ٢٤٤٦، و٦٠٢٦)، ومسلم (رقم: ٢٥٨٥).

وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٠٨٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»**.

وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ"(رقم: ٥٣٦)، وَلَفْظُهُ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَادَ الْمَرِيضَ جَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ (سَبْعَ مِرَارٍ): **«أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ»**. فَإِنْ كَانَ فِي أَجَلِهِ تَأْخِيرٌ عُوفِيَ مِن وَجَعِهِ.(١)

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢١٨٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ إِذَا اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَقَاهُ جِبْرِيلُ، قَالَ: **«بِاسْمِ اللهِ يُبْرِيكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ»**.

وَلَهُ (رقم: ٢١٨٦) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ جِبْرِيلَ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: **«نَعَمْ»**. قَالَ: **«بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»**.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا بَأْسَ أَن يَّقُولَ الْمَرِيْضُ لِلنَّاسِ: إِنِّي مَرِيْضٌ، إِذَا سَأَلُوهُ، وَأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِن بَابِ الشَّكْوَى، الشَّكْوَى أَن تَشْتَكِيَ الْخَالِقَ لِلْمَخْلُوقِ، تَقُولُ: أَنَا أَمْرَضَنِي اللهُ بِكَذَا وَكَذَا، تَشْكُو الرَّبَّ لِلْخَلْقِ، هَذَا لَا يَجُوزُ، وَلِهَذَا قَالَ يَعْقُوبُ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، لَكِنْ إِذَا أَخْبَرَ الْمَرِيْضُ بِمَرَضِهِ عَلَى سَبِيْلِ الْإِخْبَارِ لَا الشَّكْوَى فَلَا بَأْسَ.ا.هـ.

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٢٩٧٥، و٢٩٧٨)، والحاكم (رقم: ١٢٦٨، و١٢٦٩، و١٢٧٠، و٧٤٨٧، و٧٤٨٨، و٧٨٨٩، و٧٨٩٠، و٨٢٨٢٨)، وقال في إحدى هذه المواضع: «على شرط البخاري ومسلم»، ووافقه الذهبي.

وصححه أيضًا: الضياء في "المختارة"(ج١٠/صـ: ٣٦٨-٣٧١)(رقم: ٣٩٤، و٣٩٥، و٣٩٦، و٣٩٧، و٣٩٨، و٣٩٩)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٣٤٨٠)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٦٤١).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

◄ فَمِن فَوَائِدِ عِيَادَةِ الْمَرِيْضِ أَيْضًا: أَنَّ فِيْهَا دَعْوَةً إِلَى اللهِ، وَتَأْلِيْفًا لِّلْقُلُوبِ، وَتَذْكِيْرًا لِّلنَّاسِي، وَتَنبِيْهًا لِّلْغَافِلِ، وَتَعْلِيْمًا لِّلْجَاهِلِ، وَلِهَذَا تُشْرَعُ عِيَادَةُ الْكَافِرِ إِذَا مَرِضَ، إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْهَا دَعْوَتَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلِلْبُخَارِيِّ (رقم: ١٣٥٦) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: **«أَسْلِمْ»**، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: **«الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»**.

وَمَا أَحْوَجَ كَثِيْرًا مِنَ الْمَرْضَى فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مَعَ قِلَّةِ الْعِنَايَةِ بِالْفِقْهِ فِي الدِّيْنِ إِلَى مَن يُثَبِّتُهُمْ وَيُصَبِّرُهُمْ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ فَضْلَ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَيُعَلِّمُهُم مَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِيْنِهِمْ، كَأَحْكَامِ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ، وَيُذَكِّرُهُم بِاللهِ ﷻ، وَيَأْمُرُهُم بِالتَّوْبَةِ وَالْوَصِيَّةِ، وَمَن كَانَ مِنْهُمْ فِي حَالِ الِاحْتِضَارِ لَقَّنَهُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

فَعَنْ أَبِي سَعِيْدٍ وَّأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**. رَوَاهُمَا مُسْلِمٌ (رقم: ٩١٦، و٩١٧).

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِيْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْمُسْتَحَبُّ لِمَنْ عَادَ الْمَرِيْضَ أَن يَّسْأَلَ عَنْ حَالِهِ: كَيْفَ أَنتَ؟ وَعَنْ عِبَادَتِهِ: كَيْفَ تَتَوَضَّأُ؟ كَيْفَ تُصَلِّي؟ وَعَن مُّعَامَلَاتِهِ: هَل لَّكَ حُقُوقٌ عَلَى النَّاسِ؟ أَوْ هَل لِّلنَّاسِ حُقُوقٌ عَلَيْكَ؟ ثُمَّ إِذَا قَالَ: نَعَمْ، فَقُل لَّهُ: أَوْصِ بِمَا عَلَيْكَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ»**، وَلَا تُلْحِفْ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَلَاسِيَّمَا إِذَا كَانَ مَرَضُهُ شَدِيْدًا؛ لِأَنَّهُ رُبَّمَا يَضْجَرُ وَيَتْعَبُ.

ثُمَّ احْرِصْ غَايَةَ الْحِرْصِ عَلَى أَن تُوَجِّهَهُ إِلَى فِعْلِ وَقَوْلِ الْخَيْرِ فِي هَذَا الْمَرَضِ، فَتَقُولُ: قَدْ يُقَدِّرُ اللهُ الْمَرَضَ عَلَى الْإِنسَانِ، فَيَكُونُ خَيْرًا لَهُ، فَيَتَفَرَّغُ لِلذِّكْرِ وَلِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ لَعَلَّهُ يَنتَبِهُ، وَيَكُونُ لَكَ أَجْرُ السَّبَبِ.ا.هـ.(١)

هَذَا وَإِنَّ مِنْ أَقْبَحِ أَخْطَاءِ الْمَرْضَى وَأَكْثَرِهَا شُيُوعًا بَيْنَهُمْ: تَرْكَ الصَّلَاةِ، بِحُجَّةِ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى الطَّهَارَةِ أَوِ الْقِيَامِ، عَلَى أَن يَّقْضُوهَا بَعْدَ ذَهَابِ الْمَرَضِ!، وَهَذَا جَهْلٌ عَظِيمٌ!، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْفَوْزَانُ حَفِظَهُ اللهُ: إِنَّ الصَّلَاةَ لَا تُتْرَكُ أَبَدًا؛ فَالْمَرِيضُ يَلْزَمُهُ أَن يُّؤَدِّيَ الصَّلَاةَ قَائِمًا، وَإِنِ احْتَاجَ إِلَى الِاعْتِمَادِ عَلَى عَصًا وَنَحْوِهِ فِي قِيَامِهِ؛ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ.

فَإِن لَّمْ يَسْتَطِعِ الْمَرِيضُ الْقِيَامَ فِي الصَّلَاةِ؛ بِأَنْ عَجَزَ عَنْهُ أَوْ شَقَّ عَلَيْهِ أَوْ خِيفَ مِن قِيَامِهِ زِيَادَةُ مَرَضٍ أَوْ تَأَخُّرُ بُرْءٍ؛ فَإِنَّهُ وَالْحَالَةُ مَا ذُكِرَ يُصَلِّي قَاعِدًا.

وَلَا يُشْتَرَطُ لِإِبَاحَةِ الْقُعُودِ فِي الصَّلَاةِ تَعَذُّرُ الْقِيَامِ، وَلَا يَكْفِي لِذَلِكَ أَدْنَى مَشَقَّةٍ، بَلِ الْمُعْتَبَرُ الْمَشَقَّةُ الظَّاهِرَةُ.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْقِيَامِ فِي الْفَرِيضَةِ؛ صَلَّاهَا قَاعِدًا، وَلَا إِعَادَةَ عَلَيْهِ، وَلَا يَنقُصُ ثَوَابُهُ، وَتَكُونُ هَيْئَةُ قُعُودِهِ حَسَبَ مَا يَسْهُلُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الشَّارِعَ لَمْ يَطْلُبْ مِنْهُ قِعْدَةً خَاصَّةً؛ فَكَيْفَ قَعَدَ جَازَ.

فَإِن لَّمْ يَسْتَطِعِ الْمَرِيضُ الصَّلَاةَ قَاعِدًا؛ بِأَن شَقَّ عَلَيْهِ الْجُلُوسُ مَشَقَّةً ظَاهِرَةً، أَوْ عَجَزَ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ يُصَلِّي عَلَى جَنبِهِ، وَيَكُونُ وَجْهُهُ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَالْأَفْضَلُ أَن يَّكُونَ عَلَى جَنبِهِ الْأَيْمَنِ، وَإِن لَّمْ يَكُنْ عِندَهُ مِن يُّوَجِّهُهُ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ التَّوَجُّهَ إِلَيْهَا بِنَفْسِهِ؛ صَلَّى عَلَى حَسَبِ حَالِهِ، إِلَى أَيِّ جِهَةٍ تَسْهُلُ عَلَيْهِ.

---

(١) "شرح رياض الصالحين"(كتاب عيادة المريض وتشييع الميت)، وحديث الأمر بكتابة الوصية رواه البخاري (برقم: ٢٧٣٨)، ومسلم (برقم: ١٦٢٧) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَإِذَا لَمْ يَقْدِرِ الْمَرِيْضُ أَن يُّصَلِّيَ عَلَى جَنبِهِ؛ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ أَن يُّصَلِّيَ عَلَى ظَهْرِهِ، وَتَكُونَ رِجْلَاهُ إِلَى الْقِبْلَةِ مَعَ الْإِمْكَانِ.

وَإِذَا صَلَّى الْمَرِيْضُ قَاعِدًا، وَلَا يَسْتَطِيْعُ السُّجُودَ عَلَى الْأَرْضِ، أَوْ صَلَّى عَلَى جَنبِهِ أَوْ عَلَى ظَهْرِهِ كَمَا سَبَقَ؛ فَإِنَّهُ يُومِيءُ بِرَأْسِهِ لِلرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، وَيَجْعَلُ الْإِيْمَاءَ لِلسُّجُودِ أَخْفَضَ مِنَ الْإِيْمَاءِ لِلرُّكُوعِ، وَإِذَا صَلَّى الْمَرِيْضُ جَالِسًا وَهُوَ يَسْتَطِيْعُ السُّجُودَ عَلَى الْأَرْضِ؛ وَجَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَلَا يَكْفِيْهِ الْإِيْمَاءُ.

وَالدَّلِيْلُ عَلَى جَوَازِ صَلَاةِ الْمَرِيْضِ عَلَى هَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ الْمُفَصَّلَةِ مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١١١٧) مِنْ حَدِيْثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: **«صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»**.

وَهُنَا يَجِبُ التَّنبِيْهُ عَلَى أَنَّ مِا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْمَرْضَى وَمَن تُجْرَى لَهُمْ عَمَلِيَّاتٌ جِرَاحِيَّةٌ، فَيَتْرُكُونَ الصَّلَاةَ بِحُجَّةِ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَدَاءِ الصَّلَاةِ بِصِفَةٍ كَامِلَةٍ، أَوْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْوُضُوءِ، أَوْ لِأَنَّ مَلَابِسَهُمْ نَجِسَةٌ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْذَارِ، وَهَذَا خَطَأٌ كَبِيْرٌ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَجُوزُ لَهُ تَرْكُ الصَّلَاةِ إِذَا عَجَزَ عَن بَعْضِ شُرُوطِهَا أَوْ أَرْكَانِهَا أَوْ وَاجِبَاتِهَا، بَلْ يُصَلِّيهَا عَلَى حَسَبِ حَالِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: ١٦].

وَبَعْضُ الْمَرْضَى يَقُولُ: إِذَا شُفِيْتُ قَضَيْتُ الصَّلَوَاتِ الَّتِي تَرَكْتُهَا!، وَهَذَا جَهْلٌ مِّنْهُمْ أَوْ تَسَاهُلٌ؛ فَالصَّلَاةُ تُصَلَّى فِي وَقْتِهَا حَسَبَ الْإِمْكَانِ، وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيْرُهَا عَن وَّقْتِهَا؛ فَيَنبَغِي الِانتِبَاهُ لِهَذَا، وَالتَّنبِيْهُ عَلَيْهِ، وَيَجِبُ أَن يَّكُونَ فِي الْمُسْتَشْفَيَاتِ تَوْعِيَةٌ دِيْنِيَّةٌ، وَتَفَقُّدٌ لِأَحْوَالِ الْمَرْضَى مِن نَّاحِيَةِ الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي هُم بِحَاجَةٍ إِلَى بَيَانِهَا.ا.هـ.(١)

(١) "الملخص الفقهي"(ج١/صـ: ٢٣٢-٢٣٤).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ: هَلَّا إِذَا ادَّهَمَّتْ بِكَ الْخُطُوبُ رَفَعْتَ يَدَيْكَ وَقُلْتَ: يَا اللهُ!، هَلَّا إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الْكُرُوبُ جَأَرْتَ إِلَى مَوْلَاكَ، وَقُلْتَ: يَا اللهُ!، هَلَّا إِذَا انصَرَفَتْ عَنكَ الْقُلُوبُ رَغِبْتَ إِلَي الرَّبِّ الرَّحِيْمِ الْكَرِيْمِ، وَقُلْتَ: يَا اللهُ!.

ارْفَعْ كَفَّيِ الضَّرَاعَةِ، وَقُلْ: يَا مَوْلَايَ، تَوْبَةً إِلَيْكَ وَسَمْعًا وَّطَاعَةً، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[النمل: ٦٢].

مَـــوْلَايَ جِئْتُـــكَ وَالرَّجَـــا ... ءُ قَـــدِ اسْـــتَجَارَ بِحُسْـــنِ ظَنِّـــي
أَبْغِـــي فَوَاضِـــلَكَ الَّتِـــي ... تَمْحُـــو بِهَـــا مَـــا كَـــانَ مِنِّـــي
فَـــانْظُرْ إِلَيَّ بِحَـــقِّ لُطْـــ ... ـــفِكَ يَـــا إِلَهِـــي وَاعْـــفُ عِنِّـــي
لَا تُخْـــزِنِي يَـــوْمَ الْمَعَـــا ... دِ بِـــمَا جَنَيْـــتُ وَلَا تُهِنِّـــي

اللَّهُمَّ ارْحَمْ ضَعْفَنَا، وَتَوَلَّ أَمْرَنَا، وَاسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِن رَّوْعَاتِنَا، وَاشْفِ مَرْضَانَا، وَعَافِ مُبْتَلَانَا، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَاقْطَعْ دَابِرَ الْمُفْسِدِيْنَ، وَجَدِّدْ بِأَوْلِيَاءِكَ الْأَخْيَارِ مَعَالِمَ الدِّيْنِ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ.

أهم أحكام الجنائز [١]

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ۝٢٦﴾ [المرسلات: ٢٥ - ٢٦].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿كِفَاتًا﴾: «كَنًّا».(١)

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «كَفَتَتْ أَذَاهُمْ أَحْيَاءً وَتَكْفِتُهُمْ أَمْوَاتًا».(٢)

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: «بَطْنُهَا لِأَمْوَاتِكُمْ، وَظَهْرُهَا لِأَحْيَائِكُمْ».(٣)

وَقَالَ بَيَانٌ أَبُو بِشْرٍ: خَرَجْنَا مَعَ عَامِرٍ - يَعْنِي: الشَّعْبِيَّ - فِي جِنَازَةٍ، فَلَمَّا بَلَغْنَا الْمَقَابِرَ سَأَلَهُ رَجُلٌ مِنَّا عَنْ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥ - ٢٦]، فَنَظَرَ

(١) "تفسير الطبري"(ج٢٣/ صـ: ٥٩٦).

(٢) "غريب الحديث"(ج١/ صـ: ٢١٧) لإبراهيم الحربي، و"تفسير الطبري"(ج٢٣/ صـ: ٥٩٧).

(٣) "تفسير الطبري"(ج٢٣/ صـ: ٥٩٧).

إِلَى الْبُيُوتِ، فَقَالَ: هَذِهِ كِفَاتٌ أَحْيَاءً، وَأَشَارَ إِلَى الْمَقَابِرِ، فَقَالَ: «وَهَذِهِ كِفَاتٌ أَمْوَاتٌ».(١)

وَقَالَ قَتَادَةُ: «يَسْكُنُ فِيهَا حَيُّهُمْ، وَيُدْفَنُ فِيهَا مَيِّتُهُمْ».(٢)

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تَكْفِتُ أَحْيَاءَكُمْ فِي الْمَسَاكِنِ وَالْمَنَازِلِ، فَتَضُمُّهُمْ فِيهَا وَتَجْمَعُهُمْ، وَأَمْوَاتَكُمْ فِي بُطُونِهَا فِي الْقُبُورِ، فَيُدْفَنُونَ فِيهَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات: ٢٥ - ٢٦]، تَكْفِتُ أَذَاهُمْ فِي حَالِ حَيَاتِهِمْ، وَجِيفَهُم بَعْدَ مَمَاتِهِمْ.ا.هـ.

فَظَهْرُ الْأَرْضِ كِفَاتٌ لِّلْأَحْيَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَبَطْنُهَا لِلْأَمْوَاتِ فِي الْبَرْزَخِ، وَبَيْنَهُمَا مَرْحَلَةُ احْتِضَارِ الْمَيِّتِ وَنُزُولِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ بِهِ، ثُمَّ مَوْتُهُ، ثُمَّ غَسْلُهُ، ثُمَّ تَكْفِينُهُ، ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ، ثُمَّ تَشْيِيعُهُ، ثُمَّ دَفْنُهُ، وَهَذِهِ الْأَحْكَامُ الْعَمَلِيَّةُ تُعْرَفُ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ بِأَحْكَامِ الْجَنَائِزِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْمُطَهَّرَةَ أَحْسَنُ الشَّرَائِعِ وَأَكْمَلُهَا وَأَشْمَلُهَا، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ اتِّبَاعُ مَا فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، وَنَبْذُ مَا خَالَفَهَا، كَمَا قَالَ رَبُّنَا ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية: ١٨ - ١٩].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّهُ مَن يَّعِشْ مِنكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا**

---

(١) "الكنى" (رقم: ٧٠٦) للدولابي.

(٢) "الزهد" (رقم: ٤٥) لوكيع، و"تفسير الطبري" (ج٢٣/ص: ٥٩٨).

بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ إِلَّا النَّسَائِيَّ مِنْ حَدِيْثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١)

وَفِيْ رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ (رقم: ١٧١٤٢)، وَابْنِ مَاجَه (رقم:٤٣): **«قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»**.

وَإِلَيْكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ فِي هَذِهِ الْوَقْفَةِ عَلَى اخْتِصَارٍ: أَهَمَّ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْجَنَائِزِ؛ لِيَتَبَيَّنَ لَكَ الْمَحْظُورُ مِنَ الْجَائِزِ، وَالْمَسْنُونُ مِنَ الْمُحْدَثِ، وَالسَّمِيْنُ مِنَ الْغَثِّ، وَتَكُونَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ أَمْرِكَ، وَتَقُومَ عَلَيْكَ الْحُجَّةُ فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ، فَمِن ذَلِكَ:

١) وُجُوبُ الرِّضَى بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ، فِي كُلِّ حَالٍ، لَا سِيَّمَا فِي حَالِ الْمَرَضِ، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«عَجَبًا لِّأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَّهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَّهُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٩٩٩) مِنْ حَدِيْثِ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يَقُولُ: **«لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ ﷻ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٨٧٧).

٢) وَلَا يَنبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَن يَّتَمَنَّى الْمَوْتَ وَيَدْعُوَ بِهِ، فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَّزَلَ بِهِ، فَإِن كَانَ لَا بُدَّ**

---

(١) أخرجه أحمد (رقم:١٧١٤٢، و١٧١٤٤، و١٧١٤٥، و١٧٥٤٦، و١٧٥٤٧)، وأبو داود (رقم:٤٦٠٧)، والترمذي (رقم: ٢٦٧٦)، وابن ماجه (رقم: ٤٣، و٤٤)، وصححه الحاكم (رقم: ٣٣١)، والألباني، وحسنه الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٩٢١)، وله شواهد، راجع: "الإرواء"(رقم:٢٤٥٥)، و"الصحيحة"(رقم:٩٣٧، و٢٧٣٥)، و"تحقيق المسند"(ج٢٨/صـ:٣٦٧-٣٧٧).

مُتَمَنِّيًا فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِّي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِّي». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٦٧١، و٦٣٥١)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٦٨٠).

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم:٥٦٧٣، و٧٢٣٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ»**.

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢٦٨٢) مِّنْ حَدِيثِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا، عَن رَّسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا»**.

٣) وَالْوَصِيَّةُ مَشْرُوعَةٌ لِّلْمُسْلِمِ، وَتَجْرِي عَلَيْهَا الْأَحْكَامُ التَّكْلِيفِيَّةُ الْخَمْسَةُ، وَالْوَصِيَّةُ بِالدَّيْنِ وَاجِبَةٌ؛ لِعِظَمِ شَأْنِ الدَّيْنِ، وَحُقُوقُ الْآدَمِيِّيْنَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْمُشَاحَّةِ، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٧٣٨)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٦٢٧).

قَالَ الْإِمَامُ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ"(صـ: ٨): وَلَمَّا كَانَ الْغَالِبُ عَلَى كَثِيْرٍ مِّنَ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ الِابْتِدَاعَ فِي دِيْنِهِمْ، وَلَا سِيَّمَا فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِالْجَنَائِزِ، كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ أَن يُّوصِيَ الْمُسْلِمُ بِأَن يُّجَهَّزَ وَيُدْفَنَ عَلَى السُّنَّةِ؛ عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]؛ وَلِذَلِكَ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُوصُونَ بِذَلِكَ، وَالْآثَارُ عَنْهُم بِمَا ذَكَرْنَا كَثِيْرَةٌ.ا.هـ.

فَمِن تَوْفِيْقِ اللهِ لِلْمَيِّتِ رَجُلًا كَانَ أَوِ امْرَأَةً أَن يُّجَهَّزَ وَيُدْفَنَ عَلَى السُّنَّةِ، وَكَذَلِكَ مِن تَوْفِيْقِ اللهِ لِأَهْلِهِ أَن يَّحْرِصُوا عَلَى تَجْهِيْزِ مَيِّتِهِمْ وَدَفْنِهِ عَلَى السُّنَّةِ.

٤) وَمِنْ أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ أَيْضًا: تَلْقِيْنُ الْمُحْتَضِرِ شَهَادَةَ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، بِأَن يُّؤْمَرَ أَن يَّقُولَهَا، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**. رَوَاهُمَا مُسْلِمٌ (رقم: ٩١٦، و٩١٧).

٥) وَمِنْ أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ أَيْضًا: إِغْمَاضُ عَيْنَيْهِ إِذَا قُبِضَتْ رُوحُهُ، وَالدُّعَاءُ لَهُ، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»**، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: **«لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»**، ثُمَّ قَالَ: **«اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٩٢٠).

وَتَحْرُمُ النِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ؛ فَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى، قَالَ: وَجِعَ أَبُو مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَعًا، فَغُشِيَ عَلَيْهِ، وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ، فَصَاحَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، **«فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ، وَالْحَالِقَةِ، وَالشَّاقَّةِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٢٩٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٠٤).

وَالصَّالِقَةُ هِيَ: الَّتِي تَرْفَعُ صَوْتَهَا عِندَ الْمُصِيبَةِ، وَالْحَالِقَةُ هِيَ: الَّتِي تَحْلِقُ شَعَرَهَا عِندَ الْمُصِيبَةِ، وَالشَّاقَّةُ هِيَ: الَّتِي تَشُقُّ ثِيَابَهَا عِندَ الْمُصِيبَةِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ، أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٩٣٤) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي**

(١) البخاري (رقم: ١٣٠٤)، ومسلم (رقم: ٩٢٤).

الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ». وَقَالَ: **«النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»**.

فَأَمَّا الْبُكَاءُ الَّذِي لَا يَكُونُ مَصْحُوبًا بِعَوِيلٍ أَوْ رَفْعِ صَوْتٍ، فَلَا حَرَجَ فِيهِ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِن يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٢٩٤، و١٢٩٧، و١٢٩٨)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٠٣).

وَقَالَ أَيْضًا فِي شَأْنِ دَمْعِ الْعَيْنِ فِي مِثْلِ هَذا الْحَالِ: **«هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٢٨٤، و٦٦٥٥، و٧٣٧٧، و٧٤٤٨)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٩٢٣) مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٦) قَالَ الْأَلْبَانِيُّ: وَيَجُوزُ إِعْلَانُ الْوَفَاةِ إِذَا لَمْ يَقْتَرِن بِهِ مَا يُشْبِهُ نَعْيَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ يَجِبُ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِندَهُ مَن يَّقُومُ بِحَقِّهِ مِنَ الْغَسْلِ وَالتَّكْفِينِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، [فقَالَ: **«اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ»**]، وَخَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٢٤٥، و١٣١٨، و١٣٢٧، و١٣٣٣، و٣٣٨٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٩٥١).

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم: ١٢٤٦، و٢٧٩٨، و٣٠٦٣، و٣٧٥٧، و٤٢٦٢) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ** - وَإِنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَتَذْرِفَانِ - **ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ، فَفُتِحَ لَهُ»**.

وَقَدْ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ عَلَى هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ بِقَوْلِهِ: (بَابُ الرَّجُلِ يَنْعَى إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ بِنَفْسِهِ).(١)

---

(١) راجع: "أحكام الجنائز"(صـ:٣٢).

٧) وَعَلَى أَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ أَن يُّسْرِعُوا بِتَجْهِيزِ الْمَيِّتِ إِذَا تَحَقَّقُوا مِن مَّوْتِهِ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا عَلَيْهِ، وَإِنْ تَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِّقَابِكُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَالْأَمْرُ بِالْإِسْرَاعِ بِالْجَنَازَةِ مُسْتَلْزِمٌ لِّلْأَمْرِ بِتَجْهِيزِهَا.

٨) وَيَجِبُ أَن يُّبَادَرَ بِقَضَاءِ دَيْنِهِ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٠٥٩٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ١٠٧٨)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٢٤١٣) مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(٢)

٩) وَيُسْتَحَبُّ أَيْضًا أَن يُّغَطَّى بِثَوْبٍ يَسْتُرُ جَمِيعَ بَدَنِهِ؛ فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ تُوُفِّيَ سُجِّيَ بِبُرْدٍ حِبَرَةٍ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٢٤١).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

١٠) فَإِنَّ مِن تَجْهِيزِ الْمَيِّتِ: غَسْلَهُ، وَهُوَ فَرْضٌ كِفَائِيٌّ عَلَى الْأَحْيَاءِ، وَلَا يَنبَغِي أَن يَّتَصَدَّى لِغَسْلِ الْمَيِّتِ إِلَّا ذُو دِيْنٍ وَأَمَانَةٍ، وَاحْتِسَابٍ، عَالِمٌ بِسُنَّةِ الْغَسْلِ، حَرِيْصٌ عَلَى سَتْرِ عَوْرَتِهِ، وَمَعَايِبِهِ، فعَنْ أَبِي رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ غُفِرَ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً، وَمَنْ كَفَّنَ مَيِّتًا كَسَاهُ**

---

(١) البخاري (رقم: ١٣١٥)، ومسلم (رقم: ٩٤٤).

(٢) وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (رقم: ٣٠٦١)، والحاكم (رقم: ٢٢١٩، و٢٢٢٠) على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (رقم: ١٨١١).

اللَّهُ مِنَ السُّنْدُسِ، وَإِسْتَبْرَقِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ حَفَرَ لِمَيِّتٍ قَبْرًا فَأَجَنَّهُ فِيهِ أُجْرِيَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَأَجْرِ مَسْكَنٍ أُسْكِنَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ (ج١/صـ: ٣١٥)، وَالْحَاكِمُ (رقم: ١٣٠٧، و١٣٤٠)، وَالْبَيْهَقِيُّ (رقم: ٦٦٥٥).(١)

فَيَجِبُ الْحِرْصُ عَلَى سَتْرِ عَوْرَةِ الْمَيِّتِ حَالَ تَجْرِيدِهِ مِن ثِيَابِهِ، وَغَسْلِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَا يُجَرَّدُ مِن ثِيَابِهِ إِلَّا وَعَوْرَتُهُ مَسْتُورَةٌ، لَا يُرَى مِنْهَا شَيْءٌ، وَعَوْرَةُ الرَّجُلِ مَا بَيْنَ سُرَّتِهِ وَرُكْبَتَيْهِ، وَأَمَّا عَوْرَةُ الْمَرْأَةِ فَجَسَدُهَا عَدَا مَا جَرَتِ الْعَادَةُ بِكَشْفِهِ أَمَامَ النِّسَاءِ، فَلَا يَجُوزُ أَن يَّظْهَرَ مِنْهَا حَالَ تَغْسِيلِهَا إِلَّا: مِثْلُ يَدَيْهَا وَسَاقَيْهَا مِمَّا دُونَ رُكْبَتَيْهَا وَيَحْرُمُ إِظْهَارُ شَيْءٍ مِّن صَدْرِهَا أَوْ بَطْنِهَا أَوْ ظَهْرِهَا، وَالْحِرْصُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَحْتَاجُ إِلَى نَبَاهَةٍ وَّبَذْلِ جَهْدٍ حَالَ تَغْسِيلِ الْمَيِّتِ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي عَوْرَاتِ أَمْوَاتِ الْمُسْلِمِيْنَ!، فَالتَّسَاهُلُ فِي هَذَا الْأَمْرِ شَائِعٌ ذَائِعٌ، لَا سِيَّمَا فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي يَفْشُو فِيْهَا الْجَهْلُ، بَلْ إِنَّهُ لَيَبْلُغُ الْأَمْرُ بِبَعْضِ الْمُغَسِّلِيْنَ أَوِ الْمُغَسِّلَاتِ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ إِلَى تَجْرِيْدِ الْمَيِّتِ أَوِ الْمَيِّتَةِ مِنَ الثِّيَابِ وَاجْتِمَاعِ عَدَدٍ مِّنَ الْأَحْيَاءِ يَنظُرُونَ إِلَيْهِ عَارِيًا، وَهُوَ يُغَسَّلُ عَلَى هَذَا الْحَالِ!، وَرُبَّمَا حَلَقُوا عَانَتَهُ، وَهُمْ يَنظُرُونَ، وَهَذَا مُّنكَرٌ عَظِيْمٌ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ!.

وَيَتَوَلَّى غَسْلَ الذَّكَرِ الرِّجَالُ، وَالْأُنثَى النِّسَاءُ، وَيُسْتَثْنَى مِن ذَلِكَ: الزَّوْجَانِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ لِكُلٍّ مِّنْهُمَا أَن يَّتَوَلَّى غَسْلَ الْآخَرِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **«مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي، فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ، ثُمَّ صَلَّيْتُ عَلَيْكِ، وَدَفَنْتُكِ؟»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٥٩٠٨)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٤٦٥).(٢)

---

(١) وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وتبعهما الألباني في "أحكام الجنائز"(صـ: ٥١)، ونقل عن الحافظ في "الدراية"(رقم: ٤٠١) قوله فيه: «إسناده قوي».

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ٦٥٨٦)، والألباني في: "الإرواء"(رقم: ٧٠٠).

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**لَوْ كُنْتُ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا غَسَّلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا نِسَاؤُه**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٦٣٠٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣١٤١)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٤٦٤).(١)

وَيُسْتَثْنَى أَيْضًا مَّا لَوْ كَانَ الْمَيِّتُ صَغِيرًا لَّا يُشْتَهَى، فَلَا بَأْسَ أَنْ تُغَسِّلَهُ النِّسَاءُ، وَإِن كَانَ خِلَافَ الْأَوْلَى، وَكَذَلِكَ الصَّبِيَّةُ الصَّغِيْرَةُ الَّتِي لَا تُشْتَهَى إِذَا مَاتَتْ، فَلَا بَأْسَ أَنْ يُغَسِّلَهَا الرِّجَالُ؛ لِأَنَّ حُكْمَ الْعَوْرَةِ غَيْرُ ثَابِتٍ فِي حَقِّ الصَّغِيرِ وَالصَّغِيرَةِ.(٢)

وَصِفَةُ غَسْلِ الْمَيِّتِ: أَن يُّعْصَرُ بَطْنُهُ عَصْرًا خَفِيْفًا، ثُمَّ يَلُفَّ الْغَاسِلُ عَلَى يَدِهِ خِرْقَةً أَوْ نَحْوَهَا، ثُمَّ يُمِيْطَ عَنْهُ الْأَذَى، وَيُنَقِّي الْمَحَلَّ، ثُمَّ يُوَضِّئَهُ وُضُوءَ الصَّلَاةِ، ثُمَّ يَغْسِلَ رَأْسَهُ بِمَاءٍ وَّسِدْرٍ أَوْ نَحْوِهِ مِنَ الْأَشْنَانِ وَالصَّابُونِ، ثُمَّ يَغْسِلَ شِقَّهُ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ الْأَيْسَرِ، ثُمَّ يُكَرِّرَ غَسْلَهُ وِتْرًا، بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، وَلَا يُسَرِّحُ شَعْرَهُ، وَلَا يُقَلِّمُ أَظْفَارَهُ، وَلَا يَحْلِقُ عَانَتَهُ، وَلَا يَخْتِنُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا دَلِيْلَ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ هُوَ مِنَ الْبِدَعِ.(٣)

وَالْمَرْأَةُ يُضْفَرُ شَعْرُهَا ثَلَاثَةَ قُرُونٍ، وَيُسْدَلُ مِن وَّرَائِهَا، فعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ تُوُفِّيَتِ ابْنَتُهُ، فَقَالَ: «**اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ، بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الْآخِرَةِ كَافُورًا أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٤)

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا: «**ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا**».(٥)

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم:٦٦٢٧)، والحاكم (رقم: ٤٣٩٨) على شرط مسلم، وصححه أيضًا: الألباني في: "أحكام الجنائز"(صـ:٤٩).

(٢) "بدائع الصنائع"(ج١/صـ:٣٠٦) للكاساني الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) راجع: "الدروس المهمة لعامة الأمة"(صـ:٢٤-٢٥)، و"أحكام الجنائز"(صـ: ٢٤٤).

(٤) البخاري (رقم: ١٢٥٣، و١٢٥٤، و١٢٥٨، و١٢٥٩، و١٢٦١)، ومسلم (رقم: ٩٣٩).

(٥) البخاري (رقم: ١٦٧، و١٢٥٤، و١٢٥٥، و١٢٥٦)، ومسلم (رقم: ٩٣٩)(٤٢، و٤٣).

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا أَيْضًا: «**اغْسِلْنَهَا وِتْرًا**».(١)

ثُمَّ يُوضَعُ فِي الْأَكْفَانِ، مَعَ الْحِرْصِ التَّامِّ عَلَى سَتْرِ عَوْرَتِهِ، وَتَكْفِيْنُ الْمَيِّتِ مِن فُرُوضِ الْكِفَايَةِ عَلَى الْأَحْيَاءِ، وَيُسْتَحَبُّ أَن يَّكُونَ الْكَفَنُ أَبْيَضَ؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٢١٩، و٢٤٧٩، و٣٣٤٢، و٣٤٢٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣٨٧٨، و٤٠٦١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٩٩٤)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٤٧٢، و٣٥٦٦).(٢)

وَيُسْتَحَبُّ أَن يُّكَفَّنَ الرَّجُلُ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ، لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ، كَمَا فُعِلَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.(٣)

وَالْمَرْأَةُ فِيهِ كَالرَّجُلِ؛ لِأَنَّهُ لَا دَلِيْلَ عَلَى التَّفْرِيْقِ.(٤)

وَيُسْتَحَبُّ تَبْخِيرُ الْكَفَنِ أَوْ تَطْيِيبُهُ، وَيَكُونُ ذَلِكَ وِتْرًا؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَجْمَرْتُمُ الْمَيِّتَ، فَأَجْمِرُوهُ ثَلَاثًا**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٤٥٤٠).

وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلَى (رقم: ٢٣٠٠) بِلَفْظِ: «**إِذَا أَجْمَرْتُمُ الْمَيِّتَ فَأَوْتِرُوا**».(٥)

---

(١) البخاري (رقم: ١٢٥٤، و١٢٦٣)، ومسلم (رقم: ٩٣٩)(٤٠، و٤١).

(٢) وصححه ابن حبان (رقم:٥٤٢٣)، والحاكم (رقم: ١٣٠٨، و٧٣٧٨) على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وتابعهما الألباني في: "أحكام الجنائز"(صـ: ٦٢)، وصححه أيضًا: الضياء في "المختارة"(ج١٠/صـ: ١٩٧-٢٠١)(رقم: ١٩٩، و٢٠١، و٢٠٢، و٢٠٣، و٢٠٤، و٢٠٥، و٢٠٦)، والعلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٦٤٣).

(٣) البخاري (رقم: ١٢٦٤، و١٢٧٣، و١٣٨٧)، ومسلم (رقم: ٩٤١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) "أحكام الجنائز"(صـ:٦٥).

(٥) وصححه ابن حبان (رقم:٢٠٣١)، والحاكم (رقم: ١٣١٠) وقال: «على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وتابعهما الألباني في: "أحكام الجنائز"(صـ: ٦٤).

هَذَا فِي حَقِّ غَيْرِ الْمُحْرِمِ، أَمَّا الْمُحْرِمُ فَإِنَّهُ لَا يُكَفَّنُ إِلَّا بِثَوْبَيْهِ (إِزَارِهِ وَرِدَاءِهِ)، وَلَا يُطَيَّبُ، وَلَا يُغَطَّى رَأْسُهُ؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي الرَّجُلِ الَّذِي أَوْقَصَتْهُ رَاحِلَتُهُ وَهُوَ وَاقِفٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِعَرَفَةَ: **«اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُحَنِّطُوهُ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّ اللهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٢٦٥، و١٢٦٦، و١٢٦٨، و١٨٤٩، و١٨٥٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٢٠٦).

وَقَوْلُهُ: **«وَلَا تُحَنِّطُوهُ»**، أَيْ: لَا تَضَعُوا عَلَى بَدَنِهِ أَوْ كَفَنِهِ حَنُوطًا، وَالْحَنُوطُ: طِيبٌ مُخَلَّطٌ، يُجْمَعُ لِلْمَيِّتِ خَاصَّةً، دُونَ غَيْرِهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا (الْبُخَارِيّ: [١٢٦٧، و١٨٥٠]، وَمُسْلِم: [١٢٠٦]- (٩٩، و١٠٠، و١٠١، و١٠٢): **«وَلَا تُمِسُّوهُ طِيبًا»**.

وَصِفَةُ التَّكْفِينِ: أَن تُبْسَطَ اللَّفَائِفُ الثَّلَاثُ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، ثُمَّ تُطَيَّبَ، وَيُؤْتَى بِالْمَيِّتِ مَسْتُورًا بِثَوْبٍ وَنَحْوِهِ، وَيُوضَعَ فَوْقَ اللَّفَائِفِ مُسْتَلْقِيًا، ثُمَّ يُطَيَّبَ فِي مَغَابِنِهِ وَمَوَاضِعِ سُجُودِهِ، وَإِن طَيَّبَهُ كُلَّهُ كَانَ حَسَنًا، ثُمَّ يُرَدَّ طَرَفُ اللِّفَافَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ طَرَفُهَا الْأَيْمَنُ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْسَرِ، عَلَى هَيْئَةِ وَضْعِ الْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ، ثُمَّ الثَّانِيَةُ كَذَلِكَ، ثُمَّ يُجْمَعَ مَا زَادَ عِندَ رَأْسِهِ وَيُرَدَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَيُجْمَعَ مَا زَادَ عِندَ رِجْلَيْهِ فَيُرَدَّ عَلَى رِجْلَيْهِ، ثُمَّ تُشَدَّ اللَّفَائِفُ بِرُبُطٍ، وَتُحَلَّ عُقَدُهَا فِي الْقَبْرِ.(١)

١١) وَالصَّلَاةُ عَلَى الْمَيِّتِ مِن فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ، وَأَجْرُهَا عَظِيمٌ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ»**، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: **«مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٣٢٥)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٩٤٥).

(١) راجع: "الدروس المهمة لعامة الأمة"(صـ:٢٥)، و"الملخص الفقهي"(ج١/صـ: ٣٠٥).

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٩٤٨) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»**.

وَالْأَفْضَلُ فِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ أَن تُؤَدَّى خَارِجَ الْمَسْجِدِ، فِي مَكَانٍ مُّعَدٍّ لَهَا، وَهُوَ الْغَالِبُ مِنْ هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِيهَا، كَصَلَاتِهِ عَلَى النَّجَاشِيِّ فِي الْمُصَلَّى فِي الْبَقِيعِ، وَيَجُوزُ أَدَاؤُهَا فِي الْمَسْجِدِ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهَا لَمَّا تُوُفِّيَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَمُرُّوا بِجَنَازَتِهِ فِي الْمَسْجِدِ، فَيُصَلِّينَ عَلَيْهِ، فَفَعَلُوا فَوُقِفَ بِهِ عَلَى حُجَرِهِنَّ يُصَلِّينَ عَلَيْهِ أُخْرِجَ بِهِ مِنْ بَابِ الْجَنَائِزِ الَّذِي كَانَ إِلَى الْمَقَاعِدِ، فَبَلَغَهُنَّ أَنَّ النَّاسَ عَابُوا ذَلِكَ، وَقَالُوا: مَا كَانَتِ الْجَنَائِزُ يُدْخَلُ بِهَا الْمَسْجِدُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: مَا أَسْرَعَ النَّاسَ إِلَى أَن يَّعِيبُوا مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ، عَابُوا عَلَيْنَا أَنْ يُمَرَّ بِجَنَازَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، **«وَمَا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى سُهَيْلِ بْنِ بَيْضَاءَ إِلَّا فِي جَوْفِ الْمَسْجِدِ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٩٧٣).

وَفِيهِ أَيْضًا أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى الْجَنَازَةِ مَشْرُوعَةٌ لِّلنِّسَاءِ، سَوَاءٌ فِي الْبَيْتِ أَوْ الْمَسْجِدِ، وَقَدْ كَانَتِ النِّسَاءُ يُصَلِّيْنَ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ مِن وَّرَاءِ الرِّجَالِ.(١)

وَصَلَاةُ الْجَنَازَةِ أَرْبَعُ تَكْبِيْرَاتٍ، يُقْرَأُ فِيهَا بَعْدَ الْأُولَى: بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَبَعْدَ الثَّانِيَةِ يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كَمَا يُصَلَّى عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ بَعْدَ التَّشَهُّدِ، وَبَعْدَ الثَّالِثَةِ يُدْعَى لِلْمَيِّتِ، وَالْأَفْضَلُ أَن يَّكُونَ مِنَ الْمَأْثُورِ، وَمِنْهُ: **«اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالنَّارِ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم:٩٦٣) مِنْ حَدِيْثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) راجع: "مجموع فتاوى ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ"(ج١٣/ص:١٣٥-١٣٦).

وَمِنْهُ أَيْضًا: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا، وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيرِنَا، وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٨٨٠٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣٢٠١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ١٠٢٤)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٤٩٨) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١)

وَمِنْهُ أَيْضًا: «**اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَمْدِ، اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٦٠١٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣٢٠٢)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٤٩٩) مِنْ حَدِيْثِ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ (رقم: ٣٠٧٤)، وَالْأَلْبَانِيُّ، وَالْوَادِعِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.(٢)

وَبَعْدَ التَّكْبِيرَةِ الرَّابِعَةِ يُسَلِّمُ عَن يَّمِينِهِ وَعَن يَّسَارِهِ، كَتَسْلِيمِهِ مِنَ الصَّلَاةِ.

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٣٠٧٠)، والحاكم (رقم: ١٣٢٦، و١٣٢٧) على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وتابعهما الألباني في: "أحكام الجنائز"(صـ: ١٢٤)، وقال: «وأُعِلَّ بما لا يقدح».

(٢) "أحكام الجنائز"(صـ: ١٢٥)، و"الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١١٩٥).

أهم أحكام الجنائز [٢]

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

١٢) وَمِنْ أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ أَيْضًا: حَمْلُ الْجَنَازَةِ وَاتِّبَاعُهَا، وَهُوَ مِن فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: ...»**، وَذَكَرَ مِنْهَا: **«اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٢٤٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢١٦٢) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِّمُسْلِمٍ: **«حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»**. وَذَكَرَ مِنْهَا: **«وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»**.

وَلَهُمَا أَيْضًا مِنْ حَدِيْثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ، وَذَكَرَ مِنْهَا: **«اتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ»**.(١)

---

(١) البخاري (رقم: ١٢٣٩، و٢٤٤٥، و٥١٧٥، و٥٦٣٥، و٥٨٦٣، و٦٢٢٢، و٦٢٣٥)، ومسلم (رقم: ٢٠٦٦).

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَاتِّبَاعُهَا عَلَى مَرْتَبَتَيْنِ: **الْأُولَى**: اتِّبَاعُهَا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهَا حَتَّى الصَّلَاةِ عَلَيْهَا. **وَالْأُخْرَى**: اتِّبَاعُهَا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهَا حَتَّى يُفْرَغَ مِن دَفْنِهَا.

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الْمَرْتَبَةَ الْأُخْرَى أَفْضَلُ مِنَ الْأُولَى؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ [مِنْ بَيْتِهَا]، وَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ تَبِعَهَا حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ مِنْ أَجْرٍ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُحُدٍ»**.(١)

وَهَذَا الْفَضْلُ فِي اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، إِنَّمَا هُوَ لِلرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ؛ فَعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: **«نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٢٧٨)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٩٣٨).

وَيَحْرُمُ اتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ بِالْمُخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْمُحْدَثَاتِ الْبِدْعِيَّةِ، وَالَّتِي مِنْهَا: رَفْعُ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ؛ فَإِنَّهُ بِدْعَةٌ، قَالَ قَيْسُ بْنُ عَبَّادٍ: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُونَ رَفْعَ الصَّوْتِ عِنْدَ الْجَنَائِزِ». أَخْرَجَهُ وَكِيعٌ فِي "الزُّهْدِ"(رقم: ٢١١)، وَالْبَيْهَقِيُّ (رقم: ٧١٨٢) بِسَنَدٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

قَالَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلِأَنَّ فِيهِ تَشَبُّهًا بِالنَّصَارَى، فَإِنَّهُمْ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ أَنَاجِيلِهِمْ وَأَذْكَارِهِمْ مَعَ التَّمْطِيطِ وَالتَّلْحِينِ وَالتَّحْزِينِ.

وَأَقْبَحُ مِن ذَلِكَ تَشْيِيعُهَا بِالْعَزْفِ عَلَى الْآلَاتِ الْمُوسِيقِيَّةِ أَمَامَهَا عَزْفًا حَزِينًا، كَمَا يُفْعَلُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ تَقْلِيدًا لِّلْكُفَّارِ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ.ا.هـ.(٢)

وَمِن ذَلِكَ أَيْضًا: الْقِرَاءَةُ عَلَى الْجَنَازَةِ، لَا سِيَّمَا إِن كَانَ مَصْحُوبًا بِالتَّمْطِيطِ، وَإِخْرَاجِ الْكَلَامِ عَن مَّوْضُوعِهِ، فَإِنَّهُ حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ، كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قَالَ: وَقَدْ

---

(١) رواه البخاري (رقم: ٤٧)، ومسلم (رقم: ٩٤٥)، وقد تقدم قريبًا بنحو هذا اللفظ، وموضع الشاهد الذي هو بين معكوفين هو في رواية لمسلم (٩٤٥)(٥٦).

(٢) "أحكام الجنائز"(صـ: ٦٧-٦٨، و صـ: ٧٠-٧١).

أَوْضَحْتُ قُبْحَهُ، وَغِلَظَ تَحْرِيْمِهِ، وَفِسْقَ مَن تَمَكَّنَ مِنْ إِنكَارِهِ، فَلَمْ يُنكِرْهُ فِي كِتَابِ "آدَابِ الْقُرَّاءِ".ا.هـ.(١)

وَكَذَلِكَ قِرَاءَةُ سُورَةِ يس أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى الْمُحْتَضِرِ أَوْ عَلَى الْمَيِّتِ حَالَ الدَّفْنِ، أَوْ عَلَى الْمَقَابِرِ، كُلُّ ذَلِكَ مُحْدَثٌ، وَلَا يَصِحُّ فِيْهِ حَدِيْثٌ.(٢)

وَلَكِن يُدْعَى لِلْأَحْيَاءِ وَلِلْمَوْتَى بِخَيْرٍ، وَيُسْتَغْفَرُ لَهُمْ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيْثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حِيْنَ قُبِضَ أَبُو سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»**، ثُمَّ قَالَ: **«اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٩٢٠)، وَكَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ حِيْنَ نَعَى النَّجَاشِيَّ: **«اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ»**].مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَيُشْرَعُ الْإِسْرَاعُ فِي السَّيْرِ بِالْجَنَازَةِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ»**.

وَيُشْرَعُ أَيْضًا السَّلَامُ عَلَى الْمَوْتَى وَالدُّعَاءُ لَهُمْ عِندَ دُخُولِ الْمَقَابِرِ أَوِ الْمُرُورِ بِهَا، فَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ: **«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا - إِنْ شَاءَ اللهُ - لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٩٧٥).

وَلَهُ (رقم: ٩٧٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْهُ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ، فَيَقُولُ: **«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ**

---

(١) "الأذكار"(صـ: ١٦٠)، و"التبيان في آداب حملة القرآن"(صـ: ١١٢).

(٢) راجع: "الإرواء"(رقم: ٦٨٨)، و"الضعيفة"(رقم: ٥٨٦١)، و"ضعيف أبي داود"(رقم: ٥٥٩).

مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا، مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللهُ، بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللهُمَّ، اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: **«إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ، فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ»**، قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ»**.

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ"(صـ: ١٩١-١٩٢): وَلَمْ يُعَلِّمْهَا أَن تَقْرَأَ الْفَاتِحَةَ أَوْ غَيْرَهَا مِنَ الْقُرْآنِ، فَلَوْ أَنَّ الْقِرَاءَةَ كَانَتْ مَشْرُوعَةً لَمَّا كَتَمَ ذَلِكَ عَنْهَا، كَيْفَ وَتَأْخِيرُ الْبَيَانِ عَن وَّقْتِ الْحَاجَةِ لَا يَجُوزُ، كَمَا تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ، فَكَيْفَ بِالْكِتْمَانِ، وَلَوْ أَنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهُمْ شَيْئًا مِّن ذَلِكَ لَنُقِلَ إِلَيْنَا، فَإِذْ لَمْ يُنقَلْ بِالسَّنَدِ الثَّابِتِ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ، وَمِمَّا يُقَوِّي عَدَمَ الْمَشْرُوعِيَّةِ قَوْلُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»**.

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٧٨٠) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فَقَدْ أَشَارَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنَّ الْقُبُورَ لَيْسَتْ مَوْضِعًا لِّلْقِرَاءَةِ شَرْعًا، فَلِذَلِكَ حَضَّ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الْبُيُوتِ، وَنَهَى عَن جَعْلِهَا كَالْمَقَابِرِ الَّتِي لَا يُقْرَأُ فِيهَا، كَمَا أَشَارَ فِي الْحَدِيْثِ الْآخَرِ إِلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مَوْضِعًا لِّصَلَاةٍ أَيْضًا، وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا»**. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٣٢، و١١٨٧)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٧٧٧) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وَتَرْجَمَ لَهُ الْبُخَارِيُّ بِقَوْلِهِ: (بَابُ كَرَاهِيَةِ الصَّلَاةِ فِي الْمَقَابِرِ)، فَأَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّ حَدِيْثَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يُفِيْدُ كَرَاهَةَ الصَّلَاةِ فِي الْمَقَابِرِ، فَكَذَلِكَ حَدِيْثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُفِيْدُ كَرَاهَةَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الْمَقَابِرِ، وَلَا فَرْقَ، وَقَدِ اسْتَدَلَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالْحَدِيْثِ عَلَى مَا اسْتَدَلَّ بِهِ الْبُخَارِيُّ، وَأَيَّدَهُ الْحَافِظُ فِي شَرْحِهِ.ا.هـ.

وَيَحْرُمُ الْمَشْيُ بِالنِّعَالِ بَيْنَ الْقُبُورِ، فَعَن بَشِيرِ ابْنِ الْخَصَاصِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى قُبُورِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: **«سَبَقَ هَؤُلَاءِ خَيْرًا كَثِيرًا، سَبَقَ هَؤُلَاءِ خَيْرًا كَثِيرًا»**. ثُمَّ أَتَى عَلَى قُبُورِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: **«أَدْرَكَ هَؤُلَاءِ خَيْرًا كَثِيرًا، أَدْرَكَ هَؤُلَاءِ خَيْرًا كَثِيرًا»**. ثُمَّ حَانَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَظْرَةٌ، فَإِذَا رَجُلٌ يَمْشِي بَيْنَ الْقُبُورِ فِي نَعْلَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَا صَاحِبَ السِّبْتِيَّتَيْنِ أَلْقِ سِبْتِيَّتَيْكَ»**، فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَمَى بِهِمَا.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي "كَشْفِ الْمُشْكِلِ"(ج٣/صـ: ٢٤٢-٢٤٣): وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَمَرَهُ بِخَلْعِهِمَا احْتِرَامًا لِّلْقُبُورِ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الِاسْتِنَادِ إِلَى الْقَبْرِ وَالْقُعُودِ عَلَيْهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الْعَبْدَ، إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ»**،(١) فَلَيْسَ فِيهِ سِوَى الْحِكَايَةِ عَمَّن يَّدْخُلُ الْمَقَابِرَ بِالنَّعْلِ، وَذَلِكَ لَا يَقْتَضِي إِبَاحَةً وَلَا تَحْرِيمًا.ا.هـ.

وَقَالَ الْحَافِظُ: يُعَكِّرُ عَلَيْهِ احْتِمَالُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ سَمَاعَهُ إِيَّاهَا بَعْدَ أَنْ يُجَاوِزَ الْمَقْبَرَةَ.

فَلَا يَجُوزُ الِاسْتِهَانَةُ بِحُرْمَةِ الْقُبُورِ؛ فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٩٧١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ، فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ»**.

وَعِندَ ابْنِ مَاجَهْ (رقم: ١٥٦٧) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَأَنْ أَمْشِيَ عَلَى جَمْرَةٍ، أَوْ سَيْفٍ، أَوْ أَخْصِفَ نَعْلِي بِرِجْلِي، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمْشِيَ عَلَى قَبْرِ مُسْلِمٍ، وَمَا أُبَالِي أَوَسْطَ الْقُبُورِ قَضَيْتُ حَاجَتِي، أَوْ وَسْطَ السُّوقِ»**.(٢)

---

(١) البخاري (رقم: ١٣٣٨، و١٣٧٤)، ومسلم (رقم: ٢٨٧٠).

(٢) وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الإرواء"(رقم:٦٣)، والوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٩٣٢).

وَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا (رقم: ٩٧٢) عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا»**.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَيْضًا: تَحْرِيمُ الصَّلَاةِ إِلَى الْقُبُورِ، فَتَحْرِيمُ الصَّلَاةِ عَلَيْهَا مِن بَابٍ أَوْلَى، وَفِيهِ أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ صَرِيحَةٌ، مِنْهَا: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**. يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:٤٣٥، و٣٤٥٣، و٤٤٤٣، ٥٨١٥)، وَمُسْلِمٌ (رقم:٥٢٩) مِنْ حَدِيثَيْ عَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَهَذَا النَّهْيُ يَقْتَضِي الْفَسَادَ، وَهُوَ قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِّنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: وَلَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ فِي الْمَقْبَرَةِ وَلَا إِلَيْهَا، وَالنَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ سَدٌّ لِذَرِيعَةِ الشِّرْكِ.ا.هـ.(١)

وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى بُطْلَانِ الصَّلَاةِ فِي الْمَقْبَرَةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْمَقْبَرَةَ وَالْحَمَّامَ»**. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ إِلَّا النَّسَائِيَّ.(٢)

وَالْمُرَادُ بِالْمَقْبَرَةِ مَا دُفِنَ فِيهِ أَحَدٌ، فَلَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ فِيهَا حِينَئِذٍ؛ لِأَنَّهَا كُلَّهَا تُسَمَّى مَقْبَرَةً، فَأَمَّا لَوْ أُوْقِفَتْ أَرْضٌ؛ لِتَكُونَ مَقْبَرَةً، وَلَمْ يُدْفَنْ فِيهَا أَحَدٌ بَعْدُ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ تَصِحُّ فِيهَا.(٣)

---

(١) "الفتاوى الكبرى"(ج٥/ص: ٣٢٧).

(٢) أخرجه أحمد (رقم:١١٧٨٨)، وأبو داود (رقم:٤٩٢)، والترمذي (رقم:٣١٧)، وابن ماجه (رقم:٧٤٥)، والحاكم (ج١/ص:٢٥١)، وغيرهم من طرق عن عمرو بن يحيى الأنصاري، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، به.

قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني، وقال: وصححه أيضًا ابن خزيمة، وابن حبان، وقوَّاه ابن حزم، وابن دقيق العيد، وابن التركماني، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: أسانيده جيدة.ا.هـ.

وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٣٨٠).

وللحديث شواهد، راجع: "الثمر المستطاب"(ص:٣٥٧)، و"صحيح أبي داود"(رقم:٥٠٧).

(٣) "الشرح الممتع"(ج٢/ص: ٢٣٨ - ٢٤٠).

وَيُسْتَثْنَى مِنْ حُرْمَةِ الصَّلَاةِ فِي الْمَقْبَرَةِ: صَلَاةُ الْجَنَازَةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَوِ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ، فَمَاتَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ: **«أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ** - أَوْ قَالَ: **قَبْرِهَا - فَأَتَى قَبْرَهَا، فَصَلَّى عَلَيْهَا»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٥٨، و١٣٣٧)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٩٥٦).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى قَبْرٍ بَعْدَمَا دُفِنَ، فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٩٥٤)، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٣١٩) نَحْوَهُ.

١٣) وَدَفْنُ الْمَيِّتِ مِن فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ عَلَى الْأَحْيَاءِ، وَيَحْرُمُ الدَّفْنُ فِي ثَلَاثَةِ أَوْقَاتٍ، إِلَّا مِن ضَرُورَةٍ، فَعَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ، أَوْ أَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا: **«حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَازِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ، وَحِينَ تَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٨٣١).

وَيَجُوزُ الدَّفْنُ لَيْلًا إِذَا قَامَ الْأَحْيَاءُ بِمَا يَجِبُ لِلْمَيِّتِ مِن تَغْسِيلِهِ، وَتَكْفِينِهِ، وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَعَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: رَأَى نَاسٌ نَارًا فِي الْمَقْبَرَةِ، فَأَتَوْهَا، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْقَبْرِ، وَإِذَا هُوَ يَقُولُ: **«نَاوِلُونِي صَاحِبَكُمْ»**. فَإِذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالذِّكْرِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣١٦٤).(١)

وَقَد دُّفِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَيْلًا، وَدَفَنَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَيْلًا، وَدُفِنَ أَبُوبَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَمَاعَةٌ مِّنَ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ لَيْلًا، مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ.

---

(١) وصححه الحاكم (رقم: ١٣٦١، و٣٣١٨)، ووافقه الذهبي، وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٢٢١).

وَأَمَّا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٩٤٣) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ يَوْمًا، فَذَكَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ قُبِضَ، فَكُفِّنَ فِي كَفَنٍ غَيْرِ طَائِلٍ، وَقُبِرَ لَيْلًا، فَزَجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَن يُقْبَرَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ إِنْسَانٌ إِلَى ذَلِكَ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ»**، فَمَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا كَانَ الدَّفْنُ فِي اللَّيْلِ يُفْضِي إِلَى تَرْكِ الْوَاجِبِ فِي حَقِّ الْمَيِّتِ، أَوِ الْإِخْلَالِ بِهِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: «حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهِ».(١)

وَالْمَشْرُوعُ فِي الْقَبْرِ تَعْمِيقُهُ، وَيَجُوزُ فِيهِ اللَّحْدُ وَالشَّقُّ، وَاللَّحْدُ أَفْضَلُ؛ فَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّ أَبَاهُ سَعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي هَلَكَ فِيهِ: **«الْحَدُوا لِي لَحْدًا، وَانْصِبُوا عَلَيَّ اللَّبِنَ نَصْبًا، كَمَا صُنِعَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٩٦٦).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "المجموع"(ج٥/صـ: ٢٨٧): أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الدَّفْنَ فِي اللَّحْدِ وَفِي الشَّقِّ جَائِزَانِ، لَكِنْ إِنْ كَانَتْ الْأَرْضُ صُلْبَةً لَا يَنْهَارُ تُرَابُهَا فَاللَّحْدُ أَفْضَلُ، وَإِنْ كَانَتْ رِخْوَةً تَنْهَارُ فَالشَّقُّ أَفْضَلُ.ا.هـ.

وَيَكُونُ اللَّحْدُ مِن جِهَةِ الْقِبْلَةِ، وَيَتَوَلَّى إِدْخَالَ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ الرِّجَالُ، حَتَّى لَوْ كَانَ الْمَيِّتُ امْرَأَةً، وَيُشْتَرَطُ فِي مَن يَّلِي ذَلِكَ أَن لَّا يَكُونَ وَطِئَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: شَهِدْنَا بِنْتًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ عَلَى القَبْرِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ، قَالَ: فَقَالَ: **«هَلْ مِنكُمْ رَجُلٌ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ؟»**. فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا، قَالَ: **«فَانزِلْ»**. قَالَ: فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٢٨٥، و١٣٤٢).

---

(١) راجع: "شرح النووي على مسلم"(ج٧/صـ: ١١)، و"مجموع فتاوى ابن باز"(ج١٣/صـ: ٢١٣-٢١٤)، و"مجموع فتاوى ابن عثيمين"(ج١٧/صـ: ١٨٠)، و"فتاوى اللجنة الدائمة" (م.١)(ج٨/صـ: ٣٩٧-٣٩٨).

وَيُدْخَلُ الْمَيِّتُ مِن قِبَلِ رِجْلَيِ الْقَبْرِ، يُسَلُّ سَلًّا مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: أَوْصَى الْحَارِثُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْقَبْرَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيِ الْقَبْرِ، وَقَالَ: «هَذَا مِنَ السُّنَّةِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (برقم: ٣٢١١).(١)

وَعَن مُحَمَّدِ بن سِيرِيْنَ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَنَسٍ فِي جِنَازَةٍ، فَأَمَرَ بِالْمَيِّتِ، فَسُلَّ مِنْ قِبَلِ رِجْلِ الْقَبْرِ. رَوَاهُ أَحْمَدُ (برقم: ٤٠٨١).

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الأم"(ج١/ص: ٣١١): وَأُمُورُ الْمَوْتَى، وَإِدْخَالُهُمْ مِنْ الْأُمُورِ الْمَشْهُورَةِ عِنْدَنَا؛ لِكَثْرَةِ الْمَوْتِ، وَحُضُورِ الْأَئِمَّةِ، وَأَهْلِ الثِّقَةِ، وَهُوَ مِنْ الْأُمُورِ الْعَامَّةِ الَّتِي يُسْتَغْنَى فِيهَا عَنِ الْحَدِيثِ، وَيَكُونُ الْحَدِيثُ فِيهَا كَالتَّكْلِيفِ بِعُمُومِ مَعْرِفَةِ النَّاسِ لَهَا، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْمُهَاجِرُونَ، وَالْأَنْصَارُ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، بِنَقْلِ الْعَامَّةِ عَنِ الْعَامَّةِ، لَا يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَيِّتَ يُسَلُّ سَلًّا.ا.هـ.

وَيُسْتَحَبُّ أَن يُقَالَ عِندَ إِدْخَالِهِ الْقَبْرَ : **«بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»**؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا وَضَعَ الْمَيِّتَ فِي الْقَبْرِ قَالَه. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (برقم: ٣٢١١).

وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ (برقم: ٥٢٣٣، و٥٣٧٠، و٦١١١): **«إِذَا وَضَعْتُمْ مَوْتَاكُمْ فِي الْقُبُورِ، فَقُولُوا: ...»**، فَذَكَرَهُ.

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ (برقم: ١٠٤٦): كَانَ إِذَا أُدْخِلَ الْمَيِّتُ الْقَبْرَ، وَقَالَ مَرَّةً: إِذَا وُضِعَ الْمَيِّتُ فِي لَحْدِهِ، قَالَ: **«بِسْمِ اللَّهِ، وَبِاللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»**، وَقَالَ مَرَّةً: **«بِسْمِ اللَّهِ، وَبِاللَّهِ، وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»**.

---

(١) وقال البيهقي بعد أن أخرجه (برقم: ٧٠٥٢) من طريق أبي داود: هذا إسناد صحيح، وقد قال: «هذا من السنة»، فصار كالمسند.ا.هـ. وأقره الألباني في "أحكام الجنائز"(ص: ١٥٠).

وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٥٥٠)، دُونَ قَوْلِهِ: [وباللهِ]، وَعِندَهُ مَكَانَهُ: «**وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ**».(١)

وَيُجْعَلُ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ عَلَى جَنْبِهِ الْيَمِينِ، وَوَجْهُهُ قُبَالَةَ الْقِبْلَةِ، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي "الْمُحَلَّى"(ج٣/صـ: ٤٠٤): عَلَى هَذَا جَرَى عَمَلُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَهَكَذَا كُلُّ مَقْبَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ.ا.هـ.

وَمَا يَصْنَعُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِن وَّضْعِ يَدِ الْمَيِّتِ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ الْأَيْمَنِ بَعْدَ تَوْسِيدِهِ فَبِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ، وَإِسَاءَةٌ إِلَى الْمَيِّتِ، وَإِنَّمَا يُشْرَعُ ذَلِكَ لِلْحَيِّ إِذَا أَرَادَ أَن يَّنَامَ.(٢)

وَتُحَلُّ عُقَدُ الْكَفَنِ، وَلَا تُنزَعُ، وَلَا يُكْشَفُ وَجْهُهُ، سَوَاءٌ أَكَانَ الْمَيِّتُ رَجُلًا أَوِ امْرَأَةً، ثُمَّ يُنصَبُ عَلَيْهِ اللَّبِنُ، وَيُطَيَّنُ حَتَّى يَثْبُتَ وَيَقِيَهُ التُّرَابَ، فَإِن لَّمْ يَتَيَسَّرِ اللَّبِنُ فَبِغَيْرِهِ مِنْ أَلْوَاحٍ، أَوْ أَحْجَارٍ، أَوْ خَشَبٍ، ثُمَّ يُهَالُ عَلَيْهِ التُّرَابُ، وَيُرْفَعُ الْقَبْرُ قَدْرَ شِبْرٍ.(٣)

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أُلْحِدَ، وَنُصِبَ عَلَيْهِ اللَّبِنُ نَصْبًا، وَرُفِعَ قَبْرُهُ مِنَ الْأَرْضِ نَحْوًا مِنْ شِبْرٍ**». رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ (رقم: ٧٥٦).(٤)

وَعَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟: «**أَن لَّا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٩٦٩).

---

(١) حسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (رقم: ٣١٠٩، و٣١١٠)، والحاكم (رقم: ١٣٥٣، و١٣٥٤)، وقال: «على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني، وصححه أيضًا: الضياء في "المختارة"(ج١٣/صـ: ١٤٣-١٤٤)(رقم: ٢٢٧، و٢٢٨، و٢٢٩، و٢٣٠، و٢٣١، و٢٣٢، و٢٣٣). وراجع: "الإرواء"(رقم: ٧٤٧)، و"أحكام الجنائز"(صـ: ١٥١-١٥٢).

(٢) فيه أحاديث، منها: حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند البخاري (رقم: ٦٣١٤).

(٣) "الدروس المهمة لعامة الأمة"(صـ: ٢٩).

(٤) وصححه الألباني في "الإرواء"(رقم: ٧٥٦).

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٩٦٨) أَيْضًا عَن ثُمَامَةَ بْنِ شُفَيٍّ، قَالَ: كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودِسَ، فَتُوُفِّيَ صَاحِبٌ لَنَا، فَأَمَرَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَبْرِهِ، فَسُوِّيَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا»**.

وَأَمَّا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [عَقِبَ الْحَدِيْثِ (رقم: ١٣٩٠)] عَنْ سُفْيَانَ التَّمَّارِ، أَنَّهُ: «رَأَى قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُسَنَّمًا»، فَلَا حُجَّةَ فِيهِ، كَمَا قَالَ الْبَيْهَقِيُّ؛ لِأَنَّ قَبْرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَوَّلِ مُسَنَّمًا، فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣٢٢٠) مِنْ طَرِيقِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّه، اكْشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَكَشَفَتْ لِي عَنْ ثَلَاثَةِ قُبُورٍ، لَا مُشْرِفَةٍ، وَلَا لَاطِئَةٍ، مَبْطُوحَةٍ بِبَطْحَاءِ الْعَرْصَةِ الْحَمْرَاءِ.

قَالَ الْحَافِظُ: وَهَذَا كَانَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ، فَكَأَنَّهَا كَانَتْ فِي الْأَوَّلِ مُسَطَّحَةً، ثُمَّ لَمَّا بُنِيَ جِدَارُ الْقَبْرِ فِي إِمَارَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ صَيَّرُوهَا مُرْتَفِعَةً.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثُمَّ الِاخْتِلَافُ فِي ذَلِكَ فِي أَيِّهِمَا أَفْضَلُ، لَا فِي أَصْلِ الْجَوَازِ.ا.هـ.

وَيَحْرُمُ تَجْصِيصُ الْقُبُورِ وَالْبِنَاءُ وَالْكِتَابَةُ عَلَيْهَا؛ فَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٩٧٠) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **«نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَن يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَن يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَن يُبْنَى عَلَيْهِ»**.

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ (رقم: ١٠٥٢): **«وَأَن يُكْتَبَ عَلَيْهَا، وَأَن تُوطَأَ»**.(١)

وَيَحْرُمُ أَيْضًا نَصْبُ الْأَحْجَارِ عَلَيْهَا، وَالَّتِي تُعْرَفُ بِـ: (الْمَشَاهِدِ)، وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْكَثِيرِ فِي الْبِلَادِ الْيَمَنِيَّةِ أَن يَنْصِبُوا عَلَى قَبْرِ الرَّجُلِ حَجَرًا وَاحِدًا، وَعَلَى قَبْرِ الْمَرْأَةِ اثْنَيْنِ، وَهَذِهِ بِدْعَةٌ!.

---

(١) راجع: "الإرواء"(رقم: ٧٥٧).

وَيُسْتَحَبُّ لِلْحَاضِرِيْنَ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الدَّفْنِ أَن يَّقِفُوا عِندَ الْقَبْرِ قَلِيْلًا، وَيَدْعُوا لِلْمَيِّتِ؛ فَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إِذَا فَرَغَ مِن دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: **«اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»**. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣٢٢١).(١)

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَيُسْتَحَبُّ تَعْزِيَةُ أَهْلِ الْمَيِّتِ، قَبْلَ الصَّلَاةِ أَوِ الدَّفْنِ أَوْ بَعْدَهُما، أَوْ مَا بَيْنَهُمَا، وَأَبْلَغُهَا أَقْرَبُهَا مِن وَّقْتِ الْمُصِيْبَةِ.(٢)

قَالَ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُعَزِّيْهِم بِمَا يَظُنُّ أَنَّهُ يُسَلِّيْهِمْ، وَيَكُفُّ مِنْ حُزْنِهِمْ، وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى الرِّضَا وَالصَّبْرِ، مِمَّا يَثْبُتُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إِن كَانَ يَعْلَمُهُ وَيَسْتَحْضِرُهُ، وَإِلَّا فَبِمَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ الْحَسَنِ الَّذِي يُحَقِّقُ الْغَرَضَ وَلَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ، وَفِي ذَلِكَ أَحَادِيْثُ، مِنْهَا: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ تَدْعُوهُ، وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا، أَوِ ابْنًا لَهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ: **«ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَأَخْبِرْهَا: أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٣)

---

(١) وصححه الحاكم (رقم: ١٣٧٢)، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "أحكام الجنائز"(صـ: ١٥٦)، وحسنه الضياء في "المختارة"(ج١/صـ: ٥٢٢)(رقم: ٣٨٨)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٩١١).

(٢) راجع: "مجموع فتاوى ابن باز"(ج١٣/صـ: ٣٧٦).

(٣) البخاري (رقم: ١٢٨٤، و٧٣٧٧، و٧٤٤٨)، ومسلم (رقم: ٩٢٣).

وَهَذِهِ الصِّيْغَةُ مِنَ التَّعْزِيَةِ وَإِن وَّرَدَتْ فِيْمَن أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتَ فَالتَّعْزِيَةُ بِهَا فِيْمَن قَدْ مَاتَ أَوْلَى؛ بِدَلَالَةِ النَّصِّ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّوَوِيُّ فِي "الأَذْكَارِ"(صـ: ١٥٠) وَغَيْرُهُ: وَهَذَا الْحَدِيْثُ أَحْسَنُ مَا يُعَزَّى بِهِ.(١)

وَمِن بِدَعِ التَّعْزِيَةِ: تَحْدِيْدُهَا بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ عَشْرَةِ أَيَّامٍ، فَلَيْسَ لِلتَّعْزِيَةِ أَمَدٌ تُحَدُّ بِهِ؛ لِأَنَّ الْغَرَضَ الدُّعَاءُ وَالْحَمْلُ عَلَى الصَّبْرِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْجَزَعِ، وَذَلِكَ يَحْصُلُ مَعَ طُولِ الزَّمَانِ.(٢)

لَكِن تُعْتَبَرُ فِي ذَلِكَ عِلَّةُ التَّعْزِيَةُ، وَهِيَ الْمُصِيْبَةُ، فَإِذَا نَسِيَ الْإِنسَانُ مُصِيْبَتَهُ؛ لِطُولِ الزَّمَانِ، فَإِنَّنَا لَا نُعَزِّيْهِ؛ لِأَنَّنَا بِذَلِكَ نُجَدِّدُ عَلَيْهِ الْمُصِيْبَةَ وَالْحُزْنَ.

وَيُعَزَّى الْمُصَابُ وَإِن لَّمْ يَكُن مِّنْ أَقَارِبِ الْمَيِّتِ، فَإِن لَّمْ يَكُن مُّصَابًا لَمْ يُعَزَّ وَإِن كَانَ قَرِيْبًا، كَمَن مَّاتَ لَهُ قَرِيْبٌ شِرِّيرٌ مُؤْذٍ، فَفَرِحَ بِمَوْتِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُعَزَّى وَالْحَالُ هَذَا.(٣)

وَلَا يُشْتَرَطُ لِلتَّعْزِيَةِ مَكَانٌ مُّعَيَّنٌ، وَلَكِن يُّعَزَّى الْمُصَابُ أَيْنَمَا وُجِدَ، فِي الْبَيْتِ أَوْ فِي الطَّرِيْقِ، أَوْ فِي الْمَسْجِدِ، أَوْ فِي الْمَقْبَرَةِ، أَوْ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْمَوَاضِعِ.

وَتُشْرَعُ مُصَافَحَةُ الْمُعَزَّى إِذَا قُوبِلَ، وَإِذَا كَانَ أَحَدُهُمَا قَدْ قَدِمَ مِن سَفَرٍ، فَيُشْرَعُ مَعَ الْمُصَافَحَةِ الْمُعَانَقَةُ؛ لِقَوْلِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَلَاقَوْا تَصَافَحُوا، وَإِذَا قَدِمُوا مِنْ سَفَرٍ تَعَانَقُوا». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ"(رقم: ٩٧).(٤)

---

(١) "أحكام الجنائز"(صـ: ١٦٣-١٦٤).

(٢) "المجموع شرح المهذب"(ج٥/صـ: ٣٠٦)، و"أحكام الجنائز"(صـ: ١٦٦).

(٣) راجع: "الشرح الممتع"(ج٥/صـ: ٣٩٠-٣٩١).

(٤) ورجاله رجال الصحيح، كما قال المنذري في "الترغيب والترهيب"(ج٣/صـ: ٢٩٠)، والهيثمي في "المجمع"(ج٨/صـ: ٣٦)، والألباني في "الصحيحة"(ج١/صـ: ٢٩٨).
وأخرج الطحاوي في "شرح معاني الآثار"(رقم: ٦٩٠٦) بإسناد صحيح إلى الشعبي، قال: «إن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كانوا إذا التقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا».

قَالَ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَيُعَزِّي الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ وَالْمَرْأَةُ الرَّجُلَ، لَكِن مِّن دُونِ خَلْوَةٍ وَّلَا مُصَافَحَةٍ، إِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ لَيْسَتْ مَحْرَمًا لَّهُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَا نَعْلَمُ بَأْسًا فِي السَّفَرِ؛ مِنْ أَجْلِ الْعَزَاءِ لِقَرِيْبٍ أَوْ صَدِيْقٍ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْجَبْرِ وَالْمُوَاسَاةِ وَتَخْفِيْفِ آلَامِ الْمُصِيْبَةِ.ا.هـ.(١)

وَمِن بِدَعِ التَّعْزِيَةِ أَيْضًا: الِاجْتِمَاعُ عَلَى الْمُصِيْبَةِ، وَإِعْدَادُ أَهْلِ الْمَيِّتِ الطَّعَامَ لِلْمُعَزِّينَ، فَعَن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا نَعُدُّ الِاجْتِمَاعَ إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ وَصَنِيعَةَ الطَّعَامِ بَعْدَ دَفْنِهِ مِنَ النِّيَاحَةِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٦٩٠٥)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٦١٢).(٢)

وَيُسْتَحَبُّ صُنْعُ الطَّعَامِ لِأَهْلِ الْمَيِّتِ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«اصْنَعُوا لِأَهْلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٧٥١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٩٩٨)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٦١٠).(٣)

---

(١) راجع: "مجموع فتاوى ابن باز"(ج٥/صـ: ٣٤٥، وج١٣/صـ: ٣٧٦).

(٢) رواه ابن ماجه من طريقين إلى هشيم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير، به.
وصححه النووي في "المجموع"(ج٥/صـ: ٣٢٠)، وقال البوصيري في "مصباح الزجاجة"(رقم: ٥٩٢): «هذا إسناد صحيح، رجال الطريق الأولى على شرط البخاري والطريق الثانية على شرط مسلم».
وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "أحكام الجنائز"(صـ: ١٦٧): «وإسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٣) ورواه أيضًا أبو داود (رقم: ٣١٣٢) دون قوله: «لما جاء نعي جعفر».
وحسن الحديث: الترمذي، وصححه الحاكم (رقم: ١٣٧٧)، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: ابن السكن، كما في "التلخيص"(ج٥/صـ: ٢٥٣)، والضياء في "المختارة"(ج٩/صـ: ١٦٦-١٦٧) (رقم: ١٤١، و١٤٢، و١٤٣)، وكذا حسنه الألباني في "أحكام الجنائز"(صـ: ١٦٨).

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "الْأُمِّ"(ج١/صـ: ٣١٧): «وَأُحِبُّ لِجِيرَانِ الْمَيِّتِ أَوْ ذِي قَرَابَتِهِ أَنْ يَعْمَلُوا لِأَهْلِ الْمَيِّتِ فِي يَوْمِ يَمُوتُ وَلَيْلَتِهِ طَعَامًا يُشْبِعُهُمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ سُنَّةٌ، وَذِكْرٌ كَرِيمٌ، وَهُوَ مِنْ فِعْلِ أَهْلِ الْخَيْرِ قَبْلَنَا، وَبَعْدَنَا». ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيْثَ.

الحسد

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

إِنَّ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنسِ أَن يَسْعَى فِي سَلَامَةِ قَلْبِهِ وَصَلَاحِهِ وَطَهَارَتِهِ مِن كُلِّ مَا يَشُوبُهُ وَيُدَنِّسُهُ مِنَ الشِّرْكِ باللهِ وَمَا دُونَهُ مِن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ وَصَغَائِرِهَا؛ فَإِنَّهُ لَا يُنجِي الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا ذَلِكَ، قَالَ ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

وَالْآفَاتُ الَّتِي تُلَوِّثُ الْقَلْبَ وَتُدَنِّسُهُ، أَعْظَمُهَا الشِّرْكُ باللهِ ﷻ.

وَمِنْ أَعْظَمِهَا بَعْدِ الشِّرْكِ باللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَرَضٌ فَتَّاكٌ، وَدَاءٌ عُضَالٌ، إِنَّهُ الْحَسَدُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَسَدُ؟!، مَجْمَعُ الشُّرُورِ وَالْآفَاتِ، وَالْقَائِدُ إِلَى كَثِيْرٍ مِنَ الْمُوبِقَاتِ، وَيَكْفِيْكَ لِتَقِفَ عَلَى خَطَرِ هَذَا الْمَرَضِ وَعِظَمِ الْبَلِيَّةِ بِهِ أَنَّهُ أَوَّلُ ذَنبٍ عُصِيَ اللهُ ﷻ بِهِ فِي السَّمَاءِ، وَأَوَّلُ ذَنبٍ عُصِيَ اللهُ ﷻ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَهُوَ أَصْلُ الْكُفْرِ وَالْفَسَادِ فِي هَذَا الْعَالَمِ.

فَالْكِبْرُ وَالْحَسَدُ هُمَا اللَّذَانِ مَنَعَا إِبْلِيْسَ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ سُجُودَ تَحِيَّةٍ وَتَكْرِيْمٍ بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُ اللهُ ﷻ بِذَلِكَ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١١ - ١٨].

وَكَذَبَ عَدُوُّ اللهِ؛ فَإِنَّ الطِّيْنَ أَفْضَلُ مِنَ النَّارِ مِن وُّجُوهٍ كَثِيْرَةٍ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي "بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ"(ج٤/صـ: ١٣٩-١٤٢) خَمْسَةَ عَشَرَ وَجْهًا فِي تَفْضِيْلِ الطِّيْنِ عَلَى النَّارِ.

وَقَالَ إِبْلِيْسُ أَيْضًا؛ كِبْرًا وَحَسَدًا: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦١ - ٦٥].

فَأَوَّلُ الذُّنُوبِ الَّتِي عُصِيَ اللهُ ﷻ بِهَا فِي السَّمَاءِ ثَلَاثَةٌ: الْحَسَدُ وَالْكِبْرُ مِنْ إِبْلِيْسَ، ثُمَّ الْحِرْصُ مِنْ آدَمَ، حِيْنَ أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيَ عَنْهَا؛ حِرْصًا مِنْهُ عَلَى الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى.

وَمَعَ ظُهُورِ حَالِ إِبْلِيْسَ وَكُفْرِهِ، وَتَوَعُّدِهِ بِإِغْوَاءِ أَكْثَرِ بَنِي آدَمَ فَقَدْ أَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا، فَاتَّبَعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَاتَّخَذُوهُ وَلِيًّا مِن دُونِ اللهِ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[الأعراف: ٢٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾ [الكهف: ٥٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ﴾[النساء: ١١٧ – ١٢١].

وَكَمَا أَنَّ الْحَسَدَ أَوَّلُ ذَنبٍ عُصِيَ اللهُ بِهِ فِي السَّمَاءِ، فَهُوَ كَذَلِكَ أَوَّلُ ذَنبٍ عُصِيَ اللهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾[المائدة: ٢٧ – ٣١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِمَا فِيمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ شَرَعَ لِآدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَنْ يُزَوِّجَ بَنَاتِهِ مِنْ بَنِيهِ لِضَرُورَةِ الْحَالِ، وَلَكِن قَالُوا: كَانَ يُولَدُ لَهُ فِي كُلِّ بَطْنٍ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، فَكَانَ يُزَوِّجُ أُنْثَى هَذَا الْبَطْنِ لِذِكْرِ الْبَطْنِ الْآخَرِ، وَكَانَتْ أُخْتُ هَابِيلَ دَمِيمَةً، وَأُخْتُ قَابِيلَ وَضِيئَةً، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِهَا عَلَى أَخِيهِ،

فَأَبَى آدَمُ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يُقَرِّبَا قُرْبَانًا، فَمَنْ تُقُبِّلَ مِنْهُ فَهِيَ لَهُ، فَقَرَّبَا فَتُقُبِّلَ مِنْ هَابِيلَ وَلَمْ يتَقَبَّل مِنْ قَابِيلَ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ.

فَلَمَّا قربا، قَرَّبَ هَابِيلُ جَذَعَة سَمِينَةً، وَقَرَّبَ قَابِيلُ حُزْمَةَ سُنْبُلٍ، فَوَجَدَ فِيهَا سُنبُلَةً عَظِيمَةً، فَفَرَكَهَا، فَأَكَلَهَا، فَنَزَلَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْ قُرْبَانَ هَابِيلَ، وَتَرَكَتْ قُرْبَانَ قَابِيلَ، فَغَضِبَ، وَقَالَ: لِأَقْتُلَنَّكَ؛ حَتَّى لَا تَنْكِحَ أُخْتِي. فَقَالَ هَابِيلُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

هَذَا هُوَ الْحَسَدُ الَّذِي جَنَى عَلَيْهِ، وَبِسَبَبِهِ تَرَاكَمَتْ وَتَتَرَاكَمُ عَلَيْهِ الْآثَامُ الْعِظَامُ؛ بِسَفْكِ الدَّمِ الْحَرَامِ، مُنذُ ذَلِكَ الْحِيْنِ وَإِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»**.(١)

فَمِن شُؤْمِ الْحَسَدِ وَمَخَاطِرِهِ أَنَّهُ رُبَّمَا قَادَ صَاحِبَهُ إِلَى الْكُفْرِ وَالْإِعْرَاضِ عَن دِيْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا صَنَعَ بِإِبْلِيْسَ، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وَكَذَلِكَ صَنَعَ الْحَسَدُ بِالْيَهُودِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِنُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ حَسَدًا مِنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

وَعِندَ ابْنِ مَاجَهْ (برقم: ٨٥٦) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ»**.(٢)

(١) البخاري (برقم: ٣٣٣٥، و٧٣٢١)، ومسلم (برقم: ١٦٧٧).

(٢) وصححه ابن خزيمة (برقم: ٥٧٤، و١٥٨٥)، والألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "أصل صفة الصلاة"(ج١/صـ: ٣٨٨ - ٣٩٠)، و"صحيح الترغيب والترهيب"(برقم: ٥١٥)، والوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(برقم: ١٥٨٦).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ خُزَيْمَةَ (رقم: ٥٧٤، و١٥٨٥): «**إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ حُسَّدٌ، وَهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى السَّلَامِ، وَعَلَى آمِينَ**».

يَحْسُدُونَ الْمُسْلِمِيْنَ عَلَى السَّلَامِ؛ لِأَنَّ السَّلَامَ مِن وَسَائِلِ التَّحَابِّ بَيْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٥٤) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَيَحْسُدُونَ الْمُسْلِمِيْنَ عَلَى التَّأْمِيْنِ؛ وَهُوَ شَعِيْرَةٌ ظَاهِرَةٌ، وَسُنَّةٌ وَاجِبَةٌ عَلَى الصَّحِيْحِ.

فَمَا دُمْتَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ مُسْلِمًا، مُوَحِّدًا، رَضِيْتُ باللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِيْنًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَرَسُولًا، فَإِنَّ الْيَهُودَ يَحْسُدُونَكَ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ، حَتَّى لَوْ كُنتَ فَقِيْرًا، فَهُمْ يَحْسُدُونَكَ عَلَى نِعْمَةِ الْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيْقِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء: ٤٤ - ٤٦].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٥٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٨٩ - ٩٠].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ - كَمَا فِي "سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ"(ج١/صـ: ٢١١) -: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ، قَالُوا: إِنَّ مِمَّا دَعَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ، مَعَ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَهَدَاهُ لَنَا، لَمَّا كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ، كُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ، عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ، فَإِذَا نِلْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ، قَالُوا لَنَا: إِنَّهُ قَدْ تَقَارَبَ زَمَانُ نَبِيٍّ يُبْعَثُ الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَّإِرَمٍ، فَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ. فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَجَبْنَاهُ، حِينَ دَعَانَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ، فَبَادَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَآمَنَّا بِهِ، وَكَفَرُوا بِهِ، فَفِينَا وَفِيهِمْ نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ مِنْ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩ - ٩٠].(١)

وَفِي "مُسْنَدِ أَحْمَدَ"(رقم: ١٥٨٤١) مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ، قَالَ: كَانَ لَنَا جَارٌ مِنْ يَهُودَ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالَ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنْ بَيْتِهِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِيَسِيرٍ، فَوَقَفَ عَلَى مَجْلِسِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالَ سَلَمَةُ: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَحْدَثُ مَنْ فِيهِ سِنًّا عَلَيَّ بُرْدَةٌ مُضْطَجِعًا فِيهَا بِفِنَاءِ أَهْلِي، فَذَكَرَ الْبَعْثَ وَالْقِيَامَةَ وَالْحِسَابَ وَالْمِيزَانَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَقَالَ ذَلِكَ لِقَوْمٍ أَهْلِ شِرْكٍ أَصْحَابِ أَوْثَانٍ لَا يَرَوْنَ أَنَّ بَعْثًا كَائِنٌ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ يَا فُلَانُ، تَرَى هَذَا

(١) قال العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند من أسباب النزول"(صـ: ٢١): وهو حديث حسن؛ فإن ابن إسحاق إذا صرح بالتحديث فحديثه حسن.ا.هـ.

كَائِنًا إِنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَى دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ وَنَارٌ، يُجْزَوْنَ فِيهَا بِأَعْمَالِهِمْ؟! قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ، لَوَدَّ أَنَّ لَهُ بِحَظِّهِ مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَعْظَمَ تَنُّورٍ فِي الدُّنْيَا يُحَمُّونَهُ ثُمَّ يُدْخِلُونَهُ إِيَّاهُ فَيُطْبَقُ بِهِ عَلَيْهِ وَأَن يَّنْجُوَ مِنْ تِلْكَ النَّارِ غَدًا، قَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ، وَمَا آيَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَبِيٌّ يُبْعَثُ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ، قَالُوا: وَمَتَى تَرَاهُ؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيَّ وَأَنَا مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ: إِن يَّسْتَنْفِدْ هَذَا الْغُلَامُ عُمُرَهُ يُدْرِكْهُ. قَالَ سَلَمَةُ: فَوَاللَّهِ مَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَآمَنَّا بِهِ، وَكَفَرَ بِهِ؛ بَغْيًا وَّحَسَدًا، فَقُلْنَا: وَيْلَكَ يَا فُلَانُ! أَلَسْتَ بِالَّذِي قُلْتَ لَنَا فِيهِ مَا قُلْتَ؟! قَالَ: بَلَى، وَلَيْسَ بِهِ!.(١)

أَفَلَا يَتَّعِظُ الْمُسْلِمُونَ وَيَعْتَبِرُونَ، وَيُدْرِكُونَ حَالَ الْيَهُودِ الَّذِينَ لَا يَأْلُونَ جُهْدًا فِي رَدِّ الْمُسْلِمِينَ عَن دِينِهِمْ، بِشَتَّى الطُّرُقِ، وَمُخْتَلِفِ الْوَسَائِلِ، فَمَا مِن فِتْنَةٍ لَهَا شَأْنٌ فِي بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ إِلَّا وَالْيَهُودُ مِن وَرَائِهَا، ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَرُبَّمَا دَفَعَ الْحَسَدُ بِصَاحِبِهِ إِلَى الذَّهَابِ إِلَى السَّحَرَةِ؛ مِنْ أَجْلِ أَن يَّظْفَرَ عِندَهُمْ بِمَقْصُودِهِ بِكَيْدِ خَصْمِهِ أَوْ مَحْسُودِهِ، إِمَّا بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ؛ أَوْ إِرَادَةِ قَتْلِهِ بِالسِّحْرِ، أَوْ بِإِذْهَابِ عَقْلِهِ، أَوْ بِالتَّشْوِيشِ عَلَيْهِ، وَتَفْوِيتِ مَصَالِحِهِ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ هَذَا الْخَبَثِ الَّذِي انطَوَتْ عَلَيْهِ نُفُوسُ بَعْضِ النَّاسِ، وَنَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ.

وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ هَذَا التَّحَاسُدُ وَمَا يُفْضِي إِلَيْهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي حِبَالِ السِّحْرِ وَالسَّحَرَةِ بَيْنَ الْأَقَارِبِ، فَيَصِيرُونَ كَالْعَقَارِبِ، وَتُقْطَعُ بِذَلِكَ الْأَرْحَامُ، وَتَعْظُمُ بِهِ الْآثَامُ، وَتَحُلُّ عَلَى صَاحِبِهِ لَعْنَةُ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، قَالَ ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣].

---

(١) وصححه الحاكم (برقم: ٥٧٦٤)، وذكره الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيح السيرة النبوية"(صـ: ٥٨)، والوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(برقم: ٤٤٣).

أَتَدْرِي أَنَّ السَّاحِرَ كَافِرٌ بِاللهِ الْعَظِيْمِ، وَأَنَّ **«مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»**(١) الرَّسُولِ الْكَرِيْمِ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيْمِ، فَالْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ بِالْهَيِّنَةِ!.

وَرُبَّمَا جَرَّ الْحَسَدُ إِلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ الْحَرَامِ وَقَتْلِ النَّفْسِ الْبَرِيْئَةِ، كَمَا صَنَعَ ابْنُ آدَمَ.

وَرُبَّمَا جَرَّ إِلَى الْكَذِبِ وَالْغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَالْحَلِفِ بِالْبَاطِلِ.

وَرُبَّمَا جَرَّ إِلَى قَطِيْعَةِ الرَّحِمِ، وَعُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ، كَمَا وَقَعَ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ؛ فَإِنَّهُمْ حَسَدُوهُ وَأَخَاهُ لِمَنزِلَتِهِمَا مِنْ أَبِيْهِمَا، قَالَ ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٤ - ٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٨ - ٩].

فَمَا ضَرَّهُ ذَلِكَ، بَلْ بَوَّأَهُ اللهُ ﷻ رِفْعَةً، وَأَظْهَرَ فَضْلَهُ، وَأَعْقَبَهُ النُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ وَمُلْكَ مِصْرَ، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٠ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩٠ - ٩١].

فَهَؤُلَاءِ إِخْوَةُ يُوسُفَ، وَهُم مُؤْمِنُونَ، وَأَبْنَاءُ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنبِيَاءِ، حَسَدُوا أَخَاهُمْ، وَقَطَعُوا رَحِمَهُ، وَعَقُّوا أَبَاهُمْ، وَحَدَّثُوا فَكَذَبُوا، وَوَعَدُوا فَأَخْلَفُوا، وَائْتُمِنُوا فَخَانُوا، فَهَذِهِ الْعَظَائِمُ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْهُمْ تَمْنَعُ مِنَ الْقَوْلِ بِنُبُوَّتِهِمْ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْغَلَطَ فِي دَعْوَى نُبُوَّتِهِمْ حَصَلَ مِن ظَنِّ أَنَّهُمْ هُمُ الْأَسْبَاطُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِنَّمَا الْأَسْبَاطُ ذُرِّيَّتُهُمُ الَّذِينَ قُطِّعُوا أَسْبَاطًا مِنْ عَهْدِ مُوسَى، كُلُّ سِبْطٍ أُمَّةٌ عَظِيْمَةٌ. وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْأَسْبَاطِ أَبْنَاءُ يَعْقُوبَ لَقَالَ: (وَيَعْقُوبَ وَبَنِيْهِ)، فَإِنَّهُ أَوْجَزُ وَأَبْيَنُ. وَاخْتِيْرَ لَفْظُ (الْأَسْبَاطِ) عَلَى لَفْظِ (بَنِي إِسْرَائِيْلَ)؛ لِلْإِشَارَةِ إِلَى

(١) رواه أحمد (رقم: ٩٥٣٦)، وراجع: "الإرواء"(رقم: ٢٠٠٦)، و"الصحيحة"(رقم: ٣٣٨٧).

أَنَّ النُّبُوَّةَ إِنَّمَا حَصَلَتْ فِيهِم مِنْ حِيْنِ تَقْطِيعِهِمْ أَسْبَاطًا مِنْ عَهْدِ مُوسَى، واللهُ أَعْلَمُ.ا.هـ.(١)

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْحَسَدَ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ النَّفْسِ، وَهُوَ مَرَضٌ غَالِبٌ، فَلَا يَخْلُصُ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْ النَّاسِ، وَلِهَذَا يُقَالُ: مَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ، لَكِنَّ اللَّئِيمَ يُبْدِيهِ وَالْكَرِيمَ يُخْفِيهِ، وَقَدْ قِيلَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: أَيَحْسُدُ الْمُؤْمِنُ؟ فَقَالَ: مَا أَنْسَاك إخْوَةَ يُوسُفَ، لَا أَبَا لَك! وَلَكِنْ عَمِّهِ فِي صَدْرِك، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّك مَا لَمْ تَعْدُ بِهِ يَدًا وَلِسَانًا.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَمَن وَّجَدَ فِي نَفْسِهِ حَسَدًا لِّغَيْرِهِ فَعَلَيْهِ أَن يَّسْتَعْمِلَ مَعَهُ التَّقْوَى وَالصَّبْرَ، فَيَكْرَهُ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ، وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ دِينٌ لَّا يَعْتَدُونَ عَلَى الْمَحْسُودِ، فَلَا يُعِينُونَ مَن ظَلَمَهُ، وَلَكِنَّهُمْ أَيْضًا لَّا يَقُومُونَ بِمَا يَجِبُ مِنْ حَقِّهِ، بَلْ إذَا ذَمَّهُ أَحَدٌ لَمْ يُوَافِقُوهُ عَلَى ذَمِّهِ، وَلَا يَذْكُرُونَ مَحَامِدَهُ، وَكَذَلِكَ لَوْ مَدَحَهُ أَحَدٌ لَّسَكَتُوا، وَهَؤُلَاءِ مَدِينُونَ فِي تَرْكِ الْمَأْمُورِ فِي حَقِّهِ، مُفَرِّطُونَ فِي ذَلِكَ؛ لَا مُعْتَدُونَ عَلَيْهِ، وَجَزَاؤُهُمْ أَنَّهُمْ يُبْخَسُونَ حُقُوقَهُمْ، فَلَا يُنْصَفُونَ أَيْضًا فِي مَوَاضِعَ، وَلَا يُنصَرُونَ عَلَى مَن ظَلَمَهُمْ، كَمَا لَمْ يَنْصُرُوا هَذَا الْمَحْسُودَ، وَأَمَّا مَنْ اعْتَدَى بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ فَذَلِكَ يُعَاقَبُ، وَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَصَبَرَ فَلَمْ يَدْخُلْ فِي الظَّالِمِينَ نَفَعَهُ اللَّهُ بِتَقْوَاهُ، كَمَا جَرَى لِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فَإِنَّهَا كَانَتْ هِيَ الَّتِي تُسَامِي عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.ا.هـ.(٢)

---

(١) "جامع المسائل"(ج٣/صـ: ٢٩٩)، وراجع أيضًا رسالة السيوطي: "دفع التعسف عن إخوة يوسف"، وهي مطبوعة ضمن "الحاوي"(ج١/صـ: ٣٦٧-٣٧٠).

(٢) "مجموع الفتاوى"(ج١٠/صـ: ١٢٤-١٢٥).

وقد أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى قول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ سأل زينب بنت جحش، زوج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن أمري: «مَا عَلِمْتِ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ؟» فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرًا. قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فعصمها الله بالورع. أخرجه البخاري (رقم: ٢٦٦١، و٤١٤١، و٤٧٥٠)، ومسلم (رقم: ٢٧٧٠).

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَذَاكَ أَنَّ الْإِنسَانَ لَا يُحِبُّ أَن يَّرْتَفِعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ!؛ فَإِذَا رَأَى صَدِيْقَهُ قَدْ عَلَا عَلَيْهِ، تَأَثَّرَ هُوَ، وَلَمْ يُحِبَّ أَن يَرْتَفِعَ عَلَيْهِ، وَوَدَّ لَوْ لَمْ يَنَلْ صَدِيْقُهُ مَا يَنَالُ، أَوْ أَن يَّنَالَ هُوَ مَا نَالَ ذَاكَ؛ لِئَلَّا يَرْتَفِعَ عَلَيْهِ، وَهَذَا مَعْجُونٌ فِي الطَّبْعِ، وَلَا لَوْمَ عَلَى ذَلِكَ؛ إِنَّمَا اللَّوْمَ أَن يَّعْمَلَ بِمُقْتَضَاهُ مِن قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ.

قَالَ: وَكُنتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا قَدْ وَقَعَ لِي عَن سَبْرِي وفَحْصِي؛ فَرَأَيْتُ الْحَدِيْثَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ بِسَنَدِهِ عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «لَيْسَ مِن وَلَدِ آدَمَ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ خُلِقَ مَعَهُ الْحَسَدُ، فَمَن لَّمْ يُجَاوِزْ ذَلِكَ بِقَوْلٍ وَّلَا بِفِعْلٍ، لَمْ يَتْبَعْهُ شَيْءٌ».ا.هـ.(١)

وَلِلْحَسَدِ دَوَافِعُ وَدَوَاعِي، مِنْهَا: بُغْضُ الْمَحْسُودِ، وَكَرَاهَتُهُ.

وَمِنْهَا: أَن يَّكُونَ لِلْمَحْسُودِ نِعْمَةٌ أَوْ فَضْلٌ لَّا يُدْرِكُهُ الْحَاسِدُ؛ فَيَحْسُدُهُ لِذَلِكَ.

وَمِن دَوَاعِي الْحَسَدِ أَيْضًا: خَوْفُ فَوَاتِ بَعْضِ الْمَقَاصِدِ أَوِ الْحُظُوظِ، كَالْحَسَدِ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الضَّرَاتِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَحَسَدُ النِّسَاءِ بَعْضِهِنَّ لِبَعْضٍ كَثِيرٌ غَالِبٌ، لَا سِيَّمَا الْمُتَزَوِّجَاتُ بِزَوْجٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ تَغَارُ عَلَى زَوْجِهَا؛ لِحَظِّهَا مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ بِسَبَبِ الْمُشَارَكَةِ يَفُوتُ بَعْضُ حَظِّهَا.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهَكَذَا الْحَسَدُ يَقَعُ كَثِيرًا بَيْنَ الْمُتَشَارِكِينَ فِي رِئَاسَةٍ أَوْ مَالٍ إِذَا أَخَذَ بَعْضُهُمْ قِسْطًا مِنْ ذَلِكَ وَفَاتَ الْآخَرُ؛ وَيَكُونُ بَيْنَ النُّظَرَاءِ؛ لِكَرَاهَةِ أَحَدِهِمَا أَن يُّفَضَّلَ الْآخَرُ عَلَيْهِ، كَحَسَدِ إِخْوَةِ يُوسُفَ، وَكَحَسَدِ ابْنِ آدَمَ لِأَخِيهِ، فَإِنَّهُ حَسَدَهُ؛ لِكَوْنِ أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ قُرْبَانَهُ وَلَمْ يَتَقَبَّلْ قُرْبَانَ هَذَا؛ فَحَسَدَهُ عَلَى مَا فَضَّلَهُ اللَّهُ مِنْ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى - كَحَسَدِ الْيَهُودِ لِلْمُسْلِمِينَ - وَقَتَلَهُ عَلَى ذَلِكَ.ا.هـ.(٢)

---

(١) "صيد الخاطر"(ص: ٤٣٦).

(٢) "مجموع الفتاوى"(ج١٠/ص: ١٢٥-١٢٦).

وَمِن دَوَاعِي الْحَسَدِ أَيْضًا: الشُّحُّ بِالْفَضَائِلِ وَالْبُخْلُ بِهَا، فَلَا يُرِيْدُ أَن يَّرَى عَلَى غَيْرِهِ نِعْمَةً، قَالَ ﷻ: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ [النساء: ١٢٨]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وَفِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٥٧٨) عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»**.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالْبُخْلُ وَالْحَسَدُ مَرَضٌ يُوجِبُ بُغْضَ النَّفْسِ لِمَا يَنفَعُهَا، بَلْ وَحُبَّهَا لِمَا يَضُرُّهَا؛ وَلِهَذَا يُقْرَنُ الْحَسَدُ بِالْحِقْدِ وَالْغَضَبِ»(١).

وَلَيْسَ كُلُّ مَن زَعَمَ أَنَّهُ مَحْسُودٌ يَكُونُ كَذَلِكَ، فَقَدْ قَالَ ﷻ: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥].

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ أَنَّ الْحَسَدَ الَّذِي يَكُونُ فِي النَّفْسِ لِغَيْرِهَا يَجِبُ دَفْعُهُ، وَمُجَاهَدَةُ النَّفْسِ عَلَى تَرْكِهِ، وَقَد تَّقَدَّمَ قَولُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمَن وَجَدَ فِي نَفْسِهِ حَسَدًا لِغَيْرِهِ فَعَلَيهِ أَن يسْتَعْمِلَ مَعَهُ التَّقْوَى وَالصَّبْرَ، فَيكْرَهُ ذَلِك من نَفْسِهِ».

وَمِمَّا يُدْفَعُ بِهِ حَسَدُ النَّفْسِ لِغَيْرِهَا، وَحَسَدُ غَيْرِهَا لَهَا: الْإِقْبَالُ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالِاشْتِغَالُ بِهَا، وَمِنْهَا الصَّلَاةُ، ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

---

(١) "مجموع الفتاوى" (ج١٠/ص: ١٢٩).

وَمِنْهَا: الصِّيَامُ، فَعَن رَجُلٍ مِن بَنِي أُقَيْشٍ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنْ وَحَرِ صَدْرِهِ فَلْيَصُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٠٧٣٧).

وَفِي رِوَايَةٍ: **«صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، يُذْهِبْنَ وَحَرَ الصَّدْرِ»**.(١)

وَوَحَرُ الصَّدْرِ: غِلُّهُ، وَحِقْدُهُ، وَفَسَادُهُ، وَشَهْرُ الصَّبْرِ هُوَ: شَهْرُ رَمَضَانَ.

وَمِنْ أَدْوِيَةِ الْحَسَدِ أَيْضًا: تَذَكُّرُ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَسُرْعَةِ انقِضَائِهَا وَزَوَالِهَا، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَهْلٍ لِلتَّكَاثُرِ فِيهَا وَالتَّحَاسُدِ، وَإِنَّمَا هِيَ مَزْرَعَةٌ لِلْآخِرَةِ، فَيَحْمِلُ ذَلِكَ عَلَى التَّنَافُسِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَهُوَ الْمُنَافَسَةُ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، قَالَ ﷻ: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ﴾ [البقرة: ١٤٨]، و[المائدة: ٤٨]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، وَقَالَ ﷻ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾ [النحل: ٩٦].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«لا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»**. متفقٌ عَلَيْهِ.(٢)

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»**.(٣)

وَالْمُرَادُ بِالْحَسَدِ هُنَا: الْغِبْطَةُ، وَهُوَ: أَنْ يَتَمَنَّى مِثْلَ النِّعْمَةِ الَّتِي عَلَى غَيْرِهِ، مِنْ غَيْرِ زَوَالِهَا عَنْ صَاحِبِهَا، فَإِن كَانَتْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا كَانَتْ مُبَاحَةً، وَإِنْ كَانَتْ طَاعَةً فَهِيَ

---

(١) "المسند"(رقم: ٢٠٧٣٨، و٢٣٠٧٠، و٢٣٠٧٧).
وصححه ابن حبان (رقم:٦٥٥٧)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم:١٠٣٢)، والوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:١٤٥٨).

(٢) البخاري (رقم: ٧٣، و١٤٠٩، و٧١٤١، و٧٣١٦)، ومسلم (رقم: ٨١٦).

(٣) البخاري (رقم: ٥٠٢٥)، ومسلم (رقم: ٨١٥).

مُسْتَحَبَّةٌ، وَالْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ: لَا غِبْطَةَ مَحْبُوبَةٌ إِلَّا فِي هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ وَمَا فِي مَعْنَاهُمَا. قَالَهُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هُنَاكَ أَخْطَاءٌ يَرْتَكِبُهَا بَعْضُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ: مِنْهَا الْحَسَدُ، وَهُوَ: كَرَاهَةُ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ، وَلَيْسَ هُوَ تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى الْغَيْرِ فَحَسَب، بَلْ هُوَ مُجَرَّدُ أَن يَّكْرَهَ الْإِنسَانُ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ، فَهَذَا هُوَ الْحَسَدُ، سَوَاءٌ تَمَنَّى زَوَالَهُ، أَوْ أَن يَّبْقَى وَلَكِنَّهُ كَارِهٌ لَهُ، كَمَا حَقَّقَ ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَقَالَ: «الْحَسَدُ كَرَاهَةُ الْإِنسَانِ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ».

وَالْحَسَدُ قَدْ لَا تَخْلُو مِنْهُ النُّفُوسُ، وَلَكِنَّ الْإِنسَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ إِذَا رَأَى مِن قَلْبِهِ حَسَدًا لِلْغَيْرِ عَلَيْهِ أَلَّا يَبْغِيَ عَلَيْهِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ خِصَالِ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤].

وَقَالَ: الْحَسَدُ خُلُقٌ ذَمِيمٌ، وَمَعَ الْأَسَفِ أَنَّهُ كَثِيرًا مَّا يُوجَدُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ، وَيُوجَدُ بَيْنَ التُّجَّارِ، فَيَحْسُدُ بَعْضُهُم بَعْضًا، وَكُلُّ ذِي مِهْنَةٍ يَّحْسُدُ مَن شَارَكَهُ فِيهَا، لَكِن مَعَ الْأَسَفِ أَنَّهُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَشَدُّ، وَبَيْنَ طَلَبَةِ الْعِلْمِ أَشَدُّ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ الْأَوْلَى وَالْأَجْدَرُ أَن يَّكُونَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنِ الْحَسَدِ، وَأَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى كَمَالِ الْأَخْلَاقِ.(١)

وَقَالَ أَيْضًا: وَالْآنَ تَجِدُ بَعْضَ الْإِخْوَانِ مَعَ الْأَسَفِ يَرُدُّ عَلَى إِخْوَانِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَرُدُّ عَلَى الْمُلْحِدِينَ الَّذِينَ كُفْرُهُمْ صَرِيحٌ!، يُعَادِيهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يُعَادِي هَؤُلَاءِ!، وَيُشَهِّرُ بِهِمْ فِي كَلَامٍ لَا أَصْلَ لَهُ، وَلَا حَقِيقَةَ لَهُ، لَكِنْ حَسَدٌ وَّبَغْيٌ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْحَسَدَ مِنْ أَخْلَاقِ الْيَهُودِ أَخْبَثِ عِبَادِ اللهِ.

ثُمَّ إِنَّ الْحَسَدَ لَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ الْحَاسِدُ إِطْلَاقًا، بَل لَّا يَزِيْدُهُ إِلَّا غَمًّا وَّحَسْرَةً، ابْغِ الْخَيْرَ لِلْغَيْرِ يَحْصُل لَّكَ الْخَيْرُ، وَاعْلَمْ أَنَّ فَضْلَ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَن يَّشَاءُ، لَوْ حَسَدتَّ فَإِنَّكَ لَن تَمْنَعَ فَضْلَ اللهِ، رُبَّمَا تَمْنَعُ فَضْلَ اللهِ عَلَيْكَ بِمَحَبَّتِكَ زَوَالَ فَضْلِ اللهِ عَلَى غَيْرِكَ وَكَرَاهَتِكَ

(١) "مجموع فتاواه ورسائله"(ج٢٦/صـ: ٢٢٩، وصـ: ٢٣٢).

نِعْمَةَ اللهِ عَلَى غَيْرِكَ؛ لِذَلِكَ فَإِنَّ الْحَاسِدَ مِن طَلَبَةِ الْعِلْمِ مَشْكُوكٌ فِي نِيَّتِهِ وَإِخْلَاصِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا حَسَدَ؛ لِكَوْنِ الثَّانِي صَارَ لَهُ جَاهٌ عِندَ النَّاسِ، وَلَهُ كَلِمَةٌ وَالْتَفَّ النَّاسُ حَوْلَهُ، فَحَسَدَهُ؛ لِكَوْنِهِ يُرِيْدُ الدُّنْيَا، أَمَّا لَوْ كَانَ يُرِيْدُ الْآخِرَةَ حَقًّا، وَيُرِيْدُ الْعِلْمَ حَقًّا، لَسَأَلَ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي الْتَفَّ النَّاسُ حَوْلَهُ وَأَخَذُوا بِقَوْلِهِ، تَسْأَلُ عَنْ عِلْمِهِ؛ لِتَكُونَ مِثْلَهُ أَيْضًا، تَجِيءُ أَنتَ؛ لِتَسْتَفِيدَ مِنْهُ، أَمَّا أَن تَحْسُدَهُ وَتُشَوِّهَ سُمْعَتَهُ، وَتَذْكُرَ فِيْهِ مِنَ الْعُيُوبِ مَا لَيْسَ فِيْهِ فَهَذَا لَاشَكَّ أَنَّهُ بَغْيٌ وَّعُدْوَانٌ وَّخَصْلَةٌ ذَمِيْمَةٌ.ا.هـ.(١)

إِذَا أَفَادَكَ إِنْسَانٌ بِفَائِدَةٍ ... مِنَ الْعُلُومِ فَأَكْثِرْ شُكْرَهُ أَبَدَا
وَقُلْ فُلَانٌ جَزَاهُ اللهُ صَالِحَةً ... أَفَادَنِيْهَا وَأَلْقِ الْكِبْرَ وَالْحَسَدَا

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تَأَمَّلْتُ التَّحَاسُدَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، فَرَأَيْتُ مَنشَأَهُ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا، فَإِنَّ عُلَمَاءَ الْآخِرَةِ يَتَوَادُّونَ، وَلَا يَتَحَاسَدُونَ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ [الحشر:٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠].

وَقَدْ كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَدْعُو كُلَّ لَيْلَةٍ لِجَمَاعَةٍ مِنْ إِخْوَانِهِ.(٢)

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنبَلٍ لِوَلَدِ الشَّافِعِيِّ: أَبُوكَ مِنَ السِّتَّةِ الَّذِيْنَ أَدْعُو لَهُمْ كُلَّ لَيْلَةٍ وَقْتَ السَّحَرِ.(٣)

قَالَ: وَالْأَمْرُ الْفَارِقُ بَيْنَ الْفِئَتَيْنِ: أَنَّ عُلَمَاءَ الدُّنْيَا يَنظُرُونَ إِلَى الرِّئَاسَةِ فِيْهَا، وَيُحِبُّونَ كَثْرَةَ الْجَمْعِ وَالثَّنَاءِ!، وَعُلَمَاءُ الْآخِرَةِ بِمَعْزِلٍ مِّنْ إِيْثَارِ ذَلِكَ.ا.هـ.(٤)

---

(١) "مجموع فتاواه ورسائله"(ج٢٦/صـ: ٢٦٢-٢٦٣).
(٢) راجع: "السير"(ج٢/صـ: ٣٥١).
(٣) راجع: "السير"(ج١٠/صـ: ٤٥).
(٤) "صيد الخاطر"(صـ: ٣٠).

وَمِنْ أَدْوِيَةِ الْحَسَدِ أَيْضًا: تَذَكُّرُ مَا فِيْهِ مِن مَّحَاذِيْرَ وَعَوَاقِبَ سَيِّئَةٍ، وَالَّتِي مِنْهَا:

- أَنَّ فِيْهِ تَشَبُّهًا بِالْيَهُودِ.
- وَأَنَّ فِيْهِ كَرَاهَةً لِمَا قَدَّرَهُ اللهُ كَوْنًا، وَمُعَارَضَةً لِقَضَاءِ اللهِ ﷻ.

أَيَا حَاسِدًا لِي عَلَى نِعْمَتِي ... أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الْأَدَبْ
أَسَأْتَ عَلَى اللهِ فِي حُكْمِهِ ... لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبْ
فَأَخْزَاكَ رَبِّي بِأَن زَادَنِي ... وَسَدَّ عَلَيْكَ وُجُوهَ الطَّلَبْ

- وَأَنَّهُ ذَرِيْعَةٌ إِلَى اقْتِرَافِ بَعْضِ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، مِنَ الْكُفْرِ فَمَا دُونَهُ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.
- وَأَنَّهُ قَدْ يُؤَدِّي إِلَى الْإِفْلَاسِ، بِأَن يَّحْمِلَ الْحَاسِدَ عَلَى الِاعْتِدَاءِ عَلَى الْمَحْسُودِ، وَحِيْنَئِذٍ يَأْخُذُ الْمَحْسُودُ مِنْ حَسَنَاتِ الْحَاسِدِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»** قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَن لَّا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: **«إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٨١).
- وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُورِّثُ الْمَهَانَةَ وَالْخِزْيَ وَدَنَاءَةَ النَّفْسِ، وَيُعْقِبُ هَمًّا لَازِمًا، وَرُبَّمَا قَتَلَ صَاحِبَهُ غَيْظًا وَكَمَدًا؛ فَلِهَذَا قِيْلَ: «للهِ دَرُّ الْحَسَدِ مَا أَعْدَلَهُ!، بَدَأَ بِصَاحِبِهِ فَقَتَلَهُ!».

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «مَا رَأَيْتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنَ الْحَاسِدِ».

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحُسُو ... دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ
فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا ... إِن لَمْ تَجِدْ مَا تَاكُلُهْ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

إِن يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلِ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُم مَّا بِي وَمَا بِهِمُ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ

وَقَدْ قِيلَ: «الْحَسُودُ لَا يَسُودُ».

قَالَ الْمُقَنَّعُ الْكِنْدِيُّ:

وَلَا أَحْمِلُ الْحِقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمُ وَلَيْسَ رَئِيسُ القَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدَا

◄ وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَحْلِقُ الدِّيْنَ، فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟»**. قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: **«إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ»**. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٩١٩) وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٥٠٩).(١)

وَعِندَ أَحْمَدَ (رقم: ١٤١٢، و١٤٣٠)، وَالتِّرْمِذِيِّ (رقم: ٢٥١٠) مِنْ حَدِيْثِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ»**.(٢)

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَرَنَ فِي الْحَدِيثِ الْحَسَدَ بِالْبَغْضَاءِ؛ لِأَنَّ الْحَاسِدَ يَكْرَهُ أَوَّلًا فَضْلَ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ الْغَيْرِ؛ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إلَى بُغْضِهِ؛ فَإِنَّ بُغْضَ اللَّازِمِ يَقْتَضِي بُغْضَ الْمَلْزُومِ، فَإِنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ إذَا كَانَتْ لَازِمَةً وَهُوَ يُحِبُّ زَوَالَهَا وَهِيَ لَا تَزُولُ إلَّا بِزَوَالِهِ أَبْغَضَهُ، وَأَحَبَّ عَدَمَهُ، وَالْحَسَدُ يُوجِبُ الْبَغْيَ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّنْ قَبْلَنَا: أَنَّهُمْ

---

(١) وصححه الترمذي، وابن حبان (رقم: ٥٠٩٢)، والألباني في "صحيح الترغيب والتهذيب" (رقم: ٢٨١٤)، والوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٠٥٠)، وقال: «على شرط الشيخين».

(٢) قوله: **«دب إليكم داء الأمم»** له شاهد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الحاكم (رقم: ٧٣١١) يُحَسَّنُ به، وهو في "الصحيحة"(رقم: ٦٨٠) للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
وقوله: **«هي الحالقة...»** شاهده حديث أبي الدرداء المذكور قبله.

اخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، فَلَمْ يَكُنِ اخْتِلَافُهُمْ لِعَدَمِ الْعِلْمِ، بَلْ عَلِمُوا الْحَقَّ وَلَكِنْ بَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، كَمَا يَبْغِي الْحَاسِدُ عَلَى الْمَحْسُودِ.ا.هـ.(١)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»**.(٢)

◄ وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُنَافِي كَمَالَ الْإِيمَانِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**.(٣)

◄ وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُوجِبُ إِعْرَاضَ الْعَبْدِ عَنْ سُؤَالِ اللهِ تَعَالَى مِن فَضْلِهِ، فَتَجِدُهُ مُهْتَمًّا بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ، وَلَا يَسْأَلُ اللهَ مِن فَضْلِهِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[النساء: ٣٢].

◄ وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُوجِبُ ازْدِرَاءَ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى صَاحِبِهِ، فَيَرَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي نِعْمَةٍ، وَأَنَّ الْمَحْسُودَ فِي نِعْمَةٍ أَكْبَرَ مِنْهُ، وَحِينَئِذٍ يَحْتَقِرُ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ، فَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهَا، بَلْ يَتَقَاعَسُ.(٤)

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

كَم مِّنْ حَاسِدٍ يُكَابِدُ حَسْرَةً وَأَلَمًا، وَيَعِيْشُ هَمًّا وَّغَمًّا، يَعْتَصِرُهُ الْغَيْظُ، وَتُقَارِنُهُ الْكَرَاهِيَّةُ وَالْبَغْضَاءُ؛ لِأَنَّ فُلَانًا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بِعِلْمٍ بَعْدَ جَهَالَةٍ، أَوْ هُدِيَ بَعْدَ ضَلَالَةٍ، أَوْ

---

(١) "مجموع الفتاوى"(ج١٠/صـ: ١٢٧).

(٢) البخاري (برقم: ٦٠٦٥، و٦٠٧٦)، ومسلم (برقم: ٢٥٥٨).

وأخرجه البخاري (برقم: ٦٠٦٦) ، ومسلم (برقم: ٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دون الفقرة الأخيرة.

(٣) البخاري (برقم: ١٣)، ومسلم (برقم: ٤٥) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) راجع: "مجموع فتاوى ورسائل الإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ"(ج٢٦/صـ: ٢٢٩-٢٣٢).

عَزَّ بَعْدَ ذِلَّةٍ، أَوْ شَرُفَ بَعْدَ ضَعَةٍ، أَوْ لِأَنَّ فَقِيرًا اسْتَغْنَى، أَوْ مَرِيضًا شُفِيَ، أَوْ عَقِيمًا رُزِقَ وَلَدًا، أَوْ لِأَنَّ فُلَانًا بَارَكَ اللهُ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ وَهَبَهُ اللهُ جَمَالًا وَحُسْنَ خُلُقٍ، أَوْ ظَفِرَ بِامْرَأَةٍ ذَاتِ دِيْنٍ وَحَسَبٍ وَجَمَالٍ.

أُفٍّ لِقُلُوبٍ مَرِيْضَةٍ! تَنظُرُ إِلَى النَّاسِ شَزْرًا، لَا تَشْكُرُ إِنْ أُعْطِيَتْ، وَلَا تَصْبِرُ إِنِ ابْتُلِيَتْ، يُسْعِدُهَا أَن يَّشْقَى النَّاسُ وَيُبْعَدُوا، وَيُؤْلِمُهَا أَن يَّفْرَحُوا وَيَسْعَدُوا.

وَرُبَّ نَظْرَةِ حَسَدٍ أَضَرُّ مِنْ عَضَّةِ أَسَدٍ، فَلِهَذَا كَانَ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَن يَّتَحَصَّنَ مِن شَرِّ الْحَاسِدِ، قَالَ ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[الفلق: ١ - ٥].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٨١٤).

وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ (رقم: ٥٤٣٨): **«مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِمَا، وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِمَا»**.

وَفِي رِوَايَةٍ لأَحْمَدَ (رقم: ١٧٢٩٩): **«فَتَعَوَّذُوا بِهِنَّ، فَإِنَّهُ لَمْ يُتَعَوَّذْ بِمِثْلِهِنَّ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ لأَحْمَدَ أَيْضًا (رقم: ١٧٤٥٢): **«أَلَا أُعَلِّمُكَ سُوَرًا مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ، لَا يَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»**.

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **«أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٧٤١٧، و١٧٧٩٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ١٥٢٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٩٠٣)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ١٣٣٦)، وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ (رقم: ٧٥٥)، وَابْنُ حِبَّانَ (رقم:٢٠٠٤)، وَالْحَاكِمُ (رقم: ٩٢٩)، عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَلَفْظُهُمْ: **«اقْرَءُوا الْمُعَوِّذَاتِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ»**. وَهُوَ فِي "الصَّحِيحَةِ"(رقم: ٦٤٥، و١٥١٤).

وَرَوَى أَحْمَدُ أَيْضًا (رقم: ٢٢٦٦٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٥٠٨٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٥٧٥)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٥٤٢٨) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: **«قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثًا تَكْفِيكَ كُلَّ يَوْمٍ»**.(١)

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢١٨٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ إِذَا اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَقَاهُ جِبْرِيلُ، قَالَ: **«بِاسْمِ اللهِ يُبْرِيكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ»**.

وَفِيهِ (رقم: ٢١٨٦) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ جِبْرِيلَ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: **«نَعَمْ»**. قَالَ: **«بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»**.

وَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ أَوْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ أَنَّهُ لَا يُحْسَدُ إِلَّا مَن كَانَ ثَرِيًّا أَوْ جَمِيلًا فَهُوَ ظَنٌّ بَاطِلٌ، وَهُوَ جَهْلٌ بِالشَّرْعِ وَالْحِسِّ وَالْوَاقِعِ؛ فَنِعَمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عِبَادِهِ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ قِيلَ: مَا مِن صَاحِبِ نِعْمَةٍ إِلَّا وَهُوَ مَحْسُودٌ، وَرُبَّمَا كَانَ عِندَ الْفَقِيرِ مِنَ النِّعَمِ مَا لَيْسَ عِندَ الْغَنِيِّ، وَعِندَ الْوَضِيعِ مَا لَيْسَ عِندَ الشَّرِيفِ، وَعِندَ الدَّمِيمِ مَا لَيْسَ عِندَ الْجَمِيلِ.

جَمَعَتِ الْمَائِدَةُ فَقِيرًا وَّغَنِيًّا، فَكَانَ الْفَقِيرُ يَأْكُلُ مِمَّا لَذَّ وَطَابَ مِنْهَا، وَالْغَنِيُّ يَدَعُ كَثِيرًا مِّمَّا فِيهَا؛ لِمَا بِهِ مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي حَتَّمَتْ عَلَيْهِ الْحِمْيَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْغَنِيُّ، فَحَسَدَهُ، وَأَصَابَهُ بِالْعَيْنِ!.(٢)

وَرُبَّمَا حُسِدَ الْمَرْءُ عَلَى حُسْنِ خَاتِمَتِهِ، كَمَا قِيلَ:

هُمْ يَحْسُدُونِي عَلَى مَوْتِي فَوا أَسَفَى ... حَتَّى عَلَى الْمَوْتِ لَا أَخْلُو مِنَ الْحَسَدِ

---

(١) وراجع: "الصحيحة"(رقم: ٨٩١)، و"تحقيق المسند"(ج٣٧/ص: ٣٣٥-٣٣٦).

(٢) ذكر هذه القصة: شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري في شرحه على "لامية ابن الوردي".

وَرُبَّمَا يُحْسَدُ الْمَرْءُ عَلَى رُؤْيَا صَالِحَةٍ يَرَاهَا لِنَفْسِهِ أَوْ تُرَى لَهُ؛ كَمَا فِي قِصَّةِ يُوسُفَ، إِذْ قَالَ ﷻ فِي شَأْنِ يَعْقُوبَ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

وَلِهَذَا كَانَ مِنْ آدَابِ الرُّؤْيَا أَنَّ مَن رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً أَن لَّا يُحَدِّثَ بِهَا إِلَّا مَن يُّحِبُّ؛ فَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلاَ يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَلْيَتْفِلْ ثَلاَثًا، وَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا دَارُ الْآفَاتِ وَالْفِتَنِ ، وَمَجْمَعُ الشُّرُورِ وَالْإِحَنِ، كَمْ غَرَّتْ غِرًّا وَّمَا فَطِنَ، أَرَتْهُ ظَاهِرَهَا وَالظَّاهِرُ حَسَنٌ ، وَلَا تَخْلُصُ لِأَحَدٍ فيها رَاحَةٌ ولَا لَذَّةٌ، فَإِنَّ نَعِيمَهَا مَشُوبٌ بِكَدَرٍ، قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِنَّمَا تَخْلُصُ الرَّاحَةُ وَاللَّذَّةُ وَالنَّعِيمُ فِي دَار السَّلَام، فَأَمَّا فِي هَذِهِ الدَّار فَكَلَّا، وَلَمَّا.ا.هـ.(٢)

وَمِمَّا يُكَدِّرُ نَعِيمَ الدُّنْيَا: مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الضَّغَائِنِ وَالْأَحْقَادِ وَالْحَسَدِ.

وَلَا يَزُولُ هَذَا مِنَ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَّا فِي آخِرِ الزَّمَانِ، إِذَا نَزَلَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ، حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»**.(٣)

وَفِيهِ أَيْضًا: **«حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»**، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

---

(١) أخرجه البخاري (رقم: ٧٠٤٤)، ومسلم (رقم: ٢٢٦١).

(٢) "مفتاح دار السعادة"(ج٢/صـ: ١٥-١٦).

(٣) البخاري (رقم: ٢٢٢٢، و٢٤٧٦)، ومسلم (رقم: ١٥٥).

وَلِمُسْلِمٍ: «**وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ**».

وَأَمَّا كَمَالُ النَّعِيْمِ الَّذِي يَكُونُ مَعَهُ كَمَالُ سَلَامَةِ الصُّدُورِ فَفِي الْجَنَّةِ، قَالَ ﷻ فِي شَأْنِ أَهْلِهَا: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣]، و[الحجر: ٤٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي وَصْفِ أَوَّلِ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ: «**قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَّاحِدٍ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٢٤٥، و٣٢٤٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٨٣٤)(١٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ (رقم: ٣٢٥٤): «**لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسُدَ**».

من مواعظ وأحكام البرد

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

إِنَّ فِي تَعَاقُبِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي لَعِبْرَةً، قَالَ ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦١، ٦٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ﴾ [الزُّمَر: ٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٧، ٣٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١ -٧٣].

وَقَال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يَخْلُفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ، ويَتَعَاقَبَانِ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾، أَيْ: جَعَلَهُمَا يَتَعَاقَبَانِ؛ تَوْقِيتًا لِعِبَادَةِ عِبَادِهِ لَهُ، فَمَن فَاتَهُ عَمَلٌ فِي اللَّيْلِ اسْتَدْرَكَهُ فِي النَّهَارِ، وَمَن فَاتَهُ عَمَلٌ فِي النَّهَارِ اسْتَدْرَكَهُ فِي اللَّيْلِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: **«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ»**(١).ا.هـ.

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِنَّ الْقُلُوبَ تَتَقَلَّبُ وَتَنتَقِلُ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَيَحْدُثُ لَهَا النَّشَاطُ وَالْكَسَلُ وَالذِّكْرُ وَالْغَفْلَةُ وَالْقَبْضُ وَالْبَسْطُ وَالْإِقْبَالُ وَالْإِعْرَاضُ،

(١) رواه مسلم (رقم: ٢٧٥٩) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فَجَعَلَ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَوَالَيَانِ عَلَى الْعِبَادِ وَيَتَكَرَّرَانِ؛ لِيَحْدُثَ لَهُمُ الذِّكْرُ وَالنَّشَاطُ وَالشُّكْرُ للهِ فِي وَقْتٍ آخَرَ، وَلِأَنَّ أَوْرَادَ الْعِبَادَاتِ تَتَكَرَّرُ بِتَكَرُّرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَكُلَّمَا تَكَرَّرَتِ الْأَوْقَاتُ أُحْدِثَ لِلْعَبْدِ هِمَّةٌ غَيْرُ هِمَّتِهِ الَّتِي كَسِلَتْ فِي الْوَقْتِ الْمُتَقَدِّمِ، فَزَادَ فِي تَذَكُّرِهَا وَشُكْرِهَا، فَوَظَائِفُ الطَّاعَاتِ بِمَنزِلَةِ سَقْيِ الْإِيْمَانِ الَّذِي يَمُدُّهُ، فَلَوْلَا ذَلِكَ لَذَوَى غَرْسُ الْإِيْمَانِ وَيَبِسَ، فَلِلَّهِ أَتَمُّ حَمْدٍ وَأَكْمَلُهُ عَلَى ذَلِكَ.ا.هـ.

وَفُصُولُ السَّنَةِ الْأَرْبَعَةُ (الرَّبِيْعُ، وَالصَّيْفُ، وَالْخَرِيْفُ، وَالشِّتَاءُ) هِيَ نِتَاجُ تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي السَّنَةِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِتَقْلِيْبِ رَبِّنَا ﷻ لَهُمَا، قَالَ ﷻ: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [النور: ٤٤].

وَمِن جُمْلَةِ هَذِهِ الْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ: فَصْلُ الشِّتَاءِ، وَهُوَ فَصْلُ الْبَرْدِ، وَبَرْدُ الشِّتَاءِ هُوَ مِن زَمْهَرِيْرِ جَهَنَّمَ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«قَالَتِ النَّارُ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأْذَنْ لِي أَتَنَفَّسْ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ، نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ بَرْدٍ، أَوْ زَمْهَرِيرٍ فَمِن نَّفَسِ جَهَنَّمَ، وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرٍّ، أَوْ حَرُورٍ فَمِن نَّفَسِ جَهَنَّمَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٣٧، و٣٢٦٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٦١٧).

◄ وَنَظِيْرُ هَذَا: قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيْثَيِ ابْنِ عُمَرَ[1] وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.[2]

وَفِي الْبَابِ: عَن رَّافِعِ بْنِ خَدِيْجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيْهِ: **«مِنْ فَوْرِ جَهَنَّمَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٢٦٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٢١٢).

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم: ٣٢٦١) مِن طَرِيْقِ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَعِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أُجَالِسُ ابْنَ عَبَّاسٍ بِمَكَّةَ، فَأَخَذَتْنِي الحُمَّى، فَقَالَ: أَبْرِدْهَا عَنْكَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، فَإِنَّ رَسُولَ

(١) البخاري (رقم: ٣٢٦٤، و٥٧٢٣)، ومسلم (رقم: ٢٢٠٩).
(٢) البخاري (رقم: ٣٢٦٣، و٥٧٢٥)، ومسلم (رقم: ٢٢١٠).

اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ** - أَوْ قَالَ - **بِمَاءِ زَمْزَمَ**». شَكَّ هَمَّامٌ.

وَوَقَعَ فِي "مُسْنَدِ أَحْمَدَ"(رقم: ٢٦٤٩): «**فَأَبْرِدُوهَا بِمَاءِ زَمْزَمَ**». مِنْ غَيْرِ شَكٍّ.

◄ وَلَمَّا كَانَتْ شِدَّةُ الْحَرِّ مِن فَيْحِ جَهَنَّمَ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْإِبْرَادِ بِصَلَاةِ الظُّهْرِ، وَهُوَ تَأْخِيرُ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِلَى حِينِ يَبْرُدُ النَّهَارُ وَتَنكَسِرُ شِدَّةُ الْحَرِّ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلاَةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِن فَيْحِ جَهَنَّمَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٣٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٦١٥).

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا مِنْ حَدِيْثَيِ: ابْنِ عُمَرَ (رقم: ٥٣٣)، وَأَبِي سَعِيْدٍ (رقم:٥٣٨، و٣٢٥٩).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَذَّنَ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالظُّهْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَبْرِدْ، أَبْرِدْ**»، أَوْ قَالَ: «**انْتَظِرِ، انْتَظِرْ**»، وَقَالَ: «**إِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ، فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ**»، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: «حَتَّى رَأَيْنَا فَيْءَ التُّلُولِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٢٥٨)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٦١٦)، وَهَذَا لَفْظُهُ.

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**كُنَّا نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، فَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدُنَا أَنْ يُمَكِّنَ جَبْهَتَهُ مِنَ الْأَرْضِ، بَسَطَ ثَوْبَهُ، فَسَجَدَ عَلَيْهِ**».(١)

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم:٩٠٦) عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَدَّ الْبَرْدُ بَكَّرَ بِالصَّلَاةِ، وَإِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ أَبْرَدَ بِالصَّلَاةِ**»، يَعْنِي: الْجُمُعَةَ.

هَذَا الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْإِبْرَادِ؛ لِأَنَّ أَدَاءَ الصَّلَاةِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ وَعَلَى الْحَالِ الَّذِي ذَكَرَهُ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ يُذْهِبُ الْخُشُوعَ الَّذِي هُوَ لُبُّ الصَّلَاةِ.

أَمَّا فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ فَلَا دَاعِيَ لِهَذَا الْإِبْرَادِ وَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ مَعَ وُجُودِ الْمَرَاوِحِ وَالْمُكَيِّفَاتِ - بِحَمْدِ اللهِ -؛ فإِنَّ الحُكْمَ يَدُورُ مَعَ عِلَّتِهِ وُجُودًا وَعَدَمًا.

(١) البخاري (رقم: ١٢٠٨)، ومسلم (رقم: ٦٢٠).

وَكَذَلِكَ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْبَرْدِ عُذْرٌ شَرْعِيٌّ فِي التَّخَلُّفِ عَن صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّه أَذَّنَ بِالصَّلَاةِ فِي لَيْلَةٍ ذَاتِ بَرْدٍ وَرِيحٍ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا صَلُّوا فِي الرِّحَالِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْمُرُ الْمُؤَذِّنَ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ ذَاتُ بَرْدٍ وَمَطَرٍ، يَقُولُ: **«أَلَا صَلُّوا فِي الرِّحَالِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٦٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٦٩٧).

وَهَذَا الْعُذْرُ مُقَيَّدٌ بِشِدَّةِ الْبَرْدِ الَّذِي تَصْحَبُهُ فِي الذَّهَابِ إِلَى الْمَسْجِدِ مَشَقَّةٌ بَالِغَةٌ؛ فَالْمَشَقَّةُ جَالِبَةٌ لِلتَّيْسِيرِ، وَهَذَا مِن يُسْرِ وَسَمَاحَةِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ.

أَمَّا مُجَرَّدُ الْمَشَقَّةِ فَهِيَ مُصَاحِبَةٌ لِلْبَرْدِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَلَا تَكُونُ عُذْرًا فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجَمَاعَةِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَشَقَّةٍ لَا تَنفَكُّ عَنْهَا الْعِبَادَةُ غَالِبًا، كَمَشَقَّةِ الْبَرْدِ فِي الْوُضُوءِ، وَالْغُسْلِ، وَمَشَقَّةِ الصَّوْمِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ وَطُولِ النَّهَارِ، وَمَشَقَّةِ السَّفَرِ الَّتِي لَا انْفِكَاكَ لِلْحَجِّ وَالْجِهَادِ عَنْهَا، وَمَشَقَّةِ أَلَمِ الْحُدُودِ، وَرَجْمِ الزُّنَاةِ، وَقَتْلِ الْجُنَاةِ، فَلَا أَثَرَ لِهَذِهِ فِي إِسْقَاطِ الْعِبَادَاتِ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ.(١)

وَعَلَى الْمُسْلِمِ أَن يَحْتَسِبَ مِثْلَ هَذِهِ الْمَشَقَّةِ، وَيُعِينُه عَلَى ذَلِكَ اسْتِحْضَارُ الثَّوَابِ.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟»** قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: **«إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٥١).

وَالْمُرَادُ بِالْمَكَارِهِ: الْبَرْدُ الشَّدِيدُ، وَالْعِلَلُ الَّتِي يُتَأَذَّى مَعَهَا بِمَسِّ الْمَاءِ.

فَلَا يُلْهِيَنَّكَ فِرَاشُكَ الْوَثِيرُ، وَلَا وَقْعُ الزَّمْهَرِيرِ عَن مَّا فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْمُلْكِ الْكَبِيرِ وَثِيَابِ السُّندُسِ وَالْحَرِيرِ.

لَا يُلْهِيَنَّكَ مَنزِلٌ لَعِبَتْ بِهِ ... أَيْدِي الْبَلَا مِن سَالِفِ الْأَزْمَانِ

فَلَقَد تَّرَحَّلَ عَنْهُ كُلُّ مَسَرَّةٍ ... وَتَبَدَّلَتْ بِالْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ

(١) "الأشباه والنظائر" (صـ: ٨٠) للسيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَن صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٧٤)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٦٣٥).

وَالْبَرْدَانِ: صَلَاتَا الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ، قَالَ الْخطابِيُّ – كَمَا فِي "الْفَتْحِ" –: «سُمِّيَتَا بَرْدَيْنِ؛ لِأَنَّهُمَا تُصَلَّيَانِ فِي بَرْدَيِ النَّهَارِ، وَهُمَا طَرَفَاهُ، حِينَ يَطِيبُ الْهَوَاءُ وَتَذْهَبُ سَوْرَةُ الْحَرِّ».

وَصَلَاةُ الْفَجْرِ أَخَصُّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بِهَذَا الْوَصْفِ؛ فَإِنَّهُ يَجْتَمِعُ فِيهَا مِنَ الْمَكَارِهِ مَا لَا يَجْتَمِعُ فِي غَيْرِهَا، فَهَنِيئًا لِمَن يَّتْرُكُ فِرَاشَهُ الْوَثِيْرَ وَدِثَارَهُ النَّاعِمَ الَّذِي يَتَغَطَّى بِهِ، وَجَوَّ غُرْفَتِهِ الدَّافِئَ، وَيَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَتَتَلَقَّاهُ نَسَمَاتُ الْجَوِّ الْبَارِدِ، فَتَكُونُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا تَرَكَهُ للهِ، حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ إِيمَانُهُ، فَيُصْبِحُ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ. فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِن تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِن صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»**.(١)

وَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ٦٣٤) عَنْ أَبِي زُهَيْرٍ عُمَارَةَ بْنِ رُؤَيْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«لَن يَّلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا»**. يَعْنِي: الفَجْرَ والعَصْرَ.

وَعَن جَرِيْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: **«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

---

(١) البخاري (رقم: ١١٤٢، و٣٢٦٩)، ومسلم (رقم: ٧٧٦).

(٢) البخاري (رقم: ٥٥٤، و٥٧٣، و٤٨٥١، و٧٤٣٤)، ومسلم (رقم: ٦٣٣).

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم: ٥٥٣، و٥٩٤) عَن بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَن تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ».

وَرَوَى أَحْمَدُ (رقم: ١٠١٣٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣١٣٥)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٦٧٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء: ٧٨]، قَالَ: «تَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ».(١)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ».(٢)

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٦٥٧) عَن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ».

وَقَوْلُهُ: «فِي ذِمَّةِ اللهِ»، أَيْ: فِي أَمَانِهِ أَوْ ضَمَانِهِ.

وَمِمَّا خُصَّ بِهِ أَذَانُ الْفَجْرِ دُونَ الْأَذَانِ لِسَائِرِ الْفُرُوضِ الْخَمْسَةِ: التَّثْوِيبُ، بِأَن يُقَالَ فِيهِ بَعْدَ الْحَيْعَلَتَيْنِ: (الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ) مَرَّتَيْنِ.

فَمَا أَجْمَلَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ!: (الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ)، فَأَلْقِ لَهَا سَمْعَكَ، وَأَحْضِرْ لَهَا قَلْبَكَ، وَنَادِ فِي نَفْسِكَ: (الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ)، وَالتَّجَلُّدُ خَيْرٌ مِنَ التَّبَلُّدِ، وَالْمَنِيَّةُ خَيْرٌ مِنَ الدَّنِيَّةِ، وَمَنْ عَزَّ بَزَّ.

---

(١) وصححه ابن خزيمة (رقم: ١٤٧٤)، والحاكم (رقم: ٧٦٣) على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في تعليقه على "المشكاة"(رقم: ٦٣٥)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٤٣١، و١٤١٨).

(٢) البخاري (رقم: ٥٥٥، و٣٢٢٣، و٧٤٢٩، و٧٤٨٦)، ومسلم (رقم: ٦٣٢).

وَيَمْتَازُ لَيْلُ الشِّتَاءِ بِالطُّولِ وَالْبُرُودَةِ، قَالَ بَهَاءُ الدِّيْنِ زُهَيْرٌ أَحَدُ شُعَرَاءِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ:

وَجَلِيْسٌ حَدِيثُهُ لِلْمَسَرَّاتِ طَارِدُ
مِثْلُ لَيْلِ الشِّتَاءِ فَهْ وَ طَوِيلٌ وَبَارِدُ

وَقَالَ الشَّابُّ الظَّرِيْفُ – مِن شُعَرَاءِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ أَيْضًا –:

إن شَكَا الطَّرْفُ بَاكِيًا طُولَ لَيْلٍ قُلْتُ: مَهْلًا لَيْلُ الشِّتَاءِ طَوِيلُ

فَاغْتَنِمْ – أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الْكَرِيْمُ – طُولَ لَيْلِ الشِّتَاءِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيْضَةِ.

فَفِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ (رقم: ١١٦٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ»**.

وَاغْتَنِمْ أَيْضًا نَهَارَ الشِّتَاءِ الْقَصِيْرَ بِالصِّيَامِ؛ فَإِنَّهُ غَنِيْمَةٌ بَارِدَةٌ؛ لِسُهُولَةِ الصِّيَامِ فِيْهِ، وَقَدْ رُوِيَ فِيْهِ حَدِيْثٌ لَا يُثْبِتُهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيْثِ، وَحَسَّنَهُ بَعْضُهُمْ.(١)

(١) وهو ما رواه أحمد (رقم:١٨٩٥٩)، والترمذي (رقم:٧٩٧) من طريق نُمَيْرِ بْنِ عَرِيبٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ مَسْعُودٍ الْجُمَحِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ»**. وإسناده ضعيف، فيه ثلاث علل:

الأولى: نمير بن عريب مجهول، فقد انفرد بالرواية عنه أبو إسحاق السبيعي، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، وقال أبو حاتم: لا أعرفه إلا في حديث الصوم في الشتاء.

الثانية: عامر بن مسعود الجمحي جزم الأئمة بأنه لا صحبة له، فروايته عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مرسلة.

الثالثة: أن عامرًا هذا مجهول الحال، فلم يذكروا في الرواة عنه غير اثنين، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان. كذا في "تحقيق المسند"(ج٣١/ص:٢٩٠). =

وَكَذَا مَا رُوِيَ مَرْفُوعًا: «**الشِّتَاءُ رَبِيعُ الْمُؤْمِنِ**»، لَا يَثْبُتُ أَيْضًا.(١)

لَكِن قَدْ صَحَّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «**الشِّتَاءُ غَنِيمَةُ الْعَابِدِينَ**».(٢)

وَاغْتَنِمْ أَيْضًا طُولَ لَيْلِ الشِّتَاءِ فِي مُدَارَسَةِ الْعِلْمِ، فَمَا أَعْظَمَهَا مِن لَذَّةٍ!.

سَهَرِي لِتَنْقِيحِ الْعُلُومِ أَلَذُّ لِي ... مِن وَصْلِ غَانِيَةٍ وَطِيْبِ عِنَاقِ

وَعَلَى قَدْرِ النَّصَبِ فِي ذَلِكَ تَكُونُ اللَّذَّةُ.

بِقَدْرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي ... وَمَن طَلَبَ الْعُلَا سَهِرَ اللَّيَالِي

وَمَن طَلَبَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ ... أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ

تَرُومُ الْعِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا ... يَغُوصُ الْبَحْرُ مِن طَلَبِ اللَّآلِي

وَلَا يُثْنِيَنَّكَ عَن ذَلِكَ بَرْدُ شِتَاءٍ وَلَا حَرُّ صَيْفٍ.

إِذَا كَانَ يُؤْذِيكَ حَرُّ الْمَصِيْفْ ... وَكَرْبُ الْخَرِيْفِ وَبَرْدُ الشِّتَا

وَيُلْهِيكَ حُسْنُ زَمَانِ الرَّبِيعْ ... فَأَخْذُكَ لِلْعِلْمِ قُل لِّي مَتَى؟

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

وقد صحح الحديث: ابن خزيمة (رقم:٢١٤٥)، والألباني في "الصحيحة"(رقم:١٩٢٢)، وقال الضياء في "المختارة"(رقم:٢٤٤، و٢٤٥، و٢٤٦): «إسناده حسن مرسل».

وذكر له الألباني شاهدًا من رواية أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في إسناده ضعف أيضًا.

(١) رواه أحمد (رقم:١١٧١٦)، من طريق ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، به، مرفوعًا، وابن لهيعة فيه ضعف، وفي رواية دراج عن أبي الهيثم ضعف.

(٢) رواه ابن أبي شيبة (رقم: ٣٤٤٦٨)، وأبو نعيم في "الحلية"(ج١/صـ: ٥١، وج٣/ صـ: ٣١، وج٨/صـ: ١٣٣).

◄ فَرَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢، و٣٢١٥)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٣٣٣) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ»**.

زَادَ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا»!.

◄ وَمِنَ الْمَوَاقِفِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَيَّدَ اللهُ بِهَا خَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَن جَعَلَ حَرَّ النَّارِ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٦٩].

وَكَذَلِكَ نَارُ الْآخِرَةِ – وَهِيَ أَشَدُّ حَرًّا – يَجْعَلُهَا اللهُ بَرْدًا وَّسَلَامًا عَلَى مَن يُّطِيْعُهُ مِنْ أَهْلِ الْفَتْرَةِ، وَهُمُ الَّذِيْنَ مَاتُوا عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَانقِطَاعِ الدَّعْوَةِ، فَلَمْ تَبْلُغْهُمْ دَعْوَةُ الرُّسُلِ، وَلَمْ تَقُمْ عَلَيْهِمُ الْحُجَجُ، فَإِنَّ اللهَ يَمْتَحِنُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَن يَأْمُرَهُم بِدُخُولِ النَّارِ، فَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ (رقم: ١٦٣٠١) عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرِمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ، فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ: أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَّسَلَامًا»**.(١)

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم:٧٣٥٧)، والألباني في "الصحيحة"(رقم:١٤٣٤)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٢٤).

وَأَخْرَجَ أَيْضًا (رقم:١٦٣٠٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِثْلَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِهِ: **«فَمَن دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَن لَّمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبْ إِلَيْهَا»**.(١)

◄ وَمِن كَمَالِ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: أَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ، قَالَ ﷻ: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: لَيْسَ عِنْدَهُمْ حَرّ مُزْعِجٌ، وَلَا بَرْدٌ مُؤْلِمٌ، بَلْ هِيَ مِزَاجٌ وَاحِدٌ، دَائِمٌ سَرْمَدِيٌّ».

◄ وَمِنْ أَلِيمِ عِقَابِ أَهْلِ النَّارِ: مَا ذَكَرَهُ اللهُ ﷻ فِي شَأْنِهِم بِقَوْلِهِ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٤].

وَفِي الْبَرْدِ الْمَذْكُورِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَانِ لِأَهْلِ التَّفْسِيرِ:

الأول: بَرْدُ الْهَوَاءِ الَّذِي يَبْرُدُ بِهِ جِلْدُ الْإِنسَانِ وَجِسْمُهُ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: لَا يَجِدُونَ فِي جَهنَّم بَرْدًا لِقُلُوبِهِمْ، وَلَا شَرَابًا طَيِّبًا يَتَغَذَّوْنَ بِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٥].

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: اسْتَثْنَى مِنَ الْبَرْدِ الْحَمِيمَ وَمِنَ الشَّرَابِ الْغَسَاقَ، وَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ. فَأَمَّا الْحَمِيمُ: فَهُوَ الْحَارُّ الَّذِي قَدِ انْتَهَى حَرُّهُ وحُمُوه، وَالْغَسَّاقُ: هُوَ مَا اجْتَمَعَ مِن صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ وَعَرَقِهِمْ وَدُمُوعِهِمْ وَجُرُوحِهِمْ، فَهُوَ بَارِدٌ، لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ بَرْدِهِ، وَلَا يُوَاجَهُ مَنْ نَتَنِهِ.ا.هـ.

والثاني: النَّوْمُ.

وَالصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ هُوَ الْأَوَّلُ، فَمِن قَوَاعِدِ التَّفْسِيرِ: تَفْسِيرُ الْمَعْنَى عَلَى الْأَغْلَبِ مِنِ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ، أَيْ: دُونَ الشَّاذِّ وَالْقَلِيلِ وَالْمُنكَرِ.

---

(١) وصححه أيضًا: الألباني في "الصحيحة"(رقم:١٤٣٤)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٤٥٣).

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالنَّوْمُ إِنْ كَانَ يُبْرِدُ غَلِيلَ الْعَطَشِ، فَقِيلَ لَهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ: الْبَرْدِ، فَلَيْسَ هُوَ بِاسْمِهِ الْمَعْرُوفِ، وَتَأْوِيلُ كِتَابِ اللَّهِ عَلَى الْأَغْلَبِ مِنْ مَعْرُوفِ كَلَامِ الْعَرَبِ، دُونَ غَيْرِهِ.ا.هـ. وَبِمِثْلِهِ قَالَ النَّحَاسُ فِي "إِعْرَابِ الْقُرْآنِ"(ج٥/صـ:٨٣).

◄ وَكَانَ مِن دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ».(١)

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا بَرْدُ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ فَالْمُرَادُ بِهِ طِيبُ الْعَيْشِ وَلَذَاذَتُهُ وَمَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُ صَاحِبِهِ؛ فَإِنَّ الْبَرْدَ يَحْصُلُ بِهِ قُرَّةُ عَيْنِ الْإِنْسَانِ وَطِيبُهَا، وَبَرْدُ الْقَلْبِ يُوجِبُ انشِرَاحَهُ وَطُمَأْنِينَتُهُ، بِخِلَافِ حَرَارَةِ الْقَلْبِ وَالْعَيْنِ.ا.هـ.(٢)

◄ هَذَا وَلْيُعْلَمْ أَنَّ هُنَاكَ بُرُودَةً مَذْمُومَةً، وَهِيَ: بُرُودَةُ الدِّينِ، الَّتِي مِنْ أَعْظَمِ مَظَاهِرِهَا: الْإِخْلَالُ بِالْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، وَمَا أَجْمَلَ مَا سَطَّرَهُ أَبُو الْوَفَاءِ ابْنُ عَقِيلٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، إِذْ قَالَ: «إِذَا أَرَدْت أَنْ تَعْلَمَ مَحَلَّ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ فَلَا تَنْظُرْ إلَى زِحَامِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْجَوَامِعِ، وَلَا ضَجِيجِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ بِلَبَّيْكَ، وَإِنَّمَا انْظُرْ إلَى مُوَاطَأَتِهِمْ أَعْدَاءَ الشَّرِيعَةِ، عَاشَ ابْنُ الرَّاوَنْدِيِّ وَالْمَعَرِّيُّ عَلَيْهِمَا لَعَائِنُ اللَّهِ يَنظِمُونَ وَيَنثِرُونَ، هَذَا يَقُولُ: حَدِيثُ خُرَافَةَ، وَالْمَعَرِّيُّ يَقُولُ:

تَلَوْا بَاطِلًا وَجَلَوْا صَارِمًا ... وَقَالُوا صَدَقْنَا فَقُلْنَا نَعَمْ!

يَعْنِي بِالْبَاطِلِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَعَاشُوا سِنِينَ، وَعُظِّمَتْ قُبُورُهُمْ وَاشْتُرِيَت تَّصَانِيفُهُمْ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى بُرُودَةِ الدِّينِ فِي الْقَلْبِ.

نَقَلَهُ ابْنُ مُفْلِحٍ فِي "الْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ"(ج١/صـ:٢٣٧)، وَقَالَ: وَهَذَا الْمَعْنَى قَالَهُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.ا.هـ.

---

(١) رواه النسائي (برقم:١٣٠٥) من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه ابن حبان (برقم:١٩٧١)، والحاكم (برقم:١٩٢٣)، ووافقه الذهبي، وتبعهما الألباني في "أصل صفة الصلاة"(ج٣/صـ:١٠٠٨).

(٢) "شرح حديث: «لبيك اللهم لبيك»"(صـ:٥٧).

التجارة الرابحة مع الله

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيْمِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

فَأَهْلُ هَذِهِ الْخِصَالِ وَالْأَعْمَالِ يَرْجُونَ مِنَ الْكَبِيْرِ الْمُتَعَالِ تِجَارَةً لَن تَبُورَ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَهَذِهِ هِيَ التِّجَارَةُ الرَّابِحَةُ مَعَ اللهِ، وَالَّتِي دَعَا اللهُ ﷻ عِبَادَهُ إِلَيْهَا، وَدَلَّهُمْ عَلَيْهَا، وَهِيَ عَمَلُ الصَّالِحَاتِ، فَإِنَّهَا تِجَارَةٌ لَا تَبُورُ أَبَدًا، بِخِلَافِ تِجَارَةِ الدُّنْيَا.

وَهَذِهِ التِّجَارَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ مِنْ عَذَابِ اللهِ، قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].

ثُمَّ بَيَّنَ هَذِهِ التِّجَارَةَ، فَقَالَ ﷻ: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ﴾ [الصف: ١١].

ثُمَّ قَالَ مُبَيِّنًا ثِمَارَ هَذِهِ التِّجَارَةِ وَأَرْبَاحَهَا وَعَوَائِدَهَا وَفَوَائِدَهَا: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

كُلُّ فَائِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْفَوَائِدِ لَا تَقُومُ لَهَا الدُّنْيَا، تِجَارَاتُ الدُّنْيَا لَا تُثْمِرُ الْمَغْفِرَةَ، وَلَا تُوجِبُ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَسُكْنَى قُصُورِهَا، وَلَا تَأْتِي بِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ الْقَرِيبِ، إِنَّمَا تَأْتِي بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ: التِّجَارَةُ مَعَ اللهِ ﷻ.

قَالَ ﷻ ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

وَلِهَذَا عُقِدَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ صَفْقَةُ الْمَبِيعِ الَّتِي تُفْضِي بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

مَا أَعْظَمَ هَذِهِ الصَّفْقَةَ! وَمَا أَرْبَحَ هَذِهِ التِّجَارَةَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»**.(١)

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتِ رَخِيصَةً ... بَلْ أَنتِ غَالِيَةٌ عَلَى الْكَسْلَانِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا ... فِي الْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا اثْنَانِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ مَاذَا كُفْؤُهَا ... إِلَّا أُولُو التَّقْوَى مَعَ الْإِيمَانِ

---

(١) رواه الترمذي (رقم: ٢٤٥٧) من حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكره الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٩٥٤)، وله شاهد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه الترمذي (رقم: ٢٤٥٠)، وصححه الحاكم (رقم: ٧٨٥١)، ووافقه الذهبي، وذكره الألباني أيضًا في "الصحيحة"(رقم: ٢٣٣٥).

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ سُوقُكِ كَاسِدٌ ... بَيْنَ الْأَرَاذِلِ سِفْلَةِ الْحَيَوَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ أَيْنَ الْمُشْتَرِي ... فَلَقَدْ عُرِضْتِ بِأَيْسَرِ الْأَثْمَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ ... فَالْمَهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ ذُو إِمْكَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَصَبَّرَ الْـ ... ـخُطَّابُ عَنكِ وَهُمْ ذَوُو إِيْمَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَوَلَا أَنَّهَا ... حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَارِهِ الْإِنسَانِ
مَا كَانَ عَنْهَا قَطُّ مِن مُّتَخَلِّفٍ ... وَتَعَطَّلَتْ دَارُ الْجَزَاءِ الثَّانِي
لَكِنَّهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ كَرِيْهَةٍ ... لِيُصَدَّ عَنْهَا الْمُبْطِلُ الْمُتَوَانِي
وَتَنَالَهَا الْهِمَمُ الَّتِي تَسْمُو إِلَى ... رَبِّ الْعُلَى بِمَشِيْئَةِ الرَّحْمَنِ

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وَرَوَى الْحَاكِمُ (رقم: ٥٧٠٠) عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ صُهَيْبٌ مُهَاجِرًا تَبِعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ، فَنَثَلَ كِنَانَتَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا أَرْبَعِينَ سَهْمًا، فَقَالَ: «لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَضَعَ فِي كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ سَهْمًا، ثُمَّ أَصِيرَ بَعْدُ إِلَى السَّيْفِ فَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَجُلٌ، وَقَدْ خَلَّفْتُ بِمَكَّةَ قَيْنَتَيْنِ فَهُمَا لَكُمْ».

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، نَحْوَهُ، وَنَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَبَا يَحْيَى، رَبِحَ الْبَيْعُ»**. وَتَلَا عَلَيْهِ الْآيَةَ.(١)

---

(١) قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه». وذكره العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٢٦)، وفي "الصحيح المسند من أسباب النزول"(ص: ٣٣)، وقال: «الحديث له طرق أخر، أغلبها مراسيل، كما في=

وَقَالَ ﷻ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [النور: ٣٦].

ثُمَّ ذَكَرَ ﷻ أَوْصَافَ هَؤُلَاءِ الْمُسَبِّحِيْنَ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور: ٣٧].

فَلَا تَسْتَبْدِلُوا الَّذِي يَفْنَى بِالَّذِي يَبْقَى، ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٥-٩٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وَفِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»**، قَالَ: فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ: مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالُوا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صَدَقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فِيَّ نَزَلَتْ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ أَرْضٌ بِالْيَمَنِ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«هَلْ لَكَ بَيِّنَةٌ؟»**. فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: **«فَيَمِينُهُ»**، قُلْتُ: إِذَنْ يَحْلِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: **«مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»**. فَنَزَلَتْ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران: ٧٧] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

"الإصابة"(ج٢/صـ:١٨٨)، وفي "الطبقات"(ج٣/ صـ:١٦٣، و١٦٣)، لابن سعد، وهي بمجموعها تزيد الحديث قوة وتدل على ثبوته.ا.هـ.

(١) البخاري (برقم: ٢٥١٥، ومواضع أخرى)، ومسلم (برقم: ١٣٨).

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ (رقم:٢٣٥٦، و٢٦٦٦): كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ أَرْضٌ، فَجَحَدَنِي.

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ أَيْضًا (رقم: ٤٥٤٩، و٦٦٧٧): كَانَتْ لِي بِئْرٌ فِي أَرْضِ ابْنِ عَمٍّ لِي.

وَلَهُ (رقم: ٢٠٨٨، و٤٥٥١) أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَةً وَهُوَ فِي السُّوقِ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا مَا لَمْ يُعْطِ؛ لِيُوقِعَ فِيهَا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَنَزَلَتْ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران: ٧٧].

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مِن قَبْلِنَا اشْتَرَوا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيْلًا؛ لِيُحَذِّرَنَا مِن اتِّبَاعِ سُنَنِهِمْ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [النساء: ٤٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥-٨٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [البقرة: ٩٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٧٤ - ١٧٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [آل عمران: ١٧٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠ - ٤١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا ﴾ [المائدة: ٤٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠١ - ١٠٣].

وَقَالَ فِي الْقِلَّةِ مِنْهُمُ، الَّذِيْنَ اتَّبَعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ

بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وَقَالَ ﷻ فِي الْمُنَافِقِيْنَ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٦].

وَقَالَ ﷻ فِي عُمُومِ الْكَافِرِيْنَ: ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ٩].

وَقَدْ عَاتَبَ اللهُ ﷻ صِنفًا مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [الجمعة: ١١].

فَعَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْطُبُ قَائِمًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَجَاءَتْ عِيرٌ مِّنَ الشَّامِ، فَانْفَتَلَ النَّاسُ إِلَيْهَا، حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْجُمُعَةِ: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾ [الجمعة: ١١]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَقال ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان: ٦ - ٧].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «نَزَلَتْ فِي الْغِنَاءِ وَأَشْبَاهِهِ».

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هُوَ الْغِنَاءُ وَالَّذِيْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ». يُرَدِّدُهَا ثَلَاثًا.(٢)

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيْرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: ﴿لِيَضِلَّ﴾، بِفَتْحِ الْيَاءِ، أَيْ: هُوَ، وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ أَعَمُّ؛ فَإِنَّ الَّذِي مِن شَأْنِهِ الْإِضْلَالُ يَكُونُ مُتَّصِفًا بَوَصْفِ الضَّلَالِ مِن بَابِ أَوْلَى.

وَهَذَا الْإِضْلَالُ بِحَسَبِ الِالْتِهَاءِ قِلَّةً وَكَثْرَةً.

---

(١) البخاري (رقم:٩٣٦، و٢٠٦٤، و٤٨٩٩)، ومسلم (رقم:٨٦٣).

(٢) راجع: "تحريم آلات الطرب"(ص:١٤٣).

ثبات الأصل وسمو الفرع في شرح حديث أم زرع

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنِا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهَدْى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥١٨٩) رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، قَالَا: أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَن لَّا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا، **قَالَتِ الْأُولَى:** زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٍّ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ: لَا سَهْلٍ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينٍ فَيُنْتَقَلُ. **قَالَتِ الثَّانِيَةُ:** زَوْجِي لَا أَبُثُّ خَبَرَهُ، إِنِّي أَخَافُ أَن لَّا أَذَرَهُ، إِنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ وَبُجَرَهُ. **قَالَتِ الثَّالِثَةُ:** زَوْجِيَ الْعَشَنَّقُ، إِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ. **قَالَتِ الرَّابِعَةُ:** زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ، لَا حَرٌّ وَلَا قَرٌّ، وَلَا مَخَافَةَ وَلَا سَآمَةَ. **قَالَتِ الْخَامِسَةُ:** زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ، وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ. **قَالَتِ السَّادِسَةُ:** زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَّ، وَإِن شَرِبَ اشْتَفَّ، وَإِنِ اضْطَجَعَ الْتَفَّ، وَلَا يُولِجُ الْكَفَّ؛ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ!. **قَالَتِ السَّابِعَةُ:** زَوْجِي غَيَايَاءُ - أَوْ عَيَايَاءُ - طَبَاقَاءُ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ،

شَجَّكِ أَوْ فَلَّكِ أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَّكِ. **قَالَتِ الثَّامِنَةُ:** زَوْجِي المَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ. **قَالَتِ التَّاسِعَةُ:** زَوْجِي رَفِيعُ العِمَادِ، طَوِيلُ النِّجَادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ البَيْتِ مِنَ النَّادِ. **قَالَتِ العَاشِرَةُ:** زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ؟! مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكِ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ المَبَارِكِ، قَلِيلَاتُ المَسَارِحِ، وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ المِزْهَرِ، أَيْقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ. **قَالَتِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ:** زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ، وَمَا أَبُو زَرْعٍ؟! أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ، وَبَجَّحَنِي، فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ، وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أُقَبَّحُ، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ، أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ؟! عُكُومُهَا رَدَاحٌ، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ، ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ؟! مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ، وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الجَفْرَةِ، بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ؟! طَوْعُ أَبِيهَا، وَطَوْعُ أُمِّهَا، وَمِلْءُ كِسَائِهَا، وَغَيْظُ جَارَتِهَا، جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ؟! لَا تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا، وَلَا تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا، وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا، قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالأَوْطَابُ تُمْخَضُ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالفَهْدَيْنِ، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ، فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا، رَكِبَ شَرِيًّا، وَأَخَذَ خَطِّيًّا، وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا، وَقَالَ: كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ، قَالَتْ: فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ، مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ»**.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ هِشَامٍ: «وَلاَ تُعَشِّشُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا».

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَأَتَقَمَّحُ بِالْمِيمِ وَهَذَا أَصَحُّ.

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٤٤٨) أَيْضًا، فقال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ جَنَابٍ، كِلَاهُمَا عَنْ عِيسَى بْنُ يُونُسَ، بِهِ.

وَقَالَ: وحَدَّثَنِيهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ، وَلَمْ يَشُكَّ، وَقَالَ:

قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ، وَقَالَ: وَصِفْرُ رِدَائِهَا، وَخَيْرُ نِسَائِهَا، وَعَقْرُ جَارَتِهَا وَقَالَ: وَلَا تَنْقُثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا، وَقَالَ: وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ ذَابِحَةٍ زَوْجًا.

هَذَا الْحَدِيْثُ فِيْهِ فَوَائِدُ عِدَّةٌ، مِّنْهَا: مَا بَوَّبَ عَلَيْهِ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيْحِهِ بِقَوْلِهِ: (بَابُ حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ الأَهْلِ).

وَمِنْهَا: مَا بَوَّبَ عَلَيْهِ النَّسَائِيُّ فِي "الْكُبْرَى" بِقَوْلِهِ: (شُكْرُ الْمَرْأَةِ لِزَوْجِهَا).

وَقَدِ اعْتَنَى بِهِ شُرَّاحُ الْحَدِيْثِ، وَأَفْرَدَهُ عَدَدٌ مِّنَ الْأَئِمَّةِ شَرْحَهُ بِالتَّصْنِيْفِ، مِنْهُمْ: إِسْمَاعِيْلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ شَيْخُ الْبُخَارِيُّ، وَأَبُو سَعِيْدٍ الضَّرِيْرُ النَّيْسَابُورِيُّ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ قُتَيْبَةَ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ نَاصِحٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَنْبَارِيُّ، وَإِسْحَاقُ الْكَاذِيُّ، ذَكَرَ ذَلِكَ الْحَافِظُ فِي "الْفَتْحِ".

وَكَذَا شَرَحَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي جُزْءٍ، سَمَّاهُ: "بُغْيَةَ الرَّائِدِ فِيْمَا فِي حَدِيْثِ أُمِّ زَرْعٍ مِّنَ الْفَوَائِدِ"، وَهُوَ أَجْمَعُ شُرُوحِ هَذَا الْحَدِيْثِ وَأَوْسَعُهَا، كَمَا قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَفَاتَ الْحَافِظَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذِكْرُ شَرْحِ الْإِمَامِ عَبْدِ الْكَرِيْمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّافِعِيِّ الْقَزْوِيْنِيِّ الشَّافِعِيِّ (ت: ٦٢٣هـ) لِهَذَا الْحَدِيْثِ فِي جُزْءٍ مُّفْرَدٍ أَيْضًا، سَمَّاهُ: "دَرَّةَ الضَّرْعِ لِحَدِيْثِ أُمِّ زَرْعٍ".

وَسَنَذْكُرُ شَرْحَهُ مُلَخَّصًا مَّعَ أَهَمِّ فَوَائِدِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ، بِمَشِيْئَةِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

فَقَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: (جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً)، هَذَا كَانَ فِي زَمَنِ الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، كَمَا فِي رِوَايَةٍ لِّلنَّسَائِيِّ فِي "الْكُبْرَى"(رقم: ٩٠٩٠).

وَجَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْحَافِظُ فِي "الْفَتْحِ" أَنَّهُنَّ مِنَ أَهْلِ الْيَمَنِ، فاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهَا: (فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَن لَّا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا)، أَيْ: أَلْزَمْنَ أَنْفُسَهُنَّ عَهْدًا، وَعَقَدْنَ عَلَى الصِّدْقِ مِن ضَمَائِرِهِنَّ عَقْدًا أَن يَّصْدُقْنَ فِي وَصْفِ أَزْوَاجِهِنَّ.

قَالَتِ الأُولَى: (زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٍّ)، الْغَثُّ: الْمَهْزُولُ. وَقَوْلُهَا: (عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ)، أَيْ: يصْعُبُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ، (لَا سَهْلٍ فَيُرْتَقَى)، أَيْ: لَيْسَ رُقِيُّ الْجَبَلِ سَهْلًا، بَلْ هو صَعْبٌ؛ لِوُعُورَتِهِ، (وَلاَ سَمِينٍ فَيُنْتَقَلُ)، أَيْ: لَيْسَ لَحْمُ الْجَمَلِ سَمِينًا فَيُحْرَصَ عَلَى نَقْلِهِ، بَلْ هُوَ رَدِيْءٌ.

وَالْمَعْنَى أَنَّ زَوْجَهَا قَلِيلُ الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ، صَعْبُ التَّنَاوُلِ، لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، يَتَرَفَّعُ وَيَسْمُو بِنَفْسِهِ، فَجَمَعَ إِلَى قِلَّةِ خَيْرِهِ تَكَبُّرَهُ وَسُوءَ خُلُقِهِ.

قَالَتِ الثَّانِيَةُ: (زَوْجِي لَا أَبُثُّ خَبَرَهُ)، أَيْ: لَا أَنشُرُهُ، وَلَا أُشِيعُهُ، بَلْ أَكْتُمُهُ، (إِنِّي أَخَافُ أَنْ لاَ أَذَرَهُ)، أَيْ: أَنَّ خَبَرَهُ طَوِيلٌ، يَطُولُ تَفْصِيلُهُ!، لَا أَقْدِرُ عَلَى إِتْمَامِهِ؛ لِكَثْرَتِهِ.

(إِنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ وَبُجَرَهُ)، أَيْ: عُيُوبَهُ الْبَاطِنَةَ وَأَسْرَارَهُ الْكَامِنَةَ.

قَالَتِ الثَّالِثَةُ: (زَوْجِيَ العَشَنَّقُ)، أَيِ: الطَّوِيلُ الْمَذْمُومُ الطُّوْلِ، وَمَعْنَاهُ: لَيْسَ فِيهِ أَكْثَرُ مِن طُولٍ بِلَا نَفْعٍ. (إِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ، وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ): أَيْ: إِنْ ذَكَرْتُ عُيُوبَهُ طَلَّقَنِي، وَإِنْ سَكَتُّ عَنْهَا عَلَّقَنِي، فَتَرَكَنِي لَا عَزْبَاءَ وَلَا مُزَوَّجَةً.

قَالَتِ الرَّابِعَةُ: (زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ، لَا حَرَّ وَلَا قَرَّ، وَلَا مَخَافَةَ وَلَا سَآمَةَ)، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هَذَا مَدْحٌ بَلِيغٌ، وَمَعْنَاهُ: لَيْسَ فِيهِ أَذًى، بَلْ هُوَ رَاحَةٌ وَّلَذَاذَةُ عَيْشٍ، كَلَيْلِ تِهَامَةَ، لَذِيذٌ مُّعْتَدِلٌ، لَيْسَ فِيهِ حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ مُفْرِطٌ، وَلَا أَخَافُ لَهُ غَائِلَةً؛ لِكَرَمِ أَخْلَاقِهِ، وَلَا يَسْأَمُنِي وَيَمَلُّ صُحْبَتِي.

قَالَتِ الخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ)، شَبَّهَتْهُ فِي لِينِهِ وَغَفْلَتِهِ بِالْفَهْدِ؛ لِأَنَّهُ يُوصَفُ بِالْحَيَاءِ وَقِلَّةِ الشَّرِّ وَكَثْرَةِ النَّوْمِ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَدْحًا.

وَقِيْلَ: مَعْنَى (فَهِدَ): إِذَا دَخَلَ الْبَيْتَ وَثَبَ عَلَيَّ وُثُوبَ الْفَهِدِ، وَهَذَا الْمَعْنَى يَحْتَمِلُ الْمَدْحَ وَالذَّمَّ، فَيَكُونُ مَدْحًا إِذَا كَانَ الْمُرَادُ: أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ بَاشَرَ وِقَاعَهَا؛ لِكَوْنِهَا مَحْبُوبَةً لَّدَيْهِ، بِحَيْثُ لَا يَصْبِرُ عَنْهَا إِذَا رَآهَا.

وَيَكُونُ ذَمًّا إِذَا كَانَ الْمُرَادُ: أَنَّهُ غَلِيظُ الطَّبْعِ، لَيْسَتْ عِنْدَهُ مُدَاعَبَةٌ وَّلَا مُلَاعَبَةٌ قَبْلَ الْمُوَاقَعَةِ، بَلْ يَثِبُ وَثَوْبَ الْفَهْدِ، أَوْ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ كَانَ سَيِّءَ الْخُلُقِ، يَبْطِشُ بِهَا، وَيَضْرِبُهَا.

(وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ)، هذا وَصْفٌ لَهُ بِالشَّجَاعَةِ، وَمَعْنَاهُ إِذَا صَارَ بَيْنَ النَّاسِ أَوْ خَالَطَ الْحَرْبَ كَانَ كَالْأَسَدِ.

وَقَوْلُهَا: (وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ) قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَحْتَمِلُ الْمَدْحَ وَالذَّمَّ أَيْضًا، فَالْمَدْحُ بِمَعْنَى أَنَّهُ شَدِيدُ الْكَرَمِ، كَثِيرُ التَّغَاضِي، لَا يَتَفَقَّدُ مَا ذَهَبَ مِنْ مَالِهِ، وَيَحْتَمِلُ الذَّمَّ بِمَعْنَى أَنَّهُ غَيْرُ مُبَالٍ بِحَالِهَا، حَتَّى لَوْ عَرَفَ أَنَّهَا مَرِيضَةٌ أَوْ مُعْوِزَةٌ، وَّغَابَ ثُمَّ جَاءَ لَا يَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ مِن ذَلِكَ، وَلَا يَتَفَقَّدُ حَالَ أَهْلِهِ وَلَا بَيْتِهِ.

قَالَ: وَأَكْثَرُ الشُّرَّاحِ شَرَحُوهُ عَلَى الْمَدْحِ، فَالتَّمْثِيلُ بِالْفَهْدِ مِنْ جِهَةِ كَثْرَةِ التَّكَرُّمِ أَوِ الْوُثُوبِ، وَبِالْأَسَدِ مِنْ جِهَةِ الشَّجَاعَةِ، وَبِعَدَمِ السُّؤَالِ مِنْ جِهَةِ الْمُسَامَحَةِ.ا.هـ الْمُرَادُ.

قَالَتِ السَّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَّ)، أَيْ: كَثِيرُ الْأَكْلِ، يَأْكُلُ كُلَّ مَا فِي الْإِنَاءِ، وَلَا يُبْقِي مِنْهُ شَيْئًا، (وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ)، أَيْ: يَشْرَبُ كُلَّ مَا فِي الْإِنَاءِ، وَلَا يُبْقِي مِنْهُ شَيْئًا، (وَإِنِ اضْطَجَعَ التَفَّ)، أَيِ: الْتَفَّ بِكِسَائِهِ وَحْدَهُ، وَتَرَكَهَا مُعْرِضًا عَنْهَا، تُقَاسِي الْوَحْشَةَ وَالْحُزْنَ، وَتَفْتَقِدُ الْأُنسَ وَالْحَنَانَ!. (وَلَا يُولِجُ الكَفَّ؛ لِيَعْلَمَ البَثَّ)، أَيْ: لَا يَمُدُّ يَدَهُ؛ لِيَعْلَمَ مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْحُزْنِ، فَيُزِيلَهُ، وَسَبَبُ حُزْنِهَا: قِلَّةُ حَظِّهَا مِنْهُ، فَهِيَ تُحِبُّ الدُّنُوَّ مِن زَوْجِهَا وَمُضَاجَعَتَهُ، وَهُوَ مُلْتَفٌّ بِكِسَائِهِ وَحْدَهُ!.

وَيُحْتَمَلُ: أَنَّهُ يَنَامُ نَوْمَ الْعَاجِزِ الْفَشِلِ الْكَسِلِ، وَعَلَى كُلٍّ فَالْمُرَادُ: أَنَّهُ لَا يُشْفِقُ عَلَيْهَا، وَلَا يَتَفَقَّدُ خَبَرَهَا، أَوْ هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ تَرْكِ الْمُلَاعَبَةِ أَوْ عَنْ تَرْكِ الْوِقَاعِ.

وَكُلُّ هَذِهِ أَوْصَافُ ذَمٍّ؛ فَإِنَّ الْعَرَبَ تَذُمُّ الرَّجُلَ بِكَثْرَةِ أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ، وَكَذَلِكَ التَّقْصِيرُ فِي حُقُوقِ الْمَرْأَةِ مِنْ عِشْرَةٍ وَغَيْرِهَا مَذْمُومٌ شَرْعًا وَعُرْفًا.

قَالَتِ السَّابِعَةُ: زَوْجِي غَيَايَاءُ - أَوْ عَيَايَاءُ)، أَمَّا (غَيَايَاءُ) بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ فَمَعْنَاهُ: الْمُنْهَمِكُ فِي الشَّرِّ، الَّذِي لَا يَهْتَدِي إِلَى الْخَيْرِ، أَوِ الثَّقِيلُ النَّفْسِ.

وَأَمَّا (عَيَايَاءُ) بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ، فَهُوَ: الَّذِي لَا يُلْقِحُ، وَقِيلَ: هُوَ الْعِنِّينُ الَّذِي تُعْيِيهِ مُبَاضَعَةُ النِّسَاءِ، وَيَعْجِزُ عَنْهَا. (طَبَاقَاءُ)، أَيْ: أَحْمَقُ، يَعْجِزُ عَنِ الْكَلَامِ.

فَيَا مِحْنَةَ الْحَسْنَاءِ تُهْدَى إِلَى امْرِئٍ ضَرِيْرٍ وَّعِنِّيْنٍ مِّنَ الْوَجْدِ خَالِيَا

(كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ)، أَيْ: كُلُّ بَلَاءٍ فِيْهِ!. (شَجَّكِ)، أَيْ جَرَحَكِ فِي الرَّأْسِ، (أَوْ فَلَّكِ)، الْفَلُّ: الْكَسْرُ وَالضَّرْبُ، (أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكِ)، أَيْ: يَجْمَعُ بَيْنَ الشَّجِّ وَبَيْنَ الْفَلِّ.

وَمَعْنَاهُ: أَنَّهَا مَعَهُ فِي مَعَارِكَ طَاحِنَةٍ!، مَا بَيْنَ كَرٍّ وَّفَرٍّ!، بَيْنَ شَجٍّ رَأْسٍ، وَضَرْبٍ، وَكَسْرِ عُضْوٍ أَوْ جَمْعٍ بَيْنَهَا، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ أَوْصَافُ ذَمٍّ.

قَالَتِ الثَّامِنَةُ: (زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ)، وَهَذَا مَدْحٌ بَلِيْغٌ، أَرَادَتْ: أَنَّهُ لَيِّنُ الْخُلُقِ، حَسَنُ الْعِشْرَةِ، كَرِيْمُ السَّجَايَا، (وَالرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ)، أَيْضًا فِيْهِ مَدْحٌ، فَالزَّرْنَبُ نَوْعٌ مِّنَ الطِّيْبِ مَعْرُوفٌ، أَرَادَتْ طِيبَ رِيحِ جَسَدِهِ، أَوْ طِيْبَ ثِيَابِهِ، أَوْ طِيْبَ ذِكْرِهِ فِي النَّاسِ.

قَالَتِ التَّاسِعَةُ: (زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ)، هَذِهِ الرِّفْعَةُ قَد تَّكُونُ حِسِّيَّةً؛ فَإِنَّ بُيُوتَ الْأَشْرَافِ عَالِيَةٌ مُّرْتَفِعَةٌ؛ لِيَقْصِدَهُمُ الْوَافِدُونَ، فَطُولُ بُيُوتِهِمْ، إِمَّا لِزِيَادَةِ شَرَفِهِمْ، أَوْ لِطُولِ قَامَاتِهِمْ.

وَمِن لَّازِمِ طُولِ الْبَيْتِ أَن يَّكُونَ مُتَّسِعًا، فَيَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ الْحَاشِيَةِ وَالْغَاشِيَةِ، وَقِيلَ: كَنَّتْ بِذَلِكَ عَنْ شَرَفِهِ وَرِفْعَةِ قَدْرِهِ. ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ وَالْحَافِظُ رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

(طَوِيلُ النِّجَادِ)، النِّجَادُ حَمَّالَةُ السَّيْفِ، تُرِيدُ أَنَّهُ طَوِيلُ الْقَامَةِ، يَحْتَاجُ إِلَى طُولِ نِجَادِهِ، وَفِي ضِمْنِ كَلَامِهَا أَنَّهُ صَاحِبُ سَيْفٍ، فَأَشَارَتْ إِلَى شَجَاعَتِهِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَتَمَادَحُ بِالطُّولِ وَتَذُمُّ بِالْقِصَرِ. ذَكَرَاهُ أَيْضًا.

(عَظِيمُ الرَّمَادِ)، أَرَادَتْ أَنَّهُ كَرِيمٌ، جَوَادٌ، كَثِيرُ الضُّيُوفِ؛ فَلِذَلِكَ كَثُرَ وَقُودُهُ؛ لِإِنضَاجِ الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ، فَعَظُمَ رَمَادُهُ.

(قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ)، النَّادِي: مَجْلِسُ الْقَوْمِ، أَرَادَتْ: أَنَّهُ كَرِيمٌ، شَرِيفٌ؛ لِأَنَّ الضِّيفَانَ يَقْصِدُونَ النَّادِي، وَلِأَنَّ أَصْحَابَ النَّادِي يَأْخُذُونَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مَجْلِسِهِمْ مِنْ بَيْتٍ قَرِيبِ النَّادِي، وَاللِّئَامُ يَتَبَاعَدُونَ مِنَ النَّادِي.

قَالَتِ العَاشِرَةُ: (زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ؟!)، عظَّمَتْهُ بِذَلِكَ، (مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ)، أَيْ: فَوْقَ وَصْفِي إِيَّاهُ، وَأَجَلُّ مِن ثَنَائِي عَلَيْهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ

كُلِّ مَالِكٍ مِّنَ النَّاسِ، وَيُحْتَمَلُ أَيْضًا أَن يَّكُونَ الْمُرَادُ: أَنْ مَالِكًا خَيْرٌ مِّنَ الَّذِينَ وُصِفُوا قَبْلَهُ، وأَجْمَعُ لِخِصَالِ السِّيَادَةِ وَالْفَضْلِ. (لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ المَبَارِكِ، قَلِيلَاتُ المَسَارِحِ)، أَيْ: يَكْثُرُ بُرُوكُهَا بِقُرْبِ مَنزِلِهِ، لَا يَتْرُكُهَا تَسْرَحُ إِلَّا قَلِيلًا، قَدْرَ الضَّرُورَةِ؛ يَتَأَهَّبُ لِلضِّيفَانِ إِذَا نَزَلُوا، فَيَسْقِيهِم مِّنْ أَلْبَانِهَا، وَيُطْعِمُهُم مِّن لُّحُومِهَا. (وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ المِزْهَرِ، أَيْقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ)، الْمِزْهَرُ: الْعُودُ الَّذِي يُضْرِبُ به، أي: يُعْزَف به، أَرَادَتْ أَنَّ زَوْجَهَا إِذَا نَزَلَ بِهِ الضِّيفَانُ نَحَرَ لَهُمْ مِنْهَا، وَأَتَاهُمْ بِالْعِيدَانِ وَالْمَعَازِفِ وَالشَّرَابِ!، فَإِذَا سَمِعَتِ الْإِبِلُ صَوْتَ الْمِزْهَرِ عَلِمْنَ أَنَّهُ قَدْ جَاءَهُ الضِّيفَانُ، وَأَنَّهُنَّ مَنْحُورَاتٌ هَوَالِكُ، قَالَ النَّوَوِيُّ: هَذَا تَفْسِيرُ أَبِي عُبَيْدٍ وَالْجُمْهُورِ.

قَالَتِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ، وَمَا أَبُو زَرْعٍ؟!)، عَظَّمَتْهُ بِذَلِكَ.

(أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ)، أَنَاسَ بِمَعْنَى: حَرَّكَ، أَوْ دَلَّى، وَالْمُرَادُ: أَنَّهُ مَلَأَ أُذُنَيْهَا بِمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ النِّسَاءِ مِنَ التَّحَلِّي بِهِ، مِنْ قُرْطٍ وَشَنْفٍ، مِن ذَهَبٍ وَّلُؤْلُؤٍ، وَّنَحْو ذَلِكَ.

(وَمَلَأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ)، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ: أَسْمَنَنِي، وَمَلَأَ بَدَنِي شَحْمًا، وَلَمْ تُرِدِ اخْتِصَاصَ الْعَضُدَيْنِ، لَكِنْ إِذَا سَمِنَتَا سَمِنَ غَيْرُهُمَا.

(وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي)، أَيْ: عَظَّمَنِي، فَعَظُمْتُ عِنْدَ نَفْسِي.

(وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ)، الغُنَيْمَةِ: تَصْغِيرُ الْغَنَمِ، أَرَادَتْ أَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا أَصْحَابَ غَنَمٍ، فَجَعَلَهَا زَوْجُهَا فِي أَهل خَيْلٍ وَّإِبِلٍ؛ لِأَنَّ الصَّهِيلَ: أَصْوَاتُ الْخَيْلِ وَالْأَطِيطَ: أَصْوَاتُ الْإِبِلِ وَحَنِينُهَا.

وَقَوْلُهَا: (بِشِقٍّ) ضُبِطَ بِفَتْحِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ وَكَسْرِهَا، وَصَوَّبَ غَيْرُ وَاحِدٍ الْكَسْرَ، فَعَلَى رِوَايَةِ الْفَتْحِ يَكُونُ الْمُرَادُ: شِقَّ جَبَلٍ، أَيْ: أَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا فِي ضِيقٍ مِّنَ الْعَيْشِ وَالْمَسْكَنِ، يَسْكُنُونَ شِقَّ الْجَبَلِ، أَيْ نَاحِيَتَهُ، أَوْ غَارًا أَوْ كَهْفًا فِيهِ، وَعَلَى رِوَايَةِ الْكَسْرِ يَكُونُ الْمُرَادُ: أَنَّهُمْ كَانُوا فِي شَظَفٍ مِّنَ الْعَيْشِ، أَيْ: فِي مَشَقَّةٍ وَّجَهْدٍ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧]، أَيْ: إِلَّا بِمَشَقَّةٍ وَّجَهْدٍ.

(وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ)، الدَّائِسُ: هُوَ الَّذِي يَدُوسُ الزَّرْعَ فِي بَيْدَرِهِ؛ لِيَفْصِلَ الْحَبَّ عَنِ السَّنَابِلِ، وَالْمُنَقِّ: الَّذِي يُنَقِّي الطَّعَامَ، أَيْ: يُخْرِجُهُ مِن تِبْنِهِ وَقُشُورِهِ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ.

(فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أُقَبَّحُ)، أَيْ: لَا يُقَبِّحُ قَوْلِي، بَلْ يَقْبَلُهُ.

(وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ)، أَيْ أَنَّهَا مَكْفِيَّةٌ بِمَن يَخْدُمُهَا، فَتَنَامُ، ثُمَّ تَقُومُ وَالصَّبُوحُ مُعَدٌّ.

(وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ)، أَيْ: أَقْطَعُ الْمَشْرَبَ، وَأَتَمَهَّلُ فِيهِ. وَقِيلَ: هُوَ الشُّرْبُ بَعْدَ الرِّيِّ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَأَتَقَمَّحُ، بِالْمِيمِ، وَهَذَا أَصَحُّ».

وَمَعْنَاهُ بِالْمِيمِ: أُرْوَى، حَتَّى أَدَعَ الشَّرَابَ، مِنَ شِدَّةِ الرِّيِّ.

(أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ؟)؛ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهَا، (عُكُومُهَا رَدَاحٌ)، الْعُكُومُ: الْأَوْعِيَةُ الَّتِي فِيهَا الطَّعَامُ وَالْأَمْتِعَةُ، وَاحِدُهَا عِكْمٌ، بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَرَدَاحٌ، أَيْ: عِظَامٌ كَبِيرَةٌ، (وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ)، أَيْ: وَاسِعٌ، قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْمَعْنَى أَنَّهَا وَصَفَتْ وَالِدَةَ زَوْجِهَا بِأَنَّهَا كَثِيرَةُ الْآلَاتِ وَالْأَثَاثِ وَالْقُمَاشِ، وَاسِعَةُ الْمَالِ، كَبِيرَةُ الْبَيْتِ، إِمَّا حَقِيقَةٌ، فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى عِظَمِ الثَّرْوَةِ وَإِمَّا كِنَايَةٌ عَنْ كَثْرَةِ الْخَيْرِ وَرَغَدِ الْعَيْشِ وَالْبِرِّ بِمَن يَنْزِلُ بِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: فُلَانٌ رَحْبُ الْمَنْزِلِ، أَيْ: يُكْرِمُ مَنْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ.

(ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ؟!)؛ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، (مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ)، الْمَضْجَعُ: مَكَانُ النَّوْمِ، وَالْمَسَلُّ: الْمَسْلُولُ، أَيْ: مَا سُلَّ مِن قِشْرِهِ، وَالشَّطْبَةُ: مَا شُطِبَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، أَيْ: شُقَّ، وَهِيَ السَّعَفَةُ.

وَمُرَادُهَا أَنَّهُ خَفِيفُ اللَّحْمِ، وَهُوَ مِمَّا يُمْدَحُ بِهِ الرَّجُلُ.

(وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ)، الْجَفْرَةُ: الْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الْمَعْزِ، وَقِيلَ: مِنَ الضَّأْنِ، وَهِيَ: مَا بَلَغَتْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَيَظْهَرُ لِي أَنَّهَا وَصَفَتْهُ بِأَنَّهُ خَفِيفُ الْوَطْأَةِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ زَوْجَةَ الْأَبِ غَالِبًا تَسْتَثْقِلُ وَلَدَهُ مِنْ غَيْرِهَا، فَكَانَ هَذَا يُخَفِّفُ عَنْهَا، فَإِذَا دَخَلَ بَيْتَهَا لَمْ يَضْطَجِعْ

إِلَّا قَدْرَ مَا يُسَلُّ السَّيْفُ مِنْ غِمْدِهِ، ثُمَّ يَسْتَيْقِظُ مُبَالَغَةً فِي التَّخْفِيفِ عَنْهَا، ولَا يَحْتَاجُ مَا عِنْدَهَا مِنَ الْأَكْلِ، فَضْلًا عَنِ الْأَخْذِ، بَلْ لَوْ طَعِمَ عِنْدَهَا لَاقْتَنَعَ بِالْيَسِيرِ.ا.هـ بِاخْتِصَارٍ.

(بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ؟!)، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهَا، (طَوْعُ أَبِيهَا، وَطَوْعُ أُمِّهَا)، أَيْ: لَا تَعْصِيهِمَا، (وَمِلْءُ كِسَائِهَا)، أَيْ: سَمِينَةٌ، مُمْتَلِئَةُ الْجِسْمِ، (وَغَيْظُ جَارَتِهَا)، الْمُرَادُ بِجَارَتِهَا: ضَرَّتُهَا، يَغِيظُهَا مَا تَرَى مِنْ حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا وَعِفَّتِهَا وَأَدَبِهَا.

(جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ؟!)؛ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهَا، (لَا تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا)، أَيْ لَا تُشِيعُهُ، بَلْ تَكْتُمُهُ، (وَلَا تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا)، أَيْ: أَنَّهَا أَمِينَةٌ، لَا تُفْسِدُ طَعَامَهُمُ الْمَجْلُوبَ، وَلَا تُفَرِّقُهُ، وَلَا تَذْهَبُ بِهِ، (وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا)، أَيْ: لَا تَتْرُكُ الْقُمَامَةَ فِيهِ مُفَرَّقَةً كَعُشِّ الطَّائِرِ، بَلْ تَعْتَنِي بِالْبَيْتِ، وَتُنَظِّفُهُ.

(قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالأَوْطَابُ تُمْخَضُ)، الْأَوْطَابُ: جَمْعُ وَطْبٍ، وَهُوَ: وِعَاءُ اللَّبَنِ، وَ(تُمخَض)، أَيْ: تُحَرَّكُ؛ لِيُسْتَخْرَجَ الزَّبَدُ، وَهُوَ السَّمْنُ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ بَكَّرَ فِي الْخُرُوجِ، أَوْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي زَمَنِ الْخِصْبِ وَطِيبِ الرَّبِيعِ، (فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالفَهْدَيْنِ، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ)، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: يُرِيدُ أَنَّهَا ذَاتُ كَفَلٍ عَظِيمٍ، فَإِذَا اسْتَلْقَتِ ارْتَفَعَ كَفَلُهَا بِهَا مِنَ الْأَرْضِ، حَتَّى يَصِيرَ تَحْتَهَا فَجْوَةٌ تَجْرِي فِيهَا الرُّمَّانَةُ.

وَرَجَّحَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَّالْحَافِظُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِالرُّمَّانَتَيْنِ ثَدْيَاهَا، وَفِي تَشْبِيهِ النَّهْدَيْنِ بِالرُّمَّانَتَيْنِ إِشَارَةٌ إِلَى صِغَرِ سِنِّهَا، وَأَنَّهَا لَمْ تَتَرَهَّلْ، ولم ينكَسِرَ ثَدْيَاهَا، وَلم يَتَدَلَّيا، (فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا)، أَيْ: سَيِّدًا، شَرِيفًا، (رَكِبَ شَرِيًّا)، الشَّرِيُّ: الْفَرَسُ الَّذِي يَسْتَشْرِي فِي سَيْرِهِ، أَيْ: يُلِحُّ وَيَمْضِي بِلَا فُتُورٍ وَّلَا انكِسَارٍ، (وَأَخَذَ خَطِّيًّا)، الْخَطِّيُّ: الرُّمْحُ، مَنْسُوبٌ إِلَى الْخَطِّ، قَرْيَةٍ مِنْ سَيْفِ الْبَحْرِ، أَيْ سَاحِلِهِ، عِنْدَ عُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ، (وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا)، أَيْ: كَثِيرَةً، وَالنَّعَمُ: الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ، (وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا)، أَيْ: مِمَّا يَرُوحُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْعَبِيدِ،

(وَقَالَ: كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ)، أَيْ: أَطْعِمِيهِمْ، قَالَتْ: (فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ، مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ!).

اللهُ أَكْبَرُ!، مَا أَعْجَبَ طَبَائِعَ النِّسَاءِ!، هَذِهِ الْمَرْأَةُ مَا نَسِيَتْ أَبَا زَرْعٍ، وَلَا أَيَّامَ أَبِي زَرْعٍ، وَلَا إِحْسَانَهُ إِلَيْهَا، مَعَ أَنَّهُ طَلَّقَهَا، وَنَكَحَتْ بَعْدَهُ رَجُلًا كُفْؤًا، لَكِنَّ الشَّأْنَ كَمَا قِيْلَ:

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى ... مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيْبِ الْأَوَّلِ

كَم مَّنزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى ... وَحَنِيْنُهُ أَبَدًا لِّأَوَّلِ مَنزِلِ

أَطْنَبَتْ فِي وَصْفِهِ؛ وَفَاءً مِّنْهَا وَاعْتِرَافًا بِالْجَمِيْلِ، مَعَ أَنَّهُ طَلَّقَهَا، وَعَرَّجَتْ عَلَى ذِكْرِ أُمِّهِ، وَابْنِهِ، وَابْنَتِهِ، وَجَارِيَتِهِ، وَالشَّأْنُ كَمَا قِيْلَ:

أَمُرُّ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَى ... أُقَبِّلُ ذَا الْجِدَارَ وَذَا الْجِدَارَا

وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفْنَ قَلْبِي ... وَلَكِنْ حُبُّ مَن سَكَنَ الدِّيَارَا

قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ**».

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَجَاءَ خَارِجَ الصَّحِيحِ مَرْفُوعًا كُلُّهُ، مِنْ رِوَايَةِ عَبَّادِ بْنِ مَنْصُورٍ عِنْدَ النَّسَائِيِّ، وَسَاقَهُ بِسِيَاقٍ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ».

قُلْتُ: أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ فِي "الْكُبْرَى"(رقم: ٩٠٩٢).

وَفِيْهَا: قَالَتْ عَائِشَةُ: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، بَلْ أَنْتَ خَيْرٌ إِلَيَّ مِنْ أَبِي زَرْعٍ».

وَذَكَرَ الْحَافِظُ أَيْضًا رِوَايَاتٍ أُخْرَى مُصَرِّحَةً بِرَفْعِهِ كُلِّهِ.(١)

---

(١) قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: ويقوي رفع جميعه أن التشبيه المتفق على رفعه يقتضي أن يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سمع القصة، وعرفها، فأقرها، فيكون كله مرفوعًا من هذه الحيثية، ويكون المراد بقول الدارقطني والخطيب وغيرهما من النقاد: (إن المرفوع منه ما ثبت في الصحيحين، والباقي موقوف من قول عائشة) هو أن الذي تلفظ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما سمع القصة من عائشة هو التشبيه فقط، ولم يريدوا أنه ليس بمرفوع حكمًا، ويكون مَنْ عَكَسَ ذلك، فَنَسَبَ قَصَّ القصةِ من ابتدائها إلى انتهائها إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ واهمًا.ا.هـ.

وَلَا شَكَّ فِي خَيْرِيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ، وَهَذَا بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ، وَأَيْنَ أَبُو زَرْعٍ مِّن رَّسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَيْنَ أُمُّ زَرْعٍ مِّنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، الَّتِي كَانَتْ لَهَا الْحَظْوَةُ عِندَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ أَحَبَّ نِسَاءِهِ إِلَيْهِ.

فَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**». قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ «**أَبُوهَا**». قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**عُمَرُ**». فَعَدَّ رِجَالًا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَفِيهِمَا أَيْضًا عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**».(٢)

وَالثَّرِيدُ هُوَ الْخُبْزُ يُؤْدَمُ بِاللَّحْمِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا مَا الْخُبْزُ تَأْدِمُهُ بِلَحْمٍ ... فَذَاكَ أَمَانَةَ اللَّهِ الثَّرِيدُ

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَالْخُبْزُ أَفْضَلُ الْأَقْوَاتِ، وَاللَّحْمُ سَيِّدُ الْإِدَامِ، فَإِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَكُنْ بَعْدَهُمَا غَايَةٌ.(٣)

وَقَدْ كَانَتْ قِصَّةُ هَؤُلَاءِ النِّسْوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ أَبَا زَرْعٍ وَأُمَّ زَرْعٍ مَاتَا كَافِرَيْنِ، واللهُ أَعْلَمُ.

فَإِن كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ ضَرَبَ مَثَلًا لِّخَيْرِيَّتِهِ لِأَهْلِهِ بِأَبِي زَرْعٍ فَقَدْ ضَرَبَ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ مَثَلًا لِّنُورِهِ بِمِشْكَاةٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [النور: ٣٥].

---

(١) البخاري (رقم: ٣٦٦٢، و٤٣٥٨)، ومسلم (رقم: ٢٣٨٤).

(٢) البخاري (رقم: ٣٤١١، و٣٧٦٩، و٥٤١٨)، ومسلم (رقم: ٢٤٣١).

(٣) الطب النبوي من "زاد المعاد" (ج٤/ص: ٢٧١).

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ أَحْمَدَ بْنَ الْخَلِيفَةِ الْمُعْتَصِمِ:

إِقْدَامُ عَمْرٍو، فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ ... فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ

فَقَالَ لَهُ الْكِنْدِيُّ الْفَيْلَسُوفُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، شَبَّهْتَ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ بِصَعَالِيكِ الْعَرَبِ! وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتَ؟ فَأَطْرَقَ أَبُو تَمَّامٍ يَسِيرًا، وَقَالَ:

لَا تُنكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِن دُونِهِ ... مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقَلَّ لِنُورِهِ ... مَثَلًا مِنَ الْمِشْكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ

فَاسْتَحْسَنَ الْحَاضِرُونَ ذَلِكَ مِنْهُ جِدًّا.(١)

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَفِي حَدِيْثِ أُمِّ زَرْعٍ مَوَاعِظُ وَرِقَاقٌ، وَفُكَهٌ، وَمُلَحٌ، وَنَوَادِرُ، فَانظُرْ أَيُّهَا الزَّوْجُ الْمُسْلِمُ مِنْ أَيِّ أَصْنَافِ الْأَزْوَاجِ أَنتَ، وَكَمْ رَقْمُكَ مِن بَيْنِ الْأَحَدَ عَشَرَ؟!.

قَالَ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٣٣١)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٤٦٨).

---

(١) راجع: "العمدة في محاسن الشعر وآدابه"(ج١/ص: ١٩٢)، و"البدائع في البدائه"(ص: ١٥٧).

وَفِي رِوَايَةٍ لِّمُسْلِمٍ (رقم: ١٤٦٨)(٥٩): «**إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِن ضِلَعٍ لَن تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ، وَإِن ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا**».

وَعَن مُّعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**أن تُطْعِمَهَا إِذَا طعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إلاَّ فِي البَيْتِ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم:٢٠٠١١)، وَأَبُوْ دَاوُدَ (رقم: ٢١٤٢).(١)

وَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ١٨٢٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِذَا أَعْطَى اللهُ أَحَدَكُمْ خَيْرًا فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ**».

فَزَوْجَتُكَ مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ بِعَطَائِكَ وَبِابْتِسَامَتِكَ وَكَلَامِكَ الطَّيِّبِ وَحُسْنِ خُلُقِكَ، وَمِقْيَاسُ خَيْرِيَّتِكَ خَيْرُكَ لِأَهْلِكَ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٨٩٥).(٢)

---

(١) وصححه الألباني في "الإرواء"(رقم:٢٠٣١)، وفي "صحيح أبي داود"(رقم:١٨٥٩)، وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١١١٣).

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ٤١٧٧)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٢٨٥، و١١٧٤)، وذكر له شاهدين من حديثي ابن عباس وابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وذكره أيضًا في موضع آخر من "الصحيحة"(رقم: ٢٦٧٨) من حديث الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فراجع ما هنالك.

حرمة الاختلاط

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[الأحزاب: ٥٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ

إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - كَمَا فِي "مَجْمُوعِ فَتَاوَاهُ وَرَسَائِلِهِ"(ج١/صـ:٤٢١-٤٢٢): يَأْمُرُ اللهُ ﷻ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَن يُبَلِّغَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أَن يَّلْتَزِمُوا بِغَضِّ النَّظَرِ وَحِفْظِ الْفَرْجِ عَنِ الزِّنَا، ثُمَّ أَوْضَحَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَزْكَى لَهُمْ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ حِفْظَ الْفَرْجِ مِنَ الْفَاحِشَةِ إِنَّمَا يَكُونُ بِاجْتِنَابِ وَسَائِلِهَا، وَلَا شَكَّ أَنَّ إِطْلَاقَ الْبَصَرِ وَاخْتِلَاطَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ وَالرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ فِي مَيَادِيْنِ الْعَمَلِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ وُقُوعِ الْفَاحِشَةِ، وَهَذَانِ الْأَمْرَانِ الْمَطْلُوبَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَسْتَحِيْلُ تَحَقُّقُهُمَا مِنْهُ، وَهُوَ يَعْمَلُ مَعَ الْمَرْأَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ كَزَمِيْلَةٍ أَوْ مُشَارِكَةٍ فِي الْعَمَلِ لَهُ، فَاقْتِحَامُهَا هَذَا الْمَيْدَانَ مَعَهُ وَاقْتِحَامُهُ الْمَيْدَانَ مَعَهَا لَا شَكَّ أَنَّهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَسْتَحِيْلُ مَعَهَا غَضُّ الْبَصَرِ وَإِحْصَانُ الْفَرْجِ وَالْحُصُولُ عَلَى زَكَاةِ النَّفْسِ وَطَهَارَتِهَا.

وَهَكَذَا أَمَرَ اللهُ ﷻ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَضِّ الْبَصَرِ وَحِفْظِ الْفَرْجِ وَعَدَمِ إِبْدَاءِ الزِّيْنَةِ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَأَمَرَهُنَّ اللهُ بِإِسْدَالِ الْخِمَارِ عَلَى الْجُيُوبِ الْمُتَضَمِّنِ سَتْرَ رَأْسِهَا وَوَجْهِهَا؛ لِأَنَّ الْجَيْبَ مَحَلُّ الرَّأْسِ وَالْوَجْهِ، فَكَيْفَ يَحْصُلُ غَضُّ الْبَصَرِ وَحِفْظُ الْفَرْجِ وَعَدَمُ إِبْدَاءِ الزِّيْنَةِ عِندَ نُزُولِ الْمَرْأَةِ مَيْدَانَ الرِّجَالِ وَاخْتِلَاطِهَا مَعَهُمْ فِي الْأَعْمَالِ؟ وَالِاخْتِلَاطُ كَفِيْلٌ بِالْوُقُوعِ فِي هَذِهِ الْمَحَاذِيْرِ، كَيْفَ يَحْصُلُ لِلْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ أَن تَغُضَّ بَصَرَهَا وَهِيَ تَسِيْرُ مَعَ الرَّجُلِ الْأَجْنَبِيِّ جَنبًا إِلَى جَنبٍ؛ بِحُجَّةِ أَنَّهَا تُشَارِكُهُ فِي الْأَعْمَالِ أَوْ تُسَاوِيْهِ فِي جَمِيْعِ مَا يَقُومُ بِهِ؟!

وَالْإِسْلَامُ حَرَّمَ جَمِيْعَ الْوَسَائِلِ وَالذَّرَائِعِ الْمُوصِلَةِ إِلَى الْأُمُورِ الْمُحَرَّمَةِ، وَكَذَلِكَ حَرَّمَ الْإِسْلَامُ عَلَى النِّسَاءِ خُضُوعَهُنَّ بِالْقَوْلِ لِلرِّجَالِ لِكَوْنِهِ يُفْضِي إِلَى الطَّمَعِ فِيهِنَّ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى

فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، يَعْنِي: مَرَضَ الشَّهْوَةِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ التَّحَفُّظُ مِن ذَلِكَ مَعَ الِاخْتِلَاطِ؟

وَمِنَ الْبَدَهِيِّ أَنَّهَا إِذَا نَزَلَتْ إِلَى مَيْدَانِ الرِّجَالِ لَا بُدَّ أَن تُكَلِّمَهُمْ وَأَن يُّكَلِّمُوهَا، وَلَا بُدَّ أَن تُرَقِّقَ لَهُمُ الْكَلَامَ وَأَن يُرَقِّقُوا لَهَا الْكَلَامَ، وَالشَّيْطَانُ مِن وَّرَاءِ ذَلِكَ يُزَيِّنُ وَيُحَسِّنُ وَيَدْعُو إِلَى الْفَاحِشَةِ، حَتَّى يَقَعُوا فَرِيْسَةً لَّهُ، واللهُ حَكِيْمٌ عَلِيْمٌ حَيْثُ أَمَرَ الْمَرْأَةَ بِالْحِجَابِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ النَّاسَ فِيْهِمُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ وَالطَّاهِرُ وَالْعَاهِرُ، فَالْحِجَابُ يَمْنَعُ- بِإِذْنِ اللهِ- مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَحْجُزُ دَوَاعِيَهَا، وَتَحْصُلُ بِهِ طَهَارَةُ قُلُوبِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَالْبُعْدُ عَن مَّظَانِّ التُّهَمَةِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وَخَيْرُ حِجَابِ الْمَرْأَةِ بَعْدَ حِجَابِ وَجْهِهَا بِاللِّبَاسِ هُوَ بَيْتُهَا، وَحَرَّمَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ مُخَالَطَةَ الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ؛ لِئَلَّا تُعَرِّضَ نَفْسَهَا لِلْفِتْنَةِ بِطَرِيْقٍ مُّبَاشِرٍ أَوْ غَيْرِ مُبَاشِرٍ، وَأَمَرَهَا بِالْقَرَارِ فِي الْبَيْتِ وَعَدَمِ الْخُرُوجِ مِنْهُ إِلَّا لِحَاجَةٍ مُّبَاحَةٍ مَّعَ لُزُومِ الْأَدَبِ الشَّرْعِيِّ، وَقَدْ سَمَّى اللهُ مُكْثَ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا قَرَارًا، وَهَذَا الْمَعْنَى مِنْ أَسْمَى الْمَعَانِي الرَّفِيْعَةِ، فَفِيْهِ اسْتِقْرَارٌ لِّنَفْسِهَا وَرَاحَةٌ لِّقَلْبِهَا وَانشِرَاحٌ لِّصَدْرِهَا، فَخُرُوجُهَا عَنْ هَذَا الْقَرَارِ يُفْضِي إِلَى اضْطِرَابِ نَفْسِهَا وَقَلَقِ قَلْبِهَا وَضِيْقِ صَدْرِهَا وَتَعْرِيْضِهَا لِمَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ.ا.هـ.

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»**. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: **«الحَمْوُ المَوْتُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٢٣٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢١٧٢).

وَالْحَمْوُ: قَرِيْبُ الزَّوْجِ، كَأَخِيْهِ، وَابْنِ عَمِّهِ، وَنَحْوِهِمَا، وَيُسْتَثْنَى مِنْهُمْ: آبَاءُ الزَّوْجِ وَأَبْنَاؤُهُ؛ فَإِنَّهُم مِّن مَّحَارِمِ الْمَرْأَةِ.

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الحَمْوُ المَوْتُ»**، مَعْنَاهُ: أَنَّ الْخَوْفَ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ، وَالشَّرُّ يُتَوَقَّعُ مِنْهُ، وَالْفِتْنَةُ أَكْثَرُ؛ لِتَمَكُّنِهِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَرْأَةِ وَالْخَلْوَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْكَرَ عَلَيْهِ، بِخِلَافِ الْأَجْنَبِيِّ. قَالَهُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَالَ: وَلَا يُوصَفُونَ بِالْمَوْتِ، وَعَادَةُ النَّاسِ الْمُسَاهَلَةُ فِيهِ، وَيَخْلُو بِامْرَأَةِ أَخِيهِ، فَهَذَا هُوَ الْمَوْتُ، وَهُوَ أَوْلَى بِالْمَنْعِ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ.ا.هـ.

وَتَسَاهُلُ الرَّجُلِ فِي مِثْلِ زَوْجَةِ الْأَخِ وَزَوْجَةِ الْعَمِّ وَزَوْجَةِ الْخَالِ، وَكَذَا فِي قَرِيبَاتِ الزَّوْجَةِ مِنْ غَيْرِ الْمَحَارِمِ، كَأُخْتِهَا وَعَمَّتِهَا وَخَالَتِهَا، وَبِنتِ أَخِيهَا وَبِنتِ أُخْتِهَا، وَكَذَا تَسَاهُلُ الْمَرْأَةِ فِي مِثْلِ زَوْجِ أُخْتِهَا وَزَوْجِ عَمَّتِهَا وَزَوْجِ خَالَتِهَا، وَكَذَا فِي أَقَارِبِ الزَّوْجِ مِنْ غَيْرِ الْمَحَارِمِ، كَأَخِيهِ، وَعَمِّهِ، وَخَالِهِ، وَابْنِ أَخِيهِ وَابْنِ أُخْتِهِ، وَإِبْدَاءُ الْمَرْأَةِ زِينَتَهَا لَهُمْ، كَوَجْهِهَا وَكَفَّيْهَا، وَالِاخْتِلَاطُ بِهِمْ فِي الْبُيُوتِ وَغَيْرِهَا وَالْخَلْوَةُ بِهِمْ وَرُبَّمَا السَّفَرُ مَعَهُمْ، كُلُّ هَذِهِ مَحَاذِيرُ شَرْعِيَّةٌ تَسَاهَلَ فِيهَا أَكْثَرُ النَّاسِ، وَقَد تَّكُونُ ذَرِيعَةً إِلَى الزِّنَا، عِيَاذًا بِاللهِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مُرُوا أَوْلَادَكُم بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»**. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم:٤٩٥)، وَلَهُ شَاهِدٌ مِّنْ حَدِيْثِ سَبْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (رقم:١٥٣٣٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم:٤٩٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم:٤٠٧).(١)

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»**، أَيْ: فَرِّقُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي مَضَاجِعِهِمُ الَّتِي يَنَامُونَ فِيهَا إِذَا بَلَغُوا عَشْرًا؛ حَذَرًا مِنْ غَوَائِلِ الشَّهْوَةِ، وَإِن كُنَّ أَخَوَاتِهِ. قَالَهُ الْمُنَاوِيُّ فِي "فَيْضِ الْقَدِيرِ"(ج٥/صـ:٥٢١).

وَعِندَ التِّرْمِذِيِّ (رقم: ١١٧٣) وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ»**.

وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ (رقم: ٢٠٦١) حَدِيْثَ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا، وَزَادَ فِيْهِ: **«وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِن وَّجْهِ رَبِّهَا وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا»**.

---

(١) وراجع: "الإرواء"(رقم:٢٤٧)، و"صحيح أبي داود"(رقم:٥٠٩).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»**، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: **«انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:١٨٦٢، و٣٠٠٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم:١٣٤١).

فَهَذِهِ الْأَدِلَّةُ وَنَظَائِرُهَا دَالَّةٌ عَلَى حُرْمَةِ اخْتِلَاطِ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ الْأَجْنَبِيَّاتِ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَمَا حُرِّمَ الِاخْتِلَاطُ إِلَّا لِكَوْنِهِ ذَرِيْعَةً لِّلْوُقُوعِ فِي الزِّنَا، عِيَاذًا بِاللهِ!، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالنَّهْيُ عَن قُرْبَانِهِ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ عَن مُجَرَّدِ فِعْلِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَشْمَلُ النَّهْيَ عَن جَمِيْعِ مُقَدِّمَاتِهِ وَدَوَاعِيْهِ؛ فَإِنَّ مَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوْشِكُ أَن يَقَعَ فِيْهِ، خُصُوصًا هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي فِي كَثِيْرٍ مِنَ النُّفُوسِ أَقْوَى دَاعٍ إِلَيْهِ».

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ – كَمَا فِي "مَجْمُوعِ فَتَاوَاهُ وَرَسَائِلِهِ"(ج١/صـ:٤١٨) –: وَمَنْ أَرَادَ أَن يَعْرِفَ عَن كَثَبٍ مَّا جَنَاهُ الِاخْتِلَاطُ مِنَ الْمَفَاسِدِ الَّتِي لَا تُحْصَى فَلْيَنظُرْ إِلَى تِلْكَ الْمُجْتَمَعَاتِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي هَذَا الْبَلَاءِ الْعَظِيْمِ، اخْتِيَارًا أَوِ اضْطِرَارًا، بِإِنصَافٍ مِّنْ نَفْسِهِ، وَتَجَرُّدٍ لِّلْحَقِّ عَمَّا عَدَاهُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ج١/صـ:٤٢٤): فَالْإِسْلَامُ حَرِيْصٌ جِدًّا عَلَى جَلْبِ الْمَصَالِحِ وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ، وَغَلْقِ الْأَبْوَابِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَيْهَا، وَلِاخْتِلَاطِ الْمَرْأَةِ مَعَ الرَّجُلِ فِي مَيْدَانِ الْعَمَلِ تَأْثِيْرٌ كَبِيْرٌ فِي انحِطَاطِ الْأُمَّةِ وَفَسَادِ مُجْتَمَعِهَا؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ تَارِيْخِيًّا عَنِ الْحَضَارَاتِ الْقَدِيْمَةِ:

الرُّومَانِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ وَنَحْوِهِمَا أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الِانحِطَاطِ وَالِانْهِيَارِ الْوَاقِعِ بِهَا هُوَ خُرُوجُ الْمَرْأَةِ مِن مَّيْدَانِهَا الْخَاصِّ إِلَى مَيْدَانِ الرِّجَالِ وَمُزَاحَمَتِهِم مِّمَّا أَدَّى إِلَى فَسَادِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ، وَتَرْكِهِمْ لِمَا يَدْفَعُ بِأُمَّتِهِمْ إِلَى الرُّقِيِّ الْمَادِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ.

وَانشِغَالُ الْمَرْأَةِ خَارِجَ الْبَيْتِ يُؤَدِّي إِلَى بَطَالَةِ الرَّجُلِ وَخُسْرَانِ الْأُمَّةِ، وَعَدَمِ انسِجَامِ الْأُسْرَةِ وَانْهِيَارِ صَرْحِهَا، وَفَسَادِ أَخْلَاقِ الْأَوْلَادِ، وَيُؤَدِّي إِلَى الْوُقُوعِ فِي مُخَالَفَةِ مَا أَخْبَرَ اللهُ ﷻ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِن قِوَامَةِ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ.

وَقَدْ حَرَصَ الْإِسْلَامُ أَن يُّبْعِدَ الْمَرْأَةَ عَن جَمِيعِ مَا يُخَالِفُ طَبِيعَتَهَا، فَمَنَعَهَا مِن تَوَلِّي الْوِلَايَةِ الْعَامَّةِ كَرِئَاسَةِ الدَّوْلَةِ وَالْقَضَاءِ وَجَمِيعِ مَا فِيهِ مَسْئُولِيَّاتٌ عَامَّةٌ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (رقم: ٤٤٢٥، و٧٠٩٩).

فَفَتْحُ الْبَابِ لَهَا بِأَن تَنزِلَ إِلَى مَيْدَانِ الرِّجَالِ يُعْتَبَرُ مُخَالِفًا لِمَا يُرِيْدُهُ الْإِسْلَامُ مِن سَعَادَتِهَا وَاسْتِقْرَارِهَا، فَالْإِسْلَامُ يَمْنَعُ تَجْنِيْدَ الْمَرْأَةِ فِي غَيْرِ مَيْدَانِهَا الْأَصِيلِ، وَقَدْ ثَبَتَ مِنَ التَّجَارِبِ الْمُخْتَلِفَةِ- وَخَاصَّةً فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُخْتَلِطِ- أَنَّ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ لَا يَتَسَاوَيَانِ فِطْرِيًّا وَّلَا طَبِيعِيًّا، فَضْلًا عَمَّا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَاضِحًا جَلِيًّا فِي اخْتِلَافِ الطَّبِيعَتَيْنِ وَالْوَاجِبَيْنِ، وَالَّذِيْنَ يُنَادُونَ بِمُسَاوَاةِ الْجِنسِ اللَّطِيفِ - الْمُنَشَّأِ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِيْنٍ- بِالرِّجَالِ، يَجْهَلُونَ أَوْ يَتَجَاهَلُونَ الْفَوَارِقَ الْأَسَاسِيَّةَ بَيْنَهُمَا.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ج٢٤/صـ:٤٠): لَا تَجُوزُ الدِّرَاسَةُ الْمُخْتَلَطَةُ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ الْعَظِيْمَةِ وَالْعَوَاقِبِ الْوَخِيْمَةِ، وَالْوَاجِبُ أَن يَّكُونَ تَدْرِيْسُ الذُّكُورِ عَلَى حِدَةٍ، وَالْإِنَاثُ عَلَى حِدَةٍ، أَمَّا الِاخْتِلَاطُ فَلَا يَجُوزُ.

وَقَالَ أَيْضًا (ج٢٤/صـ:٤١): وَلَا يَجُوزُ لَكَ الْعَمَلُ فِي الْمَدَارِسِ الْمُخْتَلَطَةِ؛ حِمَايَةً لِدِيْنِكَ وَعِرْضِكَ، وَحَذَرًا مِنْ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ.ا.هـ.

وَفِي "فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ"(ج١٢/صـ:٥٦-٥٧): الِاخْتِلَاطُ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي الْمَدَارِسِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْمُنكَرَاتِ الْعَظِيْمَةِ، وَالْمَفَاسِدِ الْكَبِيْرَةِ فِي الدِّيْنِ وَالدُّنْيَا، فَلَا

يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَن تَدْرُسَ أَوْ تَعْمَلَ فِي مَكَانٍ مُخْتَلَطٍ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَلَا يَجُوزُ لِوَلِيِّهَا أَن يَأْذَنَ لَهَا بِذَلِكَ.

وَلَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَن يُعَلِّمَ الْمَرْأَةَ وَهِيَ لَيْسَتْ مُتَحَجِّبَةً، وَلَا يَجُوزُ أَن يُعَلِّمَهَا خَالِيًا بِهَا، وَلَوْ كَانَتْ بِحِجَابٍ شَرْعِيٍّ، وَالْمَرْأَةُ عِندَ الرَّجُلِ الْأَجْنَبِيِّ مِنْهَا كُلُّهَا عَوْرَةٌ، أَمَّا سَتْرُ الرَّأْسِ وَإِظْهَارُ الْوَجْهِ فَلَيْسَ بِحِجَابٍ كَامِلٍ.

وَفِيهَا أَيْضًا (ج١٢/صـ:١٦٩): مَدَارُ الْمَنْعِ مِن اخْتِلَاطِ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ هُوَ خَشْيَةُ الْفِتْنَةِ، وَأَن يَّكُونَ ذَرِيعَةً إِلَى ارْتِكَابِ الْفَاحِشَةِ، وَانتِهَاكِ الْحُرُمَاتِ، وَفَسَادِ الْمُجْتَمَعِ، وَقَد تَّكُونُ هَذِهِ الْأُمُورُ أَشَدَّ تَحَقُّقًا فِي اخْتِلَاطِهَا فِي التَّعْلِيمِ؛ فَكَانَ حَرَامًا.ا.هـ.

وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ تَلَافِيَ هَذَا الْأَمْرِ؛ فَإِنَّ لِلِاخْتِلَاطِ آثَارَهُ السَّيِّئَةَ عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، وَنَحْنُ نَرَى آثَارَ الِاخْتِلَاطِ السَّيِّئَةَ عَلَى الْأَوْلَادِ قَبْلَ بُلُوغِهِمْ، فَكَيْفَ بِمَا بَعْدَ الْبُلُوغِ، وَنَسْمَعُ مِن بَعْضِ الْأَوْلَادِ كَلِمَاتٍ مَاجِنَةً، فَنَقُولُ: مِنْ أَيْنَ تَعَلَّمْتُمُوهَا؟ فَيَقُولُ: مِنَ الْمَدْرَسَةِ، وَتَحْصُلُ مُعَاكَسَاتٌ، وَمُغَازَلَاتٌ، وَأُمُورٌ يُسْتَحْيَا مِن ذِكْرِهَا.

قَالَ الْقَحْطَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إِنَّ الرِّجَالَ النَّاظِرِيْنَ إِلَى النِّسَا ... مِثْلُ الْكَلَابِ تَطُوفُ باللُّحْمَانِ

إِن لَّمْ تَصُن تِلْكَ اللُّحُومَ أُسُودُهَا ... أُكِلَتْ بِلَا عِوَضٍ وَلَا أَثْمَانِ

فَتَذَكَّرُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ غَيْرَةَ اللهِ عَجَّلَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٢٢٣)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٧٦١).

ولا تقربوا الزنا

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

فَإِنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ مِن دِيْنِ الْإِسْلَامِ بِالِاضْطِرَارِ: عِظَمَ حُرْمَةِ الزِّنَا، وَهُوَ أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ بَعْدَ الشِّرْكِ باللهِ وَقَتْلِ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: **«أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»**. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **«ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»**. قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **«ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»**.

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ تَصْدِيقَهَا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٧٦١، و٦٨٦١، و٧٥٣٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٨٦).

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: **«تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٨، و٣٨٩٢، و٤٨٩٤، و٦٨٠١، و٧٢١٣، و٧٤٦٨)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٧٠٩).

وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

وَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ١٠٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»**.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ حِيْنَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ: **«يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٠٤٤)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٩٠١).

وَعَن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: **«إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا»**،

فَذَكَرَ الْحَدِيْثَ، وَفِيْهِ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ، فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ»، قَالَ: «فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا»، وَفِيْهِ: أَنَّهُمَا قَالَا: «وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:٧٠٤٧).

وَعَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟». قَالُوا: حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ». قَالَ: فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟». قَالُوا: حَرَّمَهَا اللهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ: «لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِه». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم:٢٣٨٥٤).(١)

وَرَوَى أَحْمَدُ أَيْضًا (رقم: ٢٢٢١١) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ! مَهْ!. فَقَالَ: «ادْنُهْ»، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟». قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ». قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

---

(١) وصححه: الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٢٥٤٩)، وحسنه الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١١٤١).

ذَكَرَهُ الْعَلَّامَةُ الْوَادِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ مِمَّا لَيْسَ الصَّحِيحَيْنِ"(رقم: ٥٠٠)، وَقَالَ بَعْدَ أَن ذَكَرَهُ فِي "الْجَامِعِ الصَّحِيحِ مِمَّا لَيْسَ فِي الصَّحِيحَيْنِ": «يَا لَهَا مِن مَّوْعِظَةٍ لِّلدُّعَاةِ إِلَى اللهِ ﷻ!».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا»**، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٤٠١٩).(٣)

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ (رقم:٦٣٩٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ قَطُّ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، وَلَا فَشَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا أَخَذَهُمُ اللهُ بِالْمَوْتِ».

قَالَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "الصَّحِيحَةِ" (ج١/صـ:٢١٩): «وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَهُوَ مَوْقُوفٌ فِي حُكْمِ الْمَرْفُوعِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ مِن قِبَلِ الرَّأْيِ».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى نَتْرُكُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: **«إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ»**، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ

---

(١) البخاري (رقم:٥٥٧٨، و٦٧٧٢، و٦٧٨٢، و٦٨١٠)، ومسلم (رقم: ٥٧).

(٢) رواه البخاري (رقم:٦٨٧٨)، ومسلم (رقم:١٦٧٦).

(٣) وصححه الحاكم (رقم:٨٦٢٣)، ووافقه الذهبي، وراجع: "الصحيحة"(رقم: ١٠٦، و١٠٧).

وَمَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا؟ قَالَ: «**الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ، وَالْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم:١٢٩٤٣)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم:٤٠١٥).(١)

وَقَوْلُهُ: «**وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ**»، مَعْنَاهُ أَنَّ الزِّنَا يَنتَشِرُ حَتَّى يَكُونَ فِي الْكِبَارِ أَيْضًا!.

وَعَنْ أَبِي عَامِرٍ أَوْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**».(٢)

وَقَوْلُهُ:«**يَسْتَحِلُّونَ**» يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ، وَإِنَّمَا يَسْتَحِلُّونَهَا بِالتَّأْوِيلَاتِ الْفَاسِدَةِ؛ إِمَّا لِهَوًى أَوْ جَهْلٍ.

وَالْحِر: الْفَرْجُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَسْتَحِلُّونَ الزِّنَا. وَقَوْلُهُ: «**عَلَم**»، أَيْ: جَبَلٌ، وَقَوْلُهُ: «**بِسَارِحَةٍ**»، أَيْ: بِغَنَمٍ. «**فَيُبَيِّتُهُم الله**»، أَيْ: يُهْلِكُهُمْ فِي اللَّيْلِ. «**وَيَضَعُ العَلَمَ**»: أَيْ: يَدُكُّ الْجَبَلَ وَيُوقِعُهُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ. «**وَيَمْسَخُ**»: أَيْ: يُغَيِّرُ خِلْقَتَهُمْ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ"(ج١/صـ:٦٤): وَلَكِنَّ نَجَاسَةَ الزِّنَا وَاللِّوَاطِ أَغْلَظُ مِنْ غَيْرِهِمَا مِنَ النَّجَاسَاتِ، مِن جِهَةِ أَنَّهَا تُفْسِدُ الْقَلْبَ، وَتُضْعِفُ تَوْحِيْدَهُ جِدًّا، وَلِهَذَا كَانَ أَحْظَى النَّاسِ بِهَذِهِ النَّجَاسَةِ أَكْثَرُهُمْ شِرْكًا، فَكُلَّمَا كَانَ الشِّرْكُ فِي الْعَبْدِ أَغْلَبَ كَانَتْ هَذِهِ النَّجَاسَةُ وَالْخَبَائِثُ فِيْهِ أَكْثَرَ.

---

(١) وهو في "الصحيح المسند مما ليس الصحيحين"(رقم: ١٠٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم:٥٥٩٠) على صورة المعلق، وهو صحيح، داخل في شرطه. وقد جاء موصولًا عند الطبراني في "الكبير"(ج٣/صـ:٢٨٢)(رقم: ٣٤١٧)، وابن حبان (رقم:٦٧٥٤)، وغيرهما، وممن صحَّحه من حفاظ الإسلام أيضًا: ابن الصلاح، والنووي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والعراقي، وابن حجر، والألباني، وغيرهم. راجع: "الصحيحة"(رقم: ٩١).

وَقَالَ (ج١/ص:٦٥): فَلَيْسَ فِي الذُّنُوبِ أَفْسَدُ لِلْقَلْبِ وَالدِّينِ مِنْ هَاتَيْنِ الْفَاحِشَتَيْنِ، وَلَهُمَا خَاصِيَّةٌ فِي تَبْعِيدِ الْقَلْبِ مِنَ اللهِ؛ فَإِنَّهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الْخَبَائِثِ.ا.هـ.

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالنَّهْيُ عَنْ قُرْبَانِهِ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ عَنْ مُجَرَّدِ فِعْلِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَشْمَلُ النَّهْيَ عَنْ جَمِيعِ مُقَدِّمَاتِهِ وَدَوَاعِيهِ؛ فَإِنَّ مَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوْشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، خُصُوصًا هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّفُوسِ أَقْوَى دَاعٍ إِلَيْهِ».

وَمُقَدِّمَاتُ الزِّنَا وَدَوَاعِيهِ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ عَمَّتْ بِهَا الْبَلْوَى، وَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى.

◄ فَمِنْهَا: إِطْلَاقُ النَّظَرِ فِيمَا حَرَّمَ اللهُ ﷻ، وَهُوَ مِنْ أَحْصَرِ الطُّرُقِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى فَسَادِ الْقُلُوبِ، وَرُبَّ نَظْرَةٍ مُحَرَّمَةٍ جَرَّتْ إِلَى ارْتِكَابِ الزِّنَا أَوْ الْقُرْبِ مِنْهُ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَكَمَا قِيْلَ:

نَظْرَةٌ، فَابْتِسَامَةٌ، فَسَلَامٌ ... فَكَلَامٌ، فَمَوْعِدٌ، فَلِقَاءُ!

وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيْلَ:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ
كَمْ نَظْرَةٍ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا ... فَتْكَ السِّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرِ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا ... فِي أَعْيُنِ الْغِيدِ مَوْقُوفٌ عَلَى خَطَرِ
يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ ... لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ

وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ ﷻ بِالْغَضِّ مِنَ الْأَبْصَارِ قَبْلَ أَمْرِهِ بِحِفْظِ الْفُرُوجِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١].

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّظَرَ الْحَرَامَ زِنَا الْعَيْنِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا،**

مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٦٥٧). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٢٤٣، و٦٦١٢) بَعْضَهُ.

لَقَدْ فُتِحَ هَذَا الشَّرُّ عَلَى النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ عَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ، فَالْقَنَوَاتُ وَالْمَوَاقِعُ الْإِبَاحِيَّةُ عَلَى شَبَكَةِ الْإِنترنت لَا تَتَوَقَّفُ عَن بَثِّ مَشَاهِدِ الْخَنَا وَالزِّنَا وَاللِّوَاطِ والرَّقْصِ وَالْمُجُونِ وَنَقْلِ صُوَرِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ العُرَاةِ وَهُمْ يَتَسافَدُونَ تَسَافُدَ الْحُمُرِ!.

وَكَذَا مَا يَتَنَاقَلُهُ الْفُسَّاقُ عَن طَرِيْقِ ذَوَاكِرِ الْجَوَّالَاتِ، وَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ الَّتِي تُشَارِكُ التِّلْفَازَ فِي هَذِهِ الْمَفَاسِدِ كُلِّهَا، بَل رُبَّمَا زَادَتْ عَلَيْهَا، إِذَا أُسِيْءَ اسْتِعْمَالُهَا.

لَقَدْ أَصْبَحَ التِّلْفَازُ دَاعِيَةَ الْعَصْرِ إِلَى الرَّذِيْلَةِ، وَالْخَنَا، وَالدَّعَارَةِ، وَالتَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ، وَالِانحِطَاطِ الْأَخْلَاقِيِّ!، وَهُوَ الْآنَ فِي أَكْثَرِ بُيُوتِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَالْبُيُوتُ الَّتِي تَخْلُو مِنْهُ قَلِيْلَةٌ!.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

◄ فَمِن مُقَدِّمَاتِ الزِّنَا وَدَوَاعِيْهِ أَيْضًا: الْغِنَاءُ، قَال ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [لقمان:٦].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هُوَ - وَاللهِ - الْغِنَاءُ».(١)

(١) قال الحاكم (رقم: ٣٥٤٢): «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في "تحريم آلات الطرب"(ص:١٤٣): «وهو كما قالا، وصححه ابن القيم».

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: فَإِنَّهُ رُقْيَةُ الزِّنَا، وَمَنبَتُ النِّفَاقِ، وَشَرَكُ الشَّيْطَانِ، وَخَمْرَةُ الْعَقْلِ، وَصَدُّهُ عَنِ الْقُرْآنِ أَعْظَمُ مِن صَدِّ غَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ؛ لِشِدَّةِ مَيْلِ النُّفُوسِ إِلَيْهِ، وَرَغْبَتِهَا فِيْهِ.(١)

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِنَّ الْغِنَاءَ - كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - هُوَ رُقْيَةُ الزِّنَا، وَقَدْ شَاهَدَ النَّاسُ أَنَّهُ مَا عَانَاهُ صَبِيٌّ إِلَّا وَفَسَدَ، وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا وَبَغَتْ، وَلَا شَابٌّ إِلَّا وَإِلَّا، وَلَا شَيْخٌ إِلَّا وَإِلَّا، وَالْعِيَانُ مِنْ ذَلِكَ يُغْنِي عَنِ الْبُرْهَانِ، وَلَاسِيَّمَا إِذَا جَمَعَ هَيْئَةً تَحْدُو النُّفُوسَ أَعْظَمَ حَدْوٍ إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَالْفُجُورِ، بِأَنْ يَكُونَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي لِأَهْلِهِ، مِنَ الْمَكَانِ وَالْإِمْكَانِ، وَالْعُشَرَاءِ وَالْإِخْوَانِ، وَآلَاتِ الْمَعَازِفِ مِنَ الْيَرَاعِ، وَالدُّفِّ، وَالْأَوْتَارِ وَالْعِيدَانِ، وَكَانَ الْقَوَّالُ شَادِنًا شَجِيَّ الصَّوْتِ، لَطِيْفَ الشَّمَائِلِ مِنَ الْمُرْدَانِ أَوِ النِّسْوَانِ، وَكَانَ الْقَوْلُ فِي الْعِشْقِ وَالْوِصَالِ، وَالصَّدِّ وَالْهِجْرَانِ.ا.هـ.(٢)

◄ وَمِن مُّقَدِّمَاتِ الزِّنَا وَدَوَاعِيْهِ: اخْتِلَاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ الْأَجْنَبِيَّاتِ، أَوِ الْخَلْوَةُ بِهِنَّ، فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»**. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: **«الحَمْوُ المَوْتُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٢٣٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢١٧٢).

وَالْحَمْوُ: قَرِيْبُ الزَّوْجِ، كَأَخِيْهِ، وَابْنِ عَمِّهِ، وَنَحْوِهِمَا، وَيُسْتَثْنَى مِنْهُمْ: آبَاءُ الزَّوْجِ وَأَبْنَاؤُهُ؛ فَإِنَّهُم مِّن مَّحَارِمِ الْمَرْأَةِ.

وَقَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الْحَمْوُ الْمَوْتُ»**، مَعْنَاهُ: أَنَّ الْخَوْفَ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ، وَالشَّرُّ يُتَوَقَّعُ مِنْهُ، وَالْفِتْنَةُ أَكْثَرُ؛ لِتَمَكُّنِهِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَرْأَةِ وَالْخَلْوَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنكَرَ عَلَيْهِ، بِخِلَافِ الْأَجْنَبِيِّ. قَالَهُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَقَالَ: وَلَا يُوصَفُونَ بِالْمَوْتِ، وَعَادَةُ النَّاسِ الْمُسَاهَلَةُ فِيهِ، وَيَخْلُو بِامْرَأَةِ أَخِيهِ، فَهَذَا هُوَ الْمَوْتُ، وَهُوَ أَوْلَى بِالْمَنْعِ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ.ا.هـ.

---

(١) "إغاثة اللهفان"(ج١/ص: ٢٤٠).

(٢) "مدارج السالكين"(ج١/ص: ٤٩٤).

وَعِندَ التِّرْمِذِيِّ (رقم: ١١٧٣)، وَالْبَزَّارِ (رقم: ٢٠٦١) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**».

زَادَ الْبَزَّارُ (رقم: ٢٠٦١): «**وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا**».(١)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:١٨٦٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم:١٣٤١).

فَهَذِهِ الْأَدِلَّةُ وَنَظَائِرُهَا دَالَّةٌ عَلَى حُرْمَةِ اخْتِلَاطِ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ الْأَجْنَبِيَّاتِ؛ وَمَا حُرِّمَ هَذَا الِاخْتِلَاطُ إِلَّا سَدًّا لِّلذَّرِيعَةِ الْوُقُوعِ فِي الزِّنَا.

◄ وَمِن مُّقَدِّمَاتِ الزِّنَا وَدَوَاعِيهِ: تَبَرُّجُ النِّسَاءِ وَسُفُورُهُنَّ، وَتَرْكُهُنَّ الْحِشْمَةَ وَعَدَمُ تَقَيُّدِهِنَّ بِالْحِجَابِ الشَّرْعِيِّ، وَاسْتِعْرَاضُهُنَّ مَفَاتِنَهُنَّ، سَوَاءٌ فِي الْأَسْوَاقِ، أَوْ فِي الْمَدَارِسِ وَالْجَامِعَاتِ، أَوْ فِي حَفَلَاتِ الْأَعْرَاسِ، أَوْ فِي غَيْرِهَا.

وَفِي هَذَا فَتْحٌ لِبَابِ الْخَنَا عَلَى مِصْرَاعَيْهِ، وَوَاللَّهِ لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ عَنِ الْمَسْتُورِ لَهَالَ ذَلِكَ كُلَّ غَيُورٍ عَلَى الدِّيْنِ وَالْحُرُمَاتِ، فَكَم مِّن قِصَّةٍ مُّؤْلِمَةٍ قَرَعَتِ الْأَسْمَاعَ قَرْعًا، وَنَزَلَتْ عَلَى الْقُلُوبِ كَالصَّوَاعِقِ، لِنِسَاءٍ اسْتُدْرِجْنَ إِلَى فَخِّ الرَّذِيْلَةِ، وَغُرَفِ الْخَنَا وَالدَّعَارَةِ، بِطَرِيْقَةٍ أَوْ أُخْرَى، وَمِن تِلْكَ الطُّرُقِ: تَصْوِيْرُهُنَّ مُتَبَرِّجَاتٍ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ، إِمَّا فِي الْكَوَافِيْرِ، أَوْ فِي حَفَلَاتٍ خَاصَّةٍ، وَمِنْهَا: الْمُرَاسَلَاتُ عَبْرَ الْجَوَّالَاتِ، وَخَدَمَاتِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ، كَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ: الْوَاتَس وَالْفَايْسْبُوك.

فَأَيْنَ الْغَيْرَةُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَأَيْنَ تَعْظِيْمُ الدِّيْنِ، وَحِفْظُ الْحُرُمَاتِ، أَدْرِكُوهَا قَبْلَ أَن يُفْسِدَهَا الزِّنَا وَدَوَاعِيهِ وَمُقَدِّمَاتُهُ، وَاتَّعِظُوا بِمَا حَلَّ وَيَحُلُّ بِكُم، فَمَا قَلَّتِ الْبَرَكَاتُ وَلَا حَلَّتِ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا بِذُنُوبِ النَّاسِ وَإِفْسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرُّوم: ٤١].

---

(١) وصححه ابن خزيمة (رقم: ١٦٨٥، و١٦٨٦)، وابن حبان (رقم: ٥٥٩٨، و٥٥٩٩)، والألباني في "الإرواء"(رقم: ٢٧٣)، وفي "الصحيحة"(رقم: ٢٦٨٨).

الإرشاد إلى سبُل وثمار التوفيق والسداد

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:- فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٢٧) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«قُلِ: اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ: **«قُلِ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ»**.

هَذَا الْحَدِيْثُ تَضَمَّنَ دُعَاءً جَامِعًا، أَرْشَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلِيًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَيهِ، وَقَدْ **«كَانَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ»**، كَمَا عِندَ أَحْمَدَ (رقم:٢٥١٥١)، وَأَبِي دَاوُدَ (رقم:١٤٨٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.(١)

(١) وصححه ابن حبان (رقم:٨٦٧)، والحاكم (رقم:١٩٧٨)، والألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ١٣٣٢)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٥٤٧)، وقالا: «صحيح على شرط مسلم».

وَقَد تَّضَمَّنَ هَذَا الدُّعَاءُ مَطْلُوبَيْنِ عَظِيْمَيْنِ، هُمَا مَقْصُودُ الْمُؤْمِنِ الْحَرِيْصِ عَلَى رِضْوَانِ رَبِّهِ، **أولهما**: الْهُدَى، وَهُوَ: الرَّشَادُ. **وثانيهما**: السَّدَادُ، وَهُوَ: التَّوْفِيْقُ وَالْإِصَابَةُ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمَعْنَى (سَدِّدْنِي): وَفِّقْنِي، وَاجْعَلْنِي مُنْتَصِبًا فِي جَمِيعِ أُمُورِي مُسْتَقِيمًا، وَأَصْلُ السَّدَادِ: الِاسْتِقَامَةُ وَالْقَصْدُ فِي الْأُمُورِ، وَأَمَّا الْهُدَى هُنَا فَهُوَ: الرَّشَادُ، وَمَعْنَى: (اذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقِ وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ)، أَيْ: تَذَكَّرْ ذَلِكَ فِي حَالِ دُعَائِكَ بِهَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ؛ لِأَنَّ هَادِيَ الطَّرِيْقِ لَايَزِيْغُ عَنْهُ، وَمُسَدَّدَ السَّهْمِ يَحْرِصُ عَلَى تَقْوِيمِهِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ رَمْيُهُ حَتَّى يُقَوِّمَهُ، وَكَذَا الدَّاعِي يَنْبَغِي أَنْ يَحْرِصَ عَلَى تَسْدِيدِ عِلْمِهِ وَتَقْوِيمِهِ وَلُزُومِهِ السُّنَّةَ.ا.هـ.

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِيْنَ بِالسَّدَادِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب:٧٠].

وَكَذَا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ بِالسَّدَادِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ»** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ: **«وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ»** قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: **«وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ»**.(٢)

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي مَعْنَى هَذَيْنِ الْحَدِيْثَيْنِ: أَي: اطْلُبُوا السَّدَادَ وَاعْمَلُوا بِهِ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْهُ فَقَارِبُوا، أَي: اقْرُبُوا مِنْهُ، وَالسَّدَادُ: الصَّوَابُ، وَهُوَ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، فَلَا تَغْلُوا وَلَا تُقَصِّرُوا.ا.هـ.

---

(١) البخاري (رقم: ٥٦٧٣، و٦٤٦٣)، ومسلم (رقم: ٢٨١٦).

(٢) البخاري (رقم: ٦٤٦٧)، ومسلم (رقم: ٢٨١٨).

وَالتَّوْفِيْقُ لِلصَّوَابِ لَهُ أَسْبَابٌ، مَذْكُورَةٌ فِي نُصُوصِ السُّنَّةِ وَقَبْلَ ذَلِكَ فِي نُصُوصِ الْكِتَابِ، مَنْ أَخَذَ بِهَا كَانَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلِ السَّدَادِ، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨].

◄ وَأَهَمُّ هَذِهِ الْأَسْبَابِ:

١- **الإخلاص لرب العالمين:** فَلَا فَلَاحَ وَلَا رَشَادَ، وَلَا هُدًى وَّلَا سَدَادَ، إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ لِرَبِّ الْعِبَادِ.

وَالْأَدِلَّةُ عَلَى وُجُوبِهِ وَاشْتِرَاطِهِ لِصَلَاحِ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ مَعْلُوْمَةٌ، مِنْهَا قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وَقَوْلُهُ ﷺ فِي الْحَدِيْثِ الْقُدْسِيِّ: **«أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم:٢٩٨٥).

وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى»**. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:٦٦٨٩)، وَمُسْلِمٌ (رقم:١٩٠٧) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْإِخْلَاصُ شَاقٌّ عَلَى النُّفُوسِ؛ لِأَنَّهَا لَا حَظَّ لَهَا مِنْهُ؛ لَذَا وَجَبَ تَرْوِيْضُهَا عَلَيْهِ.

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا عَالَجْتُ شَيْئاً أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي، مَرَّةً عَلَيَّ، وَمَرَّةً لِي». أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي "الْحِلْيَةِ"(ج٧/ص: ٥، وص: ٦٢) مِن طَرِيْقَيْنِ عَنْهُ.

فَصَلَاحُ النِّيَّةِ وَحُسْنُ الْقَصْدِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ التَّوْفِيْقِ، قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ مِنَ "السِّيَرِ"(ج١٩/ص: ٣٢٩): «فَبِحُسْنِ قَصْدِ الْعَالِمِ يُغْفَرُ لَهُ وَيَنجُو، إِنْ شَاءَ اللهُ».

◄ وَمِنْ أَهَمِّهَا أَيْضًا:

٢- **لُزُوم السُّنَّةِ على كل حال:** قَالَ ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [ص: ٢٦].

وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: **«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ إِلَّا النَّسَائِيَّ.(١)

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ (رقم:١٧١٤٢)، وَابْنِ مَاجَهْ (رقم:٤٣): **«قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»**.

وَعِندَ الدَّارِمِيِّ (رقم:٩٧) وَغَيْرِهِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفِي ذَهَابِ الْعِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ».

وَالزُّهْرِيُّ تَابِعِيٌّ مَشْهُورٌ، وَقَدْ أَدْرَكَ بَعْضَ مَشَاهِيرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَرَوَى عَنْهُ.

فَكُلَّمَا كَانَ الْإِنسَانُ أَلْزَمَ لِلسُّنَّةِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى التَّوْفِيقِ وَأَبْعَدَ عَنِ الْخِذْلَانِ.

وَالسَّعِيدُ مَن وُّعِظَ بِغَيْرِهِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْبِدَعِ فِي غَيِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ، وَيَخْبِطُونَ خَبْطَ عَشْوَاءَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِبُعْدِهِمْ عَنِ السُّنَّةِ.

---

(١) أخرجه أحمد (رقم:١٧١٤٢، و١٧١٤٤، و١٧١٤٥، و١٧٥٤٦، و١٧٥٤٧)، وأبو داود (رقم: ٤٦٠٧)، والترمذي (رقم:٢٦٧٦)، وابن ماجة (رقم:٤٣، و٤٤)، وصححه الحاكم (رقم:٣٣١)، والألباني، وحسنه الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٩٢١)، وله شواهد، راجعها في: "الإرواء"(ج٨/صـ:١٠٧-١٠٩)(رقم: ٢٤٥٥)، و"الصحيحة"(رقم:٩٣٧)، و(رقم:٢٧٣٥)، و"تحقيق المسند"(ج٢٨/صـ:٣٦٧-٣٧١، وصـ:٣٧٣-٣٧٧).

◄ وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ التَّوْفِيْقِ:

٣- **الْعِنَايَةُ بِالْفِقْهِ فِي الدِّيْنِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ**، فَإِنَّهُ نُورٌ.

وَأَصْلُ نُورِ الْعِلْمِ: كِتَابُ اللهِ ﷻ، قَالَ ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[النساء: ١٧٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣].

بِنُورِ الْعِلْمِ يُكْشَفُ كُلُّ رَيْبٍ ... وَيُبْصِرُ وَجْهَ مَطْلَبِهِ الْمُرِيدُ

فَأَهْلُ الْعِلْمِ فِي رَحَبٍ وَقُرْبٍ ... لَهُمْ مِمَّا اشْتَهَوْا أَبَدًا مَزِيدُ

إِذَا عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا فَكُلٌّ ... لَهُ مِمَّا ابْتَغَاهُ مَا يُرِيدُ

فَإِنْ سَكَتُوا فَفِكْرٌ فِي مَعَادٍ ... وَإِنْ نَطَقُوا فَقَوْلُهُمْ سَدِيدُ

وَمِنْ أُصُولِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ أَيْضًا: الْعِنَايَةُ بِحَدِيْثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ الْبُوَيْطِيُّ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُوْلُ: «عَلَيْكُمْ بِأَصْحَابِ الحَدِيْثِ، فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ صَوَابًا». أَسْنَدَهُ الذَّهَبِيُّ فِي "سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ"(ج١٠/صـ: ٧٠).

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ أَيْضًا فِي تَرْجَمَةِ يَحْيَى بْنِ مَعِيْنٍ مِن "السِّيَرِ"(ج١١/صـ: ٨٢): «وَنَحْنُ لَا نَدَّعِي العِصْمَةَ فِي أَئِمَّةِ الجَرحِ وَالتَّعدِيلِ، لَكِنْ هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ صَوَابًا، وَأَنْدَرُهُمْ خَطَأً، وَأَشَدُّهُم إِنصَافًا، وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ التَّحَامُلِ».

قَالَ الْخَطِيْبُ فِي "شَرْفِ أَصْحَابِ الْحَدِيْثِ"(صـ: ٧٧-٧٨): أَنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصُّورِيُّ لِنَفْسِهِ:

قُلْ لِمَنْ عَانَدَ الْحَدِيثَ وَأَضْحَى ... عَائِبًا أَهْلَهُ وَمَن يَّدَّعِيهِ

أَبِعِلْمٍ تَقُولُ هَذَا أَبِنْ لِي ... أَمْ بِجَهْلٍ فَالْجَهْلُ خُلْقُ السَّفِيهِ

أَيُعَابُ الَّذِينَ هُمْ حَفِظُوا الدِّ ينَ مِنَ التُّرَّهَاتِ وَالتَّمْوِيهِ
وَإِلَى قَوْلِهِمْ وَمَا قَدْ رَوَوْهُ رَاجِعٌ كُلُّ عَالِمٍ وَفَقِيهِ

◄ وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ:

٣- **الدُّعَاءُ**، كَمَا فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«قُلِ: اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي»**. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٢٧)، وَقَد تَقَدَّمَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: **«قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ»**.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو: **«رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا إِلَيْكَ، مُخْبِتًا، أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٩٩٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ١٥١٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٥٥١)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٨٣٠).(١)

وَالشَّاهِدُ مِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَسَدِّدْ لِسَانِي»**.

◄ وَمِنْهَا: الْإِكْثَارُ مِنَ النَّوَافِلِ، قَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: **«وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»**.(٢)

---

(١) وصححه الترمذي، وابن حبان (رقم: ٩٤٧، و٩٤٨)، والحاكم (رقم: ١٩١٠)، والضياء في "المختارة"(ج١١/ص: ٧٢-٧٥)(رقم: ٦٥، و٦٦، و٦٧، و٦٨، و٦٩)، والألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ١٣٥٣)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٦٠٦).

(٢) رواه البخاري (رقم: ٦٥٠٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فيما يرويه عن ربه عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِيْنٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَدْ أَخَذَ السَّلَفُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِظَاهِرِ الْحَدِيْثِ، وَأَجْرَوْهُ عَلَى حَقِيْقَتِهِ وَظَاهِرِهِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُسَدِّدُ الْوَلِيَّ فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَيَدِهِ وَرِجْلِهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ إِدْرَاكُهُ وَعَمَلُهُ إِخْلَاصًا للهِ، وَاسْتِعَانَةً بِهِ، وَفِي اللهِ تَعَالَى شَرْعًا وَاتِّبَاعًا، فَيَتِمُّ لَهُ بِذَلِكَ كَمَالُ الْإِخْلَاصِ وَالِاسْتِعَانَةِ وَالْمُتَابَعَةِ، وَهَذَا غَايَةُ التَّوْفِيْقِ، وَهَذَا مَا فَسَّرَهُ بِهِ السَّلَفُ.ا.هـ.(١)

◄ وَمِنْ أَعْظَمِهَا أَيْضًا: شُكْرُ اللهِ ﷻ، وَشُكْرُ النَّاسِ، فَقَدْ وَعَدَ اللهُ ﷻ مَن شَكَرَ بِالْمَزِيْدِ، فَقَالَ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٧٥٠٤، و٧٩٣٩، و٨٠١٩، و٩٠٣٤، و٩٩٤٤، و١٠٣٧٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٨١١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ١٩٥٤).(٢)

◄ وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ التَّوْفِيْقِ أَيْضًا: الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٢٣) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

◄ وَمِنْهَا: التَّوْبَةُ إِلَى اللهِ ﷻ؛ لِأَنَّ الْإِنسَانَ إِنَّمَا يُخْذَلُ بِذُنُوبِهِ، فَإِذَا تَابَ مِنْهَا أَمِنَ مَعَرَّتَهَا، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

---

(١) "القواعد المثلى في صفات الله وأسماءه الحسنى"، بتلخيصي وتعليقي (صـ:٧١).

(٢) وصححه الترمذي، وابن حبان (رقم: ٣٤٠٧)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٤١٦)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٣٣٠)، وقالا: «على شرط مسلم».

◄ وَمِنْهَا: مُجَالَسَةُ الصَّالِحِيْنَ، وَالتَّأَسِّي بِهِمْ، وَتَرْكُ صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»**.(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٨٠٢٨، و٨٤١٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم:٤٨٣٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم:٢٣٧٨).(٢)

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا، فَأَرَادَ بِهِ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، فَإِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم:٢٤٤١٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم:٢٩٣٢)، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ (رقم: ٤٤٩٤)، وَالْأَلْبَانِيُّ فِي "الصَّحِيحَةِ"(رقم: ٤٨٩).

◄ وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ: الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، وَالرَّغْبَةُ فِي الْآخِرَةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا**

---

(١) البخاري (رقم: ٢١٠١، و٥٥٣٤)، ومسلم (رقم: ٢٦٢٨).

(٢) قال الترمذي: «حسنٌ غريبٌ»، وصححه الحاكم (رقم:٧٣١٩، و٧٣٢٠)، ووافقه الذهبي، وكذا حسنه الألباني في "الصحيحة"(رقم:٩٢٧)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:١٢٧٢).

ذِكْرَ اللهِ، وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيِّ (رقم: ٢٣٢٢) وَابْنِ مَاجَهْ (رقم: ٤١١٢)، وَذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "الصَّحِيحَةِ"(رقم: ٢٧٩٧).

ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي "الْفَوَائِدِ"(صـ: ١٧٧): عَن شَقِيق بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَنَّهُ قَالَ: أُغْلِقَ بَابُ التَّوْفِيق عَنِ الْخَلْقِ مِن سِتَّةِ أَشْيَاءَ: اشْتِغَالُهُمْ بِالنعْمَةِ عَن شُكْرِهَا، وَرَغْبَتُهُمْ فِي الْعِلْمِ وَتَرْكُهُمُ الْعَمَلَ، وَالْمُسَارَعَةُ إِلَى الذَّنب وَتَأْخِيرُ التَّوْبَةِ، وَالِاغْتِرَارُ بِصُحْبَةِ الصَّالِحِيْنَ وَتَرْكُ الِاقْتِدَاءِ بِفِعَالِهِمْ، وَإِدْبَارُ الدُّنْيَا عَنْهُمْ وَهُمْ يَتْبَعُونَهَا، وَإِقْبَالُ الْآخِرَةِ عَلَيْهِمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ عَنْهَا.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَأَصْلُ ذَلِكَ عَدَمُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَأَصْلُهُ ضَعْفُ الْيَقِينِ، وَأَصْلُهُ ضَعْفُ الْبَصِيْرَةِ، وَأَصْلُهُ مَهَانَةُ النَّفْسِ وَدَنَاءَتُهَا، وَاسْتِبْدَالُ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَإِلَّا فَلَوْ كَانَتِ النَّفْسُ شَرِيْفَةً كَبِيْرَةً لَمْ تَرْضَ بِالدُّونِ، فَأَصْلُ الْخَيْرِ كُلِّهِ بِتَوْفِيق اللهِ وَمَشِيْئَتِهِ، وَشَرَفِ النَّفْسِ وَنُبْلِهَا وَكِبَرِهَا، وَأَصْلُ الشَّرِّ خِسَّتُهَا وَدَنَاءَتُهَا وَصِغَرُهَا.ا.هـ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ ثِمَارَ السَّدَّادِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالتَّوْفِيْقِ لِلصَّوَابِ عَظِيْمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمِنْهَا:

◄ صَلَاحُ الْأَعْمَالِ وَمَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ، قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

◄ وَمِنْهَا: حِفْظُ الذُّرِّيَّةِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

◄ وَمِنْهَا: حُسْنُ الْخَاتِمَةِ، فَعِندَ أَحْمَدَ (رقم: ١٢٠٣٦، و١٣٤٠٨)، وَالتِّرْمِذِيِّ (رقم: ٢١٤٢) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ»**، فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ لِّأَحْمَدَ (رقم: ١٢٢١٤): **«يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»**.(١)

وَعِندَ أَحْمَدَ (رقم: ١٧٧٨٤، و٢١٩٤٩)، وَابْنِ حِبَّانَ (رقم: ٣٤٢، و٣٤٣)، وَالْحَاكِمِ (رقم: ١٢٥٨) - وَاللَّفْظُ لَهُ - عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا عَسَلَهُ»**. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا عَسَلَهُ؟ قَالَ: **«يُوَفِّقُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ جِيرَانُهُ»**، أَوْ قَالَ: **«مَنْ حَوْلَهُ»**.(٢)

وَفِي الْبَابِ أَيْضًا: عَنْ أَبِي عِنَبَةَ الْخَوْلَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِندَ أَحْمَدَ (رقم: ١٧٧٨٤).

◄ وَمِن ثِمَارِ التَّوْفِيْقِ وَالسَّدَادِ: النَّجَاحُ، كَمَا يُنسَبُ إِلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَصْلُ العَمَلِ: التَّوْفِيْقُ. وَثَمَرَتُهُ: النُّجْحُ».

◄ وَأَعْظَمُ ثِمَارِ التَّوْفِيْقِ: الْجَنَّةُ، فَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٨٦٥).

---

(١) وصححه الترمذي، وابن حبان (رقم: ٣٤١)، والحاكم (رقم: ١٢٥٧)، والضياء في "المختارة" (ج٥/ص: ٢٩٣-٢٩٥)(رقم: ١٩٣٥، و١٩٣٦، و١٩٣٧، و١٩٣٨)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٣٣٥٧)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٠٠٤).

(٢) وصححه الألباني في "الصحيحة"(رقم: ١١١٤)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٠٠٤).

الصفوف مواعظ وأحكام

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:- فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيْمِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥﴾ [الصافات: ١ - ٥].

أَقْسَمَ اللهُ ﷻ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ سُورَةِ الصَّافَّاتِ عَلَى أُلُوهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ بِـ: الصَّافَّاتِ صَفًّا، وَهِيَ: الْمَلَائِكَةُ تَصُفُّ عِنْدَ رَبِّهَا، وَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا، وَهِيَ: الْمَلَائِكَةُ تَزْجُرُ السَّحَابَ، أَيْ: تَسُوقُهُ، وَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا، وَهِيَ: الْمَلَائِكَةُ تَتْلُو كَلَامَ اللهِ تَعَالَى.

وَقِيْلَ فِي الصَّافَّاتِ أَيْضًا: الْمَلَائِكَةُ تَصُفُّ أَجْنِحَتَهَا فِي الْهَوَاءِ وَاقِفَةً فِيهِ، حَتَّى يَأْمُرَهَا اللَّهُ بِمَا يُرِيدُ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالصَّافَّاتِ هُنَا الطَّيْرُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩].

وَقِيلَ: الصَّافَّاتُ: جَمَاعَاتُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا قَامُوا صَفًّا فِي الصَّلَاةِ أَوْ فِي الْجِهَادِ.

وَالصَّوَابُ الْأَوَّلُ، وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالصَّافَّاتِ: الْمَلَائِكَةُ تَصُفُّ عِنْدَ رَبِّهَا؛ كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَدِلَّةُ، فَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ فِي شَأْنِ الْمَلَائِكَةِ وَهِيَ تُخْبِرُ عَنْ بَعْضِ شُؤُونِهَا: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات: ١٦٤ - ١٦٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨]، وَقَالَ ﷻ: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢١ - ٢٢].

قَالَ ابْنُ فَوْرَكٍ وَالثَّعْلَبِيُّ وَالْقُرْطُبِيُّ وَالشَّوْكَانِيُّ: وَالصَّفُّ: تَرْتِيبُ الْجَمْعِ عَلَى خَطٍّ، كَالصَّفِّ فِي الصَّلَاةِ.ا.هـ.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ»**. وَذَكَرَ خَصْلَةً أُخْرَى. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٥٢٢).

وَهذا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ إِتْمَامَ الصُّفُوفِ الْأُوَلِ فِي الصَّلَاةِ وَالتَّرَاصَّ فِيهَا مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَكَانَتْ الْأُمَمُ الْمُتَقَدِّمَةُ يُصَلُّونَ مُنْفَرِدِينَ، كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حِدَةٍ، وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى حُصُولَ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ لِلْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ جَمَعَهُمْ، فَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَصَلَّى بِهِمْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«فَحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَأَمَّتُهُمْ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٧٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١)

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟»**. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: **«يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٤٣٠) أَيْضًا.

---

(١) راجع: "طرح التثريب"(ج٢/صـ: ١١٢)، و"فتح الباري"(ج٦/صـ: ٢٦٨-٢٦٩) لابن رجب.

وَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَوُوا، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يُرِيدُ بِكُمْ هَدْيَ الْمَلَائِكَةِ، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات: ١٦٥ - ١٦٦]، اسْتَوُوا، تَقَدَّمْ أَنْتَ يَا فُلَانُ، تَأَخَّرْ أَنْتَ أَيْ هَذَا، فَإِذَا اسْتَوُوا تَقَدَّمَ، فَكَبَّرَ». رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ (ج١٩/ صـ: ٦٥٣) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، وَجَعَلَ صُفُوفَنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا شُكْرُ اللهِ ﷻ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَيَجِبُ عَلَيْنَا أَيْضًا أَن نُّحَافِظَ عَلَى تَسْوِيَةِ صُفُوفِنَا فِي الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ هَذَا مِن جُمْلَةِ وَاجِبَاتِ الصَّلَاةِ؛ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِهِ أَصْحَابَهُ، وَيَحْرِصُ عَلَيْهِ قَبْلَ الدُّخُولِ فِي الصَّلَاةِ بِتَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ.

فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَفِي رِوَايَةٍ لِّمُسْلِمٍ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُسَوِّي صُفُوفَنَا، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ، حَتَّى رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ، حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ، فَرَأَى رَجُلًا بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فَقَالَ: ...، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِّأَبِي دَاوُدَ (رقم: ٦٦٢): **«أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ»** ثَلَاثًا، **«وَاللَّهِ لَتُقِيمُنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ»**. قَالَ: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ، وَرُكْبَتَهُ بِرُكْبَةِ صَاحِبِهِ، وَكَعْبَهُ بِكَعْبِهِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْأَظْهَرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ مَعْنَاهُ: يُوقِعُ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ وَاخْتِلَافَ الْقُلُوبِ؛ لِأَنَّ مُخَالَفَتَهُمْ فِي الصُّفُوفِ مُخَالَفَةٌ فِي ظَوَاهِرِهِمْ، وَاخْتِلَافُ الظَّوَاهِرِ سَبَبٌ لِّاخْتِلَافِ الْبَوَاطِنِ.ا.هـ.

وَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى وُجُوبِ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ.

---

(١) البخاري (رقم: ٧١٧)، ومسلم (رقم: ٤٣٦).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَظَاهِرُ هَذَا الْوَعِيْدِ يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ مَا تُوُعِّدَ عَلَيْهِ.ا.هـ.(١)

وَقَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ج٢/صـ: ٢٠٧): وَفِيهِ مِنَ اللَّطَائِفِ وُقُوعُ الْوَعِيدِ مِنْ جِنْسِ الْجِنَايَةِ، وَهِيَ الْمُخَالَفَةُ، وَعَلَى هَذَا فَهُوَ وَاجِبٌ وَالتَّفْرِيطُ فِيهِ حَرَامٌ.ا.هـ.

وَذَكَرَ الْأَلْبَانِيُّ فِي "الصَّحِيْحَةِ"(رقم: ٣٢) رِوَايَةَ أَبِي دَاوُد (رقم: ٦٦٢) الْآنِفَةَ الذِّكْرِ، ثُمَّ ذَكَرَ مِن فَوَائِدِ الْحَدِيْثِ: وُجُوبَ إِقَامَةِ الصُّفُوفِ وَتَسْوِيَتِهَا وَالتَّرَاصِّ فِيْهَا، لِلْأَمْرِ بِذَلِكَ، وَالْأَصْلُ فِيهِ الْوُجُوبُ إِلَّا لِقَرِينَةٍ، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي الْأُصُولِ، وَالْقَرِينَةُ هُنَا تُؤَكِّدُ الْوُجُوبَ، وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**»؛ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا التَّهْدِيدِ لَا يُقَالُ فِيمَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ، كَمَا لَا يَخْفَى.ا.هـ.

وَبَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيْحِهِ: (بَابُ إِثْمِ مَنْ لَمْ يُتِمَّ الصُّفُوفَ)، وَذَكَرَ حَدِيْثَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا أَنْكَرْتَ مِنَّا مُنْذُ يَوْمٍ عَهِدْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «مَا أَنْكَرْتُ شَيْئًا إِلَّا أَنَّكُمْ لَا تُقِيمُونَ الصُّفُوفَ».(٢)

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَفَرْضٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ تَعْدِيلُ الصُّفُوفِ - الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ - وَالتَّرَاصُّ فِيهَا، وَالْمُحَاذَاةُ بِالْمَنَاكِبِ، وَالْأَرْجُلِ، فَإِنْ كَانَ نَقْصٌ كَانَ فِي آخِرِهَا.(٣)

وَالْقَوْلُ بِالْوُجُوبِ هُوَ اخْتِيَارُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.(٤)

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْوَاجِبُ عَلَى الْمُصَلِّينَ إِقَامَةُ الصُّفُوفِ، وَسَدُّ الْفُرَجِ بِالتَّقَارُبِ، وَإِلْصَاقِ الْقَدَمِ بِالْقَدَمِ مِنْ غَيْرِ أَذًى مِّن بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَالْوَاجِبُ عَلَى الْإِمَامِ تَنبِيهُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَأَمْرُهُم بِإِقَامَةِ الصُّفُوفِ وَالتَّرَاصِّ فِيْهَا.ا.هـ.(٥)

---

(١) "فتح الباري"(ج٦/صـ: ٢٦٧).

(٢) البخاري (رقم: ٧٢٤).

(٣) "المحلى"(ج٢/صـ: ٣٧٣).

(٤) "الاختيارات الفقهية"(صـ: ٤١٦).

(٥) "مجموع فتاواه"(ج١٢/صـ: ٢٠٠).

وَقَالَ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تَسْوِيَةُ الصُّفُوفِ أَمْرٌ وَاجِبٌ، لَابُدَّ مِنْهُ، وَإِذَا تَرَكَهُ النَّاسُ كَانُوا آثِمِينَ عَاصِينَ لِلرَّسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ: وَهُوَ مِن مَّسْئُولِيَّاتِ الْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِينَ أَيْضًا، فَعَلَيْهِ تَفَقُّدُ الصَّفِّ وَتَسْوِيَتُهُ، وَعَلَيْهِمْ تَسْوِيَةَ صُفُوفِهِمْ وَتَرَاصَّهُمْ.

وَقَالَ: عُمُومُ الْأَدِلَّةِ تَدُلُّ عَلَى تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ فِي كُلِّ جَمَاعَةٍ، فِي الْفَرِيضَةِ، أَوِ النَّافِلَةِ، كَصَلَاةِ الْقِيَامِ، أَوِ الْجَنَازَةِ، أَوْ جَمَاعَةِ النِّسَاءِ، فَمَتَى شُرِعَ الصَّفُّ شُرِعَتْ فِيهِ الْمُسَاوَاةُ.(١)

وَرَجَّحَ الْوُجُوبَ أَيْضًا: شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْحَجُورِيُّ حَفِظَهُ اللهُ.

وَبَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ الصُّفُوفِ عَلَى الجِنَازَةِ)، وَذَكَرَ أَحَادِيْثَ، مِنْهَا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «نَعَى النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَصَفُّوا خَلْفَهُ، فَكَبَّرَ أَرْبَعًا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٢٤٥، و١٣١٨، و١٣٢٧، و١٣٣٣، و٣٣٨٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٩٥١).

وَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مُحَافِظًا عَلَى الْمُصَافَّةِ فِي الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَتْرُكْهَا حَتَّى فِي شِدَّةِ الْخَوْفِ، فَعَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «شَهِدتُّ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْخَوْفِ، فَصَفَّنَا صَفَّيْنِ، صَفٌّ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْعَدُوُّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، الْحَدِيث. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٨٤٠).

وَبَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ عِنْدَ الإِقَامَةِ وَبَعْدَهَا)، وَذَكَرَ فِيهِ حَدِيثَ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وَحَدِيْثَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ خَلْفَ ظَهْرِي»**.(٢)

قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وَكَانَ أَحَدُنَا يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ، وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ».(٣)

---

(١) "مجموع فتاواه"(ج١٣/صـ: ٢٢ - ٢٤).

(٢) البخاري (رقم: ٧١٨، و٧٢٥)، ومسلم (رقم: ٤٣٤).

(٣) البخاري (رقم: ٧٢٥).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا، قَالَ: أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: **«أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، وَتَرَاصُّوا، فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ (رقم: ٨١٣): **«اسْتَوُوا، اسْتَوُوا، اسْتَوُوا»**.

وَبَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ أَيْضًا بِقَوْلِهِ: (بَابُ إِقْبَالِ الإِمَامِ عَلَى النَّاسِ، عِنْدَ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ).

قُلْتُ: وَهَذِهِ سُنَّةٌ عَزِيزَةٌ، تَرَكَهَا أَكْثَرُ أَئِمَّةِ الْمَسَاجِدِ فِي زَمَانِنَا هَذَا، واللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَلَا يَكْفِي أَمْرُ الْإِمَامِ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ بِدُونِ تَوْجِيهِ الْمُصَلِّيْنَ، بَل لَّا بُدَّ أَن يَّتَفَقَّدَهُم بَعْدَ أَن يَّأْمُرَهُم بِالتَّسْوِيَةِ، وَيَأْمُرَ مَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ فِي التَّسْوِيَةِ وَالْمُرَاصَّةِ أَن يُّوَافِقَهَا.(٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: **«أَقِيمُوا الصَّفَّ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ الصَّلَاةِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٣)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٧٢٣)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٤٣٣)، وَلَفْظُهُ: **«سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ، مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ»**.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ، وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلَا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٥٧٢٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٦٦٦)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٨١١).(٤)

---

(١) البخاري (رقم: ٧١٩).

(٢) "مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ"(ج١٣/ صـ: ٤٨).

(٣) البخاري (رقم: ٧٢٢)، ومسلم (رقم: ٤٣٥).

(٤) وصححه الألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ٦٧٢).

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ: إِذَا جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الصَّفِّ، فَذَهَبَ يَدْخُلُ فِيهِ، فَيَنْبَغِي أَن يُّلِينَ لَهُ كُلُّ رَجُلٍ مَنْكِبَيْهِ، حَتَّى يَدْخُلَ فِي الصَّفِّ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا بِالْأَعْنَاقِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهَا الْحَذَفُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٣٧٣٥)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٦٦٧)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٨١٥).(١)

وَالحَذَفُ - بِحَاءٍ مُّهْمَلَةٍ وَذَالٍ مُّعْجَمَةٍ مَّفْتُوحَتَيْنِ ثُمَّ فَاءٍ -: غَنَمٌ سُودٌ صِغَارٌ، تَكُونُ بِاليَمَنِ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَتِمُّوا الصَّفَّ الْمُقَدَّمَ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٢٣٥٢، و١٣٢٤٧، و١٣٤٣٩، و١٣٤٤٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٦٧١)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٨١٨).(٢)

وَهَذِهِ الْأَدِلَّةُ قَد تَّضَمَّنَتِ الْأَمْرَ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ وَبَيَانَ ذَلِكَ، فَالتَّسْوِيَةُ الْمَأْمُورُ بِهَا: رَصُّ الصُّفُوفِ، وَالْمُقَارَبَةُ بَيْنَهَا، وَسَدُّ الْخَلَلِ، بِإِلْزَاقِ الْكَعْبِ بِالْكَعْبِ، وَالْمَنْكِبِ بِالْمَنْكِبِ، وَالْمُحَاذَاةُ بِالْأَعْنَاقِ وَالصُّدُورِ، وَإِتْمَامُ الصُّفُوفِ، الْأَوَّلَ، فَالْأَوَّلَ.

---

(١) وصححه ابن خزيمة (رقم: ١٥٤٥)، وابن حبان (رقم: ٦٣٣٩)، والضياء في "المختارة" (ج٧/صـ: ٤٠)(الأرقام: من: ٢٤٣٢، إلى: ٢٤٣٦)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (رقم: ٤٩٤)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٥٥).

(٢) وصححه ابن خزيمة (رقم: ١٥٤٦، و١٥٤٧)، وابن حبان (رقم: ٢١٥٥)، والضياء في "المختارة"(ج٦/صـ: ٣٥٠)(رقم: ٢٣٧٩)، والألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ٦٧٥)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٥٧).

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْفَوْزَانُ حَفِظَهُ اللهُ: وَلَيْسَ مَعْنَى رَصِّ الصُّفُوفِ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْجُهَّالِ الْيَوْمَ مِن فَحْجِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يُضَايِقَ مَن بِجَانِبِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْعَمَلَ يُوجِدُ فُرَجًا فِي الصُّفُوفِ، وَيُؤْذِي الْمُصَلِّينَ، وَلَا أَصْلَ لَهُ فِي الشَّرْعِ.ا.هـ.(١)

وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَيْضًا مَا يَفْعَلُهُ كَثِيْرٌ مِّنَ الْمُصَلِّينَ الْيَوْمَ مِنْ حِرْصِهِ عَلَى مُحَاذَاةِ أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ بِأَصَابِعِ رِجْلَي مَن بِجَانِبِهِ، وَلَكِن يُّضْبَطُ التَّسَاوِي بِالْكَعْبِ؛ لِأَنَّ الْبَدَنَ مُرَكَّبٌ عَلَيْهِ، وَأَقْدَامُ الْمُصَلِّينَ تَتَفَاوَتُ فِي الطُّولِ وَالْقِصَرِ، فَلْيَكُنِ الْحِرْصُ عَلَى إِلْزَاقِ الْكَعْبِ بِالْكَعْبِ، وَلَا يَضُرُّ مَعَهُ تَفَاوُتُ الْأَصَابِعِ تَقَدُّمًا وَتَأَخُّرًا.(٢)

وأمر آخر، يَنبَغِي التَّنبِيْهُ عَلَيْهِ أَيْضًا، وَهُوَ: أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْجَمَاعَةُ اثْنَيْنِ فَقَطْ، أَوْ وَقَفَ مَأْمُومٌ أَوْ أَكْثَرُ بِجَانِبِ الْإِمَامِ؛ لِضِيْقِ الْمَكَانِ بِالْمُصَلِّينَ، فَالسُّنَّةُ أَن يَّقِفَ الْمَأْمُومُ بِجَانِبِ الْإِمَامِ، عَن يَّمِيْنِه، مُتَسَاوِيَيْنِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَقُمْتُ أُصَلِّي مَعَهُ، فَقُمْتُ عَن يَّسَارِهِ، فَأَخَذَ بِرَأْسِي، فَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٣)

وَأَمَّا مَا تَفْعَلُهُ الْعَامَّةُ مِن تَأَخُّرِ الْمَأْمُومِ إِذَا وَقَفَ عَن يَّمِيْنِ الْإِمَامِ قَلِيْلًا عَنِ الْإِمَامِ، فَإِنَّهُ مُحْدَثٌ، لَا أَصْلَ لَهُ.(٤)

وَلَا يَجُوزُ أَن يَّتَقَدَّمَ الْمَأْمُومُ عَلَى إِمَامِهِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى (إِمَام) أَن يَّكُونَ مَكَانُهُ قُدَّامَ الْمَأْمُومِيْنَ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي قُدَّامَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَقَدْ عَدَّ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ذَلِكَ وَاجِبًا، لَا تَبْطُلُ الصَّلَاةُ بِالْإِخْلَالِ بِهِ، وَنَصَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بُطْلَانِ

---

(١) "الملخص الفقهي" (ج١/ صـ: ١٢٤).
ونحوه في: "مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ" (ج١٣/ صـ: ٥١).
(٢) راجع: "مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ" (ج١٣/ صـ: ٥١-٥٥).
(٣) البخاري (رقم: ٦٩٩، ومواضع أخرى)، ومسلم (رقم: ٧٦٣).
(٤) راجع: "فتاوى اللجنة الدائمة" (م.١) (ج٨/ صـ: ١٤).

صَلَاةِ مَن صَلَّى قُدَّامَ الْإِمَامِ، وَاسْتَثْنَى بَعْضُهُم مَّا دَعَتِ الضَّرُورَةُ إِلَيْهِ، مِثْلُ أَن يَّكُونَ الْمَسْجِدُ ضَيِّقًا، وَمَا حَوَالَيْهِ لَا يَسَعُ النَّاسَ، فَيُصَلِّي النَّاسُ عَنِ الْيَمِيْنِ وَالْيَسَارِ وَالْأَمَامِ وَالْخَلْفِ؛ لِأَجْلِ الضَّرُورَةِ.(١)

وتنبيه ثالث: أَنَّ تَكْثِيرَ الصُّفُوفِ فِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ، وَلَوْ لَمْ تَتِمَّ، لَمْ يَثْبُتْ فِيْهِ حَدِيْثٌ، بَلْ هُوَ مُخَالِفٌ لِلْأَحَادِيْثِ الصَّحِيْحَةِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُوبِ إِكْمَالِ الصُّفُوف الْأَوَّلَ، فَالْأَوَّلَ.(٢)

وتنبيه رابع: أَنَّ صَلَاةَ الْمُنفَرِدِ خَلْفَ الصَّفِّ بَاطِلَةٌ؛ فعَنْ عَلِيِّ بْنِ شَيْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ مِنَ الْوَفْدِ -، قَالَ: خَرَجْنَا، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَبَايَعْنَاهُ، وَصَلَّيْنَا خَلْفَهُ، ثُمَّ صَلَّيْنَا وَرَاءَهُ صَلَاةً أُخْرَى، فَقَضَى الصَّلَاةَ، فَرَأَى رَجُلًا فَرْدًا يُصَلِّي خَلْفَ الصَّفِّ، قَالَ: فَوَقَفَ عَلَيْهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ انصَرَفَ، قَالَ: **«اسْتَقْبِلْ صَلَاتَكَ، لَا صَلَاةَ لِلَّذِي خَلْفَ الصَّفِّ»**. أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٠٠٣).(٣)

وَكَذَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٦٢٩٧)، وَلَفْظُهُ: **«لَا صَلَاةَ لِرَجُلٍ فَرْدٍ خَلْفَ الصَّفِّ»**.

وَعَن وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي خَلْفَ الصَّفِّ وَحْدَهُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُعِيدَ الصَّلَاةَ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٨٠٠٠، و١٨٠٠٢، و١٨٠٠٣، و١٨٠٠٥، و١٨٠٠٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٦٨٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٣٠، و٢٣١)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٠٠٤).(٤)

---

(١) راجع: "فتاوى ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ"(ج١٣/صـ: ٤٤-٤٥).

(٢) "مجموع فتاوى ابن باز"(ج١٣/صـ: ١٣٩)، .

(٣) وصححه ابن خزيمة (رقم: ١٥٦٩)، وابن حبان (رقم: ٢٢٠٢، و٢٢٠٣)، والبوصيري في "مصباح الزجاجة"(رقم: ٣٢٤)، والألباني في "الإرواء"(ج٢/صـ: ٣٢٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٩٨١).

(٤) وصححه ابن خزيمة (رقم: ١٥٤٦، و١٥٤٧)، وابن حبان (رقم: ٢١٥٥)، والضياء في "المختارة"(ج٦/صـ: ٣٥٠)(رقم: ٢٣٧٩)، والألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ٦٧٥)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٥٧).

وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَدِيْثَيْنِ وَبَيْنَ حَدِيْثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ رَاكِعٌ، فَرَكَعَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّفِّ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا وَلَا تَعُدْ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٧٨٣).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا قِصَّةُ أَبِي بَكْرَةَ فَلَيْسَ فِيْهَا أَنَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَبْلَ دُخُولِهِ فِي الصَّفِّ، وَإِنَّمَا يُمْكِنُ التَّمَسُّكُ بِهَا لَوْ ثَبَتَ ذَلِكَ، وَلَا سَبِيْلَ إِلَيْهِ». (١)

وَقَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَجَمَعَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ بِوَجْهٍ آخَرَ، وَهُوَ أَنَّ حَدِيثَ أَبِي بَكْرَةَ مُخَصِّصٌ لِعُمُومِ حَدِيثِ وَابِصَةَ، فَمَنِ ابْتَدَأَ الصَّلَاةَ مُنفَرِدًا خَلْفَ الصَّفِّ، ثُمَّ دَخَلَ فِي الصَّفِّ قَبْلَ الْقِيَامِ مِنَ الرُّكُوعِ؛ لَمْ تَجِبْ عَلَيْهِ الْإِعَادَةُ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ، وَإِلَّا فَتَجِبُ عَلَى عُمُومِ حَدِيثِ وَابِصَةَ وَعَلِيِّ بْنِ شَيْبَانَ، وَاسْتَنبَطَ بَعْضُهُمْ مِنْ قَوْلِهِ: «**لَا تَعُدْ**» أَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ كَانَ جَائِزًا، ثُمَّ وَرَدَ النَّهْيُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: «**لَا تَعُدْ**»، فَلَا يَجُوزُ الْعَوْدُ إِلَى مَا نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْبُخَارِيِّ فِي "جُزْءِ الْقِرَاءَةِ خَلْفَ الْإِمَامِ". ا.هـ. (٢)

وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَن يَّجُرَّ أَحَدًا مِّنَ الصَّفِّ الَّذِي قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ فِيهِ قَطْعًا لِّلصَّفِّ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَن قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ**»، وَلِأَنَّهُ يُشَوِّشُ عَلَى الْمَجْرُورِ صَلَاتَهُ، وَيَنقُلُهُ مِن فَاضِلٍ إِلَى مَفْضُولٍ، وَأَمَّا حَدِيْثُ الْجَرِّ فَضَعِيْفٌ. (٣)

وَعَلَى هَذَا فَمَن لَّمْ يَجِدْ فُرْجَةً فِي الصَّفِّ، وَلَمْ يَتَمَكَّن مِّنْ أَن يَّصُفَّ عَن يَّمِيْنِ الْإِمَامِ، فَإِنَّهُ يَنتَظِرُ مَن يَّدْخُلُ؛ لِيَصُفَّ مَعَهُ، فَإِن لَّمْ يَجِدْ صَلَّى مَعَ جَمَاعَةٍ أُخْرَى، فَإِن لَّمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ ذَلِكَ صَلَّى مُنفَرِدًا بَعْدَ سَلَامِ الْإِمَامِ، وَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا

(١) "كتاب "الصلاة" (صـ: ١٠٩).

(٢) "فتح الباري" (ج٢/ صـ: ٢٦٩).

ولي في هذه المسألة رسالة، سميتها: "بسط الكف في حكم صلاة المنفرد خلف الصف"، فلتراجع.

(٣) راجع: "مجموع فتاوى ابن عثيمين" (ج١٣/ صـ: ٣٨)، و"الإرواء" (ج٢/ صـ: ٣٢٥).

﴿ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**».(١)

وَيُسْتَثْنَى مِنْ هَذَا: الْمَرْأَةُ إِن كَانَ مَعَهَا رِجَالٌ؛ فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ لَهُ، فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: «**قُومُوا، فَلِأُصَلِّ لَكُمْ**». قَالَ أَنَسٌ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا، قَدِ اسْوَدَّ مِن طُولِ مَا لُبِسَ، فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَصَفَفْتُ وَالْيَتِيمَ وَرَاءَهُ، وَالعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

وَفِي رِوَايَةٍ لِّلْبُخَارِيِّ (رقم: ٧٢٧، و٨٧١): قَالَ: «صَلَّيْتُ أَنَا وَيَتِيمٌ، فِي بَيْتِنَا خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَأُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ خَلْفَنَا».

وَقَدْ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: (بَابٌ: المَرْأَةُ وَحْدَهَا تَكُونُ صَفًّا).

وَبَوَّبَ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِقَوْلِهِ: (بَابُ صَلاَةِ النِّسَاءِ خَلْفَ الرِّجَالِ).

وَعَلَى هَذَا فَلَوْ أَمَّ الرَّجُلُ امْرَأَةً، كَزَوْجَتِهِ، فَإِنَّ مَقَامَهَا يَكُونُ خَلْفَهُ، فَمِنَ الْخَطَإِ مَا يَفْعَلُهُ كَثِيْرٌ مِّنَ الْعَامَّةِ مِنْ إِقَامَةِ الْمَرْأَةِ بِجَانِبِهِ عَن يَّمِيْنِهِ فِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ.

فَأَمَّا إِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَعَ نِسَاءٍ فَإِنَّ صَلَاتَهَا وَحْدَهَا خَلْفَ الصَّفِّ لَا تَصِحُّ.(٣)

ومما ينبغي التنبيه عليه أيضًا: أَنَّ الْمُرُورَ بَيْنَ يَدِي صُفُوفِ الْمُصَلِّينَ لَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ وَلَا يَنقُصُ مِنْ أَجْرِ الْمُصَلِّي؛ لِأَنَّ سُتْرَةَ الْإِمَامِ سُتْرَةٌ لَّهُمْ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الِاحْتِلَامَ، وَرَسُولُ اللَّهِ

---

(١) "فتاوى اللجنة الدائمة"(م.١)(ج٨/ص: ٩) برئاسة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.
والحديث: رواه البخاري (رقم: ٧٢٨٨)، ومسلم (رقم: ١٣٣٧).

(٢) البخاري (رقم: ٣٨٠، و٨٦٠)، ومسلم (رقم: ٦٥٨).

(٣) "فتاوى ابن عثيمين"(ج١٣/ص: ٣٩).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ بِمِنًى، فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيِ الصَّفِّ، فَنَزَلْتُ، فَأَرْسَلْتُ الْأَتَانَ تَرْتَعُ، وَدَخَلْتُ فِي الصَّفِّ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيَّ أَحَدٌ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَقَدْ بَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: (بَابُ: سُتْرَةُ الإِمَامِ سُتْرَةُ مَنْ خَلْفَهُ)، وَنَقَلَ ابْنُ عَبْدُ الْبَرِّ فِي "التَّمْهِيدِ"(ج٤/صـ: ١٨٧-١٨٨)، وَ"الِاسْتِذْكَارِ"(ج٢/صـ: ٢٧٤)، وَابْنُ حَزْمٍ فِي "الْمُحَلَّى"(ج٢/صـ: ٣٢٥) الْإِجْمَاعَ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الْمُغْنِي"(ج٢/صـ: ١٧٥): وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ: سُتْرَةُ الْإِمَامِ سُتْرَةٌ لِمَنْ خَلْفَهُ: أَنَّهُ مَتَى لَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْإِمَامِ وَسُتْرَتِهِ شَيْءٌ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ، فَصَلَاةُ الْمَأْمُومِينَ صَحِيحَةٌ، لَا يَضُرُّهَا مُرُورُ شَيْءٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فِي بَعْضِ الصَّفِّ، وَلَا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِمَامِ، وَإِنْ مَرَّ مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ بَيْنَ الْإِمَامِ وَسُتْرَتِهِ قَطَعَ صَلَاتَهُ وَصَلَاتَهُمْ.ا.هـ.

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَا يَقْطَعُ النِّسَاءُ بَعْضُهُنَّ صَلَاةَ بَعْضٍ.

وَقَالَ أَيْضًا: وَأَمَّا النِّسَاءُ فَقَدْ أَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنَّ خَيْرَ صُفُوفِهِنَّ آخِرُهَا، فَصَحَّ أَنَّهُ لَا يَقْطَعُ بَعْضُهُنَّ صَلَاةَ بَعْضٍ.ا.هـ.(٢)

فَاحْرِصْ عَلَى امْتِثَالِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فِي تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ، وَاحْرِصْ أَيْضًا عَلَى فَضِيلَةِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَن يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٣)

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: **«لَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ مَا كَانَتْ إِلَّا قُرْعَةً»**.

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ، يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا، وَيَقُولُ: **«لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ**

(١) البخاري (رقم: ٧٦، و٤٩٣، و٨٦١، و١٨٥٧، و٤٤١٢)، ومسلم (رقم: ٥٠٤).

(٢) "المحلى"(ج٢/صـ: ٣٢٠).

والحديث المذكور رواه مسلم (رقم: ٤٤٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسيأتي قريبًا.

(٣) البخاري (رقم: ٦١٥، و٦٥٣، و٧٢١، و٢٦٨٩)، ومسلم (رقم: ٤٣٧) عن أبي هريرة.

قُلُوبُكُمْ». وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الْأُوَلِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٨٥١٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٦٦٤)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٨١١).(١)

وَفِي رِوَايَةِ النسائيِّ (رقم: ٦٤٦): «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ».

وَلِابْنِ مَاجَهْ (رقم: ٩٩٧): «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ».

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لِيَلِنِي مِنكُمْ، أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثَلَاثًا، وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ».

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». رَوَاهُمَا مُسْلِمٌ (رقم: ٤٣٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ». رَوَاهُمَا مُسْلِمٌ (رقم: ٤٣٨).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٤٤٠).

وَقَدْ كَانَتِ النِّسَاءُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيْنَ خَلْفَ الرِّجَالِ مِنْ غَيْرِ حَائِلٍ وَّلَا سِتْرٍ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ صُفُوفِهِنَّ آخِرُهَا؛ لِأَنَّهُ أَسْتَرُ لَهُنَّ، وَأَبْعَدُ لَهُنَّ عَن مُّخَالَطَةِ الرِّجَالِ وَرُؤْيَتِهِمْ وَتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِهِمْ عِندَ رُؤْيَةِ حَرَكَاتِهِمْ وَسَمَاعِ كَلَامِهِمْ، وَأَصْوَنُ لِلرِّجَالِ مِنْ أَن يَّشْغَلْنَ بَالَهُمْ، وَرُبَّمَا أَفْسَدْنَ عَلَيْهِمُ الْعِبَادَةَ

(١) وصححه ابن خزيمة (رقم: ١٥٥١، و١٥٥٢، و١٥٥٦، و١٥٥٧)، وابن حبان (رقم: ٢١٥٧، و٢١٦١)، والحاكم (رقم: ٢١١٢، و٢١١٣)، والألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ٦٧٠)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٣٣).

وَشَوَّشْنَ النِّيَّةَ وَالْخُشُوعَ، فَإِذَا كَانَ الشَّارِعُ حَسَمَ مَادَّةَ ذَلِكَ فِي مَوَاطِنِ الْعِبَادَةِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَحْصُلِ اخْتِلَاطٌ، وَإِنَّمَا هُوَ مُقَارَبَةُ ذَلِكَ، فَكَيْفَ إِذَا وَقَعَ الِاخْتِلَاطُ!.(١)

رَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٨٣٧، و٨٤٩، و٨٧٠) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ، وَيَمْكُثُ هُوَ فِي مَقَامِهِ يَسِيرًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ».

قَالَ الزُّهْرِيُّ: نَرَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِكَيْ يَنصَرِفَ النِّسَاءُ، قَبْلَ أَن يُدْرِكَهُنَّ أَحَدٌ مِّنَ الرِّجَالِ.

فَأَمَّا إِذَا كَانَ لِلنِّسَاءِ مَكَانٌ خَاصٌّ بِهِنَّ، كَمَا يُوجَدُ الْآنَ فِي أَكْثَرِ الْمَسَاجِدِ، فَإِنَّ خَيْرَ صُفُوفِ النِّسَاءِ أَوَّلُهَا، كَالرِّجَالِ؛ لِزَوَالِ الْمَحْظُورِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الْمَجْمُوعِ"(ج٤/صـ: ٣٠١): وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالصَّفِّ الْأَوَّلِ الصَّفُّ الَّذِي يَلِي الْإِمَامَ، سَوَاءٌ تَخَلَّلَهُ مِنْبَرٌ وَمَقْصُورَةٌ وَأَعْمِدَةٌ وَغَيْرُهَا أَمْ لَا.ا.هـ.

وَيُكْرَهُ الصَّفُّ بَيْنَ السَّوَارِي، فَعَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ مَحْمُودٍ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَدُفِعْنَا إِلَى السَّوَارِي، فَتَقَدَّمْنَا وَتَأَخَّرْنَا، فَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«كُنَّا نَتَّقِي هَذَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٢٣٣٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٦٧٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٢٩)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٨٢١).(٢)

وَلَفْظُ التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ: (فَصَلَّيْنَا بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ).

---

(١) "فتاوى اللجنة الدائمة"(م.١)(ج٢/صـ: ٨٧-٨٨)، و"فتاوى ابن باز"(ج١٢/صـ: ١٩٧)، و"فتاوى ابن عثيمين"(ج١٣/صـ: ٢٣، و٣٦)، و"فتاوى أركان الإسلام"(صـ: ٣١١).

(٢) وحسنه الترمذي، وصححه ابن خزيمة (رقم: ١٥٦٨)، وابن حبان (رقم: ٢٢١٨)، والحاكم (رقم: ٧٦٢)، ووافقه الذهبي، وتبعهما الألباني في "الثمر المستطاب"(صـ: ٤١٠)، وفي "صحيح أبي داود"(رقم: ٦٧٧)، وصححه أيضًا: الضياء في "المختارة"(ج٦/صـ: ٢٦٧)(رقم: ٢٢٨٧، و٢٢٨٨)، والحافظ في "الفتح"(ج١/صـ: ٥٧٨).

وَبَوَّبَ عَلَيْهِ التِّرْمِذِيُّ بِقَوْلِهِ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الصَّفِّ بَيْنَ السَّوَارِي)، وَقَالَ: «وَقَدْ كَرِهَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ أَنْ يُصَفَّ بَيْنَ السَّوَارِي، وَبِهِ يَقُولُ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ».

وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "الصَّحِيحَةِ"(ج١/ص: ٦٥٦): وَهَذَا الْحَدِيثُ نَصٌّ صَرِيحٌ فِي تَرْكِ الصَّفِّ بَيْنَ السَّوَارِي، وَأَنَّ الْوَاجِبَ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ.ا.هـ.

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهَذَا -واللهُ أَعْلَمُ-؛ لِأَنَّ الْأُسْطُوَانَةَ تَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ وَصْلِ الصَّفِّ، فَإِنْ كَانَ مُنْفَرِدًا أَوْ لَمْ يُجَاوِزُوا مَا بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ لَمْ يُكْرَهْ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.(١)

ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَأَلْتُ بِلَالًا، فَقُلْتُ: أَصَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الكَعْبَةِ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، رَكْعَتَيْنِ، بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ اللَّتَيْنِ عَلَى يَسَارِهِ إِذَا دَخَلْتَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَصَلَّى فِي وَجْهِ الكَعْبَةِ رَكْعَتَيْنِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٩٧).

وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "الْمُغْنِي"(ج٢/ص: ١٦١): وَلَا يُكْرَهُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَقِفَ بَيْنَ السَّوَارِي، وَيُكْرَهُ لِلْمَأْمُومِينَ؛ لِأَنَّهَا تَقْطَعُ صُفُوفَهُمْ.ا.هـ.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ – كَمَا فِي "الثَّمَرِ الْمُسْتَطَابِ"(ص: ٤١٢) -: وَلَا خِلَافَ فِي جَوَازِهِ عِندَ الضِّيقِ، وَأَمَّا عِندَ السَّعَةِ فَهُوَ مَكرُوهٌ لِّلْجَمَاعَةِ، فَأَمَّا الْوَاحِدُ فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَقَدْ صَلَّى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْكَعْبَةِ بَيْنَ سَوَارِيهَا.ا.هـ.

وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَن يَّحْجُزَ مَكَانًا فِي الْمَسْجِدِ؛ وَمَن سَبَقَ إِلَى مَكَانٍ فَهُوَ أَوْلَى بِهِ، حَتَّى يَصْطَفَّ النَّاسُ لِلصَّلَاةِ.

وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرُ الصِّبْيَانِ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ إِذَا كَانُوا قَدْ سَبَقُوا إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُقَامَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَيَجْلِسَ فِيهِ آخَرُ، قَالَ: **«وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.(٢)

---

(١) "السنن الكبرى"(ج٣/ص: ١٤٨).

(٢) البخاري (رقم: ٦٢٧٠)، ومسلم (رقم: ٢١٧٧).

فَهُمْ قَدْ سَبَقُوا إِلَى حَقٍّ لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ غَيْرُهُمْ؛ فَلَمْ يَجُزْ تَأْخِيرُهُمْ، وَلِأَنَّ فِي تَأْخِيرِهِمْ كَسْرًا لِّقُلُوبِهِمْ وَتَنفِيرًا لَهُم مِّنَ الصَّلَاةِ، وَمِنَ الْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا، فَلَا يَنبَغِي ذَلِكَ.

وَلَا بَأْسَ بِإِزَاحَتِهِمْ عَنْ أَمَاكِنِهِمْ لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَهُمْ، إِذَا خِيفَ مِنْهُمُ اللَّعِبُ.

وَمَا يَعْتَقِدُهُ بَعْضُ الْعَامَّةِ مِنْ أَنَّ قِيَامَ الطِّفْلِ فِي الصَّفِّ يَقْطَعُ الصَّفَّ لَيْسَ بِصَحِيحٍ، وَإِنْ حَصَلَ مِنَ الصَّبِيِّ أَذَىً أَوْ إِزْعَاجٌ فَإِنَّهُ يُكَلَّمُ وَلِيُّ أَمْرِهِ؛ لِيَمْنَعَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لِيَلِنِي مِنكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى**»، فَالْمُرَادُ بِهِ حَثُّ ذَوِي الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى عَلَى الْمُسَارَعَةِ إِلَى الصَّلَاةِ، وَأَن يَّكُونُوا فِي مُقَدَّمِ النَّاسِ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ تَأْخِيرَ مَن سَبَقَهُم مِّنْ أَجْلِهِمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مُخَالِفٌ لِلْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ.(١)

وَمَن رَّأَى فُرْجَةً أَمَامَهُ فِي الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ فَإِنَّ الْمَشْرُوعَ لَهُ أَن يَّتَقَدَّمَ نَحْوَهَا، سَوَاءٌ قَبْلَ دُخُولِهِ فِي الصَّلَاةِ، أَوْ أَثْنَاءَ صَلَاتِهِ، وَكَذَا لَوْ تَقَلَّصَ الصَّفُّ، فَتَحَرَّكَ لِسَدِّ الْخَلَلِ، وَهَذِهِ الْحَرَكَةُ فِي الصَّلَاةِ مَشْرُوعَةٌ؛ لِأَنَّهُ يَحْصُلُ بِهَا فِعْلُ مَشْرُوعٌ فِي الصَّلَاةِ.(٢)

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ - كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى"(ج٢٣/صـ: ٤٠٨) -: وَالسُّنَّةُ فِي الصُّفُوفِ أَن يُّتِمُّوا الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، وَيَتَرَاصُّوا فِي الصَّفِّ، فَمَن صَلَّى فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ مَعَ خُلُوِّ مَا يَلِي الْإِمَامَ كَانَتْ صَلَاتُهُ مَكْرُوهَةً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَذَكَرَ أَيْضًا (ج٢/صـ: ٣٢٥): أَنَّ تَخَلُّفَ الْمَأْمُومِينَ عَنِ الْإِمَامِ تَخَلُّفًا كَثِيرًا لِغَيْرِ عُذْرٍ، مَنْهِيٌّ عَنْهُ بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ.ا.هـ.

وَأَمَّا صَلَاةُ الْمَأْمُومِينَ خَلْفَ الْإِمَامِ خَارِجَ الْمَسْجِدِ، فَإِن كَانَتِ الصُّفُوفُ مُتَّصِلَةً جَازَ بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ، قَالَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) "فتاوى ابن باز"(ج١٢/صـ: ٣٩٩-٤٠٠)، و"فتاوى ابن عثيمين"(ج١٢/صـ: ٣٩٧- و٣٩٨، وج١٣/صـ: ٢٥-٢٦، وصـ: ٣٩)، و"فتاوى أركان الإسلام"(صـ: ٣١٠).

(٢) "فتاوى ابن عثيمين"(ج١٣/صـ: ٣١٠).

وَاخْتَلَفُوا فِيمَا لَوْ كَانَتْ غَيْرَ مُتَّصِلَةٍ، قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "الشَّرْحِ الْمُمْتِعِ"(ج٤/صـ: ٢٩٨): فَالصَّوابُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي اقْتِدَاءِ مَن كَانَ خَارِجَ الْمَسْجِدِ مِن اتِّصالِ الصُّفوفِ، فإن لَمْ تَكُن مُتَّصِلَةً فَإِنَّ الصَّلَاةَ لَا تَصِحُّ.ا.هـ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَمَا أَعْظَمَ هَذَا الدِّينَ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللهُ ﷻ بِهِ، وَأَعْظَمَ بِهِ عَلَيْنَا الْمِنَّةَ، فَحَيَاةُ الْمُسْلِمِ فِي ظِلِّ هَذَا الدِّيْنِ حَيَاةٌ مُّنَظَّمَةٌ، فَتَأَمَّلْ فِي الْعِنَايَةِ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ وَفِي الْأَحْكَامِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى ذَلِكَ؛ لِتَقِفَ عَلَى عَظَمَةِ هَذَا الدِّيْنِ وَكَمَالِهِ، وَلِتَعْلَمَ أَنَّ ائْتِلَافَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ أَعْظَمِ الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ، فَالْمُؤْمِنُونَ فِي الصَّلَاةِ صُفُوفٌ مُّسْتَوِيَةٌ مُّرَتَّبَةٌ، وَكَذَلِكَ هُمْ فِي الْقِتَالِ، قَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[الصف: ٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ حَرَصُوا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ظَاهِرًا، إِلَّا أَنَّ قُلُوبَهُمْ شَتَّى، وَأَنَّى لَهُمُ ائْتِلَافُ الْقُلُوبِ وَقَدْ كَفَرُوا بِعَلَّامِ الْغُيُوبِ؟!

قَالَ ﷻ فِي شَأْنِ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [طه: ٦٣ - ٦٩].

وَقَالَ ﷻ فِي شَأْنِ الْيَهُودِ: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر: ١٤].

وَقَالَ ﷻ فِي شَأْنِ النَّصَارَى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ [المائدة: ١٤].

وَقَدْ أَخْبَرَ رَبُّنَا ﷻ أَنَّ الْعِبَادَ يُعْرَضُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ صَفًّا، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا﴾[الكهف: ٤٨].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُحْتَمَلُ أَن يَكُونَ الْمُرَادُ: أَنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ صَفًّا وَاحِدًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨﴾ [النبإ:٣٨]، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ يَقُومُونَ صُفُوفًا صُفُوفًا، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [الفجر: ٢٢].ا.هـ.

وَأَهْلُ الْجَنَّةِ دَارِ الْكَرَامَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَمَنَازِلِ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ هُمْ صُفُوفٌ أَيْضًا، فَعَن بُرَيْدَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٢٩٤٠، و٢٣٠٠٢، و٢٣٠٦١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٥٤٦)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٤٢٨٩).(١)

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهِيَ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْهَا، فاللهُ أَكْبَرُ!، ثُلُثَا أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ!.

اللَّهُمَّ فَاجْعَلْنَا مِن تِلْكَ الثَّمَانِينَ صَفًّا، وَنِعْمَ الصُّفُوفُ!.

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٧٤٥٩، و٧٤٦٠)، والحاكم (رقم: ٢٧٣)، وقال: «على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الألباني في "تخريج المشكاة"(رقم: ٥٦٤٤)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٤٩).

اللون الأبيض، مواعظ وأحكام

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيْمِ: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ﴾ [فاطر: ٢٧ - ٢٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١].

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ الَّتِي هِيَ تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ ذِكْرُ اخْتِلَافِ الْأَلْوَانِ، وَهُوَ مَشْهَدٌ حَاضِرٌ فِي بَنِي الْإِنسَانِ، لَا يَغِيبُ عَنْهُمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، سَوَاءٌ فِي أَنفُسِهِمْ أَوْ فِي الْمُحِيطِ مِنْ حَوْلِهِمْ.

وَحَسْبِي فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ أَقِفَ مَعَ بَعْضِ الْمَوَاعِظِ وَالْأَحْكَامِ، الَّتِي لَهَا تَعَلُّقٌ بِلَوْنٍ مِّن تِلْكَ الْأَلْوَانِ، هُوَ سَيِّدُهَا وَخَيْرُهَا، وَهُوَ اللَّوْنُ الْأَبْيَضُ، فَأَقُولُ - واللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ -:

إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ اللَّوْنِ الْأَبْيَضِ يَتَشَعَّبُ وَيَطُولُ، لَكِنِّي سَأَخْتَصِرُ فِيهِ الْقَوْلَ، بِإِشَارَاتٍ سَرِيعَةٍ غَيْرِ مُشْبَعَةٍ، مِن جَوَانِبَ أَرْبَعَةٍ، وَهِيَ: بَيَاضُ الْقَلْبِ، وَبَيَاضُ الْجَسَدِ وَالشَّعَرِ، وَبَيَاضُ الثِّيَابِ، وَبَيَاضُ مَا يُحِيطُ بِالْإِنسَانِ مِنْ حَوْلِهِ.

◄ فَأَمَّا بَيَاضُ الْقَلْبِ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ وَمُرَاقَبَةِ الله ﷻ وَالسَّلَامَةِ مِن فِتَنِ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ.

فَالْقَلْبُ الْأَبْيَضُ هُوَ الْقَلْبُ الْخَالِي مِنَ الشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ وَالشَّكِّ وَالرَّيْبِ، وَمِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، كَالْكِبْرِ وَالْحَسَدِ، وَالْعُجْبِ، وَالْحِقْدِ، وَالْغِلِّ، وَإِيثَارِ الدُّنْيَا، قَالَ ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

وَالْقَلْبُ الْأَسْوَدُ هُوَ الْمَمْلُوءُ بِهَذِهِ الْخِصَالِ الْمَذْمُومَةِ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ١٤٤) عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مِرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»**.

«تُعْرَضُ الْفِتَنُ»، أَيْ: تُلْصَقُ بِعَرْضِ الْقُلُوبِ، أَيْ: جَانِبِهَا، **«كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا»**، أَيْ: كَمَا يُلْصَقُ الْحَصِيرُ بِجَنبِ النَّائِمِ، وَيُؤَثِّرُ فِيهِ شِدَّةُ الْتِصَاقِهَا بِهِ، **«فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا»**، أَيْ: دَخَلَتْ فِيهِ دُخُولًا تَامًّا، وَأُلْزِمَهَا، وَحَلَّتْ مِنْهُ مَحَلَّ الشَّرَابِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣]، أَيْ: حُبَّ الْعِجْلِ، «نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ»، أَيْ: نُقِطَ نُقْطَةٌ سَوْدَاءُ، «وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا»، أَيْ: رَدَّهَا، «نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ»، «حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ»، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَيْسَ تَشْبِيهُهُ بِالصَّفَا بَيَانًا لِبَيَاضِهِ، لَكِن صِفَةً أُخْرَى؛ لِشِدَّتِهِ عَلَى عَقْدِ الْإِيمَانِ وَسَلَامَتِهِ مِنَ الْخَلَلِ، وَأَنَّ الْفِتَنَ لَمْ تَلْصَقْ بِهِ وَلَمْ تُؤَثِّرْ فِيهِ، كَالصَّفَا، وَهُوَ: الْحَجَرُ الْأَمْلَسُ الَّذِي لَا يَعْلَقُ بِهِ شَيْءٌ، «وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مِرْبَادًّا»، أَيْ: مُسْوَدًّا وَمُحْمَرًّا، « كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا»، أَيْ: مَائِلًا، مَنْكُوسًا، «لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ».

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شَبَّهَ الْقَلْبَ الَّذِي لَا يَعِي خَيْرًا بِالْكُوزِ الْمُنْحَرِفِ الَّذِي لَا يَثْبُتُ الْمَاءُ فِيهِ، وَقَالَ صَاحِبُ "التَّحْرِيرِ": مَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَبِعَ هَوَاهُ وَارْتَكَبَ الْمَعَاصِيَ دَخَلَ قَلْبَهُ بِكُلِّ مَعْصِيَةٍ يَتَعَاطَاهَا ظُلْمَةٌ، وَإِذَا صَارَ كَذَلِكَ افْتُتِنَ وَزَالَ عَنْهُ نُورُ الْإِسْلَامِ، وَالْقَلْبُ مِثْلُ الْكُوزِ، فَإِذَا انْكَبَّ انْصَبَّ مَا فِيهِ، وَلَمْ يَدْخُلْهُ شَيْءٌ بَعْدَ ذَلِكَ.ا.هـ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٧٩٥٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٣٣٤)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٤٢٤٤).(١)

---

(١) وصححه الترمذي، وابن حبان (رقم: ٩٣٠، و٢٧٨٧)، والحاكم (رقم: ٣٩٠٨)، وقال: «على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الألباني في "صحيح الجامع"(رقم: ١٦٧٠)، وحسنه الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٤٣٠).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "الْوَابِلِ الصَّيِّبِ"(صـ:٤٠): وَصَدَأُ الْقَلْبِ بِأَمْرَيْنِ: بِالْغَفْلَةِ وَالذَّنبِ، وَجِلَاؤُهُ بِشَيْئَيْنِ: بِالِاسْتِغْفَارِ وَالذِّكْرِ، فَمَن كَانَتِ الْغَفْلَةُ أَغْلَبَ أَوْقَاتِهِ كَانَ الصَّدَأُ مُتَرَاكِبًا عَلَى قَلْبِهِ، وَصَدَأُهُ بِحَسَبِ غَفْلَتِهِ.ا.هـ.

◄ وَأَمَّا بَيَاضُ الْجَسَدِ فَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ [فاطر:٢٧-٢٨].

وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِ بَنِي آدَمَ؛ هُوَ لِاخْتِلَافِ تُرْبَةِ الْأَرْضِ الَّتِي خُلِقُوا مِنْهَا، فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ: جَاءَ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ، وَالْأَبْيَضُ، وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ، وَالْحَزْنُ، وَالْخَبِيثُ، وَالطَّيِّبُ وَبَيْنَ ذَلِكَ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٩٥٨٢، و١٩٦٤٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٦٩٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٩٥٥).(١)

وَلَا ضَيْرَ أَن يَّكُونَ الْإِنسَانُ أَحْمَرَ أَوْ أَسْوَدَ، إِذَا سَلِمَ لَهُ بَيَاضُ قَلْبِهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الشَّأْنُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»**. وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٦٤).

وَفِي رِوَايَةٍ: **«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِن يَّنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»**.

---

(١) قال الترمذي: «حسن صحيح»، وكذا صححه: ابن حبان (رقم:٦١٦٠، و٦١٨١)، والحاكم (رقم: ٣٠٣٧)، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الألباني في "الصحيحة"(رقم: ١٦٣٠)، وحسنه الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٨١٣).

وَمِن صِفَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْخَلْقِيَّةِ: أَنَّهُ كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٣٤٠) عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، «كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «كَانَ أَبْيَضَ، مَلِيحًا، مُقَصَّدًا».

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ ضِمْنَ حَدِيثٍ: «فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ...، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٦٤).

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا (رقم: ٣٥٦٦)، بِلَفْظِ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِ سَاقَيْهِ».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ ابْنِ بُحَيْنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا صَلَّى فَرَّجَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَبْدُوَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ إِلَّا فِي الِاسْتِسْقَاءِ، حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبِطَيْهِ».(٢)

وَلَهُمَا أَيْضًا عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ، وَلَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ.(٣)

وَمِمَّا يُكْرِمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنَّهُ يُبَيِّضُ وُجُوهَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦- ١٠٧].

وَعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ

---

(١) البخاري (رقم: ٣٩٠)، ومسلم (رقم: ٤٩٥).

(٢) البخاري (رقم: ١٠٣١، و٣٥٦٥)، ومسلم (رقم: ٨٩٥).

(٣) البخاري (رقم: ٢٨٣٧، و٧٢٣٦)، ومسلم (رقم: ١٨٠٣).

وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٨١).

وَهُنَاكَ بَيَاضٌ فِي جَسَدِ الْإِنسَانِ، جُبِلَتِ النُّفُوسُ عَلَى كَرَاهَتِهِ، وَلَيْسَ بِمَحْمُودٍ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَهُوَ أَنْوَاعٌ ثَلَاثَةٌ:

أولها: الْبَرَصُ، قَالَ ﷻ مُخَاطِبًا كَلِيمَهُ مُوسَى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٢٢]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [النمل: ١٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٢].

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ﴾ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ.

والثَّانِي: بَيَاضُ الْعَيْنَيْنِ عَمًى، قَالَ ﷻ فِي شَأْنِ وَجْدِ يَعْقُوبَ عَلَى ابْنِهِ يُوسُفَ: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٦٥٣).

وَإِذَا جُمِعَ بَيَاضُ الْعَيْنِ إِلَى خَالِصِ سَوَادِهَا، الَّذِي هُوَ إِنسَانُ الْعَيْنِ مُدِحَ إِنسَانُ الْعَيْنِ، وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ أَفْضَلَ مَا مُدِحَ بِهِ أَسْوَدُ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي يَمْدَحُ كَافُورًا الْإِخْشِيدِيَّ:

فَجَاءَتْ بِنَا إِنسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ ... وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَآقِيَا

وَذَكَرُوا أَنَّ أَقْذَعَ مَا هُجِيَ بِهِ أَسْوَدُ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي يَهْجُو كَافُورًا الْإِخْشِيدِيَّ:

وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبِيضَ عَاجِزَةٌ ... عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْيَةُ السُّودُ

◄ **وَالثَّالِثُ**: بَيَاضُ الشَّعَرِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَالشَّيْبُ كُرْهٌ وَكُرْهٌ أَنْ أُفَارِقَهُ ... فَاعْجَبْ لِشَيْءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَحْبُوبُ

وَهُوَ مِن جُمْلَةِ نُذُرِ الْإِنسَانِ، وَهُوَ وَازِعٌ لِمَن تَأَمَّلَ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ:

عَلَى حِيْنِ عَاتَبْتُ الْمَشِيْبَ عَلَى الصِّبَا فَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ

وَقَدْ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِّنَ الْمُفَسِّرِيْنَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّذِيْرِ فِي قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] هُوَ: الشَّيْبُ.

وَلَكِنَّ الصَّحِيْحَ الَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُهُمْ: أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ: الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالشَّيْبُ: نَذِيرٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي فِي سِنِّ الِاكْتِهَالِ، وَهُوَ عَلَامَةٌ لِمُفَارَقَةِ سِنِّ الصِّبَا الَّذِي هُوَ سِنُّ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ.ا.هـ.

قَالَ سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ:

كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا

وَلِهَذَا فَإِنَّ الذَّنبَ فِي الْمَشِيْبِ يَكُونُ أَعْظَمَ قُبْحًا مِنْهُ فِي الشَّبَابِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٠٧).

وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهَ لَهُ بِضَاعَةً فَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ وَلَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ»**. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ (ج٢/صـ: ٨٢، وج٦/صـ: ٢٤٦)(رقم: ٨٢١، و٦١١١)، وَذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "الصَّحِيْحَةِ"(رقم: ٣٤٦١).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: سَبَبُهُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْتَزَمَ الْمَعْصِيَةَ الْمَذْكُورَةَ مَعَ بُعْدِهَا مِنْهُ وَعَدَمِ ضَرُورَتِهِ إِلَيْهَا وَضَعْفِ دَوَاعِيهَا عِنْدَهُ، وَإِنْ كَانَ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ، لَكِنْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ إِلَى هَذِهِ الْمَعَاصِي ضَرُورَةٌ مُزْعِجَةٌ، وَلَا دَوَاعِي مُتَعَادَّةٌ أَشْبَهَ إِقْدَامُهُمْ عَلَيْهَا الْمُعَانَدَةَ وَالِاسْتِخْفَافَ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَقَصْدَ مَعْصِيَتِهِ، لَا لِحَاجَةٍ غَيْرِهَا، فَإِنَّ الشَّيْخَ لِكَمَالِ عَقْلِهِ وَتَمَامِ مَعْرِفَتِهِ بِطُولِ مَا مَرَّ عَلَيْهِ مِنَ الزَّمَانِ وَضَعْفِ أَسْبَابِ الْجِمَاعِ

وَالشَّهْوَةِ لِلنِّسَاءِ وَاخْتِلَالِ دَوَاعِيهِ لِذَلِكَ عِنْدَهُ مَا يُرِيحُهُ مِنْ دَوَاعِي الْحَلَالِ فِي هَذَا وَيُخَلِّي سِرَّهُ مِنْهُ فَكَيْفَ بِالزِّنَى الْحَرَامِ، وَإِنَّمَا دَوَاعِي ذَلِكَ الشَّبَابُ وَالْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةُ وَقِلَّةُ الْمَعْرِفَةِ وَغَلَبَةُ الشَّهْوَةِ؛ لِضَعْفِ الْعَقْلِ وَصِغَرِ السِّنِّ.ا.هـ.

وَالشَّيْبُ نُورٌ لِّلْمُسْلِمِ؛ فَلِهَذَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ نَتْفُهُ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بن الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ، فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ، مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَكَفَّرَ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً، وَرَفَعَهُ بِهَا دَرَجَةً»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٦٩٦٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٢٠٢).(١)

وَلَكِن يُسْتَحَبُّ لِلْمُسْلِمِ تَغْيِيرُ الشَّيْبِ بِغَيْرِ السَّوَادِ، كَالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ وَنَحْوِهِمَا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٤٦٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢١٠٣).

وَلِمُسْلِمٌ (رقم: ٢١٠٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أُتِيَ بِأَبِي قُحَافَةَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَرَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ كَالثَّغَامَةِ بَيَاضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«غَيِّرُوا هَذَا بِشَيْءٍ، وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ»**.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ أَحْسَنَ مَا غُيِّرَ بِهِ هَذَا الشَّيْبُ: الْحِنَّاءُ، وَالْكَتَمُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ.(٢)

---

(١) ورواه الترمذي (رقم: ٢٨٢١)، والنسائي (رقم: ٥٠٦٨)، وابن ماجه (رقم: ٣٧٢١) مختصرًا. وإسناده حسن، وقد صححه الترمذي، وله شواهد، عن غير واحد من الصحابة، فراجع: "الصحيحة"(رقم: ١٢٤٤، و٣٣٧١)، و"تحقيق المسند"(ج١١/ص: ٢٥٤).

(٢) رواه أحمد (رقم: ٢١٣٠٧، و٢١٣٣٧)، وأبو داود (رقم: ٤٢٠٥)، والترمذي (رقم: ١٧٥٣)، والنسائي (٥٠٧٧، و٥٠٧٨)، وابن ماجه (رقم: ٣٦٢٢).
وراجع: "الصحيحة"(رقم: ١٥٠٩)، و"تحقيق مسند أحمد"(ج٣٥/ص: ٢٣٦، و٢٦٥).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَكُونُ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ، كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ، لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٤٧٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٢١٢)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٥٠٧٥).(١)

وَأَحْسَنُ مَا رَأَيْتُ مِنَ الْمَنْظُومِ فِي مَدْحِ سَوَادِ الشَّعْرِ إِذَا خَالَطَهُ بَيَاضٌ قَوْلُ الْفِرَزْدَقِ:

وَتَقُولُ: كَيْفَ يَمِيلُ مِثْلُكَ لِلصِّبَا ... وَعَلَيْكَ مِن سِمَةِ الْكَبِيرِ عِذَارُ

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ ... لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ

وَقَوْلُهُ:

تَبَارِيقُ شَيْبٍ فِي السَّوَادِ لَوَامِعٌ ... وَمَا خَيْرُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نُجُومُ

أَمَّا أَهْلُ الْجَنَّةِ فَإِنَّ مِن كَمَالِ نَعِيمِهِمْ فِي الْجَنَّةِ: أَنَّهُم بِيْضٌ، وَأَنَّ شُعُورَ رُؤُوسِهِمْ سَوْدَاءُ، عَلَى الدَّوَامِ، جُرْدٌ مُرْدٌ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جِعَادًا، مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٧٩٣٣).(٢)

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَلْوَانُهُم بِيْضٌ وَلَيْسَ لَهُمْ لِحًى ... جُعْدُ الشُّعُورِ مُكَحَّلُوا الْأَجْفَانِ

هَذَا كَمَالُ الْحُسْنِ فِي أَبْشَارِهِمْ ... وَشُعُورِهِمْ وَكَذَلِكَ الْعَيْنَانِ

◄ وَأَمَّا بَيَاضُ الثِّيَابِ؛ فَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ (رقم: ٢٢١٩، و٢٤٧٩، و٣٣٤٢، و٣٤٢٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣٨٧٨، و٤٠٦١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٩٩٤)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٤٧٢، و٣٥٦٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) وصححه الضياء في "المختارة"(ج١٠/ص: ٢٣٢)(رقم: ٢٤٤ - ٢٤٦)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٢٠٩٧)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٦٣٥).

(٢) وله شواهد، راجعها في: "تحقيق المسند"(ج١٣/ص: ٣١٥-٣١٦).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ». (١)

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

◄ فَأَمَّا بَيَاضُ مَا حَوْلَ الْإِنسَانِ: فَمِنْهُ بَيَاضُ الصُّبْحِ يُقَابِلُ سَوَادَ اللَّيْلِ، فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، عَمَدتُّ إِلَى عِقَالٍ أَسْوَدَ، وَإِلَى عِقَالٍ أَبْيَضَ، فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِي، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ فِي اللَّيْلِ، فَلَا يَسْتَبِينُ لِي، فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (٢)

وَعَن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؛ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ الصَّوْمَ، رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلَيْهِ الْخَيْطَ الْأَسْوَدَ وَالْخَيْطَ الْأَبْيَضَ، فَلَا يَزَالُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رِئْيُهُمَا فَأَنْزَلَ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، فَعَلِمُوا أَنَّهُ أَنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (٣)

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم:٥٤٢٣)، والحاكم (رقم: ١٣٠٨، و٧٣٧٨) على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وتابعهما الألباني في: "أحكام الجنائز"(صـ: ٦٢)، وصححه أيضًا: الضياء في "المختارة"(ج١٠/صـ: ١٩٧-٢٠١)(رقم: ١٩٩، و٢٠١، و٢٠٢، و٢٠٣، و٢٠٤، و٢٠٥، و٢٠٦)، والعلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٦٤٣).

(٢) البخاري (رقم:١٩١٦، و٤٥١٠)، ومسلم (رقم:١٠٩٠).

(٣) البخاري (رقم:١٩١٧، و٤٥١١)، ومسلم (رقم:١٠٩١).

وَمِنَ الصِّيَامِ الْمُسْتَحَبِّ: صِيَامُ الْأَيَّامِ الْبِيضِ، وَهِيَ: ثَالِثَ عَشَرَ وَرَابِعَ عَشَرَ وَخَامِسَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ؛ لِأَنَّ نُورَ الْقَمَرِ أَتَمُّ مَا يَكُونُ فِي الشَّهْرِ فِيهَا.

وَعَن قَتَادَةَ بْنِ مِلْحَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْمُرُهُمْ بِصِيَامِ أَيَّامِ الْبِيضِ، وَيَقُولُ: «**هُنَّ صِيَامُ الشَّهْرِ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٧٥١٣، و١٧٥١٤، و٢٠٣١٦، و٢٠٣١٩، و٢٠٣٢٠، و٢٠٣٢١)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٢٤٣٠)، وَهُوَ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ.(١)

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ،: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَصُمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ**». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٧٦١)، وَحَسَّنَهُ.(٢)

وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِ الْمُتَنَبِّي:

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي ... وَأَنثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي

إِنَّهُ أَمِيرُ شِعْرِهِ، قَالَهُ الثَّعَالِبِيُّ فِي "يَتِيمَةِ الدَّهْرِ"(ج١/صـ: ١٧٠-١٧١، وصـ: ٢٢٠)، وَقَالَ: ذَكَرَ ابْنُ جِنِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي الْمُتَنَبِّي وَقْتَ الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ حِنزَابَةَ وَزِيرُ كَافُورٍ: أَحْضَرْتُ كُتُبِي كُلَّهَا وَجَمَاعَةً مِّنَ الْأُدَبَاءِ يَطْلُبُونَ لِي مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ هَذَا الْمَعْنى، فَلَمْ يَظْفَرُوا بِذَلِكَ، وَكَانَ أَكْثَرَ مَن رَّأَيْتُ كُتُبًا.

وَقَالَ أَيْضًا: إِمَّا أَن يَّكُونَ قَدِ اخْتَرَعَ الْمَعْنَى وَابْتَدَعَهُ وَتَفَرَّدَ بِهِ، فَللَّهِ دَرُّهُ!، وَنَاهِيْكَ بِشَرَفِ لَفْظِهِ وَبَرَاعَةِ نَسْجِهِ، وَمَا أَحْسَنَ مَا جَمَعَ فِيهِ أَرْبَعَ مُطَابَقَاتٍ فِي بَيْتٍ وَّاحِدٍ، وَمَا أُرَاهُ سُبِقَ إِلَى مِثْلِهَا، وَمَا زَالَ النَّاس يَعْجَبُونَ مِن جَمْعِ الْبُحْتُرِيِّ ثَلَاثَ مُطَابَقَاتٍ فِي قَوْلِهِ:

وَأُمَّةٌ كَانَ قُبْحُ الْجَوْرِ يُسْخِطُهَا ... دَهْرًا فَأَصْبَحَ حُسْنُ الْعَدْلِ يُرْضِيهَا

---

(١) وله شواهد عن جماعة من الصحابة، راجع: "تحقيق المسند"(ج٢٩/صـ: ٥٤-٥٥).
وقد صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ١٠٣٩).

(٢) وحسنه أيضًا: الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الإرواء"(رقم: ٩٤٧).

حَتَّى جَاءَ أَبُو الطَّيِّبِ، فَزَاد عَلَيْهِ، مَعَ عُذُوبَةِ اللَّفْظِ وَرَشَاقَةِ الصَّنْعَةِ.ا.هـ.

وَقَال الْعُكْبَرِيُّ: وَفِيهِ تَطْبِيْقٌ بَدِيْعٌ، وَلَفْظٌ حَسَنٌ، وَمَعْنًى بَدِيْعٌ جَيِّدٌ، وَهَذَا الْبَيْتُ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الزِّيَارَةِ وَالِانثِنَاءِ وَالِانصِرَافِ، وَبَيْنَ السَّوَادِ وَالْبَيَاض وَاللَّيْلِ وَالصُّبْحِ وَالشَّفَاعَةِ وَالْإِغْرَاءِ، وَبَيْنَ لِي وَبِي، وَمَعْنَى الْمُطَابَقَةِ أَن تَجْمَعَ بَيْنَ مُتَضَادَّيْنِ كَهَذَا.

قَالَ: وَقَدْ أَجْمَعَ الْحُذَّاقُ بِمَعْرِفَةِ الشِّعْرِ وَالنُّقَّادُ أَنَّ لِأَبِي الطَّيِّبِ نَوَادِرَ لَمْ تَأْتِ فِي شِعْرِ غَيْرِهِ، وَهِيَ مِمَّا تَخْرِقُ الْعُقُولَ، مِنْهَا هَذَا الْبَيْتُ.ا.هـ.(١)

قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ!، هَذَا كَلَامُ الْأُدَبَاءِ وَالنُّقَّادِ، دُونَ الْتِفَاتٍ إِلَى حَالِ الْقَائِلِ، وَإِلَى مَعْنَى الْبَيْتِ وَمَغْزَاهُ، وَهُوَ الْفُجُورُ وَالْخَنَا!، وَقَدْ قَالَ قَبْلَهُ:

كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَافِيَةٍ ... أَدْهَى وَقَدْ رَقَدُوا مِن زَوْرَةِ الذِّيْبِ!

وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِيْنَ لَهُمْ حُضُورٌ عَظِيْمٌ فِي هَذَا الْكَوْنِ، فِي مَشْهَدِ الْإِنسَانِ وَغَيْرِهِ هُم بِيْضُ الْوُجُوهِ، وَيَلْبَسُونَ الثِّيَابَ الْبِيْضَ، فَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ (رقم: ١٨٥٣٤) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: **«اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا»**، ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ...»**، فَذَكَرَ الْحَدِيْثَ، وَفِيهِ أَيْضًا: **«وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ...»**.

وَكَوْنُ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَنزِعُ أَرْوَاحَ الْكَافِرِيْنَ سُوْدَ الْوُجُوهِ هُوَ إِظْهَارٌ لِّلْغَضَبِ، أَوْ مِن جُمْلَةِ مَا يُعَذَّبُ بِهِ الْكَافِرُ حَالَ نَزْعِ رُوحِهِ، واللهُ أَعْلَمُ.

(١) "شرح ديوان المتنبي"(ج١/صـ: ١٦١).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيَاضٍ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ». يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٣٠٦).

وَلَهُ (رقم: ٨) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، الْحَدِيْث، وَفِيْهِ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

وَخَيْرُ اللَّيَالِي فِي حَقِّ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى الْبُرَاقِ، فَعَن مَّالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ، وَاليَقْظَانِ - وَذَكَرَ رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ -، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ البَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ البَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ، دُونَ البَغْلِ وَفَوْقَ الحِمَارِ: الْبُرَاقُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا...». الْحَدِيْث، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٢٠٧)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٦٤).

وَحَوْضُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٥٧٩)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٢٩٢)، وَعِندَهُ: «وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ»، أَيِ: الْفِضَّةُ.

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢٣٠٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَن شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ

مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَن شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

وَلَهُ أَيْضًا (رقم: ٢٣٠١) عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ»**. فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ، فَقَالَ: **«مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ»**. وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ، فَقَالَ: **«أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِن وَرِقٍ»**.

وَحَرَّمَ اللهُ الْخَمْرَ عَلَى عِبَادِهِ فِي الدُّنْيَا، وَجَعَلَهَا لِلْمُؤْمِنِيْنَ فِي الْجَنَّةِ مِن جُمْلَةِ نَعِيْمِهِمْ، وَخَمْرَةُ الْآخِرَةِ مَأْمُونَةُ الْغَوَائِلِ، لَا ضَرَرَ فِيْهَا وَلَا آفَةَ، بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٥ - ٤٧].

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾، أَيْ: لَا تَغْتَالُ عُقُوْلَهُمْ، وَقِيْلَ: الْغَوْلُ: وَجَعُ الْبَطْنِ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ كَثِيرٍ. وَقِيْلَ: الصُّدَاعُ، ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾، أَي: لَا يَسْكَرُونَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ بَيْتٌ أَبْيَضُ، لَا يَأْتِي عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ مِنْهُ إِلَّا الشَّرُّ الْمَحْضُ، وَالضَّيْرُ الْغِرْبِيْبُ الْأَسْوَدُ، وَالْمُكْرُ الْكُبَّارُ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى مَن فِيْهِ وَمَنْ إِلَيْهِ.

قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيْمِ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قِيلَ: الْمُرَادُ بِالْخَبِيثِ وَالطَّيِّبِ: الْحَرَامُ وَالْحَلَالُ، وَقِيلَ: الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ، وَقِيلَ: الْعَاصِي وَالْمُطِيعُ، وَقِيلَ: الرَّدِيءُ وَالْجَيِّدُ. وَالْأَوْلَى أَنَّ الِاعْتِبَارَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ، فَيَشْمَلُ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ وَغَيْرَهَا مِمَّا يَتَّصِفُ بِوَصْفِ الْخُبْثِ وَالطِّيبِ، مِنَ الْأَشْخَاصِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَقْوَالِ، فَالْخَبِيثُ لَا يُسَاوِي الطَّيِّبَ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾، قِيلَ: الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ: لِكُلِّ مُخَاطَبٍ يَصْلُحُ لِخِطَابِهِ بِهَذَا.

وَالْمُرَادُ نَفْيُ الِاسْتِوَاءِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، وَلَوْ فِي حَالِ كَوْنِ الْخَبِيثِ مُعْجِبًا لِلرَّائِي؛ لِلْكَثْرَةِ الَّتِي فِيهِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْكَثْرَةَ مَعَ الْخَبِيثِ فِي حُكْمِ الْعَدَمِ؛ لِأَنَّ خُبْثَ الشَّيْءِ يُبْطِلُ فَائِدَتَهُ، وَيَمْحَقُ بَرَكَتَهُ، وَيَذْهَبُ بِمَنْفَعَتِهِ.ا.هـ.

فَـ: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ مِن كُلِّ شَيْءٍ، مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَالْأَمْوَالِ وَالْأَحْوَالِ.

قَالَ ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾[الرعد: ١٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ١٩ – ٢٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: ٥٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[الزمر: ٩].

وَقَالَ: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[الحشر: ٢٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ١٨ – ٢٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٥ – ٧٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [التوبة: ١٩ - ٢٠].

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

فَلَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُ وَلَا الْكَافِرُ وَلَا الْمُطِيعُ الْبَرُّ وَلَا الْعَاصِي الْفَاجِرُ، وَلَا السُّنِّيُّ وَلَا الْبِدْعِيُّ، لَا يَسْتَوُونَ فِي حَيَاةٍ، وَلَا فِي مَوْتٍ، فَحَيَاةُ الْمُؤْمِنِ الْبَرِّ الْمُطِيعِ الْمُتَّبِعِ كَرَوَائِحِ الرَّيْحَانِ، فَهُوَ طَيِّبٌ، وَحَيَاتُهُ طَيِّبَةٌ، وَمَوْتُهُ كَذَلِكَ، وَحَيَاةُ الْكَافِرِ الْفَاجِرِ كَشَمِّ الْجِيفَةِ، وَمَوْتُهُ كَذَلِكَ، قَالَ ﷻ: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ (رقم: ١٨٥٣٤) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: **«اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا»**، ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ**

الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ».

قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ».

قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى».

قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ».

قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ».

قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ؛ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي».

قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ

الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ».

قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

«فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا».

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

«فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْحَارِث بْنِ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ

نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلَادُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ». (١)

حَتَّى الشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ تَسْتَرِيْحُ مِنْ خَبَثِ الْفَاجِرِ إِذَا مَاتَ.

وَمِن شُؤْمِ الْخَبِيْثِ أَنَّهُ يَجْلِبُ الْخَبَثَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِن بَنِي جِنسِهِ وَمِنْ غَيْرِهِمْ.

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَتَعَوَّذْ باللهِ مِنَ الْخَبَثِ وَأَهْلِهِ، وَتَحَرَّ الطَّيِّبَ مِن كُلِّ شَيْءٍ، وَلَازِمِ الطَّيِّبِيْنَ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا دَخَلَ الخَلَاءَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٤٢، و٦٣٢٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٣٧٥).

تَحَرَّ الطَّيِّبَ مِنَ الْقَوْلِ، قَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [الحج: ٢٣ - ٢٤].

وَأَطْيَبُ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ ﷻ وَكَلَامُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَطْيَبُ مَا تُكُلِّمَ بِهِ: كَلِمَةُ التَّوْحِيْدِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥].

---

(١) البخاري (رقم: ٦٥١٢)، ومسلم (رقم: ٩٥٠).

وَتَحَرَّ الطَّيِّبَ مِنَ الْمَالِ، وَهُوَ الْحَلَالُ، وَأَنفِقْ مِنَ الطَّيِّبِ الزُّلَالِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾[المؤمنون: ٥١]، **وَقَالَ** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٣٧٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[البقرة: ٢٦٧].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء: ٢].

وَتَحَرَّ الْمَوْضِعَ الطَّيِّبَ، لِسُكْنَاكَ وَزَرْعِكَ، وَمُصَاهَرَتِكَ، وَشَأْنِكَ كُلِّهِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾[الأعراف: ٥٨].

وَتَحَرَّ الْمَرْأَةَ الطَّيِّبَةَ، ذَاتَ الدِّيْنِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النور: ٢٦].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ**».(١)

وَقَالَ: «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**».(٢)

---

(١) البخاري (رقم: ٥٠٩٠)، ومسلم (رقم: ١٤٦٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (رقم: ١٤٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَتَحَرَّ الرُّفْقَةَ الطَّيِّبَةَ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**».(١)

(١) البخاري (رقم: ٢١٠١، و٥٥٣٤)، ومسلم (رقم: ٢٦٢٨).

من خوارق العادات في النطق والكلام

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ تَعَالَى مُمْتَنًّا عَلَى الْإِنسَانِ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨ - ٩].

فَمِن جُمْلَةِ مَا رَكَّبَ اللهُ فِي الْإِنسَانِ مِنَ الْأَعْضَاءِ وَأَبْدَعَهُ فِيْهِ وَسَوَّاهُ: اللِّسَانُ، وَهُوَ آلَةُ الْمَنطِقِ وَالْكَلَامِ.

وَكَلَامُ الْإِنسِ وَخِطَابُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ آيَةٌ، وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِهِمْ آيَةٌ، لَكِن قَدِ اعْتَادَ النَّاسُ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَلَّ مِنْهُم مَّن يَتَفَكَّرُ فِيْهَا، قَالَ ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾[الروم: ٢٢].

﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾، بِكَسْرِ اللَّامِ، جَمْعُ عَالِمٍ، وَهُوَ ذُو الْعِلْمِ، وَقَد تَّفَرَّدَ حَفْصٌ بِهَذِهِ القِرَاءَةِ.

وَقَرَأَ بَقِيَّةُ الْقُرَّاءِ: ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، جَمْعُ عَالَمٍ، بِفَتْحِ اللَّامِ، وَالْعَالَمُ: كُلُّ مَا سِوَى اللهِ ﷻ، وَالْمُرَادُ هُنَا: الْإِنسُ وَالْجِنُّ وَالْمَلَائِكَةُ.

وَقَدْ شَارَكَ الْإِنسَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ (اخْتِلَافِ الْأَلْسُنِ) الجنُّ؛ فَإِنَّهُمْ يَتَخَاطَبُونَ فِيمَا بَيْنَهُم بِخِطَابِ الْإِنسِ، وَلُغَاتُهُمْ لُغَاتُ الْإِنسِ.

وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ يَتَكَلَّمُونَ وَيَتَخَاطَبُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَيُخَاطِبُونَ مَن شَاءَ اللهُ أَن يُخَاطِبُوهُ، وَهُمْ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.

وَالْأَدِلَّةُ عَلَى ذَلِكَ مُتَكَاثِرَةٌ، سَوَاءٌ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْبَرْزَخِ أَوْ فِي الْآخِرَةِ.

وَأَمَّا مَنْ عَدَا هَؤُلَاءِ فَلَهُ مَنطِقٌ خَاصٌّ بِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وَ﴿شَيْءٍ﴾ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ، فَتُفِيدُ الْعُمُومَ.

الْكُلُّ يَلْهَجُ بِالتَّسْبِيحِ، وَيُقِرُّ بِتَوْحِيدِ اللهِ ﷻ، خَلَا الْكُفَّارَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ!.

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ [الرعد: ١٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٧ - ١٨].

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (رقم: ٣٥٧٩) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ المَاءُ، فَقَالَ: **«اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ»**. فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: **«حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ المُبَارَكِ، وَالبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ»**. فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ.

وَقَدْ يُفْهِمُ اللهُ خِطَابَ مَنْ عَدَا الْإِنسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ مَن يَّشَاءُ، قَالَ ﷻ فِي شَأْنِ نَبِيِّهِ سُلَيْمَانَ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا

هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴾[النمل: ١٦ - ٢٨].

وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾، بِتَخْفِيفِ اللَّامِ، قَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَرَادَ أَلاَ يَا هؤُلاَءِ اسْجُدُوا ...

أَيْ: أَنَّ الْهُدْهُدَ خَاطَبَ أُولَئِكَ الْكُفَّارَ عُبَّادَ الشَّمْسِ قَائِلًا: أَلَا يَا هَؤُلَاءِ اسْجُدُوا للهِ.

فَسُبْحَانَ اللهِ!، طَيْرٌ مِّنَ الطُّيُورِ يَدْعُو إِلَى السُّجُودِ للهِ، وَيُنكِرُ عَلَى الْكُفَّارِ كُفْرَهُمْ!.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَّا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ، فَسَكَتَ، فَقَالَ: **«مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟»**، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: **«أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ**

الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٧٤٥، و١٧٥٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٢٥٤٩).[(١)]

وَقَدْ صَاغَ النَّاسُ مِن مَّقَالِ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ أَمْثَالًا سَائِرَةً عَلَى الْأَلْسِنَةِ، فَمِن ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ وَقَدْ عُوتِبَ عَلَى قِلَّةِ كَلَامِهِ:

قَالَتِ الضِّفْدَعُ قَوْلًا ... فَسَّرَتْهُ الْحُكَمَـــاءُ
فِي فَمِي مَاءٌ وَهَلْ يَنـ ... ـطِقُ مَن فِي فِيْهِ مَاءُ

وَفِي "حَيَاةِ الْحَيَوَانِ الْكُبْرَى" لِلدَّمِيْرِيِّ الْكَثِيْرُ مِنْ هَذَا.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ شَوْقِيٍّ:

بَرَزَ الثَّعْلَبُ يَوْمًا ... فِي شِعَارِ الْوَاعِظِيْنَا
فَمَشَى فِي الْأَرْضِ يَهْذِي ... وَيَسُبُّ الْمَاكِرِيْنَا
وَيَقُولُ: الْحَمْدُ لِلـ ... ـهِ إِلهِ الْعَالَمِيْنَا
يَا عِبَادَ اللهِ، تُوبُوا! ... فَهُوَ رَبُّ التَّائِبِيْنَا
وَازْهَدُوا فِي الطَّيرِ، إِنَّ الْـ ... ـعَيْشَ عَيْشُ الزَّاهِدِيْنَا
وَاطْلُبُوا الدِّيْكَ يُؤَذِّنْ ... لِصَلَاةِ الصُّبْحِ فِيْنَا
فَأَتَى الدِّيْكَ رَسُولٌ ... مِنْ إِمَامِ النَّاسِكِيْنَا
عَرَضَ الأَمْرَ عَلَيْهِ ... وَهْوَ يَرْجُو أَن يَّلِيْنَا
فَأَجَابَ الدِّيْكُ: عُذْرًا ... يَا أَضَلَّ الْمُهْتَدِيْنَا!
بَلِّغِ الثَّعْلَبَ عَنِّي ... عَن جُدُودِي الصَّالِحِيْنَا

---

(١) وصححه: الحاكم (رقم: ٢٤٨٥)، ووافقه الذهبي، وكذا صححه: الضياء في "المختارة"(ج٩/ص: ١٥٧-١٦٠)(رقم: ١٣١، و١٣٢، و١٣٣، و١٣٤، و١٣٥، و١٣٦)، وصححه على شرط مسلم: الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٢٠)، وفي "صحيح أبي داود"(رقم: ٢٢٩٧)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٥٦١).

عَن ذَوِي التِّيْجَانِ مِمَّن ... دَخَلَ الْبَطْنَ اللَّعِيْنَا
أَنَّهُمْ قَالُوا وَخَيْرُ الْـ ... ـقَوْلِ قَوْلُ الْعَارِفِيْنَا:
مُخْطِيٌّ مَّن ظَنَّ يَوْمًا ... أَنَّ لِلثَّعْلَبِ دِيْنَا

وَمِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ كَلَامُ مَن لَّا يَتَكَلَّمُ طَبْعًا وَّعُرْفًا، وَسَنَقِفُ إِن شَاءَ اللهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَعَ بَعْضِ الْأَمْثِلَةِ وَالنَّمَاذِجِ عَلَى كَلَامِ مَن لَّا يَعْهَدُ النَّاسُ كَلَامَهُ، لَا طَبْعًا وَّلَا عُرْفًا.

◄ فَمِن ذَلِكَ: كَلَامُ الصَّبِيِّ فِي الْمَهْدِ، كَمَا كَانَ مِنَ الْمَسِيحِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ ﷻ: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[آل عمران: ٤٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٦ - ٣٣].

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢٥٥٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا**

عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ، فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ، فَاسْتَنْزَلُوهُ، وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ، فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ، مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ، وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ، فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ».

قَالَ: «فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا».

قَالَ: «وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ: حَلْقَى، مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتَ: اللهُمَّ

اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا». (١)

وَلَهُ أَيْضًا (رقم: ٣٠٠٥) عَن صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِن سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِن سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن

(١) ورواه البخاري مختصرًا (رقم: ٢٤٨٢، و٣٤٣٦، و٣٤٦٦).

دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ – واللهِ – نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ، اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ».

◄ وَمِن ذَلِكَ أَيْضًا خِطَابُ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالْجَمَادِ النَّاسَ بِمَا يَفْهَمُهُ النَّاسُ وَيَعْقِلُونَهُ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً لَّهُ، قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا، الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ الْبَقَرَةُ فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، وَلَكِنِّي إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ». فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ!؛ تَعَجُّبًا وَفَزَعًا، أَبَقَرَةٌ تَكَلَّمُ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ، عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟». فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ [ذِئْبٌ يَّتَكَلَّمُ]». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ». (١)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ، فَأَخَذَهَا، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ، قَالَ: أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ! تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا عَجَبِي ذِئْبٌ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ يُكَلِّمُنِي كَلَامَ الْإِنْسِ، فَقَالَ الذِّئْبُ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِيَثْرِبَ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ.

قَالَ: فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَزَوَاهَا إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَنُودِيَ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ لِلرَّاعِي: «أَخْبِرْهُمْ». فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١١٧٩٢، و١١٨٤١). (٢)

---

(١) البخاري (رقم: ٢٣٢٤، و٣٦٦٣، و٣٦٩٠)، ومسلم (رقم: ٢٣٨٨).

(٢) وصححه: ابن حبان (رقم: ٦٤٩٤)، والحاكم (رقم: ٨٤٤٤)، وقال: «على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الألباني في "الصحيحة"(رقم: ١٢٢)، وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٤٠٦). =

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٢٧٧).

وَله أيضًا (رقم: ٢٩٢٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِن وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ».

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

◄ فَإِنَّ مِنْ آخِرِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: خُرُوجَ دَابَّةٍ تُكَلِّمُ النَّاسَ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢].

◄ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَشْهَدُ عَلَى الْكَافِرِ جَوَارِحُهُ وَأَعْضَاؤُهُ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [فصلت: ١٩ - ٢٣]، وَقَالَ ﷻ: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[يس: ٦٥].

وأخرج الترمذي (رقم: ٢١٨١) القدر المرفوع منه، دون القصة، وقال: «حسن صحيح غريب».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَضَحِكَ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟**». قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟**». قَالَ: «**يَقُولُ: بَلَى**». قَالَ: «**فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي**». قَالَ: «**فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا**». قَالَ: «**فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي**». قَالَ: «**فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ**». قَالَ: «**ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ**». قَالَ: «**فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٩٦٩).

وقولوا للناس حسنا

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، أَيْ: وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مُهْتَدٍ بِمَا يَقُولُهُ، فَنَفْعُهُ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ لَازِمٌ ومُتَعَدٍ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَأْتُونَهُ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَأْتُونَهُ، بَلْ يَأْتَمِرُ بِالْخَيْرِ وَيَتْرُكُ الشَّرَّ، وَيَدْعُو الْخَلْقَ إِلَى الْخَالِقِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَهَذِهِ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ دَعَا إِلَى خَيْرٍ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مُهْتَدٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ، كَمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، وَالسُّدِّيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ.ا.هـ.

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى النَّفْيِ الْمُتَقَرِّرِ، أَيْ: لَا أَحَدَ ﴿أَحْسَنُ قَوْلًا﴾، أَيْ: كَلَامًا وَطَرِيقَةً، وَحَالَةً ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بِتَعْلِيمِ الْجَاهِلِيْنَ، وَوَعْظِ

الْغَافِلِيْنَ وَالْمُعْرِضِيْنَ، وَمُجَادَلَةِ الْمُبْطِلِيْنَ بِالْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللهِ بِجَمِيْعِ أَنْوَاعِهَا، وَالْحَثِّ عَلَيْهَا، وَتَحْسِيْنِهَا مَهْمَا أَمْكَنَ، وَالزَّجْرِ عَمَّا نَهَى اللهُ عَنْهُ، وَتَقْبِيْحِهِ بِكُلِّ طَرِيْقٍ يُوجِبُ تَرْكَهُ، خُصُوصًا مِّنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ إِلَى أَصْلِ دِيْنِ الْإِسْلَامِ وَتَحْسِيْنِهِ، وَمُجَادَلَةِ أَعْدَائِهِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَالنَّهْيِ عَمَّا يُضَادُّهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَمِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ: تَحْبِيْبُهُ إِلَى عِبَادِهِ، بِذِكْرِ تَفَاصِيْلِ نِعَمِهِ، وَسَعَةِ جُودِهِ، وَكَمَالِ رَحْمَتِهِ، وَذِكْرِ أَوْصَافِ كَمَالِهِ، وَنُعُوتِ جَلَالِهِ.

وَمِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ: التَّرْغِيْبُ فِي اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ وَالْهُدَى مِن كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَالْحَثُّ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ طَرِيقٍ مُّوصِلٍ إِلَيْهِ.

وَمِن ذَلِكَ: الْحَثُّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى عُمُومِ الْخَلْقِ، وَمُقَابَلَةِ الْمُسِيْءِ بِالْإِحْسَانِ، وَالْأَمْرُ بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ.

وَمِن ذَلِكَ: الْوَعْظُ لِعُمُومِ النَّاسِ، فِي أَوْقَاتِ الْمَوَاسِمِ، وَالْعَوَارِضِ، وَالْمَصَائِبِ، بِمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ الْحَالَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا لَا تَنحَصِرُ أَفْرَادُهُ، مِمَّا تَشْمَلُهُ الدَّعْوَةُ إِلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَالتَّرْهِيْبِ مِن جَمِيْعِ الشَّرِّ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾، أَيْ: مَعَ دَعْوَتِهِ الْخَلْقَ إِلَى اللهِ، بَادَرَ هُوَ بِنفْسِهِ، إِلَى امْتِثَالِ أَمْرِ اللهِ، بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، الَّذِي يُرْضِي رَبَّهُ، ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، أَيِ: الْمُنْقَادِيْنَ لِأَمْرِهِ، السَّالِكِيْنَ فِي طَرِيْقِهِ، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ، تَمَامُهَا لِلصِّدِّيْقِيْنَ، الَّذِيْنَ عَمِلُوا عَلَى تَكْمِيْلِ أَنفُسِهِمْ وَتَكْمِيْلِ غَيْرِهِمْ، وَحَصَلَتْ لَهُمُ الْوِرَاثَةُ التَّامَّةُ مِنَ الرُّسُلِ، كَمَا أَنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ قَوْلًا مَن كَانَ مِن دُعَاةِ الضَّالِّيْنَ السَّالِكِيْنَ لِسُبُلِهِ.

وَبَيْنَ هَاتَيْنِ الْمَرْتَبَتَيْنِ الْمُتَبَايِنَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ارْتَفَعَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّيْنَ، وَنَزَلَتِ الْأُخْرَى إِلَى أَسْفَلَ سَافِلِيْنَ، مَرَاتِبُ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ، وَكُلُّهَا مَعْمُورَةٌ بِالْخَلْقِ، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].ا.هـ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيْرِهِ (رقم: ٢٧١٠): أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، قَالَ: تَلَا الْحَسَنُ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت: ٣٣]، فَقَالَ: «هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ ، هَذَا

وَلِيُّ اللَّهِ ، هَذَا صَفْوَةُ اللَّهِ ، هَذَا خِيرَةُ اللَّهِ ، هَذَا أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ ، أَجَابَ اللَّهَ فِي دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ اللَّهَ فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ، وَعَمِلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِهِ، ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، هَذَا خَلِيفَةُ الله».

فَمِنْ أَحْسَنِ الْقَوْلِ: الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.

أَلَا وَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَأَحَبَّهُ إِلَى الْمَلِيكِ الْخَلَّاقِ، كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»**.

قَالَ: **«فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٦٩٩٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٦٣٩)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٤٣٠٠).(١)

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»**. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٥٨٥).(٢)

---

(١) وحسنه الترمذي، وصححه: ابن حبان (رقم: ٢٢٥)، الحاكم (رقم: ٩، و١٩٣٧)، وقال: «على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وحسن إسناده: الضياء في "المختارة"(ج٣/صـ: ٢٦٥)(رقم: ١٠٦٩)، وصححه أيضًا: الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٣٧٠).

(٢) وله شواهد، راجعها في: "الصحيحة"(رقم: ١٥٠٣)، و"تحقيق المسند"(ج١١/صـ: ٥٤٩).

وَأَحْسَنُ الْقَوْلِ وَالْحَدِيثِ كَلَامُ رَبِّنَا، قَالَ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[الزمر: ٢٣].

وَعَن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَتَلَا عَلَيْهِمْ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [يوسف: ١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، فَتَلَاهَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ حَدَّثْتَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر: ٢٣]، الْآيَةَ، كُلُّ ذَلِكَ يُؤْمَرُونَ بِالْقُرْآنِ».

قَالَ خَلَّادٌ – أَحَدُ رِجَالِ السَّنَدِ –: وَزَادَ فِيهِ حِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكِّرْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]. رَوَاهُ الْبَزَّارُ (رقم: ١١٥٣)، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ (رقم: ٦٢٠٩)، وَالْحَاكِمُ (رقم: ٣٣١٩).(١)

وَمِنْ أَحْسَنِ الْقَوْلِ وَأَحَبِّهِ إِلَى ذِي الْمَنِّ وَالطَّوْلِ: التَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالتَّكْبِيرُ، فَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢١٣٧).

وَلَهُ أَيْضًا (رقم: ٢٧٣١) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ؟»**. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ، فَقَالَ: **«إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»**.

---

(١) وصححه: ابن حبان (رقم: ٢٢٥)، الحاكم (رقم: ٩، و١٩٣٧)، وقال: «على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني "الصحيحة"(رقم: ١٣٥)، وصححه أيضًا: الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٧٨٧).

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**».

الْقَوْلُ الْحَسَنُ مَأْمُورٌ بِهِ، وَهُوَ قُرْبَةٌ وَّعِبَادَةٌ، قَالَ ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ وَخَلَفٌ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حَسَنًا﴾، بِفَتْحِ الْحَاءِ وَالسِّيْنِ، أَيْ: قَوْلًا حَسَنًا.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾: وَهَذَا أَمْرٌ بِكُلِّ كَلَامٍ يُّقَرِّبُ إِلَى اللهِ، مِن قِرَاءَةٍ وَّذِكْرٍ وَّعِلْمٍ وَّأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَّنَهْيٍ عَن مُّنكَرٍ وَّكَلَامٍ حَسَنٍ لَّطِيفٍ مَّعَ الْخَلْقِ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، وَأَنَّهُ إِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ حَسَنَيْنِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِإِيْثَارِ أَحْسَنِهِمَا إِن لَّمْ يُمْكِنِ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا.

وَالْقَوْلُ الْحَسَنُ دَاعٍ لِّكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ وَّعَمَلٍ صَالِحٍ؛ فَإِنَّ مَن مَّلَكَ لِسَانَهُ مَلَكَ جَمِيعَ أَمْرِهِ.ا.هـ.

خُذ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِعُرفٍ كَمَا ... أُمِرتَ وأعْرِض عَنِ الجَاهلِينْ
وَلِنْ فِي الكَلَام لكُلِّ الْأَنَام ... فَمُسْتَحْسَمٌ مِّنْ ذَوِي الجَاهِ لِينْ

إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِحُسْنِ قَوْلِكَ وَحُسْنِ صُحْبَتِكَ: أَبَوَاكَ، قَالَ ﷻ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ

وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٥].

وَمَعْنَى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: أَيْ: حَسَنًا لَيِّنًا، قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بِلَفْظٍ يُحِبَّانِهِ وَتَأَدُّبٍ، وَتَلَطُّفٍ، بِكَلَامٍ لَيِّنٍ حَسَنٍ يَلَذُّ عَلَى قُلُوبِهِمَا، وَتَطْمَئِنُّ بِهِ نُفُوسُهُمَا، وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ وَالْأَزْمَانِ.ا.هـ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: **«أُمُّكَ»**. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **«ثُمَّ أُمُّكَ»**. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **«ثُمَّ أُمُّكَ»**. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **«ثُمَّ أَبُوكَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:٥٩٧١)، وَمُسْلِمٌ (رقم:٢٥٤٨).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: **«أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»**. أَيِ: الْأَقْرَبُ مِنكَ فَالْأَقْرَبُ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رَفَعَهُ، قَالَ: **«إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١١٩٠٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٤٠٧).(١)

وَعِندَ أَحْمَدَ (رقم: ٢٢٠١٦)، وَالتِّرْمِذِيِّ (رقم: ٢٦١٦)، وَابْنِ مَاجَهْ (رقم: ٣٩٧٣) عَن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: **«أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ»**؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **«رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ»**.

(١) وصحح الترمذي وقفه، لكن له حكم الرفع، كما في "تحقيق مسند أحمد"(ج١٨/صـ: ٤٣٠)، والله أعلم، وقد حسنه مرفوعًا: الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٢٨٧١).

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ»؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». (١)

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَكْثَرُ خَطَايَا ابنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ (ج١٠/صـ: ١٩٧)(رقم: ١٠٤٤٦)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي "الصَّحِيحَةِ"(رقم:٥٣٤): «إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ».

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ كَثِيْرٌ مِّنْهُ بِسَبَبِ فَسَادِ الْقَوْلِ وَمُجَانَبَةِ الْقَوْلِ الْحَسَنِ؛ وَلِهَذَا فَإِنَّ الْأَمْرَ بِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ يَتَضَمَّنُ الْأَمْرَ بِالْقَوْلِ الْحَسَنِ، وَالنَّهْيَ عَن فَسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ يَتَضَمَّنُ النَّهْيَ عَنِ الْكَلَامِ الْقَبِيْحِ السَّيِّءِ.

وَالْكَلَامُ الْبَاطِلُ إِمَّا أَن يَّكُونَ كُفْرًا أَوْ بِدْعَةً أَوْ مَعْصِيَةً، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ هِيَ الَّتِي تُوجِبُ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَتَحُلُّ بِهَا الْفُرْقَةُ، وَيَتَسَلَّطُ بِهَا الشَّيْطَانُ عَلَى ابْنِ آدَمَ، قَالَ ﷻ: ﴿ فَإِذَا

---

(١) وصححه الترمذي، والحاكم (رقم: ٣٥٤٨)، وقال: «على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي.
وللحديث طرق، وله شواهد، منها: حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه الحاكم (رقم: ٧٧٧٤)، وقال: «على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الضياء في "المختارة"(ج٨/صـ: ٣٣٣)(رقم: ٤٠٥)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٤١٢)، وذكره العلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٥٣٨).
وراجع: "الصحيحة"(رقم: ١١٢٢، و٣٢٨٤)، و"تحقيق المسند"(ج٣٦/صـ:٣٤٥-٣٤٧).

قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾[النحل:٩٨- ١٠٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾[الأعراف: ٢٠١ - ٢٠٢].

وَعِندَ الْبُخَارِيِّ فِي "الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ"(رقم: ٤٠١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فِي اللَّهِ ﷻ أَوْ فِي الْإِسْلَامِ، فَيُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا»**. وَحَسَّنَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "الصَّحِيحَةِ"(رقم:٦٣٧).

فَإِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ مِنْ أَعْظَمِ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ، قَالَ ﷻ: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١].

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟»**. قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: **«إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ»**. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٩١٩) وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٥٠٩).(١)

وَعِندَ أَحْمَدَ (رقم: ١٤١٢، و١٤٣٠)، وَالتِّرْمِذِيِّ (رقم: ٢٥١٠) مِنْ حَدِيثِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ»**.(٢)

---

(١) وصححه الترمذي، وابن حبان (رقم: ٥٠٩٢)، والألباني في "صحيح الترغيب والتهذيب"(رقم: ٢٨١٤)، والوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٠٥٠)، وقال: «على شرط الشيخين».

(٢) قوله: **«دب إليكم داء الأمم»** له شاهد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الحاكم (رقم: ٧٣١١) يُحَسَّنُ به، وهو في "الصحيحة"(رقم: ٦٨٠) للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقوله: **«هي الحالقة...»** شاهده حديث أبي الدرداء المذكور قبله.

الخسران

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ - ٣].

أَقْسَمَ اللهُ ﷻ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْعَصْرِ، وَهُوَ الدَّهْرُ، وَقِيْلَ: وَقْتُ صَلَاةِ الْعَصْرِ، عَلَى خَسَارَةِ الْإِنسَانِ، فَالْخُسْرَانُ أَصْلٌ فِي الْإِنسَانِ، لَا يَنجُو مِنْهُ إِلَّا مَنِ اسْتَثْنَاهُ الْكَرِيْمُ الرَّحْمَنُ، فَكَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ أَهْلِ الصَّالِحَاتِ وَالْإِيمَانِ، وَمَعَ غَيْرِهِ مُوْصِيًا بِالْحَقِّ مُوْصِيًا بِالصَّبْرِ، فَهَذَا الَّذِي يَنجُو مِنَ الْخُسْرَانِ.

◄ وَلَمَّا كَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ مُشْرِكِيْنَ كَافِرِيْنَ كَانَتْ هَذِهِ الْكَثْرَةُ فِي عِدَادِ الْخَاسِرِيْنَ، فَأَخْسَرُ الْخَاسِرِيْنَ فَرِيْقُ الْمُشْرِكِيْنَ الْكَافِرِيْنَ.

قَالَ ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَقَالَ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [النحل: ١٠٦ - ١٠٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢، و٢٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ الأنعام: ٣١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [فاطر: ٣٩].

◄ وَمِن صِفَاتِ الْخَاسِرِيْنَ: التَّكْذِيْبُ بِلِقَاءِ الْحَقِّ الْمُبِيْنِ، قَالَ ﷻ: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ [يونس: ٤٥].

◄ وَمِن صِفَاتِ الْخَاسِرِ وَسِيْمَاهُ: تَكْذِيْبُهُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَافْتِرَاؤُهُ الْكَذِبَ عَلَى اللهِ، وَصَدُّهُ عَن سَبِيْلِ اللهِ.

قَالَ ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۘ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [هود: ١٨ - ٢٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾ [النمل: ٤ - ٥].

◄ وَمِن صِفَاتِ الْخَاسِرِيْنَ: الْعُتُوُّ عَنْ أَمْرِ اللهِ وَرُسُلِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأعراف: ٩٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ٨ - ١٠].

◄ وَمِن صِفَاتِ أَهْلِ الْخُسْرَانِ: النُّكُوبُ عَنْ آيَاتِ اللهِ بِالظُّلْمِ وَالنِّسْيَانِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف: ٥٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣ - ١٠٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣ - ١٠٤].

◄ وَمِن صِفَاتِ الْخَاسِرِيْنَ: تَوَلِّيْهِمُ الشَّيَاطِيْنَ، قَالَ ﷻ: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ [النساء: ١١٧ - ١٢١].

◄ وَمِن صِفَاتِ الْخَاسِرِيْنَ: خُرُوجُهُم مِّن زُمْرَةِ الذَّاكِرِيْنَ، قَالَ ﷻ: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة: ١٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون: ٩].

◄ وَمِن صِفَاتِ أَهْلِ الْخُسْرَانِ: عَدَمُ انتِفَاعِهِم بِالْقُرْآنِ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة: ١٢١].

◄ وَمِن صِفَاتِ أَهْلِ الْخُسْرَانِ: سُوءُ الظَّنِّ بِالرَّحْمَنِ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [فصلت: ١٩ - ٢٣].

◄ وَمِن صِفَاتِ الْخَاسِرِيْنَ: سُوءُ الْحَالِ، وَمَحْقُ الْبَرَكَةِ فِي الْوَلَدِ وَالْمَالِ، قَالَ ﷻ: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ ﴾ [نوح: ٢٢].

◄ وَمِن صِفَاتِ الْخَاسِرِيْنَ: نَقْضُ الْعَهْدِ، وَقَطِيْعَةُ الرَّحِمِ، وَالْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ، قَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾ [البقرة: ٢٦ - ٢٧].

◄ وَمِن صِفَاتِ أَهْلِ الْخُسْرَانِ وَالْمَحْقِ: قَتْلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ بِغَيْرِ حَقٍّ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ ﴾ [المائدة: ٢٧ - ٣٠].

قَالَ ﷻ: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠ ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

◄ وَمِن صِفَاتِ الْخَاسِرِيْنَ: تَضْيِيْعُ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ عَمُودُ الدِّيْنِ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِن تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ»**. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٤١٣)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٤٦٥).(١)

(١) وراجع: "الإرواء"(رقم: ١٣٥٨).

◄ وَمِن صِفَاتِ الْخَاسِرِيْنَ: عَدَمُ الثَّبَاتِ عَلَى الْخَيْرِ وَالْيَقِيْنِ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾[الحج: ١١ - ١٣].

◄ الْخَاسِرُ هُوَ الضَّالُّ، قَالَ ﷻ: ﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

◄ الْخَاسِرُ هُوَ الْخَبِيْثُ، قَالَ ﷻ: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٧].

◄ الْخَاسِرُ مَن نَّظَرَ إِلَى الدُّنْيَا عَلَى أَنَّهَا دَارُ مُتْعَةٍ، وَلَمْ يَتَّخِذْهَا مَطِيَّةً لِّلْآخِرَةِ، قَالَ ﷻ: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[التوبة: ٦٩].

◄ الْخَاسِرُ مَن فَاتَهُ اسْتِعْتَابُ رَبِّهِ حَتَّى حَلَّ بِهِ أَجَلُهُ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [غافر: ٧٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[غافر: ٨٢ - ٨٥].

◄ الْخَاسِرُ مَنْ خَسِرَ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ ﷻ: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر: ١٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الشورى: ٤٥].

فَتَذَكَّرْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ عِظَمَ افْتِقَارِكَ إِلَى رَبِّكَ، وَغِنَاهُ عَنكَ، وَأَنَّهُ لَا يَنجُو عَبْدٌ مِّنَ الْخُسْرَانِ إِلَّا بِفَضْلِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ، قَالَ ﷻ فِي تَوْبَةِ آدَمَ وَحَوَّاءَ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

وَقَالَ ﷻ فِي شَأْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٥-٤٧].

وَقَالَ ﷻ فِي شَأْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأعراف: ١٤٨ - ١٤٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [البقرة: ٦٣ - ٦٤].

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

◄ فَإِنَّ مِمَّا أَبَانَ الْخَاسِرَ وَجَلَّاهُ: عَدَمُ أَمْنِهِ مِن مَّكْرِ اللهِ، قَالَ ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ۖ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٥ - ٤٧].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَن يَّكُونَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ وَاحِدًا، فَأَيُّهُمَا غَلَبَ هَلَكَ صَاحِبُهُ، وَنَصَّ عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ؛ لِأَنَّ مَنْ غَلَبَ خَوْفُهُ وَقَعَ فِي نَوْعٍ مِنْ الْيَأْسِ، وَمَنْ غَلَبَ رَجَاؤُهُ وَقَعَ فِي نَوْعٍ مِنْ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ.ا.هـ.(١)

فَيَا أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا تَأْمَن مَّكْرَ اللهِ؛ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ، لَا سِيَّمَا مَعَ تَفْرِيْطِكَ!.

يَا مَن نِّعَمُ اللهِ عَلَيْهِ مُسْبَغَةٌ، ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ، وَهُوَ يُبَارِزُ رَبَّهُ بِالْعِصْيَانِ، لَا تَأْمَن مَّكْرَ اللهِ!.

يَا مَن يُّطْلِقُ بَصَرَهُ فِي الْحَرَامِ، وَلَا يَتَوَرَّعُ عَن سَمَاعِ الْحَرَامِ، لَا تَأْمَن مَّكْرَ اللهِ!.

يَا مَن يَّعِيْشُ مَعَ مَشَاهِدِ الْعُرْيِ وَالْخَنَا وَالزِّنَا وَاللِّوَاطِ فِي الْأَفْلَامِ الْإِبَاحِيَّةِ، آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ!، مَعَ الْغَفْلَةِ عَن ذِكْرِ اللهِ، وَإِهْدَارِ الْأَوْقَاتِ وَتَضْيِيْعِ الصَّلَوَاتِ وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، تَذَكَّرْ أَنَّ لَكَ رَبًّا يَّغَارُ، وَيَغْضَبُ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنبِ، فَلَا تَأْمَن مَّعَرَّةَ مَعْصِيَتِكَ!.

ذَكَرَ ابْنُ الْحَاجِّ الْفَاسِيُّ الْمَالِكِيُّ (الْمُتَوَفَّى: ٧٣٧هـ) فِي "الْمَدْخَلِ"(ج٢/صـ:٩) عَن بَعْضِ صُوفِيَّةِ الشَّامِ، قَالَ: نَظَرْت إلَى غُلَامٍ نَصْرَانِيٍّ حَسَنِ الْوَجْهِ، فَوَقَفْت أَنْظُرُ إلَيْهِ، فَمَرَّ بِي ابْنُ الْجَلَاءِ الدِّمَشْقِيُّ، وَأَخَذَ بِيَدِي، فَاسْتَحَيْتُ مِنْهُ، فَقُلْت: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ! تَعَجَّبْت مِنْ هَذِهِ الصُّورَةِ الْحَسَنَةِ وَهَذِهِ الصَّنْعَةِ الْمُحْكَمَةِ كَيْفَ خُلِقَتْ لِلنَّارِ! فَغَمَزَ يَدِي، وَقَالَ: لَتَجِدَنَّ عُقُوبَتَهَا بَعْدَ حِينٍ. فَعُوقِبْت بِتِلْكَ النَّظْرَةِ بَعْدَ ثَلَاثِينَ سَنَةً!.ا.هـ.

(١) "الفتاوى الكبرى"(ج٥/صـ:٣٥٩).

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ"(ج١/صـ:٤٦٦): كَانَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ قَدْ جَاوَزَ الْمِائَةَ سَنَةً وَهُوَ مُمَتَّعٌ بِقُوَّتِهِ وَعَقْلِهِ، فَوَثَبَ يَوْمًا وَثْبَةً شَدِيدَةً، فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: هَذِهِ جَوَارِحُ حَفِظْنَاهَا عَنِ الْمَعَاصِي فِي الصِّغَرِ، فَحَفِظَهَا اللَّهُ عَلَيْنَا فِي الْكِبَرِ.

وَعَكْسُ هَذَا أَنَّ بَعْضَ السَّلَفِ رَأَى شَيْخًا يَسْأَلُ النَّاسَ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا ضَعِيفٌ، ضَيَّعَ اللَّهَ فِي صِغَرِهِ، فَضَيَّعَهُ اللَّهُ فِي كِبَرِهِ.ا.هـ.

قَابِلْ نِعَمَ اللهِ ﷻ بِالشُّكْرِ، وَإِلَّا سُلِبَتْ مِنكَ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

وَاجْعَلِ الْآخِرَةَ نَصْبَ عَيْنَيْكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّبْحَ كُلَّهُ فِي التَّزَوُّدِ مِنَ الْخَيْرِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ ... وَرِبْحُهُ غَيْرَ مَحْضِ الْخَيْرِ خُسْرَانُ
وَكُلُّ وُجْدَانِ حَظٍّ لَّا ثَبَاتَ لَهُ ... فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فُقْدَانُ
يَا عَامِرًا لِخَرَابِ الدَّارِ مُجْتَهِدًا ... بِاللهِ هَل لِخَرَابِ الْعُمْرِ عُمْرَانُ؟

الحسرات

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيْمِ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢١].

أَيْ: وَفِيْ أَنفُسِكُمْ آيَاتٌ أَيْضًا، أَفَلَا تَنظُرُوْنَ بِعَيْنِ الْبَصِيْرَةِ إِلَى خَلْقِهَا وَأَحْوَالِهَا، وَطَبَائِعِهَا، فَإِنَّ فِيْهَا عَجَبًا، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِيْ كِتَابِهِ "الرُّوْحِ"(صـ:٢٢٥-٢٢٦): وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ آيَاتِ اللهِ، فَإِنَّهَا مَخْلُوقٌ مِن مَخْلُوْقَاتِهِ، تَتَقَلَّبُ وَتَتَلَوَّنُ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ فَضْلًا عَنِ الْيَوْمِ وَالشَّهْرِ وَالْعَامِ وَالْعُمُرِ أَلْوَانًا مُتَلَوِّنَةً، فَتَذْكُرُ، وَتَغْفُلُ، وَتُقْبِلُ، وَتُعْرِضُ، وَتَلْطُفُ، وَتَكْشِفُ، وَتُنِيْبُ، وَتَجْفُو، وَتُحِبُّ، وَتُبْغِضُ، وَتَفْرَحُ، وَتَحْزَنُ، وَتَرْضَى، وَتَغْضَبُ، إِلَى أَضْعَافِ أَضْعَافِ ذَلِكَ مِنْ حَالَاتِهَا وَتَلَوُّنِهَا، فَهِيَ تَتَلَوَّنُ كُلَّ وَقْتٍ أَلْوَانًا كَثِيرَةً.ا.هـ.

وَمِن تَلَوُّنِ النَّفْسِ وَحَالَاتِهَا وَآلَامِهَا وَانفِعَالَاتِهَا: (الْحَسْرَةُ)، فَهِيَ تَتَحَسَّرُ إِذَا عَرَضَ لَهَا مَا يَقْتَضِي ذَلِكَ، والْحَسْرَةُ – كَمَا قَالَ الْجُرْجَانِيُّ فِي "التَّعْرِيْفَاتِ"(صـ: ٨٧)-: هِيَ بُلُوغُ النِّهَايَةِ فِي التَّلَهُّفِ، حَتَّى يَبْقَى الْقَلْبُ حَسِيْرًا، لَا مَوْضِعَ فِيْهِ لِزِيَادَةِ التَّلَهُّفِ، كَالْبَصَرِ الْحَسِيْرِ، لَا قُوَّةَ فِيْهِ لِلنَّظَرِ.ا.هـ.

وَكُلُّ دُورِ الْحَيَاةِ الثَّلَاثِ فِيْهَا حَسَرَاتٌ: الدُّنْيَا، وَالْبَرْزَخُ، وَالْآخِرَةُ.

فَحَسَرَاتُ أَهْلِ الدُّنْيَا عَلَى قِسْمَيْنِ:

الأول: حَسَرَاتُ الْمَفْتُوْنِيْنَ بِالدُّنْيَا عَلَى مَا يَفُوتُهُم مِّن لَّذَّاتِهَا وَحُطَامِهَا.

الثاني: حَسْرَةُ الْمُؤْمِنِ عَلَى تَفْوِيْتِ الْكَمَالِ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ، بِتَخَلُّفِهِ عَن بَعْضِ الطَّاعَاتِ، وَعَدَمِ انتِهَازِهِ فُرَصَ الْخَيْرِ.

فَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ فَقَدْ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن قَرَّتْ عَيْنُهُ باللهِ تَعَالَى قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ، وَمَن لَّمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ باللهِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ.(١)

وَقَالَ: وَيَكْفِي فِي فَضْلِ هَذِهِ اللَّذَّةِ وَشَرَفِهَا أَنَّهَا تُخْرِجُ مِنَ الْقَلْبِ أَلَمَ الْحَسْرَةِ عَلَى مَا يَفُوتُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَأَلَّمُ بِأَعْظَمَ مَا يَلْتَذُّ بِهِ أَهْلُهَا، وَيَفِرُّ مِنْهُ فِرَارَهُم مِّنَ الْمُؤْلِمِ، وَهَذَا مَوْضِعٌ الْحَاكِمُ فِيْهِ الذَّوْقُ، لَا مُجَرَّدُ لِسَانِ الْعِلْمِ.

ثُمَّ ذَكَرَ عَن بَعْضِهِمْ قَوْلَهُ: «مَسَاكِيْنُ أَهْلُ الدُّنْيَا، خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَذُوقُوا طَيِّبَ نَعِيْمِهَا»، فَيُقَالُ لَهُ: وَمَا هُوَ؟ فَيَقُولُ: مَحَبَّةُ اللهِ، وَالْأُنسُ بِهِ، وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ، وَمَعْرِفَةُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَقَالَ آخَرُ: أَطْيَبُ مَا فِي الدُّنْيَا مَعْرِفَتُهُ وَمَحَبَّتُهُ، وَأَلَذُّ مَا فِي الْآخِرَةِ رُؤْيَتُهُ وَسَمَاعُ كَلَامِهِ بِلَا وَاسِطَةٍ.

---

(١) "مدارج السالكين"(ج٣/صـ: ٣١٧)، و"إغاثة اللهفان"(ج١/صـ: ٧٢)، و"الوابل الصيب" (صـ: ٢٤)، و"الجواب الكافي"(صـ: ١٢٠)، و"طريق الهجرتين"(صـ: ٤٧)، و"روضة المحبين" (صـ: ١٦٦).

وَقَالَ آخَرُ: واللهِ، إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ أَقُولُ فِيْهَا: إِن كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ، إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ.(١)

وَقَالَ: فَكَمَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْغَنِيُّ عَلَى الْحَقِيْقَةِ، وَلَا غَنِيَّ سِوَاهُ، فَالْغَنِيُّ بِهِ هُوَ الْغَنِيُّ فِي الْحَقِيْقَةِ، وَلَا غِنَى بِغَيْرِهِ أَلْبَتَّةَ، فَمَن لَّمْ يَسْتَغْنِ بِهِ عَمَّا سِوَاهُ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى السِّوَى حَسَرَاتٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى بِهِ زَالَتْ عَنْهُ كُلُّ حَسْرَةٍ، وَحَضَرَهُ كُلُّ سُرُورٍ وَّفَرَحٍ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ.ا.هـ.(٢)

وَقَالَ أَيْضًا: وَفِي الْقَلْبِ نِيرَانُ حَسَرَاتٍ: لَا يُطْفِئُهَا إِلَّا الرِّضَا بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَقَضَائِهِ، وَمُعَانَقَةُ الصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ إِلَى وَقْتِ لِقَائِهِ.ا.هـ.

وَقَالَ أَيْضًا: فَفِي الْقَلْبِ فَاقَةٌ لَا يَسُدُّهَا إِلَّا مَحَبَّةُ اللَّهِ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَلَا يُلَمُّ شَعَثُهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ أَلْبَتَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِذَلِكَ: فَحَيَاتُهُ كُلُّهَا هُمُومٌ وَغُمُومٌ، وَآلَامٌ وَحَسَرَاتٌ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ، فَإِنَّ هِمَّتَهُ لَا تَرْضَى فِيهَا بِالدُّونِ وَإِنْ كَانَ مَهِينًا خَسِيسًا، فَعَيْشُهُ كَعَيْشِ أَخَسِّ الْحَيَوَانَاتِ، فَلَا تَقَرُّ الْعُيُونُ إِلَّا بِمَحَبَّةِ الْحَبِيبِ الْأَوَّلِ.

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى ... مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى ... وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

وَقَالَ أَيْضًا: فَلَوْ عَرَفَ الْمَشْغُولُونَ بِغَيْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مَا فِيهِ أَهْلُ مَحَبَّتِهِ وَذِكْرِهِ وَمَعْرِفَتِهِ مِنَ النَّعِيمِ لَتَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ حَسَرَاتٍ، وَلَعَلِمُوا أَنَّ الَّذِي حَصَّلُوهُ لَا نِسْبَةَ لَهُ إِلَى مَا ضَيَّعُوهُ وَحُرِمُوهُ.ا.هـ.(٣)

فَيَا حَسَرَاتٍ مَّا إِلَى رَدِّ مِثْلِهِ ... سَبِيلٌ وَلَوْ رُدَّتْ لَهَانَ التَّحَسُّرُ
هِيَ الشَّهَوَاتُ اللَّاءِ كَانَتْ تَحَوَّلَتْ ... إِلَى حَسَرَاتٍ حِينَ عَزَّ التَّصَبُّرُ

(١) "روضة المحبين"(صـ: ١٦٦).
(٢) "طريق الهجرتين"(صـ: ٣٤).
(٣) "مدارج السالكين"(ج٣/ صـ: ١٥٦، وصـ: ٢٥٦، وصـ: ٢٩٢).

فَلَـــوْ أَنَّهَـــا رُدَّتْ بِصَـــبْرٍ وَقُـــوَّةٍ تَحَـــوَّلْنَ لَـــذَّاتٍ وَذُو اللُّـــبِّ يُبْصِـــرُ

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حَسَرَاتِ أَهْلِ الدُّنْيَا أَيْضًا: فُضُولُ النَّظَرِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَالْحَوَادِثُ الْعِظَامُ إِنَّمَا كُلُّهَا مِن فُضُولِ النَّظَرِ فَكَمْ نَظْرَةٍ أَعْقَبَتْ حَسَرَاتٍ لَّا حَسْرَةً، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

كُـلُّ الْحَـوَادِثِ مَبْـدَاهَا مِـنَ النَّظَـرِ وَمُعْظَـمُ النَّـارِ مِـن مُّسْتَصْغَرِ الشَّـرَرِ
كَـمْ نَظْـرَةٍ فتكَـتْ فِي قَلْـبِ صَـاحِبِهَا فَتْـكَ السِّـهَامِ بِـلَا قَـوْسٍ وَّلَا وَتَـرِ

وَقَالَ الْآخَرُ:

وَكُنـتَ مَتَـى أَرْسَـلْتَ طَرْفَـكَ رَائِـدًا لِقَلْبِـكَ يَوْمًـا أَتْعَبَتْـكَ الْمَنَـاظِرُ
رَأَيْـتَ الَّـذِي لَا كُلَّـهُ أَنـتَ قَـادِرٌ عَلَيْـهِ وَلَا عَـن بَعْضِـهِ أَنـتَ صَـابِرُ

وَقَالَ الْمُتَنَبِّي:

وَأَنَـا الَّـذِي جَلَـبَ الْمَنِيَّـةَ طَرْفُـهُ فَمَـنِ الْمُطَالَـبُ وَالْقَتِيْـلُ الْقَاتِـلُ

وَلِي مِنْ أَبْيَاتٍ:

يَـا رَامِيًـا بِسِـهَامِ اللَّحْـظِ مُجْتَهِـدًا أَنـتَ الْقَتِيْـلُ بِـمَا تَرْمِـي فَـلَا تُصِـبِ
وَبَاعِـثَ الطَّـرْفِ يَرْتَـادُ الشِّـفَاءَ لَـهُ تَوَقَّـهُ إِنَّـهُ يَرْتَـدُّ بِالْعَطَـبِ(١)

وَقَالَ أَيْضًا: وَفِي غَضِّ الْبَصَرِ عِدَّةُ فَوَائِدَ: **أحدها**: تَخْلِيْصُ الْقَلْبِ مِنْ أَلَمِ الْحَسْرَةِ؛ فَإِنَّ مَنْ أَطْلَقَ نَظَرَهُ دَامَتْ حَسْرَتُهُ، فَأَضَرُّ شَيْءٍ عَلَى الْقَلْبِ إِرْسَالُ الْبَصَرِ؛ فَإِنَّهُ يُرِيْهِ مَا يَشْتَدُّ طَلَبُهُ وَلَا صَبْرَ لَهُ عَنْهُ وَلَا وُصُولَ لَهُ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ غَايَةُ أَلَمِهِ وَعَذَابِهِ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: رَأَيْتُ جَارِيَةً فِي الطَّوَافِ كَأَنَّهَا مَهَاةٌ، فَجَعَلْتُ أَنظُرُ إِلَيْهَا وَأَمْلَأُ عَيْنِي مِن مَّحَاسِنِهَا، فَقَالَتْ لِي: يَا هَذَا، مَا شَأْنُكَ؟! قُلْتُ: وَمَا عَلَيْكِ مِنَ النَّظَرِ؟ فَأَنشَأَت تَّقُولُ:

وَكُنـتَ مَتَـى أَرْسَـلْتَ طَرْفَـكَ رَائِـدًا لِقَلْبِـكَ يَوْمًـا أَتْعَبَتْـكَ الْمَنَـاظِرُ
رَأَيْـتَ الَّـذِي لَا كُلَّـهُ أَنـتَ قَـادِرٌ عَلَيْـهِ وَلَا عَـن بَعْضِـهِ أَنـتَ صَـابِرُ

(١) "بدائع الفوائد"(ج٢/ صـ: ٢٧١).

وَالنَّظْرَةُ تَفْعَلُ فِي الْقَلْبِ مَا يَفْعَلُ السَّهْمُ فِي الرَّمْيَةِ، فَإِن لَّمْ تَقْتُلْهُ جَرَحَتْهُ وَهِيَ بِمَنزِلَةِ الشَّرَارَةِ مِنَ النَّارِ تُرْمَى فِي الْحَشِيْش الْيَابِسِ، فَإِن لَّمْ تُحْرِقْهُ كُلَّهُ أَحْرَقَتْ بَعْضَهُ.(١)

وَقَالَ أَيْضًا: وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا سِوَى اللهِ ﷻ فَالضَّرَرُ حَاصِلٌ لَّهُ بِمَحْبُوبِهِ: إِن وُّجِدَ وَإِن فُقِدَ، فَإِنَّهُ إِن فَقَدَهُ عُذِّبَ بِفِرَاقِهِ وَتَأَلَّمَ عَلَى قَدْرِ تَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِهِ، وَإِن وَجَدَهُ كَانَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْأَلَمِ قَبْلَ حُصُولِهِ، وَمِنَ النَّكَدِ فِي حَالِ حُصُولِهِ، وَمِنَ الْحَسْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ فَوْتِهِ، أَضْعَافَ أَضْعَافِ مَا فِي حُصُولِهِ لَهُ مِنَ اللَّذَّةِ:

فَمَا فِي الأَرْضِ أَشْقَى مِنْ مُحِبٍّ ... وَإِنْ وَجَدَ الهَوَى حُلْوَ المَذَاقِ
تَرَاهُ بَاكِيًا فِي كُلِّ حَالٍ ... مَخَافَةَ فُرْقَةٍ، أَوْ لاشْتِيَاقِ
فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا، شَوْقًا إِلَيْهِمْ ... وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا، حَذَرَ الْفِرَاقِ

وَقَالَ أَيْضًا: فَيَا حَسْرَةَ الْمُحِبِّ الَّذِي بَاعَ نَفْسَهُ لِغَيْرِ الْحَبِيْبِ الْأَوَّلِ بِثَمَنٍ بَخْسٍ، وَشَهْوَةٍ عَاجِلَةٍ، ذَهَبَتْ لَذَّتُها، وَبَقِيَت تَّبِعَتُهَا، وَانقَضَتْ مَنفَعَتُهَا، وَبَقِيَتْ مَضَرَّتُهَا، فَذَهَبَتِ الشَّهْوَةُ، وَبَقِيَتِ الشِّقْوَةُ، وَزَالَتِ النَّشْوَةُ، وَبَقِيَتِ الْحَسْرَةُ، فَوَارَحْمَتَاهُ لِصَبٍّ جُمِعَ لَهُ بَيْنَ الْحَسْرَتَيْنِ، حَسْرَةِ فَوْتِ الْمَحْبُوبِ الْأَعْلَى وَالنَّعِيْمِ الْمُقِيْمِ، وَحَسْرَةِ مَا يُقَاسِيْهِ مِنَ النَّصَبِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيْمِ.(٢)

وَقَالَ أَيْضًا: وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَسْرَةَ كُلَّ الْحَسْرَةِ الِاشْتِغَالُ بِمَن لَّا يَجُرُّ عَلَيْكَ الِاشْتِغَالُ بِهِ إِلَّا فَوْتَ نَصِيْبِكَ وَحَظِّكَ مِنَ اللهِ ﷻ، وَانقِطَاعَكَ عَنْهُ، وَضَيَاعَ وَقْتِكَ، وَضَعْفَ عَزِيْمَتِكَ، وَتَفَرُّقَ هَمِّكَ.(٣)

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِن قِسْمَيِ حَسَرَاتِ الدُّنْيَا فَقَدْ قَالَ فِيهِ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ"(صـ: ١١٧): وَأَعْظَمُ النَّقْصِ وَأَشَدُّ الْحَسْرَةِ نَقْصُ الْقَادِرِ عَلَى التَّمَامِ

---

(١) "روضة المحبين"(صـ: ٩٧).
(٢) "إغاثة اللهفان"(ج٢/صـ: ١٢١).
(٣) "الوابل الصيب"(صـ: ٤٩).

وَحَسْرَتُهُ عَلَى تَفْوِيْتِهِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا كَثُرَت طُرُقُ الْخَيْرِ كَانَ الْخَارِجُ مِنْهَا أَشَدَّ حَسْرَةً، وَصَدَقَ الْقَائِلُ:

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا ... كَنَقصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ.ا.هـ.

وَهَذِهِ الْحَسْرَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ تَفْتَحُ عَلَيْهِ عَمَلَ الشَّيْطَانِ؛ فَلِهَذَا نُهِيَ عَنْهَا؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِن قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٦٦٤).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثُمَّ لَمَّا أَمَرَهُ بِالِاجْتِهَادِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاَللَّهِ وَنَهَاهُ عَنْ الْعَجْزِ أَمَرَهُ إذَا غَلَبَهُ أَمْرٌ أَن يَّنْظُرَ إلَى الْقَدَرِ، وَيَقُولَ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، وَلَا يَتَحَسَّرَ وَيَتَلَهَّفَ وَيَحْزَنَ.(١)

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷻ مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ ﴾ [لقمان: ٢٣]، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [النحل: ١٢٧]، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ ﴾ [يس: ٧٦]، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ ﴾ [الأنعام: ٣٣]، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ ﴾ [فاطر: ٨]، فَكَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ حُزْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِمَا كَانُوا يَقُولُونَ مِنَ الْكُفْرِ كَانَ طَاعَةً لِلَّهِ قَبْلَ أَن يَّنْهَاهُ اللَّهُ».(٢)

وَأَمَّا حَسَرَاتُ الْبَرْزَخِ وَحَسَرَاتُ الْآخِرَةِ فَتَكُونُ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي جَنبِ اللهِ، بِتَضْيِيعِ الْفَرَائِضِ، وَانتِهَاكِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَقَدْ سَمَّى اللهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْحَسْرَةِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩].

---

(١) "مجموع الفتاوى"(ج٨/ص: ٧٧، وص: ٣٢٠، وج١٠/ص: ٥٠٧).

(٢) "مجموع الفتاوى"(ج٨/ص: ٤٦٨).

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٥ - ١٦٧].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى"(ج١٠/صـ: ٦٠٦) -: فَالْأَعْمَالُ الَّتِي أَرَاهُمْ اللَّهُ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ: هِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي يَفْعَلُهَا بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا كَانَتْ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَمِنْهَا الْمُوَالَاةُ وَالصُّحْبَةُ وَالْمَحَبَّةُ لِغَيْرِ اللَّهِ.ا.هـ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [يس: ٣٠].

قَالَ عَلِيُّ بْن أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ﴾ [يس: ٣٠]: «يَا وَيْلًا لِلْعِبَادِ». أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (ج١٩/صـ: ٤٢٩)، وَقَالَ: وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: مَعْنَى ذَلِكَ: يَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ.

وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَن مُّجَاهِدٍ فِي قَوْلُهُ: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ﴾ [يس: ٣٠]، قَالَ: «كَانَ حَسْرَةً عَلَيْهِمُ اسْتِهْزَاؤُهُمْ بِالرُّسُلِ».

وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَن قَتَادَةَ، قَالَ: «أَيْ: يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ عَلَى أَنْفُسِهَا عَلَى مَا ضَيَّعَتْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَفَرَّطَتْ فِي جَنْبِ اللَّهِ».

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمَعْنَى هَذَا: يَا حَسْرَتَهُمْ وَنَدَامَتَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا عَايَنُوا الْعَذَابَ، كَيْفَ كَذَّبُوا رُسُلَ اللَّهِ، وَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ.ا.هـ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْحَسَرَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: تَرْكَ الْقُرْآنِ: تَرْكَ الِاسْتِهْدَاءِ بِهِ، وَتَرْكَ التَّحَاكُمِ إِلَيْهِ، وَتَرْكَ الِاسْتِشْفَاءِ بِهِ، وَغَيْرَهَا مِن وُّجُوهِ التَّرْكِ.

فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٨٠٤). وَالْبَطَلَةُ: السَّحَرَةُ.

قَالَ الْمُنَاوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ»**، أَيْ: تَأَسُّفٌ عَلَى مَا فَاتَ مِنَ الثَّوَابِ.(١)

وَقَالَ ﷻ فِي شَأْنِ الْقُرْآنِ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الحاقة: ٥٠]، وَهَذَا كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٢٠٠ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الشعراء: ٢٠٠ - ٢٠١].

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، أَيْ: وَإِنَّ الْقُرْآنَ لَحَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ مُشَاهَدَتِهِمْ لِثَوَابِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقِيلَ: هِيَ حَسْرَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا حِينَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى مُعَارَضَتِهِ عِنْدَ تَحَدِّيهِمْ بِأَن يَّأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِّثْلِهِ.ا.هـ.

---

(١) "فيض القدير"(ج٢/صـ: ٦٣).

وَقَالَ السَّعْدِيُّ: تَحَسَّرُوا إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ، وَلَمْ يَنقَادُوا لِأَمْرِهِ، فَفَاتَهُمُ الثَّوَابُ، وَحَصَلُوا عَلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ، وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابِ.ا.هـ.

وَقِيْلَ: إِنَّ الضَّمِيْرَ فِي قَوْلِهِ:﴿وَإِنَّهُۥ﴾ عَائِدٌ عَلَى التَّكْذِيبِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾[الحاقة: ٤٩].

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ هَذِهِ الْحَسَرَاتِ أَيْضًا: الْإِعْرَاضُ عَن ذِكْرِ اللهِ، أَوِ الْغَفْلَةُ عَنْهُ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً»**.

رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٩٠٥٢)، أَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٨٥٥).

وَزَادَ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ (رقم: ١٠٦٨٠، و١٠٨٢٥): **«حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.(١)

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **«مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٤٨٥٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٨٥٦).(٢)

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُدَ (رقم: ٥٠٥٩): **«وَمَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ ﷻ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

---

(١) وصححه: الحاكم (رقم: ١٨٠٨، و١٨٠٩)، وقال: «على شرط مسلم».

وصححه أيضًا: الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٧٧)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٣٢٨).

(٢) وصححه: ابن حبان (رقم: ٨٥٣)، والحاكم (رقم: ٢٠١٧)، وقال: «على شرط البخاري»، وحسن إسناده: الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٧٨).

وَلِأَحْمَدَ (رقم: ١٠٢٧٧)، وَالتِّرْمِذِيِّ (رقم: ٣٣٨٠) عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»**.(١) وَالتِّرَةُ: الْحَسْرَةُ.

وَلِأَحْمَدَ (رقم: ٩٩٦٥): **«مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ فِيهِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ»**.(٢)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْوُهُ، رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي "عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ"(رقم: ٤٠٩).(٣)

وَمَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَإِن دَخَلُوا الْجَنَّةَ»**، أَيْ: وَإِن كَانَ مَآلُهُمْ إِلَى دُخُولِهَا، فَالْحَسْرَةُ قَبْلَ الدُّخُولِ، لَا بَعْدَهُ؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ لَا حَسْرَةَ فِيهَا وَلَا تَنغِيصَ عَيْشٍ.(٤)

أَلَا وَإِنَّ الْحَسْرَةَ كُلَّ الْحَسْرَةِ وَأَعْظَمَهَا حَسْرَةُ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ؛ لِيَزْدَادَ شُكْرًا، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ، لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٥٦٩).

---

(١) قال الترمذي: «هذا حديث حسن». وصححه: الحاكم (رقم: ١٨٢٦)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٧٤).

(٢) وصححه: ابن حبان (رقم: ٥٩٠، و٥٩١، و٥٩٢)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٧٦)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٣٢٨).

(٣) وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٣٩٥).

(٤) "فيض القدير"(ج٥/صـ: ٤٠٨).

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حَسَرَاتِ الْكَافِرِيْنَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: إِنفَاقُهُمْ أَمْوَالَهُمْ لِلصَّدِّ عَن سَبِيْلِ اللهِ، قَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ: ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾أَيْ: نَدَامَةً؛ حَيْثُ لَمْ تُجْدِ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ وَظُهُورَ كَلِمَتِهِمْ عَلَى كَلِمَةِ الْحَقِّ، وَاللَّهُ مُتِمٌّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَنَاصِرٌ دِينَهُ، ومُعْلِن كَلِمَتَهُ، وَمُظْهِرٌ دِينَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ، فَهَذَا الْخِزْيُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ، فَمَنْ عَاشَ مِنْهُمْ، رَأَى بِعَيْنِهِ وَسَمِعَ بِأُذُنِهِ مَا يَسُوءُهُ، وَمَنْ قُتِل مِنْهُمْ أَوْ مَاتَ، فَإِلَى الخِزْي الْأَبَدِي وَالْعَذَابِ السَّرْمَدِيّ.ا.هـ.

كيف الخلاص وكلهم أعدائي؟

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيْمِ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾ [محمد: ٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].

وَقَرَأَ نَافِعٌ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَيَعْقُوبُ: ﴿دِفَاعُ﴾، بِكَسْرِ الدَّالِ وَفَتْحِ الْفَاءِ وَأَلِفٍ بَعْدَهَا.

فَهَذِهِ سُنَّةٌ مِّن سُنَنِ اللهِ ﷻ فِي خَلْقِهِ: أَنِ ابْتَلَى الْعِبَادَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ، فَعَادَى بَعْضُهُم بَعْضًا، وَدَفَعَ اللهُ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ، فَلَا يَخْلُو امْرُؤٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِن ضِدٍّ لَّهُ وَعَدُوٍّ؛ لِأَنَّهُ إِن كَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ عَادَاهُ أَهْلُ الشَّرِّ، وَإِن كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ عَادَاهُ أَهْلُ الْخَيْرِ.

قَالَ ابْنُ الْوَرْدِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَـيْسَ يَخْلُـو الْمَـرْءُ مِـن ضِـدٍّ وَلَـوْ ... حَـاوَلَ الْعُزْلَـةَ فِي رَأْسِ جَبَـلْ

وَلِلْمُؤْمِنِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَعْدَاءٌ كُثُرٌ، أَقْدَمُهُمْ عَدَاوَةً، وَأَشَدُّهُمْ ضَرَاوَةً: إِبْلِيسُ اللَّعِينُ وَجُنْدُهُ، قَالَ ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١١٦ - ١٢٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى

سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩ - ٢٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٨ - ١٦٩].

فَمِنْ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِلْإِنسَانِ أَنَّهُ يَأْمُرُهُ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَالْكَذِبِ عَلَى اللهِ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١].

هَذَا مُرَادُ الشَّيْطَانِ مِنَ النَّاسِ، حَمْلُهُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَإِيْقَاعُ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَهُمْ، وَصَدُّهُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف: ٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف: ٦٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٥ - ٦].

وَاتِّخَاذُهُ عَدُوًّا يَكُونُ - كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ -: بِكَمَالِ الِاحْتِرَازِ مِنْهُ، وَالتَّحَفُّظِ وَالْيَقَظَةِ، وَالِانْتِبَاهِ لِمَا يُرِيدُ مِنْهُ عَدُوُّهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَظْفَرَ بِهِ فِي عُقْبَةٍ مِنْ سَبْعِ عُقْبَاتٍ، بَعْضُهَا أَصْعَبُ مِنْ بَعْضٍ، لَا يَنْزِلُ مِنْهُ مِنَ الْعُقْبَةِ الشَّاقَّةِ إِلَى مَا دُونَهَا إِلَّا إِذَا عَجَزَ عَنِ الظَّفَرِ بِهِ فِيهَا.

الْعُقْبَةُ الْأُولَى: عُقْبَةُ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَبِدِينِهِ وَلِقَائِهِ، وَبِصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَبِمَا أَخْبَرَتْ بِهِ رُسُلُهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَفِرَ بِهِ فِي هَذِهِ الْعُقْبَةِ بَرُدَتْ نَارُ عَدَاوَتِهِ وَاسْتَرَاحَ، فَإِنِ اقْتَحَمَ هَذِهِ الْعُقْبَةَ وَنَجَا مِنْهَا بِبَصِيرَةِ الْهِدَايَةِ، وَسَلِمَ مَعَهُ نُورُ الْإِيمَانِ طَلَبَهُ عَلَى:

الْعُقْبَةِ الثَّانِيَةِ: وَهِيَ عُقْبَةُ الْبِدْعَةِ، إِمَّا بِاعْتِقَادِ خِلَافِ الْحَقِّ الَّذِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ، وَإِمَّا بِالتَّعَبُّدِ بِمَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ مِنَ الْأَوْضَاعِ وَالرُّسُومِ الْمُحْدَثَةِ فِي الدِّينِ.

الْعُقْبَةُ الثَّالِثَةُ: وَهِيَ عُقْبَةُ الْكَبَائِرِ.

الْعُقْبَةِ الرَّابِعَةِ: وَهِيَ عُقْبَةُ الصَّغَائِرِ.

الْعُقْبَةُ الْخَامِسَةُ: وَهِيَ عُقْبَةُ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي لَا حَرَجَ عَلَى فَاعِلِهَا، فَشَغَلَهُ بِهَا عَنْ الِاسْتِكْثَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَعَنْ الِاجْتِهَادِ فِي التَّزَوُّدِ لِمَعَادِهِ، ثُمَّ طَمَّعَ فِيهِ أَنْ يَسْتَدْرِجَهُ مِنْهَا إِلَى تَرْكِ السُّنَنِ، ثُمَّ مِنْ تَرْكِ السُّنَنِ إِلَى تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ، وَأَقَلُّ مَا يُنَالُ مِنْهُ تَفْوِيتُهُ الْأَرْبَاحَ، وَالْمَكَاسِبَ الْعَظِيمَةَ، وَالْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ.

الْعُقْبَةُ السَّادِسَةُ: وَهِيَ عُقْبَةُ الْأَعْمَالِ الْمَرْجُوحَةِ الْمَفْضُولَةِ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَأَمَرَهُ بِهَا، وَحَسَّنَهَا فِي عَيْنِهِ، وَزَيَّنَهَا لَهُ، وَأَرَاهُ مَا فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ وَالرِّبْحِ، لِيَشْغَلَهُ بِهَا عَمَّا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، وَأَعْظَمُ كَسْبًا وَرِبْحًا، لِأَنَّهُ لَمَّا عَجَزَ عَنْ تَخْسِيرِهِ أَصْلَ الثَّوَابِ، طَمِعَ فِي تَخْسِيرِهِ كَمَالَهُ وَفَضْلَهُ، وَدَرَجَاتِهِ الْعَالِيَةَ، فَشَغَلَهُ بِالْمَفْضُولِ عَنِ الْفَاضِلِ، وَبِالْمَرْجُوحِ عَنِ الرَّاجِحِ، وَبِالْمَحْبُوبِ لِلَّهِ عَنِ الْأَحَبِّ إِلَيْهِ، وَبِالْمَرْضِيِّ عَنِ الْأَرْضَى لَهُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَكِنْ أَيْنَ أَصْحَابُ هَذِهِ الْعُقْبَةِ؟ فَهُمُ الْأَفْرَادُ فِي الْعَالَمِ، وَالْأَكْثَرُونَ قَدْ ظَفِرَ بِهِمْ فِي الْعُقْبَاتِ الْأُوَلِ.

فَإِذَا نَجَا مِنْهَا لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ عُقْبَةٌ يَطْلُبُهُ الْعَدُوُّ عَلَيْهَا سِوَى وَاحِدَةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا، وَلَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا رُسُلُ اللَّهِ وَأَنْبِيَاؤُهُ، وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَيْهِ، وَهِيَ عُقْبَةُ تَسْلِيطِ جُنْدِهِ عَلَيْهِ، بِأَنْوَاعِ الْأَذَى، بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، عَلَى حَسَبِ مَرْتَبَتِهِ فِي الْخَيْرِ، فَكُلَّمَا عَلَتْ مَرْتَبَتُهُ أَجْلَبَ عَلَيْهِ الْعَدُوُّ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ، وَظَاهَرَ عَلَيْهِ بِجُنْدِهِ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِ حِزْبَهُ وَأَهْلَهُ بِأَنْوَاعِ التَّسْلِيطِ، وَهَذِهِ الْعُقْبَةُ لَا حِيلَةَ لَهُ فِي التَّخَلُّصِ مِنْهَا، فَإِنَّهُ كُلَّمَا جَدَّ فِي الِاسْتِقَامَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالْقِيَامِ لَهُ بِأَمْرِهِ، جِدَّ الْعَدُوُّ فِي إِغْرَاءِ السُّفَهَاءِ بِهِ، فَهُوَ فِي هَذِهِ الْعُقْبَةِ قَدْ لَبِسَ لَأْمَةَ الْحَرْبِ، وَأَخَذَ فِي مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ، فَعُبُودِيَّتُهُ فِيهَا عُبُودِيَّةُ خَوَاصِّ الْعَارِفِينَ، وَهِيَ تُسَمَّى عُبُودِيَّةَ الْمُرَاغَمَةِ، وَلَا يَنْتَبِهُ لَهَا إِلَّا أُولُو الْبَصَائِرِ التَّامَّةِ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ مُرَاغَمَةِ وَلِيِّهِ لِعَدُوِّهِ، وَإِغَاظَتِهِ لَهُ، وَقَدْ أَشَارَ سُبْحَانَهُ إِلَى هَذِهِ الْعُبُودِيَّةِ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ:

أَحَدُهَا: قَوْلُهُ: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠]، سَمَّى الْمُهَاجِرَ الَّذِي يُهَاجِرُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مُرَاغِمًا يُرَاغِمُ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّهُ، وَاللَّهُ يُحِبُّ مِنْ وَلِيِّهِ مُرَاغَمَةَ عَدُوِّهِ، وَإِغَاظَتَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى فِي مِثْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَتْبَاعِهِ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

فَمُغَايَظَةُ الْكُفَّارِ غَايَةٌ مَحْبُوبَةٌ لِلرَّبِّ، مَطْلُوبَةٌ لَهُ، فَمُوَافَقَتُهُ فِيهَا مِنْ كَمَالِ الْعُبُودِيَّةِ، وَشَرَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِلْمُصَلِّي إِذَا سَهَا فِي صَلَاتِهِ سَجْدَتَيْنِ، وَقَالَ: **«إِنْ كَانَ صَلَّى إِتْمَامًا لِأَرْبَعٍ كَانَتَا تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ»**.

قَالَ: فَمَنْ تَعَبَّدَ اللَّهَ بِمُرَاغَمَةِ عَدُوِّهِ، فَقَدْ أَخَذَ مِنَ الصِّدِّيقِيَّةِ بِسَهْمٍ وَافِرٍ، وَعَلَى قَدْرِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ وَمُوَالَاتِهِ وَمُعَادَاتِهِ لِعَدُوِّهِ يَكُونُ نَصِيبُهُ مِنْ هَذِهِ الْمُرَاغَمَةِ.

وَهَذَا بَابٌ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ، وَمَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ وَلَذَّتَهُ بَكَى عَلَى أَيَّامِهِ الْأُوَلِ، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَصَاحِبُ هَذَا الْمَقَامِ إِذَا نَظَرَ إِلَى الشَّيْطَانِ، وَلَاحَظَهُ فِي الذَّنْبِ، رَاغَمَهُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، فَأَحْدَثَتْ لَهُ هَذِهِ الْمُرَاغَمَةُ عُبُودِيَّةً أُخْرَى.ا.هـ.(١)

ثُمَّ إِنَّ ذِكْرَ اللهِ ﷻ حِصْنٌ حَصِينٌ لِّلْمُؤْمِنِ، بِهِ يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ بِإِذْنِ اللهِ، فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٨٦٣) عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا...»**، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: **«وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا الله فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ»**.(٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٢٩٣، و٦٤٠٣)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٦٩١).

---

(١) "مدارج السالكين"(ج١/صـ: ٢٣٧-٢٤٢)، والحديث المذكور رواه مسلم (رقم: ٥٧١).

(٢) وصححه الترمذي، وابن خزيمة (رقم: ٩٣٠، و١٨٩٥)، وابن حبان (رقم: ٦٢٣٣)، والحاكم (رقم: ١٥٣٤)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٥٥٢)، وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٢٨٥).

وَلِلشَّيْطَانِ جُنُودٌ وَّأَوْلِيَاءُ مِنَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ، وَكُلُّهُمْ أَعْدَاءٌ للهِ ﷻ قَبْلَ أَن يَّكُونُوا أَعْدَاءً لِّعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِيْنَ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾[فصلت: ١٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ٢٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٥٩ – ٦٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة: ١ – ٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[الأنعام: ١١٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١].

وَالْكَافِرُونَ جَمِيْعًا عَلَى اخْتِلَافِ مِلَلِهِمْ أَعْدَاءٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ، قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٠١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٠٢].

وَبَعْضُهُمْ أَشَدُّ عَدَاوَةً مِّن بَعْضٍ، قَالَ ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٤٤ - ٤٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ [المائدة: ٨٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وَقَالَ ﷻ فِي الْمُنَافِقِينَ: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء: ٨٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤].

وَمَعَ كَوْنِ الْكَافِرِيْنَ مُجْمِعِيْنَ عَلَى عَدَاوَةِ الْمُؤْمِنِيْنَ فَقَدْ أَغْرَى اللهُ ﷻ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَقَالَ ﷻ فِي الْيَهُودِ أَيْضًا: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر: ١٤].

وَقَالَ ﷻ فِي النَّصَارَى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ١٤].

هَذَا وَإِنَّ مُعَادَاةَ الْمُؤْمِنِ لِلْكَافِرِ هِيَ مِن لَّوَازِمِ إِيمَانِهِ؛ فَلَا إِيمَانَ إِلَّا بِوَلَاءٍ وَبَرَاءٍ، قَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ ﴾ [النساء: ١٤٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[المائدة: ٥١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وَحِزْبُ اللهِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، حِزْبٌ وَّاحِدٌ، أَمَّا الْحِزْبِيَّاتُ الَّتِي ابْتُلِيَ بِهَا الْكَثِيْرُ فَإِنَّهَا مِنَ الْبِدَعِ الَّتِي تُضْعِفُ الْوَلَاءَ وَالْبَرَاءَ وَقَد تَّذْهَبُ بِهِ إِذَا كَانَتْ عَلَى أُسُسٍ كُفْرِيَّةٍ، فَالْحِزْبِيَّةُ وَلَاءٌ وَبَرَاءٌ ضَيِّقٌ، مَا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة: ٥٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾[المائدة: ٨١].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مُسْتَلْزِمٌ لِعَدَمِ وَلَايَتِهِمْ، فَنُبُوتُ وَلَايَتِهِمْ يُوجِبُ عَدَمَ الْإِيمَانِ.ا.هـ.(١)

(١) "اقتضاء الصراط المستقيم"(ج١/ص:٥٥٠)(ط. دار عالم الكتب).

وَمَعْنَى الْوَلَاءِ: الْمَحَبَّةُ وَالنُّصْرَةُ، وَمَعْنَى الْبَرَاءِ: الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ، وَالْعَدَاوَةُ فِي الْأَبْدَانِ، وَالْبَغْضَاءُ فِي الْقُلُوبِ، قَالَ ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾[الممتحنة: ٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٧٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وَفِي "مُسْنَدِ أَحْمَدَ"(رقم: ١٨٥٢٤) مِنْ حَدِيْثِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَن تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ»**.(١)

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَلَا تَسْتَوْحِشْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ مِن كَثْرَةِ أَعْدَائِكَ وَقِلَّةِ مُنَاصِرِيْكَ وَأَوْلِيَائِكَ، فَحَسْبُكَ اللهُ مَا دُمْتَ عَلَى تَقْوَاهُ وَرِضَاهُ، فَمَن تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاهُ، وَمَن رَجَاهُ كَانَ حَيْثُ رَجَاهُ، وَمَا خَابَ مَن كَانَ اللهُ نَاصِرَهُ وَمَوْلَاهُ، قَالَ ﷻ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[آل عمران: ١٦٠].

---

(١) وله شواهد، ذكرها الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيحة"(رقم: ٩٩٨، و١٧٢٨).

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وَسَلِ اللهَ ﷻ النَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ؛ فَقَدْ كَانَ مِن دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا»**.(١)

وَتَعَوَّذْ بالله مِن شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ؛ فَقَدْ: **«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِن جَهْدِ البَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»**.

قَالَ سُفْيَانُ: «الحَدِيثُ ثَلَاثٌ، زِدتُّ أَنَا وَاحِدَةً، لاَ أَدْرِي أَيَّتُهُنَّ هِيَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

وَفِي رِوَايَةٍ لِّلْبُخَارِيِّ (رقم: ٦٦١٦): **«تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ البَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»**.

وَمِمَّا يُنسَبُ إِلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَا تُرِ لِلْأَعَادِي قَطُّ ذُلًّا ... فَإِنَّ شَمَاتَةَ الْأَعْدَا بَلَاءُ

وَقَالَ الْمُهَلَّبِيُّ:

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَد تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى ... وَتَهُونُ غَيْرَ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ

وَتَذَكَّرْ نِعْمَةَ الْأُخُوَّةِ فِي الدِّيْنِ، الَّتِي تَزُولُ بِهَا الْعَدَاوَاتُ، قَالَ ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

كُلُّ الْعَدَاوَاتِ قَد تُرْجَى مَوَدَّتُهَا ... إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ فِي الدِّيْنِ

وَرُوِيَ أَيْضًا:

كُلُّ الْعَدَاوَاتِ قَد تُرْجَى إِمَاتَتُهَا ... إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدِ

---

(١) رواه الترمذي (رقم: ٣٥٠٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الحاكم (رقم: ١٩٣٤)، وقال: «على شرط البخاري»، وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" (رقم: ١٢٦٨).

(٢) البخاري (رقم: ٦٣٤٧)، ومسلم (رقم: ٢٧٠٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَا تَغْفُلْ عَنْ أَعْدَائِكَ؛ فَإِنَّكَ فِي صَفِّ حُرُوبِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا سَبِيْلَ لِعَدُوِّكَ عَلَيْكَ إِلَّا بِذُنُوبِكَ، فاللهُ ﷻ يَحْفَظُ أَوْلِيَاءَهُ، وَيَنصُرُهُمْ، وَتَأَمَّلْ فِي حَفْظِ اللهِ ﷻ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ ﷻ: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٨ - ٣٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

وَقَدْ يُعَادِيْكَ مَنْ هُوَ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْكَ، قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٤ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤ - ١٥].

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا تَحْذِيْرٌ مِّنَ اللهِ لِلْمُؤْمِنِيْنَ مِنَ الِاغْتِرَارِ بِالْأَزْوَاجِ وَالْأَوْلَادِ، فَإِنَّ بَعْضَهُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ، وَالْعَدُوُّ هُوَ الَّذِي يُرِيْدُ لَكَ الشَّرَّ، وَوَظِيْفَتُكَ الْحَذَرُ مِمَّنْ هَذَا وَصْفُهُ.ا.هـ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "صَيْدِ الْخَاطِرِ"(صـ: ٤٧٦-٤٧٧): عَدَاوَةُ الْأَقَارِبِ صَعْبَةٌ، وَرُبَّمَا دَامَتْ، كَحَرْبِ بَكْرٍ وَّتَغْلِبَ ابْنَي وَائِلٍ، وَعَبْسٍ وَّذُبْيَانَ ابْنَي بَغِيْضٍ، وَالْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ابْنَي قَيْلَةَ.

وَالسَّبَبُ فِي هَذَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنَ الْأَقَارِبِ يَكْرَهُ أَن يَّفُوقَهُ قَرِيْبُهُ، فَيَقَعُ التَّحَاسُدُ.

فَيَنبَغِي لِمَن فَضَلَ عَلَى أَقَارِبِهِ أَن يَّتَوَاضَعَ لَهَا، وَيَرْفَعَهُمْ جَهْدَهُ، وَيَرْفِقَ بِهِمْ؛ لَعَلَّهُ يَسْلَمُ، قَالَ رَجُلٌ لِّرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: **«لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»**.ا.هـ.(١)

وَهَكَذَا رُبَّمَا كَانَتْ صَدَاقَةُ بَعْضِ الْأَصْدِقَاءِ أَضَرَّ مِنْ عَدَاوَةِ عَدُوٍّ مُّبِيْنٍ، قَالَ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ

(١) رواه مسلم (رقم: ٢٥٥٨).

فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ.(٢)

وَقِيْلَ فِي الْمَثَلِ: «عَدُوٌّ عَاقِلٌ خَيْرٌ مِّن صَدِيْقٍ جَاهِلٍ».

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "صَيْدِ الْخَاطِرِ"(صـ: ١٧٩، و٤٠٩): مِنْ أَعْظَمِ الْغَلَطِ: الثِّقَةُ بِالنَّاسِ، وَالِاسْتِرْسَالُ إِلَى الْأَصْدِقَاءِ، فَإِنَّ أَشَدَّ الْأَعْدَاءِ وَأَكْثَرَهُمْ أَذًى: الصَّدِيْقُ الْمُنْقَلِبُ عَدُوًّا؛ لِأَنَّهُ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى خَفِيِّ السِّرِّ، قَالَ الشَّاعِرُ:

احْـــذَرْ عَـــدُوَّكَ مَـــرَّةً ... وَاحْـــذَرْ صَـــدِيْقَكَ أَلْـــفَ مَـــرَّهْ
فَلَـــرُبَّمَا انقَلَـــبَ الصَّدِيْـــ ... ـــقُ فَكَـــانَ أَعْلَـــمَ بِالْمَضَـــرَّهْ

وَقَالَ أَيْضًا: فَأُوصِي السَّلِيْمَ الصَّدْرِ الَّذِي يَظُنُّ فِي النَّاسِ الْخَيْرَ: بِأَن يَّحْتَرِزَ مِنَ النَّاسِ، وَأَن لَّا يَقُولَ فِي الْخَلْقِ كَلِمَةً لَّا تَصْلُحُ لِلْخَلْقِ، وَلَا يَغْتَرَّ بِمَن يُّظْهِرُ الصَّدَاقَةَ أَوِ التَّدَيُّنَ، فَقَدْ عَمَّ الْخَبَثُ.ا.هـ.

---

(١) البخاري (برقم: ٢١٠١، و٥٥٣٤)، ومسلم (برقم: ٢٦٢٨).

(٢) "المسند"(برقم: ٨٠٢٨، و٨٤١٧)، و"سنن أبي داود"(برقم:٤٨٣٣)، و"سنن الترمذي" (برقم:٢٣٧٨)، وقال: «حسنٌ غريبٌ»، وصححه الحاكم (برقم:٧٣١٩، و٧٣٢٠)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في "الصحيحة"(برقم:٩٢٧)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(برقم:١٢٧٢).

وَقَد تَّكُونُ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنبَيْكَ مِنْ أَعْدَى أَعْدَائِكَ، قَالَ ﷻ فِي شَأْنِ امْرَأَةِ الْعَزِيْزِ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

وَكَانَ مِمَّا يَقُولُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي خُطْبَةِ الْحَاجَةِ: «**وَنَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا**».(١)

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، وَامْرَأَةٍ، مِنْ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُمَا سَمِعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَخَطِئِي وَعَمْدِي**»، وقَالَ الْآخَرُ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَسْتَهْدِيكَ لِأَرْشَدِ أَمْرِي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٦٢٦٩).(٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٥١، و٦٣، و٧٩٦١)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٥٠٦٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٣٩٢).(٣)

قَالَ: «**قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ**».

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ حُصَيْنًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، لَعَبْدُ الْمُطَّلِبِ كَانَ خَيْرًا لِقَوْمِهِ مِنْكَ؛ كَانَ يُطْعِمُهُمْ

---

(١) راجع رسالة: "خطبة الحاجة التي كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعلمها أصحابه" للألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ٩٠١)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (رقم: ٩٠٥).

(٣) وصححه ابن حبان (رقم: ٩٦٢)، والحاكم (رقم: ١٨٩٢)، والضياء في "المختارة"(ج١/صـ: ١١٣-١١٤)(رقم: ٣٠، و٣١، و٣٢)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٢٧٥٣).

الْكَبِدَ وَالسَّنَامَ، وَأَنْتَ تَنْحَرُهُمْ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، فَقَالَ لَهُ: مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَقُولَ؟ قَالَ: «**قُلِ اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِي**». قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٩٩٩٢).(١)

وَمِمَّا يُعِيْنُ نَفْسَ الْمَرْءِ عَلَيْهِ: الْجَهْلُ، وَالْهَوَى، وَحُبُّ الدُّنْيَا، فَالْإِنسَانُ عَدُوُّ مَا يَجْهَلُ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

وَلِصَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ:

مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جاهِلٍ ... مَا يَبْلُغُ الجاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

وَالْهَوَى يُعْمِي وَيُصِمُّ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وَالدُّنْيَا عَدُوٌّ مَّاكِرٌ، وَهِيَ ضَرَّةُ الْآخِرَةِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

قَالَ أَبُو نَوَّاسٍ:

أَرَى كُلَّ حَيٍّ هَالِكًا وَّابْنَ هَالِكٍ ... وَذَا نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقِ

فَقُلْ لِّقَرِيبِ الدَّارِ: إِنَّكَ ظَاعِنٌ ... إِلَى مَنْزِلٍ نَائِي الْمَحَلِّ سَحِيقِ

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٨٩٩)، والحاكم (رقم: ١٨٨٠)، وقال: «على شرط الشيخين».
وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (رقم: ٣١٠).

(٢) البخاري (رقم: ٣١٥٨، و٤٠١٥، و٦٤٢٥)، ومسلم (رقم: ٢٩٦١).

إِذَا امْـتَحَنَ الـدُّنْيَا لَبِيـبٌ تَكَشَّـفَتْ لَـهُ عَـنْ عَـدوٍّ فِي ثِيَـابِ صَـدِيقِ

وَلَطَالَمَا عَادَى أَهْلُ الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِهَا، وَوَالَوْا مِنْ أَجْلِهَا، وَأَحَبُّوا مِنْ أَجْلِهَا، وَأَبْغَضُوا مِنْ أَجْلِهَا، وَأَعْطَوْا مِنْ أَجْلِهَا، وَمَنَعُوا مِنْ أَجْلِهَا، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ!.

رَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٨٨٦، و٦٤٣٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ (رقم: ٢٨٨٧): **«وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ»**.

إِنِّي ابْتُلِيْـتُ بِـأَرْبَعٍ مَّـا سُـلِّطُوا إِلَّا لِأَجْـلِ شَـقَاوَتِي وَعَنَـائِي

إِبْلِـيْسُ وَالـدُّنْيَا وَنَفْسِـي وَالْهَـوَى كَيْـفَ الْخَـلَاصُ وَكُلُّهُـمْ أَعْـدَائِي

أسباب دفع البلاء

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد: ٤]، أَيْ: فِي نَصَبٍ وَّشِدَّةٍ، يُكَابِدُ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَمَشَاقَّهَا وَشَدَائِدَ الْآخِرَةِ.

فَالدُّنْيَا دَارُ شَدَائِدَ وَآلَامٍ، وَأَوْجَاعٍ وَّأَسْقَامٍ، وَغُصَصٍ وَّمِحَنٍ، وَبَلَاءٍ وَّفِتَنٍ، قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ [الانشقاق: ٦].

ثَمَانِيَـــةٌ لَّا بُـــدَّ أَن تُـــدْرِكَ الْفَتَـــى ... وَلَا بُـــدَّ أَن تَـــأْتِي عَلَيْـــهِ الثَّمَانِيَـــهْ

سُرُورٌ وَّحُـــزْنٌ وَّاجْـــتِمَاعٌ وَّفُرْقَـــةٌ ... وَعُسْـــرٌ وَّيُسْـــرٌ ثُـــمَّ سُـــقْمٌ وَّعَافِيَـــهْ

لَكِنَّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِن ذَلِكَ تَمْحِيصٌ، وَتَصْفِيَةٌ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَيْهِ عَذَابًا وَّسَخَطًا.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا، فَإِذَا سَكَنَتِ اعْتَدَلَتْ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ، وَمَثَلُ الكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٧٤٦٦)، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٨٠٩) بِلَفْظٍ مُقَارِبٍ.

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٨١٠) أَيْضًا مِّنْ حَدِيْثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفِيئُهَا الرِّيحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى، حَتَّى تَهِيجَ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ الْمُجْذِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا، لَا يُفِيئُهَا شَيْءٌ، حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً**».

وَعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٩٩٩).

هَذَا مَعَ كَوْنِ الْمُؤْمِنِ مَوْعُودًا بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مَا دَامَ مُؤْمِنًا صَابِرًا، مُخْبِتًا شَاكِرًا، قَالَ ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

وَلَا يَزَالُ اللهُ ﷻ يَدْفَعُ عَنِ الْمُؤْمِنِ بِإِيْمَانِهِ وَطَاعَتِهِ مِنَ الشُّرُورِ وَالْبَلَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ مَا لَا يَقْتَصِرُ عَلَى حَالٍ، وَلَا يَخْطُرُ لَهُ عَلَى بَالٍ، قَالَ ﷻ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج: ٣٨].

◄ فَجِمَاعُ دَفْعِ بَلَاءِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، قَالَ ﷻ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨].

وَذَلِكَ أَنَّ الْكَافِرَ لَا يَنفَعُهُ الْإِيْمَانُ حِيْنَ نُزُولِ الْعَذَابِ أَوْ رُؤْيَةِ عَلَامَاتِهِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

وَقَالَ ﷻ عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾[يونس: ٩٠-٩١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة النساء: ١٨].

وَعِندَ أَحْمَدَ (رقم: ٦١٦٠، و٦٤٠٨)، وَالتِّرْمِذِيِّ (رقم: ٣٥٣٧)، وَابْنِ مَاجَهْ (رقم: ٤٢٥٣) مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»(١).

لَكِنَّ اللهَ اسْتَثْنَى قَوْمَ يُونُسَ مِنْ هَذَا الْأَصْلِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨].

وَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ [الإسراء: ٥٨].

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ ﷻ بِأَنَّهُ قَدْ حتَمَ وَقَضَى بِمَا قَدْ كَتَبَهُ عِنْدَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ: أَنَّهُ مَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا سَيُهْلِكُهَا، بِأَنْ يُبِيدَ أَهْلَهَا جَمِيعَهُمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ إِمَّا بِقَتْلٍ أَوِ ابْتِلَاءٍ بِمَا يَشَاءُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ، كَمَا قَالَ عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِينَ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [هُودٍ: ١٠١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾[الطلاق: ٨].

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٦٢٨)، والحاكم (رقم: ٧٦٥٩)، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الضياء في "المختارة"(ج١٣/ ١٥٠-١٥١)(رقم: ٢٤٠، و٢٤١، و٢٤٢، و٢٤٣، و٢٤٤)، وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٣١٤٣).

◄ وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَدْفَعُ اللهُ ﷻ بِهَا الْبَلَاءَ، وَالَّتِي هِيَ مِن جُمْلَةِ الْإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ: شُكْرُ النِّعَمِ، قَالَ ﷻ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

فَشُكْرُ النِّعَمِ مُؤْذِنٌ بِالْمَزِيْدِ، وَكُفْرُهَا مُؤْذِنٌ بِالنَّكَالِ وَالْعَذَابِ الشَّدِيْدِ.

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ... فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيْلُ النِّعَمْ
وَدَاوِمْ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الْإِلَهِ ... فَإِنَّ الْإِلَهَ سَرِيْعُ النِّقَمْ

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥ – ١٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢– ١١٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ١ – ٤].

فَتَذَكَّرْ يَا مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِهَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ الْعَظِيْمَتَيْنِ، نِعْمَةِ الْأَمْنِ، وَنِعْمَةِ الْكِفَايَةِ فِي الْأَرْزَاقِ، تَذَكَّرْ هَذِهِ النِّعْمَةَ وَاشْكُرِ اللهَ عَلَيْهَا، وَانظُرْ إِلَى حَالِ مَن سُلِبُوا هَذِهِ النِّعْمَةَ.

قَالَ ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف:٩٧- ٩٩].

قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ: «حَظٌّ مِنْ عِلْمٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَظٍّ مِنْ عِبَادَةٍ، وَلَأَنْ أُعَافَى فَأَشْكُرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْتَلَى فَأَصْبِرَ».

قَالَ: «وَنَظَرْتُ فِي الْخَيْرِ الَّذِي لَا شَرَّ فِيهِ فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْمُعَافَاةِ وَالشُّكْرِ».(١)

◄ وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَدْفَعُ اللهُ بِهَا الْبَلَاءَ، وَهِيَ مِن جُمْلَةِ الْإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ: الدُّعَاءُ، فَشَأْنُهُ عَظِيْمٌ، فَمَا دُفِعَ الْبَلَاءُ قَطُّ بِمِثْلِهِ، وَلَا اسْتُجْلِبَ الْخَيْرُ بِمِثْلِهِ.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا». قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «اللهُ أَكْثَرُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١١١٣٣).(٢)

فَقَدْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ».

قَالَ سُفْيَانُ: «الحَدِيثُ ثَلاَثٌ، زِدْتُ أَنَا وَاحِدَةً، لاَ أَدْرِي أَيَّتُهُنَّ هِيَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٣)

وَفِي رِوَايَةٍ لِّلْبُخَارِيِّ (رقم: ٦٦١٦): «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ».

---

(١) أخرجه معمر بن راشد في جامعه – وقد طبع ملحقًا بـ: "مصنف عبد الرزاق"(رقم: ٢٠٤٦٨) – عن قتادة، عنه، به.
ومن هذا الطريق أيضًا: أخرجه البيهقي في "المدخل"(رقم: ٤٥٨)، وغيره.
وله طرق أخرى ذكرتها في تحقيق "جامع بيان العلم وفضله"(رقم: ١٠٦).

(٢) وصححه الحاكم (رقم: ١٨١٦)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ١٦٣٣)، وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٤١٢).

(٣) البخاري (رقم: ٦٣٤٧)، ومسلم (رقم: ٢٧٠٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِمَّا يُنسَبُ إِلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَا تُـــرِ لِلْأَعَـــادِي قَـــطُّ ذُلًّا فَـــإِنَّ شَـــمَاتَةَ الْأَعْـــدَا بَـــلَاءُ

رَوَى أَحْمَدُ (رقم: ٤٧٨٥) وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٥٠٧٤)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٨٧١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»**.(١)

وَرَوَى أَحْمَدُ (رقم:٥، و١٧، و٣٤)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٨٤٩)، وَأَبُو يَعْلَى (رقم:١٢١، و١٢٤)، وَغَيْرُهُمْ مِن طَرِيقِ أَوْسَطَ البَجَلِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مَقَامِي هَذَا عَامَ الْأَوَّلِ، وَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: **«سَلُوا اللهَ الْمُعَافَاةَ - أَوْ قَالَ: الْعَافِيَةَ - فَلَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ قَطُّ بَعْدَ الْيَقِينِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَافِيَةِ - أَوِ الْمُعَافَاةِ»**.

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ (رقم:٥)، وَالنَّسَائِيِّ فِي "عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ"(رقم:٨٨١) التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الْقَائِلَ هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.(٢)

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ١٧٦٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٩٦١)، والحاكم (رقم: ١٩٠٢)، والضياء في "المختارة"(ج١٣/صـ: ١٤٨)(رقم:٢٣٨) والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٦٥٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٧٦٥).

(٢) وصححه الحاكم (رقم:١٩٣٨)، والضياء في "المختارة"(ج١/صـ:١٥٥-١٥٧)(رقم:٦٦، و٦٧، و٦٨)، والألباني في "صحيح الأدب المفرد"(رقم:٥٦١)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٧٠٦).

أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: **«اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدتَّنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدتَّنِي، اللهُمَّ إِن تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»**، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ.

وَعِندَ أَحْمَدَ (رقم:١٤٦٢)، وَالتِّرْمِذِيِّ (رقم:٣٥٠٥) مِنْ حَدِيْثِ سَعْدِ بْنِ أَبِيْ وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ:** ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، **فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلا اسْتَجَابَ لَهُ»**.(١)

وَذُو النُّونِ هُوَ يُونُسُ بْنُ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ قَدْ ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٠ - ١٤٤].

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: قِيلَ: لَوْلَا مَا تَقَدَّمَ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ فِي الرَّخَاءِ. قَالَهُ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، ووهب بْنُ مُنَبِّه، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.ا.هـ. فَالْعَمَلُ فِي الرَّخَاءِ يَنفَعُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ صَاحِبَهُ فِي الشِّدَّةِ.

وَقِيْلَ: ﴿مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾، أَيْ: مِنَ الْمُصَلِّيْنَ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ يُطْلَقُ عَلَيْهَا التَّسْبِيْحُ؛ لِاشْتِمَالِهَا عَلَيهِ ؛ مِن بَابِ إِطْلَاقِ الْبَعْضِ وَإِرَادَةِ الْكُلِّ.

---

(١) وصححه: الحاكم (رقم:١٨٦٢، و١٨٦٣، و٣٤٤٤، و٤١٢١)، والضياء في "المختارة" (ج٣/صـ:٢٣٤-٢٣٥)(رقم:١٠٤١، و١٠٤٢)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ١٧٤٤)، وفي "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ١٦٤٤، و١٨٢٦)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٣٧٩).

وَقِيْلَ: الْمُرَادُ بِالتَّسْبِيْحِ هُنَا هُوَ دَعْوَتُهُ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وَالْقُرْآنُ يُفَسِّرُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

وَهَذِهِ الدَّعْوَةُ قَد تَّضَمَّنَتِ التَّسْبِيْحَ، أَيْ: قَوْلَهُ: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾، فَيَكُونُ عَلَى ظَاهِرِهِ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ، فِي "دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ"(ج٦/صـ: ٤٨)، بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي سَبْرَةَ النَّخَعِيِّ، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَنِ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ نَفَقَ حِمَارُهُ، فَقَامَ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ إِنِّي جِئْتُ مِنَ الدَّثْنِيَّةِ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِكَ وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِكَ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ تُحْيِي الْمَوْتَى، وَتَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، لَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مِنَّةً، أَطْلُبُ إِلَيْكَ أَنْ تَبْعَثَ لِي حِمَارِي، فَقَامَ الْحِمَارُ يَنْفُضُ أُذُنَيْهِ.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: «هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، وَمَثَلُ هَذَا يَكُونُ كَرَامَةً لِصَاحِبِ الشَّرِيعَةِ حَيْثُ يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ مِثْلُ هَذَا».

وَأَخْرَجَ أَيْضًا (ج٦/صـ: ٤٩) عَنِ الشَّعْبِيِّ نَحْوَهُ، وَزَادَ: فَأَسْرَجَهُ، وَأَلْجَمَهُ، ثُمَّ رَكِبَهُ، فَأَجْرَاهُ، فَلَحِقَ بِأَصْحَابِهِ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ، مَا شَأْنِي إِنَّ اللهَ بَعَثَ لِي حِمَارِي.

قَالَ الشَّعْبِيُّ: فَأَنَا رَأَيْتُ الْحِمَارَ يُبَاعُ بِالْكُنَاسَةِ مَوْضِعٍ مَشْهُورٍ بِالْكُوفَةِ، فَقِيلَ لَهُ: تَبِيعُ حِمَارًا أَحْيَاهُ اللهُ لَكَ! قَالَ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ رَهْطِهِ ثَلَاثَةَ أَبْيَاتٍ، فَحَفِظْتُ هَذَا الْبَيْتَ:

وَمَنَّا الَّذِي أَحْيَا الْإِلَهُ حِمَارَهُ ... وَقَدْ مَاتَ مِنْهُ كُلُّ عُضْوٍ وَّمَفْصِلِ

وَهَذَا بَابٌ وَّاسِعٌ جِدًّا، وَإِنَّمَا هَذِهِ نُبَذٌ مِّنْهُ.

◄ وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَدْفَعُ اللهُ ﷻ بِهَا الْبَلَاءَ: التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ ﷻ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالَّتِي مِن جُمْلَتِهَا: الْعِفَّةُ عَنِ الْفَرْجِ الْحَرَامِ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى أَوَوْا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلاَ مَالًا فَنَأَى بِي**

فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ.

وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا.

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَسْتَهْزِئُ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٢٧٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٧٤٣).

تَوَسَّلَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الثَّلَاثَةُ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ، فَأَنجَاهُمُ اللهُ ﷻ، وَمِنْهُمُ الَّذِي تَوَسَّلَ بِعِفَّتِهِ عَنِ الْفَرْجِ الْحَرَامِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ؛ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ﷻ.

وَعَلَى النَّقِيضِ مِن ذَلِكَ؛ فَإِنَّ انتِهَاكَ حُرْمَةِ الْفَرْجِ الْحَرَامِ، بِزَنًا أَوْ لِوَاطٍ مِّنْ أَسْبَابِ سَخَطِ اللهِ ﷻ وَحُلُولِ الْبَلَاءِ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي

قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا...»، الحديث. أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالْحَاكِمُ.(١)

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الرِّبَا وَالزِّنَا، إِلَّا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٣٨٠٩) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَهُ شَوَاهِدُ.

◄ وَمِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَدْفَعُ اللهُ بِهَا الْبَلَاءَ، وَهِيَ مِن جُمْلَةِ الْإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ: الِاسْتِغْفَارُ، وَهُوَ دُعَاءٌ مَّخْصُوصٌ، فِيْهِ طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ فِيهِمْ أَمَانَانِ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَالِاسْتِغْفَارُ، فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَبَقِيَ الِاسْتِغْفَارُ».(٢)

وَكَذَا قَالَ أَبُو مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخْرَجَهُ أَحْمَد (رقم: ١٩٥٠٦، و١٩٦٠٧).

◄ وَمِنْهَا: الذِّكْرُ، فَعِندَ التِّرْمِذِيِّ (رقم: ٢٨٦٣) عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا...»، فَذَكَرَ الْحَدِيْثَ، وَفِيْهِ: «وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا الله؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ».(٣)

---

(١) سنن ابن ماجه (رقم:٤٠١٩)، و"المستدرك"(رقم:٨٦٢٣)، وفي إسناد ابن ماجه ضعف، وإسناد الحاكم حسن، كما قال الإمام الألباني في "الصحيحة"(رقم:١٠٦)، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

ولمعظم الحديث – ومنه موضع الشاهد – شاهد من حديث بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه الحاكم (رقم:٢٥٧٧)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني في "الصحيحة"(رقم:١٠٧).

(٢) أخرجه الطبري (ج١١/صـ:١٥٠)، وابن أبي حاتم (ج٥/صـ:١٦٩١)(رقم: ٩٠١٧).

(٣) وصححه الترمذي، وابن خزيمة (رقم:٩٣٠، و١٨٩٥)، وابن حبان (رقم: ٦٢٣٣)، والحاكم (رقم: ١٥٣٤)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٥٥٢)، وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٢٨٥).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ**، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٨١٤).

وَلِلنَّسَائِيِّ (رقم: ٥٤٣٨): «**مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِمَا، وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِمَا**».

وَفِي رِوَايَةٍ لأَحْمَدَ (رقم: ١٧٢٩٩): «**فَتَعَوَّذُوا بِهِنَّ، فَإِنَّهُ لَمْ يُتَعَوَّذْ بِمِثْلِهِنَّ**».

وَرَوَى أَحْمَدُ أَيْضًا (رقم: ٢٢٦٦٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٥٠٨٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٥٧٥)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٥٤٢٨) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثًا تَكْفِيكَ كُلَّ يَوْمٍ**».(١)

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٠٠٨، و٥٠٠٩، و٥٠٤٠، و٥٠٥١)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٨٠٨).

قَالَ النَّوَوِيُّ: قِيلَ: كَفَتَاهُ مِنْ قِيَامِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَقِيلَ: كَفَتَاهُ الْمَكْرُوهَ فِيهَا.ا.هـ.

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٨٠٤) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**». وَالْبَطَلَةُ: السَّحَرَةُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٢٩٣، و٦٤٠٣)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٦٩١).

---

(١) وراجع: "الصحيحة"(رقم: ٨٩١)، و"تحقيق المسند"(ج٣٧/ص: ٣٣٥-٣٣٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: **«أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٧٠٩).

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢٧٠٨) عَنْ خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»**.

وَعِندَ أَبِي دَاوُدَ (رقم: ٥٠٨٨) عَنْ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«مَن قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ، حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ»**.

وَقَالَ: فَأَصَابَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ الْفَالِجُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ، وَلَا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غَضِبْتُ، فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا».(١)

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ (رقم: ٣٣٨٨)، وَابْنِ مَاجَهْ (رقم: ٣٨٦٩): «لِيُمْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ قَدَرَهُ».

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ حِبَّانَ (رقم: ٨٦٢): «إِنَّ اللَّهَ حِينَ أَرَادَ بِي مَا أَرَادَ أَنْسَانِيهَا».

---

(١) وصححه الترمذي، وابن حبان (رقم: ٨٦٢)، والحاكم (رقم: ١٨٩٥) مقتصرًا على المرفوع، والضياء في "المختارة"(ج١/صـ:٤٣٤)(رقم: ٣١٠)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم:٦٥٥)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٩١٠).

وَمِن ذَلِكَ أَيْضًا: آيَةُ الْكُرْسِيِّ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟»**، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: **«أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»**، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّهُ سَيَعُودُ»**، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟»**، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: **«أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»**، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»**، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: **«مَا هِيَ؟»**، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ**

يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:٢٣١١) عَلَى صُورَةِ الْمُعَلَّقِ، وَهُوَ صَحِيحٌ.(١)

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

◄ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَدْفَعُ اللهُ ﷻ بِهَا الْبَلَاءَ: التَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ ﷻ، فَمَن تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ ﷻ كَفَاهُ، قَالَ ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ"(ج٢/صـ: ٢٣٩- ٢٤٠): «قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: جَعَلَ اللهُ تَعَالَى لِكُلِّ عَمَلٍ جَزَاءً مِن جِنسِهِ، وَجَعَلَ جَزَاءَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ نَفْسَ كِفَايَتِهِ لِعَبْدِهِ، فَقَالَ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وَلَمْ يَقُلْ: نُؤْتِهِ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْأَجْرِ، كَمَا قَالَ فِي الْأَعْمَالِ، بَلْ جَعَلَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ كَافِيَ عَبْدِهِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ وَحَسْبَهُ وَوَاقِيَهُ، فَلَوْ تَوَكَّلَ الْعَبْدُ عَلَى اللهِ تَعَالَى حَقَّ تَوَكُّلِهِ وَكَادَتْهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ لَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا مِن ذَلِكَ وَكَفَاهُ وَنَصَرَهُ».

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٥٦٣).

وِقَايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ ... مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأُطُمِ

(١) راجع: "الفتح"(ج٤/صـ:٤٨٨)، و"تغليق التعليق"(ج٣/صـ:٢٩٦).

◄ وَمِنْهَا: بَرَكَةُ الطَّاعَةِ وَالصَّلَاحِ عِندَ الصَّالِحِيْنَ، فَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢٥٣١) عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**».

وَفِي "مُسْنَدِ أَحْمَدَ"(٦٥٧٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «**أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ، فَحَيُّوهُمْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ، وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي، لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً**».

قَالَ: «**فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: ٢٤]**». (١)

وَعَن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٨٩٦)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٣١٧٨).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**ابْغُونِي ضُعَفَاءَكُمْ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢١٧٣١)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٢٥٩٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم:١٧٠٢)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم:٣١٧٩). (٢)

---

(١) راجع: "الصحيحة"(رقم: ٢٥٥٩)، و"تحقيق المسند"(ج١١/ صـ:١٣٢).

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ٤٧٦٧)، والحاكم (رقم: ٢٥٠٩، و٢٦٤١)، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٧٧٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٠٤٠).

وَفِي إِحْدَى رِوَايَاتِ حَدِيْثِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِندَ النَّسَائِيِّ فِي "الْكُبْرَى"(رقم: ٤٣٧٢)، بِلَفْظِ: «إِنَّمَا نَصْرُ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا؛ بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ».

قَالَ ابن بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: تَأْوِيلُ الْحَدِيثِ: أَنَّ الضُّعَفَاءَ أَشَدُّ إِخْلَاصًا فِي الدُّعَاءِ وَأَكْثَرُ خُشُوعًا فِي الْعِبَادَةِ لِخَلَاءِ قُلُوبِهِمْ عَنِ التَّعَلُّقِ بِزُخْرُفِ الدُّنْيَا.(١)

وَفِي تَرْجَمَةِ حَمْزَةَ الزَّيَّاتِ – وَهُوَ أَحَدُ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ، وَمِنَ الْمُحَدِّثِيْنَ –: قَالَ ابْنُ فُضَيْلٍ: «مَا أَحْسَبُ أَنَّ اللهَ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ عَنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَّا بِحَمْزَةَ بْنِ حَبِيْبٍ».(٢)

وَرَوَى الْخَطِيْبُ فِي "الرِّحْلَةِ فِي طَلَبِ الْحَدِيْثِ"(رقم: ١٥) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْفَعُ الْبَلَاءَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِرِحْلَةِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ».

◄ وَمِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَدْفَعُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا الْبَلَاءَ: رَحْمَةُ النَّاسِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:٥٩٩٧)، وَمُسْلِمٌ (رقم:٢٣١٨) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٧٣٧٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٣١٩) مِنْ حَدِيْثِ جَرِيْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٦٤٩٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٩٤١)، وَالتِّرْمِذِيّ (رقم: ١٩٢٤) مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.(٣)

---

(١) "شرح صحيح البخاري"(ج٥/صـ:٩٠).

(٢) "غاية النهاية"(ج١/صـ:٢٦٣)، و"تهذيب التهذيب"(ج٣/صـ: ٢٨).

(٣) قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه أيضًا: الحاكم (رقم: ٧٢٧٤)، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٩٢٥).

◄ وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَدْفَعُ اللهُ ﷻ بِهَا الْبَلَاءَ: الصَّدَقَةُ، فَعِندَ التِّرْمِذِيِّ (رقم: ٢٨٦٣) عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا...»**، فَذَكَرَ الْحَدِيْثَ، وَفِيْهِ: **«وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ؛ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنكُمْ بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ»**.(١)

ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ"(ج٢/ص: ٢٤٢) أَنَّ لِلصَّدَقَةِ تَأْثِيْرًا عَجِيْبًا فِي دَفْعِ الْبَلَاءِ، قَالَ: وَلَوْ لَمْ يَكُن فِي هَذَا إِلَّا تَجَارِبُ الْأُمَمِ قَدِيْمًا وَحَدِيْثًا لَّكَفَى بِهِ.ا.هـ.

وَقَالَ فِي "الْوَابِلِ الصَّيِّبِ"(ص: ٣١): فَإِنَّ للصَّدَقَةِ تَأْثِيْرًا عَجِيْبًا فِي دَفْعِ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَلَوْ كَانَتْ مِن فَاجِرٍ أَوْ مِن ظَالِمٍ بَلْ مِن كَافِرٍ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَدْفَعُ بِهَا عَنْهُ أَنوَاعًا مِّنَ الْبَلَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَّعْلُومٌ عِندَ النَّاسِ خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُم مُّقِرُّونَ بِهِ؛ لِأَنَّهم جَرَّبُوهُ.ا.هـ.

فَبِالصَّدَقَةِ تُجْبَرُ الْمَصَائِبُ، وَبِالسَّخَاءِ تُسْتَرُ الْمَعَايِبُ.

إِذَا كَثُـــرَتْ عُيُوبُـــكَ فِي الْبَرَايَـــا ... وَسَرَّكَ أَن يَّكُـــوْنَ لَهَـــا غِطَـــاءُ

تَسَـــتَّرْ بِالسَّـــخَاءِ فَكُـــلُّ عَيْـــبٍ ... يُغَطِّيْـــهِ كَـــمَا قِيْـــلَ السَّـــخَاءُ

---

(١) وصححه الترمذي، وابن خزيمة (رقم: ٩٣٠، و١٨٩٥)، وابن حبان (رقم: ٦٢٣٣)، والحاكم (رقم: ١٥٣٤)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٥٥٢)، وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٢٨٥).

العجز

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

رَوَى مُسْلِمٌ فِيْ صَحِيْحِهِ (رقم: ٢٦٦٤) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**.

فِي هَذَا الْحَدِيْثِ: فَضْلُ الْمُؤْمِنِ الْقَوِيِّ، وَالْمُرَادُ بِالْقُوَّةِ هُنَا – كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ -: عَزِيمَةُ النَّفْسِ، وَالْقَرِيحَةُ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ، فَيَكُونُ صَاحِبُ هَذَا الْوَصْفِ أَكْثَرَ إِقْدَامًا عَلَى الْعَدُوِّ فِي الْجِهَادِ، وَأَسْرَعَ خُرُوجًا إِلَيْهِ، وَذَهَابًا فِي طَلَبِهِ، وَأَشَدَّ عَزِيمَةً فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَاحْتِمَالِ الْمَشَاقِّ فِي ذَاتِ

اللَّهِ تَعَالَى، وَأَرْغَبَ فِي الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْأَذْكَارِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ، وَأَنْشَطَ طَلَبًا لَهَا وَمُحَافَظَةً عَلَيْهَا، وَنَحْوَ ذَلِكَ.ا.هـ.

وَفِي الْحَدِيْثِ أَيْضًا: الْأَمْرُ بِالْحِرْصِ عَلَى الطَّاعَةِ، **«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»**، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ - كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى"(ج١٠/صـ: ٣٢) -: فَإِنَّ الْحِرْصَ عَلَى مَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ هُوَ طَاعَةُ اللَّهِ وَعِبَادَتُهُ، إذْ النَّافِعُ لَهُ هُوَ طَاعَةُ اللَّهِ، وَلَا شَيْءَ أَنْفَعُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَكُلُّ مَا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى الطَّاعَةِ فَهُوَ طَاعَةٌ، وَإِنْ كَانَ مِنْ جِنْسِ الْمُبَاحِ.ا.هـ.

وَفِي الْحَدِيْثِ أَيْضًا: النَّهْيُ عَنِ الْعَجْزِ، وَالْعَجْزُ صِفَةُ نَقْصٍ، وَلِهَذَا نَزَّهَ اللهُ ﷻ نَفْسَهُ عَنْهَا، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ [فاطر: ٤٤].

وَقَالَتِ الْجِنُّ – فِيْمَا أَخْبَرَ اللهُ ﷻ عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيْمِ -: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ١٢﴾ [الجن: ١٢].

وَقَالَ الْمُنْذِرُونَ مِنْهُمْ: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٣٢﴾ [الأحقاف: ٣١ - ٣٢].

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِيْذُ بِاللهِ ﷻ مِنَ الْعَجْزِ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١)

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٧٢٢) أَيْضًا مِنْ حَدِيْثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) البخاري (رقم: ٢٨٢٣، و٢٨٩٣، و٥٤٢٥، و٦٣٦٣، و٦٣٦٧، و٦٣٦٩)، ومسلم (رقم: ٢٧٠٦).

وَالْعَجْزُ قَرِيْنُ الْكَسَلِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الْعَجْزَ عَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى الْحِيلَةِ النَّافِعَةِ، وَالْكَسَلُ عَدَمُ الْإِرَادَةِ لِفِعْلِهَا؛ فَالْعَاجِزُ لَا يَسْتَطِيعُ الْحِيلَةَ، وَالْكَسْلَانُ لَا يُرِيدُهَا. قَالَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْعَجْزُ وَالْكَسَلُ قَرِينَانِ، فَإِنَّ تَخَلُّفَ الْعَبْدِ عَنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ، إِنْ كَانَ لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ فَهُوَ الْعَجْزُ، وَإِنْ كَانَ لِعَدَمِ إِرَادَتِهِ فَهُوَ الْكَسَلُ.(١)

وَقَالَ أَيْضًا: وَيَنْشَأُ عَنْ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ فَوَاتُ كُلِّ خَيْرٍ، وَحُصُولُ كُلِّ شَرٍّ، وَمِنْ ذَلِكَ الشَّرِّ: تَعْطِيلُهُ عَنِ النَّفْعِ بِبَدَنِهِ، وَهُوَ الْجُبْنُ، وَعَنِ النَّفْعِ بِمَالِهِ وَهُوَ الْبُخْلُ، ثُمَّ يَنْشَأُ لَهُ بِذَلِكَ غَلَبَتَانِ، غَلَبَةٌ بِحَقٍّ، وَهِيَ غَلَبَةُ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةٌ بِبَاطِلٍ، وَهِيَ غَلَبَةُ الرِّجَالِ، وَكُلُّ هَذِهِ الْمَفَاسِدِ ثَمَرَةُ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ.

وَقَالَ أَيْضًا فِي شَأْنِ الْأَمَانِيِّ الْكَاذِبَةِ: وَهِيَ أَضَرُّ شَيْءٍ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْهَا الْعَجْزُ وَالْكَسَلُ، وَتُوَلِّدُ التَّفْرِيطَ وَالْحَسْرَةَ.ا.هـ.(٢)

وَالْعَجْزُ الَّذِي يُلَامُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ مَا كَانَ فِي مَقْدُورِ صَاحِبِهِ التَّخَلُّصُ مِنْهُ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَى تَحْصِيلِ مَا يَفُوتُهُ بِسَبَبِهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي مَنْ نَقَصَ حَظُّهُم مِّنَ التَّوَكُّلِ وَالِاسْتِعَانَةِ: هُمْ مِنَ الْخُذْلَانِ وَالضَّعْفِ وَالْمَهَانَةِ وَالْعَجْزِ بِحَسَبِ قِلَّةِ اسْتِعَانَتِهِمْ وَتَوَكُّلِهِمْ، وَلَوْ تَوَكَّلَ الْعَبْدُ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ فِي إِزَالَةِ جَبَلٍ عَنْ مَكَانِهِ وَكَانَ مَأْمُورًا بِإِزَالَتِهِ لَأَزَالَهُ.ا.هـ.(٣)

فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ!، مَا أَحْسَنَ مَا أَوْصَاكَ بِهِ رَسُولُكَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **اسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**.

---

(١) "إعلام الموقعين"(ج٣/ص: ٢٦١)، و"الجواب الكافي"(ص: ٧٣).
(٢) "زاد المعاد"(ج٢/ص: ٣٢٩)، و"الجواب الكافي"(ص: ١٥٤).
(٣) "مدارج السالكين"(ج١/ص: ١٠٣).

وَاعْلَمْ أَنَّ عَجْزَكَ وَقُدْرَتَكَ وَشَأْنَكَ كُلَّهُ وَكُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرِ اللهِ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٦٥٥).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْقَاضِي: رُوِيْنَاهُ بِرَفْعِ (الْعَجْز وَالْكَيْسُ)؛ عَطْفًا عَلَى (كُلُّ)، وَبِجَرِّهِمَا عَطْفًا عَلَى (شَيْءٍ)، قَالَ: وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْعَجْزَ هُنَا عَلَى ظَاهِرِهِ، وَهُوَ عَدَمُ الْقُدْرَةِ، وَقِيلَ: هُوَ تَرْكُ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ، وَالتَّسْوِيفُ بِهِ، وَتَأْخِيرُهُ عَن وَقْتِهِ، قَالَ: وَيُحْتَمَلُ الْعَجْزُ عَنِ الطَّاعَاتِ، وَيُحْتَمَلُ الْعُمُومُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْكَيْسُ ضِدُّ الْعَجْزِ، وَهُوَ النَّشَاطُ وَالْحِذْقُ بِالْأُمُورِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْعَاجِزَ قَدْ قُدِّرَ عَجْزُهُ، وَالْكَيِّسُ قَدْ قُدِّرَ كَيْسُهُ.ا.هـ.

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْجَزَعُ قَرِينُ الْعَجْزِ وَشَقِيقُهُ، وَالصَّبْرُ قَرِينُ الْكَيْسِ وَمَادَّتُهُ، فَلَوْ سُئِلَ الْجَزَعُ: مَنْ أَبُوكَ؟ لَقَالَ: الْعَجْزُ. وَلَوْ سُئِلَ الْكَيْسُ: مَنْ أَبُوكَ؟ لَقَالَ: الصَّبْرُ.ا.هـ.(١)

مَا أَيْسَرَ الْخَيْرَ وَالثَّوَابَ عَلَى مَن يَّسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَاسْتَعِن بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٠١٥) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «**اللَّهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ**».

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢٦٩٨) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟**»، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «**يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**».

(١) "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين" (صـ: ١٨).

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَلِيٍّ وَالْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ جَاءَاهُ يَخْتَصِمَانِ فِي أَرْضٍ تَرَكَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صَدَقَةً، وَكَانَتْ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ: «فَإِنْ عَجَزْتُمَا عَنْهَا فَادْفَعَاهَا إِلَيَّ، فَأَنَا أَكْفِيكُمَاهَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

(إِنْ عَجَزْتُمَا) صَدَّرَهُ بِالشَّرْطِ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ وُقُوعُهُ، عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ أَكْيَسُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنبِيَاءِ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ ابْنُ الْوَرْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَصَلَاةُ اللهِ رَبِّي كُلَّمَا ... طَلَعَ الشَّمْسُ نَهَارًا وَّأَفَلْ

لِلَّذِي حَازَ الْعُلَا مِنْ هَاشِمٍ ... أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ مَن سَادَ الْأُوَلْ

وَعَلَى آلٍ وَّصَحْبٍ سَادَةٍ ... لَيْسَ فِيهِمْ عَاجِزٌ إِلَّا بَطَلْ

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الْعَجْزَ كُلَّ الْعَجْزِ: أَن يَّعْجِزَ الْعَبْدُ عَن دُعَاءِ اللهِ، وَأَن تُّخْذَلَ عَنِ الِاسْتِعَانَةِ وَالِاسْتِغَاثَةِ بِخَالِقِهِ وَنَصِيْرِهِ وَمَوْلَاهُ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ»**. رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى (رقم: ٦٦٤٩) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(٢)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الجَمَلِ دَعَانِي، فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ: «يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ لاَ يُقْتَلُ اليَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لاَ أُرَانِي إِلَّا سَأُقْتَلُ اليَوْمَ

---

(١) البخاري (رقم: ٣٠٩٤، و٤٠٣٣، و٥٣٥٨، و٦٧٢٨، و٧٣٠٥)، ومسلم (رقم: ١٧٥٧) من حديث مالك بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ٤٤٩٨)، وإسناد ابن حبان صحيح على شرط مسلم، كما قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيحة" (رقم: ٦٠١).

مَظْلُومًا، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي، أَفَتُرَى يُبْقِي دَيْنُنَا مِنْ مَالِنَا شَيْئًا؟». فَقَالَ: «يَا بُنَيِّ بِعْ مَالَنَا، فَاقْضِ دَيْنِي». وَأَوْصَى بِالثُّلُثِ، وَثُلُثِهِ لِبَنِيهِ - يَعْنِي بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - يَقُولُ: «ثُلُثُ الثُّلُثِ، فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيْءٌ، فَثُلُثُهُ لِوَلَدِكَ». قَالَ هِشَامٌ: وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ، قَدْ وَازَى بَعْضَ بَنِي الزُّبَيْرِ، خُبَيْبٌ، وَعَبَّادٌ وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ، وَتِسْعُ بَنَاتٍ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ، وَيَقُولُ: «يَا بُنَيِّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلاَيَ». قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَهِ مَنْ مَوْلاَكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ». قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣١٢٩).

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُكَاتَبَتِي فَأَعِنِّي، قَالَ: أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صِيرٍ دَيْنًا أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ، قَالَ: قُلْ: **«اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٣١٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٥٦٣).(١)

فَإِيَّاكَ وَالْعَجْزَ عَنِ الدُّعَاءِ، ادْعُ بِالْخَيْرِ لِنَفْسِكَ وَلِأَهْلِكَ وَذَوِيكَ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَادْعُ بِالنَّصْرِ وَالْعِزِّ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ أَعْدَاءِ الدِّينِ.

ادْعُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْبَاطِنِيَّةِ وَالْمَاسُونِيَّةِ وَالْمَلَاحِدَةِ وَالْمُنَافِقِينَ وَسَائِرِ أَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ هَذَا أَقَلُّ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ تُجَاهَ دِينِكَ الَّذِي أَكْرَمَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ.

فَمَا أَحْوَجَنَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ فِي خِضَمِّ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ وَتَسَلُّطِ الْأَعْدَاءِ وَالنَّكَبَاتِ الَّتِي تَتَوَالَى عَلَيْنَا إِلَى أَنْ نَفْزَعَ إِلَى الدُّعَاءِ.

---

(١) قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وصححه أيضًا: الحاكم (رقم: ١٩٧٣)، ووافقه الذهبي، وحسن إسناده: الضياء في "المختارة"(ج٢/ص: ١١٧)(رقم: ٤٨٩، و٤٩٠)، والألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيحة"(رقم: ٢٦٦).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

هَـــذَا وَنَصْـــرُ الـــدِّيْنِ فَـــرْضٌ لَّازِمٌ ... لَا لِلْكِفَايَـــةِ بَـــلْ عَـــلَى الْأَعْيَـــانِ

بِيَـــدٍ وَّإِمَّـــا بِاللِّسَـــانِ فَـــإِنْ عَجَـــزْ ... تَ فَبِالتَّوَجُّـــهِ وَالـــدُّعَا بِحَنَـــانِ

مَـــا بَعْـــدَ ذَا وَاللهِ لِلْإِيْـــمَانِ حَبْـــ ... ـــةُ خَـــرْدَلٍ يَّـــا نَـــاصِرَ الْإِيْـــمَانِ

الإنصاف

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

إِنَّ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَن جَعَلَ الْأَصْلَ فِي الْإِنسَانِ الظُّلْمَ وَالْجَهْلَ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وَلَا يَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ إِلَّا مَن زَكَّاهُ اللهُ ﷻ بِالْعِلْمِ وَالْهُدَى، وَالْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى وَالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ.

وَوَاجِبٌ عَلَى الْإِنسَانِ أَن يَّسْعَى فِي صَلَاحِ نَفْسِهِ وَتَزْكِيَتِهَا؛ لِيَكُونَ مُتَّصِفًا بِالْعِلْمِ وَالْإِنصَافِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩ - ١٠].

وَالْإِنصَافُ مِنْ أَعْظَمِ خِصَالِ الْخَيْرِ، وَقَدْ عَلَّقَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيْحِهِ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَوْلَهُ: «ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ».

وَقَدْ جَاءَ مَوْصُولًا خَارِجَ الصَّحِيحِ، وَهُوَ صَحِيحٌ عَنْ عَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١)

قَالَ أَبُو الزِّنَادِ بْنُ سِرَاجٍ وَغَيْرُهُ - كَمَا فِي "فَتْحِ الْبَارِي"(ج١/صـ: ٨٢-٨٣) -: إِنَّمَا كَانَ مَنْ جَمَعَ الثَّلَاثَ مُسْتَكْمِلًا لِلْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ مَدَارَهُ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا اتَّصَفَ بِالْإِنْصَافِ لَمْ يَتْرُكْ لِمَوْلَاهُ حَقًّا وَاجِبًا عَلَيْهِ إِلَّا أَدَّاهُ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا مِمَّا نَهَاهُ عَنْهُ إِلَّا اجْتَنَبَهُ، وَهَذَا يَجْمَعُ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ يَتَضَمَّنُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَالتَّوَاضُعَ وَعَدَمَ الِاحْتِقَارِ، وَيَحْصُلُ بِهِ التَّآلُفُ وَالتَّحَابُبُ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ يَتَضَمَّنُ غَايَةَ الْكَرَمِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَنْفَقَ مَعَ الِاحْتِيَاجِ كَانَ مَعَ التَّوَسُّعِ أَكْثَرَ إِنْفَاقًا، وَالنَّفَقَةُ أَعَمُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ عَلَى الْعِيَالِ وَاجِبَةً وَمَنْدُوبَةً أَوْ عَلَى الضَّيْفِ وَالزَّائِرِ، وَكَوْنُهُ مِنَ الْإِقْتَارِ يَسْتَلْزِمُ الْوُثُوقَ بِاللَّهِ وَالزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَقِصَرَ الْأَمَلِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مُهِمَّاتِ الْآخِرَةِ.

قَالَ: وَهَذَا التَّقْرِيرُ يُقَوِّي أَن يَّكُونَ الْحَدِيثُ مَرْفُوعًا؛ لِأَنَّهُ يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ مَنْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، واللهُ أَعْلَمُ.ا.هـ.

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ - بَعْدَ أَن ذَكَرَ أَثَرَ عَمَّارٍ هَذَا -: وَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ أُصُولَ الْخَيْرِ وَفُرُوعَهُ؛ فَإِنَّ الْإِنْصَافَ يُوجِبُ عَلَيْهِ أَدَاءَ حُقُوقِ اللَّهِ كَامِلَةً مُوَفَّرَةً، وَأَدَاءَ حُقُوقِ النَّاسِ كَذَلِكَ.ا.هـ.(٢)

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "فَتْحِ الْبَارِي"(ج١/صـ: ١٣٥): وَهُوَ مِنْ أَعَزِّ الْخِصَالِ، وَمَعْنَاهُ: أَن يَّعْرِفَ الْإِنسَانُ الْحَقَّ عَلَى نَفْسِهِ، وَيُوَفِّيَهُ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ.ا.هـ.

هَذَا هُوَ الْإِنصَافُ، أَن تَعْرِفَ الْحَقَّ عَلَى نَفْسِكَ، وَتُوَفِّيَهُ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ.

وَأَعْظَمُ الْإِنصَافِ أَن تُؤَدِّيَ حَقَّ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَعْتَرِفَ لَهُ بِالْفَضْلِ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ، وَتَعْتَرِفَ بِتَقْصِيرِكَ فِي حَقِّهِ، وَأَن تَعْبُدَهُ وَحْدَهُ غَيْرَ مُشْرِكٍ بِهِ.

---

(١) راجع: "فتح الباري"(ج١/صـ: ٨٢-٨٣)، و"تغليق التعليق"(ج٢/صـ: ٣٦-٤٠).

(٢) "زاد المعاد"(ج٢/صـ: ٣٧٢).

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣﴾[فاطر: ٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَشْتِمُنِي ابْنُ آدَمَ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي، وَيُكَذِّبُنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ لِي وَلَدًا، وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ: لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣١٩٣).

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٨٦٣) عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا...»**، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: **«أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟»**.(١)

وَأَمَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ إِنصَافَهُ يَكُونُ بِالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَمَحَبَّتِهِ وَتَقْدِيمِهَا عَلَى مَحَبَّةِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، وَطَاعَتِهِ وَتَوْقِيرِهِ وَتَبْجِيلِهِ، وَتَقْدِيمِ أَمْرِهِ وَقَوْلِهِ عَلَى أَمْرِ غَيْرِهِ وَقَوْلِهِ، فَمِنَ الظُّلْمِ الْعَظِيمِ أَن يُخِلَّ الْعَبْدُ بِشَيْءٍ مِّنْ حُقُوقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُوَ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ، وَأَرْحَمُ بِهِمْ وَأَرْأَفُ بِهِم مِّن كُلِّ أَحَدٍ مِّنَ الْخَلْقِ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَصِلْ إِلَى أَحَدٍ مِنَّا خَيْرٌ فِي الدِّينِ إِلَّا عَلَى يَدَيْهِ، وَالْأَدِلَّةُ عَلَى مَا ذُكِرَ أَكْثَرُ مِنْ أَن نُّحْصِيَهَا فِي هَذَا الْمَقَامِ.

وَإِنصَافُ الْعِبَادِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَكُونُ – كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ –: بِأَن لَّا يُطَالِبَهُمْ بِمَا لَيْسَ لَهُ، وَلَا يُحَمِّلَهُمْ فَوْقَ وُسْعِهِمْ، وَيُعَامِلَهُمْ بِمَا يُحِبُّ أَن يُّعَامِلُوهُ بِهِ،

(١) وصححه الترمذي، وابن خزيمة (رقم: ٩٣٠، و١٨٩٥)، وابن حبان (رقم: ٦٢٣٣)، والحاكم (رقم: ١٥٣٤)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٥٥٢)، وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٢٨٥).

وَيُعْفِيَهُمْ مِمَّا يُحِبُّ أَنْ يُعْفُوهُ مِنْهُ، وَيَحْكُمَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ بِمَا يَحْكُمُ بِهِ لِنَفْسِهِ وَعَلَيْهَا، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا إِنْصَافُهُ نَفْسَهُ مِنْ نَفْسِهِ، فَلَا يَدَّعِي لَهَا مَا لَيْسَ لَهَا، وَلَا يُخْبِثُهَا بِتَدْنِيسِهِ لَهَا، وَتَصْغِيرِهِ إِيَّاهَا، وَتَحْقِيرِهَا بِمَعَاصِي اللَّهِ، وَيُنَمِّيهَا وَيُكَبِّرُهَا وَيَرْفَعُهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ وَحُبِّهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَإِيثَارِ مَرْضَاتِهِ وَمَحَابِّهِ عَلَى مَرَاضِي الْخَلْقِ وَمَحَابِّهِمْ.

وَقَالَ أَيْضًا: ثُمَّ كَيْفَ يُنصِفُ غَيْرَهُ مَن لَّمْ يُنْصِفْ نَفْسَهُ، وَظَلَمَهَا أَقْبَحَ الظُّلْمِ، وَسَعَى فِي ضَرَرِهَا أَعْظَمَ السَّعْيِ، وَمَنَعَهَا أَعْظَمَ لَذَّاتِهَا مِنْ حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُ يُعْطِيهَا إِيَّاهَا، فَأَتْعَبَهَا كُلَّ التَّعَبِ وَأَشْقَاهَا كُلَّ الشَّقَاءِ مِنْ حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُ يُرِيحُهَا وَيُسْعِدُهَا، وَجَدَّ كُلَّ الْجِدِّ فِي حِرْمَانِهَا حَظَّهَا مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُنِيلُهَا حُظُوظَهَا، وَدَسَّاهَا كُلَّ التَّدْسِيَةِ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُكَبِّرُهَا وَيُنَمِّيهَا، وَحَقَّرَهَا كُلَّ التَّحْقِيرِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُعَظِّمُهَا، فَكَيْفَ يُرْجَى الْإِنصَافُ مِمَّنْ هَذَا إِنصَافُهُ لِنَفْسِهِ؟ إِذَا كَانَ هَذَا فِعْلَ الْعَبْدِ بِنَفْسِهِ، فَمَاذَا تَرَاهُ بِالْأَجَانِبِ يَفْعَلُ؟!.ا.هـ.(١)

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»،(٢) أَصْلٌ فِي إِنصَافِ الْمُؤْمِنِيْنَ بَعْضَهُم مِّن بَعْضٍ، وَهُوَ مِن جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي أُوتِيَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَمِن قَوَاعِدِ الدِّيْنِ؛ وَلِهَذَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الْأَرْبَعِيْنَ".

وَقَدْ نَقَلَ النَّوَوِيُّ فِي "شَرْحِ مُسْلِمٍ"(رقم: ١٥٩٩) عَنْ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيِّ صَاحِبِ السُّنَنِ قَوْلَهُ: إِنَّ الْإِسْلَامَ يَدُورُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحَادِيْثَ: ...، وَذَكَرَ مِنْهَا هَذَا الْحَدِيْثَ.(٣)

---

(١) "زاد المعاد"(ج٢/صـ: ٣٧٢-٣٧٤).

(٢) رواه البخاري (رقم: ١٣)، ومسلم (رقم: ٤٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) قال أبو بكر بن داسة: سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خمس مائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب - يعني: كتاب "السنن" - جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثماني مائة حديث، ذكرت الصحيح، وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: ...، فذكرها. رواها الخطيب في تاريخه (ج٩/صـ:٥٧). =

وَنَقَلَ النَّوَوِيُّ أَيْضًا (رقم: ٤٧) عَنِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي زَيْدٍ إِمَامِ الْمَالِكِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ فِي زَمَانِهِ قَوْلَهُ: جِمَاعُ آدَابِ الْخَيْرِ يَتَفَرَّعُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ: ...، فَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْهَا.

وَذَكَرَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فِي "شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ" أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ قِيلَ فِيهِ: إِنَّهُ رُبُعُ الْإِسْلَامِ.

وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمُ الْإِيمَانَ الْكَامِلَ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مِنَ الْخَيْرِ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ.

وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْمَعْنَى مُبَيَّنًا فِي رِوَايَةِ أَبِي يَعْلَى (رقم: ٣٠٨١): **«لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ»**.

قَالَ النَّوَوِيُّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: مَعْنَاهُ: لَا يُؤْمِنُ الْإِيمَانَ التَّامَّ، وَإِلَّا فَأَصْلُ الْإِيمَانِ يَحْصُلُ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَالْمُرَادُ: يُحِبَّ لِأَخِيهِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْأَشْيَاءِ الْمُبَاحَاتِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: **«حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مِنَ الْخَيْرِ»**.

وَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ١٨٤٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»**.

فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»**، أَمْرٌ لِلْمُكَلَّفِ بِإِنْصَافِ النَّاسِ مِن نَّفْسِهِ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

قال الذهبي في "السير"(ج١٣/ص: ٢١٠) قوله: (يكفي الإنسان لدينه)، ممنوع، بل يحتاج المسلم إلى عدد كثير من السنن الصحيحة مع القرآن.ا.هـ.

وقد بلغ عدد أحاديث سنن أبي داود في المطبوع من رواية اللؤلؤي: (٥٢٧٤).

فَقَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ بِالْإِنصَافِ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِّن كِتَابِ اللهِ ﷻ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الشورى: ١٧].

وَقَالَ ﷻ أَيْضًا: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ ﴾ [الرحمن: ٧ - ٩].

وَقَالَ ﷻ أَيْضًا: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

وَ﴿ ٱلْمِيزَانَ ﴾ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، الْمُرَادُ بِهِ: الْعَدْلُ وَالْإِنْصَافُ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

حَتَّى الْعَدُوُّ الْكَافِرُ الْبَغِيْضُ أَمَرَ اللهُ ﷻ بِإِنصَافِهِ،، فَمَا أَعْظَمَ هَذَا الدِّيْنَ وَأَحْسَنَهُ!.

قَالَ ﷻ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١٣٥ ﴾ [النساء: ١٣٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨ ﴾ [المائدة: ٨].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ:**

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ

وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٨٤١، و٦١٤٧، و٦٤٨٩)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٢٥٦).

مَعَ أَنَّ لَبِيْدًا كَانَ كَافِرًا وَّقْتَهَا.

وَنَبَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ النِّسَاءَ عَلَى مَا يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِنَّ مِن انتِقَاصِ أَزْوَاجِهِنَّ وَجَحْدِ مَعْرُوفِهِمْ عِندَ أَدْنَى خِلَافٍ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ»** قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: **«يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنكَ خَيْرًا قَطُّ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.(١)

وَفِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ (رقم:) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ، قَالَ: **«مَن يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟»** - أَوْ **«هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ»** -، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ: **«مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟»**، وَ**«هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ»** -، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِصَاحِبَيْهِ: **«مَا أَنصَفْنَا أَصْحَابَنَا»**.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَعْنَاهُ: مَا أَنْصَفَتْ قُرَيْشٌ الْأَنصَارَ؛ لِكَوْنِ الْقُرَشِيَّيْنِ لَمْ يَخْرُجَا لِلْقِتَالِ، بَلْ خَرَجَتِ الْأَنْصَارُ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ.

قَالَ: وَذَكَرَ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ أَنَّ بَعْضَهُمْ رَوَاهُ: (مَا أَنْصَفَنَا)، بِفَتْحِ الْفَاءِ، وَالْمُرَادُ عَلَى هَذَا الَّذِينَ فَرُّوا مِنَ الْقِتَالِ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُنصِفُوا؛ لِفِرَارِهِمْ.ا.هـ.

وَعن طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَسُئِلَ عَنْ أَهْلِ النَّهَرَوَانِ: أَمُشْرِكُونَ هُمْ؟ قَالَ: «مِنَ الشِّرْكِ فَرُّوا»، قِيلَ : فَمُنَافِقُونَ هُمْ؟ قَالَ: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلًا»، قِيلَ لَهُ: فَمَا هُمْ؟ قَالَ : «قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا». أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (رقم: ٣٩٠٩٧)، وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ فِي "تَعْظِيْمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ"(رقم: ٥٩١).(٢)

(١) البخاري (رقم: ١٠٥٢، و٥١٩٧)، ومسلم (رقم: ٩٠٧).

(٢) وإسناده صحيح. =

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْإِنصَافِ مِنْ إِنصَافٍ؟ وَهَلْ هُنَاكَ كَلَامٌ يَقُولُهُ شَاهِرُ سَيفٍ أَرَقُّ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ؟!.

مَعَ أَنَّهُمْ كَفَّرُوهُ، فَقَاتَلَهُمْ؛ لِدَفْعِ بَغْيِهِمْ، وَلَمْ يُكَفِّرْهُمْ، ثُمَّ كَانَ مَقْتَلُهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ.

وَمَا قَالَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْخَوَارِجِ هُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، بَلْ نَقَلَهُ بَعْضُهُمْ إِجْمَاعًا، عَلَى أَنَّ ظَوَاهِرَ الْأَدِلَّةِ تَكْفِيرُ الْخَوَارِجِ، وَبِهِ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ.

فَيَا أَعَزَّ الْإِنصَافَ!، وَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُ!، وَقِلَّتُهُ أَوْ زَوَالُهُ مِن مُكَدِّرَاتِ الْعَيْشِ وَمِن جُمْلَةِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ!.

وَلَمْ تَـزَلْ قِلّـةُ الإنصَـافِ قاطِعَـةً ... بَـين الرّجـالِ وَلَـوْ كـانوا ذوي رَحِـمِ

وَيُنسَبُ إِلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْلُهُ:

سَـلَامٌ عَـلَى الـدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُـن بِهَـا ... صَدِيْقٌ صَدُوقٌ صَادِقُ الْوَعْدِ مُنصِفَا

وأخرجه محمد بن نصر أيضًا (رقم: ٥٩٢)، والبيهقي (رقم: ١٦٧٢٢) من طريق أبي وائل شقيق بن سلمة، وكذا أخرجه محمد بن نصر (رقم: ٥٩٣) من طريق حكيم بن جابر، كلاهما عن علي، به.

وأخرج ابن أبي شيبة (رقم: ٣٨٩١٨)، والبيهقي (رقم: ١٦٧١٣) من طريق أبي البختري، وكذا البيهقي (رقم: ١٦٧١٣)، و(١٦٧٥٢) (١٦٧٥٢) من طريق عبد خير، قالا: سئل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أهل الجمل: ...، فذكر مثل قوله في الخوارج.

الريح، مواعظ وأحكام

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيْمِ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠﴾ [الذاريات: ٢٠].

وَمِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ: الرِّيْحُ، وَتَصْرِيْفُهَا، وَقَدْ حُفَّتْ بِالرِّيْحِ مَوَاعِظُ وَأَحْكَامٌ، أَنَا ذَاكِرُهَا بِمَشِيْئَةِ اللهِ ﷻ فِي هَذَا الْمَقَامِ، فَأَقُولُ مُسْتَعِيْنًا بِذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ:

إِنَّ مِمَّا يَنبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَن يُّطْلِقَ عَنَانَ فِكْرِهِ وَتَأَمُّلِهِ فِي آيَاتِ اللهِ الْكَوْنِيَّةِ؛ فَإِنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى عِظَمِ قُدْرَةِ اللهِ ﷻ وَإِبْدَاعِهِ وَإِتْقَانِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾ [الجاثية: ٣ - ٥].

وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾، تَصْرِيفُها - كَمَا قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: بَارِدَةً وَحَارَّةً، وَجَنُوبًا، وَشِمَالًا، وَشَرْقًا، وَدَبُورًا، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَتَارَةً تُثِيرُ السَّحَابَ، وَتَارَةً تُؤَلِّفُ بَيْنَهُ، وَتَارَةً تُلْقِحُهُ، وَتَارَةً تُدِرُّهُ، وَتَارَةً تُمَزِّقُهُ، وَتُزِيلُ ضَرَرَهُ، وَتَارَةً تَكُونُ رَحْمَةً، وَتَارَةً تُرْسَلُ بِالْعَذَابِ.ا.هـ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٤٦﴾ [الروم: ٤٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝٣٢ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٣٣﴾ [الشورى: ٣٢ - ٣٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧﴾ [الأعراف: ٥٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۝٤٨ لِّنُحْيِيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۝٤٩﴾ [الفرقان: ٤٨ - ٤٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٣﴾ [النمل: ٦٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٨ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ۝٤٩ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ

ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الروم: ٤٨ - ٥١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ [فاطر: ٩].

فَوَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَه ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ
وللهِ فِيْ كُلِّ تَحْرِيْكَةٍ ... وَتَسْكِيْنَةٍ أَبَدًا شَاهِدُ
وَفِيْ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

ضُرِبَتْ بِالرِّيْحِ الْأَمْثَالُ، وَوُضِّحَ بِهَا الْمَقَالُ:

◄ فَضُرِبَ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْجُودِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ». (١)

◄ وَضُرِبَ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْقُوَّةِ؛ وَلِهَذَا قَد تَأْتِي بِمَعْنَي الْقُوَّةِ وَالْغَلَبَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

◄ وَضُرِبَ بِهَا الْمَثَلُ فِي السُّرْعَةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَحُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ».

قَالَ: «يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِّنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ:

(١) البخاري (رقم:٦، و١٩٠٢، و٣٢٢٠، و٣٥٥٤، و٤٩٩٧)، ومسلم (رقم:٢٣٠٨).

لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ».

قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»، الْحَدِيث، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٩٥).

◄ وَضُرِبَ بِهَا الْمَثَلُ لِبَيَانِ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَسُرْعَةِ انقِضَائِهَا وَزَوَالِهَا وَقَتْلِهَا لِعُشَّاقِهَا وَفِعْلِهَا بِهِمْ أَنْوَاعَ الْمُثُلَاتِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾[الكهف: ٤٥].

◄ وَضُرِبَ بِهَا الْمَثَلُ لِلْكَافِرِينَ وَأَعْمَالِهِمْ، قَالَ ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[يونس: ٢٢- ٢٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾[إبراهيم: ١٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١١٦- ١١٧].

وَالصِّرُّ: الْبَرْدُ الشَّدِيدُ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦﴾[البقرة: ٢٦٦].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؟ قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ، فَقَالَ: «قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لاَ نَعْلَمُ»، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ عُمَرُ: «يَا ابْنَ أَخِي، قُلْ، وَلَا تَحْقِرْ نَفْسَكَ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: «أَيُّ عَمَلٍ؟» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: «لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ، فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي، حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٥٣٨).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ كِفَايَةٌ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَتَبْيِينِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَثَلِ بِعَمَلِ مَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلَ أَوَّلًا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ انْعَكَسَ سَيْرُهُ، فَبَدَّلَ الْحَسَنَاتِ بِالسَّيِّئَاتِ، عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، فَأَبْطَلَ بِعَمَلِهِ الثَّانِي مَا أَسْلَفَهُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الصَّالِحِ، وَاحْتَاجَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَوَّلِ فِي أَضْيَقِ الْأَحْوَالِ، فَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَخَانَهُ أحوجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾، وَهُوَ: الرِّيحُ الشَّدِيدُ، ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾، أَيْ: أَحْرَقَ ثِمَارَهَا، وَأَبَادَ أَشْجَارَهَا، فَأَيُّ حَالٍ يَكُونُ حَالُهُ؟.ا.هـ.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١].

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ».**

قَالَ: **«فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي**

كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

«فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا».

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج: ٣١]، الْحَدِيث، رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (رقم: ١٨٥٣٤).

◄ وَضُرِبَ بِهَا الْمَثَلُ لِلْمُؤْمِنِ وَمَا يُصِيبُهُ مِنَ الْبَلَاءِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا، فَإِذَا سَكَنَتِ اعْتَدَلَتْ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ، وَمَثَلُ الكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ، صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً، حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٧٤٦٦)، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٨٠٩) بِنَحْوِهِ.

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٨١٠) أَيْضًا مِّنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفِيئُهَا الرِّيحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى، حَتَّى تَهِيجَ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ الْمُجْذِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا، لَا يُفِيئُهَا شَيْءٌ، حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً».

◄ وَالرِّيحُ جُندِيٌّ مِّن جُنُودِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح: ٤]، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾ [الفتح: ٧].

فَبِالرِّيحِ الصَّرْصَرِ الْعَقِيمِ أَهْلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَادًا قَوْمَ هُودٍ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝١٥ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۝١٦﴾ [فصلت: ١٥ - ١٦].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٢١﴾ [القمر: ١٩ - ٢١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ [الحاقة: ٦ - ٧].

وَالرِّيْحُ الصَّرْصَرُ: الْبَارِدَةُ، وَقِيْلَ: الشَّدِيْدَةُ الصَّوْتِ.

وَالْعَاتِيَةُ: الْقَوِيَّةُ، الشَّدِيْدَةُ الْهُبُوبِ، قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ: فَكَانَ إِهْلَاكُهُمْ مِنْ جِنْسِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَعْتَى شَيْءٍ وَأَجْبَرَهُ، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَعْتَى مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً.ا.هـ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٢٥﴾ [الأحقاف: ٢٤ - ٢٥].

وَعَنِ الْحَارِثِ بْنِ حَسَّانَ - وَيُقَالُ: - يَزِيدَ الْبَكْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ أَتَى الْمَدِيْنَةَ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ، وَرَسُولِهِ أَنْ أَكُونَ كَوَافِدِ عَادٍ. قَالَ: **«هِيهْ، وَمَا وَافِدُ عَادٍ؟»**، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْحَدِيثِ مِنْهُ، وَلَكِن يَسْتَطْعِمُهُ، قُلْتُ: إِنَّ عَادًا قَحَطُوا، فَبَعَثُوا وَافِدًا لَهُمْ، يُقَالُ لَهُ: قَيْلٌ، فَمَرَّ بِمُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ شَهْرًا يَسْقِيهِ الْخَمْرَ، وَتُغَنِّيهِ جَارِيَتَانِ، يُقَالُ لَهُمَا: الْجَرَادَتَانِ، فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى جِبَالَ مُهْرَةَ، فَنَادَى: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَجِئْ إِلَى مَرِيضٍ فَأُدَاوِيَهُ، وَلَا إِلَى أَسِيرٍ فَأُفَادِيَهُ، اللَّهُمَّ اسْقِ عَادًا مَا كُنْتَ مُسْقِيَهُ، فَمَرَّتْ بِهِ سَحَابَاتٌ سُودٌ، فَنُودِيَ مِنْهَا: اخْتَرْ، فَأَوْمَأَ إِلَى سَحَابَةٍ مِنْهَا سَوْدَاءَ، فَنُودِيَ مِنْهَا: خُذْهَا رَمَادًا رِمْدِدًا، وَلَا تُبْقِ مِنْ عَادٍ أَحَدًا، قَالَ: فَمَا بَلَغَنِي أَنَّهُ بُعِثَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّيحِ، إِلَّا قَدْرَ مَا يَجْرِي فِي خَاتِمِي هَذَا. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٥٩٥٣، و١٥٩٥٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٢٧٣).(١)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٠٣٥، و٣٢٠٥، و٣٣٤٣، و٤١٠٥)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٩٠٠).

---

(١) وحسن إسناده الألباني في "الضعيفة"(ج٣/صـ: ٣٧٣)(تحت الحديث رقم: ١٢٢٨)، وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٢٧٥).

وَالصَّبَا هِيَ الرِّيحُ الَّتِي تَهُبُّ مِنَ جِهَةِ الشَّرْقِ، وَقَدْ نُصِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِهَا فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ، وَالدَّبُورُ هِيَ: الرِّيحُ الَّتِي تَهُبُّ مِنَ جِهَةِ الْمَغْرِبِ.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: ٤١ - ٤٢].

وَالرِّيحُ الْعَقِيمُ هِيَ: الَّتِي لَا خَيْرَ فِيهَا وَلَا بَرَكَةَ، لَا تُلْقِحُ شَجَرًا، وَلَا تُثِيرُ سَحَابًا، وَإِنَّمَا هِيَ رِيحُ الْإِهْلَاكِ وَالْعَذَابِ، بِخِلَافِ اللَّاقِحِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر: ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾، أَيْ: تُلَقِّحُ السَّحَابَ، فَتُدِرُّ مَاءً، وَتُلَقِّحُ الشَّجَرَ، فَتَتَفَتَّحُ عَنْ أَوْرَاقِهَا وَأَكْمَامِهَا.

وَذَكَرَهَا بِصِيغَةِ الْجَمْعِ، لِيَكُونَ مِنْهَا الْإِنْتَاجُ، بِخِلَافِ الرِّيحِ الْعَقِيمِ؛ فَإِنَّهُ أَفْرَدَهَا، وَوَصَفَهَا بِالْعَقِيمِ، وَهُوَ عَدَمُ الْإِنْتَاجِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ شَيْئَيْنِ فَصَاعِدًا.ا.هـ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ"(رقم: ٧١٨) عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ إِذَا اشْتَدَّتِ الرِّيحُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَاقِحًا، لَا عَقِيمًا».

وَرَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ (رقم: ١٠٠٨)، وَفِيهِ التَّصْرِيحُ بِرَفْعِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.(١)

فَلَا تَأْمَنْ مَكْرَ اللهِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، فِي شَأْنِكَ كُلِّهِ، وَمِنْهُ: عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيحِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٨٩٩) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا، حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ، قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَى النَّاسَ إِذَا

---

(١) وصححه الألباني في "صحيح الأدب المفرد"(رقم: ٥٥٦)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٤٤٧).

رَأَوْا الْغَيْمَ فَرِحُوا، رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ؟ قَالَتْ: فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ، فَقَالُوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]».

وَفِي رِوَايَةٍ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرَّ بِهِ، وَذَهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: **«إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ عَلَى أُمَّتِي»**، وَيَقُولُ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ: **«رَحْمَةٌ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: **«اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»**.

قَالَتْ: وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ، سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: **«لَعَلَّهُ، يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ:** ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِنَّهَا تَجِيءُ بِالرَّحْمَةِ وَالْعَذَابِ، وَلَكِنِ سَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا»**.

رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٧٤١٣، و٩٦٢٩)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٧٢٧).

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ (رقم: ٧٦٣١، و١٠٧١٤)، وَأَبِي دَاوُدَ (رقم: ٥٠٩٧): **«الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا، فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا بِهِ مِنْ شَرِّهَا»**.(١)

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ١٠٠٧، و٥٧٣٢)، والحاكم (رقم: ٧٧٦٩)، وقال: «على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الألباني في "صحيح الأدب المفرد"(رقم: ٥٥٨، و٧٠٠)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٤٠٢).

وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَمِنْ خَيْرِ مَا فِيهَا، وَمِنْ خَيْرِ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَمِنْ شَرِّ مَا فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**». رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي "زَوَائِدِ الْمُسْنَدِ"(رقم: ٢١١٣٨، و٢١١٣٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٢٥٢)، وَعِندَهُ: «**أُمِرَتْ بِهِ**»، بَدَلًا مِّنْ: «**أُرْسِلَتْ بِهِ**».(١)

الرِّيحُ جُندِيٌّ مِّن جُنُودِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، نَصَرَ بِهَا نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَمَن مَّعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ، قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ ﴾ [الأحزاب: ٩ - ١١].

وَفِي حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْآنِفِ الذِّكْرِ: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا**».

وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا أَتَيْنَا تَبُوكَ قَالَ: «**أَمَا إِنَّهَا سَتَهُبُّ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ فَلْيَعْقِلْهُ**»، فَعَقَلْنَاهَا، وَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَأَلْقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّءٍ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٤٨١)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٣٩٢).

لِمَاذَا يَأْمَنُ كَثِيْرٌ مِّنَ النَّاسِ مَكْرَهُ؟! وَلِمَاذَا لَا يَقْدُرُونَ لَهُ قَدْرَهُ؟! لِمَاذَا لَا يَجْعَلُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَذَابِهِ وِقَايَةً؟! وَلَا يَعْمَلُونَ بِالْحِكْمَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خُلِقُوا وَالْغَايَةِ؟! إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً.

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم:)، والحاكم (رقم: ٣٠٧٥)، وقال: «على شرط الشيخين»، وقال الذهبي: «على شرط البخاري». وصححه أيضًا: الضياء في "المختارة"(ج٣/صـ: ٤٢٣-٤٢٥)(رقم: ١٢٢٢، و١٢٢٣، و١٢٢٤)، والألباني في "صحيح الأدب المفرد"(رقم: ٥٥٧)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٦).

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٨ - ٦٩].

وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ عِبْرَةٌ بِحَالِ الْكَافِرِيْنَ، فَلَا نَزَالُ نَسْمَعُ بَيْنَ الْحِيْنِ وَالْآخَرِ بِعَوَاصِفَ وَأَعَاصِيْرَ فِي بُلْدَانِ الْكُفْرِ، تَبْلُغُ مِنَ الْقُوَّةِ وَالسُّرْعَةِ مَبْلَغًا عَظِيْمًا، وَلَهَا تَأْثِيْرٌ مُّدَمِّرٌ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الرعد: ٣١].

◄ وَقَد تَّكُونُ الرِّيْحُ عَلَامَةً عَلَى هَلَاكِ الْكَافِرِيْنَ، فَفِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٧٨٢) عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَلَمَّا كَانَ قُرْبَ الْمَدِينَةِ هَاجَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، تَكَادُ أَن تَدْفِنَ الرَّاكِبَ، فَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بُعِثَتْ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ**»، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا مُنَافِقٌ عَظِيمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَدْ مَاتَ.

◄ وَمِمَّا أَكْرَمَ اللهُ ﷻ بِهِ نَبِيَّهُ سُلَيْمَانَ أَن سَخَّرَ لَهُ الرِّيْحَ، قَالَ ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ص: ٣٥ - ٤٠].

قَالَ ابْنُ جَرِيْرٍ: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ ﴾ مَكَانَ الْخَيْلِ الَّتِي شَغَلَتْهُ عَنِ الصَّلَاةِ ﴿ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً ﴾، يَعْنِي: رَخْوَةً لَيِّنَةً، وَهِيَ مِنَ الرَّخَاوَةِ.

ثُمَّ أَخْرَجَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَوْلَهُ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْخَيْلُ، فَشَغَلَهُ النَّظَرُ إِلَيْهَا عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ [ص: ٣٢]، فَغَضِبَ لِلَّهِ، فَأَمَرَ بِهَا فَعُقِرَتْ، فَأَبْدَلَهُ اللَّهُ مَكَانَهَا أَسْرَعَ مِنْهَا، سَخَّرَ الرِّيحَ ﴿ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾.ا.هـ.

وَمَعْنَى: ﴿ حَيْثُ أَصَابَ ﴾: حَيْثُ أَرَادَ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١]، وَهِيَ: بِلَادُ الشَّامِ، وَكَانَتْ مَقَرَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالرِّيحُ الْعَاصِفَةُ هِيَ: الشَّدِيدَةُ الْهُبُوبِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ بِسَاطٌ مِنْ خَشَبٍ، يُوضَعُ عَلَيْهِ كُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ، وَالْخَيْلِ وَالْجِمَالِ وَالْخِيَامِ وَالْجُنْدِ، ثُمَّ يَأْمُرُ الرِّيحَ أَنْ تَحْمِلَهُ، فَتَدْخُلَ تَحْتَهُ، ثُمَّ تَحْمِلَهُ، فَتَرْفَعَهُ، وَتَسِيرَ بِهِ، وَتُظِلُّهُ الطَّيْرُ مِنَ الْحَرِّ، إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَنْزِلُ، وَتُوضَعُ آلَاتُهُ وَخُشُبُهُ.ا.هـ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]، أَيْ: تَسِيرُ بِالْغَدَاةِ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى الزَّوَالِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَتَسِيرُ بِالرَّوَاحِ مِنَ الزَّوَالِ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، أَيْ: أَنَّهَا كَانَتْ تَسِيرُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ مَسِيرَةَ شَهْرَيْنِ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

◄ فَإِنَّ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ: هُبُوبَ رِيحٍ مِّنَ الْيَمَنِ تَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِيْنَ، فَفِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ (رقم: ١٩٢٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»**.

وَلَهُ أيضًا (رقم: ١١٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلَا تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِّنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ»**.

وَعَن يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى إِلَّا: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، جَاءَتِ السَّاعَةُ. قَالَ: فَقَعَدَ، وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ، حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، الْحَدِيْث.

وَفِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٩٠١) عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: مَا تَذْكُرُونَ؟ قُلْنَا: السَّاعَةَ، قَالَ: **«إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: ...»**، فَذَكَرَهَا، وَقال فِي رِوَايَةٍ فِي الْعَاشِرَةِ: **«نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: **«وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ»**.

◄ هَذَا وَإِنَّ مِن نَّعِيْمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيْهَا: رِيحًا، يُقَالُ لَهَا: رِيحُ الشَّمَالِ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، واللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٨٣٣).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمُرَادُ بِالسُّوقِ مَجْمَعٌ لَهُمْ، يَجْتَمِعُونَ كَمَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا فِي السُّوقِ، وَمَعْنَى **«يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ»** أَيْ: فِي مِقْدَارِ كُلِّ جُمُعَةٍ، أَيْ: أُسْبُوعٍ، وَلَيْسَ هُنَاكَ حَقِيقَةً أُسْبُوعٌ؛ لِفَقْدِ الشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالسُّوقُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ، وَهُوَ أَفْصَحُ، وَرِيحُ الشَّمَالِ، بِفَتْحِ الشِّينِ وَالْمِيمِ بِغَيْرِ هَمْزَةٍ، هَكَذَا الرِّوَايَةُ.

وَقَالَ أَيْضًا: قَالَ الْقَاضِي: وَخَصَّ رِيحَ الْجَنَّةِ بِالشَّمَالِ؛ لِأَنَّهَا رِيحُ الْمَطَرِ عِنْدَ الْعَرَبِ، كَانَتْ تَهُبُّ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ، وَبِهَا يَأْتِي سَحَابُ الْمَطَرِ.ا.هـ.

القديم والجديد، مواعظ وأحكام

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣].

ذَكَرَ اللهُ ﷻ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَعْضَ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَأَوَّلُهَا ذِكْرًا فِي الْآيَةِ: الْأَوَّلُ.

وَقَدْ فَسَّرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَفْسِيرًا شَافِيًا كَافِيًا، فَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ٢٧١٣) مِن طَرِيقِ سُهَيْلٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا، إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ، أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولَ: **«اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ**

شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ». وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فَالْأَوَّلُ هُوَ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، فَكُلُّ الْأَشْيَاءِ وَالْحَوَادِثِ وُجِدَتْ بَعْدَهُ.

وَلَيْسَ الْقَدِيمُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ ﷻ، وَلَا يَجُوزُ أَن يُسَمَّى اللهُ ﷻ بِهِ، وَيُغْنِي عَنْهُ الْأَوَّلُ، فَالْقَدِيمُ يُرَادُ بِهِ مَا كَانَ مُتَقَدِّمًا عَلَى غَيْرِهِ تَقَدُّمًا زَمَانِيًّا، سَوَاءٌ سَبَقَهُ عَدَمٌ أَوْ لَمْ يَسْبِقْهُ، واللهُ ﷻ لَيْسَ مَسْبُوقًا بِعَدَمٍ، لَكِن يَجُوز الْإِخْبَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ قَدِيمٌ، وَبَابُ الْخَبَرِ أَوْسَعُ مِن بَابِ التَّسْمِيَةِ، فَإِذَا أُخْبِرَ عَنْهُ بِذَلِكَ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ: القِدَمَ غَيْرَ الْمَسْبُوقِ بِعَدَمٍ.(١)

وَالْقَوْلُ فِي صِفَاتِ اللهِ ﷻ كَالْقَوْلِ فِي ذَاتِهِ، فَصِفَاتُهُ أَزَلِيَّةٌ، وَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ:

الأول: ذَاتِيَةٌ، لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مُتَّصِفًا بِهَا، وَلَا تَنتَفِي عَنْهُ، كَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ.

الثاني: وَفِعْلِيَّةٌ، تَتَعَلَّقُ بِمَشِيْئَتِهِ، فَإِن شَاءَ فَعَلَهَا، وَإِن شَاءَ لَمْ يَفْعَلْهَا، كَالْكَلَامِ، وَالرِّضَا، وَالْغَضَبِ، وَمَشِيئَتُهُ تَابِعَةٌ لِحِكْمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَكُلُّ صِفَةٍ فِعْلِيَّةٍ هِيَ ذَاتِيَّةٌ، بِاعْتِبَارِ أَصْلِهَا؛ مِن جِهَةِ اتِّصَافِ اللهِ ﷻ بِهَا أَزَلًا وَأَبَدًا، فَلَمْ يَكُنِ اتِّصَافُهُ بِهَا حادثًا بَعْدَ أَن لَّمْ يَكُن مُّتَّصِفًا بِهَا؛ لِأَنَّ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صِفَاتُ كَمَالٍ، وَفَقْدَهَا صِفَةُ نَقْصٍ، وَلَا يَجُوزُ أَن يَّكُونَ قَدْ حَصَلَ لَهُ الْكَمَالُ بَعْدَ أَن كَانَ مُتَّصِفًا بِضِدِّهِ، وَإِنَّمَا تَكُونُ فِعْلِيَّةً بِاعْتِبَارِ آحَادِهَا، كَالْكَلَامِ، فَإِنَّهُ بِاعْتِبَارِ أَصْلِ الصِّفَةِ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مُتَكَلِّمًا، وَبِاعْتِبَارِ آحَادِ الْكَلَامِ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ يَتَعَلَّقُ بِمَشِيْئَتِهِ، يَتَكَلَّمُ مَتَى شَاءَ بِمَا شَاءَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس: ٨٢].(٢)

---

(١) راجع: "الجواب الصحيح"(ج٣/صـ: ٢٦٨-٢٦٩، ج٤/صـ: ٤٨٣)، و"مجموع الفتاوى" (ج١٢/صـ: ١٠٥، و٥٢٢)، و"شرح الطحاوية"(صـ: ٦٧)(ط. الأوقاف السعودية)، و"فتاوى اللجنة الدائمة"(م.٢)(ج٢/صـ: ٣٧٩)، و"مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين"(ج٨/صـ: ٤٢٨).

(٢) "مجموع الفتاوى"(ج١٦/صـ: ٣٩٠)، و"شرح الطحاوية"(صـ: ٧٩)، و"القواعد المثلى" (صـ: ٢٥)، وشرحها: "المجلى"(صـ: ٢٠٠)، و"الصفات الإلهية"(صـ: ٦٦) لمحمد بن خليفة التميمي.

وَكُلُّ صِفَاتِ اللهِ ﷻ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ، وَلَيْسَتْ مَخْلُوقَةً، وَمِنْهَا الْكَلَامُ، وَكَلَامُهُ ﷻ بِحَرْفٍ وَّصَوْتٍ، وَأَفْضَلُ كَلَامِهِ: الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾[الشعراء: ٥]، فَلَيْسَ الْمُحْدَثُ فِي الْآيَةِ هُوَ الْمَخْلُوقَ، كَمَا زَعَمَتْهُ الْجَهْمِيَّةُ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلَكِنَّهُ الَّذِي أُنْزِلَ جَدِيدًا، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يُنَزِّلُ الْقُرْآنَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، فَالْمُنَزَّلُ أَوَّلًا هُوَ قَدِيمٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُنَزَّلِ آخِرًا، وَكُلُّ مَا تَقَدَّمَ عَلَى غَيْرِهِ فَهُوَ قَدِيمٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ.ا.هـ.(١)

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي مَعْنَى ﴿مُّحْدَثٍ﴾، أَيْ: جَدِيدٍ إِنْزَالُهُ.ا.هـ.

وَقَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي مُقَدِّمَةِ "حِرْزِ الْأَمَانِي وَوَجْهِ التَّهَانِي فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ":

وَبَعْدُ فَحَبْلُ اللهِ فِينَا كِتَابُهُ ... فَجَاهِدْ بِهِ حِبْلَ الْعِدَا مُتَحَبِّلَا
وَأَخْلِقْ بِهِ إِذْ لَيْسَ يَخْلُقُ جِدَّةً ... جَدِيدًا مُوَالِيهِ عَلَى الْجِدِّ مُقْبِلَا

(وَأَخْلِقْ بِهِ): أَيْ: مَا أَخْلَقَهُ وَأَجْدَرَهُ، وَيَخْلُقُ - بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ اللَّامِ، بِمَعْنَى: يَبْلَى، وَالْجِدَّةُ ضِدُّ الْبِلَى، وَ(جَدِيدًا): مِنَ الْجَدِّ - بِفَتْحِ الْجِيمِ -، وَهُوَ الْعَظَمَةُ وَالْعِزَّةُ وَالشَّرَفُ، وَ(مُوَالِيهِ) مِنَ الْمُوَالَاةِ، وَهِيَ: الْمُصَافَاةُ، وَ(الْجِدّ): بِكَسْرِ الْجِيمِ، ضِدُّ الْهَزْلِ.

فَجَدِّدْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ بِالْقُرْآنِ عَهْدًا؛ لِيُجَدِّدَ اللهُ ﷻ بِهِ عَزْمَكَ وَهِمَّتَكَ فِي الطَّاعَةِ وَانبِعَاثَكَ إِلَى الْخَيْرِ، قَالَ ﷻ: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ أَوْصَافِ اللهِ ﷻ بِالْقِدَمِ، أَيِ: الْقِدَمِ غَيْرِ الْمَسْبُوقِ بِعَدَمٍ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ**

(١) "مجموع الفتاوى"(ج١٢/ص: ١٠٥، و٥٢٢).

الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، قَالَ: فَإِذَا قَالَ: ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٦٦).(١)

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ - كَمَا فِي مُخْتَصَرِ الصَّوَاعِقِ(صـ: ٤١٣) -: فَتَأَمَّلْ كَيْفَ قَرَنَ فِي الِاسْتِعَاذَةِ بَيْنَ اسْتِعَاذَتِهِ بِالذَّاتِ وَبَيْنَ اسْتِعَاذَتِهِ بِالْوَجْهِ الْكَرِيمِ، وَهَذَا صَرِيحٌ فِي إِبْطَالِ قَوْلِ مَن قَالَ: إِنَّهُ الذَّاتُ نَفْسُهَا، وَقَوْلِ مَن قَالَ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ.ا.هـ.

وَأَمَّا الْقِدَمُ الْمَسْبُوقُ بِالْعَدَمِ فَيُوصَفُ بِهِ الْمَخْلُوقُ كَثِيرًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩]، وَالْعُرْجُونُ: أَصْلُ عِذْقِ النَّخْلَةِ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ الرُّطَبُ، وهو يَعْوَجُّ، وَيُقْطَعُ مِنْهُ الشَّمَارِيخُ، فَيَبْقَى عَلَى النَّخْلِ يَابِسًا، وَالْقَدِيمُ منه: الَّذِي يَبْقَى إِلَى حِينِ وُجُودِ الْعُرْجُونِ الثَّانِي، فَإِذَا وُجِدَ الْحَدِيثُ قِيلَ لِلْأَوَّلِ: قَدِيمٌ.

وَقَالَ اللهِ ﷻ: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ [يوسف: ٩٥].

وَهَذَا قَالَهُ إِخْوَةُ يُوسُفَ لِأَبِيهِمْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ قَتَادَةُ: «أَيْ مِنْ حُبِّ يُوسُفَ، لَا تَنْسَاهُ وَلَا تَسْلَاهُ، قَالُوا لِوَالِدِهِمْ كَلِمَةً غَلِيظَةً، لَمْ يَكُن يَنْبَغِي لَهُمْ أَن يَقُولُوهَا لِوَالِدِهِمْ وَلَا لِنَبِيِّ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ».(٢)

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [الأحقاف: ١١]، أَيْ: تَقَدَّمَ زَمَانُهُ.

وَقَالَ اللهِ ﷻ: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٧٧].

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "شَرْحِ الطَّحَاوِيَّةِ"(صـ: ٦٧): فَالْأَقْدَمُ مُبَالَغَةٌ فِي الْقَدِيمِ، وَمِنْهُ: الْقَوْلُ الْقَدِيمُ وَالْجَدِيدُ لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.ا.هـ.

---

(١) وحسنه النووي في "الأذكار"(صـ: ٣١)، وصحح إسناده الألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ٤٨٥)، وحسنه أيضًا: الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٨٠٥).

(٢) أخرجه الطبري (ج١٣/صـ: ٣٤٢)، وابن أبي حاتم (ج٧/صـ: ٢١٩٨)(رقم: ١١٩٧٣).

وَأَقْدَمُ الْمَخْلُوقَاتِ خَلْقًا: الْعَرْشُ وَالْمَاءُ، فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٧٤١٨).

وَفِي رِوَايَةٍ (رقم: ٣١٩١): **«كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»**.

وَأَقْدَمُهَا خَلْقًا بَعْدَ الْعَرْشِ وَالْمَاءِ: الْقَلَمُ الَّذِي كُتِبَ بِهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٢٧٠٥، و٢٢٧٠٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٧٠٠)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم:).[(١)]

وَفِي رواية التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٣١٩): **«اكْتُبْ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبَدِ»**.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالنَّاسُ مُختَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي ... كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدَّيَّانِ
هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ ... قَوْلَانِ عِندَ أَبِي الْعَلَا الْهَمَذَانِي
وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ لِأَنَّهُ ... قَبْلَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانِ

وَأَمَّا الْقَوْلُ بِقِدَمِ الْعَالَمِ، أَيْ: أَزَلِيَّتِهِ!، فَهُوَ قَوْلُ الْفَلَاسِفَةِ، وَهُوَ كُفْرٌ مُّخْرِجٌ مِّنَ الْمِلَّةِ، فَالْعَالَمُ حَادِثٌ بَعْدَ أَن لَّمْ يَكُنْ، وَهَذَا بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ، وَقَدْ رَدَّ شَيْخُ الْإِسْلَامِ عَلَى الْفَلَاسِفَةِ قَوْلَهُمْ بِقِدَمِ الْعَالَمِ بِالنَّقْلِ وَالْعَقْلِ، وَأَبَانَ كُفْرَهُمْ وَضَلَالَهُمْ، بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ غَيْرُهُ

(١) قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وحسنه أيضًا: الضياء في "المختارة"(ج٨/صـ: ٢٧٤)(رقم: ٣٣٦)، و(ج٨/صـ: ٣٥٠-٣٥٣)(رقم: ٤٢٦، و٤٢٧، و٤٢٨، و٤٢٩، و٤٣٠، و٤٣١)، وصححه الألباني في "الصحيحة"(رقم: ١٣٣)، وفي تعليقه على "الطحاوية"(صـ: ٢٦٤)، والوادعي في "الجامع الصحيح في القدر"(رقم: ٤٨).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَنَصَرَ الْقَوْلَ بِتَسَلْسُلِ الْحَوَادِثِ، وَهُوَ الْقَوْلُ بِحَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا، أَيْ: تَسَلْسُلِ أَفْعَالِ الرَّبِّ ﷻ، وَالَّتِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا تَسَلْسُلُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ حَقٌّ، لَا شَكَّ فِيهِ، كَالْقَوْلِ بِحَوَادِثَ لَا نِهَايَةَ لَهَا؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يَزَلْ فَعَّالًا لِّمَا يُرِيدُ؛ وَلَمْ يَأْتِ يَوْمٌ وَهُوَ مُعَطَّلٌ عَنِ الْفِعْلِ ، وَإِذَا كَانَتْ أَفْعَالُ اللهِ ﷻ صِفَاتِ كَمَالٍ، فَدَوَامُهَا مِنَ الْكَمَالِ، وَقَد دَّلَّ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ عَلَى دَوَامِ أَفْعَالِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْأَبَدِ، وَأَنَّهُ كُلَّمَا انقَضَى لِأَهْلِ الْجَنَّةِ نَعِيمٌ أَحْدَثَ لَهُمْ نَعِيمًا آخَرَ لَا نَفَادَ لَهُ، وَكُلَّمَا انقَضَى لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابٌ أَحْدَثَ لَهُمْ عَذَابًا آخَرَ، وَكَذَلِكَ التَّسَلْسُلُ فِي أَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ مِن طَرَفِ الْأَزَلِ، وَأَنَّ كُلَّ فِعْلٍ مَّسْبُوقٌ بِفِعْلٍ آخَرَ، فَلَمْ تَكُنْ أَوْصَافُهُ وَأَفْعَالُهُ حَادِثَةً بَعْدَ أَن لَّمْ تَكُن، بَلْ هِيَ أَزَلِيَّةٌ، وَهِيَ مِن لَّوَازِمِ حَيَاتِهِ، فَإِنَّ كُلَّ حَيٍّ فَعَّالٌ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ: الْفِعْلُ، وَلَمْ يَكُن رَّبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَطُّ فِي وَقْتٍ مِّنَ الْأَوْقَاتِ مُعَطَّلًا عَن كَمَالِهِ، مِنَ الْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ.

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَزَلِيَّةُ الْخَلْقِ مَعَ الله ﷻ، فَإِنَّهُ مَا مِن مَّخْلُوقٍ إِلَّا وَلَهُ أَوَّلٌ، واللهُ ﷻ لَا أَوَّلَ لَهُ، وقد دَلَّ عَلَى هَذَا الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ.

وَحَقِيقَةُ قَوْلِ مَنْ أَنكَرَ تَسَلْسُلَ الْحَوَادِثِ: إِنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا فِي الْأَزَلِ عَلَى الْكَلَامِ وَالْفِعْلِ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ؛ لِكَوْنِ ذَلِكَ مُمْتَنِعًا لِنَفْسِهِ، وَالْمُمْتَنِعُ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْمَقْدُورِ، ثُمَّ صَارَ الْفِعْلُ وَالْكَلَامُ مُمْكِنًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُمْتَنِعًا، وَهَذَا قَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْكَرَّامِيَّةِ، وَمَن وَّافَقَهُمْ مِنَ الشِّيعَةِ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ، عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَقَالَتِ الْكُلَّابِيَّةُ وَالْأَشْعَرِيَّةُ: صَارَ قَادِرًا عَلَى الْفِعْلِ وَالْكَلَامِ بَعْدَ أَن كَانَ مُمْتَنِعًا مِنْهُ.

وَيَلْزَمُ مِن قَوْلِهِمْ أَن يَّكُونَ بَيْنَ الْبَارِي وَبَيْنَ أَوَّلِ كَلَامِهِ وَفِعْلِهِ مُدَّةٌ لَّا نِهَايَةَ لَهَا!.

وَهَذَا لَازِمٌ بَاطِلٌ، يَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِ الْقَوْلِ نَفْسِهِ.(١)

---

(١) راجع: "الصفدية"(ج٢/صـ: ٩٠ – ١٠٢، وصـ: ١٧٢-١٧٣)، و"درء تعارض العقل والنقل" (ج٢/صـ: ٢٢٣-٢٢٦)، و"مجموع الفتاوى"(ج٦/صـ: ٣٠٥-٣٠٦)، و"منهاج السنة"(ج١/صـ: ١٥٥-١٥٨)، و"الصواعق المرسلة"(ج٢/صـ: ٦٤٨-٦٤٩)، و"شفاء العليل"(صـ: ١٥٦)، =

وَمِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمَوْصُوفَةِ بِالْقِدَمِ فِي نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: الْبَيْتُ الْحَرَامُ، قَالَ ﷻ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[الحج: ٢٩].

وَقَالَ ﷻ فِي الْبُدْنِ: ﴿مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾[الحج: ٣٣].

وَالْعَتِيقُ: الْقَدِيمُ؛ لِأَنَّهُ أَوَّل بَيْت وُضِعَ لِلنَّاسِ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ؟ قَالَ: «**الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟، قَالَ: «**ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى**». قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ [سَنَةً]، ثُمَّ قَالَ: حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ، وَالْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ**».(١)

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ النَّظْرَةَ إِلَى الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ يَجِبُ أَن تَكُونَ صَحِيحَةً مِّن مُّنطَلَقٍ شَرْعِيٍّ، وَإِلَّا كَانَتْ بَاطِلًا وَّضَلَالًا، كَتَعْظِيمِ مَا يُعْرَفُ بِـ: (الْآثَارِ)، وَالْمُغَالَاةِ فِي تَرْمِيمِهَا، وَبَعْضُهَا رُسُومٌ وَّتَمَاثِيلُ، يَجِبُ طَمْسُهَا وَإِتْلَافُهَا، فَعَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟: «**أَن لَّا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٩٦٩).

و"شرح الطحاوية"(ص: ٨٣-٨٧)(ط. الأوقاف السعودية)، و"قدم العالم وتسلسل الحوادث بين شيخ الإسلام ابن تيمية والفلاسفة"(ص: ٤٣-٢٢٧) لكاملة بنت محمد آل جهام الكواري.

(١) البخاري (رقم: ٣٣٦٦، و٣٤٢٥)، ومسلم (رقم: ٥٢٠).

وَفِي رِوَايَةٍ لَّهُ: «وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فِيهِ الْأَمْرُ بِتَغْيِيرِ صُوَرِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ.ا.هـ.

وَمَا الْجَدْوَى مِنْ آثَارِ الْفَرَاعِنَةِ، وَآثَارِ سَبَإٍ وَّحِمْيَر، وَهُمْ أَقْوَامٌ أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ، إِلَّا مُشَابَهَةُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَجَلْبُ عُلُوجِهِم مِّنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِلَى بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَفِيهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ مَا فِيهِ، بِاسْمِ السِّيَاحَةِ وَبِحُجَّةِ رَفْدِ اقْتِصَادِيَّاتِهَا!، وَلَا بَرَكَةَ وَلَا خَيْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ﷻ، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣].

فَلَا يَجُوزُ مَدْحُ هَؤُلَاءِ وَلَا الِافْتِخَارُ بِهِمْ، وَالْعَجَبُ مِن تَمْجِيدِ خُوفُو وَخَفْرَع وَمِنكَاوِرْع، وَشَمَر يَهَرْعُش، وَأَسْعَدَ الْكَامِلِ، وَقَدْ بَادُوا عَلَى الشِّرْكِ وَالْوَثَنِيَّةِ!.

رَوَى أَحْمَدُ (رقم: ٨٧٣٦، و١٠٧٨١)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٥١١٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٩٥٥)، وَاللَّفْظُ لَهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ».

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٧٣٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَفْتَخِرُوا بِآبَائِكُمِ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَمَا يُدَهْدِهُ الْجُعَلُ بِمَنْخَرَيْهِ، خَيْرٌ مِّنْ آبَائِكُمِ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ».(١)

وَقَدْ جُبِلَ النَّاسُ عَلَى حُبِّ الْجَدِيدِ مِن مَّتَاعِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا، فَكُلُّ جَدِيدٍ لَّهُ لَذَّةٌ، سَوَاءٌ أَكَانَ مِنَ الْمَآكِلِ أَوِ الْمَشَارِبِ أَوِ الْمَرَاكِبِ، أَوِ الْمَنَاكِحِ، أَوِ الْمَسَاكِنِ، وَمَا مِن جَدِيدٍ مِّن حُطَامِ الدُّنْيَا إِلَّا سَيُبَدَّلُ بِالْجِدَّةِ قِدَمًا، فَيَصِيرُ قَدِيمًا بَالِيًا بَعْدَ أَن كَانَ جَدِيدًا!.

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٥٧٧٥)، والضياء في "المختارة"(ج١١/صـ: ٢٩٠-٢٩١)(رقم: ٢٨٧، و٢٨٨)، والألباني في "التعليقات الحسان"(رقم: ٥٧٤٥)، وذكره العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٦٧٧).

سَتَنقُلُكَ الْمَنَايَا مِن دِيَارِكْ وَيُبْدِلُكَ الرَّدَى دَارًا بِدَارِكْ
وَتَتْرُكُ مَا عُنِيتَ بِهِ زَمَانًا وَتُنقَلُ مِنْ غِنَاكَ إِلَى افْتِقَارِكْ
فَدُودُ الْقَبْرِ فِي عَيْنَيْكَ يَرْعَى وَتَرْعَى عَيْنُ غَيْرِكَ فِي دِيَارِكْ

رَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ٢٩٥٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي، مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ، وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»**.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٩٩٣) عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«سَنَهْ سَنَهْ»**، وَهِيَ بِالحَبَشِيَّةِ حَسَنَةٌ، قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، فَزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«دَعْهَا»**، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي»**.

وَفِي رِوَايَةٍ (رقم: ٣٠٧١): **«أَبْلِي وَأَخْلِفِي ثُمَّ، أَبْلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِفِي»**.

وَفِي رِوَايَةٍ (رقم: ٥٨٢٣، و٥٨٤٥): أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ، قَالَ: **«مَنْ تَرَوْنَ نَكْسُوهَا هَذِهِ الخَمِيصَةَ»**، فَأُسْكِتَ القَوْمُ، قَالَ: **«ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ»**، فَأُتِيَ بِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَلْبَسَنِيهَا بِيَدِهِ، وَقَالَ: **«أَبْلِي وَأَخْلِقِي»**، مَرَّتَيْنِ.

وَقَوْلُهُ: **«أَبْلِي»**، مِنْ أَبْلَيْتُ الثوبَ، إِذَا جَعَلْتُهُ بَالِيًا، قَدِيمًا.

وَأَخْلِقِي»، بِالْقَافِ، أَي الْبَسِي إِلَى أَن يَّصِيرَ خَلِقًا بَالِيًا.

«وَأَخْلِفِي»، بِالْفَاءِ، مِنَ الْخَلَفِ، وَهُوَ الْعِوَضُ وَالْبَدَلُ.

وَبَوَّبَ الْبُخَارِيُّ عَلَى بَعْضِ رِوَايَاتِ هَذَا الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: (بَابُ مَا يُدْعَى لِمَن لَّبِسَ ثَوْبًا جَدِيدًا).

وَقَدْ يَكُونُ بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ مِنَ النَّقْدَينِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَمَا يَقُومُ مَقَامَهُمَا مِنَ الْعُمُلَاتِ الْوَرَقِيَّةِ رِبًا، فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ، إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٥٨٧).

وَلَهُ (رقم: ١٥٨٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْوُهُ، وَزَادَ: **«فَمَنْ زَادَ، أَوِ اسْتَزَادَ، فَقَدْ أَرْبَى، الْآخِذُ وَالْمُعْطِي فِيهِ سَوَاءٌ»**.

فَيُشْتَرَطُ فِي بَيْعِ صِنفٍ مِّنَ الْأَصْنَافِ الرَّبَوِيَّةِ السِّتَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْحَدِيثِ بِمِثْلِهِ أَمْرَانِ اثْنَانِ: التَّمَاثُلُ، وَالتَّقَابُضُ، فَإِنِ اخْتَلَّ الشَّرْطَانِ أَوْ أَحَدُهُمَا كَانَ رِبًا.

وَيُشْتَرَطُ التَّقَابُضُ فِي بَيْعِ الذَّهَبِ بِالْفِضَّةِ أَوِ الْفِضَّةِ بِالذَّهَبِ، أَوْ أَحَدِهِمَا بِالْعُمُلَاتِ الْوَرَقِيَّةِ، أَوْ عُمْلَةٍ وَرَقِيَّةٍ بِأُخْرَى، كَالرِّيَالِ الْيَمَنِيِّ بِالرِّيَالِ السُّعُودِيِّ أَوْ بِالدُّولَارِ.

وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ مَا هُوَ شَائِعٌ فِي كَثِيرٍ مِّن مَّحَلَّاتِ الذَّهَبِ مِن بَيعِ الذَّهَبِ مِن صَاحِبِ الْمَحَلِّ ثُمَّ اسْتِبْدَالِهِ بِذَهَبٍ آخَرَ بِسِعْرٍ أَكْثَرَ أَوْ أَقَلَّ، بِحَيْثُ يُوَفِّي أَحَدُ الْبَائِعَيْنِ الْآخَرَ مَا بَقِيَ لَهُ، دُونَ قَبْضِ قِيْمَةِ الذَّهَبِ الْمَبِيعِ أَوَّلًا، يُعَدُّ رِبًّا، وَكَذَلِكَ بَيْعُ الذَّهَبِ دَيْنًا يُعَدُّ رِبًّا.

وَكَذَلِكَ مَا هُوَ شَائِعٌ فِي مَّحَلَّاتِ الصِّرَافَةِ عِندَ اسْتِلَامِ الْحَوَالَاتِ الَّتِي تُرْسَلُ بِالْعُمُلَاتِ الْخَارِجِيَّةِ، وَذَلِكَ بِقَبْضِهَا بِالْعُمْلَةِ الْمَحَلِّيَّةِ مِنْ غَيْرِ قَبْضِ الْعُمْلَةِ الْمُرْسَلَةِ بِالْعُمْلَةِ الْخَارِجِيَّةِ، فَهَذَا يُعَدُّ رِبًّا؛ لِأَنَّ هَذَا صَرْفٌ اخْتَلَّ فِيهِ شَرْطُ التَّقَابُضِ، وَلَيْسَ لِمَحَلَّاتِ الصِّرَافَةِ أَن تُلْزِمَ بِهِ، فَإِن فَعَلَتْ بَاءَتْ هِيَ بِالْإِثْمِ.

وَأَمَّا صَرْفُ فِئَاتِ الْعُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ، فَإِنَّهُ كَبَيْعِ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ، فَيُشْتَرَطُ فِيهِ التَّمَاثُلُ، وَالتَّقَابُضُ، فَإِنِ اخْتَلَّ أَحَدُهُمَا كَانَ رِبًا، كَمَا لَوْ صَرَفَ عَشَرَةَ آلَافٍ مِّن فِئَةِ عِشْرِينَ رِيَالًا يَمَنِيًّا بِأَحَدَ عَشَرَ أَلْفًا مِّن فِئَةِ أَلْفِ رِيَالٍ يَمَنِيٍّ، فَهَذَا رِبًا، وَكَمَا لَوْ صَرَفَ عَشَرَةَ آلَافٍ مِّن فِئَةٍ مُّقَطَّعَةٍ أَوْ شِبْهِ تَالِفَةٍ بِتِسْعَةِ آلَافٍ مِّن فِئَةٍ

سَلِيمَةٍ، وَكَمَا لَوْ صَرَفَ فِئَةً قَدِيمَةَ الْإِصْدَارِ بِفِئَةٍ جَدِيدَةٍ أَوْ حَدِيثَةِ الْإِصْدَارِ بِنَقْصٍ فِي إِحْدَاهُمَا عَنِ الْأُخْرَى، فَكُلُّ هَذَا رِبًا؛ لِتَخَلُّفِ شَرْطِ التَّمَاثُلِ، وَكَذَا لَوْ تَخَلَّفَ شَرْطُ التَّقَابُضِ، كَمَا لَوْ صَرَفَ أَلْفَ رِيَالٍ يَمَنِيٍّ عِندَ صَاحِبِ بَقَّالَةٍ، وَلَمْ يَكُن مَعَ صَاحِبِ الْبَقَّالَةِ إِلَّا سَبْعُمِائَةِ رِيَالٍ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، عَلَى أَن يُوَفِّيَهُ الثَّلَاثَمِائَةِ الْبَاقِيَةَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَهَذَا رِبًا.

أَمَّا مَا دَخَلَ فِي الْبَيْعِ، فَلَا بَأْسَ بِهِ، كَمَا لَوِ اشْتَرَى سِلْعَةً بِسَبْعِمِائَةٍ مَثَلًا، وَدَفَعَ إِلَيْهِ أَلْفَ رِيَالٍ، وَتَرَكَ عِندَهُ الثَّلَاثَمِائَةِ فَلَا حَرَجَ فِيهِ، وَكَذَا لَوْ قَالَ الْبَائِعُ: سِلْعَتِي هَذِهِ بِكَذَا مِنَ الْفِئَةِ الْقَدِيمَةِ، وَكَذَا مِنَ الْفِئَةِ الْجَدِيدَةِ، فَلَا حَرَجَ فِيهِ أَيْضًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

تَذَكَّرْ أَيُّهَا الْمَرْءُ أَنَّ عَاقِبَةَ الْجَدِيدِ مِن مَّتَاعِ الدُّنْيَا إِلَى الْبِلَى وَالْقِدَمِ، وَأَنَّ مَآلَ أَهْلِهَا إِلَى الْمَوْتِ، وَأَنَّ اللهَ ﷻ قَادِرٌ عَلَى أَن يُبَدِّلَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا خَلْقًا آخَرَ، أَوْ يُذْهِبَهُمْ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ، قَالَ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ [إبراهيم: ١٩]، وَقَالَ ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ [فاطر: ١٥ - ١٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [النساء: ١٣٣]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأنعام: ١٣٣]، وَقَالَ ﷻ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة: ٦٠-٦٢]، وَقَالَ ﷻ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج: ٤٠ - ٤١].

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُبَدِّلُ اللهُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، قَالَ ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ٢٧٩١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «عَلَى الصِّرَاطِ».

وَلَهُ أَيْضًا (رقم: ٣١٥) مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ يَهُودِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ».

وَقَدِ اسْتَعْظَمَ الْكُفَّارُ الَّذِينَ يُنكِرُونَ الْبَعْثَ أَن يُّعَادُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَلْقًا جَدِيدًا، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥ ﴾ [الرعد: ٥].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ﴾ [السجدة: ١٠]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴾[سبأ:٧ - ٨]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[ق: ١٥].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٤٩ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١ ﴾[الإسراء: ٤٩ - ٥١].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ۝٩٧ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٩٨ ﴾ [الإسراء: ٩٧ - ٩٨].

الأنف، مواعظ وأحكام

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين: ٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ [الانفطار: ٦ - ٧].

فَالْإِنسَانُ أَحْسَنُ الْمَخْلُوقَاتِ خِلْقَةً؛ بِدَلَالَةِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ٨ - ١٠].

وَمِمَّا رَكَّبَ اللهُ فِي خَلْقِ الْإِنسَانِ، الْمُتَنَاسِبِ، الْبَدِيعِ التَّرْكِيبِ: الْأَنفُ.

وَأَنفُ الْإِنسَانِ نِيطَتْ بِهِ جُمَلٌ مِّنَ الْمَوَاعِظِ وَالْأَحْكَامِ لِذَوِي الْإِيمَانِ، سَأَذْكُرُ جُمْلَةً مِّنْهَا فِي هَذَا الْمَقَامِ بِإِذْنِ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، فَأَقُولُ – واللهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ –.

◄ إِنَّ الْأَنفَ مَعَ الْجَبْهَةِ أَحَدُ أَعْضَاءِ السُّجُودِ السَّبْعَةِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ: الْجَبْهَةِ، وَأَشَارَ**

بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ وَالْيَدَيْنِ، وَالرِّجْلَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ، وَلَا نَكْفِتَ الثِّيَابَ، وَلَا الشَّعْرَ».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٨١٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٤٩٠).

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٧٧١) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَالَ: **«اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»**.

فَعَلَى الْمُصَلِّي مُرَاعَاةُ أَن يَّكُونَ سُجُودُهُ عَلَى الْجَبْهَةِ وَالْأَنفِ مَعًا، لَا عَلَى الْجَبْهَةِ فَقَطْ.

وَالْأَنفُ فِي الْإِنسَانِ مَوضِعُ الْأَنَفَةِ وَالْكِبْرِ، يُقَال: شَمَخَ بِأَنْفِهِ، إِذَا تَكَبَّرَ وَأَبَى، وَأَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ وَالْحَمِيَّةُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَا يُهَاجُ إِذَا مَا أَنْفُهُ وَرِمَا

أَي لَا يُكَلَّم عِنْد الغَضب.

وَيُقَالُ أَيْضًا لِّمَن ذَلَّ وَخَضَعَ وَهَانَ: رَغِمَ أَنفُهُ.

كَانَ حَيٌّ مِّنَ الْعَرَبِ، يُقَالُ لَهُم: بَنُو أَنفِ النَّاقَةِ، فَكَانُوا يُعَيَّرُونَ بِذَلِكَ، فَمَدَحَهُم بَعْضُ الشُّعَرَاءِ بِقَوْلِهِ:

قَوْمٌ هُمُ الْأَنفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ ... وَمَن يُّسَوِّي بِأَنفِ النَّاقَةِ الذَّنَبَا

فَصَارُوا بَعْدَ ذَلِكَ يَفْتَخِرُونَ بِهَذِهِ النِّسْبَةِ.(١)

وَإِذَا سَجَدَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ لِرَبِّهِ عَلَى أَعْضَاءِ السُّجُودِ، وَالَّتِي مِنْهَا: الْأَنفُ، فَقَدْ خَضَعَ لِرَبِّهِ وَذَلَّ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَعَزُّ مَا فِي الْإِنْسَانِ وَجْهُهُ، فَوَضْعُهُ عَلَى الْأَرْضِ لِلَّهِ غَايَةُ خُضُوعِهِ بِبَدَنِهِ، وَهُوَ غَايَةُ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَالَ أَيْضًا: وَأَفْضَلُ أَفْعَالِ الصَّلَاةِ السُّجُودُ.ا.هـ.(٢)

---

(١) راجع كتب الأدب، كـ: "البيان والتبيين"(ج٣/صـ: ٢٦٩)، و"العقد الفريد"(ج٦/صـ: ١٧٧).

(٢) "مجموع الفتاوى"(ج٢١/صـ: ٢٨٤-٢٨٥).

فَمَا أَعْظَمَ هَذِهِ الْعِبَادَةَ: عِبَادَةَ السُّجُودِ؛ لَا جَرَمَ أَنَّ مِن جُمْلَةِ فَضَائِلِهَا: أَنَّ الْعَبْدَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِن رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.(١)

وَمِن جُمْلَةِ فَضَائِلِهَا أَيْضًا: مَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا: **«حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ»**.(٢)

وَمِن فَضَائِلِ السُّجُودِ أَيْضًا: أَنَّ بِهِ تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا، فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، فَإِنْ كَانَ صَلَّى خَمْسًا شَفَعْنَ لَهُ صَلَاتَهُ، وَإِنْ كَانَ صَلَّى إِتْمَامًا لِأَرْبَعٍ كَانَتَا تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٥٧١).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهْ (رقم: ١٢١٠): **«وَكَانَتِ السَّجْدَتَانِ رَغْمَ أَنْفِ الشَّيْطَانِ»**.

فَمَن رَّغِمَ أَنفُهُ للهِ أَوْرَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رِفْعَةً وَّعِزًّا، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون: ٨].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٨٨) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمَا شَمَخَ أَنفٌ حَقَّ الشُّمُوخِ إِلَّا بِطَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّوَاضُعِ لَهُ وَلِعِبَادِهِ، وَمَا رَغِمَ أَنفُ الرَّاغِمِ إِلَّا بِمَا جَنَاهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالْمَظَالِمِ.

فَاحْذَرْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ أَن تَكُونَ مِمَّن رَّغِمَ أَنفُهُ!؛ بِتَخَلُّفِهِ عَنِ الْبِرِّ بِوَالِدَيْهِ، أَوْ بِتَخَلُّفِهِ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذُكِرَ، أَوْ بِتَخَلُّفِهِ عَنِ اغْتِنَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ؛ فَقَدْ

---

(١) مسلم (رقم: ٤٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري (رقم: ٨٠٦، و٦٥٧٣، و٧٤٣٧)، ومسلم (رقم: ١٨٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ»، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٨٨) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمَعْنَى رَغِمَ أَنْفُهُ: أَيْ: لَصِقَ أَنْفُهُ بِالرَّغَامِ، وَهُوَ تُرَابٌ مُخْتَلِطٌ بِرَمْلٍ، وَهُوَ: الرَّغْمُ، بِضَمِّ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا وَكَسْرِهَا.

وَقِيلَ: الرَّغْمُ: كُلُّ مَا أَصَابَ الْأَنفَ يُؤْذِيْهِ. وَالْمَقْصُودُ: الدُّعَاءُ عَلَيْهِ بِالذُّلِّ.

وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ (رقم: ٧٤٥١)، وَالتِّرْمِذِيِّ (رقم: ٣٥٤٥): «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الجَنَّةَ». (١)

وَإِذَا أُرِيدَ الْمُبَالَغَةُ فِي وَصْفِ الْإِنسَانِ بِالذُّلِّ وَالصَّغَارِ وَالْهَوَانِ قِيْلَ: أَحْقَرُ مِن جُعَلَ، وَهُوَ دُوَيبَّةٌ مَّعْرُوفَةٌ، يَقْتَاتُ الْخَرَاءَ، وَيُدَهْدِهُهُ بِأَنفِهِ.

قَالَ الدَّمِيْرِيُّ فِي "حَيَاةِ الْحَيَوَانِ الْكُبْرَى"(ج١/صـ: ٢٨١): وَمِنْ عَجِيْبِ أَمْرِهِ أَنَّهُ يَمُوتُ مِن رِّيحِ الْوَرْدِ وَرِيحِ الطِّيبِ، فَإِذَا أُعِيدَ إِلَى الرَّوْثِ عَاشَ، قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ يَصِفُهُ فِي شِعْرِهِ:

كَمَا تَضُرُّ رِيَاحُ الْوَرْدِ بِالْجُعَلِ.ا.هـ.

وَقَالَ ابْنُ الْوَرْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَيُّهَـــا الْعَائِـــبُ قَـــوْلِي عَبَثًـــا ... إِنَّ طِيـــبَ الْـــوَرْدِ مُـــؤْذٍ لِّلْجُعَـــلْ

---

(١) قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه».

وصححه ابن حبان (رقم: ٩٠٨)، والألباني في "الإرواء"(رقم: ٦)، وذكره العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٢٨٢).

وفي الباب عن عدد من الصحابة، راجع: "تحقيق المسند"(ج١٢/صـ:٤٢٢-٤٢٣).

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٧٣٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا تَفْتَخِرُوا بِآبَائِكُمِ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَمَا يُدَهْدِهُ الْجُعَلُ بِمَنْخَرَيْهِ، خَيْرٌ مِّنْ آبَائِكُمِ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ»**.(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بِأَنْفِهِ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٨٧٣٦، و١٠٧٨١)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٥١١٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٩٥٥)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

◄ وَكَمَا أَنَّ الْأَنفَ أَحَدُ أَعْضَاءِ السُّجُودِ، فَهُوَ أَحَدُ الْأَعْضَاءِ الَّتِي يُشْرَعُ تَطْهِيرُهَا فِي الْوُضُوءِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ شُرُوطِ الصَّلَاةِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ مَاءً ثُمَّ لِيَنْثِرْ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٦٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٣٧).

وَفِي لَفْظٍ لِّمُسْلِمٍ: **«إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَنْشِقْ بِمَنْخِرَيْهِ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ لِيَنْثِرْ»**.

وَظَاهِرُ هَذَا الْأَمْرِ يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ الِاسْتِنْشَاقِ وَالِاسْتِنْثَارِ فِي الْوُضُوءِ.

وَلَهُمَا أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ»**.(٢)

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْخَيْشُومُ أَعْلَى الْأَنْفِ، وَقِيلَ: هُوَ الْأَنْفُ كُلُّهُ، وَقِيلَ: هِيَ عِظَامٌ رِقَاقٌ لَيِّنَةٌ فِي أَقْصَى الْأَنْفِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدِّمَاغِ، وَقِيلَ: غَيْرُ ذَلِكَ، وَهُوَ اخْتِلَافٌ مُتَقَارِبُ الْمَعْنَى.ا.هـ.

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٥٧٧٥)، والضياء في "المختارة"(ج١١/صـ: ٢٩٠-٢٩١)(رقم: ٢٨٧، و٢٨٨)، والألباني في "التعليقات الحسان"(رقم: ٥٧٤٥)، وذكره العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٦٧٧).

(٢) البخاري (رقم: ٣٢٩٥)، ومسلم (رقم: ٢٣٨).

وَقَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "الْفَتْحِ"(ج١/صـ: ٢٦٢): وَعَلَى هَذَا فَالْمُرَادُ بِالِاسْتِنْثَارِ فِي الْوُضُوءِ: التَّنْظِيفُ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَعُونَةِ عَلَى الْقِرَاءَةِ؛ لِأَنَّ بِتَنْقِيَةِ مَجْرَى النَّفَسِ تَصِحُّ مَخَارِجُ الْحُرُوفِ، وَيُزَادُ لِلْمُسْتَيْقِظِ بِأَنَّ ذَلِكَ لِطَرْدِ الشَّيْطَانِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ج٦/صـ: ٣٤٣): حَقِيقَةُ الِاسْتِنْشَاقِ: جَذْبُ الْمَاءِ بِرِيحِ الْأَنْفِ إِلَى أَقْصَاهُ، وَالِاسْتِنْثَارُ إِخْرَاجُ ذَلِكَ الْمَاءِ، وَالْمَقْصُودُ مِنَ الِاسْتِنْشَاقِ تَنْظِيفُ دَاخِلِ الْأَنْفِ، وَالِاسْتِنْثَارُ يُخْرِجُ ذَلِكَ الْوَسَخَ مَعَ الْمَاءِ؛ فَهُوَ مِنْ تَمَامِ الِاسْتِنْشَاقِ.ا.هـ.

◄ وَلَيْسَ الرُّعَافُ بِنَاقِضٍ لِّلْوُضُوءِ؛ إِذْ لَا دَلِيلَ يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ نَاقِضًا لِلْوُضُوءِ.

◄ وَلَيْسَ الْمُخَاطُ بِنَجَسٍ، لَكِنَّهُ مُتَقَذَّرٌ، فَيَحْرُمُ ابْتِلَاعُهُ، وَكَذَلِكَ النَّغَفُ، وَهُوَ مَا يُخرجهُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَنفِهِ مِن مُّخَاطٍ يَّابِسٍ، وَاحِدَتُهُ: نَّغَفَةٌ.

وَلَا يَنبَغِي الِامْتِخَاطُ بِالْيَدِ الْيُمْنَى، وَلَا إِمَاطَةُ النَّغَفِ بِهَا؛ وَهُوَ مِمَّا يُعَابُ بِهِ فَاعِلُهُ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَهِيَ أَنَّ مَا كَانَ مِنَ التَّكْرِيمِ بُدِئَ فِيهِ بِالْيُمْنَى، وَخِلَافُهُ بِالْيَسَارِ.

وَدَلِيلُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ.ا.هـ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ.(١)

◄ وَقَطْرَةُ الْأَنفِ إِذَا تَحَرَّزَ مَن يَّتَعَاطَاهَا مِن وُّصُولِ شَيْءٍ إِلَى الْحَلْقِ، فَإِنَّهَا لَا تُؤَثِّرُ عَلَى الصِّيَامِ.

وَمِنَ الْمُفَطِّرَاتِ الَّتِي تُلْحَقُ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ: شُرْبُ الدُّخَانِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى الصَّائِمِ وَعَلَى غَيْرِ الصَّائِمِ.

وَأَمَّا الْبَخُورُ فَلَا يَضُرُّ التَّبَخُّرُ بِهِ بِلَا شَكٍّ، وَكَذَلِكَ اسْتِنْشَاقُهُ لَا يُفَطِّرُ عَلَى الصَّحِيحِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا، وَلَا فِي مَعْنَاهُمَا، وَقَدْ كَانَ الدُّخَانُ الْمُتَصَاعِدُ مِنْ أَلْسِنَةِ لَهَبِ

---

(١) "المجموع"(ج١/صـ: ٣٨٤ - ٣٨٥، وج٢/صـ: ٧٧).
وراجع أيضًا: "شرح النووي على مسلم"(ج٣/صـ: ١٤٩)، و"الشرح الممتع"(ج١/صـ: ١٧٦).

مَا يُوْقِدُ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا تَعُمُّ بِهِ الْبَلْوَى، فَلَوْ كَانَ مُفَطِّرًا لَّبَيَّنَهُ.

وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ تَعْلِيْلَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ لِكَوْنِ الْبَخُورِ مُفَطِّرًا بِأَنَّ لَهُ جِرْمًا يَصِلُ إِلَى الْمَعِدَةِ تَعْلِيْلٌ عَلِيْلٌ؛ لِمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وبِاللهِ التَّوْفِيْقُ.

وَلَا يَلْزَمُ مِن كَوْنِ شُرْبِ الدُّخَانِ مُفَطِّرًا أَن يَّكُونَ الْبَخُورُ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْبَخُورَ يُفَارِقُ الدُّخَانَ مِن وَجْهَيْنِ:

الأَوَّل: الاخْتِلَافُ فِي اسْتِعْمَالِهِمَا؛ وَلِهَذَا يُقَالُ فِي اسْتِعْمَالِ الدُّخَانِ: (شُرْبُ الدُّخَانِ)، بَيْنَمَا لَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْبَخُورِ؛ والدُّخَانُ يُجْذَبُ فِي الْأَصْلِ عَن طَرِيْقِ الْفَمِ، بِخِلَافِ اسْتِنشَاقِ الْبَخُورِ؛ فَإِنَّ الْأَصْلَ فِيْهِ اسْتِنشَاقُهُ عَن طَرِيْقِ الْأَنفِ.

الثَّانِي: أَنَّ الْبَخُورَ مُسْتَحَبٌّ بِالْإِجْمَاعِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الطِّيْبِ، وَالدُّخَانُ الْمَشْرُوبُ مِنَ الْمُسْتَخْبَثَاتِ الَّتِي تَضُرُّ بِالْبَدَنِ وَالْمَالَ وَالدِّيْنِ وَالْمُجْتَمَعِ، وَهُوَ إِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَ الْأَلْفِ مِنَ الْهِجْرَةِ (عَامَ ١٠١٠هـ)؛ وَلِهَذَا لَمْ يَكُن فِيْهِ نصٌّ لِلْمُتَقَدِّمِيْنَ؛ لِعَدَمِ وُجُودِهِ فِي زَمَنِهِمْ.(١)

◄ وَإِذَا قُطِعَ الْأَنفُ بِجِنَايَةٍ عَمْدًا فَفِيْهِ الْقِصَاصُ، إِلَّا أَن يُّعْدَلَ عَنْهُ إِلَى الدِّيَةِ أَوِ الْعَفْوِ، وَإِذَا كَانَتِ الْجِنَايَةُ فِيْهِ خَطَأً فَفِيْهِ الدِّيَةُ، إِلَّا أَن يُّعْدَلَ عَنْهَا إِلَى الْعَفْوِ.

وَهَذَا بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ﴾ [المائدة: ٤٥].

وَفِي كِتَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«وَفِي الْأَنفِ إِذَا أُوعِبَ جَدْعُهُ الدِّيَةُ»**.(٢)

---

(١) "فتح العلي المالك"(ج١/صـ:١٨٩).

(٢) وقد استقصيت تخريج حديث عمرو بن حزم بذكر طرقه وشواهده في رسالة لي بعنوان: "فتح الرحمن ببيان جواز مس المحدث المصحف، ومكث الجنب والحائض في المسجد، وقراءتهما القرآن"، وفي تحقيق "جامع بيان العلم وفضله"(رقم: ٣٩٢)، ولله الحمد، والفضل، والمنة.

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ: وَأَجْمَعُوا عَلَى جَرَيَانِ الْقِصَاصِ فِي الْأَنْفِ أَيْضًا؛ لِلْآيَةِ وَالْمَعْنَى.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَفِي الْأَنْفِ الدِّيَةُ إِذَا كَانَ قُطِعَ مَارِنُهُ، بِغَيْرِ خِلَافٍ بَيْنَهُمْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالَّذِي يَجِبُ فِيهِ الْقِصَاصُ أَوْ الدِّيَةُ هُوَ الْمَارِنُ، وَهُوَ مَالَانَ مِنْهُ، دُونَ قَصَبَةِ الْأَنْفِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ.ا.هـ.(١)

وَمَن قُطِعَ أَنفُهُ فَلَهُ أَن يَتَّخِذَ أَنفًا مِن وَرِقٍ أَوْ ذَهَبٍ؛ لِمَا عِندَ أَحْمَدَ وَالثَّلَاثَةِ عَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ أَسْعَدَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أُصِيبَ أَنْفِي يَوْمَ الكُلَابِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّخَذْتُ أَنْفًا مِنْ وَرِقٍ، فَأَنْتَنَ عَلَيَّ، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَتَّخِذَ أَنْفًا مِنْ ذَهَبٍ.(٢)

وَأَمَّا مَا تَفعَلُهُ بَعْضُ النِّسَاءِ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الْيَمَنِيَّةِ مِنْ خَرْقِ الْأَنفِ، وَوَضْعِ شَيْءٍ مِّنَ الذَّهَبِ مَكَانَ الْخَرْقِ، فِيمَا يُعْرَفُ بِـ: (الزِّمَام)؛ قَصْدًا لِلزِّينَةِ!، فَفِي جَوَازِهِ نَظَرٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ فِيهِ تَغْيِيرًا لِلْخِلْقَةِ، وَتَشْوِيهًا لِلْأَنف؛ فَإِنَّ أَنفَ الْمَرْأَةِ بِهَذَا الْخَرْقِ يَصِيرُ مَخْطُومًا، كَأَنفِ النَّاقَةِ!، وَيَصِيرُ مُفْتَقِرًا إِلَى الزِّينَةِ الْمَوْضُوعَةِ فِي مَكَانِ الْخَرْقِ، بِحَيْثُ لَوْ زَالَت تِّلْكَ الزِّينَةُ لِأَمْرٍ أَوْ لِآخَرَ ظَهَرَ الْأَنفُ مُشَوَّهًا!.

وَهَذَا بِخِلَافِ الْخَرْقِ الَّذِي يَكُونُ عَلَى الْأُذُنِ، وَيُوضَعُ فِيهِ الْقُرْطُ، فَإِنَّهُ لَا يُشَوِّهُ الْأُذُنَ إِذَا أُزِيلَ الْقُرْطُ، فَهَذَا لَا شَكَّ فِي جَوَازِهِ، وَقَدْ أُقِرَّ فِي الشَّرْعِ، فَبَيْنَ الْخَرْقَيْنِ فَارِقٌ.

أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ: أَنَّهُ يُؤَثِّرُ عَلَى الصَّوْتِ؛ فَإِنَّ مَخْرُوقَ الْأَنفِ يَكُونُ أَدْغَمَ، أَيْ: يَتَكَلَّمُ مِن قِبَلِ أَنفِهِ، فَيَكُونُ صَوْتُهُ مَصْحُوبًا بِغُنَّةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا.

---

(١) "المغني"(ج٨/ص: ٣٢٦، وص: ٤٤٤).

وراجع: "التمهيد"(ج١٧/ص:٣٦٢)، و"الاستذكار"(ج٨/ص: ٣٧)، و"مراتب الإجماع"(ص: ١٣٨)، و"بداية المجتهد"(ج٤/ص: ٢٠٤).

(٢) "مسند أحمد"(رقم: ١٩٠٠٦، و٢٠٢٦٩، و٢٠٢٧٠)، و"سنن أبي داود"(رقم: ٤٢٣٢)، و"سنن الترمذي"(رقم: ١٧٧٠)، و"سنن النسائي"(رقم: ٥١٦١، و٥١٦٢).

وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (رقم: ٥٤٦٢)، والألباني في "الإرواء"(رقم: ٨٢٤).

وَقَدْ سُئِلَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ – كما في "مَجْمُوعِ فَتَاوَاهُ وَرَسَائِلِهِ"(ج١١/صـ: ١٣٧) –: عَنْ حُكْمِ ثَقْبِ أُذُنِ الْبِنتِ أَوْ أَنفِهَا مِنْ أَجْلِ الزِّينَةِ؟ فَأَجَابَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِقَوْلِهِ:

الصَّحِيحُ أَنَّ ثَقْبَ الْأُذُنِ لَا بَأْسَ بِهِ، لِأَنَّ هَذَا مِنَ الْمَقَاصِدِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى التَّحَلِّي الْمُبَاحِ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ نِسَاءَ الصَّحَابَةِ كَانَ لَهُنَّ أَخْرَاصٌ يَّلْبَسْنَهَا فِي آذَانِهِنَّ، وَهَذَا التَّعْذِيبُ تَعْذِيبٌ بَسِيطٌ، وَإِذَا ثُقِبَ فِي حَالِ الصِّغَرِ صَارَ بُرْؤُهُ سَرِيعًا.

وَأَمَّا ثَقْبُ الْأَنفِ: فَإِنَّنِي لَا أَذْكُرُ فِيهِ لِأَهْلِ الْعِلْمِ كَلَامًا، وَلَكِنَّهُ فِيهِ مُثْلَةٌ وَّتَشْوِيهٌ لِّلْخِلْقَةِ فِيمَا نَرَى، وَلَعَلَّ غَيْرَنَا لَا يَرَى ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي بَلَدٍ يُّعَدُّ تَحْلِيَةُ الْأَنفِ فِيهَا زِينَةً وَّتَجَمُّلاً فَلَا بَأْسَ بِثَقْبِ الْأَنفِ؛ لِتَعْلِيقِ الْحِلْيَةِ عَلَيْهِ.ا.هـ.

وَمَا رَآهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن كَوْنِ ثَقْبِ الْأَنفِ فِيهِ مُثْلَةٌ وَّتَشْوِيهٌ لِّلْخِلْقَةِ هُوَ عَيْنُ الصَّوَابِ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، وَعَلَى هَذَا فَلَا اعْتِبَارَ بِعُرْفِ النَّاسِ فِيهِ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ، واللهُ الْمُوَفِّقُ.

فَيَاحَسْرَتَى مِن ضَيَاعِ أَعْمَارِ كَثِيْرٍ مِّنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي الْعَبَثِ وَمَعَ الْمَوْضَةِ وَالتَّرْمِيمِ! وَالْمُبَالَغَةِ فِي التَّزَيُّنِ وَلَوْ بِارْتِكَابِ الْأُمُورِ الْمَحْذُورَةِ.

قَالَ ﷻ: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء: ١١٧ – ١٢١].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **«لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ»**.

قَالَ: «وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؟ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: ٧].(١)

---

(١) البخاري (برقم: ٤٨٨٦، و٥٩٣١، و٥٩٣٩)، ومسلم (برقم: ٢١٢٥).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَمَا زَيَّنَ الْإِنسَانُ نَفْسَهُ وَلَا جَمَّلَهَا بِمِثْلِ تَقْوَى اللهِ ﷻ وَطَاعَتِهِ.

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِخِدْمَتِهِ ... أَتَعْبْتَ نَفْسَكَ فِيْمَا فِيْهِ خُسْرَانُ

أَقْبِلْ عَلَى الرُّوحِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا ... فَأَنتَ بِالرُّوحِ لَا بِالْجِسْمِ إِنسَانُ

أُسَامَةُ بْنُ زَيدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ أَسْوَدَ أَفْطَسَ، وَكَانَ حِبَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَكَانَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ أَسْوَدَ، أَعْوَرَ، أَفْطَسَ، أَشَلَّ، أَعْرَجَ، ثُمَّ عَمِيَ، لَيْسَ فِي رَأْسِهِ شَعْرٌ إِلَّا شَعْرَاتٌ، وَقُطِعَتْ يَدُهُ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ مِن سَادَاتِ الْمُسْلِمِيْنَ فِي زَمَانِهِ، وَصَفَهُ الذَّهَبِيُّ فِي "السِّيَرِ"(ج٥/ص: ٧٨) بـ: الإِمَامِ، شَيْخِ الإِسْلَامِ، مُفْتِي الحَرَمِ.ا.هـ.

◄ وَمِن شَرَفِ الْأَنفِ أَنَّهُ عُضْوُ التَّنَفُّسِ الظَّاهِرِ، فَبِهِ يُجْذَبُ الْهَوَاءُ إِلَى الرِّئَتَيْنِ، وَلَا غِنَى لِلْإِنسَانِ عَن تَنَفُّسِ الْهَوَاءِ.

◄ وَمِن شَرَفِهِ أَيضًا أَنَّ مَنشَأَ الْعُطَاسِ مِنْهُ، وَالْعُطَاسُ يُحِبُّهُ اللهُ ﷻ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٢٢٣).

وَفِي رِوَايَةٍ لَّهُ (رقم: ٦٢٢٦): **«فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»**.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالُوا: لِأَنَّ الْعُطَاسَ يَدُلُّ عَلَى النَّشَاطِ وَخِفَّةِ الْبَدَنِ، وَالتَّثَاؤُبَ بِخِلَافِهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ غَالِبًا مَعَ ثِقَلِ الْبَدَنِ وَامْتِلَائِهِ وَاسْتِرْخَائِهِ وَمَيْلِهِ إِلَى الْكَسَلِ، وَإِضَافَتُهُ

إِلَى الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الشَّهَوَاتِ، وَالْمُرَادُ التَّحْذِيرِ مِنَ السَّبَبِ الَّذِي يَتَوَلَّدُ مِنْهُ ذَلِكَ، وَهُوَ التَّوَسُّعُ فِي الْمَأْكَلِ وَإِكْثَارِ الْأَكْلِ.ا.هـ.

◄ وَمِن شَرَفِ الْأَنفِ أَيضًا: أَنَّهُ عُضْوُ حَاسَّةِ الشَّمِّ، إِحْدَى الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ.

وَمِن طِيبِ مَتَاعِ الدُّنْيَا شَمُّ الطِّيبِ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٢٢٩٤، و١٤٠٣٧)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٣٩٣٩).(١)

«وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٧٩٧٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٤٧٤) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَالْمُرَادُ بِالرِّيحِ هُنَا: الرِّيحُ غَيْرُ الطَّيِّب، كَمَا قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَلِهَذَا الْمَعْنَى وَجَبَ عَلَى الذَّاهِبِ إِلَى الْمَسْجِدِ أَن يَّتَجَنَّبَ الرَّوَائِحَ الْكَرِيهَةَ؛ حَتَّى لَا يُؤْذِيَ غَيْرَهُ بِهَا، فَعَن جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم:٥٦٤).

---

(١) وصححه الحاكم (رقم: ٢٦٧٦)، على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الضياء في "المختارة"(ج٥/صـ: ١١٢-١١٣)(رقم: ١٧٣٦، و١٧٣٧)، وحسنه الألباني في تعليقه على "المشكاة"(رقم: ٥٢٦١)، وذكره العلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٠٠).

ولا يضر الحديثَ إعلالُ الدارقطني بعض طرقه بالإرسال، فالحديث ثابت، وله طرق وشواهد، فراجع: "تحقيق المسند"(ج١٩/صـ: ٣٠٥-٣٠٧).

الكلب، مواعظ وأحكام

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [الجاثية: ٤].

وَمِن دَوَابِّ الْأَرْضِ وَأُمَمِهَا: الْكَلْبُ، وَالْكَلْبُ تَتَعَلَّقُ بِهِ أَحْكَامٌ وَّاجِبَةُ الْمَعْرِفَةِ، وَتُسْتَخْلَصُ مِنْ أَحْوَالِهِ مَوَاعِظُ لِلْأَسْمَاعِ مُشَنِّفَةٌ، فَلِكَوْنِ الْكِلَابِ أُمَّةً مِّنَ الْأُمَمِ امْتَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَمْرِ بِقَتْلِهَا جَمِيعًا، وَأَمَرَ بِقَتْلِ الْأَسْوَدِ الْبَهِيمِ مِنْهَا، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **«أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ، إِلَّا كَلْبَ صَيْدٍ، أَوْ كَلْبَ غَنَمٍ، أَوْ مَاشِيَةٍ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٥٧١).

وَعِندَ أَحْمَدَ وَأَصْحَابِ السُّنَنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَوْلَا أَنَّ الكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا كُلِّهَا، فَاقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيمٍ»**.(١)

زَادَ ابْنُ حِبَّانَ فِي رِوَايَةٍ لَهُ (رقم: ٥٦٥٨): **«فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ»**.

وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٨٠)، بِلَفْظِ: أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ، ثُمَّ قَالَ: **«مَا بَالُهُمْ وَبَالُ الْكِلَابِ؟»**، ثُمَّ رَخَّصَ فِي كَلْبِ الصَّيْدِ وَكَلْبِ الْغَنَمِ. أَي: فِي اتِّخَاذِهَا.

وَلَهُ أَيْضًا (رقم: ١٥٧٢) عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ، حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ تَقْدَمُ مِنَ الْبَادِيَةِ بِكَلْبِهَا فَنَقْتُلُهُ، ثُمَّ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِهَا، وَقَالَ: **«عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ الْبَهِيمِ ذِي النُّقْطَتَيْنِ؛ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ»**.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَعْنَى الْبَهِيمِ الْخَالِصُ السَّوَادِ، وَأَمَّا النُّقْطَتَانِ فَهُمَا نُقْطَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ بَيْضَاوَانِ فَوْقَ عَيْنَيْهِ، وَهَذَا مُشَاهَدٌ مَعْرُوفٌ.ا.هـ.

وَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا (رقم: ٥١٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ الْحِمَارُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ»**. قُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَحْمَرِ مِنَ

---

(١) "مسند أحمد"(رقم: ١٦٧٨٨، و٢٠٥٤٧، و٢٠٥٤٨، و٢٠٥٦٢، و٢٠٥٧١)، و"سنن أبي داود"(رقم: ٢٨٤٥)، و"سنن الترمذي"(رقم: ١٤٨٦، و١٤٨٩)، و"سنن النسائي"(رقم: ٤٢٨٠)، و"سنن ابن ماجه"(رقم: ٣٢٠٥).

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وصححه ابن حبان (رقم: ٥٦٥٧، و ٥٦٥٨)، والألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ٢٥٣٥)، وقال العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٨٨٥): «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين».

الْكَلْبِ الْأَصْفَرِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ: «**الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ**».

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ خُزَيْمَةَ (رقم: ٨٣١) – وَعَنْهُ ابْنُ حِبَّانَ (رقم: ٢٣٩١) -: «**تُعَادُ الصَّلَاةُ مِن مَمَرِّ الْحِمَارِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالْكَلْبِ الْأَسْوَدِ**».

فَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ: الْحِمَارَ، وَالْمَرْأَةَ، وَالْكَلْبَ الْأَسْوَدَ تَقْطَعُ الصَّلَاةَ إِذَا مَرَّتْ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي، وَلَمْ يَكُن بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ رِوَايَةَ ابْنِ خُزَيْمَةَ فِي "الصَّحِيحَةِ"(رقم: ٣٣٢٣)، وَقَالَ: وَإِنَّمَا خَرَّجْتُ حَدِيثَ التَّرْجَمَةِ؛ لِتَصْرِيحِهِ بِالْإِعَادَةِ الْمُفَسِّرِ لِلَفْظِ: «**يَقْطَعُ**»، وَقَدْ قَالَ بِهِ طَائِفَةٌ مِّنَ السَّلَفِ.ا.هـ.

وَصَحَّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأَبِي الأَحْوَصِ وَمَكْحُولٍ، وَالْحَسَنِ، وَعِكْرِمَةَ، رَوَاهَا ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ (رقم: ٢٩١٦، و٢٩١٧، و٢٩١٨، و٢٩٢٠، و٢٩٢١)، وَهُوَ قَوْلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنبَلٍ فِي أَشْهَرِ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ،(١) وَهُوَ مَذْهَبُ الظَّاهِرِيَّةِ، وَاخْتَارَهُ أَبُو الْبَرَكَاتِ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ تَيْمِيَّةَ، وَحَفِيدُهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ، وَكَذَا ابْنُ الْقَيِّمِ، وَالْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ آل الشَّيْخِ، وَابْنُ بَازٍ، وَابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.(٢)

---

(١) والرواية الأخرى عنه: أن الكلب الأسود هو الذي يقطع الصلاة، دون المرأة والحمار.

(٢) راجع: "مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه"(ج٢/صـ: ٦٤٢-٦٤٣)(رقم: ٢٩١)، و"المحلى"(ج٢/صـ:٣٢٠-٣٣٠)، و"مختصر الفتاوى المصرية"(صـ:٦٥)، و"زاد المعاد"(ج١/صـ: ٢٩٦)، و"فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ"(ج١/صـ: ٢٣٠-٢٣١)، و"مجموع فتاوى ابن باز"(ج١١/صـ: ٩٠-٩٤، وصـ: ١٠٤، وج١٢/صـ: ٤٠٩، وج٢٤/صـ:٢١-٢٢، وج٢٥/صـ:١٥٣، وج٢٩/صـ:٣١٩، وصـ:٣٢٩-٣٣١)، "ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين"(ج١٣/صـ:٣١٨-٣٢٢)، "وفتاوى اللجنة الدائمة" (م.١) (ج٧/ صـ:٨٢).

وَصَحَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَعَطَاءٍ فِي الْمَرْأَةِ الْحَائِضِ، وَالْكَلْبِ الْأَسْوَدِ، رَوَاهُمَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ (رقم: ٢٣٥٤، و٢٣٤٧)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (رقم: ٢٩١٩، و٢٩٢٤).

وَصَحَّ أيضًا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ أَعَادَ رَكْعَةً مِنْ جِرْوٍ مَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الصَّلَاةِ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (رقم: ٢٩٢٣).

فَأَمَّا الْمَأْمُومُ فَلَا يَضُرُّهُ مَنْ مَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ نَقَلَ الْحَافِظُ فِي "الْفَتْحِ"(ج١/صـ: ٥٧٢) عَدَمَ الخِلَافِ فِيهِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الِاحْتِلَامَ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ بِمِنًى، فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيِ الصَّفِّ، فَنَزَلْتُ، فَأَرْسَلْتُ الْأَتَانَ تَرْتَعُ، وَدَخَلْتُ فِي الصَّفِّ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيَّ أَحَدٌ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَقَدْ بَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: (بَابُ: سُتْرَةُ الإِمَامِ سُتْرَةُ مَنْ خَلْفَهُ)، وَنَقَلَ ابْنُ عَبْدُ الْبَرِّ فِي"التَّمْهِيدِ"(ج٤/صـ: ١٨٧-١٨٨)، وَ"الِاسْتِذْكَارِ"(ج٢/صـ: ٢٧٤)، وَابْنُ حَزْمٍ فِي "الْمُحَلَّى"(ج٢/صـ: ٣٢٥) الْإِجْمَاعَ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الْمُغْنِي"(ج٢/صـ: ١٧٥): وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ: سُتْرَةُ الْإِمَامِ سُتْرَةٌ لِمَنْ خَلْفَهُ: أَنَّهُ مَتَى لَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْإِمَامِ وَسُتْرَتِهِ شَيْءٌ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ، فَصَلَاةُ الْمَأْمُومِينَ صَحِيحَةٌ، لَا يَضُرُّهَا مُرُورُ شَيْءٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فِي بَعْضِ الصَّفِّ، وَلَا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِمَامِ، وَإِنْ مَرَّ مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ بَيْنَ الْإِمَامِ وَسُتْرَتِهِ قَطَعَ صَلَاتَهُ وَصَلَاتَهُمْ.ا.هـ.

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَا يَقْطَعُ النِّسَاءُ بَعْضُهُنَّ صَلَاةَ بَعْضٍ.

وَقَالَ أَيْضًا: وَأَمَّا النِّسَاءُ فَقَدْ أَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنَّ خَيْرَ صُفُوفِهِنَّ آخِرُهَا، فَصَحَّ أَنَّهُ لَا يَقْطَعُ بَعْضُهُنَّ صَلَاةَ بَعْضٍ.ا.هـ.(٢)

---

(١) البخاري (رقم: ٧٦، و٤٩٣، و٨٦١، و١٨٥٧، و٤٤١٢)، ومسلم (رقم: ٥٠٤).

(٢) "المحلى"(ج٢/صـ: ٣٢٠).

والحديث المذكور رواه مسلم (رقم: ٤٤٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَكَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ فَقَدْ أَمَرَ أَيْضًا بِقَتْلِ الْكَلْبِ الْعَقُورِ، فَقَالَ: «**خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ، لَا حَرَجَ عَلَى مَن قَتَلَهُنَّ: الغُرَابُ، وَالحِدَأَةُ، وَالفَأْرَةُ، وَالعَقْرَبُ، وَالكَلْبُ العَقُورُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.(١)

وَفِيهِمَا أَيْضًا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ، كُلُّهُنَّ فَاسِقٌ، يَقْتُلُهُنَّ فِي الحَرَمِ: ...**»، فَذَكَرَهَا.(٢)

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «**خَمْسٌ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحَيَّةُ، وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ، وَالْحُدَيَّا**».

وَالْعَقُورُ هُوَ الضَّارِي، الْجَارِحُ، مِنَ الْكِلَابِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ السِّبَاعِ، وَمُنتَهَى هَذَا الْوَصْفِ فِي الْكَلْبِ أَن يَّكُونَ كَلِبًا، أَيْ: مُصَابًا بِدَاءِ الْكَلَبِ.

قَالَ الدَّمِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْكَلَبُ - بِفَتْحِ اللَّامِ - هُوَ دَاءٌ فِي الْكَلْبِ يُشْبِهُ الْجُنُونَ، وَعَلَامَةُ ذَلِكَ أَن تَحْمَرَّ عَيْنَاهُ، وَتَعْلُوَهُمَا غِشَاوَةٌ، وَتَسْتَرْخِيَ أُذُنَاهُ، وَيَندَلِعَ لِسَانُهُ، وَيَكْثُرَ لُعَابُهُ، وَسَيَلَانُ أَنفِهِ، وَيُطَأْطِئَ رَأْسَهُ، وَيَنحَدِبَ ظَهْرُهُ، وَيَتَعَوَّجَ صُلْبُهُ إِلَى جَانِبٍ، وَلَا يَزَالُ يُدْخِلُ ذَنَبَهُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، وَيَمْشِي خَائِفًا مَغْمُومًا، كَأَنَّهُ سَكْرَانُ، وَيَجُوعُ فَلَا يَأْكُلُ، وَيَعْطَشُ فَلَا يَشْرَبُ، وَرُبَّمَا رَأَى الْمَاءَ، فَيَفْزَعُ مِنْهُ، وَرُبَّمَا يَمُوتُ مِنْهُ خَوْفًا، وَإِذَا لَاحَ لَهُ شَبَحٌ حَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ نَبْحٍ، وَالْكِلَابُ تَهْرُبُ مِنْهُ، فَإِن دَنَا مِنْهَا غَفْلَةً بَصْبَصَتْ لَهُ وَخَضَعَتْ، وَخَشَعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ.

فَإِذَا عَقَرَ هَذَا الْكَلْبُ إِنسَانًا عَرَضَ لَهُ أَمْرَاضٌ رَدِيْئَةٌ، مِنْهَا: أَن يَّمْتَنِعَ مِن شُرْبِ الْمَاءِ، حَتَّى يَهْلِكَ عَطَشًا، وَلَا يَزَالُ يَسْتَقِي، حَتَّى إِذَا سَقَي الْمَاءَ لَمْ يَشْرَبْهُ، فَإِذَا اسْتَحْكَمَتْ هَذِهِ الْعِلَّةُ بِهِ، فَقَعَدَ لِلْبَوْلِ خَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى هَيْئَةِ الْكِلَابِ الصِّغَارِ.

---

(١) البخاري (رقم: ١٨٢٨)، ومسلم (رقم: ١٢٠٠).

(٢) البخاري (رقم: ١٨٢٩، و٣٣١٤)، ومسلم (رقم: ١١٩٨).

وَقَالَ أَيْضًا: الْكَلَبُ جُنُونٌ يُّصِيبُ الْكِلَابَ، فَتَمُوتُ، وَتَقْتُلُ كُلَّ شَيْءٍ عَضَّتْهُ إِلَّا الْإِنسَانَ، فَإِنَّهُ قَدْ يُعَالَجُ، فَيَسْلَمُ.ا.هـ.(١)

وَقَدْ ضُرِبَ بِهَذَا الدَّاءِ الْمَثَلُ لِأَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ، الْمُرْتَكِبِينَ لِلْبِدَعِ، وَالْمُجَانِبِينَ لِلسُّنَنِ، فَعِندَ أَحْمَدَ (رقم: ١٦٩٣٧)، وَأَبِي دَاوُدَ (رقم: ٤٥٩٧) مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً** - يَعْنِي: الْأَهْوَاءَ -، **كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ»**.(٢)

وَقَد تَّقَدَّمَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِندَ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٨٠) التَّرْخِيصُ فِي كَلْبِ الصَّيْدِ وَكَلْبِ الْغَنَمِ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ (رقم: ١٤٨٩): **«وَمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَرْتَبِطُونَ كَلْبًا إِلَّا نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ، إِلَّا كَلْبَ صَيْدٍ، أَوْ كَلْبَ حَرْثٍ، أَوْ كَلْبَ غَنَمٍ»**.

وَبِنَحْوِهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(٣)

وَفِي رِوَايَةٍ لِّمُسْلِمٍ: **«مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا، لَيْسَ بِكَلْبِ صَيْدٍ، وَلَا مَاشِيَةٍ، وَلَا أَرْضٍ، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ قِيرَاطَانِ كُلَّ يَوْمٍ»**.

وَلَهُمَا نَحْوُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لَكِن لَّيْسَ فِيهِ ذِكْرُ الْأَرْضِ.(٤)

وَقَد دَّخَلَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ مِنَ التَّشَبُّهِ بِالْكَافِرِينَ بَلَاءٌ عَرِيضٌ، وَمِن ذَلِكَ: الْحِرْصُ عَلَى اقْتِنَاءِ الْكِلَابِ، لَا سِيَّمَا فِي أَوْسَاطِ الْمُتْرَفِينَ، حَتَّى صَارَ بَعْضُهُمْ

(١) "حياة الحيوان الكبرى"(ج٢/صـ:٣٧٨-٣٧٩).

(٢) وصححه الحاكم (رقم: ٤٤٣)، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (رقم: ٥١)، وذكره الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الجامع الصحيح في القدر"(رقم: ٦٠).

(٣) البخاري (رقم: ٢٣٢٢، و٢٣٢٤)، ومسلم (رقم: ١٥٧٥).

(٤) البخاري (رقم: ٥٤٨٠، و٥٤٨١، و٥٤٨٢)، ومسلم (رقم: ١٥٧٤).

يَشْتَرِيهَا بِمَبَالِغَ طَائِلَةٍ، مِن بِلَادِ الْكُفْرِ، وَيُطْعِمُهَا مَا لَا يُطْعِمُهُ كَثِيرًا مِّن جِيرَانِهِ الْمُعْوِزِينَ، وَهَذَا فِيهِ عِدَّةُ مَحَاذِيرَ، وَهِيَ:

١. التَّشَبُّهُ بِالْكَافِرِينَ، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٥١١٥)، وَأَبُوْ دَاوُدَ (رقم: ٤٠٣١)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "الْإِرْوَاءِ"(رقم:١٢٦٩).

٢. وَالسَّرَفُ، جَاءَ فِي "فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ"(م.١)(ج٢٦/صـ: ١٦٥): يَجِبُ أَن يَّكُونَ التَّعَامُلُ مَعَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُبَاحَةِ فِي مُدَاوَاتِهَا وَتَغْذِيَتِهَا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، وَأَنَ لَّا تَزِيدَ النَّفَقَةُ عَلَيْهَا إِلَى حَدِّ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ، فَذَلِكَ مِنْ عَمَلِ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٧].

٣. وَاقْتِنَاءُ الْكِلَابِ لِغَيْرِ مُسَوِّغٍ شَرْعِيٍّ، وَقَد تَّقَدَّمَ ذِكْرُ أَدِلَّةِ تَحْرِيمِهِ.

٤. وَشِرَاءُ الْكَلْبِ، وَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ؛ فَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٢٣٧، و٢٢٨٢، و٥٣٤٦، و٥٧٦١، و٥٧٦١)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٥٦٧).

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم: ٢٠٨٦، و٢٢٣٨، و٥٣٤٧، و٥٩٤٥، و٥٩٦٢) عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِثْلُهُ.

وَهَذَا النَّهْيُ يَشْمَلُ الْكِلَابَ الْمُعَلَّمَةَ وَمَا يُعْرَفُ الْآنَ بِـ: (الْكِلَابِ الْبُولِيسِيَّةِ)، الَّتِي تَسْتَعْمِلُهَا الشُّرْطَةُ وَالْأَمْنُ وَالْمَبَاحِثُ وَالْجَمَارِكُ! فِي كَثِيرٍ مِّنَ الدُّوَلِ.

وَهَذَا لَا يُنَافِي الْإِحْسَانَ إِلَى الْكَلْبِ وَإِلَى كُلِّ كَبِدٍ رَّطْبَةٍ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«بَيْنَا رَجُلٌ يَمشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئرًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبُ مِنَ العَطَشِ مِثلُ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ البِئْرَ،**

فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بفيهِ حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ». قَالُوا: يَا رَسُول اللهِ، إنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ فقَالَ: **«فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.(١)

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا: **«بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، قَدْ كَادَ يقتلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيل، فَنَزَعَتْ مُوقَها، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»**.(٢)

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي سَبَبِ نُقْصَانِ الْأَجْرِ بِاقْتِنَاءِ الْكَلْبِ، فَقِيلَ: لِامْتِنَاعِ الْمَلَائِكَةِ مِن دُخُولِ بَيْتِهِ بِسَبَبِهِ، وَقِيلَ: لِمَا يَلْحَقُ الْمَارِّينَ مِنَ الْأَذَى مِن تَرْوِيعِ الْكَلْبِ لَهُمْ وَقَصْدِهِ إِيَّاهُمْ، وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ عُقُوبَةٌ لَّهُ؛ لِاتِّخَاذِهِ مَا نُهِيَ عَنِ اتِّخَاذِهِ وَعِصْيَانِهِ فِي ذَلِكَ، وَقِيلَ: لِمَا يُبْتَلَى بِهِ مِن وُّلُوغِهِ فِي غَفْلَةِ صَاحِبِهِ وَلَا يَغْسِلُهُ».

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَدْ يَكُونُ فِي التَّقْصِيرِ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى الْكَلْبِ؛ لِأَنَّهُ قَانِعٌ نَّاظِرٌ إِلَى يَدِ مُتَّخِذِهِ، فَفِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ أَجْرٌ، كَمَا قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: فِي كُلِّ ذِي كَبِدٍ رَّطْبَةٍ أَجْرٌ، وَفِي الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ بِتَضْيِيقِهِ وِزْرٌ».(٣)

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْقِيرَاطَ دُونَ الْقِيرَاطِ فِي خَبَرِ مَن شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ؛ لِأَنَّ هَذَا مِن قَبِيلِ الْمَطْلُوبِ تَرْكُهُ، وَذَلِكَ مِن الْمَطْلُوبِ فِعْلُه، وَعَادَةُ الشَّارِعِ تَعْظِيمُ الْحَسَنَاتِ وَتَخْفِيفُ مُقَابِلِهَا؛ كَرَمًا مِنْهُ.ا.هـ.(٤)

وَامْتِنَاعُ الْمَلَائِكَةِ مِن دُخُولِ الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ الْكَلْبِ فِيهِ عِدَّةُ أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ، مِنْهَا حَدِيثُ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.(٥)

---

(١) البخاري (برقم: ٢٣٦٣، و٢٤٦٦، و٦٠٠٩)، ومسلم (برقم: ٢٢٤٤).

(٢) البخاري (برقم: ٣٤٦٧)، ومسلم (برقم: ٢٢٤٥)(١٥٥).

(٣) "الاستذكار"(ج٨/صـ: ٤٩٤).

(٤) "فيض القدير"(ج٦/صـ: ٨١).

(٥) البخاري (برقم: ٣٢٢٥، و٣٣٢٢، و٤٠٠٢، و٥٩٤٩)، ومسلم (برقم: ٢١٠٦).

وَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا (رقم: ٢١١٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَّلَا جَرَسٌ»**.

وَوُلُوغُ الْكَلْبِ فِي الْإِنَاءِ يُوجِبُ غَسْلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، إِحْدَاهُنَّ بِالتُّرَابِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«طُهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ، أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، أُولَاهُنَّ بِالتُّرَابِ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٧٩).

وَقَدِ اسْتَدَلَّ الْجُمْهُورُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى نَجَاسَةِ لُعَابِ الْكَلْبِ، وَمَذْهَبُ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ طَهَارَتُهُ، قَالَا: وَيَجِبُ غَسْلُ الْإِنَاءِ تَعَبُّدًا!.

وَالتَّسْبِيعُ وَالتَّتْرِيبُ الْمَذْكُورَانِ مُقَيَّدَانِ بِوُلُوغِ الْكَلْبِ فِي الْإِنَاءِ، فَلَوْ أَصَابَ لُعَابُ الْكَلْبِ غَيْرَ الْإِنَاءِ، كَثَوْبٍ أَوْ مَوْضِعٍ مِّنَ الْجَسَدِ؛ فَلَا يُشْتَرَطُ أَن يُّغْسَلَ سَبْعًا، وَلَا يُشْتَرَطُ أَيْضًا اسْتِعْمَالُ التُّرَابِ، وَإِنَّمَا يُغْسَلُ قَدْرًا يَّزُولُ بِهِ أَثَرُ النَّجَاسَةِ.

وَإِنْ أَصَابَ مِن طَعَامٍ جَامِدٍ، فَيَكْفِي فِيهِ إِزَالَةُ مَا أَصَابَ مِن لُّعَابِهِ؛ لِأَنَّ النَّجَاسَةَ لَمْ تَتَعَدَّهُ.

وَأَمَا شَعَرُ الْكَلْبِ فَطَاهِرٌ عَلَى الْقَوْلِ الرَّاجِحِ.

◄ وَأَمَا بَوْلُهُ وَغَائِطُهُ فَنَجِسَانِ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ، وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى طَهَارَةِ الْأَبْوَالِ كُلِّهَا عَدَا بَوْلَ الْآدَمِيِّ، وَيُسْتَدَلُّ لَهُمْ بِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٧٤) عَنْ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: **«كَانَتِ الكِلَابُ تَبُولُ، وَتُقْبِلُ وَتُدْبِرُ فِي المَسْجِدِ، فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَكُونُوا يَرُشُّونَ شَيْئًا مِن ذَلِكَ»**.

قَالَ الْحَافِظُ فِي "الْفَتْحِ"(ج١/صـ:٢٧٨): «وَقَدْ قَالَ جَمْعٌ بِأَنَّ أَبْوَالَ الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا طَاهِرَةٌ الا الْآدَمِيَّ، وَمِمَّن قَالَ بِهِ ابن وَهْبٍ، حَكَاهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْهُ».

وَنَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالْكَلْبِ حَالَ السُّجُودِ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ، وَلَا يَبْسُطْ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ الكَلْبِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٨٢٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٤٩٣).

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ (رقم: ٨٩٧): **«وَلَا يَفْتَرِشْ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ افْتِرَاشَ الْكَلْبِ»**.

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ الرُّخْصَةَ فِي اتِّخَاذِ كِلَابِ الصَّيْدِ، وَأَبَاحَ صَيْدَ الْكِلَابِ الْمُعَلَّمَةِ دُونَ غَيْرِهَا، إِذَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهَا، فَقَالَ ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾[المائدة: ٤].

وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ مِّن فَضَائِلِ الْعِلْمِ أَنَّ اللهَ ﷻ رَفَعَ الْكَلْبَ الْمُعَلَّمَ عَلَى غَيْرِ الْمُعَلَّمِ، فَأَحْرَى أَن يُّرْفَعَ ابْنُ آدَمَ الَّذِي كَرَّمَهُ اللهُ ﷻ وَفَضَّلَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ خَلْقِهِ أَن يَّرْفَعَهُ اللهُ ﷻ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، قَالَ ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة: ١١].

وَلِمُسْلِمٍ (رقم:٨١٧) عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**».

وَضُرِبَ بِالْكَلْبِ أَيْضًا الْمَثَلُ فِي الِانتِفَاعِ بِمُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ، فَقَدْ رَفَعَ اللهُ ﷻ ذِكْرَ كَلْبِ أَهْلِ الْكَهْفِ، فَذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ، وَجَرَى عَلَيْهِ مِنَ النَّوْمِ مِثْلُ الَّذِي جَرَى عَلَيْهِمْ؛ كَرَامَةً لَّهُمْ، قَالَ ﷻ: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ﴾ [الكهف: ١٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ۖ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ﴾ [الكهف: ٢٢].

وَضُرِبَ بِالْكَلْبِ أَيْضًا الْمَثَلُ فِي الْوَفَاءِ لِصَاحِبِهِ، فَمِن طَبْعِهِ أَنَّهُ يَحْرُسُ صَاحِبَهُ وَيَحْمِي حَرَمَهُ شَاهِدًا وَّغَائِبًا، ذَاكِرًا وَّغَافِلًا، نَائِمًا وَّيَقْظَانَ، قَالَ الدَّمِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُو أَيْقَظُ الْحَيَوَانِ عَيْنًا فِي وَقْتِ حَاجَتِهِ إِلَى النَّوم، وَإِنَّمَا غَالِبُ نَوْمِهِ نَهَارًا عِندَ الِاسْتِغْنَاءِ عَنِ الْحِرَاسَةِ، وَهُوَ فِي نَوْمِهِ أَسْمَعُ مِن فَرَسٍ، وَأَحْذَرُ مِن عَقْعَقٍ، وَإِذَا نَامَ كَسَرَ أَجْفَانَ عَيْنَيْهِ وَلَا يُطْبِقُهَا، وَذَلِكَ؛ لِخِفَّةِ نَوْمِهِ.

وَمِنْ عَجِيبِ طِبَاعِهِ أَنَّهُ يُكْرِمُ الْجِلَّةَ مِنَ النَّاسِ وَأَهْلَ الْوَجَاهَةِ، وَلَا يَنبَحُ أَحَدًا مِّنْهُمْ!، وَرُبَّمَا حَادَ عَن طَرِيقِهِ!، وَيَنبَحُ الْأَسْوَدَ مِنَ النَّاسِ وَالدَّنِسَ الثِّيَابِ وَالضَّعِيفَ الْحَالِ!.

وَمِن طِبَاعِهِ الْبَصْبَصَةُ وَالتَّرَضِّي وَالتَّوَدُّدُ وَالتَّأَلُّفُ، بِحَيثُ إِذَا دُعِيَ بَعْدَ الضَّرْبِ وَالطَّرْدِ رَجَعَ، وَإِذَا لَاعَبَهُ رَبُّهُ عَضَّهُ الْعَضَّ الَّذِي لَا يُؤْلِمُ، وَيَقْبَلُ التَّأْدِيبَ.ا.هـ.(١)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ فِي جُزْءٍ لَّهُ سَمَّاهُ "فَضْلَ الْكِلَابِ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّن لَّبِسَ الثِّيَابَ"(صـ: ٣٥): وَرُوِيَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: أَوْصِنِي. قَالَ: ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا وَلَا تُنَازِعْ فِيهَا أَهْلَهَا، وَانصَحْ للهِ تَعَالَى كَنُصْحِ الْكَلْبِ لِأَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ يُجِيعُونَهُ وَيَضْرِبُونَهُ، وَيَأْبَى إِلَّا أَن يَحُوطَهُمْ نُصْحًا.ا.هـ.

وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَقَالَ فِي مُقَدِّمَةِ مَنظُومَتِهِ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ، الْمُسَمَّاةِ "حِرْزَ الْأَمَانِي وَوَجْهَ التَّهَانِي":

وَقَدْ قِيلَ: كُن كَالْكَلْبِ يُقْصِيهِ أَهْلُهُ ... وَلَا يَأْتَلِي فِي نُصْحِهِم مُتَبَذِّلَا

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَسُبْحَانَ اللهِ، ﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٥٠]، ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾ [هود: ٦].

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا – كَمَا فِي "حَيَاةِ الْحَيَوَانِ الْكُبْرَى"(ج١/صـ: ٤٢٥)- عَن سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ لِأَبِي أُسَيدٍ الْفَزَارِيِّ: مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ؟ فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى، وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «يَرْزُقُ اللهُ الْكَلْبَ وَالْخِنْزِيرَ، وَلا يَرْزُقُ أَبَا أُسَيْدٍ!».

وَكَمَا ضُرِبَتْ بِالْكَلْبِ أَمْثَالٌ حَسَنَةٌ، فَقَدْ ضُرِبَتْ بِهِ أَمْثَالُ سَوْءٍ، فَضُرِبَ بِالْكَلْبِ الْكَلِبِ الْمَثَلُ لِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(١) "حياة الحيوان الكبرى"(ج٢/صـ: ٣٧٨).

وَعَنْ أَبِي غَالِبٍ، قَالَ: رَأَى أَبُو أُمَامَةَ رُءُوسًا مَنْصُوبَةً عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ، فَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ: «**كِلَابُ النَّارِ، شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، إِلَى آخِرِ الآيَةِ، قُلْتُ لِأَبِي أُمَامَةَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا حَتَّى عَدَّ سَبْعًا مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٢٢٠٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٠٠٠).

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ (رقم: ٢٢١٨٣): فَلَمَّا رَآهُمْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ: فَمَا شَأْنُكَ دَمَعَتْ عَيْنَاكَ؟ قَالَ: رَحْمَةً لَهُمْ، إِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ.

وَفِي رِوَايَةِ الْحُمَيْدِيِّ (رقم: ٩٣٢): سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ، كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ، كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ**».(١)

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهْ (رقم: ١٧٦): «قَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ، فَصَارُوا كُفَّارًا».

وَلِأَحْمَدَ (رقم: ٢٢١٥١) أَيْضًا مِّن طَرِيقِ سَيَّارٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْوُهُ، وَفِيهِ: ثُمَّ إِنَّهُ بَكَى، فَقِيلَ لَهُ: لِأَيِّ شَيْءٍ بَكَيْتَ؟ قَالَ: رَحْمَةً لَهُمْ، أَوْ مِن رَّحْمَتِهِمْ.

وَرَوَى أَحْمَدُ (رقم: ١٩٤١٥) عَن سَعِيدِ بْنِ جُمْهَانَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مَحْجُوبُ الْبَصَرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا سَعِيدُ بْنُ جُمْهَانَ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ وَالِدُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: قَتَلَتْهُ الْأَزَارِقَةُ، قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْأَزَارِقَةَ، لَعَنَ اللَّهُ الْأَزَارِقَةَ، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّهُمْ كِلَابُ النَّارِ**»، قَالَ: قُلْتُ: الْأَزَارِقَةُ وَحْدَهُمْ أَمِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا؟ قَالَ: «بَلِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا».(٢)

---

(١) وحسنه الترمذي، والألباني في تعليقه على "المشكاة"(رقم: ٣٥٥٤)، وذكره الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٤٨٢).

وأخرجه الحاكم (رقم: ٢٦٥٥) من طريق شداد بن عبد الله أبي عمار، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دون ذكر البكاء، وقال الحاكم: «على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.

(٢) وذكره الحاكم في "المستدرك"(رقم: ٦٤٣٥)، والضياء في "المختارة"(ج١٢/صـ:١١٠-١١١)(رقم:١٨٠-١٨١)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٥٤٥).

وَفِي تَرْجَمَةِ عِمْرَانَ بْنِ مُسْلِمٍ الْفَزَارِيِّ مِن "مِيزَانِ الِاعْتِدَالِ"(ج٣/ص: ٢٤٢): قَالَ أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ: رَافِضِيٌّ، كَأَنَّهُ جِرْوُ كَلْبٍ. قَالَ الذَّهَبِيُّ: خَرَاءُ الْكِلَابِ كَالرَّافِضِيِّ.ا.هـ.

وَضُرِبَ بِالْكَلْبِ أَيْضًا الْمَثَلُ فِي خِسَّةِ مَنْ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ بَعْدَ إِذْ أَكْرَمَهُ اللهُ ﷻ بِالْعِلْمِ وَالْبَيِّنَاتِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

قَالَ مَنْصُورُ بنُ إِسْمَاعِيلَ الْفَقِيهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الْكَلْبُ أَكْرَمُ عِشْرَةً ... وَهُوَ النِّهَايَةُ فِي الْخَسَاسَهْ
مِمَّن تَعَرَّضَ لِلرِّئَا ... سَةِ قَبْلَ إِبَّانِ الرِّئَاسَهْ

وَضُرِبَ بِالْكَلْبِ أَيْضًا الْمَثَلُ فِي دَنَاءَةِ مَنْ أَعْطَى عَطَاءً ثُمَّ رَجَعَ فِيهِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«العَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالكَلْبِ يَقِيءُ ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٥٨٩)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٨٩)(٨).

وَفِي رِوَايَةٍ لِّلْبُخَارِيِّ (رقم: ٢٦٢٢، و٦٩٧٥): **«لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ...»**، وَذَكَرَهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِّمُسْلِمٍ: **«إِنَّمَا مَثَلُ الَّذِي يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ، ثُمَّ يَعُودُ فِي صَدَقَتِهِ، كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَقِيءُ، ثُمَّ يَأْكُلُ قَيْئَهُ»**.

وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ (رقم: ٢١١٩، و٤٨١٠، و٥٤٩٣)، وَأَبِي دَاوُدَ (رقم: ٣٥٣٩): **«لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَن يُعْطِيَ عَطِيَّةً أَوْ يَهَبَ هِبَةً فَيَرْجِعَ فِيهَا إِلَّا الْوَالِدَ فِيمَا يُعْطِي وَلَدَهُ، وَمَثَلُ الَّذِي يُعْطِي الْعَطِيَّةَ، ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَأْكُلُ فَإِذَا شَبِعَ قَاءَ، ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ»**.(١)

---

(١) وقد قُرِن بابن عباس: ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وصحح هذه الرواية: ابن حبان (رقم: ٥١٢٣)، والحاكم (رقم: ٢٢٩٨)، ووافقه الذهبي، وكذا صححها الألباني في "الإرواء"(رقم: ٥١)، وذكرها الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٦١٦).

وَضُرِبَ بِنُبَاحِ الْكَلْبِ أَيْضًا الْمَثَلُ فِي الْحَقَارَةِ وَالْخُسُوءِ، فَيُنسَبُ إِلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَوْلُهُ:

أَمَا تَرَى الأُسْدَ تُخْشَى وَهْيَ صَامِتَةٌ؟ وَالْكَلْبُ يَخْسَا لَعَمْرِي وَهْوَ نَبَّاحُ

وَقِيلَ أَيْضًا:

كالكَلْبِ إِنْ قِيلَ لَهُ اخْسَإِ انْخَسَأْ

أَيْ: إِنْ طَرَدتَّهُ انْطَرَدَ، أَوْ زَجَرْتَهُ انزَجَرَ.

وَفِي الْمَثَلِ الْعَصْرِيِّ: «الْقَافِلَةُ تَسِيرُ وَالْكِلَابُ تَنبَحُ»، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَثَلٌ إِنجِلِيزِيٌّ!.

وَقَدْ لَا يَخْلُو نُبَاحُ الْكَلْبِ مِن فَائِدَةٍ، كَتَنبِيهِهِ إِذَا كَانَ كَلْبَ حِرَاسَةٍ عَلَى حُضُورِ شَخْصٍ أَوْ وُفُودِ غَرِيبٍ أَوْ قُدُومِ غَائِبٍ أَوْ مُدَاهَمَةِ لِصٍّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَقَدْ يَكُونُ أَيْضًا لِلتَّنبِيهِ عَلَى حُضُورِ الشَّيَاطِينِ، فَيَحْمِلُ السَّامِعَ عَلَى الِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ ﷻ، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، وَنَهِيقَ الْحُمُرِ بِاللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لَا تَرَوْنَ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٤٢٨٣)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٥١٠٣)، وَأَبُو يَعْلَى (رقم: ٢٣٢٧).(١)

ذَكَرَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي تَرْجَمَةِ مُمْشَاذَ الدَّيْنُورِيِّ (ت ٢٩٩هـ) مِن "تَارِيخِ الْإِسْلَامِ"(ج٢٢/صـ: ٣١٣) عَن فَارِسٍ الدَّيْنُورِيِّ، قَالَ: خَرَجَ مُمْشَاذُ مِن بَابِ الدَّارِ، فَنَبَحَ كَلْبٌ، فَقَالَ مُمْشَاذُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، فَمَاتَ الْكَلْبُ مَكَانَهُ!.

(١) وصححه: ابن حبان (رقم: ٥٥١٧)، والحاكم (رقم: ٧٧٦٢) على شرط مسلم، وذكره العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيحة"(رقم: ٣١٨٤).

الحمار، مواعظ وأحكام

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الجاثية: ٤].

وَمِن دَوَابِّ الْأَرْضِ وَأُمِمِهَا: (الْحِمَارُ)، وَالْحِمَارُ تَتَعَلَّقُ بِهِ أَحْكَامٌ شَرْعِيَّةٌ، وَآدَابٌ مَرْعِيَّةٌ، وَتَأَمُّلَاتٌ وَّعِظَاتٌ، لَنَا مَعَهَا بِمَشِيْئَةِ اللهِ ﷻ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَقَفَاتٌ.

فَقَدْ خَلَقَهُ اللهُ ﷻ لِلرُّكُوبِ، وَكَانَ زِينَةً فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ قَبْلَ وُجُودِ هَذِهِ الْمَرَاكِبِ الْعَصْرِيَّةِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

وَالحِمَارُ عَلَى قِسْمَيْنِ: حِمَارٌ أَهْلِيٌّ، وَهُوَ الَّذِي يَتَّخِذُهُ النَّاسُ، وَحِمَارُ وَحْشٍ، وَهُوَ الَّذِي يَعِيشُ فِي الْغَابَاتِ وَالْبَرَارِيِّ.

فَأَمَّا حِمَارُ الْوَحْشِ فَيَحِلُّ أَكْلُهُ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا وَحْشِيًّا، وَهُوَ بِالأَبْوَاءِ، أَوْ بِوَدَّانَ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: **«إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ»**.(١)

وَإِنَّمَا رَدَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ صِيدَ لِأَجْلِهِ، وَهُوَ مُحْرِمٌ، وَمَا صِيدَ لِأَجْلِ الْمُحْرِمِ، فَلَيْسَ لَهُ أَكْلُهُ.

فَإِن لَّمْ يَكُن صِيدَ لِأَجْلِهِ وَلَا أَعَانَ عَلَى صَيْدِهِ فَلَهُ أَكْلُهُ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ اصْطَادَ حِمَارًا وَحْشِيًّا، فَأَطْعَمَ مِنْهُ أَصْحَابَهُ وَهُم مُّحْرِمُونَ، وَأَكَلَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ مُحْرِمًا.(٢)

وَأَمَّا الْحِمَارُ الْأَهْلِيُّ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَصَابَتْنَا مَجَاعَةٌ لَيَالِيَ خَيْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ وَقَعْنَا فِي الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ، فَانْتَحَرْنَاهَا، فَلَمَّا غَلَتِ الْقُدُورُ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَكْفِئُوا الْقُدُورَ، فَلَا تَطْعَمُوا مِنْ لُحُومِ الْحُمُرِ شَيْئًا»**.(٣)

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ، أَصَبْنَا حُمُرًا خَارِجًا مِنَ الْقَرْيَةِ، فَطَبَخْنَا مِنْهَا، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَلَا إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْهَا، فَإِنَّهَا رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»**، فَأُكْفِئَتِ الْقُدُورُ بِمَا فِيهَا، وَإِنَّهَا لَتَفُورُ بِمَا فِيهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.(٤)

---

(١) البخاري (برقم: ١٨٢٥، و٢٥٧٣، و٢٥٩٦)، ومسلم (برقم: ١١٩٣).

(٢) البخاري (برقم: ١٨٢٢، و١٨٢٣، و١٨٢٤، و٢٥٧٠، و٢٨٥٤، و٢٩١٤، و٥٤٠٧، و٥٤٩٠، و٥٤٩٢)، ومسلم (برقم: ١١٩٦).

(٣) البخاري (برقم: ٣١٥٥، و٤٢٢٠، و٤٢٢١، و٤٢٢٣)، ومسلم (برقم: ١٩٣٧).

(٤) البخاري (برقم: ٤١٩٩، و ٥٥٢٨)، ومسلم (برقم: ١٩٤٠).

وَأَمَّا عَرَقُ الْحِمَارِ وَلُعَابُهُ فَطَاهِرَانِ، وَفِي رَوْثِهِ خِلَافٌ لَهُ حَظٌّ مِّنَ النَّظَرِ، وَالْجُمْهُورُ عَلَى نَجَاسَتِهِ، وَنَجَاسَةِ سَائِرِ رَوْثِ مَا لَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ، وَهُوَ الْأَحْوَطُ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الغَائِطَ، فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ، وَالتَمَسْتُ الثَّالِثَ، فَلَمْ أَجِدْهُ، فَأَخَذْتُ رَوْثَةً، فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَأَخَذَ الحَجَرَيْنِ، وَأَلْقَى الرَّوْثَةَ، وَقَالَ: **«هَذَا رِكْسٌ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٥٦).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ خُزَيْمَةَ (رقم: ٧٠): فَوَجَدْتُ لَهُ حَجَرَيْنِ وَرَوْثَةَ حِمَارٍ.

وَفِيهَا: وَقَالَ: **«هِيَ رِجْسٌ»**.

وَأَمَّا بَوْلُهُ فَالْجُمْهُورُ أَيْضًا عَلَى نَجَاسَتِهِ، وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى طَهَارَةِ الْأَبْوَالِ كُلِّهَا عَدَا بَوْلَ الْآدَمِيِّ،(١) وَيُسْتَدَلُّ لَهُمْ بِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٧٤) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **«كَانَتِ الكِلاَبُ تَبُولُ، وَتُقْبِلُ وَتُدْبِرُ فِي المَسْجِدِ، فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَكُونُوا يَرُشُّونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ»**.

وَقَدْ يَكُونُ الْحِمَارُ سَبَبًا فِي تَحْصِيلِ الْأَجْرِ، وَيَكُونُ أَيْضًا سَبَبًا فِي كَسْبِ الْوِزْرِ، بِحَسَبِ مَا يُسْتَعْمَلُ فِيهِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«الخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ مِنَ المَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ أَرْوَاثُهَا وَآثَارُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِئَاءً، وَنِوَاءً لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ فَهِيَ وِزْرٌ عَلَى ذَلِكَ»**.

(١) قال الحافظ في "الفتح" (ج١/ص:٢٧٨): «وممن قال به ابن وهب، حكاه الإسماعيلي وغيره عنه». وهو أيضًا قول داود الظاهري، نقله عنه ابن حزم في "المحلى"، كما في "المجموع" (ج٢/ص: ٥٤٨).

وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ الحُمُرِ، فَقَالَ: «**مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الآيَةُ الجَامِعَةُ الفَاذَّةُ،** ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٨]»(١).

وَقَدْ كَرَّمَ اللهُ بَعْضَ خَلْقِهِ عَلَى بَعْضٍ، فَفَاضَلَ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَفَاضَلَ بَيْنَ سَائِرِ خَلْقِهِ، وَأَجْرَى عَلَى بَعْضِ الحَمِيرِ مِنَ الكَرَامَاتِ لِأَهْلِهَا وَالعِبَرِ وَالعِظَاتِ لِمَنْ أَلْزَمَهُ اللهُ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانَ أَحَقَّ بِهَا وَمِن جُمْلَةِ أَهْلِهَا مَا لَيْسَ لِكَثِيرٍ مِّنْهَا.

قَالَ ﷻ: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٥٩﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وَالْمَشْهُورُ مِنْ أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذَا الَّذِي مَرَّ هُوَ عُزَيْرٌ، وَهُوَ نَبِيٌّ عَلَى الصَّحِيحِ، وَأَنَّ الْقَرْيَةَ هِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، مَرَّ عَلَيْهَا ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾، أَيْ: لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ، وذلك بَعْدَ تَخْرِيبِ بُخْتَنَصَّرَ لَهَا وَقَتْلِ أَهْلِهَا، ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾، أَيْ: سَاقِطَةٌ سُقُوفُهَا وَجُدْرَانُهَا عَلَى عَرَصَاتِهَا، سَقَطَ السَّقْفُ، ثُمَّ سَقَطَتِ الْحِيطَانُ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَوَقَفَ مُتَفَكِّرًا فِيمَا آلَ أَمْرُهَا إِلَيْهِ بَعْدَ الْعِمَارَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَالَ: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؛ وَذَلِكَ لِمَا رَأَى مِنْ دُثُورِهَا وَشِدَّةِ خَرَابِهَا وَبُعْدِهَا عَنِ الْعَوْدِ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ.ا.هـ، ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾ إِمَاتَةً حَقِيقِيَّة، فَلَبِثَ مَيِّتًا ﴿مِاْئَةَ عَامٍ﴾، وَهَذِهِ آيَةٌ عَظِيمَةٌ، فَإِنَّ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ بَقِيَ عَلَى حَالِهِ مَيِّتًا طَوَالَ تِلْكَ الْمُدَّةِ، لَمْ يَتَغَيَّرْ، وَمُنِعَ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ مِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالسِّبَاعِ، واللهُ أَعْلَمُ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ اللهُ ﷻ بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَعَمُرَتِ الْبَلْدَةُ بَعْدَ مُضِيِّ سَبْعِينَ سَنَةً مِن مَّوْتِهِ،

(١) البخاري (رقم: ٢٣٧١، و٢٨٦٠، و٣٦٤٦، و٤٩٦٢، و٧٣٥٦)، ومسلم (رقم: ٩٨٧).

وَتَكَامَلَ سَاكِنُوهَا وَتَرَاجَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ ﷻ بَعْدَ مَوْتِهِ كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ أَحْيَا اللَّهُ فِيهِ عَيْنَيْهِ؛ لِيَنْظُرَ بِهِمَا إِلَى صُنْعِ اللَّهِ فِيهِ كَيْفَ يُحْيِي بَدَنَهُ؟ فَلَمَّا اسْتَقَلَّ سَوِيًّا قَالَ اللَّهُ لَهُ - أَيْ: بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ -: ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، قَالُوا: وَذَلِكَ أَنَّهُ مَاتَ أَوَّلَ النَّهَارِ ثُمَّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي آخِرِ نَهَارٍ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَاقِيَةً ظَنَّ أَنَّهَا شَمْسُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَقَالَ: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾، وَذَلِكَ: أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ فِيمَا ذُكِرَ عِنَبٌ وَتِينٌ وَعَصِيرٌ، فَوَجَدَهُ كَمَا فَقَدَهُ، لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهُ شَيْءٌ، لَا الْعَصِيرُ اسْتَحَالَ، وَلَا التِّينُ حَمِضَ، وَلَا أَنْتَنَ، وَلَا الْعِنَبُ تَعَفَّنَ، ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾، أَيْ: كَيْفَ يُحْيِيهِ اللَّهُ ﷻ وَأَنْتَ تَنْظُرُ، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾، أَيْ: دَلِيلًا عَلَى الْمَعَادِ، ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾، أَيْ: نَرْفَعُهَا، فَتَرْكَبُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ.ا.هـ.

وَقَرَأَ نَافِعٌ وَّابْنُ كَثِيرٍ وَّأَبُو عَمْرٍو الْبَصْرِيُّ مِنَ السَّبْعَةِ: ﴿نُنشِرُهَا﴾، بِالرَّاءِ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا، أَيْ: نُحْيِيهَا بَعْدَ أَن صَارَتْ رَمِيمًا.

قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّ مَعْنَى الْإِنْشَارِ وَمَعْنَى الْإِنْشَازِ مُتَقَارِبَانِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْإِنْشَازِ: التَّرْكِيبُ، وَالْإِثْبَاتُ، وَرَدُّ الْعِظَامِ مِنَ الْعِظَامِ، وَإِعَادَتُهَا لَا شَكَّ أَنَّهُ رَدَّهَا إِلَى أَمَاكِنِهَا وَمَوَاضِعِهَا مِنَ الْجَسَدِ بَعْدَ مُفَارَقَتِهَا إِيَّاهَا، فَهُمَا وَإِنِ اخْتَلَفَا فِي اللَّفْظِ فَمُتَقَارِبَا الْمَعْنَى.ا.هـ.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾، أَيْ: ظَهَرَ لَهُ ذَلِكَ، ﴿قَالَ﴾ ﴿أَعْلَمُ﴾، رفعًا، عَلَى الْخَبَرِ، وَالْقَائِلُ هُوَ عُزَيْرٌ، ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ مِنَ السَّبْعَةِ: ﴿قَالَ اعْلَمْ﴾، جَزْمًا عَلَى الْأَمْرِ مِنَ اللهِ لِعُزَيْرٍ، فَالْقَائِلُ هُوَ اللهُ ﷻ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ، فِي "دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ"(ج٦/صـ: ٤٨)، بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي سَبْرَةَ النَّخَعِيِّ، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَنِ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ نَفَقَ حِمَارُهُ، فَقَامَ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى

رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ إِنِّي جِئْتُ مِنَ الدَّثْنِيَّةِ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ تُحْيِي الْمَوْتَى، وَتَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ، لَا تَجْعَل لِّأَحَدٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مِنَّةً، أَطْلُبُ إِلَيْكَ أَنْ تَبْعَثَ لِي حِمَارِي، فَقَامَ الْحِمَارُ يَنْفُضُ أُذُنَيْهِ.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: «هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، وَمَثَلُ هَذَا يَكُونُ كَرَامَةً لِصَاحِبِ الشَّرِيعَةِ حَيْثُ يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ مِثْلُ هَذَا».

وَأَخْرَجَ أَيْضًا (ج٦/صـ: ٤٩) عَنِ الشَّعْبِيِّ نَحْوَهُ، وَزَادَ: فَأَسْرَجَهُ، وَأَلْجَمَهُ، ثُمَّ رَكِبَهُ فَأَجْرَاهُ، فَلَحِقَ بِأَصْحَابِهِ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: مَا شَأْنِي! إِنَّ اللهَ بَعَثَ لِي حِمَارِي.

قَالَ الشَّعْبِيُّ: فَأَنَا رَأَيْتُ الْحِمَارَ يُبَاعُ بِالْكُنَاسَةِ مَوْضِعٍ مَشْهُورٍ بِالْكُوفَةِ، فَقِيلَ لَهُ: تَبِيعَ حِمَارًا أَحْيَاهُ اللهُ لَكَ! قَالَ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ رَهْطِهِ ثَلَاثَةَ أَبْيَاتٍ، فَحَفِظْتُ هَذَا الْبَيْتَ:

وَمَنَّا الَّذِي أَحْيَا الْإِلَهُ حِمَارَهُ ... وَقَدْ مَاتَ مِنْهُ كُلُّ عُضْوٍ وَمَفْصِلِ

وَلَيْسَ الْحِمَارُ بِمَعْدُومِ الْحُرْمَةِ وَالْكَرَامَةِ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢١١٦) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: **«لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ»**.

فَيَحْرُمُ الْوَسْمُ (الْكَيُّ) فِي الْوَجْهِ فِي حَقِّ الْحِمَارِ، فَفِي حَقِّ الْآدَمِيِّ مِن بَابِ أَوْلَى.

وَقَدْ ضَرَبَ اللهُ بِالْحِمَارِ مَثَلًا لِّمَنْ حُمِّلَ الْعِلْمَ وَلَمْ يَفْهَمْهُ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾، وَهُمُ الْيَهُودُ، ﴿ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾، أَيْ: لَمْ يَفْهَمُوهَا، وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهَا، ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾، وَالْأَسْفَارُ: جَمْعُ سِفْرٍ، وَهُوَ: الْكِتَابُ.

فَالْحِمَارُ لَا يَنتَفِعُ بِالْكُتُبِ الَّتِي يَحْمِلُهَا، وَلَا يَدْرِي مَا فِيهَا، وَقَدْ قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

وَمِنَ الْعَجَائِبِ وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ ... قُرْبُ الشِّفَاءِ وَمَا إِلَيْهِ وُصُولُ

كَالْعِيسِ فِي الْبَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَا ... وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ

وَقِيلَ أَيْضًا:

زَوَامِلُ لِلْأَسْفَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ ... بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْبَعِيرُ إِذَا غَدَا ... بِأَحْمَالِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الْغَرَائِرِ

وَقَالَ الْخُشَنِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَطَعْتُ بِلَادَ اللَّهِ لِلْعِلْمِ طَالِبًا ... فَحَمَلْتُ أَسْفَارًا فَصِرْتُ حِمَارَهَا
إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ حَتْفًا بِنَمْلَةٍ ... أَتَاحَ جَنَاحَيْنِ لَهَا فَأَطَارَهَا

وَقَالَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

انْعِقْ بِمَا شِئْتَ تَجِدْ أَنْصَارَا ... وَرَمِّ أَسْفَارًا تَجِدْ حِمَارَا
يَحْمِلُ مَا وَضَعْتَ مِنْ أَسْفَارِ ... مَثَلُهُ كَمَثَلِ الْحِمَارِ

﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة: ٥]؛ فَهُمْ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْحِمَارِ؛ لِأَنَّ الْحِمَارَ لَا فَهْمَ لَهُ، بَلْ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْبَلَادَةِ، وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ فُهُومٌ لَمْ يَسْتَعْمِلُوهَا، فَشَرٌّ مِّنَ الْحِمَارِ وَسَائِرِ الدَّوَابِّ مَن جَانَبَ طَاعَةَ اللهِ وَرِضَاهُ وَأَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣-٤٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ. فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَرَكِبَ حِمَارًا، فَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ، فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِلَيْكَ عَنِّي،

وَاللَّهِ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ لَحِمَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ، فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِّنْ قَوْمِهِ، فَشَتَمَهُ، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالأَيْدِي، وَالنِّعَالِ، فَبَلَغَنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].(١)

فَأَقَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الأَنصَارِيَّ فِيمَا قَالَهُ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ، وَلَمْ يُنكِرْهُ عَلَيْهِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ فِي مَوْضِعِهِ.

وَكَانَ خُرُوجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ؛ لِيَدْعُوَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَرْجُو أَن يُّسْلِمَ مَن وَّرَاءَهُ بِإِسْلَامِهِ؛ لِرِئَاسَتِهِ فِي قَوْمِهِ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَزَمُوا أَن يُّتَوِّجُوهُ مَلِكًا عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ نِفَاقًا مَعَ طَائِفَةٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَكَانَ كَبِيرَ الْمُنَافِقِينَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَهَكَذَا كُلُّ مَن شَابَهَ الْيَهُودَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا ذُمَّ بِهِ الْيَهُودُ، يَكُونُ عَلَيْهِ مِنَ الذَّمِّ بِقَدْرِ مُشَابَهَتِهِ، وَإِن كَانَ شَيْئًا يَّسِيرًا قَدْ لَا يُؤْبَهُ لَهُ.

لَمَّا وَلِيَ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ – عَلَى إِمَامَتِهِ وَجَلَالَتِهِ– الْقَضَاءَ أَوْ عَلَى الصَّدَقَاتِ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ يَسْتَمِدُّهُ بِرِجَالٍ مِّنَ الْقُرَّاءِ؛ يُعِينُونَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَهُوَ إِمَامُ أَهْلِ زَمَانِهِ:

يَـــا جَاعِـــلَ الْعِلْـــمِ لَـــهُ بَازِيًّـــا ... يَصْـــطَادُ أَمْـــوَالَ الْمَسَـــاكِينِ

احْتَلْـــتَ لِلـــدُّنْيَا وَلَـــذَّاتِهَا ... بِحِيلَـــةٍ تَـــذْهَبُ بِالـــدِّينِ

وَصِرْتَ مَجْنُونًـــا بِهَـــا بَعْـــدَمَا ... كُنْـــتَ دَوَاءً لِلْمَجَـــانِينِ

أَيْـــنَ رِوَايَاتُـــكَ فِـــيمَا مَـــضَى ... عَـــنِ ابْـــنِ عَـــوْنٍ وَابْـــنِ سِـــيرِينِ

وَدَرْسُـــكَ الْعِلْـــمَ بِآثَـــارِهِ ... فِي تَـــرْكِ أَبْـــوَابِ السَّـــلَاطِينِ

(١) البخاري (رقم: ٢٦٩١)، ومسلم (رقم: ١٧٩٩).

تَقُـــولُ أُكْرِهْـــتُ فَـــمَا حِيلَتِـــي زَلَّ حِمَـــارُ الْعِلْـــمِ! فِي الطِّـــينِ

فَلَمَّا وَقَفَ ابْنُ عُلَيَّةَ عَلَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ جَعَلَ يَبْكِي، وَقَامَ مِن مَّجْلِسِ الْقَضَاءِ، وَوَطِئَ بِسَاطَ هَارُونَ الرَّشِيدِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ارْحَمْ شَيْبَتِي، أَنقِذْنِي أَنقَذَكَ اللهُ، فَأَعْفَاهُ مِنَ الْقَضَاءِ.(١)

وَقَدْ سَمَّى أَهْلُ الْعِلْمِ بَعْضَ طَوَائِفِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ؛ لِفَرْطِ جَهْلِهِمْ وَضَلَالِهِمْ - وَهُمُ الرَّافِضَةُ - سَمَّوْهُمْ حَمِيرًا!، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ فِيهِمْ: **«لَوْ كَانُوا مِنَ الطَّيْرِ لَكَانُوا رَخَمًا، وَلَوْ كَانُوا مِنَ الْبَهَائِمِ لَكَانُوا حُمُرًا»**.(٢)

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرَّافِضَةَ أُمَّةٌ لَيْسَ لَهَا عَقْلٌ صَرِيحٌ؛ وَلَا نَقْلٌ صَحِيحٌ وَلَا دِينٌ مَقْبُولٌ؛ وَلَا دُنْيَا مَنْصُورَةٌ، بَلْ هُمْ مِنْ أَعْظَمِ الطَّوَائِفِ كَذِبًا وَّجَهْلًا، وَدِينُهُمْ يُدْخِلُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كُلَّ زِنْدِيقٍ وَمُرْتَدٍّ، كَمَا دَخَلَ فِيهِمْ النُّصَيْرِيَّةُ؛ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةُ وَغَيْرُهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَعْمِدُونَ إلَى خِيَارِ الْأُمَّةِ يُعَادُونَهُمْ، وَإِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ يُوَالُونَهُمْ، وَيَعْمِدُونَ إلَى الصِّدْقِ الظَّاهِرِ الْمُتَوَاتِرِ يَدْفَعُونَهُ، وَإِلَى الْكَذِبِ الْمُخْتَلَقِ الَّذِي يُعْلَمُ فَسَادُهُ يُقِيمُونَهُ؛ فَهُمْ كَمَا قَالَ فِيهِمْ الشَّعْبِيُّ: ...، فَذَكَرَهُ.(٣)

وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي "الثِّقَاتِ"(ج٦/صـ: ١٤٠) عَن جَرِيرِ بْنِ يَزِيْدَ بْنِ هَارُون، أَنَّهُ قَالَ بَيْنَ يَدي أَبِيه: بَعَثَنِي أَبِي إِلَى جَعْفَر بن سُلَيْمَان الضُّبَعِيِّ، فَقُلْتُ لَهُ: بَلَغَنَا أَنَّكَ تَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، قَالَ: أَمَّا السَّبُّ فَلَا، وَلَكِن الْبُغْضُ مَا شِئْتَ!.

---

(١) والقصة ثابتة، كما بينته في تحقيق "جامع بيان العلم وفضله"(رقم: ١٠٩٨، و١٠٩٩).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في "السنة"(رقم: ١٢٧٤، و١٢٧٦)، والخلال في "السنة"(رقم: ٧٩١)، وابن الأعرابي في "المعجم"(رقم: ٦٤٤)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة"(رقم: ٢٣٩٤، و٢٨٢٣).

قال شيخ الإسلام في "منهاج السنة"(ج١/صـ: ٢٢): وقد ثبت عن الشعبي أنه قال: ...، فذكره.

(٣) "مجموع الفتاوى"(ج٤/صـ: ٤٧١-٤٧٢).

قَالَ: وَإِذا هُوَ رَافِضِيٌّ مِّثْلُ الْحِمَارِ.ا.هـ.

وَقُلْتُ أَنَا فِي مُوَشَّحَةٍ لِّي بِعُنْوَان: "شَحْذِ الْهِمَمِ لِبُلُوغِ الْقِمَمِ":

وَمِـــــن شَرِّ الْبَلِيَّـــــةِ والبَرِيَّـــــهْ ... وَأَكْفَـــــرِهِمْ وَأَخْبَـــــثِهِمْ طَوِيَّـــــةْ

حَمِـــيرُ الـــرَّفْضِ أَوْكَـــارُ الْأَذِيَّـــهْ ... كِـــلَابُ النَّـــارِ هُـــمْ فِيهَـــا جِثِيَّـــا

أَمَّا مَن لَّا يَسْتَحِقُّ هَذَا الْوَصْفَ فَلَا يَجُوزُ أَن يُّقَالَ فِيهِ: حِمَارٌ، قال الله ﷻ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وَضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحِمَارِ مَثَلًا لِّلْمَأْمُومِ الَّذِي يَسْبِقُ إِمَامَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ، أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٩١)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٤٢٧).

وَهَذَا الْوَعِيدُ يَدُلُّ عَلَى حُرْمَةِ هَذَا الْفِعْلِ، وَشُبِّهَ هَذَا الْمُسَابِقُ بِالْحِمَارِ؛ لِبَلَادَتِهِ، مِن جِهَةِ قِلَّةِ فِقْهِهِ فِي الدِّينِ، وَلِأَنَّهُ لَن يَّخْرُجَ مِنَ الصَّلَاةِ إِلَّا بَعْدَ سَلَامِ الْإِمَامِ، فَلَا دَاعِيَ لِلْمُسَابَقَةِ وَالِاسْتِعْجَالِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **«إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ، فَارْكَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا، فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ»**.(١)

وَبِنَحْوِهِ عَنْ أَنَسٍ وَّعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا.(٢)

---

(١) البخاري (رقم: ٧٢٢، و٧٣٤)، ومسلم (رقم: ٤١٤).

(٢) حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه البخاري (رقم: ٣٧٨، و٦٨٩، و٧٣٢، و٧٣٣، و٨٠٥، و١١١٤)، ومسلم (رقم: ٤١١).

وحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رواه البخاري (رقم: ٦٨٨، و١٢٣٦، و ٥٦٥٨)، ومسلم (رقم: ٤١٢).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي "الفتح"(ج٢/صـ: ١٨٤): لَطِيفَةٌ: قَالَ صَاحِبُ "الْقَبَسِ": لَيْسَ لِلتَّقَدُّمِ قَبْلَ الْإِمَامِ سَبَبٌ إِلَّا طَلَبُ الِاسْتِعْجَالِ، وَدَوَاؤُهُ أَن يَّسْتَحْضِرَ أَنَّهُ لَا يُسَلِّمُ قَبْلَ الْإِمَامِ، فَلَا يَسْتَعْجِلُ فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ، وَاللَّهُ أعلم.ا.هـ.

وَضَرَبَ اللهُ ﷻ بِالْحِمَارِ مَثَلًا لِّمَنْ أَعْرَضَ عَنِ التَّذْكِرَةِ وَأَدْبَرَ عَنِ التَّبْصِرَةِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٩]، أَيْ: عَنِ الِاتِّعَاظِ وَالتَّذَكُّرِ، ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر: ٥٠]، أَيْ: حَمِيرُ وَحْشٍ نَّافِرَةٌ، وَالْحِمَارُ يُجْمَعُ عَلَى حَمِيرٍ وَحُمُرٍ وأَحْمِرَةٍ، ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾[المدثر: ٥١]، أَيْ: مِنْ أَسَدٍ، فَالْقَسْوَرَةُ: الْأَسَدُ، وَقِيلَ: الرَّامِي، وَهَذَا مِنْ أَبْلَغِ التَّشْبِيهِ وَأَحْسَنِهِ، وَهُوَ حَالُ كَثِيرٍ مِّنَ النَّاسِ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْهُدَى وَالْخَيْرِ.

وَضُرِبَ بِجِيفَةِ الْحِمَارِ الْمَثَلُ فِي غَفْلَةِ الْغَافِلِينَ وَحَسْرَتِهِمْ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَّا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٩٠٥٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٨٥٥).

وَزَادَ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ (رقم: ١٠٦٨٠، و١٠٨٢٥): **«حَسْرَةً يَّوْمَ الْقِيَامَةِ»**.(١)

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَيُضْرَبُ أَيْضًا بِالْحِمَارِ الْمَثَلُ فِي الصَّبْرِ، فَهُوَ مِنْ أَصْبَرِ الْحَيَوَانَاتِ؛ وَلِهَذَا كَنَّاهُ الْعَرَبُ: (أَبَا صَابِرٍ)، وَيُكَنَّى أَيْضًا: (أَبَا زِيَادٍ).

---

(١) وصححه: الحاكم (رقم: ١٨٠٨، و١٨٠٩)، وقال: «على شرط مسلم».
وصححه أيضًا: الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٧٧)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٣٢٨).

ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ السُّرْمَارِيِّ (ت٢٤٢هـ) مِن "تَارِيخِ الْإِسْلَامِ"(ج١٨/صـ: ٣٤)، أَنَّهُ قَال: يَنبَغِي لِقَائِدِ الْغُزَاةِ عَشْرُ خِصَالٍ: أَن يَّكُونَ فِي قَلْبِ الْأَسَدِ لَا يَجْبُنُ، وَفِي كِبْرِ النَّمِرِ لَا يَتَوَاضَعُ، وَفِي شَجَاعَةِ الدُّبِّ يَقْتُلُ بِجَوَارِحِهِ كُلِّهَا، وَفِي حَمْلَةِ الْخِنزِيرِ لَا يُوَلِّي دُبُرَهُ، وَفِي إِغَارَةِ الذِّئْبِ إِذَا أَيِسَ مِن وَّجْهِ أَغَارَ مِن وَّجْهٍ؛ وَفِي حَمْلِ السِّلَاحِ كَالنَّمْلَةِ تَحْمِلُ أَكْثَرَ مِن وَّزْنِهَا، وَفِي الثَّبَاتِ كَالصَّخْرِ، وَفِي الصَّبْرِ كَالْحِمَارِ، وَفِي وَقَاحَةِ الْكَلْبِ؛ لَوْ دَخَلَ صَيْدُهُ النَّارَ لَدَخَلَ خَلْفَهُ، وَفِي الْتِمَاسِ الْفُرْصَةِ كَالدِّيكِ.ا.هـ.

وَقَالَ الدَّمِيرِيُّ فِي "حَيَاةِ الْحَيَوَانِ الْكُبْرَى"(ج١/صـ: ٣٣٩): وَيُوَصَفُ – يَعْنِي الْحِمَارَ – بِالْهِدَايَةِ إِلَى سُلُوكِ الطُّرُقَاتِ الَّتِي مَشَى فِيهَا، وَلَوْ مَرَّةً وَّاحِدَةً، وَبِحِدَّةِ السَّمْعِ وَلِلنَّاسِ فِي مَدْحِهِ وَذَمِّهِ أَقْوَالٌ مُّتَبَايِنَةٌ، بِحَسَبِ الْأَغْرَاضِ.

وَقَالَ: وَيُقَالُ لِلْحِمَارَةِ: أُمُّ مَحْمُودٍ، وَأُمُّ تَوْلَبٍ، وَأُمُّ جَحْشٍ، وَأُمُّ نَافِعٍ، وَأُمُّ وَهْبٍ، وَلَيْسَ فِي الْحَيَوَانِ مَا يَنزُو عَلَى غَيْرِ جِنسِهِ وَيُلْقِحُ إِلَّا الْحِمَارَ وَالْفَرَسَ.ا.هـ.

أَيْ: أَنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْهُمَا الْبَغْلُ، وَقَدْ رَوَى مُّوسَى بْنُ سَالِمٍ أَبُو جَهْضَمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **«وَمَا اخْتَصَّنَا دُونَ النَّاسِ بِشَيْءٍ إِلَّا بِثَلَاثِ خِصَالٍ، أَمَرَنَا أَن نُّسْبِغَ الْوُضُوءَ، وَأَن لَّا نَأْكُلَ الصَّدَقَةَ، وَأَن لَّا نُنْزِيَ الْحِمَارَ عَلَى الْفَرَسِ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ.(١)

زَادَ أَحْمَدُ: قَالَ مُوسَى: فَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنٍ، فَقُلْتُ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: «إِنَّ الْخَيْلَ كَانَتْ فِي بَنِي هَاشِمٍ قَلِيلَةً، فَأَحَبَّ أَنْ تَكْثُرَ فِيهِمْ».

وَظَاهِرُهُ أَنَّ الْأَمْرَ أَمْرُ إِيجَابٍ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ فِيهِ اخْتِصَاصٌ؛ لِأَنَّ إِسْبَاغَ الْوُضُوءِ مَنْدُوبٌ لِغَيْرِ بَنِي هَاشِمٍ وَّبَنِي الْمُطَّلِبِ، وَإِنْزَاءُ الْحِمَارِ عَلَى الْفَرَسِ مَكْرُوهٌ مُّطْلَقًا؛ لِحَدِيثِ

(١) "المسند"(رقم: ١٩٧٧، و٢٢٣٨)، و"سنن أبي داود"(رقم: ٨٠٨)، و"سنن الترمذي" (رقم: ١٧٠١)، و"سنن النسائي"(رقم: ١٤١، و٣٥٨١)، و"سنن ابن ماجه"(رقم: ٤٢٦).
قال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه أيضًا: ابن خزيمة (رقم: ١٧٥)، والألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ٧٦٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٥٩٤).

عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَغْلَةٌ، فَرَكِبَهَا، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ حَمَلْنَا الْحُمِيرَ عَلَى الْخَيْلِ، فَكَانَتْ لَنَا مِثْلُ هَذِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٧٨٥، و١٣٥٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٢٥٦٥)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٣٥٨٠).(١)

وَسَبَبُ الْكَرَاهَةِ: أَنَّ الْبَغْلَ عَقِيمٌ، لَا يُولَدُ لَهُ، وَلَا يَصْلُحُ لِلرَّكْضِ وَالْكَرِّ وَالْفَرِّ فِي الْجِهَادِ، ولَا يَحِلُّ أَكْلُهُ، بِخِلَافِ الْخَيْلِ، الَّتِي إِن كَثُرَ نَسْلُهَا؛ كَثُرَ الِانتِفَاعُ بِهَا.(٢)

قَالَ الدَّمِيرِيُّ: وَقَدْ عُدَّ مِن مَّسَاوِئِ الْآدَابِ، أَن يَّجْرِيَ ذِكْرُ الْحِمَارِ فِي مَجْلِسِ قَوْمٍ ذَوِيْ مُرُوءَةٍ، وَمِنَ الْعَرَبِ مَن لَّا يَرْكَبُ الْحِمَارَ اسْتِنكَافًا، وَإِن بَلَغَتْ بِهِ الرِّحْلَةُ الْجَهْدَ.ا.هـ.

قُلْتُ: وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ، فَكَيْفَ يُعَدَّ ذِكْرُهُ مِن مَّسَاوِئِ الْآدَابِ، وقَدْ ذَكَرَهُ اللهُ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِّن كِتَابِهِ، وَذَكَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي أَحَادِيثَ كَثِيْرَةٍ.

وَأَمَّا الِاسْتِنكَافُ عَن رُّكُوبِ الْحِمَارِ فَمِنَ الْكِبْرِ، وَهُوَ مُخَالِفٌ لِّهَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ كَانَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَهُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَيُذْكَرُ هَذَا مِن تَوَاضُعِهِ، فَعَن مُّعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٨٥٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٣٠).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: **«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيَلْبَسُ الصُّوفَ، وَيَعْتَقِلُ الشَّاةَ، وَيَأْتِي مُرَاعَاةَ الضَّيْفِ»**. رَوَاهُ الْحَاكِمُ (رقم: ٢٠٤، و٢٠٥).(٣)

---

(١) وصححه: ابن حبان (رقم: ٤٦٨٢)، والضياء في "المختارة"(ج٢/صـ: ٢١٠)(رقم: ٥٩٣)، والألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ٢٣١١)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٣٢٨).

(٢) راجع: "قوت المغتذي"(ج١/صـ: ٤٣٢)، و"مرقاة المفاتيح"(ج٦/صـ: ٢٥٠٨)، و"نيل الأوطار"(ج٨/صـ:١٠٣)، و"عون المعبود"(ج٣/صـ:١٨)، و"تحفة الأحوذي"(ج٥/صـ:٢٨٩).

(٣) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وتابعهما الألباني في "الصحيحة"(ج٥/صـ: ١٥٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٨١٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا اسْتَكْبَرَ مَنْ أَكَلَ مَعَهُ خَادِمُهُ، وَرَكِبَ الْحِمَارَ بِالْأَسْوَاقِ، وَاعْتَقَلَ الشَّاةَ، فَحَلَبَهَا**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ"(رقم: ٥٥٠).(١)

وَيُقَاسُ عَلَى الْحِمَارِ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ: الدَّرَّاجَاتُ النَّارِيَّةُ (الْمُوتُورَاتُ)، وَالدَّرَّاجَاتُ الْهَوَائِيَّةُ، فَلَيْسَ رُكُوبُهَا مِنْ خَوَارِمِ الْمُرُوءَةِ.

وَأَسْوَأُ مِنَ الِاسْتِنْكَافِ عَنْ رُكُوبِ الْحِمَارِ: قَوْلُ بَعْضِهِمْ إِذَا أُمِرَ بِالصَّلَاةِ:

يُصَلِّي مَنْ لَهُ فَرَسٌ وَبَغْلٌ ... وَمَنْ رَكِبَ الْحِمَارَ فَلَا يُصَلِّي!

وَهَذِهِ مَقُولَةٌ خَطِيرَةٌ، قَدْ تَكُونُ كُفْرًا، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

وَقَدِ اسْتَغْنَى أَكْثَرُ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ عَنْ خَدَمَاتِ الْحَمِيرِ، وَغَابَ حُضُورُهَا عَنِ الْمُدُنِ، وَصَارَ مَحْصُورًا عَلَى الْقُرَى أَوْ بَعْضِهَا.

وَبِئْسَ الْحِمَارُ حِمَارُ آخِرِ الزَّمَانِ، الَّذِي يُقِلُّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَرَوَى أَحْمَدُ (رقم: ١٤٩٥٤) عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنَ الدِّينِ، وَإِدْبَارٍ مِنَ الْعِلْمِ ...**»، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: «**وَلَهُ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ، عَرْضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا!**».

وَمِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْحِمَارِ: أَنَّهُ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ الْحِمَارُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ**». قُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَحْمَرِ مِنَ

---

(١) وصححه الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٢٢١٨)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٤١٢).

الْكَلْبِ الْأَصْفَرِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ: «**الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا (رقم: ٥١٠).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ خُزَيْمَةَ (رقم: ٨٣١) – وَعَنْهُ ابْنُ حِبَّانَ (رقم: ٢٣٩١) -: «**تُعَادُ الصَّلَاةُ مِن مَمَرِّ الْحِمَارِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالْكَلْبِ الْأَسْوَدِ**».

فَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ: الْحِمَارَ، وَالْمَرْأَةَ، وَالْكَلْبَ الْأَسْوَدَ تَقْطَعُ الصَّلَاةَ إِذَا مَرَّتْ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي الذي لَا يُصَلِّي إِلَى سُتْرَةٍ، أَوْ مَرَّتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّتْرَةِ، وَأَنَّ قَدْرَ السُّتْرَةِ الْمُجْزِئَ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، وَهُوَ: الْعُودُ الَّذِي يَكُونُ خَلْفَ رَاكِبِ الْبَعِيرِ، وَهُوَ نَحْوُ ثُلُثَيْ ذِرَاعٍ، وَتَحْصُلُ بِأَيِّ شَيْءٍ أَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَعَنْ طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا وَضَعَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلَ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُبَالِ مَن مَرَّ وَرَاءَ ذَلِكَ**». (رقم: ٤٩٩).

وَلَهُ (رقم: ٥٠٠) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ سُتْرَةِ الْمُصَلِّي؟ فَقَالَ: «**مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ**».

وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كَانَتْ تُرْكَزُ لَهُ عَنَزَةٌ، فَيُصَلِّي إِلَيْهَا، يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ [وَالْكَلْبُ]، لَا يُمْنَعُونَ.(١)

وَقَدْ ذَكَرَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ حَدِيثَ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرِوَايَةِ ابْنِ خُزَيْمَةَ فِي "الصَّحِيحَةِ"(رقم: ٣٣٢٣)، وَقَالَ: وَإِنَّمَا خَرَّجْتُ حَدِيثَ التَّرْجَمَةِ؛ لِتَصْرِيحِهِ بِالْإِعَادَةِ الْمُفَسِّرِ لِلَفْظِ: «**يَقْطَعُ**»، وَقَدْ قَالَ بِهِ طَائِفَةٌ مِّنَ السَّلَفِ.ا.هـ.

وَصَحَّ هَذَا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأَبِي الأَحْوَصِ وَمَكْحُولٍ، وَالْحَسَنِ، وَعِكْرِمَةَ، رَوَاهَا ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ (رقم: ٢٩١٦، و٢٩١٧، و٢٩١٨، و٢٩٢٠، و٢٩٢١)، وَهُوَ قَوْلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنبَلٍ فِي أَشْهَرِ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ،(٢) وَهُوَ مَذْهَبُ الظَّاهِرِيَّةِ، وَاخْتَارَهُ أَبُو

---

(١) البخاري (رقم: ٤٩٥، و٤٩٩، و٣٥٦٦)، ومسلم (رقم: ٥٠٣)، وما بين المعكوفين.

(٢) والرواية الأخرى عنه: أن الكلب الأسود هو الذي يقطع الصلاة، دون المرأة والحمار.

الْبَرَكَاتِ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ تَيْمِيَّةَ، وَحَفِيدُهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ، وَكَذَا ابْنُ الْقَيِّمِ، وَالْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ آل الشَّيْخِ، وَابْنُ بَازٍ، وَابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.(١)

فَأَمَّا الْمَأْمُومُ فَلَا يَضُرُّهُ مَنْ مَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ نَقَلَ الْحَافِظُ فِي "الْفَتْحِ"(ج١/صـ: ٥٧٢) عَدَمَ الخِلَافِ فِيهِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الِاحْتِلَامَ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ بِمِنًى، فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيِ الصَّفِّ، فَنَزَلْتُ، فَأَرْسَلْتُ الْأَتَانَ تَرْتَعُ، وَدَخَلْتُ فِي الصَّفِّ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيَّ أَحَدٌ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

وَقَدْ بَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: (بَابُ سُتْرَةُ الإِمَامِ سُتْرَةُ مَنْ خَلْفَهُ)، وَنَقَلَ ابْنُ عَبْدُ الْبَرِّ فِي "التَّمْهِيدِ"(ج٤/صـ: ١٨٧-١٨٨)، وَ"الِاسْتِذْكَارِ" (ج٢/صـ: ٢٧٤)، وَابْنُ حَزْمٍ فِي "الْمُحَلَّى"(ج٢/صـ: ٣٢٥) الْإِجْمَاعَ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الْمُغْنِي"(ج٢/صـ: ١٧٥): وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ: سُتْرَةُ الْإِمَامِ سُتْرَةٌ لِمَنْ خَلْفَهُ: أَنَّهُ مَتَى لَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْإِمَامِ وَسُتْرَتِهِ شَيْءٌ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ، فَصَلَاةُ الْمَأْمُومِينَ صَحِيحَةٌ، لَا يَضُرُّهَا مُرُورُ شَيْءٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فِي بَعْضِ الصَّفِّ، وَلَا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِمَامِ، وَإِنْ مَرَّ مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ بَيْنَ الْإِمَامِ وَسُتْرَتِهِ قَطَعَ صَلَاتَهُ وَصَلَاتَهُمْ.ا.هـ.

---

(١) راجع: "مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه"(ج٢/صـ: ٦٤٢-٦٤٣)(رقم: ٢٩١)، و"المحلى"(ج٢/صـ: ٣٢٠-٣٣٠)، و"مختصر الفتاوى المصرية"(صـ: ٦٥)، و"زاد المعاد"(ج١/صـ: ٢٩٦)، و"فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ"(ج١/صـ: ٢٣٠-٢٣١)، و"مجموع فتاوى ابن باز"(ج١١/صـ: ٩٠-٩٤، وصـ: ١٠٤، وج١٢/صـ: ٤٠٩، وج٢٤/صـ: ٢١-٢٢، وج٢٥/صـ: ١٥٣، وج٢٩/صـ: ٣١٩، وصـ: ٣٢٩-٣٣١)، "ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين"(ج١٣/صـ: ٣١٨-٣٢٢)، "وفتاوى اللجنة الدائمة" (م.١) (ج٧/ صـ: ٨٢).

(٢) البخاري (رقم: ٧٦، و٤٩٣، و٨٦١، و١٨٥٧، و٤٤١٢)، ومسلم (رقم: ٥٠٤).

وَقَدْ ضُرِبَ بِصَوتِ الْحِمَارِ الْمَثَلُ فِي الْقُبْحِ وَالنَّكَارَةِ، فَقَالَ ﷻ حَاكِيًا عَن لُّقْمَانَ الْحَكِيمِ وَهُوَ يَعِظُ ابْنَهُ وَيُوصِيهِ بِوَصَايَا خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾، أَيِ: اخْفِضْ مِنْهُ، وَلَا تَرْفَعْهُ، ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ﴾، أَيْ: أَقْبَحَهَا ﴿لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾.

فَمَن رَّفَعَ صَوْتَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَقَد تَّشَبَّهَ بِالْحَمِيرِ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهَذَا التَّشْبِيهُ بِالْحَمِيرِ يَقْتَضِي تَحْرِيمَهُ وَذَمَّهُ غَايَةَ الذَّمِّ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ»**.(١) ا.هـ.

قَالَ قَتَادَةُ: «أَقْبَحُ الْأَصْوَاتِ صَوْتُ الْحَمِيرِ، أَوَّلُهُ زَفِيرٌ، وَآخِرُهُ شَهِيقٌ».(٢)

أَيْ: بِخِلَافِ بَقِيَّةِ الْأَصْوَاتِ؛ فَإِنَّ أَوَّلَهَا شَهِيقٌ، وَآخِرَهَا زَفِيرٌ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يَخْلُو صَوْتُ الْحِمَارِ مِن فَائِدَةٍ، فَإِنَّهُ يَرَى شَيْطَانًا، فَيَكُونُ فِي صَوْتِهِ التَّنبِيهُ عَلَى ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا يُشْرَعُ لِمَن سَمِعَ نَهِيقَ الْحِمَارِ أَن يَّسْتَعِيذَ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٣٠٣)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٧٢٩).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، وَنَهِيقَ الْحُمُرِ بِاللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لَا تَرَوْنَ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٤٢٨٣)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٥١٠٣)، وَأَبُو يَعْلَى (رقم: ٢٣٢٧).(٣)

وَوَجْهٌ آخَرُ لِنَكَارَةِ صَوْتِ الْحِمَارِ أَنَّهُ يُؤْذِي سَامِعَهُ، وَإِنَّمَا أَمَرَ اللهُ بِغَضِّ الصَّوْتِ؛ لِأَنَّ رَفْعَهُ أَكْثَرَ مِنَ الْقَدْرِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ يُؤْذِي السَّامِعَ.

---

(١) رواه البخاري (رقم: ٢٦٢٢، و٦٩٧٥) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الطبري (ج١٨/ص: ٥٦٤) بإسناد صحيح.

(٣) وصححه: ابن حبان (رقم: ٥٥١٧)، والحاكم (رقم: ٧٧٦٢) على شرط مسلم، وذكره العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيحة"(رقم: ٣١٨٤).

وَأَمَّا مَا كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ شَرْعِيَّةٌ، فَيُسْتَحَبُّ الْجَهْرُ فِيهِ، وَرَفْعُ الصَّوْتِ بِهِ، كَالْأَذَانِ، فَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ، فِي رُؤْيَا الْأَذَانِ، أَنَّهُ لَمَّا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهُ: **«إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ، فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ؛ فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٦٤٧٧، و١٦٤٧٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٩٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ١٨٩)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٧٠٦).(١)

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (رقم: ٦٠٩، و٣٢٩٦، و٧٥٤٨) من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلاَةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ: **«لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ، جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»**، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ أَعْظَمَ مِن مُجَرَّدِ كَوْنِهِ لَغْوًا مَّجْهُورًا بِهِ، كَالْأَغَانِي الَّتِي تُبَثُّ عَبْرَ مُكَبِّرَاتِ الصَّوْتِ فِي الْأَعْرَاسِ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ أَعْظَمُ نَكَارَةً، وَتَحْرِيمُ هَذِهِ الْأَغَانِي فِي شَرِيعَتِنَا الْمُطَهَّرَةِ مَعْلُومٌ قَطْعًا، مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

شَكَوْنَا إِلَى اللهِ مِنْ مَّعْشَرٍ ... بِهِمْ مَرَضٌ مِن سَمَاعِ الغِنَا
وَكَمْ قُلْتُ يَا قَوْمُ، أَنْتُمْ عَلَى ... شَفَا جُرُفٍ مَابِهِ مِن بِنَا
شَفَا جُرُفٍ تَحْتَهُ هُوَّةٌ ... إِلى دَرَكٍ، كَم بِهِ مِنْ عَنَا
تَكَرَّرَ ذَا النُّصْحُ مِنَّا لَهُمْ ... لِنُعْذِرَ فِيهِمْ إِلَى رَبَّنَا
فَلَمَّا اسْتَهَانُوا بَتَنبِيهِنَا ... رَجَعْنَا إِلى اللهِ فِي أَمْرِنَا

(١) وصححه الترمذي، وابن خزيمة (رقم: ٣٧٠)، وابن حبان (رقم: ١٦٧٩)، والضياء في "المختارة"(ج٩/ص: ٣٧٣)(رقم: ٣٤٤، و٣٤٥، و٣٤٦)، والألباني في "الإرواء"(رقم: ٢٤٦)، و"صحيح أبي داود"(رقم: ٥١٢)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٥٧٥).

فعِشْـــنَا عَـــلَى سُـــنَّةِ المُصْـــطَفَى وَعاشـــوا عَـــلَى دَنـــدَنَا دَنـــدَنَا

فَلَا شَكَّ فِي قُبْحِ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ وَأَنَّهَا أَعْظَمُ قُبْحًا مِنْ أَصْوَاتِ الْحَمِيرِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "إغاثة اللهفان"(ج١/صـ: ٢٢٥-٢٢٦):

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

تُـلِيَ الكتَـابُ، فـأطْرَقُوا، لَا خِيفَـةً لكِنَّـــهُ إِطْـــرَاقُ سْـــاهٍ لَّاهِـــى

وَأَتَـى الْغِنَـاءُ، فَكَالْحَمِيرِ تَنَـاهَقُوا! واللهِ مَـــا رَقَصُـــوا لِأَجْـــلِ اللهِ

دُفٌّ وَّمِزْمَـــارٌ، وَّنَغْمَـــةُ شَـــادِنٍ فَمَتَـــى رَأَيْـــتَ عِبَـــادَةً بِمَلَاهِـــى؟!

ثَقُـــلَ الكِتَـــابُ علـــيهِمُ لَمَّـــا رَأَوْا تَقْبِيْـــدَهُ بـــأَوَامِرٍ وَنَـــوَاهِى

إِلَى أَن قَالَ:

إِنْ لَمْ يَكُـــنْ خَمْـــرَ الجُسُـــوم، فَإِنَّـــهُ خَمْـــرُ الْعُقـــولِ مُمَاثِـــلٌ وَمُضَـــاهِى

فَـــانظُرْ إِلَى النَّشْـــوَانِ عِنْـــدَ شَرَابَـــهِ وَانْظُـــرْ إِلى النَّشْـــوَانِ عِنْـــدَ مَلاهِـــى

وَانظُـــــرْ إِلَى تَمْزِيـــــقِ ذَا أَثْوَابَـــــهُ مِـــن بَعْـــدِ تَمْزِيـــقِ الْفُـــؤَادِ اللَّاهِـــى

وَاحْكُـــمْ فَـــأَيُّ الْخَمْـــرَتَيْنِ أَحَـــقُّ بِالتَّـــ ـــحْرِيم، وَالتَّـــأْثِيم عِنـــدَ اللهِ؟

أَتُحِبُّ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ أَن تَلْقَى اللهَ بِإِثْمِ هَذَا الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ؟!!

أَتُحِبُّ أَن تَلْقَى اللهَ بِأَذَى الْجِيْرَانِ؟ فَإِنَّ فِي مُكَبِّرَاتِ الصَّوْتِ هَذِهِ أَذًى لِّجِيْرَانِكَ، نَاهِيكَ عَنْ إِطْلَاقِ الْأَعْيِرَةِ النَّارِيَّةِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ مِنَ اللَّا مُبَالَاةِ، حَتَّى أَوْقَاتٍ مُّتَأَخِّرَةٍ مِّنَ اللَّيْلِ، فَيُزْعَجُ الْيَقْظَانُ، وَيُوْقَظُ النَّائِمُ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥١٨٥)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٤٧) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

إِنَّ هَذَا الْأَذَى مَمْنُوعٌ فِي دُوَلِ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ، فَنَحْنُ الْمُسْلِمِينَ أَوْلَى أَن نَّبْتَعِدَ عَمَّا يُلْحِقُ الْأَذَى بِبَعْضِنَا.

أَتُحِبُّ أَن تَلْقَى اللهَ بِإِثْمِ الْمُجَاهَرَةِ بِالْمَعْصِيَةِ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٠٦٩)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٩٩٠).

أَتُحِبُّ أَن تَلْقَى اللهَ ﷻ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، بِالْكَلِمَاتِ الشِّرْكِيَّةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُهَا كَلِمَاتُ بَعْضِ الْأَغَانِي!.

وَكَلِمَاتُ الْأَغَانِي عُمُومًا إِن سَلِمَتْ مِنَ الشِّرْكِ لَمْ تَسْلَم مِّنَ التُّرَّهَاتِ وَالسَّخَافَاتِ أَوِ الْمُجُونِ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِمُسْلِمٍ.

وَاغُرْبَتَاهُ، أَيْنَ الْغَيْرَةُ عَلَى تَوْحِيدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْمُغَنِّي يُغَنِّي عَبْرَ مُكَبِّرِ الصَّوْتِ وَغَيرِهِ، فَيَقُولُ: يَا سَاعَةَ الزُّهْرَةِ اقْبِلِي، وَقَارِنِي لَا تَغْفُلِي!.

وَيَقُولُ: وَعَوِّذُوهَا بِالنَّبِيِّ!.

وَيَقُولُ: مُحَوَّطَة بِالْأَوْلِيَاءِ!.

وَيَقُولُ: عَلَيْك مِنَ الْحُسَّاد أَلْفَيْن حِجَاب مُعَلَّقَات فَوْق كُلّ طَاقَة وبَاب!.

إِنَّ الشِّرْكَ باللهِ أَعْظَمُ الذَّنبِ، فَأَيْنَ الْغَيْرَةُ عَلَى مَحَارِمِ اللهِ.

لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِن كَمَدٍ إِن كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَّإِيمَانُ

الْبَرَكَةُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لَيْسَتْ فِي الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي تَقْوَى اللهِ وَطَاعَتِهِ، فَبِذَلِكَ يُبَارَكُ لِلْعَبْدِ، وَيُحْفَظُ مِن شَرِّ الشَّيَاطِينِ وَالْعَائِنِيْنَ وَالْحَسَدَةِ وَالسَّحَرَةِ، لَا بِالْغَفْلَةِ وَالْمَعْصِيَةِ.

فَلَا يَأْمَنُ مَنْ آثَرَ الْعِصْيَانَ عَلَى الطَّاعَةِ أَن تُسَلَّطَ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ أَوْ يُسَلَّطَ عَلَيْهِ السَّحَرَةُ، فَيُصْبِحَ بَعْدَ هَذَا الضَّجِيجِ وَالْعَجِيجِ قَدْ رُبِطَ عَنْ أَهْلِهِ!.

وَتَفَادِيًا لِّهَذَا الْأَمْرِ يَقَعُ بَعْضُ النَّاسِ فِي الشِّرْكِ الصُّرَاحِ، يَذْهَبُ إِلَى السَّحَرَةِ وَالْمُشَعْوِذِينَ، وَرُبَّمَا اشْتَرَى الْحِرْزَ الْكُفْرِيَّ الشِّرْكِيَّ مِنْهُ بِمِائَةِ أَلْفِ رِيَالٍ، وَالسَّاحِرُ حَقُّهُ أَن يُّتَبَرَّأَ مِنْهُ، وَتُضْرَبَ عُنُقُهُ، لَا أَن يُّذْهَبَ إِلَيْهِ وَيُعْتَقَدَ فِيهِ، فَالْوَيْلُ لِمَن يَبِيعُ دِينَهُ بِالتُّرَّهَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ.

وَبَعْضُ هَذَا الصِّنفِ يَرْبِطُ عَلَى فَخِذِهِ عَظْمَ خِنزِيرٍ؛ اعْتِمَادًا عَلَى وَصْفَةِ السَّاحِرِ!، وَهَذَا مُحَرَّمٌ عَظِيمُ الْحُرْمَةِ، وَلَيْسَ فِي بِلَادِنَا بِحَمْدِ اللهِ ﷻ خَنَازِيرُ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ يَطْلُبُونَ

عَظْمَ الْخِنزِيرِ مِن بِلَادِ الْكُفْرِ، يَأْتِيهِم بِهِ مَن يَّذْهَبُ إِلَى تِلْكَ الْبُلْدَانِ، مِمَّن يَّذْهَبُ إِلَيْهَا؛ لِلتِّجَارَةِ أَوْ فِي رَحَلَاتٍ عِلَاجِيَّةٍ، أَوْ مُبْتَعَثًا لِّلدِّرَاسَةِ، أَوْ يَطْلُبُونَهَا مِن شَرَكَاتٍ أَجْنَبِيَّةٍ عَامِلَةٍ فِي بِلَادِنَا، عُمَّالُهَا مِنَ الْكُفَّارِ، وَهَذَا واللهِ حَاصِلٌ، لَيْسَ بِحَدِيثِ خُرَافَةٍ، وَلَا بِالْأَغَالِيطِ، فَيَزْدَادُ هَذَا الْعَاصِي ذِلَّةً، وَيَزْدَادُ الطِّينُ بِلَّةً، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وَقَدْ ضُرِبَ بِتَسَافُدِ الْحُمُرِ وتَهَارُجِهَا الْمَثَلُ فِي مُنتَهَى الْمُجَاهَرَةِ بِالْفَاحِشَةِ، فَفِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي ذِكْرِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ، وَقَتْلِهِ الدَّجَّالَ وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، ثُمَّ هَلَاكِهِمْ، وَعَوْدِ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٩٣٧).

وَقَوْلُهُ: **«يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ»**، أَيْ: يُجَامِعُ الرِّجَالُ النِّسَاءَ عَلَانِيَةً بِحَضْرَةِ النَّاسِ، كَمَا يَفْعَلُ الْحَمِيرِ، وَلَا يُبَالُونَ بِذَلِكَ، وَلَا يَسْتَحْيِي بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ، وَهَذَا مُنتَهَى الدَّعَارَةِ وَالْفَاحِشَةِ وَالْإِبَاحِيَّةِ!، وَقَدْ يَكُونُ الدُّعَاةُ إِلَى الْإِبَاحِيَّةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَسْلَافًا لِّشِرَارِ النَّاسِ الَّذِينَ تَقُومُ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ، فَإِنَّ تَوْثِيقَ الزِّنَا وَاللِّوَاطِ بِالصَّوْتِ وَالصُّورَةِ فِيهِ فَتْحٌ لِّبَابِ الدَّعَارَةِ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ، وَلَهُ مِنَ التَّأْثِيرِ عَلَى نُفُوسِ مَن يُّطْلِقُ نَظَرَهُ فِي تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الَّتِي تُغْضِبُ اللهَ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ – كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى"(ج٢٨/ص: ١٤٩-١٥٠) –: فَكَمْ مِمَّن لَّمْ يُرِدْ خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّى رَأَى غَيْرَهُ – لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ نَظِيرُهُ – يَفْعَلُهُ فَفَعَلَهُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ كَأَسْرَابِ الْقَطَا؛ مَجْبُولُونَ عَلَى تَشَبُّهِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ.ا.هـ.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[آل عمران: ٨].

الخنزير، مواعظ وأحكام

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الجاثية: ٤].

وَمِن دَوَابِّ الْأَرْضِ وَأُمِمِهَا: (الْخِنزِيرُ)، وَلَنَا وَقَفَاتٌ بِمَشِيْئَةِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْقَصِيرِ وَالْوَقْتِ الْيَسِيرِ مَعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْخِنزِيرِ مِن وَّعْظٍ مُّثِيرٍ لَّيْسَ بِالنَّزِيرِ، وَفِقْهٍ مِّن بَحْرِ عِلْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ غَزِيرٍ، فَأَقُولُ مُسْتَعِينًا بِالْمَوْلَى الْقَدِيرِ:

لَقَدِ اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ قُبْحُ الْخِنزِيرِ، وَخُبْثُهُ، وَحُرْمَةُ لَحْمِهِ، وَهَذَا مِمَّا عُلِمَ مِن دِينِ الْإِسْلَامِ بِالِاضْطِرَارِ، وَقَد دَّلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ.

قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة: ١٧٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [النحل: ١١٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وَلَا يَخْتَلِفُ الْمُسْلِمُونَ فِي أَنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ أَشْيَاءَ لَمْ تُذْكَرْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.(١)

وَأَمَّا مِنَ السُّنَّةِ فَحَدِيثُ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: **«إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٢٣٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٥٨١).

وَمَا حُرِّمَ بَيْعُهُ إِلَّا لِحُرْمَتِهِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ ﷻ إِذَا حَرَّمَ أَكْلَ شَيْءٍ، حَرَّمَ ثَمَنَهُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٦٧٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣٤٨٨) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.(٢)

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ عَلَى تَحْرِيمِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ فَقَدْ نَقَلَهُ جَمَاعَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنْهُمْ: ابْنُ رُشْدٍ فِي "بِدَايَةِ الْمُجْتَهِدِ وَنِهَايَةِ الْمُقْتَصِدِ"(ج٣/ص: ١٩).

---

(١) "التمهيد"(ج١/ص: ١٤٤).

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ٤٩٣٨)، والضياء في "المختارة"(ج٩/ص: ٥١٠-٥١١)(رقم: ٣٩٣، و٣٩٤، و٣٩٥، و٣٩٦)، والألباني في "غاية المرام"(رقم: ٣١٨).

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ الْجَصَّاصُ فِي كِتَابِهِ "أَحْكَامِ الْقُرْآنِ"(ج١/صـ: ١٥٣): وَاللَّحْمُ وَإِنْ كَانَ مَخْصُوصًا بِالذِّكْرِ فَإِنَّ الْمُرَادَ جَمِيعُ أَجْزَائِهِ، وَإِنَّمَا خَصَّ اللَّحْمَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ مَنْفَعَتِهِ وَمَا يُبْتَغَى مِنْهُ.ا.هـ.

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "المحلى"(ج٦/صـ: ٥٥): لَا يَحِلُّ أَكْلُ شَيْءٍ مِنْ الْخِنْزِيرِ، لَا لَحْمِهِ، وَلَا شَحْمِهِ، وَلَا جِلْدِهِ، وَلَا عَصَبِهِ، وَلَا غُضْرُوفِهِ، وَلَا حَشْوَتِهِ، وَلَا مُخِّهِ، وَلَا عَظْمِهِ، وَلَا رَأْسِهِ، وَلَا أَطْرَافِهِ، وَلَا لَبَنِهِ، وَلَا شَعْرِهِ - الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ سَوَاءٌ - وَلَا يَحِلُّ الِانْتِفَاعُ بِشَعْرِهِ لَا فِي خَرَزٍ، وَلَا فِي غَيْرِهِ.ا.هـ.

وَمَا ذَكَرَهُ مِن تَحْرِيمِ الِانْتِفَاعِ بِشَعْرِ الْخِنْزِيرِ هُوَ أَيْضًا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي "مَرَاتِبِ الْإِجْمَاعِ"(صـ: ٢٣): وَاتَّفَقُوا أَنَّ لَحْمَ الْمَيْتَةِ وَشَحْمَهَا وَوَدَكَهَا وَغُضْرُوفَهَا وَمُخَّهَا وَأَنَّ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَشَحْمَهُ وَوَدَكَهُ وَغُضْرُوفَهُ وَمُخَّهُ وَعَصَبَهُ حَرَامٌ كُلُّهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ نَجِسٌ.ا.هـ.

وَكَذَا نَقَلَ ابْنُ رُشْدٍ (ج١/صـ: ٨٣) الِاتِّفَاقَ عَلَى نَجَاسَةِ عَيْنِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي "الْمَجْمُوعَ شَرْحِ الْمُهَذَّبِ"(ج٢/صـ: ٥٦٨): نَقَلَ ابْنُ الْمُنْذِرِ فِي كِتَابِ "الْإِجْمَاعِ" إجْمَاعَ الْعُلَمَاءِ عَلَى نَجَاسَةِ الْخِنْزِيرِ، وَهُوَ أَوْلَى مَا يُحْتَجُّ بِهِ لَوْ ثَبَتَ الْإِجْمَاعُ، وَلَكِنَّ مَذْهَبَ مَالِكٍ طَهَارَةُ الْخِنْزِيرِ مَا دَامَ حَيًّا.

قَالَ: وَلَيْسَ لَنَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى نَجَاسَةِ الْخِنْزِيرِ فِي حَيَاتِهِ.ا.هـ.

وَيَتَفَرَّعُ عَلَى الْخِلَافِ الْمَذْكُورِ: الْخِلَافُ فِي نَجَاسَةِ سُؤْرِ الْخِنْزِيرِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (ج٣/صـ: ١٨٥) وَذَهَبَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الْخِنْزِيرَ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى غَسْلِهِ سَبْعًا، قَالَ: وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ، وَهُوَ قَوِيٌّ فِي الدَّلِيلِ.ا.هـ.

وَمِمَّا يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى حُرْمَةِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَنَجَاسَتِهِ: حَدِيثُ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا بِأَرْضِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، نَأْكُلُ فِي آنِيَتِهِمْ، فَقَالَ: «**إِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَ آنِيَتِهِمْ، فَلَا تَأْكُلُوا فِيهَا، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاغْسِلُوهَا، ثُمَّ كُلُوا فِيهَا**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٤٧٨، و٥٤٨٨، و٥٤٩٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٩٣٠).

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ (رقم: ٣٨٣٩): إِنَّا نُجَاوِرُ أَهْلَ الْكِتَابِ، وَهُمْ يَطْبُخُونَ فِي قُدُورِهِمُ الْخِنْزِيرَ، وَيَشْرَبُونَ فِي آنِيَتِهِمُ الْخَمْرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَهَا فَكُلُوا فِيهَا وَاشْرَبُوا، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا غَيْرَهَا فَارْحَضُوهَا بِالْمَاءِ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا**».

وَنَقَلَ النَّوَوِيُّ فِي "الْمَجْمُوعَ شَرْحِ الْمُهَذَّبِ"(ج٢/ص: ٥٦٩) الِاتِّفَاقَ عَلَى نَجَاسَةِ لَبَنِ الْكَلْبِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْمُتَوَلِّدِ مِنْ أَحَدِهِمَا.

وَمِمَّا يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى حُرْمَةِ لَحْمِ وَدَمِ الْخِنْزِيرِ وَنَجَاسَتِهِ: حَدِيثُ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ، فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (رقم: ٢٢٦٠).

وَقَدْ بَوَّبَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: (بَاب تَحْرِيمِ اللَّعِبِ بِالنَّرْدَشِيرِ).

وَقَالَ: وَهَذَا الْحَدِيثُ حُجَّةٌ لِلشَّافِعِيِّ وَالْجُمْهُورِ فِي تَحْرِيمِ اللَّعِبِ بِالنَّرْدِ.

وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَعْنَى: «**صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ**»، فِي حَالِ أَكْلِهِ مِنْهُمَا، وَهُوَ تَشْبِيهٌ لِتَحْرِيمِهِ بِتَحْرِيمِ أَكْلِهِمَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.ا.هـ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ - كما في "مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى"(ج٣٢/ص: ٢٢٢-٢٢٣)-: فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ اللَّاعِبَ بِهَا كَالْغَامِسِ يَدَهُ فِي لَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَدَمِهِ، وَالَّذِي يُشَقِّصُ الْخَنَازِيرَ، يُقَصِّبُهَا وَيُقَطِّعُ لَحْمَهَا كَمَا يَصْنَعُ الْقَصَّابُ، وَهَذَا التَّشْبِيهُ مُتَنَاوِلٌ اللَّعِبَ بِهَا بِالْيَدِ، سَوَاءٌ وُجِدَ أَكْلٌ أَوْ لَمْ يُوجَدْ، كَمَا أَنَّ غَمْسَ الْيَدِ فِي لَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَدَمِهِ وَتَشْقِيصِ لَحْمِهِ مُتَنَاوِلٌ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ سَوَاءٌ كَانَ مَعَهُ أَكْلٌ بِالْفَمِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ، فَكَمَا أَنَّ ذَلِكَ يُنْهَى عَنْهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَكْلُ مَالٍ بِالْبَاطِلِ، فَكَذَلِكَ النَّرْدُ يُنْهَى عَنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَكْلُ مَالٍ بِالْبَاطِلِ.ا.هـ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ"(رقم: ١٢٧٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «اللَّاعِبُ بِالْقُصَّيْنِ قِمَارًا كَآكِلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَاللَّاعِبُ بِهِمَا غَيْرَ قِمَارٍ كَالْغَامِسِ يَدَهُ فِي دَمِ خِنْزِيرٍ».

وَأَخْرَجَهُ مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ – وَمِن طَرِيقِهِ الْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ"(رقم: ٦٠٨٦) –، بِلَفْظِ: «مَنْ لَعِبَ بِالْكَعْبَيْنِ عَلَى الْقِمَارِ، فَكَأَنَّمَا أَكَلَ لَحْمَ خِنْزِيرٍ، وَمَنْ لَعِبَ بِهَا عَلَى غَيْرِ قِمَارٍ، فَكَأَنَّمَا ادَّهَنَ بِشَحْمِ خِنْزِيرٍ».(١)

وَفِي رِوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ (رقم: ٣٠٩٧) – وَمِن طَرِيقِهِ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي "ذَمِّ الْمَلَاهِي"(رقم: ٧٦) – : «اللَّاعِبُ بِالنَّرْدِ..».

وَأَخْرَجَ مَالِكٌ فِي "الْمُوَطَّإِ"(ج٢/صـ: ٩٥٨) – وَمِن طَرِيقِهِ الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ"(رقم: ١٢٧٣) – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا وَجَدَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يَلْعَبُ بِالنَّرْدِ ضَرَبَهُ وَكَسَرَهَا».

قَالَ يَحْيَى: وَسَمِعْتُ مَالِكًا، يَقُولُ: «لَا خَيْرَ فِي الشَّطْرَنْجِ»، وَكَرِهَهَا، وَسَمِعْتُهُ يَكْرَهُ اللَّعِبَ بِهَا، وَبِغَيْرِهَا مِنَ الْبَاطِلِ، وَيَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].

وَأَخْرَجَ مَالِكٌ أَيْضًا فِي "الْمُوَطَّإِ"(ج٢/صـ: ٩٥٨) – وَمِن طَرِيقِهِ الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ"(رقم: ١٢٧٤) – عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ بَلَغَهَا أَنَّ أَهْلَ بَيْتٍ فِي دَارِهَا كَانُوا سُكَّانًا فِيهَا، وَعِنْدَهُمْ نَرْدٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ: «لَئِنْ لَمْ تُخْرِجُوهَا لَأُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ دَارِي»، وَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ"(رقم: ١٢٧٤) أَيْضًا عَن كُلْثُومِ بْنِ جَبْرٍ، قَالَ: خَطَبَنَا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ: «يَا أَهْلَ مَكَّةَ، بَلَغَنِي عَنْ رِجَالٍ مِن قُرَيْشٍ يَلْعَبُونَ بِلُعْبَةٍ، يُقَالُ لَهَا: النَّرْدَشِيرُ – وَكَانَ أَعْسَرَ – قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠]، وَإِنِّي أَحْلِفُ بِاللَّهِ: لَا أُوتَى بِرَجُلٍ لَعِبَ بِهَا إِلَّا عَاقَبْتُهُ فِي شَعْرِهِ وَبَشَرِهِ، وَأَعْطَيْتُ سَلَبَهُ لِمَنْ أَتَانِي بِهِ».

(١) وقد طبع "جامع معمر" كملحق بـ: "مصنف عبد الرزاق"(رقم: ١٩٧٢٩).

وَفِي مَعْنَى النَّرْدِ: لَعِبُ الْبَطَّةِ، وَالشَّطْرَنجِ وَالْكَيْرَمِ، وَالضُّمْنَةِ، بَلْ تَزِيْدُ عَلَيْهِ، وَقَدْ نَقَلَ النَّوَوِيُّ عَن مَالِكٍ وَأَحْمَدَ قَوْلَهُمَا فِي الشَّطْرَنجِ: حَرَامٌ. قَالَ مَالِكٌ: «هُوَ شَرٌّ مِنَ النَّرْدِ، وَأَلْهَى عَنِ الْخَيْرِ».

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي "الِاسْتِذْكَارِ"(ج٨/صـ:٤٦٢): «وَأَجْمَعَ مَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ اللَّعِبُ بِالنَّرْدِ وَلَا بِالشَّطْرَنْجِ، وَقَالُوا: لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ الْمُدْمِنِ الْمُوَاظِبِ عَلَى لَعِبِ الشَّطْرَنْجِ».

وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي "الْمُغْنِي"(ج١٠/صـ: ١٥١): فَأَمَّا الشِّطْرَنْجُ فَهُوَ كَالنَّرْدِ فِي التَّحْرِيمِ، إلَّا أَنَّ النَّرْدَ آكَدُ مِنْهُ فِي التَّحْرِيمِ؛ لِوُرُودِ النَّصِّ فِي تَحْرِيمِهِ، لَكِنْ هَذَا فِي مَعْنَاهُ، فَيَثْبُتُ فِيهِ حُكْمُهُ، قِيَاسًا عَلَيْهِ.ا.هـ.

وَقَدْ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ"(ج١/صـ:٤٣٣): (بَابُ إِثْمِ مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ).

وَكَذَا بَوَّبَ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْمَجْدُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي "الْمُنْتَقَى" – كَمَا فِي "نَيْلِ الْأَوْطَارِ"(ج٨/صـ:١٠٧) -: [بَاب: تَحْرِيمِ الْقِمَارِ وَاللَّعِبِ بِالنَّرْدِ وَمَا فِي مَعْنَى ذَلِكَ]، وَذَكَرَا حَدِيْثَ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَذَكَرَا أَيْضًا: حَدِيْثَ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَن لَّعِبَ بِالنَّرْدِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَغَيْرُهُمْ.(١)

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي "التَّمْهِيْدِ"(ج١٣/صـ:١٧٥): «وَهَذَا الْحَدِيثُ يُحَرِّمُ اللَّعِبَ بِالنَّرْدِ جُمْلَةً وَّاحِدَةً، لَمْ يَسْتَثْنِ وَقْتًا مِّنَ الْأَوْقَاتِ، وَلَا حَالًا مِّنْ حَالٍ، فَسَوَاءٌ شَغَلَ النَّرْدُ عَنِ

(١) "المسند"(رقم:١٩٥٠١، و١٩٥٢١، و١٩٥٢٢، و١٩٥٥١، و١٩٥٨٠، و١٩٦٤٩)، و"سنن أبي داود"(رقم: ٤٩٣٨)، وسنن ابن ماجه (رقم: ٣٧٦٢)، و"الأدب المفرد"(رقم: ١٢٦٩) للبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وصححه ابن حبان (رقم: ٥٨٧٢)، والحاكم (رقم: ١٦٠، و١٦١، و١٦٢)، وقال: «على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي!، مع أن في سنده انقطاعًا، لكن له طريق أخرى، وقد حسنه الألباني في "الإرواء"(رقم: ٢٦٧٠)، فراجعه.

الصَّلَاةِ أَوْ لَمْ يَشْغَلْ، أَوْ أَلْهَى عَنْ ذَلِكَ وَمِثْلِهِ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ؛ عَلَى ظَاهِرِ هَذَا الْحَدِيثِ.ا.هـ.

وَقَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالتَّمْثِيلُ بِقَوْلِهِ: «**فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ**»؛ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى التَّحْرِيمِ؛ لِأَنَّ التَّلَوُّثَ بِالنَّجَاسَاتِ مِنْ الْمُحَرَّمَات.

وَقَالَ: وَقَوْلُهُ: «**فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ**»؛ تَصْرِيحٌ بِمَا يُفِيدُ التَّحْرِيمَ.ا.هـ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (رقم:٢٦٦٧٦) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إِلَى عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْكِعَابَ الْمَوْسُومَةَ الَّتِي تُزْجَرُ زَجْرًا؛ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَيْسِرِ**».

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي "الْكُبْرَى"(رقم:٢٠٩٥٧) عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ يَقُولُ: «**النَّرْدُ هِيَ الْمَيْسِرُ**». وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي "الْإِرْوَاءِ"(٨/ صـ:٢٨٧).

وَقَدْ صَنَّفَ الْإِمَامُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا (الْمُتَوَفَّى: سَنَةَ ٢٨١هـ) جُزْءًا، سَمَّاهُ: "ذَمِّ الْمَلَاهِي".

وَصَنَّفَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْآجُرِّيُّ الْبَغْدَادِيُّ (الْمُتَوَفَّى: سنة ٣٦٠هـ) جُزْءًا، سَمَّاهُ: "تَحْرِيم النَّرْدِ وَالشَّطْرَنجِ وَالْمَلَاهِي".

وَقَدِ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ لَفْظَ الْخِنْزِيرِ مُتَنَاوِلٌ لِجَمِيعِ أَصْنَافِ الْخَنَازِيرِ، مَا لَمْ يَكُن يُقَالُ عَلَيْهِ الِاسْمُ بِالِاشْتِرَاكِ، مِثْلَ خِنْزِيرِ الْمَاءِ. قَالَهُ ابْنُ رُشْدٍ فِي "بِدَايَةِ الْمُجْتَهِدِ وَنِهَايَةِ الْمُقْتَصِدِ"(ج١/ صـ: ١٠).

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي خِنْزِيرِ الْمَاءِ، فَمَذْهَبُ مَالِكٍ وَابْنِ أَبِي لَيْلَى وَالشَّافِعِيِّ وَالْأَوْزَاعِيِّ: أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَكْلِ كُلِّ شَيْءٍ يَكُونُ فِي الْبَحْرِ.

وَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى حُرْمَتِهِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ الْجَصَّاصُ الْحَنَفِيُّ فِي كِتَابِهِ "أَحْكَامِ الْقُرْآنِ"(ج١/ صـ: ١٥٤): ظَاهِرُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ مُوجِبٌ لِحَظْرِ جَمِيعِ مَا يَكُونُ مِنْهُ فِي الْبَرِّ وَفِي الْمَاءِ؛ لِشُمُولِ الِاسْمِ لَهُ، فَإِنْ قِيلَ إِنَّمَا يَنْصَرِفُ هَذَا إِلَى خِنْزِيرِ الْبَرِّ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي يُسَمَّى بِهَذَا الِاسْمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَخِنْزِيرُ

الْمَاءِ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ الِاسْمُ، وَإِنَّمَا يُسَمَّى بِهِ مُقَيَّدًا، وَاسْمُهُ الَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ فِي الْعَادَةِ حِمَارُ الْمَاءِ، قِيلَ لَهُ: لَا يَخْلُو خِنْزِيرُ الْمَاءِ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَلَى خِلْقَةِ خِنْزِيرِ الْبَرِّ وَصِفَتِهِ أَوْ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الْخِلْقَةِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا فِي إِطْلَاقِ الِاسْمِ عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ أَنَّ كَوْنَهُ فِي الْمَاءِ لَا يُغَيِّرُ حُكْمَهُ إِذَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ وَعَلَى خِلْقَتِهِ، إِلَّا أَنْ تَقُومَ الدَّلَالَةُ عَلَى خُصُوصِهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَى خِلْقَةٍ أُخْرَى غَيْرِهَا فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا أَجْرَوْا اسْمَ الْخِنْزِيرِ عَلَى مَا لَيْسَ بِخِنْزِيرٍ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُخَطِّئْهُمْ فِي التَّسْمِيَةِ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ خِنْزِيرٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَأَنَّ الِاسْمَ يَتَنَاوَلُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ.ا.هـ.

قُلْتُ: إِن كَانَ مِن دَوَابِّ الْبَحْرِ مَا يُقَالُ لَهُ: إِنسَانُ الْمَاءِ، أَوْ حِمَارُ الْمَاءِ، أَوْ كَلْبُ الْمَاءِ، أَوْ ثُعْبَانُ الْمَاءِ، أَوْ خِنزِيرُ الْمَاءِ، فَإِنَّهُ حَلَالٌ، سَوَاءٌ أَكَانَ عَلَى خِلْقَةِ مَا ذُكِرَ وَصِفَتِهِ، أَوْ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْبَحْرِ: **«هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ»**.(١)

وَلَعَلَّهُ لَيْسَ مِن دَوَابِّ الْبَحْرِ مَا هُوَ عَلَى خِلْقَةِ مَا ذَكَرْنَا، واللهُ أَعْلَمُ.

وَالَّذِي يُعْرَفُ بِخِنزِيرِ الْمَاءِ فِي هَذَا الزَّمَانِ: هُوَ حَيَوانٌ مِّنَ الْقَوَارِضِ، يَعِيْشُ فِي أَمْرِيكَا الْجَنُوبِيَّةِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْبُحَيْرَاتِ وَالْأَنْهَارِ، يُقَالُ لَهُ: (الْكَابِيْبَارَا)، يَعِيْشُ فِي الْبَرِّ، وَيَأْكُلُ الْعُشْبَ، وَيَسْتَطِيعُ السِّبَاحَةَ فِي الْمَاءِ بِسُرْعَةٍ، يَهْرُبُ مِنْ أَعْدَاءِهِ دَاخِلَ الْمِيَاهِ، وَهُوَ يُشْبِهُ الْخِنزِيرَ الْبَرِّيَّ، فَلَهُ حُكْمُهُ، واللهُ أَعْلَمُ.

فَإِن قَالَ قَائِلٌ: مَا الْمُنَاسَبَةُ مِن ذِكْرِ حُرْمَةِ لَحْمِ الْخِنزِيرِ وَشَحْمِهِ وَسَائِرِ أَجْزَاءِهِ؟! وَمَا الدَّاعِي إِلَى ذَلِكَ - وَنَحْنُ فِي بِلَادٍ - بِحَمْدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ - لَا وُجُودَ فِيْهَا لِلْخَنَازِيرِ، وَلَا يُبَاعُ هُنَا لَحْمُهَا وَلَا سَائِرُ أَجْزَائِهَا، وَلَا يُشْتَرَى؟!

---

(١) رواه أحمد (رقم: ٧٢٣٣)، وأبو داود (رقم: ٨٣)، والترمذي (رقم: ٦٩)، والنسائي (رقم: ٥٩)، وابن ماجه (رقم: ٣٨٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه البخاري، والترمذي، وابن خزيمة (رقم: ١١١)، وابن المنذر، والطحاوي، وابن حبان (رقم: ١٢٤٣)، والخطابي، وابن منده، والحاكم (٤٩١ - ٤٩٨)، والبيهقي، والبغوي، وعبد الحق، والنووي، والذهبي، والألباني في "الإرواء"(رقم: ٩)، وفي "الصحيحة"(رقم: ٤٨٠)، وفي "صحيح أبي داود"(رقم: ٧٦).

فَالْجَوَابُ: أَنَّ غُبَارَ حُرْمَتِهِ قَدْ وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ، وَإِلَى كُلِّ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَمِن ذَلِكَ:

◄ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ بِمَا لَا يَدَعُ مَجَالًا لِلشَّكِّ أَنَّ بَعْضَ أَنْوَاعِ الشُّوكُولَاتَةِ تَحْتَوِي عَلَى شَحْمِ الْخِنزِيرِ، (دُهُونٍ، أَوْ دُهُون مُشْبَعَةٍ)، وَرُبَّمَا مِنَ الْكَارْبُوهِيدْرَاتِ، وَالْبُرُوتِينَاتِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِن لَحْمِ الْخِنزِيرِ، كَبَعْضِ أَنْوَاعِ الشُّوكُولَاتَةِ الَّتِي تُسْتَوردُ مِن بَعْضِ الدُّوَلِ الْأُورُوبِّيَّةِ، مِثْلِ: بُلْغَارِيَا وَأُوكْرَانِيَا.

وَقَدْ صَارَ مِنَ الْمُرِيبِ أَن يُكْتَبَ عَلَى بَعْضِ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ: (حَلَالٌ)، أَوْ: (لَا تَحْتَوِي مُنتَجَاتُنَا عَلَى مُشْتَقَّاتِ الْخِنزِيرِ!).

فَيَجِبُ عَلَى تُجَّارِ الْمُسْلِمِينَ تَجَنُّبُ اسْتِيرَادِ الْأَغْذِيَةِ وَالْمَوَادِّ الْأَوَّلِيَّةِ (الْخَامة)، الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي تَصْنِيعِ بَعْضِ الْأَغْذِيَةِ، وَالَّتِي تَحْتَوِي عَلَى مُشْتَقَّاتِ الْخِنزِيرِ، فَإِنَّ بَيْعَهَا وَشِرَاءَهَا وَأَكْلَهَا حَرَامٌ، فَلَا يَجُوزُ التَّسَاهُلِ فِي ذَلِكَ، وَيَجِبُ عَلَى الْحُكُومَاتِ الْمُسْلِمَةِ اتِّخَاذُ الْإِجْرَاءَاتِ اللَّازِمَةِ لِذَلِكَ مِنَ الضَّبْطِ وَالْمُرَاقَبَةِ.

◄ وَمِنْ غُبَارِ حُرْمَةِ الْخِنزِيرِ الَّذِي عَمَّتْ بِهِ الْبَلْوَى: الْأَنسُولِين الَّذِي يُحْقَنُ بِهِ مَرْضَى السُّكَّرِ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُ أَوْ عَامَّتَهُ يُسْتَخْلَصُ مِن بنكرْيَاسِ الْخَنَازِيرِ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ!.

وَلِوُقُوعِ الِاخْتِيَارِ عَلَى بنكرْيَاسِ الْخَنَازِيرِ أَسْبَابٌ، مِنْهَا:

أَنَّ لَحْمَ الْخِنزِيرِ مِنْ أَكْثَرِ أَنْوَاعِ اللُّحُومِ شُهْرَةً وَاسْتِهْلَاكًا فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ، لِوُلُوعِ النَّصَارَى الْمُشْرِكِينَ الضَّالِّينَ بِهِ، فَهُمْ يَأْكُلُونَهُ تَدَيُّنًا، بِخِلَافِ الْيَهُودِ، فَإِنَّهُمْ يُحَرِّمُونَهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْخِنزِيرَ كَثِيرُ النَّسْلِ، وَسَرِيعُ التَّكَاثُرِ، قَالَ الدَّمِيرِيُّ فِي "حَيَاةِ الْحَيَوَانِ الْكُبْرَى"(ج١/ص: ٤٢٤): يُوصَفُ بِالشَّبَقِ، حَتَّى إِنَّ الْأُنْثَى مِنْهُ يَرْكَبُهَا الذَّكَرُ وَهِيَ تَرْتَعُ، فَرُبَّمَا قَطَعَتْ أَمْيَالًا وَهُوَ عَلَى ظَهْرِهَا، وَيُرَى أَثَرُ سِتَّةِ أَرْجُلٍ، فَمَن لَّا يَعْرِفُ ذَلِكَ يَظُنُّ أَنَّ فِي الدَّوَابِّ مَا لَهُ سِتَّةُ أَرْجُلٍ، وَالذَّكَرُ مِنْ هَذَا النَّوْعِ يَطْرُدُ الذُّكُورَ عَنِ الْإِنَاثِ، وَرُبَّمَا قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، وَرُبَّمَا هَلَكَا جَمِيعًا، وَإِذَا كَانَ زَمَنُ هَيَجَانُ الْخَنَازِيرِ، طَأْطَأَتْ رُؤُوسَهَا، وَحَرَّكَتْ أَذْنَابَهَا، وَتَغَيَّرَتْ أَصْوَاتُهَا، وَتَضَعُ الْخِنزِيرَةُ عِشْرِينَ خِنَّوْصًا، وَتَحْمِلُ

مِن نَّزْوَةٍ وَّاحِدَةٍ، وَالذَّكَرُ يَنزُو إِذَا تَمَّتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ، وَالْأُنثَى تَضَعُ إِذَا مَضَى لَهَا سِتَّةُ أَشْهُرٍ، وَفِي بَعْضِ الْبِلَادِ يَنزُو الْخِنزِيرُ إِذَا تَمَّتْ لَهُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، وَالْأُنثَى تَحْمِلُ جِرَاءَهَا وَتُرَبِّيهَا، إِذَا تَمَّتْ لَهَا سِتَّةُ أَشْهُرٍ أَوْ سَبْعَةٌ، وَإِذَا بَلَغَتِ الْأُنثَى خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً لَّا تَلِدُ، وَهَذَا الْجِنسُ أَنسَلُ الْحَيَوَانِ، وَالذَّكَرُ أَقْوَى الْفُحُولَ عَلَى السِّفَادِ، وَأَطْوَلُهَا مُكْثًا فِيهِ.ا.هـ.

وَمِنْهَا: مَا زَعَمُوهُ مِنْ أَنَّ الْخَنَازِيرَ أَقْرَبُ تَشْرِيحِيًّا لِلْإِنسَانِ، كَذَا أَطْلَقُوا هَذِهِ الْعِبَارَةَ!.

قَالَ الدَّمِيرِيُّ فِي "حَيَاةِ الْحَيَوَانِ الْكُبْرَى": وَفِيهِ مِنَ الشَّبَهِ بِالْإِنسَانِ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ جِلْدٌ يُسْلَخُ، إِلَّا أَن يُقْطَعَ بِمَا تَحْتَهُ مِنَ اللَّحْمِ.ا.هـ.

وَهَذِهِ أَسْبَابٌ دَاحِضَةٌ، لَا يُسْتَحَلُّ بِهَا مَا عُلِمَ تَحْرِيمُهُ مِن دِينِ الْإِسْلَامِ بِالِاضْطِرَارِ.

وَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي شَأْنِ الْأَنسُولِين يُصَرِّحُ بِهِ الْكُفَّارُ مِنَ النَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ، فَمَا يَزْعُمُهُ بَعْضُ أَبْنَاءِ جِلْدَتِنَا مِنَ الْأَطِبَّاءِ وَالصَّيَادِلَةِ وَغَيْرِهِم مِّنْ أَنَّ الْخِنزِيرَ قَدِ اسْتُعِيضَ عَنْهُ بَالْبَقَرِ فِي اسْتِخْلَاصِ الْأَنسُولِين مُجَرَّدُ دَعْوَى تَفْتَقِرُ إِلَى دَلِيلٍ، قَد تَّكُونُ مِن بَابِ ذَرِّ الرَّمَادِ عَلَى الْعُيُونِ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَلْيَتَّقِ اللهَ الْمُسْلِمُونَ شُعُوبًا وَّحُكُومَاتٍ فِي هَذَا الْبَابِ، وَعَلَيْهِمْ إِيْجَادُ مَرَافِقَ وَإِنشَاءُ دَوَائِرَ تُعْنَى بِاسْتِخْلَاصِ الْأَنسُولِين مِن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، لَا مِنَ الْخَنَازِيرِ، وَعَدَمُ التَّسَاهُلِ فِي ذَلِكَ، فَمَا أَكْثَرَ مَرْضَى السُّكَّرِ، لَا سِيَّمَا مِن كِبَارِ السِّنِّ، فَلِمَاذَا يُحْوَجُونَ إِلَى الْخَنَازِيرِ؟

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي السَّكَرِ: **«إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ»**.(١)

وَجَاءَ فِي "فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ"(م.١)(ج٢٥/صـ: ٢٨) بِرِئَاسَةِ ابْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: اسْتِعْمَالُ الْأَنْوَاعِ مِنَ الْأَنسُولِين الْمُسْتَخْلَصِ مِنَ الْخِنزِيرِ حَرَامٌ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (رقم:١٧٠٩٧، و١٧١٠٢)، وابن أبي شيبة (رقم: ٢٣٩٥٨، و٢٤٣٠٤)، والحاكم (رقم: ٧٥٠٩) بإسناد صحيح، وعلقه البخاري في كتاب الأشربة من صحيحه بصيغة الجزم.

◄ وَمِنْ عَجَائِبِ السَّحَرَةِ وَالْمُشَعْوِذِينَ الْمُوغِلِينَ فِي الْكُفْرِ الْمُنتَهِكِينَ حُرُمَاتِ اللهِ ﷻ: أَنَّ مِنْهُم مَّن يَّشْتَرِطُ عَلَى مُرِيدِهِ أَن يُّحْضِرَ إِلَيْهِ عَظْمَ خِنزِيرٍ؛ مُّقَابِلَ تَكَهُّنِهِ لَهُ أَوْ إِعْطَاءِهِ حِرْزًا كُفْرِيًّا، سِوَى مَا يَقْبِضُهُ مِن مُّرِيدِهِ مِنَ الْمَالِ!.

وَبَعْضُهُمْ يَقْتَنِي عَظْمَ الْخِنزِيرِ لِنَفْسِهِ؛ اعْتِمَادًا عَلَى وَصْفَةِ السَّاحِرِ!، ويَرْبِطُهُ عَلَى فَخِذِهِ، إِذَا أَرَادَ أَن يُّجَامِعَ أَهْلَهُ وَقَدْ رُبِطَ عَنْهَا؛ لِاعْتِقَادِ أَنَّ ذَلِكَ يَحُلُّ سِحْرَ الرَّبْطِ!.

وَهَذَا مُحَرَّمٌ عَظِيمُ الْحُرْمَةِ، وَلَيْسَ فِي بِلَادِنَا بِحَمْدِ اللهِ ﷻ خَنَازِيرُ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَطْلُبُونَ عَظْمَ الْخِنزِيرِ مِن بِلَادِ الْكُفْرِ، يَأْتِيهِم بِهِ مَن يَّذْهَبُ إِلَى تِلْكَ الْبُلْدَانِ، مِمَّن يَّذْهَبُ إِلَيْهَا؛ لِلتِّجَارَةِ أَوْ فِي رَحَلَاتٍ عِلَاجِيَّةٍ، أَوْ مُبْتَعَثًا لِّلدِّرَاسَةِ، أَوْ يَطْلُبُونَهَا مِن شَرَكَاتٍ أَجْنَبِيَّةٍ عَامِلَةٍ فِي بِلَادِنَا، عُمَّالُهَا مِنَ الْكُفَّارِ، وَهَذَا – واللهِ – قَدْ حَصَلَ، لَيْسَ بِحَدِيثِ خُرَافَةٍ، وَلَا بِالْأَغَالِيطِ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ.

وَالسَّاحِرُ حَقُّهُ أَن يُّتَبَرَّأَ مِنْهُ، وَتُضْرَبَ عُنُقُهُ، لَا أَن يُّذْهَبَ إِلَيْهِ وَيُعْتَقَدَ فِيهِ، فَالْوَيْلُ لِمَن يَّبِيعُ دِينَهُ بِالتُّرَّهَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ!.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَمَا حَرَّمَ اللهُ ﷻ عَلَى عِبَادِهِ لَحْمَ الْخِنزِيرِ إِلَّا لِمَا يَعُودُ عَلَى آكِلِهِ بِالضَّرَرِ، حِسًّا وَّمَعْنًى، فَمِن ذَلِكَ مَا قَالَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "التِّبْيَانِ"(صـ: ٣٧٣-٣٧٤): فَالْغَاذِي شَبِيهٌ بِالْمُغْتَذَى فِي طَبْعِهِ وَفِعْلِهِ، وَهَذَا كَمَا أَنَّ حِكْمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِهِ فِيهِ جَرَتْ حِكْمَتُهُ فِي شَرْعِهِ وَأَمْرِهِ حَيْثُ حَرَّمَ الْأَغْذِيَةَ الْخَبِيثَةَ عَلَى عِبَادِهِ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا اغْتَذَوا بِهَا صَارَتْ جُزْءًا مِّنْهُمْ، فَصَارَتْ أَجْزَاؤُهُم مُّشَابِهَةً لِّأَغْذِيَتِهِمْ، إِذِ الْغَاذِي شَبِيهٌ بِالْمُغْتَذِي، بَلْ يَسْتَحِيلُ إِلَى جَوْهَرِهِ؛ فَلِهَذَا كَانَ نَوْعُ الْإِنسَانِ أَعْدَلَ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ مِزَاجًا؛ لِاعْتِدَالِ غِذَائِهِ، وَكَانَ

الِاغْتِذَاءُ بِالدَّمِ وَلُحُومِ السِّبَاعِ يُورِثُ الْمُغْتَذِي بِهَا قُوَّةً شَيْطَانِيَّةً سَبُعِيَّةً عَادِيَةً عَلَى النَّاسِ، فَمِن مَّحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ تَحْرِيمُ هَذِهِ الْأَغْذِيَةِ وَأَشْبَاهِهَا، إِلَّا إِذَا عَارَضَهَا مَصْلَحَةٌ أَرْجَحُ مِنْهَا كَحَالِ الضَّرُورَةِ، وَلِهَذَا لَمَّا أَكَلَتِ النَّصَارَى لُحُومَ الْخَنَازِيرِ أَوْرَثَهَا نَوْعًا مِّنَ الْغِلْظَةِ وَالْقَسْوَةِ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَكَلَ لُحُومَ السِّبَاعِ وَالْكِلَابِ صَارَ فِيهِ قُوَّتُهَا، وَلَمَّا كَانَتِ الْقُوَّةُ الشَّيْطَانِيَّةُ عَارِضَةً ثَابِتَةً لَّازِمَةً لِّذَوَاتِ الْأَنْيَابِ مِنَ السِّبَاعِ حَرَّمَهَا الشَّارِعُ، وَلَمَّا كَانَتِ الْقُوَّةُ الشَّيْطَانِيَّةُ عَارِضَةً فِي الْإِبِلِ أَمَرَ بِكَسْرِهَا بِالْوُضُوءِ لِمَنْ أَكَلَ مِنْهَا، وَلَمَّا كَانَتِ الطَّبِيعَةُ الْحِمَارِيَّةُ لَازِمَةً لِّلْحِمَارِ حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لُحُومَ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ، وَلَمَّا كَانَ الدَّمُ مَرْكَبَ الشَّيْطَانِ وَمَجْرَاهُ حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَى تَحْرِيمًا لَّازِمًا.ا.هـ.

وَكَمَا أَوْرَثَ لَحْمُ الْخِنزِيرِ النَّصَارَى غِلْظَةً وَّقَسْوَةً، فَإِنَّهُ أَوْرَثَهُمْ أَيْضًا الشَّبَقَ، رِجَالًا وَّنِسَاءً، فَكَثُرَ فِيهِمُ الزِّنَا وَاللِّوَاطُ؛ لِأَنَّ الْخِنزِيرَ مَوْصُوفٌ بِالشَّبَقِ، كَمَا تَقَدَّمَ، وَمَوْصُوفٌ أَيْضًا بِاللِّوَاطِ الْمُفْرِطِ، هَذَا مَعَ مَا هُوَ مَشْهُورٌ مِنْ أَنَّ أَكْلَ لَحْمِ الْخِنزِيرِ يُورِثُ قِلَّةَ الْغَيْرَةِ.

وَمِنْ أَخْبَارِ الْخِنزِيرِ أَيْضًا مَا قَالَهُ الدَّمِيرِيُّ فِي "حَيَاةِ الْحَيَوَانِ الْكُبْرَى"(ج١/صـ: ٤٢٤): وَكُنْيَةُ الْخِنزِيرِ: أَبُو جَهْمٍ، وَأَبُو زُرْعَةَ وَأَبُو دُلَفَ، وَأَبُو عُتْبَةَ، وَأَبُو عُلَيَّةَ، وَأَبُو قَادِمٍ، وَهُوَ يَشْتَرِكُ بَيْنَ الْبَهِيمِيَّةِ وَالسَّبُعِيَّةِ، فَالَّذِي فِيهِ مِنَ السَّبُعِ: النَّابُ، وَأَكْلُ الْجِيَفِ، وَالَّذِي فِيهِ مِنَ الْبَهِيمِيَّةِ: الظِّلْفُ وَأَكْلُ الْعُشْبِ وَالْعَلَفِ، يُقَالُ: إِنَّهُ لَيْسَ لِشَيْءٍ مِن ذَوَاتِ الْأَنْيَابِ وَالْأَذْنَابِ، مَا لِلْخِنزِيرِ مِنَ الْقُوَّةِ فِي نَابِهِ، حَتَّى إِنَّهُ يَضْرِبُ بِنَابِهِ صَاحِبَ السَّيْفِ وَالرُّمْحِ، فَيَقْطَعُ كُلَّ مَا لَاقَى مِن جَسَدِهِ مِنْ عَظْمٍ وَّعَصَبٍ، وَرُبَّمَا طَالَ نَابَاهُ، فَيَلْتَقِيَانِ، فَيَمُوتُ عِندَ ذَلِكَ جُوعًا؛ لِأَنَّهُمَا يَمْنَعَانِهِ مِنَ الْأَكْلِ، وَهُوَ مَتَّى عَضَّ كَلْبًا سَقَطَ شَعَرُ الْكَلْبِ، وَهُوَ إِذَا كَانَ وَحْشِيًّا ثُمَّ تَأَهَّلَ لَا يَقْبَلُ التَّأْدِيبَ، وَيَأْكُلُ الْحَيَّاتِ أَكْلًا ذَرِيعًا، وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ سُمُومُهَا، وَهُوَ أَرْوَغُ مِنَ الثَّعْلَبِ، وَإِذَا جَاعَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ أَكَلَ سَمِنَ فِي يَوْمَيْنِ، وَهَكَذَا تَفْعَلُ النَّصَارَى بِالْخَنَازِيرِ فِي الرُّومِ يُجِيعُونَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ يُطْعِمُونَهَا يَوْمَيْنِ؛ لِتَسْمَنَ.

قَالَ: وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِ: أَنَّهُ إِذَا قُلِعَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ مَاتَ سَرِيعًا.ا.هـ.

وَلِقُبْحِ الْخِنزِيرِ مَسَخَ اللهُ ﷻ مَن مَّسَخَ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى صُورَتِهِ وَصُورَةِ الْقِرْدِ، قَالَ ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٩ - ٦٠].

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: مَسَخَ بَعْضَهُمْ قِرَدَةً، وَبَعْضَهُمْ خَنَازِيرَ، وَهُمُ الْيَهُودُ، فَإِنَّ اللَّهَ مَسَخَ أَصْحَابَ السَّبْتِ قِرَدَةً، وَكُفَّارَ مَائِدَةِ عِيسَى مِنْهُمْ خَنَازِيرَ.ا.هـ.

وَهَذَا مَسْخٌ حَقِيقِيٌّ، عَلَى ظَاهِرِهِ، فَتَأْوِيلُ الْمَسْخِ عَلَى الْمَجَازِ بَاطِلٌ، لَا يَصِحُّ لُغَةً وَلَا شَرْعًا، فَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: ذُكِرَتْ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الْقِرَدَةُ، وَالْخَنَازِيرُ مِن مَّسْخٍ، فَقَالَ: **«إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلًا وَّلَا عَقِبًا، وَقَدْ كَانَتِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٦٦٣).

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ، هِيَ مِمَّا مُسِخَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا، أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا، فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلًا، وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ»**.

وَهَذَا فَإِنَّ مِنَ الْمَنَاهِي اللَّفْظِيَّةِ أَن يُّقَالَ لِلْيَهُودِ: يَا أَبْنَاءَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلَكِنِ الصَّوَابُ أَن يُّقَالَ: يَا إِخْوَةَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٢٧]، أَيْ: وَاقْصُصْ عَلَى هَؤُلَاءِ الْبُغَاةِ الْحَسَدَةِ، إِخْوَانِ الْخَنَازِيرِ وَالْقِرَدَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَأَمْثَالِهِمْ وَأَشْبَاهِهِمْ خَبَرَ ابْنَيْ آدَمَ.ا.هـ.

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "هِدَايَةِ الْحَيَارَى"(ج٢/صـ: ٤٣٢): وَأَمَّا أُمَّةُ الضَّلَالِ وَعُبَّادُ الصَّلِيبِ وَالصُّوَرِ الْمُزَوَّقَةِ فِي الْحِيطَانِ، وَإِخْوَانُ الْخَنَازِيرِ، وَشَاتِمُوا خَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ أَقْبَحَ شَتْمٍ، وَتَوَاطُؤُهُمْ عَلَى ضُرُوبِ الْمُسْتَحِيلَاتِ وَأَنْوَاعِ الْأَبَاطِيلِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أَبْرَزَ إِلَى الْوُجُودِ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ أَضَلُّ مِنَ الْحَمِيرِ، وَمِنْ جَمِيعِ الْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَخَلَّى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَبِّهِ وَشَتْمِهِ وَتَكْذِيبِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، وَمُعَادَاةِ حِزْبِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَمُوَالَاةِ الشَّيْطَانِ، وَالتَّعَوُّضِ بِعِبَادَةِ الصُّوَرِ وَالصُّلْبَانِ عَنْ عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ.ا.هـ.

قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ "الْحَيَوَانِ"(ج٤/صـ: ٢٨٠): فَلَوْلَا أَنَّ فِي الْخِنزِيرِ مَعْنًى مُّتَقَدِّمًا سِوَى الْمَسْخِ، وَسِوَى مَا فِيهِ مِن قُبْحِ الْمَنظَرِ وَسَمَاجَةِ التَّمْثِيلِ، وَقُبْحِ الصَّوْتِ، وَأَكْلِ الْعَذِرَةِ، مَعَ الْخِلَافِ الشَّدِيدِ وَاللِّوَاطِ الْمُفْرِطِ وَالْأَخْلَاقِ السَّمْجَةِ، مَا لَيْسَ فِي الْقِرْدِ الَّذِي هُوَ شَرِيكُهُ فِي الْمَسْخِ- لَمَا ذَكَرَهُ دُونَهُ.ا.هـ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي الرَّافِضَةِ فِي كِتَابِهِ "الصَّارِمِ الْمَسْلُولِ"(صـ: ٥٨٧): وَعَامَّةُ الزَّنَادِقَةِ إِنَّمَا يَسْتَتِرُونَ بِمَذْهَبِهِمْ، وَقَدْ ظَهَرَتْ للهِ فِيهِمْ مَثُلَاتٌ، وَتَوَاتَرَ النَّقْلُ بِأَنَّ وُجُوهَهُمْ تُمْسَخُ خَنَازِيرَ فِي الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَجَمَعَ الْعُلَمَاءُ مَا بَلَغَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَمِمَّن صَنَّفَ فِيهِ الْحَافِظُ الصَّالِحُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَقْدِسِيُّ كِتَابَهُ فِي "النَّهْيِ عَن سَبِّ الْأَصْحَابِ وَمَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ وَالْعِقَابِ".ا.هـ.

وَذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "الْجَوَابِ الْكَافِي"(صـ: ١١٨-١١٩) مِنْ عُقُوبَاتِ الْمَعَاصِي: مَسْخَ الْقَلْبِ، قَالَ: فَيُمْسَخُ كَمَا تُمْسَخُ الصُّورَةُ، فَيَصِيرُ الْقَلْبُ عَلَى قَلْبِ الْحَيَوَانِ الَّذِي شَابَهَهُ فِي أَخْلَاقِهِ وَأَعْمَالِهِ وَطَبِيعَتِهِ، فَمِنَ الْقُلُوبِ مَا يُمْسَخُ عَلَى قَلْبِ خِنْزِيرٍ لِشِدَّةِ شَبَهِ صَاحِبِهِ بِهِ، وَمِنْهَا مَا يُمْسَخُ عَلَى قَلْبِ كَلْبٍ أَوْ حِمَارٍ أَوْ حَيَّةٍ أَوْ عَقْرَبٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذَا تَأْوِيلُ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَامِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ٣٨]، قَالَ: مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ عَلَى أَخْلَاقِ السِّبَاعِ الْعَادِيَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ عَلَى أَخْلَاقِ الْكِلَابِ وَأَخْلَاقِ الْخَنَازِيرِ وَأَخْلَاقِ الْحَمِيرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَطَوَّسُ فِي ثِيَابِهِ كَمَا يَتَطَوَّسُ الطَّاوُوسُ فِي رِيشِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ بَلِيدًا كَالْحِمَارِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ كَالدِّيكِ، وَمِنْهُمْ مِنْ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ كَالْحَمَامِ، وَمِنْهُمُ الْحَقُودُ كَالْجَمَلِ، وَمِنْهُمُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ كُلُّهُ كَالْغَنَمِ، وَمِنْهُمْ أَشْبَاهُ الثَّعَالِبِ الَّتِي تَرُوغُ كَرَوَغَانِهَا، وَقَدْ شَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الْجَحِيمِ وَالْغَيِّ بِالْحُمُرِ تَارَةً، وَبِالْكَلْبِ تَارَةً، وَبِالْأَنْعَامِ تَارَةً، وَتَقْوَى هَذِهِ الْمُشَابَهَةُ بَاطِنًا حَتَّى تَظْهَرَ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ ظُهُورًا خَفِيًّا، يَرَاهُ الْمُتَفَرِّسُونَ، وَتَظْهَرُ فِي الْأَعْمَالِ ظُهُورًا يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَلَا يَزَالُ يَقْوَى حَتَّى تُسْتَشْنَعَ الصُّورَةُ، فَتَنْقَلِبُ لَهُ الصُّورَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَهُوَ الْمَسْخُ التَّامُّ، فَيَقْلِبُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

الصُّورَةَ الظَّاهِرَةَ عَلَى صُورَةِ ذَلِكَ الْحَيَوَانِ، كَمَا فَعَلَ بِالْيَهُودِ وَأَشْبَاهِهِمْ، وَيَفْعَلُ بِقَوْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَمْسَخُهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ.

فَسُبْحَانَ اللَّهِ! كَمْ مِنْ قَلْبٍ مَنْكُوسٍ وَصَاحِبُهُ لَا يَشْعُرُ؟ وَقَلْبٍ مَمْسُوخٍ وَقَلْبٍ مَخْسُوفٍ بِهِ؟ وَكَمْ مِنْ مَفْتُونٍ بِثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَمَغْرُورٍ بِسِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ؟ وَمُسْتَدْرَجٍ بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ؟ وَكُلُّ هَذِهِ عُقُوبَاتٌ وَإِهَانَاتٌ، وَيَظُنُّ الْجَاهِلُ أَنَّهَا كَرَامَةٌ.ا.هـ.

وَقَالَ فِي "شِفَاءِ الْعَلِيلِ"(صـ: ٧٧): قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ٣٨]: أَصْنَافٌ مُّصَنَّفَةٌ تُعْرَفُ بِأَسْمَائِهَا. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾، فِي أَنَّهَا تُبْعَثُ. وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾، فِي طَلَبِ الْغِذَاءِ، وَابْتِغَاءِ الرِّزْقِ، وَتَوَقِّي الْمَهَالِكِ. وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «مَا فِي الْأَرْضِ آدَمِيٌّ إِلَّا وَفِيهِ شَبَهٌ مِّنَ الْبَهَائِمِ»، فَمِنْهُم مَّن يَّهْتَصِرُ اهْتِصَارَ الْأَسَدِ، وَمِنْهُم مَّن يَّعْدُو عَدْوَ الذِّئْبِ، وَمِنْهُم مَّن يَّنبَحُ نُبَاحَ الْكَلْبِ، وَمِنْهُم مَّن يَّتَطَوَّسُ، كَفِعْلِ الطَّاوُوسِ، وَمِنْهُم مَّن يُّشْبِهُ الْخَنَازِيرَ الَّتِي لَوْ أُلْقِيَ إِلَيْهَا الطَّعَامُ عَافَتْهُ، فَإِذَا قَامَ الرَّجُلُ عَن رَّجِيعِهِ وَلَغَتْ فِيهِ؛ فَلِذَلِكَ تَجِدُ مِنَ الْآدَمِيِّينَ مَن لَّوْ سَمِعَ خَمْسِينَ حِكْمَةً لَّمْ يَحْفَظْ وَاحِدَةً مِّنْهَا، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجُلٌ تَرَوَّاهُ وَحَفِظَهُ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: «مَا أَحْسَنَ مَا تَأَوَّلَ سُفْيَانُ هَذِهِ الْآيَةَ وَاسْتَنبَطَ مِنْهَا هَذِهِ الْحِكْمَةَ».

وَذَلِكَ أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا لَمْ يَكُنْ حُكْمُهُ مُطَاوِعًا لِّظَاهِرِهِ وَجَبَ الْمَصِيرُ إِلَى بَاطِنِهِ وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَن وُّجُودِ الْمُمَاثَلَةِ بَيْنَ الْإِنسَانِ وَبَيْنَ كُلِّ طَائِرٍ وَّدَابَّةٍ، وَذَلِكَ مُمْتَنِعٌ مِّن جِهَةِ الْخِلْقَةِ وَالصُّورَةِ، وَعَدَمٌ مِن جِهَةِ النُّطْقِ وَالْمَعْرِفَةِ، فَوَجَبَ أَن يَّكُونَ مُنصَرِفًا إِلَى الْمُمَاثَلَةِ فِي الطِّبَاعِ وَالْأَخْلَاقِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تُعَاشِرُ الْبَهَائِمَ وَالسِّبَاعَ، فَلْيَكُنْ حَذَرُكَ مِنْهُمْ وَمُبَاعَدَتُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ.ا.هـ.

فَتَأَمَّلْ فِي قَوْلِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَمِنْهُم مَّن يُّشْبِهُ الْخَنَازِيرَ الَّتِي لَوْ أُلْقِيَ إِلَيْهَا الطَّعَامُ عَافَتْهُ، فَإِذَا قَامَ الرَّجُلُ عَن رَّجِيعِهِ وَلَغَتْ فِيهِ».

قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ "الْحَيَوَانِ"(ج٤/صـ: ٢٨٤-٢٨٥): وَالْخَنَازِيرُ تَطْلُبُ الْعَذِرَةَ، تَطْلُبُ أَحَرَّهَا وَأَرْطَبَهَا وَأَنتَنَهَا، وَأَقْرَبَهَا عَهْدًا بِالْخُرُوجِ، فَهِيَ فِي الْقُرَى تَعْرِفُ أَوْقَاتِ

الصُّبْحِ وَالْفَجْرِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ؛ لِبُرُوزِ النَّاسِ لِلْغَائِطِ، فَيَعْرِفُ مَن كَانَ فِي بَيْتِهِ نَائِمًا فِي الْأَسْحَارِ وَمَعَ الصُّبْحِ، أَنَّهُ قَدْ أَسْحَرَ وَأَصْبَحَ، بِأَصْوَاتِهَا وَمُرُورِهَا، وَوَقْعِ أَرْجُلِهَا فِي تِلْكَ الْغِيطَانِ، وَتِلْكَ الْمُتَبَرَّزَاتِ، وَبِذَلِكَ ضَرَبُوا الْمَثَلَ بِبُكُورِ الْخِنزِيرِ، كَمَا ضَرَبُوا الْمَثَلَ بِحَذَرِ الْغُرَابِ وَرَوَغَانِ الثَّعْلَبِ، عَلَى أَنَّ الثَّعْلَبَ لَيْسَ بِأَرْوَغَ مِنَ الْخِنزِيرِ، وَلَا أَكَدَّ لِلْفَارِسِ، وَلَا أَشَدَّ إِتْعَابًا لِّصَاحِبِهِ.ا.هـ.

فَسُبْحَانَ مَن قَسَمَ بَيْنَ الْخَلْقِ أَرْزَاقَهُمْ، ذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا – كَمَا فِي "حَيَاةِ الْحَيَوَانِ الْكُبْرَى"(ج١/صـ: ٤٢٥)- عَن سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ لِأَبِي أُسَيدٍ الْفَزَارِيِّ: مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ؟ فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى، وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «يَرْزُقُ اللهُ الْكَلْبَ وَالْخِنْزِيرَ، وَلا يَرْزُقُ أَبَا أُسَيْدٍ!».

وَلَا يَخْلُو الْخِنزِيرُ عَلَى قُبْحِهِ وَخُبْثِهِ مِن ضَرْبِ الْمَثَلِ بِهِ عَلَى وَجْهٍ مَّحْمُودٍ، فَقَدْ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ السُّرْمَارِيِّ (ت٢٤٢هـ) مِن "تَارِيخِ الْإِسْلَامِ"(ج١٨/صـ: ٣٤)، أَنَّهُ قَال: يَنبَغِي لِقَائِدِ الْغُزَاةِ عَشْرُ خِصَالٍ: أَن يَّكُونَ فِي قَلْبِ الْأَسَدِ لَا يَجْبُنُ، وَفِي كِبْرِ النَّمِرِ لَا يَتَوَاضَعُ، وَفِي شَجَاعَةِ الدُّبِّ يَقْتُلُ بِجَوَارِحِهِ كُلِّهَا، وَفِي حَمْلَةِ الْخِنزِيرِ لَا يُوَلِّي دُبُرَهُ، وَفِي إِغَارَةِ الذِّئْبِ إِذَا أَيِسَ مِن وَّجْهِ أَغَارَ مِن وَّجْهٍ؛ وَفِي حَمْلِ السِّلَاحِ كَالنَّمْلَةِ تَحْمِلُ أَكْثَرَ مِن وَّزْنِهَا، وَفِي الثَّبَاتِ كَالصَّخْرِ، وَفِي الصَّبْرِ كَالْحِمَارِ، وَفِي وَقَاحَةِ الْكَلْبِ؛ لَوْ دَخَلَ صَيْدُهُ النَّارَ لَدَخَلَ خَلْفَهُ، وَفِي الْتِمَاسِ الْفُرْصَةِ كَالدِّيكِ.ا.هـ.

وَالْخِنزِيرُ أَسْوَأُ حَالًا مِّنَ الْكَلْبِ؛ فَإِنَّ لِلْكَلْبِ شَرَفًا وَّفَضْلًا عَلَيْهِ، وَقَدْ قِيلَ:

تَغْـدُو الْكِـلَابُ وَلَا فَضْـلٌ يُّعَـدُّ لَهَـا ... سِوَى الَّـذِي بَـانَ مِـن نَّقْصِ الْخَنَـازِيرِ

وَلِأَبِي تَمَّام قَصِيدَةٌ، أَوَّلُهَا:

صِرَّدْ وَنَكِّـدْ وَزَنِّـدْ أَنْـتَ مَعْـذُورُ ... أُسْـدُ الشَّـرَى لَـيْسَ تَنْمِيهَـا الْخَنَـازِيرُ

وَمِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: نُزُولُ الْمَسِيحِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَقَتْلُهُ الدَّجَّالَ وَالْخِنزِيرَ، وَكَسْرُهُ الصَّلِيبَ، وَوَضْعُهُ الْجِزْيَةَ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا**

مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ».(١)

قَالَ الْخَطَّابِيُّ فِي "مَعَالِمِ السُّنَنِ"(ج٤/صـ: ٣٤٧): وَقَوْلُهُ: **«وَيَقْتُلُ الْخِنزِيرَ»**، فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ قَتْلِ الْخَنَازِيرِ.

قَالَ: وَذَلِكَ أَنَّ عِيسَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ إِنَّمَا يَقْتُلُ الْخِنزِيرَ فِي حُكْمِ شَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ نُزُولَهُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَشَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ بَاقِيَةٌ.

وَقَوْلُهُ: **«وَيَضَعَ الجِزْيَةَ»**، مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَضَعُهَا عَنِ النَّصَارَى وَأَهْلِ الْكِتَابِ، وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ غَيْرَ دِينِ الْحَقِّ، فَذَلِكَ مَعْنَى وَضْعِهَا، واللهُ أَعْلَمُ.ا.هـ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْحِكْمَةَ خَيْرٌ مِنَ اللُّؤْلُؤِ وَالذَّهَبِ، وَمَن لَّا يُرِيدُهَا شَرٌّ مِنَ الْخِنْزِيرِ، فَكُونُوا رُوَّادَ الْحِكْمَةِ، وَمَصَابِيحَ الْبَيَانِ، وَسُرُجَ الْهُدَى.

أَخْرَجَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي "جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ"(رقم: ٦٩٤)، وَالْخَطِيبُ فِي "الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّاوِي وَآدَابِ السَّامِعِ"(رقم: ٣٦٨) عَنْ شُعْبَةَ، قَالَ: رَآنِي الْأَعْمَشُ - وَأَنَا أُحَدِّثُ قَوْمًا -، فَقَالَ: «وَيْحَكَ يَا شُعْبَةُ! تُعَلِّقُ اللُّؤْلُؤَ فِي أَعْنَاقِ الْخَنَازِيرِ».

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَرْفُوعًا: **«وَاضِعُ الْعِلْمِ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ اللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ»**. لَكِنَّهُ ضَعِيفُ الْإِسْنَادِ.

فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْنَا أَكْلَ الْخِنزِيرِ، وَطِبَاعَ الْخِنزِيرِ، خَلَا حَمْلَتَهُ وَشَجَاعَتَهُ.

اللَّهُمَّ انصُرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمُسْلِمَةَ أُمَّةَ الْإِيمَانِ وَالتَّعْزِيرِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّوْقِيرِ وَالتَّكْبِيرِ والتَّبْكِيرِ وَالتَّهْجِيرِ عَلَى الْيَهُودِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ إِخْوَانِ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَعَلَى النَّصَارَى الضَّالِّينَ آكِلِي الْخَنَازِيرِ، وَمَن تَوَلَّاهُمْ، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: ٢٦].

---

(١) البخاري (رقم: ٢٢٢٢، و٢٤٧٦)، ومسلم (رقم: ١٥٥).

النحلة، مواعظ وأحكام

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:- فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الجاثية: ٤].

وَمِن جُمْلَةِ مَخْلُوقَاتِ اللهِ الَّتِي هِيَ أُمَمٌ أَمْثَالُنَا: النَّحْلُ، وَهُوَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لِلْأَنَامِ، وَقَدْ حُفَّتْ بِهِ مَوَاعِظُ وَأَحْكَامٌ؛ أَسْتَعِينُ عَلَى طَرْقِهَا فِي هَذَا الْمَقَامِ بِالْمَلِكِ الْعَلَّامِ، فَأَقُولُ وَباللهِ التَّوفِيقُ، وَعَلَيْهِ قَصْدُ الطَّرِيقِ:

النَّحْلَةُ حَشَرَةٌ طَائِرَةٌ مُّبَارَكَةٌ، قَالَ الزَّجَّاجُ – كَمَا فِي "حَيَاةِ الْحَيَوَانِ الْكُبْرَى"(ج٢/صـ: ٤٦٣) لِلدَّمِيرِيِّ – سُمِّيَتْ نَحْلًا؛ لِأَنَّ اللهُ تَعَالَى نَحَلَ النَّاسَ الْعَسَلَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهَا، إِذِ النِّحْلَةُ: الْعَطِيَّةُ، وَكَفَاهَا شَرَفًا قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل: ٦٨ – ٦٩].ا.هـ.

وَيُقَالُ لِلنَّحْلِ أَيْضًا: النُّوبُ، وَهِيَ التَّسْمِيَةُ الْمُشْتَهِرَةُ عِندَ عَامَّةِ النَّاسِ فِي الْبِلَادِ الْيَمَنِيَّةِ، وَهِيَ تَسْمِيَةٌ فَصِيحَةٌ، وَالنُّوبُ: جَمْعُ نَائِبٍ، مِنَ النَّحْلِ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تَنُوبُ إِلَى خَلِيَّتِهَا، أَيْ: تَعُودُ إِلَيْهَا.

وَالْمُرَادُ بِالْوَحْيِ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾، «الْإِلْهَامُ، وَالْهِدَايَةُ، وَالْإِرْشَادُ»، كَمَا قَالَهُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص: ٧]، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ ﴾ [طه: ٣٨]، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ [المائدة: ١١١]، لَيْسَ الْوَحْيُ الَّذِي كَانَ إِلَى الْأَنبِيَاءِ، وَإِنَّمَا هُوَ الْإِلْهَامُ وَالْهِدَايَةُ.

وَالْأَنبِيَاءُ كُلُّهُم مِّنَ الرِّجَالِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ [يوسف: ١٠٩].

قَالَ الدَّمِيرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ج٢/صـ: ٤٦٤): فَتَأَمَّلْ كَمَالَ طَاعَتِهَا وَحُسْنَ امْتِثَالِهَا لِأَمْرِ رَبِّهَا، كَيْفَ اتَّخَذَتْ بُيُوتًا فِي هَذِهِ الْأَمْكِنَةِ الثَّلَاثَةِ: الْجِبَالِ وَالشَّجر وَبُيُوتِ النَّاسِ، حَيْثُ يَعْرِشُونَ؛ أَيْ: حَيْثُ يَبْنُونَ الْعُرُوشَ، فَلَا تَرَى لِلنَّحْلِ بَيْتًا فِي غَيْرِ هَذِهِ الْأَمْكِنَةِ الثَّلَاثَةِ الْبَتَّةَ. وَتَأَمَّلْ كَيْفَ كَانَتْ أَكْثَرُ بُيُوتِهَا فِي الْجِبَالِ، وَهِيَ الْمُتَقَدِّمَةُ فِي الْآيَةِ، ثُمَّ الْأَشْجَارُ، وَهِيَ دُونَ ذَلِكَ، ثُمَّ فِيمَا يَعْرِشُ النَّاسُ، وَهِيَ أَقَلُّ بُيُوتِهَا، فَانظُرْ كَيْفَ أَدَّاهَا حُسْنُ الِامْتِثَالِ إِلَى أَنِ اتَّخَذَتِ الْبُيُوتَ قَبْلَ الْمَرْعَى، فَهِيَ تَتَّخِذُهَا أَوَّلًا، فَإِذَا اسْتَقَرَّ لَهَا بَيْتٌ خَرَجَتْ مِنْهُ، فَرَعَتْ، وَأَكَلَتْ مِنَ الثَّمَرَاتِ، ثُمَّ أَوَتْ إِلَى بُيُوتِهَا، لِأَنَّ رَبَّهَا ﷻ أَمَرَهَا بِاتِّخَاذِ الْبُيُوتِ أَوَّلًا، ثُمَّ الْأَكْلِ بَعْدَ ذَلِكَ.ا.هـ.

وَبُيُوتُ النَّحْلِ آيَةٌ فِي إِحْكَامِهَا وَإِتْقَانِهَا، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثُمَّ هِيَ مُحْكَمَةٌ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ، فِي تَسْدِيسِهَا وَرَصِّهَا، بِحَيْثُ لَا يَكُونُ بَيْنَهَا خَلَل.

وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾، أَيْ: مِن بَعْضِهَا، وَلَيْسَتْ (كُلُّ) هُنَا مِنْ أَلْفَاظِ الْعُمُومِ، وَإِن كَانَ الْأَصْلُ أَنَّهَا مِنْ أَلْفَاظِ الْعُمُومِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الرِّيحِ الَّتِي

أَرْسَلَهَا عَلَى عَادٍ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وَكَقَوْلِ الْهُدْهُدِ فِي مَلِكَةِ سَبَإٍ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].

وَالنَّحْلُ يَتَحَرَّى الْوُقُوعَ عَلَى الطَّيِّبَاتِ، وَيَتَحَرَّزُ مِنَ النَّجَاسَاتِ، فَإِن وَّقَعَتْ نَحْلَةٌ عَلَى نَجَاسَةٍ قَتَلَهَا أَمِيرُهَا عَلَى بَابِ الْمَنفَذِ، فَسُبْحَانَ مَنْ أَلْهَمَهَا؛ فَلِهَذَا ضُرِبَتْ مَثَلًا لِلْمُؤْمِنِ، فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ (رقم: ٦٨٧٢) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ الْقِطْعَةِ مِنَ الذَّهَبِ، نَفَخَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فَلَمْ تَتَغَيَّرْ، وَلَمْ تَنْقُصْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ، أَكَلَتْ طَيِّبًا، وَوَضَعَتْ طَيِّبًا، وَوَقَعَتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَلَمْ تَفْسُدْ»**.

وَلَهُ طَرِيقٌ أُخْرَى عِندَ الْبَزَّارِ (رقم: ٢٤٣٢، و٢٤٣٥)، وَفِيهَا: **«وَكَقِطْعَةِ الذَّهَبِ، أُدْخِلَتِ النَّارَ فَأُخْرِجَتْ فَلَمْ تَزْدَدْ إِلَّا جَوْدَةً»**.

وَفِيهَا أَيْضًا: **«وَقَعَتْ، فَلَمْ تَفْسُدْ، وَأَكَلَتْ، فَلَمْ تُكْسَرْ، وَوَضَعَتْ طَيِّبًا»**.(١)

هَكَذَا رَأَيْتُهُ مَضْبُوطًا: (تَفْسُدُ) بِالْفِعْلِ اللَّازِمِ، وَالْأَنسَبُ فِيمَا يَظْهَرُ، أَنَّهُ مُتَعَدِّي: (تُفْسِدُ)، واللهُ أَعْلَمُ.

وَكَذَا: (فَلَمْ تُكْسَرْ)، الْأَنسَبُ أَن لَّا يَكُونَ مُغَيَّرَ الصِّيْغَةِ (فَلَمْ تَكْسِرْ)، واللهُ أَعْلَمُ.

وَلِلْحَدِيثِ شَاهِدٌ مِّنْ حَدِيثِ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ، بِلَفْظِ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ، لَا تَأْكُلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا تَضَعُ إِلَّا طَيِّبًا»**. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي "الْكُبْرَى"(رقم: ١١٢٧٨).(٢)

فَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ مِن فَضَائِلِ النَّحْلَةِ؛ فَإِنَّهَا ضُرِبَتْ مَثَلًا لِلْمُؤْمِنِ.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي "النِّهَايَةِ"(نَحَلَ): وَوَجْهُ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَهُمَا حِذْقُ النَّحل وفِطْنَتُهُ، وَقِلَّةُ أَذَاهُ، وَمَنفَعَتُهُ، وَقُنُوعُهُ، وَتَنَزُّهُهُ عَنِ الْأَقْذَارِ، وَطِيْبُ أَكْلِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَأْكُلُ مِن كَسْبِ

(١) وصححه الحاكم (رقم: ٢٥٣)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٢٢٨٨).

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ٢٤٧)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٣٥٥).

غَيْرِهِ، وَنُحُولُهُ، وَطَاعَتُهُ لِأَمِيرِهِ، وَأَنَّ لِلنَّحْلِ آفَاتٍ تَقْطَعُهُ عَنْ عَمَلِهِ، مِنْهَا الظُّلْمَةُ وَالْغَيْمُ، وَالرِّيحُ وَالدُّخَانُ، وَالْمَاءُ وَالنَّارُ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ لَهُ آفَاتٌ تُفَتِّرُهُ عَنْ عَمَلِهِ: ظُلْمَةُ الْغَفْلَةِ، وَغَيْمُ الشَّكِّ، وَرِيحُ الْفِتْنَةِ، وَدُخَانُ الْحَرَامِ، وَمَاءُ السَّعَةِ، وَنَارُ الْهَوَى.ا.هـ.

وَرَوَى الدَّارِمِيُّ (رقم: ٣٢٠)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي "مُدَارَاةِ النَّاسِ"(رقم: ٢٨)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الزُّهْدِ"(رقم: ١٨٩)، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَوْقُوفًا عَلَيْهِ: **«كُونُوا فِي النَّاسِ كَالنَّحْلَةِ فِي الطَّيْرِ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الطَّيْرِ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَضْعِفُهَا، وَلَوْ يَعْلَمُ الطَّيْرُ مَا فِي أَجْوَافِهَا مِنَ الْبَرَكَةِ، لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِهَا»**.

وَلَمَّا كَانَتِ النَّحْلَةُ مُبَارَكَةً، وَمَثَلًا لِلْمُؤْمِنِ وَرَدَ النَّهْيُ عَن قَتْلِهَا، فَعِندَ أَحْمَدَ (رقم: ٣٠٦٦، و٣٢٤٢)، وَأَبِي دَاوُدَ (رقم: ٥٢٦٧)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٢٢٤)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **«نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ، النَّمْلَةِ، وَالنَّحْلَةِ، وَالْهُدْهُدِ، وَالصُّرَدِ»**.(١)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الذُّبَابُ كُلُّهُ فِي النَّارِ إِلَّا النَّحْلَ»**. رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى (رقم: ٤٢٣١) بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ (ج١١/صـ: ٥٥)(رقم: ١١-٥٩) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ أَيْضًا.(٢)

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٥٦٤٦)، والضياء في "المختارة"(ج١١/صـ: ١٣٩-١٤٠)(رقم: ١٣٢، و١٣٣، و١٣٤)، والألباني في "الإرواء"(رقم: ٢٤٩٠).

وقد أعل هذا الحديث بالإرسال، والاضطراب، راجع: "العلل ومعرفة الرجال"(ج٣/صـ: ٦٤) للإمام أحمد، و"علل الحديث"(ج٦/صـ: ١٢٣-١٢٤، وصـ: ١٦٣-١٦٤، وصـ: ١٩٢) لابن أبي حاتم، "وعلل الدارقطني"(ج١٠/صـ: ١٢٤)، و"أحاديث معلة ظاهرها الصحة"(رقم: ٢٣٢).

(٢) وصححه الضياء في "المختارة"(ج١٣/صـ: ٨٩)(رقم: ١٥٢)، والألباني في "صحيح الجامع"(رقم: ٣٤٤٢).

وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾، أَيْ: سَهْلَةً مُذَلَّلَةً لَهَا، حَالٌ مِّنَ السُّبُلِ، وَهِيَ الطُّرُقُ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَيْ: سَهْلَةً عَلَيْهَا حَيْثُ شَاءَتْ فِي هَذَا الْجَوِّ الْعَظِيمِ وَالْبَرَارِي الشَّاسِعَةِ، وَالْأَوْدِيَةِ وَالْجِبَالِ الشَّاهِقَةِ، ثُمَّ تَعُودُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلَى مَوْضِعِهَا وَبَيْتِهَا، لَا تَحِيدُ عَنْهُ يُمْنَةً وَلَا يُسْرَةً، بَلْ إِلَى بَيْتِهَا وَمَا لَهَا فِيهِ مِنْ فِرَاخٍ وَعَسَلٍ، فَتَبْنِي الشَّمْعَ مِنْ أَجْنِحَتِهَا، وَتَقِيءُ الْعَسَلَ مِن فِيهَا وَتَبِيضُ الْفِرَاخَ مِنْ دُبُرِهَا، ثُمَّ تُصْبِحُ إِلَى مَرَاعِيهَا.ا.هـ.

وَقِيلَ: بَلْ حَالٌ مِّنَ النَّحْلَةِ السَّالِكَةِ؛ لِكَوْنِهَا مُذَلَّلَةً لِلْإِنسَانِ مُسَخَّرَةً لَّهُ، كَمَا قَالَ ﷻ فِي الْأَنْعَامِ: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢﴾ [يس: ٧٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَظْهَرُ، وَهُوَ أَنَّهُ حَالٌ مِنَ الطَّرِيقِ، أَيْ: فَاسْلُكِيهَا مذلَّلةً لَكِ، نَصَّ عَلَيْهِ مُجَاهِدٌ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: كِلَا الْقَوْلَيْنِ صَحِيحٌ.ا.هـ.

وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾، أَي: الْعَسَلُ، فَمَا تَأْكُلُهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْأَزْهَارِ مِنَ الْفُضُولِ الْحُلْوَةِ وَالرُّطُوبَاتِ الَّتِي يَرْشَحُ بِهَا الزَّهْرُ وَالْوَرِقُ، فَيَسْتَحِيلُ فِي بَطْنِهَا عَسَلًا، ثُمَّ تَقِيئُهُ، وَلَا يَتِمُّ صَلَاحُ الْعَسَلِ بَعْدَ أَن تَقِيئَهُ مِن بُطُونِهَا إِلَّا بِحَمْيِ أَنفاسِهَا.

وَالْعَسَلُ أَشْرَفُ مَشْرُوبٍ وَمَطْعُومٍ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْ أَشْرَفِ مَشْرُوبَاتِ وَمَطْعُومَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ﴾ [محمد: ١٥].

وَرَوَى أَحْمَدُ (رقم: ٢٠٠٥٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٥٧١) عَن مُّعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«فِي الْجَنَّةِ بَحْرُ اللَّبَنِ، وَبَحْرُ الْمَاءِ، وَبَحْرُ الْعَسَلِ، وَبَحْرُ الْخَمْرِ، ثُمَّ تَشَقَّقُ الْأَنْهَارُ مِنْهَا بَعْدُ»**.(١)

وَيُذْكَرُ فِي بَابِ تَحْقِيرِ الدُّنْيَا أَنَّ أَشْرَفَ مَشْرُوبِهَا قَيْءُ النَّحْلِ!، وَيُذْكَرُ أَيْضًا فِي بَابِ بَيَانِ أَثَرِ زُخْرُفِ الْقَوْلِ أَنَّ الْعَسَلَ مُجَاجُ النَّحْلِ وَقَيْئُهُ، قَالَ بَعْضُهُمْ:

فِي زُخْرُفِ الْقَوْلِ تَزْيِينٌ لِّبَاطِلِهِ ... وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ

(١) وصححه الترمذي، وابن حبان (رقم: ٧٤٠٩)، والألباني في "صحيح الجامع" (رقم: ٢١٢٢).

تَقُــولُ هَــذَا مُجَــاجُ النَّحْــلِ تَمْدَحُــهُ ... وَإِن تَشَــأْ قُلْــتَ ذَا قَــيْءُ الزَّنَــابِيرِ
مَــدحًا وَّذَمًّــا وَمَــا جَــاوَزْتَ وَصْــفَهُمَا ... وَالْحَــقُّ قَــدْ يَعْتَرِيــهِ سُــوءُ تَعْبِــيرِ

وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ﴾، أَيِ: الْعَسَلُ، وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِهِ بِاخْتِلَافِ مَا تَرْعَى عَلَيْهِ النَّحْلُ، فَمِنْهُ الْأَبْيَضُ، وَمِنْهُ الْأَحْمَرُ، وَمِنْهُ الْأَصْفَرُ، وَمِنْهُ الَّذِي يَضْرِبُ إِلَى سَوَادٍ، وَمِنْهُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَرَائِحَتُهُ كَرَائِحَةِ الشَّجَرِ الَّذِي يَرْعَى عَلَيْهِ، فَعَسَلُ السِّدْرِ تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ السِّدْرِ، وَهَكَذَا، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ دَارَ عَلَى نِسَائِهِ، فَيَدْنُو مِنْهُنَّ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ، فَاحْتَبَسَ عِنْدَهَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْتَبِسُ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي: أَهْدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً مِنْ عَسَلٍ، فَسَقَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ شَرْبَةً، فَقُلْتُ: أَمَا وَاللهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسَوْدَةَ، وَقُلْتُ: إِذَا دَخَلَ عَلَيْكِ، فَإِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكِ، فَقُولِي لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ: **«لَا»**، فَقُولِي لَهُ: مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ: **«سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ»**، فَقُولِي لَهُ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ، وَسَأَقُولُ ذَلِكِ لَهُ، وَقُولِيهِ أَنْتِ يَا صَفِيَّةُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى سَوْدَةَ قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كِدْتُ أَنْ أُبَادِئَهُ بِالَّذِي قُلْتِ لِي، وَإِنَّهُ لَعَلَى الْبَابِ فَرَقًا مِنْكِ، فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ قَالَ: **«لَا»**، قَالَتْ: فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ قَالَ: **«سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ»**، قَالَتْ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيَّ، قُلْتُ لَهُ: مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى صَفِيَّةَ، فَقَالَتْ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَسْقِيكَ مِنْهُ؟ قَالَ: **«لَا حَاجَةَ لِي بِهِ»**، قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَاللهِ لَقَدْ حَرَمْنَاهُ، قَالَتْ: قُلْتُ لَهَا: اسْكُتِي.(١)

(١) البخاري (رقم: ٥٢٦٨، و٦٩٧٢)، ومسلم (رقم: ١٤٧٤).

ثُمَّ قَالَ ﷻ: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾، فِيهِ: أَيِ: الْعَسَلُ، شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ بَعْضُ مَن تَكَلَّمَ عَلَى الطِّبِّ النَّبَوِيِّ: لَوْ قَالَ: (فِيهِ الشِّفَاءُ لِلنَّاسِ)، لَكَانَ دَوَاءً لِكُلِّ دَاءٍ، وَلَكِنْ قَالَ: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾، أَيْ: يَصْلُحُ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ أَدْوَاءٍ بَارِدَةٍ، فَإِنَّهُ حَارٌّ، وَالشَّيْءُ يُدَاوَى بِضِدِّهِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ أَخِي اسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«اسْقِهِ عَسَلًا»**، فَسَقَاهُ، ثُمَّ جَاءَهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَقَيْتُهُ عَسَلًا، فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا، فَقَالَ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَاءَ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: **«اسْقِهِ عَسَلًا»**، فَقَالَ: لَقَدْ سَقَيْتُهُ، فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«صَدَقَ اللهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ»**، فَسَقَاهُ، فَبَرَأَ.(١)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ، فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةٍ مِنْ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ»**.(٢)

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم: ٥٦٨٠، و٥٦٨١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وَكَيَّةِ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ»**.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«عَلَيْكُمْ بِالسَّنَا وَالسَّنُّوتِ فَإِنَّ فِيهِمَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ»**، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: **«الْمَوْتُ»**. وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ لِّغَيْرِهِ.(٣)

وَالسَّنُّوتُ: هُوَ الْعَسَلُ الَّذِي يَكُونُ فِي زِقَاقِ السَّمْنِ.

---

(١) البخاري (رقم: ٥٦٨٤، و٥٧١٦)، ومسلم (رقم: ٢٢١٧).

(٢) البخاري (رقم: ٥٦٨٣، و٥٧٠٢)، ومسلم (رقم: ٢٢٠٥).

(٣) راجع: "الصحيحة"(رقم: ١٧٩٨).

وَلِلْعَسَلِ مَنَافِعُ كَثِيْرَةٌ وَفَوَائِدُ وَعَظِيْمَةٌ، ذَكَرَ جُمْلَةً مِّنْهَا: الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي الطِّبِّ النَّبَوِيِّ مِن "زَادِ الْمَعَادِ"(ج٤/صـ: ٣٠-٣٤)، وَقَالَ: وَهُوَ غِذَاءٌ مَعَ الْأَغْذِيَةِ، وَدَوَاءٌ مَعَ الْأَدْوِيَةِ، وَشَرَابٌ مَعَ الْأَشْرِبَةِ، وَحُلْوٌ مَعَ الْحَلْوَى، وَطِلَاءٌ مَعَ الْأَطْلِيَةِ، وَمُفَرِّحٌ مَعَ المفرِّحَاتِ، فَمَا خُلِقَ شَيْءٌ فِي مَعْنَاهُ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَلَا مِثْلَهُ، وَلَا قَرِيْبًا مِنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ مُعَوَّلُ الْقُدَمَاءِ إِلَّا عَلَيْهِ.ا.هـ.

وَيُضْرَبُ بِالْعَسَلِ الْمَثَلُ فِي الْحَلَاوَةِ، سَوَاءٌ لِّلْأَشْيَاءِ الْحِسِّيَّةِ أَوِ الْمَعْنَوِيَّةِ، فَيُكَنَّى بِهِ عَنِ الْجِمَاعِ؛ لِلَذَّتِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لِلْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَت تَّحْتَ رِفَاعَةَ الْقُرَظِيِّ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزَّبِيرِ: **«أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لَا، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.(١)

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَّذَاقَتُهُ ... لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

وَلِشَرَفِ الْعَسَلِ شَرُفَتِ النَّحْلُ، وَعَظُمَتِ الْعِنَايَةُ بِهَا، قَدِيمًا وَّحَدِيثًا، وَبِلَادُ الْيَمَنِ - بِحَمْدِ اللهِ - عَلَى رَأْسِ أَمَاكِنِ الدُّنْيَا عِنَايَةً بِالنَّحْلِ، لَا سِيَّمَا بِلَادُ حَضْرَمَوْتَ مِنْهَا، فَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ هُنَاكَ سَبَبُ رِزْقِهِ إِمَّا الْعِنَايَةُ بِالنَّحْلِ وَتَرْبِيَتُهَا لِلْحُصُولِ عَلَى الْعَسَلِ، أَوْ تَصْفِيَتُهُ، أَوْ بَيْعُهُ وَشِرَاؤُهُ، فَتَرْبِيَةُ النَّحْلِ يَفْتَحُ عَلَى صَاحِبِهِ بَابًا مِّنْ أَبْوَابِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ، مَعَ حُصُولِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ وَالْقَنَاعَةِ، وَيُغْنِيهِ بِفَضْلِ اللهِ عَن سُبُلِ الرِّزْقِ الْمُحَرَّمَةِ وَالْمَشْبُوهَةِ، فَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **«لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا**

---

(١) البخاري (برقم: ٢٦٣٩، و٥٢٦٠، و٥٢٦٥، و٥٣١٧، و٥٧٩٢، و٥٨٢٥، و٦٠٨٤)، ومسلم (برقم: ١٤٣٣).

وَتَرُوحُ بِطَانًا». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٠٥، و٣٧٠، و٣٧٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٣٤٤)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٤١٦٤).(١)

وَيُبَارِكُ اللهُ لِأَهْلِ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، فَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

وَالْوَاقِعُ أَنَّ الْغِشَّ فَشَا فِي تِجَارَةِ الْعَسَلِ، حَتَّى صَارَ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ لَا يَنظُرُ إِلَى كَثِيرٍ مِّنَ الْعَسَلِ الْمَعْرُوضِ لِلْبَيْعِ نَظَرَ ثِقَةٍ!.

أَخْبَرَنِي أَحَدُ كِبَارِ النَّحَّالَةِ وَتُجَّارِ الْعَسَلِ، وَهُوَ ثِقَةٌ مِّنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ لَدَيْهِمْ أَنَّ الْعَسَلَ الْكَشْمِيرِيَّ الْمُتَدَاوَلَ فِي الْأَسْوَاقِ خَرَجَ مِن بُطُونِ النَّحْلِ!، وَلَمْ يَثْبُتْ لَدَيْهِمْ أَنَّ كَشْمِيرَ بِلَادٌ يَكْثُرُ فِيهَا تَرْبِيَةُ النَّحْلِ!، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ!.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَفِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾، حَثٌّ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

هَذَا وَلِلنَّحْلِ فَهْمٌ، وَكَيْسٌ، وَشَجَاعَةٌ، وَنَظَرٌ فِي الْعَوَاقِبِ، وَمَعْرِفَةٌ بِفُصُولِ السَّنَةِ، وَأَوْقَاتِ الْمَطَرِ، وَتَدْبِيرٌ الْمَرْتَعِ وَالْمَطْعَمِ، وَالطَّاعَةُ لِكَبِيْرِهِ، وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمِيْرِهِ وَقَائِدِهِ،

---

(١) وصححه الترمذي، وابن حبان (رقم: ٧٣٠)، والحاكم (رقم: ٧٨٩٤)، والضياء في "المختارة"(ج١/ص: ٣٣٣)(رقم: ٢٢٧)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٣١٠)، وذكره العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٩٨٦).

(٢) البخاري (رقم: ٢٠٧٩، و٢٠٨٢، و٢١١٠)، ومسلم (رقم: ١٥٣٢).

وَبَدِيعُ الصَّنْعَةِ وَعَجِيبُ الْفِطْرَةِ، وَيُضْرَبُ بِالنَّحْلِ الْمَثَلُ فِي التَّعَاوُنِ وَالتَّآزُرِ وَتَنظِيمِ الْأُمُورِ وَحُسْنِ التَّدْبِيرِ، فَيُقَالُ: كَخَلِيَّةِ نَحْلٍ.

وَيُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي النَّشَاطِ، وَالنَّحْلُ لَا تَتْرُكُ عِندَهَا بَطَّالًا إِلَّا نَفَتْهُ وَأَبْعَدَتْهُ، وَأَقْصَتْهُ عَنِ الْخَلِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ يُضَيِّقُ الْمَكَانَ، وَيُفْنِي الْعَسَلَ، وَيُعَلِّمُ النَّشِيطَ الْكَسَلَ.

قَالَ الدَّمِيرِيُّ: وَالنَّحْلُ تَجْتَمِعُ، فَتُقَسِّمُ الْأَعْمَالَ، فَبَعْضُهَا يَعْمَلُ الْعَسَلَ، وَبَعْضُهَا يَعْمَلُ الشَّمْعَ، وَبَعْضُهَا يَسْقِي الْمَاءَ، وَبَعْضُهَا يَبْنِي الْبُيُوتَ.ا.هـ.

وَلِلنَّحْلِ مَلِكَاتٌ، وَذُكُورٌ، يُقَالُ لَهَا الْيَعَاسِيبُ، وَاحِدُهَا يَعْسُوبٌ، وَلَيْسَ لَهَا وَظِيفَةٌ سِوَى تَلْقِيحِ الْمَلِكَةِ، وَالذُّكُورُ أَصْغَرُ جِرْمًا مِنَ الْإِنَاثِ.

وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ الْيَعَاسِيبِ فِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٩٣٧)، فِي ذِكْرِ الدَّجَّالِ، وَفِيهِ: «**وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ**».

وَإِن طَارَتْ هَذِهِ الْيَعَاسِيبُ فَهِيَ تَخْرُجُ بِأَجْمَعِهَا، وَتَرْتَفِعُ فِي الْهَوَاءِ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَى الْخَلِيَّةِ.

قَالَ الدَّمِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنْ عَادَتِهَا أَنَّهَا إِذَا رَأَتْ فَسَادًا مِّن مَّلِكٍ، إِمَّا أَن تَعْزِلَهُ وَإِمَّا أَن تَقْتُلَهُ، وَأَكْثَرُ مَا تَقْتُلُ خَارِجَ الْخَلِيَّةِ، وَالْمُلُوكُ لَا تَخْرُجُ إِلَّا مَعَ جَمِيعِ النَّحْلِ، فَإِذَا عَجَزَ الْمَلِكُ عَنِ الطَّيَرَانِ، حَمَلَتْهُ.

قَالَ: وَمِنْ خَصَائِصِ الْمَلِكِ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ حُمَةٌ يَلْسَعُ بِهَا، وَأَفْضَلُ مُلُوكِهَا الشُّقْرُ، وَأَسْوَؤُهَا الرُّقْطُ بِسَوَادٍ.

قَالَ: وَفِي طَبْعِهِ أَنَّهُ يَهْرُبُ بَعْضُهُ مِن بَعْضٍ، وَيُقَاتِلُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْخَلَايَا، وَيَلْسَعُ مَن دَنَا مِنَ الْخَلِيَّةِ، وَرُبَّمَا هَلَكَ الْمَلْسُوعُ، وَإِذَا هَلَكَ شَيْءٌ مِّنْهَا دَاخِلَ الْخَلَايَا، أَخْرَجَتْهُ الْأَحْيَاءُ إِلَى خَارِجٍ، وَفِي طَبْعِهِ أَيْضًا النَّظَافَةُ، فَلِذَلِكَ يُخْرِجُ رَجِيعَهُ مِنَ الْخَلِيَّةِ، لِأَنَّهُ مُنتِنُ الرِّيحِ.

وَهُوَ يَعْمَلُ زَمَانَيِ الرَّبِيعِ وَالْخَرِيفِ، وَالَّذِي يَعْمَلُهُ فِي الرَّبِيعِ أَجْوَدُ، وَالصَّغِيرُ أَعْمَلُ مِنَ الْكَبِيرِ، وَهُوَ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ مَا كَانَ صَافِيًا عَذْبًا، يَطْلُبُهُ حَيْثُ كَانَ، وَلَا يَأْكُلُ مِنَ

الْعَسَلِ إِلَّا قَدْرَ شِبَعِهِ، وَإِذَا قَلَّ الْعَسَلُ فِي الْخَلِيَّةِ، قَذَفَهُ بِالْمَاءِ؛ لِيَكْثُرَ، خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِن نَّفَادِهِ، لِأَنَّهُ إِذَا نَفِدَ، أَفْسَدَ النَّحْلُ بُيُوتَ الْمُلُوكِ وَبُيُوتَ الذُّكُورِ، وَرُبَّمَا قَتَلَتْ مَا كَانَ مِنْهَا هُنَاكَ.

وَالنَّحْلُ يَسْلَخُ جِلْدَهُ كَالْحَيَّاتِ، وَتُوَافِقُهُ الْأَصْوَاتُ اللَّذِيذَةُ الْمُطْرِبَةُ، وَيَضُرُّهُ السُّوسُ، وَدَوَاؤُهُ أَن يُطْرَحَ لَهُ فِي كُلِّ خَلِيَّةٍ كَفُّ مِلْحٍ، وَأَن يُفْتَحَ فِي كُلِّ شَهْرٍ مَّرَّةً، وَيُدَخَّنَ بِأَخْثَاءِ الْبَقَرِ.

وَفِي طَبْعِهِ أَنَّهُ مَتَى طَارَ مِنَ الْخَلِيَّةِ يَرْعَى ثُمَّ يَعُودُ، فَتَعُودُ كُلُّ نَحْلَةٍ إِلَى مَكَانِهَا، لَا تُخْطِئُهُ.ا.هـ.

فَسُبْحَانَ مَنْ هَدَاهَا وَأَلْهَمَهَا! تَخْرُجُ مِن بَيْتِهَا فِي الصَّبَاحِ إِلَى الْبَرَارِي وَأَمَاكِنِ الزَّهْرِ، فَتَرْعَى، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسَاءُ عَادَتْ قَبْلَ الظَّلَامِ إِلَى خَلِيَّتِهَا لَا تُخْطِئُهَا.

وَلِدَوِيِّ النَّحْلِ ذِكْرٌ فِي الْآثَارِ، وَبِدَوِيِّهَا شُبِّهَ دَوِيُّ الْأَذْكَارِ، فَعِندَ أَحْمَدَ (رقم: ١٨٣٦٢، و١٨٣٨٨)، وَابْنِ مَاجَهْ (رقم: ٣٨٠٩) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«إِنَّ الَّذِي تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ، وَتَسْبِيحِهِ، وَتَحْمِيدِهِ، وَتَهْلِيلِهِ تَتَعَطَّفُ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ، كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ، أَفَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن لَّا يَزَالَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ شَيْءٌ يُذَكِّرُ بِهِ؟»**.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهْ: **«يَنعَطِفْنَ»**.(١)

وَعِندَ الدَّارِمِيِّ (رقم: ٨) عَنْ أَبِي فَرْوَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَأَلَ كَعْبَ الْأَحْبَارِ: كَيْفَ تَجِدُ نَعْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ؟ فَقَالَ كَعْبٌ: «نَجِدُهُ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، يُولَدُ بِمَكَّةَ، وَيُهَاجِرُ إِلَى طَابَةَ، وَيَكُونُ مُلْكُهُ بِالشَّامِ، وَلَيْسَ بِفَحَّاشٍ، وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَافِئُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ، يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي كُلِّ سَرَّاءَ، وَيُكَبِّرُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ، يُوَضِّئُونَ أَطْرَافَهُمْ،

(١) وصححه الحاكم (رقم: ١٨٤١، و١٨٥٥)، والألباني في "الصحيحة" (رقم: ٣٣٥٨).

وَيَأْتَزِرُونَ فِي أَوْسَاطِهِمْ، يُصَفُّونَ فِي صَلَوَاتِهِمْ كَمَا يُصَفُّونَ فِي قِتَالِهِمْ، دَوِيُّهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُسْتَمَعُ مُنَادِيهِمْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ».

وَأَخْرَجَ الدَّارِمِيُّ (رقم: ٥) مِن طَرِيقِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ كَعْبٍ، نَحْوَهُ.

وَبَعْضُ مَا فِيهِ قَدْ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢١٢٥، و٤٨٣٨) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بن الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَلَيْسَ فِيهِ الشَّاهِدُ.

خصائص العدد أربعين

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٤ - ٩٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣].

قَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الْعَدَدُ، مِنْهُ شَفْعٌ، وَمِنْهُ وَتْرٌ.

وَقَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَعُمَّانِ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، شَفْعَهَا وَوَتْرَهَا، وَالشَّفْعُ: الزَّوْجُ، وَالْوَتْرُ: الْفَرْدُ.

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا غِنَى لِلنَّاسِ عَنِ الْعَدِّ وَالْإِحْصَاءِ، مِن قَدِيمٍ وَحَدِيثٍ، سَوَاءٌ فِي الْعِبَادَاتِ أَوْ فِي الْمُعَامَلَاتِ، فَالْعَدُّ ضَرُورَةٌ مِّنَ الضَّرُورَاتِ.

وَفَضْلُ الْأَعْدَادِ الْفَرْدِيَّةِ عَلَى الْأَعْدَادِ الزَّوْجِيَّةِ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ: **«وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ»**، فَسُبْحَانَ الْوِتْرِ الظَّاهِرِ الْقَاهِرِ.

وَمِن جُمْلَةِ الْأَعْدَادِ الزَّوْجِيَّةِ الَّتِي اتَّفَقَتْ لَهَا خَصَائِصُ قَدَرِيَّةٌ وَشَرْعِيَّةٌ: الْعَدَدُ (أَرْبَعُونَ).

قَالَ الصَّدْرُ الْبَكْرِيُّ (ت ٦٥٦ هـ) فِي كِتَابِهِ: "الْأَرْبَعِيْنَ مِنْ أَرْبَعِيْنَ عَنْ أَرْبَعِيْنَ"(ص: ٤٦): «وَلَا شَكَّ أَنَّ لِهَذَا الْعَدَدِ فَضْلًا وَمَزِيَّةً». ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَ فَضَائِلِهِ.

فَمِنْ خَوَاصِّهِ قَدَرًا وَشَرْعًا:

◄ مَا فِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ؟ قَالَ: **«المَسْجِدُ الحَرَامُ»**. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟، قَالَ: **«ثُمَّ المَسْجِدُ الأَقْصَى»**. قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: **«أَرْبَعُونَ [سَنَةً]، ثُمَّ قَالَ: حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ، وَالأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ»**.(١)

◄ وَفِي شَأْنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ قَالَ ﷻ: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وَهَذَا بَعْدَ أَنْ أَنجَى اللهُ مُوسَى وَمَن مَّعَهُ مِن بَنِي إِسْرَائِيْلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَأَغْرَقَ فِرْعَونَ وَجُنُودَهُ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَمَرَ مُوسَى قَوْمَهُ بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَعَصَوا، قَالَ ﷻ مُخْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ

(١) البخاري (رقم: ٣٣٦٦، و٣٤٢٥)، ومسلم (رقم: ٥٢٠).

ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢١ - ٢٥].

فَظَلُّوا فِي صَحْرَاءِ سَيْنَاءَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً، وَتُعْرَفُ هَذِهِ الْمُدَّةُ بِـ(زَمَنِ التِّيْهِ).

◄ وَمِن ذَلِكَ أَيْضًا: مَا فِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»**.

وَهَذَا الْحَدِيْثُ مِنْ أُصُولِ الدِّيْنِ وَقَوَاعِدِهِ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُهُ؛ وَلِهَذَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الْأَرْبَعِيْنَ النَّوَوِيَّةِ".

وَفِي هَذَا الْحَدِيْثِ فَوَائِدُ كَثِيْرَةٌ، مِنْهَا: ذِكْرُ الْمَرَاحِلِ وَالْأَطْوَارِ الَّتِي يُجْمَعُ فِيْهَا خَلْقُ الْجَنِيْنِ ابْتِدَاءً مِنَ النُّطْفَةِ حَتَّى تُنفَخَ فِيْهِ الرُّوحُ.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ»**، وَالْعَلَقَةُ: الدَّمُ الْمُتَجَمِّدُ.

وَهَاهُنَا فَائِدَةٌ فِقْهِيَّةٌ مُهِمَّةٌ تَحْتَاجُ إِلَيْهَا النِّسَاءُ، فَإِذَا أَسْقَطَتِ الْمَرْأَةُ مَا فِي بَطْنِهَا فِي هَذَيْنِ الطَّوْرَيْنِ: طَوْرِ النُّطْفَةِ وَطَوْرِ الْعَلَقَةِ فَلَا شَيْءَ يَتَرَتَّبُ عَلَى إِسْقَاطِهَا، فَلَيْسَتْ بِنُفَسَاءَ، بَلْ تُصَلِّي وَتَصُومُ وَيَأْتِيهَا زَوْجُهَا، وَهَذَا أَمْرٌ تَخْلِطُ فِيهِ كَثِيْرٌ مِنَ النِّسَاءِ؛ بِسَبَبِ الْجَهْلِ.

وَمُدَّةُ هَذَيْنِ الطَّوْرَيْنِ: ثَمَانُونَ يَوْمًا.

قَالَ: **«ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ»**، وَالْمُضْغَةُ هِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ.

هَذَا هُوَ الطَّوْرُ الثَّالِثُ مِنْ أَطْوَارِ الْجَنِيْنِ، مِنَ الْيَوْمِ الْوَاحِدِ وَالثَّمَانِيْنَ إِلَى الْعِشْرِيْنَ وَمِائَةٍ، وَهُوَ طَوْرُ: الْمُضْغَةِ، وَهَذِهِ الْمُضْغَةُ لَا تَخْلُو مِنْ أَحَدِ حَالَيْنِ:

١) إِمَّا أَن تَكُونَ مُخَلَّقَةً، أَيْ: يَتَبَيَّنُ فِيْهَا خَلْقُ إِنسَانٍ، بِأَن يَّتَمَيَّزَ إِلَى يَدَيْنِ وَرِجْلَيْنِ، وَرَأْسٍ، فَهَذِهِ الْمُضْغَةُ الْمُخَلَّقَةُ تَجْرِي عَلَى مَنْ أَسْقَطَتْهَا مِنَ النِّسَاءِ: أَحْكَامُ النِّفَاسِ مِن تَرْكِهَا الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَتَحْرِيْمِ وَطْئِهَا.

٢) وَالْحَالُ الْآخَرُ: أَن تَكُونَ الْمُضْغَةُ غَيْرَ مُخَلَّقَةٍ، فَلَا يَتَرَتَّبُ عَلَى مَنْ أَسْقَطَتْهَا مِنَ النِّسَاءِ شَيْءٌ مِنْ أَحْكَامِ النِّفَاسِ، كَالطَّوْرَيْنِ اللَّذَيْنِ قَبْلَهُ.

◄ وَمِنْ أَهَمِّ مَرَاحِلِ الْعُمُرِ: بُلُوغُ الْأَرْبَعِيْنَ، قَالَ ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾، أَيْ: أَوَجَّ قُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ، وَذَلِكَ بِبُلُوغِ شَبَابِهِ، ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، وَبِبُلُوغِ الْإِنسَانِ الْأَرْبَعِيْنَ يَكْتَمِلُ عَقْلُهُ وَفَهْمُهُ وَحِلْمُهُ؛ وَلِهَذَا كَانَ هَذَا السِّنُّ هُوَ سِنَّ بِعْثَةِ الرُّسُلِ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَعَثَهُ اللهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً». يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٥٤٨، و٥٩٠٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٣٤٧).

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾، أَيْ: أَلْهِمْنِي ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ أَيْ: فِي الْمُسْتَقْبَلِ، ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا فِيهِ إِرْشَادٌ لِمَنْ بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ أَنْ يُجَدِّدَ التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ إِلَى اللهِ ﷻ، وَيَعْزِمَ عَلَيْهَا.ا.هـ.

◄ وَمِمَّا اتَّفَقَ أَيْضًا لِلْعَدَدِ أَرْبَعِيْنَ مِنَ الْخَصَائِصِ شَرْعًا فِي بَابِ الطَّهَارَةِ: مَا فِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ (برقم: ٢٥٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الْإِبِطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**».

وَالْعَانَةُ: الشَّعَرُ الَّذِي حَوْلَ الْفَرْجِ.

وَهَذَا الْحَدِيْثُ: فِيْهِ تَحْرِيْمُ تَرْكِ الْأَظْفَارِ وَشَعَرِ الشَّارِبِ وَالْإِبِطِ وَالْعَانَةِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً، سَوَاءٌ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءِ، الْعُزَّابُ مِنْهُمْ وَالْمُتَزَوِّجُونَ، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَظَاهِرُ الْأَدِلَّةِ يَقْتَضِي وُجُوبَهَا؛ لِإِطْلَاقِ الْأَحَادِيْثِ الْآمِرَةِ بِذَلِكَ؛ وَلِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَقَّتَ لِلْمُسْلِمِيْنَ أَن لَّا يَتْرُكُوهَا أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً.ا.هـ.(١)

وَهَذَا الْأَمْرُ يَتَسَاهَلُ فِيْهِ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ، أَمَّا الشَّارِبُ فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَن يَرَى إِطَالَتَهُ مَفْخَرَةً، حَتَّى يُقَالَ فِيْهِ: (شَنَب!)، أَوْ: (أَبُو شَنَب!)، وَهَذَا مِنَ الْبَلَاءِ!.

يُقْضَى عَلَى الْمَرْءِ فِي أَيَّامِ مِحْنَتِهِ ... حَتَّى يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ

وَهُم مَّعَ هَذَا يَعْمِدُونَ إِلَى مُحَرَّمٍ، وَهُوَ: حَلْقُ اللِّحَى الَّتِي أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِإِعْفَائِهَا، فَقَالَ: «**أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَعْفُوا اللِّحَى**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (برقم:٥٨٩٢)، وَمُسْلِمٌ (برقم:٢٥٩) مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَكَذَلِكَ الْأَظْفَارُ، مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ مَن يُّطِيْلُهَا أَشْهُرًا أَوْ سِنِينَ، وَهَذَا حَرَامٌ شَنِيعٌ.

وَكَذَا شَعَرُ الْإِبِطِ وَالْعَانَةِ، لَا يَجُوزُ تَرْكُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا، وَالتَّسَاهُلُ فِيهِ حَاصِلٌ.

◄ وَعِندَ أَحْمَدَ وَأَصْحَابِ السُّنَنِ إِلَّا النَّسَائِيَّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «**كَانَتْ النُّفَسَاءُ تَجْلِسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**».(٢)

---

(١) "مجموع فتاوى ابن باز"(ج١٠/صـ: ٤٩-٥٠، وج٢٥/صـ: ٣٤٢، وج٢٩/صـ: ٥٠).

(٢) رواه أحمد (برقم: ٢٦٥٦١، و٢٦٥٨٤، و٢٦٥٩٢، و٢٦٦٣٨)، وأبو داود (برقم: ٣١١)، والترمذي (برقم: ١٣٩)، وابن ماجه (برقم: ٦٤٨). =

هَذَا الْحَدِيْثُ لَهُ شَوَاهِدُ، وَفِيْهِ تَوْقِيْتُ أَكْثَرِ مُدَّةِ النِّفَاسِ بِأَرْبَعِيْنَ يَوْمًا، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ وَمَن بَعْدَهُمْ، إِلَّا أَن تَرَى الطُّهْرَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَبِالْإِجْمَاعِ.

◄ وَفِي بَابِ الصَّلَاةِ: قَوْلُ النَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَن يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥١٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٥٠٧) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي جُهَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ أَبُو النَّضْرِ: لاَ أَدْرِي، أَقَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ شَهْرًا، أَوْ سَنَةً.

◄ وَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ٢٢٣٠) عَنِ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»**.

هَذَا مَن سَأَلَهُ وَهُوَ مُعْتَقِدٌ كَذِبَهُ، أَمَّا مَن صَدَّقَهُ فَالْوَعِيْدُ أَشَدُّ مِن ذَلِكَ، فَعِندَ أَحْمَدَ (رقم: ٩٥٣٦) وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»**.

وأبو سهل هو كثير بن زياد، ثقة، وَقد أُعِلَّ هذا الحديثُ بجهالة مُسَّةَ، والجواب عن ذلك ما قاله ابن الملقن في "البدر المنير"(ج٣/صـ: ١٤١): قد روى عنها جماعات: كثير بن زياد، والحكم بن عتيبة، وزيد بن علي بن الحسين، رواه البيهقي عن الحاكم، وروى أيضًا محمد بن كناسة، عن محمد بن عبيد الله العرزمي، عن الحسن، عن مسة أيضًا، فهؤلاء أربعة رووا عنها، فارتفعت جهالة عينها.

وأما جهالةُ حالها، فهي مرتفعة ببناء البخاري على حديثها، وتصحيح الحاكم لإسناده، فأقل أحواله أن يكون حسنًا، لا جرم قال النوويُّ في "خلاصته": قول جماعة من مصنفي الفقهاء: إن هذا الحديث ضعيف؛ مردود عليهم.ا.هـ.

وقد صحح هذا الحديثَ: الحاكمُ (رقم: ٦٢٢)، ووافقه الذهبي، وقوَّاه البيهقي، وحسنه النووي في "المجموع"(٢/صـ: ٥٢٥)، وأقره الحافظ ابن حجر، وكذا حسنه الألباني في "الإرواء"(رقم:٢٠١)، وفي "صحيح أبي داود"(رقم:٣٢٩)، وقال في "الثمر المستطاب"(صـ: ٤٧): له شواهد كثيرة، لا ينزل بها عن مرتبة الحسن لغيره.ا.هـ.

ثم ذكر له شواهد مرفوعة، وموقوفة، فيها ذكر التوقيت بأربعين يومًا، فلتراجع، وليراجع أيضًا: "تحقيق المسند"(٤٤/صـ:١٨٦-١٨٨).

◄ وَرَوَى أَحْمَدُ (رقم: ٦٦٤٤)، والنَّسَائِيُّ (رقم: ٥٦٧٠)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٣٧٧) مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«مَن شَرِبَ الْخَمْرَ شَرْبَةً لَمْ تُقْبَل لَّهُ تَوْبَةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِن تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِن تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِن عَادَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَن يَّسْقِيَهُ مِن طِينَةِ الْخَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.(١)

◄ وَفِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ: مَا فِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٩٤٨) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **«مَا مِن رَّجُلٍ مُسْلِمٍ يَّمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»**.

◄ وَفِي بَابِ الزَّكَاةِ: أَنَّ أَوَّلَ نِصَابِ الشِّيَاهِ الزَّكَوِيِّ: أَرْبَعُونَ شَاةً. وَالنِّصَابَ الثَّانِي فِي الْبَقَرِ: أَرْبَعُونَ.

◄ وَفِي الصَّدَقَاتِ الْمُسْتَحَبَّةِ: مَا فِي صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ (رقم: ٢٦٣١) عنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاَهُنَّ مَنِيحَةُ العَنزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَّعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِّنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الجَنَّةَ»**.

◄ وَفِي الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَمَا بَعْدَهَا مِن يَّوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَحْوَالِهِ وَوَصْفِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا شَيْءٌ كَثِيْرٌ، فَمِن ذَلِكَ:

◄ مَا وَرَدَ فِي رِيْحِ الْجَنَّةِ وَعِظَمِ اتِّسَاعِ أَبْوَابِهَا، فَرَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣١٦٦، و٦٩١٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَّمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِن مَّسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»**.

---

(١) وصححه ابن خزيمة (رقم: ٩٣٩)، وابن حبان (رقم: ٥٣٥٧)، والحاكم (رقم: ٨٣، و٩٤٥)، وقال: «على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٧٨٦).

◄ وَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِن مَّصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٩٦٧).

وَرَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١١٢٣٩) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سَعِيْدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَرْفُوعًا.

وَرَوَاهُ مَرْفُوعًا أَيْضًا (رقم: ٢٠٠٢) مِنْ حَدِيْثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

◄ وَفِي فَضْلِ الْفُقَرَاءِ الصَّابِرِيْنَ: مَا لِمُسْلِمٍ (رقم: ٣٧) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ، بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا**».

◄ وَفِي الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ: أَنَّ مُدَّةَ مُكْثِ الدَّجَّالِ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، فَفِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٩٣٧) عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «**لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**».

◄ وَفِي شَأْنِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ: مَا عِندَ أَحْمَدَ (رقم: ٩٢٧٠، و٩٦٣٢)، وَأَبِي دَاوُدَ (رقم: ٤٣٢٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَيْسَ بَيْنِي**

وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ - يَعْنِي عِيسَى - وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ، (فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ)، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى، فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ». (١)

---

(١) وصححه ابن حبان (برقم: ٦٨٢١)، والحاكم (برقم: ٤١٦٣)، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الحافظ في "الفتح"(ج٦/صـ: ٣٨٤)، وقال الألباني في "الصحيحة"(برقم: ٢١٨٢): «وهو على شرط مسلم».

وقال الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(برقم: ١٤٤٨): «هذا حديث حسن على شرط مسلم، وما بين القوسين في الصحيح: البخاري، ومسلم».

ومع ذلك فللحديث علة، وهي أنه من رواية قتادة، عن عبد الرحمن بن آدم - وهو مولى أم بُرثُن - وهو صدوق، روى له مسلم حديثًا واحدًا متابعةً، إلا أن قتادة مدلس وقد عنعن، وذكر ابن أبي حاتم في "المراسيل"(برقم: ٦٣٣) عن أبيه، عن إسحاق بن منصور، عن ابن معين. أنه قال: لم يسمع قتادة من عبد الرحمن مولى أم بُرثُن؛ فعلى هذا يكون الإسناد منقطعًا.

ويشهد لما وقع في هذا الحديث من أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يمكث في الأرض أربعين سنة: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، الذي يليه.

وأما ما وقع في "صحيح مسلم"(برقم: ٢٩٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن مدة مكث عيسى عليه السلام تكون سبع سنين، ففي إسناده يعقوب بن عاصم بن عروة، لم يوثقه غير ابن حبان، وهو رجل غير مشهور، وقال ابن حجر في "التقريب": «مقبول»، أي: عند المتابعة، وإلا فهو ليِّنٌ، ولم يتابعه على هذا أحد فيما نعلم، والله تعالى أعلم.ا.هـ من "تحقيق المسند"(ج١٥/صـ:١٥٤).

قلت: ويدل أيضًا على صحة رواية (أربعين سنة) لفظ ابن حبان (برقم: ٧٣٥٣): «ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ بَعْدَهُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ»، أي: بعد موت عيسى بن مريم. =

◄ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ، ثُمَّ لَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً، يَلُذْنَ بِهِ، مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ»**.(١)

◄ وَفِي أَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»**. قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ. **«ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ، كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ»**. قَالَ: **«وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

وَلِمُسْلِمٍ: **«كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ، وَفِيهِ يُرَكَّبُ»**.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

◄ وَمِمَّا اتَّفَقَ أَيْضًا لِلْعَدَدِ أَرْبَعِيْنَ مِنَ الْخَصَائِصِ قَدَرًا وَّشَرْعًا: أَنَّ خَيْرَ أَيَّامِ وَلَيَالِي السَّنَةِ كُلِّهَا: أَرْبَعُونَ يَوْمًا وَلَيْلَةٍ: شَهْرُ رَمَضَانَ وَالْعَشْرُ الْأُوْلَى مِن ذِي الْحِجَّةِ.

وَشَهْرُ رَمَضَانَ سَيِّدُ الشُّهُورِ، وَأَفْضَلُهَا، وَصِيَامُهُ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْمَعْلُومَةِ مِن دِيْنِ الْإِسْلَامِ بِالِاضْطِرَارِ.

قال الزيلعي في "تخريج أحاديث الكشاف"(ج١/صـ: ١٦٧): ورواه البيهقي في كتاب "البعث والنشور" بسند ابن حبان ومتنه، ثم قال – بعد أن ذكر الروايتين –: ويحتمل أن قوله: **«ثُمَّ يَلْبَثُ النَّاسُ بَعْدَهُ»**، أي: بعد موته، فلا يكون مخالفًا للأول.ا.هـ.

(١) البخاري (برقم: ١٤١٤)، ومسلم (برقم: ١٠١٢).

قَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»**.(١)

وَفِيهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**.(٢)

وَقَوْلُهُ: **«إِيمَانًا»**، أَيْ: بِاللَّهِ، وَرِضًا بِفَرْضِ الصَّوْمِ، **«وَاحْتِسَابًا»**، أَيْ: لِلْأَجْرِ عِنْدَ اللهِ.

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢٣٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: **«الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»**.

وَصِيَامُهُ أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ ﷻ؛ لِأَنَّهُ أَوْجَبُهُ، فَقَدْ قَالَ ﷻ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: **«وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٥٠٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَن يُظِلَّنَا هَذَا الشَّهْرُ إِلَّا أَيَّامٌ قَلَائِلُ، نَسْأَلُ اللهَ ﷻ أَن يُبَلِّغَنَا رَمَضَانَ، وَأَن يُعِينَنَا عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ.

---

(١) رواه البخاري (رقم: ٨، و٤٥١٤)، ومسلم (رقم: ١٦).

(٢) رواه البخاري (رقم: ٣٨، و١٩٠١، و٢٠١٤)، ومسلم (رقم: ٧٦٠).

تنبيه أولى الهمم على ما لشهر رمضان من تعلق وأثر في خيرية الأمة على سائر الأمم

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

◄ فَالْخَلْقُ خَلْقُهُ، وَالِاخْتِيَارُ اخْتِيَارُهُ، اخْتَارَ آدَمَ لِيَكُونَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[البقرة: ٣٠ - ٣٣].

وَكَرَّمَ بَنِي آدَمَ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى كَثِيْرٍ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

◄ وَاخْتَارَ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى مَن سِوَاهَا مِنَ الْأُمَمِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وَعَن مُّعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٠١٥، و٢٠٢٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٠٠١)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٤٢٨٧، و٤٢٨٨).(١)

وَأَرْسَلَ إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ خَيْرَ الرُّسُلِ، وَبِهِ خَتَمَهُمْ، وَهُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَكْثَرُ الْأَنبِيَاءِ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٢٧٨).

وَلَهُ أَيْضًا (رقم: ٢٢٧٦) عَن وَّاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»**.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدِ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٩٨١، و٧٢٧٤)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٥٢).

---

(١) وصححه الحاكم (رقم: ٦٩٨٧، و٦٩٨٨)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في تعليقه على "المشكاة"(رقم: ٦٢٩٤).

وَأَنزَلَ عَلَيْهِ خَيْرَ الْكُتُبِ وَأَشْرَفَهَا: الْقُرْآنَ، قَالَ ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

◄ وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي هُوَ خَيْرُ الْكُتُبِ وَالَّذِي تَضَمَّنَ خَيْرَ الْكَلَامِ أَنزَلَهُ اللهُ ﷻ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ فِي خَيْرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَفِي خَيْرِ الشُّهُورِ وَأَشْرَفِهَا شَهْرِ رَمَضَانَ، وَفِي خَيْرِ لَيَالِيهِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ لَيَالِي الدَّهْرِ، لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

قَالَ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْمَشْهُورِ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ، أَنَّ اللهَ ﷻ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْهُ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

ثُمَّ كَانَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ مُنَجَّمًا، نَجْمًا نَجْمًا، فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، أَيْ: مُفَرَّقًا حَسَبَ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْدَاثِ.(١)

وَقِيلَ: أُنْزِلَ فِيهِ أَوَّلُ الْقُرْآنِ، أَيْ: كَانَ ابْتِدَاءُ نُزُولِهِ فِي رَمَضَانَ.

وَقِيلَ: أُنْزِلَ فِي شَأْنِهِ وَفَضْلِهِ الْقُرْآنُ. وَقِيلَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ بِفَرْضِ صِيَامِهِ.(٢)

◄ وَخَيْرُ مُدَارَسَةِ الْقُرْآنِ وَأَفْضَلُهَا مَا كَانَتْ فِي رَمَضَانَ؛ فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ،**

---

(١) راجع: "تفسير ابن كثير"، عند الآية المذكورة.

(٢) راجع: "زاد المسير"، و"فتح القدير"، عند الآية المذكورة.

وراجع أيضًا: "التبصرة"(ج٢/ص:٦٨).

فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ».** (١)

◄ قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَدَلَّ الْحَدِيثُ أَيْضًا عَلَى اسْتِحْبَابِ دِرَاسَةِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ، وَالْاِجْتِمَاعِ عَلَى ذَلِكَ، وَعَرْضِ الْقُرْآنِ عَلَى مَنْ هُوَ أَحْفَظُ لَهُ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْإِكْثَارِ مِن تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

قَالَ: وَفِيهِ أَنَّ الْمُدَارَسَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جِبْرِيْلَ كَانَتْ لَيْلًا، فَيَدُلُّ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْإِكْثَارِ مِنَ التِّلَاوَةِ فِي رَمَضَانَ لَيْلًا؛ فَإِنَّ اللَّيْلَ تَنقَطِعُ فِيهِ الشَّوَاغِلُ، وَيَجْتَمِعُ فِيهِ الْهَمُّ، وَيَتَوَاطَأُ فِيهِ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ عَلَى التَّدَبُّرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]. ا.هـ. (٢)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَن سَيِّدَةِ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَأَنَّهُ عَارَضَهُ فِي العَامِ الَّذِيْ تُوُفِّيَ فِيْهِ مَرَّتَيْنِ. (٣)

◄ فَالْقُرْآنُ كَلَامُ الْعَزِيزِ الْعَلَّامِ، وَهُوَ خَيْرُ الْكَلَامِ، أَنزَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ، فِي خَيْرِ شُهُورِ الْعَامِ، وَفِي خَيْرِ الْأَمَاكِنِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَمُدَارَسَتُهُ فِي رَمَضَانَ خَيْرُ الْمُدَارَسَةِ عَلَى الدَّوَامِ، وَأَهْلُهُ الْعَامِلُونَ بِهِ خَيْرُ النَّاسِ وَأَوْلَاهُم بِالْكَمَالِ وَالتَّمَامِ.

◄ فَأَيْنَ أَنتَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ مِنْ هَذِهِ الْخَيْرِيَّةِ، هَلْ أَنتَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ هُمْ خَيْرُ النَّاسِ وَهُمْ أَهْلُ اللهِ!.

فَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:٥٠٢٧).

---

(١) البخاري (رقم:٦، و١٩٠٢، و٣٢٢٠، و٣٥٥٤، و٤٩٩٧)، ومسلم (رقم:٢٣٠٨).

(٢) "لطائف المعارف"(ص: ١٦٩).

(٣) البخاري (رقم:٣٦٢٤، و٦٢٨٥)، ومسلم (رقم:٢٤٥٠).

وَفِي رِوَايَةٍ (رقم:٥٠٢٨): «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

وَلِمُسْلِمٍ (رقم:٨١٧) عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٢٢٧٩، و١٢٢٩٢)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٢١٥).(١)

◄ أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ خَيْرِيَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ: الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنكَرِ، وَلَا تَرَى فِي الْمُسْلِمِيْنَ عُمُومًا مِنَ الرِّقَّةِ وَالِانقِيَادِ وَالِاسْتِجَابَةِ، وَالِامْتِثَالِ لِمَنْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَن مُّنكَرٍ كَمَا تَرَاهُمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

فَشَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرٌ يُعَظِّمُهُ الْمُسْلِمُونَ، وَحُقَّ لَهُ أَن يُّعَظَّمَ؛ لِأَنَّهُ خَيْرُ الشُّهُورِ.

◄ وَفِي أَيَّامِ شَهْرِ رَمَضَانَ تُؤَدَّى عِبَادَةٌ هِيَ مِنْ خَيْرِ الْعِبَادَاتِ، وَهِيَ الصِّيَامُ، وَفَضْلُ هَذِهِ الْعِبَادَةِ ظَاهِرٌ، فَكَمْ قَد طَّرَقَ الْأَسْمَاعَ قَوْلُ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ فِي الْحَدِيْثِ الْقُدْسِيِّ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ».(٢)

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي».(٣)

وَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم:١١٥١)(١٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ».

(١) وصححه الحاكم (رقم:٢٠٤٦)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم:١٤٣٢)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٧٧).

(٢) البخاري (رقم:١٩٠٤، و٥٩٢٧)، ومسلم (رقم: ١١٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ...»، فذكره.

(٣) البخاري (رقم:٧٤٩٢) وهذا لفظه، ومسلم (رقم:١١٥١)(١٦٤)، ولفظه: «يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي».

مَعَ أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ كُلَّهَا للهِ ﷻ، وَلَكِنْ إِنَّمَا خُصَّ الصَّوْمُ بِهَذَا الْفَضْلِ؛ لِكَوْنِهِ سِرًا بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، فَلَوْ أَنَّ امْرأً تَظَاهَرَ بِالصِّيَامِ، وَهُوَ مُفْطِرٌ لَمْ يَكُن قَدْ أَتَى بِرُكْنِ الصِّيَامِ أَصْلًا، فَلَا سَبِيْلَ إِلَى مَعْرِفَةِ صِيَامِ الصَّائِمِ عَلَى الْحَقِيْقَةِ إِلَّا بِإِخْبَارِهِ هُوَ بِذَلِكَ إِن كَانَ صَادِقًا.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **«عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٢٢٧٦)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم:٢٢٢٢).(١)

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا: مُرْنِي بِأَمْرٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، قَالَ: **«عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ؛ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ»**.(٢)

وَصِيَامُ رَمَضَانَ خَيْرُ الصِّيَامِ عُمُومًا؛ لِأَنَّهُ أَوْجَبُ الصِّيَامُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ فِي الْحَدِيْثِ الْقُدْسِيِّ: **«وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»**.(٣)

قَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾[البقرة: ١٨٣ - ١٨٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

---

(١) وصححه ابن خزيمة (رقم: ١٨٩٣)، وابن حبان (رقم: ٣٤٢٥، و٣٤٢٦)، والحاكم (رقم: ١٥٣٣)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٩٨٦) وذكره العلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٤٨٨).

(٢) "المسند"(رقم: ٢٢١٤١)، و"المجتبى"(رقم: ٢٢٢١).

(٣) رواه البخاري (رقم: ٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**».(١)

وَفِيهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».(٢)

وَقَوْلُهُ: «**إِيمَانًا**»، أَيْ: بِاللَّهِ، وَرِضًا بِفَرْضِ الصَّوْمِ، «**وَاحْتِسَابًا**»، أَيْ: لِلْأَجْرِ عِنْدَ اللهِ.

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢٣٣) عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**».

◄ وَقِيَامُ رَمَضَانَ أَفْضَلُ الْقِيَامِ، وَالْقِيَامُ عُمُومًا أَفْضَلُ نَوَافِلِ الصَّلَاةِ عَلَى مَدَارِ الْعَامِ.

فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ١١٦٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: سُئِلَ – يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ –: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ: الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ: صِيَامُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ**».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».(٣)

---

(١) البخاري (رقم: ٨، و٤٥١٤)، ومسلم (رقم: ١٦).

(٢) البخاري (رقم: ٣٨، و١٩٠١، و٢٠١٤)، ومسلم (رقم: ٧٦٠).

(٣) البخاري (رقم: ٣٧، و٢٠٠٨، و٢٠٠٩)، ومسلم (رقم: ٧٥٩).

◄ وَخَيْرُ قِيَامِ رَمَضَانَ: قِيَامُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَفِيهِمَا عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ**».(١)

وَالْجَمَاعَةُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ خَيْرٌ مِنَ الِانفِرَادِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(٢)

وَلَفْظُ التِّرْمِذِيِّ – وَهُوَ أَيْضًا لَفْظٌ لِلنَّسَائِيِّ –: «**كَتَبَ اللَّهُ لَهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ**».

وَلَفْظُ ابْنِ مَاجَهْ: «**يَعْدِلُ قِيَامَ لَيْلَةٍ**».

◄ فَلَا يَفُوتَنَّكُمْ هَذَا الْفَضْلُ، وَهَذَا الْخَيْرُ، فَاشْغَلُوا أَنفُسَكُمْ وَأَشْغِلُوا نِسَائَكُمْ وَأَبْنَائَكُمْ بِالطَّاعَاتِ وَالصَّلَاةِ وَالْقِيَامِ وَإِلَّا شُغِلْتُمْ وَشُغِلُوا بِالْمَعْصِيَةِ وَالْبَاطِلِ، كَالتَّسَكُّعِ فِي الطُّرُقَاتِ!، وَاللَّهْوِ فِي الْأَسْوَاقِ وَمُتَابَعَةِ بَثِّ الْقَنَوَاتِ وَالتُّرَّهَاتِ!، وَاللَّغَطِ وَمَجَالِسِ الْقَاتِ!.

إِيَّاكُمْ أَن تُضَيِّعُوا أَوْلَادَكُمْ، فَكَثِيْرٌ مِنَ الْأَوْلَادِ لَهُمْ طَاقَاتٌ وَجُهُودٌ يُبَدِّدُونَهَا فِي اللَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ وَالضَّيَاعِ وَالْعَبَثِ وَالْمُخَالَفَاتِ، وَيَشُقُّ عَلَى أَحَدِهِمْ أَن يَّدْخُلَ الْمَسْجِدَ لِيُؤَدِّيَ الصَّلَاةَ أَوْ لِيَحْفَظَ الْقُرْآنَ، وَمِنْهُم مَّن بَلَغَ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ وَالرَّابِعَةَ عَشْرَةَ، وَهُوَ لَا يُحْسِنُ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ، وَلَا يَصُومُ،؛ لِأَنَّ أَبَوَيْهِ لَمْ يُعَلِّمَاهُ كَيْفَ يَتَوَضَّأُ وَكَيْفَ يُصَلِّي، وَلَمْ يُعَوِّدَاهُ عَلَى الصِّيَامِ.

---

(١) رواه البخاري (رقم: ٣٥، و١٩٠١، و٢٠١٤)، ومسلم (رقم: ٧٦٠).

(٢) "المسند"(رقم: ٢١٤١٩، و٢١٤٤٧)، و"سنن أبي داود"(رقم: ١٣٧٥)، و"سنن الترمذي" (رقم: ٨٠٦)، و"سنن النسائي"(رقم: ١٦٠٥، و١٣٦٤)، و"سنن ابن ماجه"(رقم: ١٣٢٧). وصححه محدثا العصر الإمامان: الألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ١٢٤٥)، وفي "الإرواء"(رقم: ٤٤٧)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٢٧٠).

اسْمَعْ إِلَى حَالِ السَّلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَعَ أَوْلَادِهِمْ، قَالَتِ الرُّبَيِّعُ بِنتُ مُعَوِّذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ عَاشُوْرَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنصَارِ: **«مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا، فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا، فَلْيَصُمْ»**. قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُوْمُهُ بَعْدُ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ حَتَّى يَكُوْنَ عِندَ الْإِفْطَارِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٩٦٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١١٣٦).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ (رقم: [١٣٧]- ١١٣٦) عَنْهَا، قَالَتْ: **«فَإِذَا سَأَلُونَا الطَّعَامَ، أَعْطَيْنَاهُمُ اللُّعْبَةَ تُلْهِيهِمْ؛ حَتَّى يُتِمُّوا صَوْمَهُمْ»**.

◄ فَاحْرِصْ عَلَى الْخَيْرِ لِأَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ خَيْرِيَّتِكَ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»**. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٨٩٥).(١)

وَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ١٨٢٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِذَا أَعْطَى اللهُ أَحَدَكُمْ خَيْرًا فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ»**.

◄ وَمِنْ أَمَارَاتِ الْخَيْرِيَّةِ وَآثَارِهَا: الْبَرَكَةُ فِي الْأَعْمَارِ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: **«مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٧٦٩٨، و١٧٦٩٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٣٢٩).(٢)

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٤١٧٧)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٢٨٥، و١١٧٤)، وذكر له شاهدين من حديثي ابن عباس وابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وذكره أيضًا في موضع آخر من "الصحيحة"(رقم: ٢٦٧٨) من حديث الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فراجع ما هنالك.

(٢) وحسنه الترمذي، وصححه الضياء في "المختارة"(ج٩/ص: ٤٣)(رقم: ٢٠)، و(ج٩/ص: ٦٠)(رقم: ٤٣)، و(ج٩/ص: ٨٣)(رقم: ٦٦، و٦٧، و٦٨، و٦٩)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٣٣٦٤)، وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٥٥٩).

فَإِن طَالَ عُمُرُ الْمُسْلِمِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ آخِرُ الْأُمَمِ زَمَانًا، وَخَيْرُهَا فَضْلًا وَإِيمَانًا فَإِنَّهُ لَا يَتَجَاوَزُ فِي الْغَالِبِ السَّبْعِيْنَ وَنَحْوَهَا، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ»**، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (رقم:٣٥٥٠)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم:٤٢٣٦) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١)

◄ لَكِنَّ اللهَ قَدْ مَنَّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ فَأَفْضَلَ، وَأَعْطَاهَا فَأَجْزَلَ، وَمِن ذَلِكَ: مَا أَكْرَمَهَا بِهِ مِنَ الْفَضْلِ الْكَبِيْرِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيْلِ الْمُرَتَّبِ عَلَى صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

فَرَوَى أَحْمَدُ (رقم: ٨٣٩٩) عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَجُلَانِ مِنْ بَلِيٍّ، حَيٍّ مِنْ قُضَاعَةَ، أَسْلَمَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتُشْهِدَ أَحَدُهُمَا، وَأُخِّرَ الْآخَرُ سَنَةً، قَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ: فَأُرِيتُ الْجَنَّةَ، فَرَأَيْتُ الْمُؤَخَّرَ مِنْهُمَا، أُدْخِلَ قَبْلَ الشَّهِيدِ، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَأَصْبَحْتُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَوْ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ، وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ، أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً صَلَاةَ السَّنَةِ؟»**.(٢)

وَفِي رِوَايَةٍ مِن طَرِيقِ أَبِي سَلَمَةَ، عن طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«صَلَّى أَلْفًا وَثَمَانِ مِائَةِ صَلَاةٍ، وَصَامَ رَمَضَانَ»**.(٣)

---

(١) قال الترمذي: «حديث حسن غريب، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة».
وصححه ابن حبان (رقم: ٢٩٨٠)، والحاكم (رقم:٣٥٩٨)، وقال: «على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وذكره الألباني في "الصحيحة"(رقم:٧٥٧)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:١٢٨٥).

(٢) "المسند"(رقم:٨٣٩٩)، بإسناد حسن، وهو في "الصحيحة"(رقم:٢٥٩١) للألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) "المسند"(رقم:١٣٨٩)، وسنن ابن ماجه (رقم:٣٩٢٥)، وفيه انقطاع بين أبي سلمة وبين طلحة بين عبد الله؛ فإنه لم يدركه، لكن يشهد له ما قبله.

◄ وقَالَ ﷻ مُبَيِّنًا فَضْلَ وَشَرَفَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[القدر:٢-٣].

وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّهَا فِي فَضْلِهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَأَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ فِيهَا أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

وَكَفَى بِهَذَا مَنقَبَةً لِلَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ فَإِنَّ أَلْفَ شَهْرٍ يَعْدِلُ ثَلَاثَةً وَثَمَانِيْنَ عَامًا ونيِّفًا!، وَلَا يَبْلُغُ هَذَا الْعُمُرَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا الْقَلِيْلُ، ثُمَّ لَوْ بَلَغَ هَذَا الْعُمُرَ، فَإِنَّهُ لَا يَصْفُو لَهُ مِنْهُ فِي الْعِبَادَةِ إِلَّا الْقَلِيْلُ؛ فَثُلُثُ عُمُرِهِ أَوْ أَكْثَرُ يَذْهَبُ فِي النَّوْمِ! وَنِسْبَةٌ مِنْهُ تَذْهَبُ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَقَضَاءِ الْحَاجَةِ وَالاشْتِغَالِ بِالْمُبَاحَاتِ، نَاهِيْكَ عَنِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي تُقْضَى فِي الْغَفَلَاتِ، وَالْمَكْرُوهَاتِ، بَلْ وَفِي الْمُحَرَّمَاتِ! نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْبَرَكَةَ فِي أَعْمَارِنَا.

فَتَأَمَّلْ أَخِي الْمُسْلِمُ هَذَا الْأَمْرَ حَقَّ التَّأَمُّلِ؛ فَإِنَّهُ سَيَقُودُكَ إِلَى مَعْرِفَةِ قَدْرِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَيَشْحَذُ هِمَّتَكَ إِلَى تَحَرِّيهَا وَاغْتِنَامِ لَيَالِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَعَدَمِ التَّفْرِيطِ فِي أَوْقَاتِهَا.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سَعِيْدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ كُلِّ وِتْرٍ**».(١)

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوِتْرِ، مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:٢٠١٧).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ**».(٢)

◄ وَمِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِيَّةِ أَيْضًا: تَعْجِيْلُ الْفِطْرِ وَصَلَاةِ الْمَغْرِبِ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا، فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٩٥٧)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٠٩٨).

---

(١) رواه البخاري (رقم: ٢٠١٦، و٢٠٢٧، و٢٠٣٦)، ومسلم (رقم: ١١٦٧).

(٢) البخاري (رقم: ٢٠١٥)، ومسلم (رقم: ١١٦٥).

وَرَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ (رقم: ٢٠٦١) – وَعَنْهُ ابْنُ حِبَّانَ (رقم: ٣٥١٠) – وَالْحَاكِمُ (رقم: ١٥٨٤)، بِلَفْظِ: «**لَا تَزَالُ أُمَّتِي عَلَى سُنَّتِي مَا لَمْ تَنْتَظِرْ بِفِطْرِهَا النُّجُومَ**».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِيهِ الْحَثُّ عَلَى تَعْجِيلِهِ بَعْدَ تَحَقُّقِ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَمَعْنَاهُ: لَا يَزَالُ أَمْرُ الْأُمَّةِ مُنْتَظِمًا وَهُمْ بِخَيْرٍ مَا دَامُوا مُحَافِظِينَ عَلَى هَذِهِ السُّنَّةِ، وَإِذَا أَخَّرُوهُ كَانَ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَى فَسَادٍ يَقَعُونَ فيه».

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي "الْفَتْحِ"(ج٤/صـ:١٩٩): قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ رَدٌّ عَلَى الشِّيْعَةِ فِي تَأْخِيرِهِمُ الْفِطْرَ إِلَى ظُهُورِ النُّجُومِ.ا.هـ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ، لِأَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ.(١)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُؤَخِّرَ سُحُورَنَا، وَنُعَجِّلَ فِطْرَنَا، وَأَنْ نُمْسِكَ بِأَيْمَانِنَا عَلَى شَمَائِلِنَا فِي صَلَاتِنَا**». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُ.(٢)

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ١٠٩٩) عَنْ أَبِي عَطِيَّةَ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَمَسْرُوقٌ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ لَهَا مَسْرُوقٌ: رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، كِلَاهُمَا لَا يَأْلُو عَنِ الْخَيْرِ، أَحَدُهُمَا يُعَجِّلُ الْمَغْرِبَ وَالْإِفْطَارَ، وَالْآخَرُ يُؤَخِّرُ الْمَغْرِبَ وَالْإِفْطَارَ،

---

(١) "المسند"(رقم:٩٨١٠)، و"سنن أبي داود"(رقم:٢٣٥٣)، وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:١٤١٦) للعلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) "المعجم الكبير"(ج١١/صـ:١٩٩)(رقم: ١١٤٨٥)، و"صحيح ابن حبان"(رقم: ١٧٧٠)، بإسناد على شرط مسلم، وصححه أيضًا: الضياء المقدسي في "المختارة"(ج١١/صـ:٢٠٩)(رقم:٢٠٠، و٢٠١)، وقال الهيثمي في "المجمع"(ج٢/صـ:١٠٥): «رجاله رجال الصحيح».

وصححه أيضًا: العلامة الألباني في "أصل صفة الصلاة"(ج١/صـ:٢٠٥-٢٠٧)، وذكر له طرقًا، وشواهد، فراجعها، وراجع أيضًا: "الصحيحة"(رقم:١٧٧٣).

فَقَالَتْ: مَنْ يُعَجِّلُ الْمَغْرِبَ وَالْإِفْطَارَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللهِ، فَقَالَتْ: «**هَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **يَصْنَعُ**».

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ وَعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ أَوْ عَلَى الْفِطْرَةِ مَا لَمْ يُؤَخِّرُوا الْمَغْرِبَ حَتَّى تَشْتَبِكَ النُّجُومُ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ.(١)

وَعَن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَوَارَتْ بِالْحِجَابِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

وَعَن رَّافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**كُنَّا نُصَلِّي الْمَغْرِبَ مَعَ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، **فَيَنْصَرِفُ أَحَدُنَا، وَإِنَّهُ لَيُبْصِرُ مَوَاقِعَ نَبْلِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ أَيْضًا.(٣)

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ أَنَّ الْمَغْرِبَ تُعَجَّلُ عَقِبَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَقَدْ حُكِيَ عَنِ الشِّيعَةِ فِيهِ شَيْءٌ لَا الْتِفَاتَ إِلَيْهِ، وَلَا أَصْلَ لَهُ، وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ إِخْبَارٌ عَنْ عَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمُتَكَرِّرَةِ الَّتِي وَاظَبَ عَلَيْهَا إِلَّا لِعُذْرٍ، فَالِاعْتِمَادُ عَلَيْهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.ا.هـ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

---

(١) "المسند"(رقم: ١٧٣٢٩، و٢٣٥٣٤، و٢٣٥٨٢)، و"سنن أبي داود"(رقم: ٤١٨)، وصححه ابن خزيمة (رقم:٣٣٩)، والحاكم (رقم:٦٨٥)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في "صحيح أبي داود" (رقم: ٤٤٥)، وذكره العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٣١٦).

(٢) البخاري (رقم:٥٦١)، وهذا لفظه، ومسلم (رقم: ٦٣٦).

(٣) البخاري (رقم:٥٥٩)، ومسلم (رقم: ٦٣٧).

◄ فَتَأَمَّلُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ كَيْفَ اجْتَمَعَتْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ خَيْرِيَّاتٌ عِدَّةٌ، فَأَنْعِم بِهِ مِن زَمَنٍ وَّمُدَّةٍ.

◄ وَتَأَمَّلُوا فِيمَا لِشَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ الْأَثَرِ الظَّاهِرِ فِي حَيَاةِ النَّاسِ، وَكَيْفَ يُغَيِّرُ الْمَشْهَدَ وَالْوَاقِعَ مِنْ أَوَّلِ لَيَالِيْهِ وَأَيَّامِهِ، فَهُوَ - واللهِ - يَبْعَثُ عَلَى الْأَمَلِ فِي وَحْدَةِ الْأُمَّةِ، وَلَا اجْتِمَاعَ لَهَا إِلَّا عَلَى أَمْرٍ سَوَاءٍ، وَهُوَ الِاعْتِصَامُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ الْأَهْوَاءَ وَالْمُحْدَثَاتِ الْمُكَفِّرَةَ مِنْهَا كَالْبَاطِنِيَّةِ وَالِاثْنَيْ عَشَرِيَّةِ وَالْقُبُورِيَّةِ وَالْحُلُولِيَّةِ وَالِاتِّحَادِيَّةِ وَالْإِلْحَادِيَّةِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمُفَسِّقَةَ، كَالْحِزْبِيَّةِ هِيَ الَّتِي مَزَّقَتِ الْأُمَّةَ وَفَرَّقَتْهَا.

◄ وَخَيْرُ فِرَقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ: أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، أَهْلُ الْحَدِيْثِ وَالِاتِّبَاعِ، فَفُرْصَةٌ لِلْمُسْلِمِيْنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَن يُّرَاجِعُوا دِيْنَهُمْ، وَأَن يَّعْتَصِمُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ظَاهِرًا وَّبَاطِنًا، قَالَ ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقَالَ ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ إِلَّا النَّسَائِيَّ عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١)

---

(١) أخرجه أحمد (رقم: ١٧١٤٢، و١٧١٤٤، و١٧١٤٥، و١٧٥٤٦، و١٧٥٤٧)، وأبو داود (رقم: ٤٦٠٧)، والترمذي (رقم: ٢٦٧٦)، وابن ماجة (رقم: ٤٣، و٤٤)، وصححه الحاكم (رقم: ٣٣١)، والألباني، وحسنه الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (رقم: ٩٢١)، وله شواهد، راجعها في: "الإرواء"(ج٨/ص:١٠٧-١٠٩)(رقم: ٢٤٥٥)، و"الصحيحة" (رقم: ٩٣٧)، و(رقم: ٢٧٣٥)، و"تحقيق المسند"(ج٢٨/ص:٣٦٧-٣٧١، وص:٣٧٣-٣٧٧).

وَفِيْ رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ (رقم:١٧١٤٢)، وَابْنِ مَاجَه (رقم:٤٣): «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**».

وَعِندَ أَبِيْ دَاوُدَ (رقم: ٤٥٩٦)، وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**».(١)

وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا بِأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِيْنَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ.

وَهَذَا مُتَوَاتِرٌ عَنْهُ، رَوَاهُ جَمْعٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.(٢)

وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ وَالْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، أَهْلُ الْحَدِيْثِ.

وَخَيْرُ الْأُمُوْرِ السَّالِفَاتُ عَلَى الْهُدَى وَشَرُّ الْأُمُوْرِ الْمُحْدَثَاتُ الْبَدَائِعُ

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، نِعْمَةٌ عَظِيْمَةٌ أَن بَلَّغَكُمُ اللهُ شَهْرَ رَمَضَانَ، مَن كَانَ مُحْسِنًا فَهُوَ فِي ازْدِيَادٍ، وَمَن كَانَ مُسِيْئًا فَلَّعَلَّهُ أَن يَسْتَعْتِبَ، فَلَا تُحْرَمُوا الْخَيْرَ وَالْفَضْلَ، فَالْمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ خَيْرَ هَذَا الشَّهْرِ وَفَرَّطَ فِيْهِ وَأَضَاعَهُ، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم:٦٧٣١)، والحاكم (رقم:١٠، و٤٤١)، وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٥١).

(٢) ممن نص على تواتره: شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في "اقتضاء الصراط المستقيم" (ج١/ صـ: ٣٨) (ط.عالم الكتب)، وذكره الكتاني في "نظم المتناثر"(رقم:١٤٥) عن سبعة عشر صحابيًا.

أعمال صالحة في رمضان(١)

الْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أَكْمَلَ لَنَا الدِّيْنَ الْقَوِيْمَ وَشَرَعَهُ، وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا بِشَهْرِ رَمَضَانَ، فَمَا أَعْظَمَ فَضْلَهُ عَلَيْنَا وَأَوْسَعَهُ! وَأَوْدَعَ لَنَا فِيْهِ مِنْ أَصْنَافِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَنَوَّعَهُ، فَالْمُفْلِحُ فِيْهِ مَن بَادَرَ بِالْأَعْمَالِ وَحَرَصَ عَلَى الْمَنفَعَةِ، وَالْمَحْرُومُ مَن غُبِنَ خَيْرَ هَذَا الشَّهْرِ وَضَيَّعَهُ، أَحْمَدُهُ ﷻ حَمْدَ عَبْدٍ أَبْدَى فِي عَفْوِ رَبِّهِ وَرَحْمَتِهِ رَجَاءَهُ وَمَطْمَعَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يَرْضَى أَن يُشْرَكَ أَحَدٌ مَعَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، حَوَى حُسْنَ الْخُلُقِ أَجْمَعَهُ، مَا كَانَ أَعْظَمَ تَقْوَاهُ لِرَبِّهِ وَأَوْرَعَهُ، وَأَسْبَقَهُ إِلَى الْخَيْرِ وَأَسْرَعَهُ، لَا جَرَمَ أَنَّ اللهَ رَفَعَهُ وَشَفَّعَهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْمُقْتَفِيْنَ خُطَاهُ، وَالْمُقْتَدِيْنَ بِهُدَاهُ، فَلَا غَرْوَ إِن كَانُوا مَعْدِنَ الشَّرَفِ وَمَنبَعَهُ، وَصَحْبِهِ الَّذِيْنَ حَازُوا مِن قَصَبِ السَّبْقِ مَا لَا قُدْرَةَ لِمُنصِفٍ أَن يَدْفَعَهُ، وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَوَالَتِ الْفُصُولُ الْأَرْبَعَةُ، أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: هَا هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ قَدْ أَظَلَّنَا، وَهُوَ خَيْرُ شُهُورِ السَّنَةِ، وَرَبِيْعُ النُّفُوسِ الْمُحْسِنَةِ، وَلَهُ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِيْنَ مِنَ الْمَكَانَةِ مَا تَقْصُرُ عَنِ التَّعْبِيْرِ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، فَانفُضْ عَنكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ غُبَارَ النَّوْمِ وَالسِّنَةِ، وَلَا تَتَّبِعْ هَوَاكَ، فَلَيْسَ يُفْلِحُ مَنْ أَعْطَى هَوَاهُ رَسَنَهُ، وَبَادِرْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْخِصَالِ الْحَسَنَةِ، وَهَذِهِ وَقْفَةٌ مَعَ بَعْضِهَا:

الأُولى: التَّوْبَةُ: وَهِيَ وَاجِبَةٌ مِن كُلِّ ذَنبٍ فِي كُلِّ أَوَانٍ، لَا سِيَّمَا فِي رَمَضَانَ، قَالَ ﷻ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

وَفِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ (رقم:٢٧٠٢) مِنْ حَدِيْثِ الْأَغَرِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»**.

---

(١) أحيل إلى كتابي: "مجالس رمضانية"، ففيه ثلاثون مجلسًا، متنوعة، كلها صالحة لأن تكون خطب جمعة.

الثَّانِيَةُ: المحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا وَأَدَاؤُهَا مَعَ الجَمَاعَةِ فِي المسَاجِدِ؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيْثِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١)

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»**، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٨٢) مِنْ حَدِيْثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَدَاؤُهَا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَاجِبٌ، وَيَأْثَمُ مَن تَخَلَّفَ عَنْهَا لِغَيْرِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(٢)

وَالصَّلَاةُ أَعْظَمُ شَأْنًا مِنَ الصِّيَامِ، فَالْعَجَبُ مِمَّن يَصُومُ وَهُوَ لَا يُصَلِّي! لَوْ كَانَ صِيَامُهُ نَافِعًا لَحَمَلَهُ عَلَى التَّقْوَى، وَمِنْ أَعْظَمِ التَّقْوَى وَأَوْجَبِهَا: أَدَاءُ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ.

الثَّالِثَةُ: الصِّيَامُ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«قَالَ اللهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٣)

وَفِي رِوَايَةٍ: **«يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي»**.(٤)

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ (رقم:١١٥١)(١٦٤): قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ ﷻ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»**.

---

(١) "المسند"(رقم:٢٢٠١٦)، و"سنن الترمذي"(رقم:٢٦١٦)، وراجع: "الإرواء"(رقم:٤١٣).

(٢) البخاري (رقم:٦٤٤، و٦٥٧، و٢٤٢٠، و٧٢٢٤)، ومسلم (رقم:٦٥١)، واللفظ له.

(٣) البخاري (رقم:١٩٠٤، و٥٩٢٧)، ومسلم (رقم:١١٥١).

(٤) البخاري (رقم:٧٤٩٢) وهذا لفظه، ومسلم (رقم:١١٥١)(١٦٤)، ولفظه: **«يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»**.

وَلأَحْمَدَ (رقم: ٢٢٢٧٦)، وَالنَّسَائِيِّ (رقم:٢٢٢٢) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ**».(١)

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا أيضًا: مُرْنِي بِأَمْرٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، قَالَ: «**عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ؛ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ**».(٢)

وَصِيَامُ رَمَضَانَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ، وَأَحَبُّهُ إِلَى الْمَلِيْكِ الْعَلَّامِ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُحَطُّ بِهَا الذُّنُوبُ وَالْآثَامُ، وَهُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَمَبَانِيْهِ الْعِظَامِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٤].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَفِي الْحَدِيْثِ الْقُدْسِيِّ: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**».(٣)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**».(٤)

(١) وصححه ابن خزيمة (رقم:١٨٩٣)، وابن حبان (رقم: ٣٤٢٥، و٣٤٢٦)، والحاكم (رقم: ١٥٣٣)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٩٨٦) وذكره العلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٤٨٨).

(٢) "المسند"(رقم: ٢٢١٤١)، و"المجتبى"(رقم: ٢٢٢١).

(٣) رواه البخاري (رقم: ٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) البخاري (رقم: ٨، و٤٥١٤)، ومسلم (رقم: ١٦).

وَفِيهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».(١)

وَقَوْلُهُ: «**إِيمَانًا**»، أَيْ: بِاللَّهِ، وَرِضًا بِفَرْضِ الصَّوْمِ، «**وَاحْتِسَابًا**»، أَيْ: لِلْأَجْرِ عِنْدَ اللهِ.

وَلِمُسْلِمٍ (رقم:٢٣٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**».

الرَّابِعَةُ: حِفْظُ اللِّسَانِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالآثَامِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، [وَلَا يَجْهَلْ]، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، [مَرَّتَيْنِ]**».(٢)

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم: ٦٠٥٧) عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ وَالجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**».

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ [فَقَطْ]، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ**». صَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ (رقم: ١٩٩٦)، وَابْنُ حِبَّانَ (رقم: ٣٤٧٩)، وَالْحَاكِمُ (رقم: ١٥٧٠)، وَالْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.(٣)

---

(١) البخاري (رقم: ٣٨، و١٩٠١، و٢٠١٤)، ومسلم (رقم: ٧٦٠).

(٢) البخاري (رقم: ١٩٠٤)، ومسلم (رقم: ١١٥١)(١٦٣) وما بين المعكوفين هو في رواية للبخاري (رقم: ١٨٩٤).

(٣) وما بين المعكوفين هو لابن حبان، وكذا جاء في رواية البيهقي في: "الكبرى"(رقم: ٨٣١٢)، وفي: "فضل الأوقات"(رقم: ٦١).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وكذا صححه على شرط مسلم: الحافظ أبو موسى المديني، كما في "لطائف المعارف"(ص: ١٥٥) لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ.

وذكره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ١٠٨٢).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ، وَغَيْرُهُمَا.(١)

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ مِنِّي تَصَاوُنٌ ... وَفِي بَصَرِيْ غَضٌّ وَفِي مَنطِقِي صَمْتُ
فَحَظِّيْ إِذًا مِن صَوْمِيَ الْجُوعُ وَالظَّمَا ... فَإِن قُلْتُ إِنِّي صُمْتُ يَوْمِيَ مَا صُمْتُ

الخَامِسَةُ: القِيَامُ (صَلاةُ التَّرَاوِيحِ). فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَن قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ»**.(٢)

وَعِندَ أَحْمَدَ وَأَصْحَابِ السُّنَنِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»**.(٣)

وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ: **«مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ»**.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهْ: **«يَعْدِلُ قِيَامَ لَيْلَةٍ»**.

---

(١) "المسند"(رقم: ٨٨٥٦، و٩٦٨٥)، وسنن ابن ماجه (رقم: ١٦٩٠)، والنسائي في "الكبرى" (رقم: ٣٢٣٦، و٣٣١٩)، وصححه ابن خزيمة (رقم: ١٩٩٧)، وابن حبان (رقم: ٣٤٨١)، والحاكم (رقم: ١٥٧١) على شرط البخاري، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ١٠٨٤)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:١٣٧٢).

(٢) رواه البخاري (رقم: ٣٧، و٢٠٠٨، و٢٠٠٩)، ومسلم (رقم: ٧٥٩).

(٣) "المسند"(رقم: ٢١٤١٩، و٢١٤٤٧)، و"سنن أبي داود"(رقم: ١٣٧٥)، و"سنن الترمذي" (رقم: ٨٠٦)، و"سنن النسائي"(رقم: ١٦٠٥)، وسنن ابن ماجه"(رقم: ١٣٢٧).
وصححه الإمامان: الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح أبي داود"(رقم:١٢٤٥)، وفي "الإرواء"(رقم: ٤٤٧)، والوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٢٧٠).

السَّادِسَةُ: تَعْجِيلُ الْفِطْرِ وَالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّحَقُّقِ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٩٥٧)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٠٩٨).

وَرَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ (رقم:٢٠٦١) – وَعَنْهُ ابْنُ حِبَّانَ (رقم:٣٥١٠) – وَالْحَاكِمُ (رقم:١٥٨٤)، بِلَفْظِ: **«لَا تَزَالُ أُمَّتِي عَلَى سُنَّتِي مَا لَمْ تَنْتَظِرْ بِفِطْرِهَا النُّجُومَ»**.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِيهِ الْحَثُّ عَلَى تَعْجِيلِهِ بَعْدَ تَحَقُّقِ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَمَعْنَاهُ: لَا يَزَالُ أَمْرُ الْأُمَّةِ مُنْتَظِمًا وَهُمْ بِخَيْرٍ مَا دَامُوا مُحَافِظِينَ عَلَى هَذِهِ السُّنَّةِ، وَإِذَا أَخَّرُوهُ كَانَ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَى فَسَادٍ يَقَعُونَ فيه».

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي "الْفَتْحِ"(ج٤/صـ:١٩٩): قَالَ الْمُهَلَّبُ: وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنْ لَا يُزَادَ فِي النَّهَارِ مِنَ اللَّيْلِ؛ وَلِأَنَّهُ أَرْفَقُ بِالصَّائِمِ، وَأَقْوَى لَهُ عَلَى الْعِبَادَةِ، وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَحَلَّ ذَلِكَ إِذَا تَحَقَّقَ غُرُوبُ الشَّمْسِ بِالرُّؤْيَةِ أَوْ بِإِخْبَارِ عَدْلَيْنِ، وَكَذَا عَدْلٍ وَاحِدٍ فِي الْأَرْجَحِ. قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ رَدٌّ عَلَى الشِّيعَةِ فِي تَأْخِيرِهِمُ الْفِطْرَ إِلَى ظُهُورِ النُّجُومِ.ا.هـ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ، لِأَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ.(١)

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَتَأْخِيرُ أَهْلِ الْكِتَابِ لَهُ أَمَدٌ، وَهُوَ ظُهُور النَّجْم».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُؤَخِّرَ سُحُورَنَا، وَنُعَجِّلَ فِطْرَنَا، وَأَنْ نُمْسِكَ بِأَيْمَانِنَا عَلَى شَمَائِلِنَا فِي صَلَاتِنَا»**. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُ.(٢)

---

(١) "المسند"(رقم: ٩٨١٠)، و"سنن أبي داود"(رقم:٢٣٥٣)، وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٤١٦) للعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) "المعجم الكبير"(ج١١/صـ:١٩٩)(رقم: ١١٤٨٥)، و"صحيح ابن حبان"(رقم: ١٧٧٠)، بإسناد على شرط مسلم، وصححه أيضًا: الضياء المقدسي في "المختارة" =

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ١٠٩٩) عَنْ أَبِي عَطِيَّةَ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَمَسْرُوقٌ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ لَهَا مَسْرُوقٌ: رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كِلَاهُمَا لَا يَأْلُو عَنِ الْخَيْرِ، أَحَدُهُمَا يُعَجِّلُ الْمَغْرِبَ وَالْإِفْطَارَ، وَالْآخَرُ يُؤَخِّرُ الْمَغْرِبَ وَالْإِفْطَارَ، فَقَالَتْ: مَن يُعَجِّلُ الْمَغْرِبَ وَالْإِفْطَارَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللهِ، فَقَالَتْ: **«هَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ»**.

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ وَعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ أَوْ عَلَى الْفِطْرَةِ مَا لَمْ يُؤَخِّرُوا الْمَغْرِبَ حَتَّى تَشْتَبِكَ النُّجُومُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٧٣٢٩، و٢٣٥٣٤، و٢٣٥٨٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤١٨).[(١)]

وَقَوْلُهُ: **«حَتَّى تَشْتَبِكَ النُّجُومُ»**، أَيْ: تَظْهَرَ جَمِيعُهَا، وَيَخْتَلِطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ؛ لِكَثْرَةِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا. قَالَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي "النِّهَايَةِ".

وَعَن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَوَارَتْ بِالْحِجَابِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.[(٢)]

وَعَن رَّافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **«كُنَّا نُصَلِّي الْمَغْرِبَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَنْصَرِفُ أَحَدُنَا، وَإِنَّهُ لَيُبْصِرُ مَوَاقِعَ نَبْلِهِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ أَيْضًا.[(٣)]

(ج١١/صـ:٢٠٩)(رقم:٢٠٠، و٢٠١)، وقال الهيثمي في "المجمع"(ج٢/صـ:١٠٥): «رجاله رجال الصحيح».

وصححه أيضًا: العلامة الألباني في "أصل صفة الصلاة"(ج١/صـ:٢٠٥-٢٠٧)، وذكر له طرقًا، وشواهد، فراجعها، وراجع أيضًا: "الصحيحة"(رقم: ١٧٧٣).

(١) وصححه ابن خزيمة (رقم: ٣٣٩)، والحاكم (رقم: ٦٨٥)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في "صحيح أبي داود" (رقم: ٤٤٥)، وذكره العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٣١٦).

(٢) البخاري (رقم: ٥٦١)، وهذا لفظه، ومسلم (رقم: ٦٣٦).

(٣) البخاري (رقم: ٥٥٩)، ومسلم (رقم: ٦٣٧).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَفِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ أَنَّ الْمُغْرِبَ تُعَجَّلُ عَقِبَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَقَدْ حُكِيَ عَنِ الشِّيعَةِ فِيهِ شَيْءٌ لَا الْتِفَاتَ إِلَيْهِ، وَلَا أَصْلَ لَهُ، وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ إِخْبَارٌ عَنْ عَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الْمُتَكَرِّرَةِ الَّتِي وَاظَبَ عَلَيْهَا إِلَّا لِعُذْرٍ، فَالِاعْتِمَادُ عَلَيْهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.ا.هـ.

السَّابِعَةُ: السِّوَاكُ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٤٢٠٣، و٢٤٩٢٥)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم:٥).(١)

وَالسِّوَاكُ مُسْتَحَبٌّ للصَّائِمِ وَغَيْرِهِ، أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ، وَمَا رُوِيَ فِي كَرَاهَتِهِ للصَّائِمِ آخِرَ النَّهَارِ لَا يَثْبُتُ؛ وَإِنَّمَا يَضُرُّ تَعَمُّدُ ابْتِلَاعِ شَيْءٍ مِن قِشْرِهِ أَوْ رُطُوبَتِهِ إِن كَانَ رَطْبًا، فَيَجِبُ تَجَنُّبُ ذَلِكَ، وَمَن وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ.

وَلَيْسَ لِلسِّوَاكِ تَأْثِيرٌ عَلَى خُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ الَّذِيْ هُوَ أَطْيَبُ عِندَ اللهِ مِن رِيْحِ الْمِسْكِ؛ لِأَنَّ مَنشَأَ الْخُلُوفِ مِنَ الْمَعِدَةِ؛ لِخُلُوِّهَا مِنَ الطَّعَامِ، لَا مِنَ الْفَمِ.

وَكَذَلِكَ مَعْجُونُ الْأَسْنَانِ يَجُوزُ لِلصَّائِمِ اسْتِعْمَالُهُ، بِشَرْطِ أَن يَتَحَرَّزَ مِن نُزُولِ شَيْءٍ مِنْهُ إِلَى حَلْقِهِ، وَلَوْ أَخَّرَهُ إِلَى اللَّيْلِ فَهُوَ أَفْضَلُ؛ لِأَنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ عَلَيْهِ لِقُوَّةِ نُفُوذِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(٢)

الثَّامِنَةُ: تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرُهُ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

---

(١) علقه البخاري في صحيحه (كتاب الصوم/ باب سواك الرطب واليابس للصائم)، بصيغة الجزم، وصححه: ابن خزيمة (رقم: ١٣٥)، وابن حبان (رقم: ١٠٦٧)، والألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وفي الباب عن صحابة آخرين، راجع: "الإرواء"(رقم: ٦٧)، و"الصحيحة"(رقم: ٢٥١٧).

(٢) "فتاوى ابن باز"(ج١٥/ص:٢٦١)، و"فتاوى ابن عثيمين"(ج١٩/ص:٣٥٤).

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِن رَّمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ**».(١)

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُدَارَسَةَ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ أَفْضَلُ الْمُدَارَسَةِ.

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَدَلَّ الْحَدِيْثُ أَيْضًا عَلَى اسْتِحْبَابِ دِرَاسَةِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ، وَالْاِجْتِمَاعِ عَلَى ذَلِكَ، وَعَرْضِ الْقُرْآنِ عَلَى مَنْ هُوَ أَحْفَظُ لَهُ، وَفِيْهِ دَلِيْلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْإِكْثَارِ مِن تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

قَالَ: وَفِيْهِ أَنَّ الْمُدَارَسَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جِبْرِيْلَ كَانَتْ لَيْلًا، فَيَدُلُّ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْإِكْثَارِ مِنَ التِّلَاوَةِ فِي رَمَضَانَ لَيْلًا؛ فَإِنَّ اللَّيْلَ تَنقَطِعُ فِيْهِ الشَّوَاغِلُ، وَيَجْتَمِعُ فِيْهِ الْهَمُّ، وَيَتَوَاطَأُ فِيْهِ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ عَلَى التَّدَبُّرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]. ا.هـ.(٢)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَن سَيِّدَةِ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَأَنَّهُ عَارَضَهُ فِي العَامِ الَّذِيْ تُوُفِّيَ فِيْهِ مَرَّتَيْنِ.(٣)

التَّاسِعَةُ: الْبَذْلُ وَالإِنفَاقُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ؛ فَفِي حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْآنِفِ الذِّكْرِ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي**

(١) البخاري (مرقم: ٦، و١٩٠٢، و٣٢٢٠، و٣٥٥٤، و٤٩٩٧)، ومسلم (مرقم: ٢٣٠٨).

(٢) "لطائف المعارف"(صـ: ١٦٩).

(٣) البخاري (مرقم: ٣٦٢٤، و٦٢٨٥)، ومسلم (مرقم: ٢٤٥٠).

رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

الْعَاشِرَةُ: تَفْطِيرُ الصَّائِمِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا**». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم:١٧٤٦)، مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١)

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُسْتَحَبُّ أَنْ يَدْعُوَ الصَّائِمَ وَيُفَطِّرَهُ فِي وَقْتِ الْفِطْرِ، وَهَذَا لَا خِلَافَ فِي اسْتِحْبَابِهِ؛ لِلْحَدِيثِ».(٢)

وَسُئِلَ الْإِمَامُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَلِ الْمَقْصُودُ بِالصَّائِمِ: الْفَقِيرُ؟ أَوْ يَدْخُلُ فِي هَذَا الْأَقَارِبُ وَالْأَصْدِقَاءُ؟ وَهَلْ صِيَامُ التَّطَوُّعِ فِيهِ نَفْسُ الْأَجْرِ إِذَا فَطَّرَ صَائِمًا؟

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَدِيثُ عَامٌّ، يَعُمُّ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَالْفَرْضَ وَالنَّفْلَ، وَفَضْلُ اللهِ وَاسِعٌ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .ا.هـ.(٣)

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ظَاهِرُ الْحَدِيثِ: أَنَّهُ إِذَا فَطَّرَ صَائِمًا وَلَوْ بِتَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ، وَهَذَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَن يَحْرِصَ عَلَى تَفْطِيرِ الصُّوَّامِ بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ، لَاسِيَّمَا مَعَ حَاجَتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ.ا.هـ.(٤)

وَيُسْتَحَبُّ أَن يُفْطِرَ عَلَى رُطَبٍ؛ فَإِن لَّمْ يَجِدْ فَعَلَى تَمْرٍ، فَإِن لَّمْ يَجِدْ فَعَلَى مَاءٍ؛ هَذَا عَلَى الْقَوْلِ بِثُبُوتِ حَدِيثِ أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ**

(١) "المسند"(رقم:١٧٠٣٣، و٢١٦٧٦)، و"سنن الترمذي"(رقم:٨٠٧)، و"سنن ابن ماجه" (رقم: ١٧٤٦)، وَهو حسن بشواهده، قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».
وصححه أيضًا: ابن خزيمة (رقم:٢٠٦٤)، وابن حبان (رقم:٣٤٢٩)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ١٠٧٨). وراجع: "تحقيق المسند"(ج٢٨/صـ: ٢٦١-٢٦٢).

(٢) "المجموع"(ج٦/صـ:٣٦٣).

(٣) "مجموع فتاواه"(ج٢٥/صـ:٢٠٧).

(٤) "مجموع فتاواه ورسائله"(ج٢٠/صـ:٩٣).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ، فَعَلَى تَمَرَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَغَيْرُهُمَا، وَصَحَّحَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُفَّاظِ، وَأَعَلَّهُ أَبُو حَاتِمٍ، وَأَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيَّانِ.(١)

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الْعُمْرَةُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.(٢)

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: الْقُعُودُ فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ صَلاةِ الْفَجْرِ، وَالاشْتِغَالُ بِذِكْرِ اللَّهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ.

فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ صَلَّى الغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ»**.(٣)

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: السُّحُورُ وَتَأْخِيرُهُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«تَسَحَّرُوا؛ فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيْثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(٤)

---

(١) "المسند"(رقم:١٢٦٧٦)، و"سنن أبي داود"(رقم:٢٣٥٦)، و"سنن الترمذي"(رقم:٦٩٦)، وغيرهم من طريق عبد الرزاق، عن جعفر، عن ثابت، عن أنس، به.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وقال الدارقطني (رقم:٢٢٧٨): «هذا إسناد صحيح».
وكذا قال الضياء في "المختارة"(ج٤/صـ:٤١١-٤١٢)(رقم: ١٥٨٤، و١٥٨٥)، وصححه الحاكم (رقم:١٥٧٦)، وحسنه الألباني في "الإرواء"(رقم:٩٢٢)، و"الصحيحة"(رقم:٢٨٤٠)، و"صحيح أبي داود" (رقم: ٢٠٤٠)، وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:١٢٠).
وأعله أبو حَاتِمٍ، وأبو زرعة، كما في "العلل"(رقم:٦٥٢) لابن أبي حاتم، بقولهما: «لا نعلم روى هذا الحديث غير عبد الرزاق، ولا ندري من أين جاء عبدالرزاق؟!»، أي: بهذا الحديث.

(٢) البخاري (رقم:١٨٦٣)، ومسلم (رقم:١٢٥٦).

(٣) رواه الترمذي (رقم:٥٨٦) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله شاهد من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، راجع "الصحيحة"(رقم:٣٤٠٣).

(٤) البخاري (رقم:١٩٢٣)، ومسلم (رقم:١٠٩٥).

وَهَذَا الْأَمْرُ لِلِاسْتِحْبَابِ، بِالْإِجْمَاعِ، فَقَدْ نَقَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الْإِجْمَاعَ عَلَى اسْتِحْبَابِ السُّحُورِ، وَعَدَمِ وُجُوبِهِ، مِنْهُم: ابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ قُدَامَةَ، وَالنَّوَوِيُّ.(١)

وَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ١٠٩٦) عَنْ عَمْرو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَكْلَةُ السَّحَرِ**».

وَقَدِ اسْتَدَلَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِهَذَا الْحَدِيْثِ عَلَى أَنَّ السُّحُورَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.(٢)

وَعَن رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَسَحَّرُ، فَقَالَ: «**إِنَّهَا بَرَكَةٌ أَعْطَاكُمُ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَلَا تَدَعُوهُ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ.(٣)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ، فَلَا تَدَعُوهُ، وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم:١١٠٨٦، و١١٣٩٦).(٤)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**نِعْمَ سَحُورُ الْمُؤْمِنِ التَّمْرُ**». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم:٢٣٤٥).(٥)

قَالَ النَّوَوِيُّ: «**يَحْصُلُ السُّحُورُ بِكَثِيرِ الْمَأْكُولِ وَقَلِيلِهِ، وَيَحْصُلُ بِالْمَاءِ أَيْضًا**».(٦)

---

(١) "المغني"(ج٣/صـ:١٧٣)، و"شرح مسلم"(ج٧/صـ:٢٠٦)، و"المجموع"(ج٦/صـ:٣٦٠)، وراجع: "الفتح"(ج٤/صـ:١٣٩).

(٢) راجع: "شرح السيوطي على مسلم"(ج٣/صـ:١٩٧)، و"فيض القدير"(ج٦/صـ:٣٩٥).

(٣) "المسند"(رقم:٢٣١١٣، و٢٣١٤٢)، وسنن النسائي (رقم:٢١٦٢)، وحسن إسناده الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم:١٠٦٩)، وصححه على شرط الشيخين: الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:١٤٦٩).

(٤) وراجع: "الصحيحة"(رقم:١٦٥٤، و٣٤٠٩).

(٥) وصححه ابن حبان (رقم:٣٤٧٥)، والألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيحة"(رقم:٥٦٢).

(٦) "المجموع"(ج٦/صـ:٣٦٠).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَحْصُلُ السُّحُورُ بِأَقَلِّ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْمَرْءُ مِنْ مَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ». ثُمَّ ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيْثَ.(١)

وَيُسْتَحَبُّ تَأْخِيْرُ السُّحُورِ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **«تَسَحَّرْنَا مَعَ النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ»**. قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَ الأَذَانِ وَالسَّحُورِ؟ قَالَ: **«قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى تَأْخِيرِ السُّحُورِ إِلَى قُبَيْلِ الْفَجْرِ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُؤَخِّرَ سُحُورَنَا، وَنُعَجِّلَ فِطْرَنَا، وَأَنْ نُمْسِكَ بِأَيْمَانِنَا عَلَى شَمَائِلِنَا فِي صَلَاتِنَا»**. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُ.(٣)

وَاسْتِحْبَابُ تَأْخِيرِ السُّحُورِ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ(٤)، مَا لَمْ يُخْشَ طُلُوعُ الْفَجْرِ؛ فَإِن خَشِيَ طُلُوعَهُ فَلْيُبَادِرْ، قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِيْنٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَمَثَلًا إِذَا كَانَ يَكْفِيْهِ رُبُعُ سَاعَةٍ فِي السُّحُورِ فَيَتَسَحَّرُ إِذَا بَقِيَ رُبُعُ سَاعَةٍ، وَإِذَا كَانَ يَكْفِيْهِ خَمْسُ دَقَائِقَ فَيَتَسَحَّرُ إِذَا بَقِيَ خَمْسُ دَقَائِقَ؛ أَيْ: يَكُونُ مَا بَيْنَ ابْتِدَائِهِ إِلَى انتِهَائِهِ كَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَقْتِ الْفَجْرِ.ا.هـ.(٥)

(١) "فتح الباري"(ج٤/صـ:١٤٠).

(٢) البخاري (برقم:١٩٢١)، ومسلم (برقم:١٠٩٧).

(٣) "المعجم الكبير"(ج١١/صـ:١٩٩)(برقم: ١١٤٨٥)، و"صحيح ابن حبان"(برقم: ١٧٧٠)، بإسناد على شرط مسلم، وصححه أيضًا: الضياء المقدسي في "المختارة"(ج١١/صـ:٢٠٩)(برقم:٢٠٠، و٢٠١)، وقال الهيثمي في "المجمع"(ج٢/صـ:١٠٥): «رجاله رجال الصحيح».

وصححه أيضًا: العلامة الألباني في "أصل صفة الصلاة"(ج١/صـ:٢٠٥-٢٠٧)، وذكر له طرقًا، وشواهد، فراجعها، وراجع أيضًا: "الصحيحة"(برقم:١٧٧٣).

(٤) "بداية المجتهد"(ج٢/صـ:٦٩)، و"المجموع"(ج٦/صـ:٣٦٠).

(٥) "الشرح الممتع"(ج٦/صـ:٤٣٤).

وَمَا يَفْعَلُهُ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ مِن فَرَاغِهِمْ مِنَ السُّحُورِ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ بِنَحْوِ سَاعَةٍ وَنِصْفٍ!، أَوْ سَاعَةٍ!، أَوْسَاعَةٍ إِلَّا رُبُعًا، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ يُفَوِّتُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْفَضِيْلَةَ.

وَالْحِكْمَةُ فِي تَأْخِيْرِهِ كَوْنُ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي الْمَقْصُود؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالسُّحُورِ التَّقَوِّي عَلَى الصَّوْمِ، وَمَا كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْفَجْرِ كَانَ أَعْوَنَ عَلَى الصَّوْمِ؛ فَتَقِلُّ الْمُدَّةُ الَّتِي يُمْسِكُ فِيْهَا.(١)

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الدُّعَاءُ: لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«ثَلَاثَةٌ لَا يُرَدُّ دُعَاؤُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُوم»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم:٩٧٤٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم:٣٥٩٨) وَابْنُ مَاجَهْ (رقم:١٧٥٢) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(٢)

وَقَوْلُهُ: **«حَتَّى يُفْطِرَ»**: أَيْ: مَادَامَ صَائِمًا، بِخِلَافِ مَا يَظُنُّهُ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَنَّ وَقْتَ إِجَابَةِ دَعْوَةِ الصَّائِمِ حَالَ إِفْطَارِهِ!.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: الاجْتِهَادُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ؛ فَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ (رقم:١١٧٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: **«كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ»**.

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: **«كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٣)

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الاعْتِكَافُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ أَيْضًا.

---

(١) "المغني"(ج٣/صـ:١٧٤)، و"المجموع"(ج٦/صـ:٣٥٩)، و"الفتح "(ج٤/صـ:١٣٨)، و"الشرح الممتع"(ج٦/صـ:٤٣٤).

(٢) وصححه ابن خزيمة (رقم:١٩٠١)، وابن حبان (رقم:٣٤٢٨)، والعلَّامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:١٣٥٨).

(٣) البخاري (رقم:٢٠٢٤)، ومسلم (رقم:١١٧٤).

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: تَحَرِّي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ**».(١)

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: زَكَاةُ الْفِطْرِ؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ؛ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ**». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم: ١٦٠٩)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٨٢٧).(٣)

---

(١) البخاري (رقم:٣٥، و١٩٠١، و٢٠١٤)، ومسلم (رقم:٧٦٠).

(٢) البخاري (رقم:١٥٠٣)، ومسلم (رقم: ٩٨٤).

(٣) وحسنه الألباني في "الإرواء"(رقم: ٨٤٣)، وفي "صحيح أبي داود"(رقم: ١٤٢٧).

قيام رمضان

الْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أَرْشَدَ عِبَادَهُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَشَأْنٍ مَلِيْحٍ، وَحَذَّرَهُمْ مِن كُلِّ أَمْرٍ قَبِيْحٍ، وَدَهَّمْ عَلَى الْمُتْجَرِ الرَّبِيْحِ، بِأَكْمَلِ بَيَانٍ وَأَتَمِّ تَوْضِيْحٍ، مَنَّ عَلَى عِبَادِهِ بِشَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرِ الْبَرَكَاتِ، وَمَوْسِمِ الْخَيْرَاتِ، وَشَرَعَ فِيْهِ أَنْوَاعًا مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ، مِنْهَا الصِّيَامُ وَالْقِيَامُ (صَلَاةُ التَّرَاوِيْحِ)، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ أَتَمَّ حَمْدٍ وَأُسَبِّحُهُ أَكْمَلَ تَسْبِيْحٍ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَه، سُبْحَانَهُ زَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ، وزيَّن الْأَرْضَ بِمَا عَلَيْهَا مِن نَفِيْسٍ وَطَرِيْحٍ، وَمُتْعِبٍ وَمُرِيْحٍ، ورَّغب فِي مَا هُوَ خَيْرٌ مِن ذَلِكَ: الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، فَطُوبَى لِمَن جَانَبَ مَا يُوجِبُ عَلَيْهِ الذَّمَّ وَالتَّجْرِيحَ، فَمَا أَفْلَحَ عَبْدٌ إِلَّا بِطَاعَةِ رَبِّهِ وَشُكْرِهِ، وَلَا اطْمَئَنَّ قَلْبٌ إِلَّا بِذِكْرِهِ، فَحَرِيٌّ أن يُسْتَعْذَبَ فِي ذَلِكَ الْوجْدُ والتَّبْرِيحُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الْفَصِيْحُ، وَالْخَاتَمُ الصَّرِيحُ، الْمَوْلُودُ مِن نَسْلِ الذَّبِيْحِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي النَّهْجِ الصَّحِيْحِ، وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ ما هَبَّتْ عَلَى الْأَرْضِ رِيْحٌ، أَمَّا بَعْدُ:

[فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ، وَأَجِيْبُوا الدَّاعِيَ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ وَجَنَّاتِهِ، وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِمَا فِيْهَا مِن زَهْرَةِ الْعَيْشِ وَلَذَّاتِهِ، فَقَدْ قَرُبَ الرَّحِيْلُ، وَذُهِبَ بِسَاعَاتِ الْعُمُرِ وَأَوْقَاتِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِحَذَافِيْرِهِ فِي الْجَنَّةِ، فَأَدْلِجُوا فِي السَّيْرِ إِلَيْهَا، وَالشَّرَّ كُلَّهُ بِحَذَافِيْرِهِ فِي النَّارِ، فَاجْتَهِدُوا فِي الْهَرَبِ مِنْهَا، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْآخِرَةُ وَعْدٌ صَادِقٌ، يَحْكُمُ فِيْهَا مَلِكٌ قَاهِرٌ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا دَارُ بَلَاءٍ، وَمَنزِلُ تَرْحَةٍ وَعَنَاءٍ، نَزَعَتْ عَنْهَا نُفُوسُ السُّعَدَاءِ، وَانتُزِعَتْ بِالْكُرْهِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ، وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا أَمَّلُوهُ الْقَدَرُ وَالْقَضَاءُ.

وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِسَاحَتِكُمْ شَهْرٌ عَظِيْم، خَصَّهُ اللهُ مِن بَيْنِ سَائِرِ الشُّهُورِ بِالتَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيْم، أَنزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ الْعَظِيْمَ، وَفَرَضَ صِيَامَهُ وَجَعَلَهُ أَحَدَ

أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا يَقُومُ بِنَاؤُهُ عَلَى غَيْرِهَا وَلَا يَسْتَقِيمُ، وَسَنَّ قِيَامَهُ نَبِيُّكُمُ الْكَرِيمُ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ]. (١)

فَقِيَامُ رَمَضَانَ أَفْضَلُ الْقِيَامِ، وَالْقِيَامُ عُمُومًا أَفْضَلُ نَوَافِلِ الصَّلَاةِ عَلَى مَدَارِ الْعَامِ.

فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ١١٦٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ: **«أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ: الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ: صِيَامُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ»**.

وَكَانَ قِيَامُ اللَّيْلِ أَوَّلَ مَا شُرِعَ فَرِيضَةً، ثُمَّ نُسِخَ الْوُجُوبُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الاسْتِحْبَابِ الْمُؤَكَّدِ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٧٤٦) أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: **«أَلَسْتَ تَقْرَأُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾؟»**. قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: **«فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ»**.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (رقم: ١٣٠٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **«لَمَّا نَزَلَتْ أَوَّلُ الْمُزَّمِّلِ، كَانُوا يَقُومُونَ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، حَتَّى نَزَلَ آخِرُهَا، وَكَانَ بَيْنَ أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا سَنَةٌ»**. (٢)

---

(١) "الخطب المنبرية" (صـ:٥، و٢٤) للإمام المجدد محمد بن عبد الوهَّاب التَّمِيمِيِّ النَّجْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) وصححه الإمامان: الألباني في "صحيح أبي داود" (رقم:١٣٠٥)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (رقم:٥٨٩)، وفي "الصحيح المسند من أسباب النزول" (صـ:٢٢٢).

وَفِي رِوَايَةٍ (رقم: ١٣٠٤): فِي الْمُزَّمِّلِ: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل: ٢]، نَسَخَتْهَا الْآيَةُ الَّتِي فِيهَا: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠].

وَعِندَ أَحْمَدَ وَأَصْحَابِ السُّنَنِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ، أَوْتِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ»**.(١)

يُقَالُ: وَتْرٌ، وَوِتْرٌ، بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ.

وَهَذَا الْأَمْرُ لِلاسْتِحْبَابِ الْمُؤَكَّدِ؛ فَعِندَهُمْ سِوَى أَبِي دَاوُدَ فِي الْحَدِيْثِ نَفْسِهِ: **«الوِتْرُ لَيْسَ بِحَتْمٍ كَهَيْئَةِ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ، وَلَكِنْ سُنَّةٌ سَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**»**.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«الْوِتْرُ حَقٌّ، فَمَن لَّمْ يُوتِرْ فَلَيْسَ مِنَّا، الْوِتْرُ حَقٌّ، فَمَن لَّمْ يُوتِرْ فَلَيْسَ مِنَّا، الْوِتْرُ حَقٌّ، فَمَن لَّمْ يُوتِرْ فَلَيْسَ مِنَّا»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ.(٢)

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "شَرْحِ الْبُخَارِيِّ"(ج٢/صـ:٥٨١): وَقَوْلُهُ: **«مَن لَّمْ يُوتِرْ فَلَيْسَ مِنَّا»**، يَقْتَضِي التَّرْغِيبَ فِيْهِ، وَمَعْنَاهُ: لَيْسَ بِآخِذٍ سُنَّتَنَا وَلَا مُقْتَدٍ بِنَا، كَمَا قَالَ: **«لَيْسَ مِنَّا مَن لَّمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»**،(٣) وَلَمْ يُرِدْ إِخْرَاجَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ.

---

(١) أحمد (رقم:٨٧٧، و١٢١٤، و١٢٢٥، و١٢٢٨، و١٢٦٢)، وأبو داود"(رقم:١٤١٦)، والترمذي (رقم:٤٥٣، و٤٥٤)، والنسائي (رقم:١٦٧٥، و١٦٧٦)، وابن ماجه (رقم:١١٦٩). وصححه محدثا العصر الإمامان: الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح أبي داود"(رقم:١٢٧٤)، والوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٩٦٥).

(٢) "المسند"(رقم:٢٣٠١٩)، و"سنن أبي داود"(رقم:١٤١٦). وذكره الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:١٧٩).

وأما الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فقد ضعفه في "الإرواء"(رقم:٤١٧).

قال الحافظ في "الفتح"(ج٢/صـ:٤٨٧): في سنده أبو المنيب، وفيه ضعف، وعلى تقدير قبوله، فيحتاج من احتج به إلى أن يثبت أن لفظ: (حق) بمعنى واجب في عرف الشارع.ا.هـ.

(٣) رواه البخاري (رقم:٧٥٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. =

وَقَالَ الصَّنْعَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمَعْنَى: «لَيْسَ مِنَّا»، أَيْ: لَيْسَ عَلَى سُنَّتِنَا وَطَرِيقَتِنَا، وَالْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى تَأَكُّدِ السُّنِّيَّةِ لِلْوِتْرِ؛ جَمْعًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى عَدَمِ الْوُجُوبِ.(١)

وَالْأَدِلَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَى أَهْلِهِ - سِوَى مَا تَقَدَّمَ - كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

◄ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

وَالتَّهَجُّدُ قِيَامٌ مَخْصُوصٌ، وَهُوَ: مَا كَانَ بَعْدَ نَوْمٍ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، أي: لَكَ خَاصَّةً؛ لِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ، وَهُوَ قَدْرٌ زَائِدٌ عَلَى تَكْفِيرِ الذُّنُوبِ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَلَيْسَ لَنَا بِنَافِلَةٍ؛ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِنَا؛ فنحن نَعْمَلُ لِكَفَّارَتِهَا.

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْأَمْرُ بِالتَّهَجُّدِ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ الْوُجُوبَ، لَكِنَّ التَّصْرِيحَ بِكَوْنِهِ نَافِلَةً قَرِينَةٌ صَارِفَةٌ لِلْأَمْرِ.ا.هـ.

هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ، وَقِيلَ: فَرِيضَةٌ زَائِدَةٌ لَكَ دُونَ أُمَّتِكَ، فَنَسْخُ الْوُجُوبِ إِنَّمَا هُوَ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ، وَبَقِيَ عَلَيْهِ، لَمْ يُنسَخْ.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ [ق: ٤٠].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الطور: ٤٩].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ﴾ [المزمل: ٦].

ورواه أحمد (رقم:١٤٧٦، و١٥١٢، و١٥٤٩)، من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وذكره الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (رقم:٣٧٣).

(١) "سبل السلام" (ج١/ صـ:٣٤٨).

وَنَاشِئَةُ اللَّيْلِ هِيَ: الْقِيَام بَعْد النَّوْم، وَمَعْنَى: ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ [المزمل: ٦ – ٧]، أَيْ: أَنَّ مُوَافَقَةَ الْقَلْبِ لِلِّسَانِ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ فِي هَذَا الْحَالِ أَعْظَمُ مِنْهُ فِي غَيْرِهِ؛ وَذَلِكَ لِسَلَامَةِ الْفِكْرِ، وَهُدُوْءِ الْبَالِ، فَذَلِكَ أَجْمَعُ لِلْخَاطِرِ فِي أَدَاءِ الْقِرَاءَةِ وَتَفَهُّمِهَا مِنْ قِيَامِ النَّهَارِ؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ انْتِشَارِ النَّاسِ ولَغَطِ الْأَصْوَاتِ وَأَوْقَاتُ الْمَعَاشِ.(١)

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزمل: ٧]، أَيْ: فَرَاغًا وَّوَقْتًا يَكْفِيْكَ؛ لِقَضَاءِ حَوَائِجِكَ؛ لِتَتَمَكَّنَ فِي اللَّيْلِ مِنَ الْقِيَامِ.

وَأَثْنَى رَبُّنَا ﷻ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِن كِتَابِهِ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الطَّاعَةِ الْعَظِيْمَةِ، فَقَالَ: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]، وَقَالَ: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وَقَالَ: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]، وَقَالَ: ﴿يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٤]، وَقَالَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦ – ١٧].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ: **«أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]**»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

وَعِندَ أَحْمَدَ (رقم:٢٢٠١٦)، وَالتِّرْمِذِيِّ (رقم:٢٦١٦)، وَابْنِ مَاجَهْ (رقم:٣٩٧٣) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ**

(١) "تفسير ابن كثير"(ج٨/ صـ:٢٩٢).

(٢) البخاري (رقم:٣٢٤٤، و٤٧٧٩، و٤٧٨٠)، ومسلم (رقم:٢٨٢٤).

مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ». قَالَ: ثُمَّ تَلَا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦]، حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]. (١)

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلْإِثْمِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مُعَلَّقًا، وَوَصَلَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَالْحَاكِمُ. (٢)

وَعَن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ"، وَالْحَاكِمُ. (٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْبِئْنِي عَنْ أَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: «أَفْشِ السَّلَامَ، وَأَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ، وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، ثُمَّ ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٧٩٣٢ و٨٢٩٥، و١٠٣٩٩). (٤)

---

(١) صحيح بطرقه وشواهده، وراجع: "تحقيق مسند أحمد"(ج٣٦/ صـ: ٣٤٥-٣٤٧).

(٢) "سنن الترمذي"(رقم: ٣٥٤٩)، و"صحيح ابن خزيمة"(رقم: ١١٣٥)، و"المستدرك"(رقم: ١١٥٦)، وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث، وفيه ضعف، لكن له شاهد من حديث سلمان عند الطبراني في "الكبير"(رقم: ٦١٥٤)؛ ولهذا حسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الإرواء"(رقم: ٤٥٢).

(٣) "الأوسط"(رقم: ٤٢٧٨)، و"المستدرك"(رقم: ٧٩٢١)، وله شاهد بمثله من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه أبو داود الطيالسي في "مسنده"(رقم: ١٧٥٥)، والبيهقي في "شعب الإيمان"(رقم: ١٠٠٥٨)، وآخر من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه أبو نعيم في "الحلية"(ج٣/ صـ: ٢٠٢).

وقد حسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيحة"(رقم: ٨٣١)، وذكره في موضع آخر من "الصحيحة"(رقم: ١٩٠٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) وصححه ابن حبان (رقم: ٥٠٨)، والحاكم (رقم: ٧٢٧٨).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ». (١)

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامٌ». (٢)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ». (٣)

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم:٧٥٧) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ».

وَعِندَ التِّرْمِذِيِّ (رقم:٣٥٧٩)، وَالنَّسَائِيِّ (رقم:٥٧٢) مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ». (٤)

---

(١) رواه أحمد (رقم:٢٣٧٨٤) والترمذي (رقم:٢٤٨٥)، وابن ماجه (رقم:١٣٣٤)، بإسناد صحيح.

(٢) حديث حسن صحيح: رواه أحمد (رقم:٢٢٩٠٥)، وصححه ابن حبان (رقم:٥٠٩)، وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه أحمد (رقم:٦٦١٥)، وصححه الحاكم (رقم:٢٧٠، و١٢٠٠)، والعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم:٦١٧، و٦١٨).

(٣) البخاري (رقم:١١٤٥، و٦٣٢١، و٧٤٩٤)، ومسلم (رقم:٧٥٨).

(٤) وهو في "الصحيحة"(رقم:٥٥١)، و"الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:١٠١٥).

وَلَا شَكَّ أَنَّ قِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ أَفْضَلُ الْقِيَامِ، وَأَعْظَمُهُ فِي رِفْعَةِ الدَّرَجَاتِ وَتَكْفِيرِ الْآثَامِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَن قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ»**.(١)

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُرَغِّبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ فِيهِ بِعَزِيمَةٍ، فَيَقُولُ: **«مَن قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ»**، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ عَلَى ذَلِكَ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ أَيْضًا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَن قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ»**.(٢)

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَاحْرِصْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ عَلَى أَن لَّا يَفُوتَكَ قِيَامُ رَمَضَانَ، وَحَافِظْ عَلَى أَدَاءِهِ جَمَاعَةً فِي الْمَسْجِدِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ؛ فَعِندَ أَحْمَدَ وَأَصْحَابِ السُّنَنِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَمَضَانَ، فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَتِ السَّادِسَةُ لَمْ يَقُمْ بِنَا، فَلَمَّا كَانَتِ الْخَامِسَةُ قَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ نَفَّلْتَنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، قَالَ: فَقَالَ: **«إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»**، قَالَ: فَلَمَّا

(١) رواه البخاري (رقم:٣٧، و٢٠٠٨، و٢٠٠٩)، ومسلم (رقم:٧٥٩).
(٢) رواه البخاري (رقم:٣٥، و١٩٠١، و٢٠١٤)، ومسلم (رقم:٧٦٠).

كَانَتِ الرَّابِعَةُ لَمْ يَقُمْ، فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ جَمَعَ أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ وَالنَّاسَ، فَقَامَ بِنَا، حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلَاحُ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا الْفَلَاحُ؟ قَالَ: السُّحُورُ، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِقِيَّةَ الشَّهْرِ.(١)

وَلَفْظُ التِّرْمِذِيِّ – وَهُوَ أَيْضًا لَفْظٌ لِلنَّسَائِيِّ –: «**كَتَبَ اللَّهُ لَهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ**».

وَلَفْظُ ابْنِ مَاجَهْ: «**يَعْدِلُ قِيَامَ لَيْلَةٍ**».

قَالَ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَتُشْرَعُ الْجَمَاعَةُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، بَلْ هِيَ أَفْضَلُ مِنَ الانفرادِ؛ لِإِقَامَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَهَا بِنَفْسِهِ، وَبَيَانِهِ لِفَضْلِهَا بِقَوْلِهِ.

قَالَ: وَإِنَّمَا لَمْ يَقُمْ بِهِمْ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَقِيَّةَ الشَّهْرِ؛ خَشْيَةَ أَن تُفْرَضَ عَلَيْهِمْ صَلَاةُ اللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ، فَيَعْجِزُوا عَنْهَا.(٢)

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلَاتِهِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ بِذَلِكَ، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ، فَصَلَّوْا بِصَلَاتِهِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَذْكُرُونَ ذَلِكَ، فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، فَخَرَجَ فَصَلَّوْا بِصَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَطَفِقَ رِجَالٌ مِنْهُمْ يَقُولُونَ: الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى خَرَجَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ تَشَهَّدَ، فَقَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ شَأْنُكُمُ اللَّيْلَةَ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ صَلَاةُ اللَّيْلِ؛ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا**».(٣)

---

(١) "المسند"(رقم:٢١٤١٩، و٢١٤٤٧)، و"سنن أبي داود"(رقم:١٣٧٥)، و"سنن الترمذي" (رقم:٨٠٦)، و"سنن النسائي"(رقم:١٦٠٥، و١٣٦٤)، و"سنن ابن ماجه" (رقم:١٣٢٧).
وصححه محدثا العصر الإمامان: الألباني في "صحيح أبي داود"(رقم:١٢٤٥)، وفي "الإرواء" (رقم:٤٤٧)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٢٧٠).

(٢) "قيام رمضان فضله وكيفية أدائه ومشروعية الجماعة فيه"(صـ:٢٠-٢١).

(٣) البخاري (رقم:٩٢٤، و١١٢٩، ٢٠١٢)، ومسلم (رقم:٧٦١).

قَالَ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَدْ زَالَتْ هَذِهِ الْخَشْيَةُ بِوَفَاتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ أَكْمَلَ اللهُ الشَّرِيعَةَ، وَبِذَلِكَ زَالَ الْمَعْلُولُ، وَهُوَ تَرْكُ الْجَمَاعَةِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، وَبَقِيَ الْحُكْمُ السَّابِقُ، وَهُوَ مَشْرُوعِيَّةُ الْجَمَاعَةِ؛ وَلِذَلِكَ أَحْيَاهَا عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.ا.هـ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (رقم:٢٠١٠) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ القَارِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى المَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ، فَيُصَلِّي بِصَلاَتِهِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلاَءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ، لَكَانَ أَمْثَلَ**»، ثُمَّ عَزَمَ، فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ قَارِئِهِمْ، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**نِعْمَ البِدْعَةُ هَذِهِ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ**»، يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِيْنٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَسَمَّاهَا عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بِدْعَةً بِاعْتِبَارِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا تَرَكَ الْقِيَامَ صَارَ النَّاسُ مُتَفَرِّقِيْنَ، يَقُومُ الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيَقُومُ الرَّجُلُ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالرَّجُلُ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالرَّهْطُ وَالنَّفَرُ فِي الْمَسْجِدِ، فَرَأَى أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بِرَأْيِهِ السَّدِيْدِ الصَّائِبِ أَن يَجْمَعَ النَّاسَ عَلَى إِمَامٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ هَذَا الْفِعْلُ بِالنِّسْبَةِ لِتَفَرُّقِ النَّاسِ مِن قَبْلُ بِدْعَةً، فَهِيَ بِدْعَةٌ اعْتِبَارِيَّةٌ إِضَافِيَّةٌ، وَلَيْسَتْ بِدْعَةً مُطْلَقَةً إِنشَائِيَّةً أَنشَأَهَا عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ السُّنَّةَ كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي عَهْدِ الرَّسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَهِيَ سُنَّةٌ، لَكِنَّهَا تُرِكَتْ مُنذُ عَهْدِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَتَّى أَعَادَهَا عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.اهـ.(١)

وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَيُشْرَعُ لِلنِّسَاءِ حُضُورُهَا، كَمَا فِي حَدِيْثِ أَبِي ذَرٍّ السَّابِقِ، بَلْ يَجُوزُ أَن يُجْعَلَ لَهُنَّ إِمَامٌ خَاصٌّ بِهِنَّ، غَيْرُ إِمَامِ الرِّجَالِ؛ فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لَمَّا جَمَعَ النَّاسَ عَلَى الْقِيَامِ، جَعَلَ عَلَى الرِّجَالِ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، وَعَلَى النِّسَاءِ سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي

(١) "الإبداع في بيان كمال الشرع وخطر الابتداع"(صـ:١٧).

حَثْمَةَ، وَعَنْ عِرْفِجَةَ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْمُرُ النَّاسَ بِقِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَيَجْعَلُ لِلرِّجَالِ إِمَامًا، وَلِلنِّسَاءِ إِمَامًا، قَالَ: فَكُنتُ أَنَا إِمَامَ النِّسَاءِ.(١)

قَالَ: وَهَذَا مَحَلُّهُ عِنديْ إِذَا كَانَ الْمَسْجِدُ وَاسِعًا؛ لِئَلَّا يُشَوِّشَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ.ا.هـ.

يَـــا رِجَـــالَ اللَّيْـــلِ جِـــدُّوا ... رُبَّ دَاعٍ لَا يُـــــــــــرَدُّ
مَـــــا يَقُـــــومُ اللَّيْـــــلَ إِلَّا ... مَـــــنْ لَـــــهُ عَـــــزْمٌ وَجِـــــدُّ

[إِخْوَانِي، هَذَا شَهْرٌ لَا كَسَائِرِ الشُّهُورِ، وَقَدْ أَنَاخَ بِفِنَائِكُمْ، وَهُوَ عَن قَلِيلٍ رَاحِلٌ عَنْكُم، شَاهِدٌ لَكُمْ أَوْعَلَيْكُم، مُؤْذِنٌ بِشَقَاوَةٍ أَوْ سَعَادَةٍ، أَوْ نُقْصَانٍ أَو زِيَادَةٍ.

فَأَمْضُوا نَهَارَهُ بِتَحْقِيقِ الصِّيَامِ، وَاقْطَعُوا لَيْلَهُ بِالذِّكْرِ وَالْقِيَامِ، لَعَلَّكُمْ أَن تَفُوزُوا بِدَارِ الْخُلْدِ وَالسَّلَامِ.

أَلَا دَاعٍ إِلَى اللهِ الْمُجِيْـــــــــــبِ ... بِقَلْـــبٍ مِـــن مَعَاصِـــيْهِ مَعِيْـــبِ
أَلَا بَـــــاكٍ لِأَيَّـــــامٍ تَقَضَّـــــى ... بِـــلَا عَمَـــلٍ وَلَا قَـــوْلٍ مُصِـــيْبِ
أَلَا بَـــــاكٍ عَـــــلَى أَمَـــــدٍ بَعِيْـــــدٍ ... يُؤَدِّيْـــــهِ إِلَى أَجَـــــلٍ قَرِيْـــــبِ
فَـــإِنَّ الْمَـــوْتَ يَنـــدُبُنَا وَيَبْغِـــيْ ... نُفُوسًـــا لَـــيْسَ تَـــأْلَمُ لِلـــذُّنُوْبِ
تُنَـــادِي لِلتَّرَحُّـــلِ كُـــلَّ يَـــوْمٍ ... وَلَا تُصْـــغِيْ إِلَى الـــدَّاعِي الْقَرِيْـــبِ
كَـــأَنَّ يَقِيْنَنَـــا بِـــالْمَوْتِ شَـــكٌّ ... وَنُلْغِـــي الْحَـــقَّ بِالْإِفْـــكِ الْمُرِيْـــبِ
وَشَـــهْرُ الصَّـــوْمِ شَـــاهِدُهُ عَلَيْنَـــا ... بِـــأَعْمَالِ الْقَبَـــائِحِ وَالـــذُّنُوْبِ
فَيَـــا رَبَّـــاهُ عَفْـــوًا مِنْـــكَ وَالْطُـــفْ ... بِفَضْـــلِكَ بِـــالْمُحَيِّرِ وَالْكَئِيْـــبِ(٢)

اللهُمَّ أَعِنَّا عَلَى صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِ، وَاغْتِنَامِ فَضَائِلِ لَيَالِيْهِ وَأَيَّامِهِ.

---

(١) قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "قيام رمضان"(صـ:٢٠-٢١): أخرجه والذي قبله البيهقي (ج٢/صـ:٤٩٤)، وأخرج الأول منهما عبد الرزاق أيضًا في "المصنف" (ج٤/صـ:٢٥٨/رقم:٨٧٢٢). وأخرجهما ابن نصر أيضًا في "قيام رمضان"(صـ:٩٣، وصـ:٩٥)، ثم احتج بهما على ما ذكرنا.ا.هـ.

(٢) "بستان الواعظين"(صـ:٢١٥-٢١٦).

الجود الرمضاني ومراتب الجود

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

إِنَّ مِن فَضَائِلِ شَهْرِ رَمَضَانَ أَنَّ الْجُودَ فِيهِ آكَدُ الْجُودِ؛ لِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»**.(١)

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: وَكَانَ جُودُهُ ﷺ يَتَضَاعَفُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ، كَمَا أَنَّ جُودَ رَبِّهِ يَتَضَاعَفُ فِيهِ أَيْضًا؛ فَإِنَّ اللهَ جَبَلَهُ عَلَى مَا يُحِبُّهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ، وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ مِن قَبْلِ الْبِعْثَةِ.

(١) البخاري (برقم:٦، و١٩٠٢، و٣٢٢٠، و٣٥٥٤، و٤٩٩٧)، ومسلم (برقم:٢٣٠٨).

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْكِتَابُ لَهُ خُلُقًا،(١) بِحَيْثُ يَرْضَى لِرِضَاهُ، وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهِ، وَيُسَارِعُ إِلَى مَا حَثَّ عَلَيْهِ، وَيَمْتَنِعُ مِمَّا زَجَرَ عَنْهُ؛ فَلِهَذَا كَانَ يَتَضَاعَفُ جُودُهُ وَإِفْضَالُهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ؛ لِقُرْبِ عَهْدِهِ بِمُخَالَطَةِ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَثْرَةِ مُدَارَسَتِهِ لَهُ هَذَا الْكِتَابَ الْكَرِيْمَ الَّذِي يَحُثُّ عَلَى الْمَكَارِمِ وَالْجُودِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُخَالَطَةَ تُؤَثِّرُ وَتُورِثُ أَخْلَاقًا مِنَ الْمُخَالَطَةِ.

قَالَ: وَفِي تَضَاعُفِ جُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِخُصُوصِهِ فَوَائِدُ كَثِيْرَةٌ:

- مِنهَا: شَرَفُ الزَّمَانِ، وَمُضَاعَفَةُ أَجْرِ الْعَمَلِ فِيْهِ.
- وَمِنْهَا: إِعَانَةُ الصَّائِمِيْنَ وَالْقَائِمِيْنَ وَالذَّاكِرِيْنَ عَلَى طَاعَتِهِمْ.
- وَمِنْهَا: أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرٌ يَجُودُ اللهُ فِيْهِ عَلَى عِبَادِهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ، لَا سِيَّمَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»**.(٢)، فَمَن جَادَ عَلَى عِبَادِ اللهِ جَادَ اللهُ عَلَيْهِ بِالْعَطَاءِ وَالْفَضْلِ، وَالْجَزَاءُ مِن جِنسِ الْعَمَلِ.
- وَمِنْهَا: أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ مِن مُوجِبَاتِ الْجَنَّةِ، كَمَا فِي حَدِيْثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى بُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا، وَظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا»**، قَالُوا: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«لِمَنْ أَطَابَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»**.(٣)

---

(١) في صحيح مسلم (رقم:٧٤٦) عن سعد بن هشام بن عامر، أنه سأل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قالت: «ألست تقرأ القرآن؟» قلت: بلى، قالت: «فإن خلق نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان القرآن».

(٢) البخاري (رقم:١٢٨٤، و٥٦٥٥، و٦٦٥٥، و٧٣٧٧، و٧٤٤٨)، ومسلم (رقم:٩٢٣) عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) رواه الترمذي (رقم:١٩٨٤، و٢٥٢٧)، وصححه ابن خزيمة (رقم:٢١٣٦). =

◄ وَهَذِهِ الْخِصَالُ كُلُّهَا تَكُونُ فِي رَمَضَانَ، فَيَجْتَمِعُ فِيْهِ لِلْمُؤْمِنِ الصِّيَامُ وَالْقِيَامُ وَالصَّدَقَةُ وَطِيْبُ الْكَلَامِ؛ فَإِنَّهُ يُنْهَى فِيْهِ الصَّائِمُ عَنِ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ.

◄ وَمِنْهَا: أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ أَبْلَغُ فِي تَكْفِيْرِ الْخَطَايَا وَاتِّقَاءِ جَهَنَّمَ وَالْمُبَاعَدَةِ عَنْهَا، وَخُصُوصًا إِن ضُمَّ إِلَى ذَلِكَ قِيَامُ اللَّيْلِ.

◄ وَمِنْهَا: أَنَّ الصِّيَامَ لَا بُدَّ أَن يَقَعَ فِيْهِ خَلَلٌ أَوْ نَقْصٌ، وَتَكْفِيْرُ الصِّيَامِ لِلذُّنُوبِ مَشْرُوطٌ بِالتَّحَفُّظِ مِمَّا يَنبَغِي التَّحَفُّظُ مِنْهُ، فَالصَّدَقَةُ تَجْبُرُ مَا فِيْهِ مِنَ النَّقْصِ وَالْخَلَلِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الصَّائِمَ يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ لله، فَإِذَا أَعَانَ الصَّائِمِيْنَ عَلَى التَّقَوِّيْ عَلَى طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ كَانَ بِمَنزِلَةِ مَن تَرَكَ شَهْوَةً لله وَآثَرَ بِهَا أَوْ وَاسَى مِنْهَا.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أُحِبُّ لِلرَّجُلِ الزِّيَادَةَ فِي الْجُودِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَلِحَاجَةِ النَّاسِ فِيْهِ إِلَى مَصَالِحِهِمْ، وَلِتَشَاغُلِ كَثِيْرٍ مِنْهُمْ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ عَن مَكَاسِبِهِمْ. وَكَذَا قَالَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا أَيْضًا.ا.هـ مُلَخَّصًا.(١)

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْجُودُ عَشْرُ مَرَاتِبَ.

إِحْدَاهَا: الْجُودُ بِالنَّفْسِ، وَهُوَ أَعْلَى مَرَاتِبِهِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

يَجُودُ بِالنَّفْسِ، إِن ضَنَّ الْبَخِيلُ بِهَا ... وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

الثَّانِيَةُ: الْجُودُ بِالرِّيَاسَةِ، وَهُوَ ثَانِي مَرَاتِبِ الْجُودِ، فَيَحْمِلُ الْجَوَادَ جُودُهُ عَلَى امْتِهَانِ رِيَاسَتِهِ، وَالْجُودِ بِهَا، وَالْإِيثَارِ فِي قَضَاءِ حَاجَاتِ الْمُلْتَمِسِ.

وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه أحمد (رقم:٦٦١٥)، وصححه الحاكم (رقم:٢٧٠، و١٢٠٠) على شرط مسلم، ووافقه الذهبي،إلا أن فيه رجلًا لم يخرج له مسلم، وهو ثقة، وليس في حديثه هذا ذكر الصيام.

وله أيضًا شواهد عن أبي هريرة، وعبد الله بن سلام، وأبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ذكرتها في المجلس الثاني من كتابي: "مجالس رمضانية".

(١) "لطائف المعارف"(ص:١٦٦-١٦٩).

الثَّالِثَةُ: الْجُودُ بِرَاحَتِهِ وَرَفَاهِيَتِهِ، وَإِجْمَامِ نَفْسِهِ، فَيَجُودُ بِهَا تَعَبًا وَكَدًّا فِي مَصْلَحَةِ غَيْرِهِ، وَمِنْ هَذَا جُودُ الْإِنْسَانِ بِنَوْمِهِ وَلَذَّتِهِ لِمُسَامِرِهِ، كَمَا قِيلَ:

مُتَيَّمٌ بِالنَّدَى، لَوْ قَالَ سَائِلُهُ: هَبْ لِي جَمِيعَ كَرَى عَيْنَيْكَ، لَمْ يَنَمِ

الرَّابِعَةُ: الْجُودُ بِالْعِلْمِ وَبَذْلِهِ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْجُودِ. وَالْجُودُ بِهِ أَفْضَلُ مِنَ الْجُودِ بِالْمَالِ. لِأَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ مِنَ الْمَالِ.

وَالنَّاسُ فِي الْجُودِ بِهِ عَلَى مَرَاتِبَ مُتَفَاوِتَةٍ، وَقَدِ اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ وَتَقْدِيرُهُ النَّافِذُ: أَنْ لَا يَنْفَعَ بِهِ بَخِيلًا أَبَدًا.

وَمِنَ الْجُودِ بِهِ: أَنْ تَبْذُلَهُ لِمَنْ يَسْأَلُكَ عَنْهُ، بَلْ تَطْرَحُهُ عَلَيْهِ طَرْحًا.

الْخَامِسَةُ: الْجُودُ بِالنَّفْعِ بِالْجَاهِ، كَالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْيِ مَعَ الرَّجُلِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ وَنَحْوِهِ، وَذَلِكَ زَكَاةُ الْجَاهِ الْمُطَالَبُ بِهَا الْعَبْدُ، كَمَا أَنَّ التَّعْلِيمَ وَبَذْلَ الْعِلْمِ زَكَاتُهُ.

السَّادِسَةُ: الْجُودُ بِنَفْعِ الْبَدَنِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ: صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، فَيَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ: صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ: صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ يُمْشِيهَا الرَّجُلُ إِلَى الصَّلَاةِ: صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ: صَدَقَةٌ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١)

السَّابِعَةُ: الْجُودُ بِالْعِرْضِ، وَفِي هَذَا الْجُودِ مِنْ سَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَرَاحَةِ الْقَلْبِ، وَالتَّخَلُّصِ مِنْ مُعَادَاةِ الْخَلْقِ مَا فِيهِ.

الثَّامِنَةُ: الْجُودُ بِالصَّبْرِ، وَالِاحْتِمَالِ، وَالْإِغْضَاءِ، وَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ شَرِيفَةٌ مِنْ مَرَاتِبِهِ، وَهِيَ أَنْفَعُ لِصَاحِبِهَا مِنَ الْجُودِ بِالْمَالِ، وَأَعَزُّ لَهُ وَأَنْصَرُ، وَأَمْلَكُ لِنَفْسِهِ، وَأَشْرَفُ لَهَا، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا النُّفُوسُ الْكِبَارُ.

---

(١) البخاري (رقم: ٢٨٩١، و٢٩٨٩)، ومسلم (رقم: ١٠٠٩).

فَمَن صَعُبَ عَلَيْهِ الْجُودُ بِمَالِهِ فَعَلَيْهِ بِهَذَا الْجُودِ، فَإِنَّهُ يَجْتَنِي ثَمَرَةَ عَوَاقِبِهِ الْحَمِيدَةِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ، وَهَذَا جُودُ الْفُتُوَّة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ﴾ [المائدة: ٤٥].

وَفِي هَذَا الْجُودِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

فَذَكَرَ الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَقَامَ الْعَدْلِ، وَأَذِنَ فِيهِ، وَمَقَامَ الْفَضْلِ، وَنَدَبَ إِلَيْهِ، وَمَقَامَ الظُّلْمِ، وَحَرَّمَهُ.

التَّاسِعَةُ: الْجُودُ بِالْخُلُقِ وَالْبِشْرِ وَالْبَسْطَةِ، وَهُوَ فَوْقَ الْجُودِ بِالصَّبْرِ وَالِاحْتِمَالِ وَالْعَفْوِ، وَهُوَ الَّذِي بَلَغَ بِصَاحِبِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَهُوَ أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ»**.(١)

وَفِي هَذَا الْجُودِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَسَارِّ، وَأَنْوَاعِ الْمَصَالِحِ مَا فِيهِ.

الْعَاشِرَةُ: الْجُودُ بِتَرْكِهِ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْتَشْرِفُ لَهُ بِقَلْبِهِ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ بِحَالِهِ، وَلَا لِسَانِهِ، وَهَذَا الَّذِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ سَخَاءِ النَّفْسِ بِالْبَذْلِ.

---

(١) رواه مسلم (رقم: ٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعنده: **«بِوَجْهٍ طَلْقٍ»**، مكان: **«وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ»**.

ورواه أبو داود (رقم: ٤٠٨٤) من حديث أبي جُرَيٍّ جابر بن سُلَيْم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: **«وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ، إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ»**.

وصححه ابن حبان (رقم: ٥٢١، و٥٢٢)، ولفظه: **«وَتُكَلِّمَ أَخَاكَ، وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ»**، وذكره الألباني في "الصحيحة"(رقم: ١١٠٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٩٦).

فَلِسَانُ حَالِ الْقَدَرِ يَقُولُ لِلْفَقِيرِ الْجَوَادِ: وَإِنْ لَمْ أُعْطِكَ مَا تَجُودُ بِهِ عَلَى النَّاسِ، فَجُدْ عَلَيْهِمْ بِزُهْدِكَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ، تُفَضَّلْ عَلَيْهِمْ، وَتُزَاحِمْهُمْ فِي الْجُودِ، وَتَنْفَرِدْ عَنْهُمْ بِالرَّاحَةِ.

وَلِكُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ الْجُودِ مَزِيدٌ وَتَأْثِيرٌ خَاصٌّ فِي الْقَلْبِ وَالْحَالِ.ا.هـ.(١)

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

هَذَا وَإِنَّ مِمَّا يَنبَغِي التَّنبِيْهُ عَلَيْهِ: أَنَّهُ لَا تَعَلُّقَ لِرَمَضَانَ بِوُجُوبِ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَصْنَافَ الَّتِي تَجِبُ فِيْهَا الزَّكَاةُ عَشَرَةٌ، تِسْعَةٌ مِنْهَا بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ، وَهِيَ:

- السَّائِمَةُ مِن بَهِيْمَةِ الْأَنْعَامِ، وَهِيَ: ١. الْإِبِلُ. ٢. وَالْبَقَرُ. ٣. وَالْغَنَمُ.
- وَمِنَ الْخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ: ٤. الْبُرُّ. ٥. وَالشَّعِيْرُ. ٦. وَالتَّمْرُ. ٧. وَالزَّبِيْبُ.
- وَالنَّقْدَانِ: ٨. الذَّهَبُ. ٩. وَالْفِضَّةُ. وَمَا يَقُومُ مَقَامَهُمَا مِنَ الْعُمُلَاتِ الْوَرَقِيَّةِ النَّقْدِيَّةِ.
- وَالْعَاشِرَةُ: عُرُوضُ التِّجَارَةِ، وَهُوَ قَوْلُ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَعَلَيْهِ أَدِلَّةٌ.

فَأَمَّا زَكَاةُ بَهِيْمَةِ الْأَنْعَامِ وَزَكَاةُ النَّقْدَيْنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَمَا يَقُومُ مَقَامَهُمَا مِنَ الْعُمُلَاتِ الْوَرَقِيَّةِ وَزَكَاةُ عُرُوضُ التِّجَارَةِ فَتَجِبُ بِأَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ: **بُلُوغِ النِّصَابِ الْمَذْكُورِ، وَحَوَلَانِ الْحَوْلِ**، أَيْ: بِمُرُورِ سَنَةٍ كَامِلَةٍ، فَهِيَ تَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ إِذَا بَلَغَتِ النِّصَابَ، وَلَمْ تَنقُصْ عَنْهُ فِي أَثْنَاءِ الْحَوْلِ.

---

(١) "مدارج السالكين"(ج٢/صـ:٢٧٩-٢٨٢).

وَأَقَلُّ نِصَابِ الْإِبِلِ خَمْسٌ، فَإِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا فَفِيهَا شَاةٌ، ثُمَّ فِي كُلِّ خَمْسٍ شَاةٌ، فَإِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ إِلَى خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ فَفِيهَا بِنْتُ مَخَاضٍ أُنْثَى، وَهِيَ: الَّتِي أَكْمَلَتِ السَّنَةَ الْأُولَى وَدَخَلَتْ فِي الثَّانِيَةِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا بِنْتُ مَخَاضٍ، فَابْنُ لَبُونٍ ذَكَرٌ، وَهُوَ مَا أَكْمَلَ السَّنَةَ الثَّانِيَةَ وَدَخَلَ فِي الثَّالِثَةِ، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَثَلَاثِينَ إِلَى خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ فَفِيهَا بِنْتُ لَبُونٍ أُنْثَى، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ إِلَى سِتِّينَ فَفِيهَا حِقَّةٌ طَرُوقَةُ الجَمَلِ، وَهِيَ مَا أَكْمَلَتِ السَّنَةَ الثَّالِثَةَ وَدَخَلَتْ فِي الرَّابِعَةِ، فَإِذَا بَلَغَتْ وَاحِدَةً وَسِتِّينَ إِلَى خَمْسٍ وَسَبْعِينَ فَفِيهَا جَذَعَةٌ، وَهِيَ مَا أَكْمَلَتِ السَّنَةَ الرَّابِعَةَ وَدَخَلَتْ فِي الْخَامِسَةِ، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَسَبْعِينَ إِلَى تِسْعِينَ فَفِيهَا بِنْتَا لَبُونٍ، فَإِذَا بَلَغَتْ إِحْدَى وَتِسْعِينَ إِلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ فَفِيهَا حِقَّتَانِ طَرُوقَتَا الجَمَلِ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ فَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ بِنْتُ لَبُونٍ وَفِي كُلِّ خَمْسِينَ حِقَّةٌ.

وَأَقَلُّ نِصَابِ الْغَنَمِ أَرْبَعُونَ، فَإِذَا كَانَتْ أَرْبَعِينَ إِلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ فَفِيهَا شَاةٌ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ إِلَى مِائَتَيْنِ فَفِيهَا شَاتَانِ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى مِائَتَيْنِ إِلَى ثَلَاثِ مِائَةٍ، فَفِيهَا ثَلَاثُ شِيَاهٍ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى ثَلَاثِ مِائَةٍ، فَفِي كُلِّ مِائَةٍ شَاةٌ.

وَهَذَا التَّفْصِيلُ وَرَدَ به حَدِيْثٌ مَرْفُوعٌ، وَهُوَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٤٥٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَتَبَ لَهُ هَذَا الكِتَابَ لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى البَحْرَيْنِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذِهِ فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا رَسُولَهُ...، فَذَكَرَهُ.

وَأَمَّا الْبَقَرُ فَفِي حَدِيْثِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى الْيَمَنِ أَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْبَقَرِ مِنْ كُلِّ ثَلَاثِينَ تَبِيعًا، أَوْ تَبِيعَةً، وَمِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ مُسِنَّةً»**. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ، وَلَهُ شَوَاهِدُ.(١)

(١) "مسند أحمد"(رقم:٢٢٠١٣، و٢٢٠٣٧، و٢٢٠٨٤، و٢٢١٢٩)، و"سنن أبي داود"(رقم: ١٥٧٦)، و"سنن الترمذي"(رقم:٦٢٣)، و"سنن النسائي"(رقم:٢٤٥٠، و٢٤٥١، و٢٤٥٢)، =

وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْإِجْمَاعَ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ هَذَا الْحَدِيْثُ.(١)

وَالتَّبِيْعُ وَالتَّبِيْعَةُ مِنَ الْبَقَرِ: مَا أَكْمَلَ السَّنَةَ وَدَخَلَ فِي الثَّانِيَةِ.

وَالْمُسِنَّةُ: مَا أَكْمَلَتِ السَّنَتَيْنِ وَدَخَلَتْ فِي الثَّالِثَةِ.

وَأَقَلُّ نِصَابِ الذَّهَبِ بِالْجِرَامَاتِ: خَمْسَةٌ وَثَمَانُونَ جِرَامًا (٨٥)، وَأَقَلُّ نِصَابِ الْفِضَّةِ بِالْجِرَامَاتِ: خَمْسَةٌ وَتِسْعُونَ وَخَمْسِمِائَة جِرَام (٥٩٥).

وَأَمَّا نِصَابُ الْعُمُلَاتِ الْوَرَقِيَّةِ وَعُرُوضِ التِّجَارَةِ فَعَلَى الْأَقَلِّ مِن نِصَابَيِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ؛ لِأَنَّهُ الْأَحْوَطُ، وَالْأَحَظُّ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِيْنِ.(٢)

وَالْأَقَلُّ مِن نِّصَابِهِمَا فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ هُوَ: نِصَابُ الْفِضَّةِ، فَيُضْرَبُ أَقَلُّ سِعْرٍ لِلْجِرَامِ مِنَ الْفِضَّةِ فِي الْأَسْوَاقِ فِي نِصَابِ الْفِضَّةِ بِالْجِرَامَاتِ، وَيَكُونُ نَاتِجُ الضَّرْبِ هُوَ نِصَابَ الْعُمُلَاتِ الْوَرَقِيَّةِ وَعُرُوضِ التِّجَارَةِ.

فَإِذَا بَلَغَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَبَلَغَتِ الْعُمُلَاتُ الْوَرَقِيَّةُ وَعُرُوضُ التِّجَارَةِ أَنصِبَتَهَا الْمَذْكُورَةَ وَحَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ وَجَبَ إِخْرَاجُ زَكَاتِهَا، وَهُو: رُبُعُ الْعُشْرِ (٢,٥٪)، وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيْرُ ذَلِكَ إِلَّا لِعُذْرٍ، لَكِن مَنْ أَرَادَ تَقْدِيْمَ إِخْرَاجِهَا قَبْلَ تَمَامِ الْحَوْلِ؛ كَمَن يَحْرِصُ

و"سنن ابن ماجه"(رقم:١٨٠٣). ويشهد له ما في الكتاب المشهور من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعمرو بن حزم، حين بعثه إلى اليمن، صححه الحاكم (رقم:١٤٤٧)، وغيره، وكذا حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه الدارقطني (رقم:١٩٠٤، و١٩٢٨)، ومن طريقه البيهقي في "الكبرى"(رقم:٧٢٩٣)، وثالث من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه أحمد (رقم:٣٩٠٥)، والترمذي (رقم:٦٢٢)، وابن ماجه (رقم:١٨٠٤)، وراجع: "الإرواء"(رقم:٧٩٥).

(١) "الاستذكار"(ج٣/ص:١٨٨).

(٢) راجع: "مجموع فتاوى ابن باز"(ج١٤/ص:١٢٥)، و"اللجنة الدائمة" (م.الأولى)(ج٩/ص:٢٥٧).

عَلَى مُوَافَقَةِ فَضْلِ رَمَضَانَ، فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ[(١)]، وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ النَّاسِ عَلَى إِخْرَاجِهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ حِرْصًا عَلَى مُوَافَقَةِ فَضْلِ الزَّمَانِ.

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَوْ عَجَّلَ الزَّكَاةَ لِعَامٍ مُعَيَّنٍ ثُمَّ نَقَصَ النِّصَابُ بَعْدَ التَّعْجِيْلِ وَقَبْلَ تَمَامِ الْحَوْلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ تَطَوُّعًا، وَلَا يُجْزِئُهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَعْوَامِ؛ لِأَنَّهُ نَوَاهُ لِذَلِكَ الْعَامِ.

وَلَوْ عَجَّلَ الزَّكَاةَ ثُمَّ زَادَ النِّصَابُ فَإِنَّهُ تَجِبُ الزَّكَاةُ فِي الزِّيَادَةِ أَيْضًا.ا.هـ.[(٢)]

وَأَمَّا تَعْجِيْلُهَا قَبْلَ مِلْكِ النِّصَابِ فَلَا يَجُوزُ، وَنَقَلَ ابْنُ قُدَامَةَ وَالنَّوَوِيُّ عَدَمَ الْخِلَافِ فِيْهِ.[(٣)]

وَكَيْفِيَّةُ إِخْرَاجِ زَكَاةِ عُرُوضِ التِّجَارَةِ: أَن تُقَوَّمَ بِمَا تُسَاوِيْ عِندَ تَمَامِ الْحَوْلِ عَلَى ثَمَنِهَا الَّذِيْ اشْتُرِيَتْ بِهِ، وَيُخْرَجُ رُبُعُ الْعُشْرِ مِن الْقِيْمَةِ الْمُقَدَّرَةِ.ا.هـ.[(٤)]

وَعُرُوضُ التِّجَارَةِ وَالْعُمُلَاتُ الْوَرَقِيَّةُ يُضَمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فِي تَكْمِيْلِ النِّصَابِ، وَتُضَمُّ أَيْضًا إِلَى الذَّهَبِ أَوِ الْفِضَّةِ، وَأَمَّا الذَّهَبُ فَلَا يُضَمُّ إِلَى الْفِضَّةِ فِي تَكْمِيْلِ النِّصَابِ؛ لِأَنَّهُمَا جِنسَانِ مُخْتَلِفَانِ، وَلَا يُضَمُّ مَا تَجِبُ فِيْهِ الزَّكَاةُ مِنَ الذَّهَبِ بَعْضُهِ إِلَى بَعْضٍ إِذَا كَانَ الَّذِي تَجِبُ فِيْهِ الزَّكَاةُ لِشَخْصَيْنِ فَأَكْثَرَ، كَامْرَأَةٍ وَبَنَاتِهَا، بَلْ تُعْتَبَرُ زَكَاةُ كُلِّ شَخْصٍ عَلَى حِدَةٍ مُنفَصِلًا عَن مَالِ الْآخَرِ، إِلَّا إِن كَانَ الْمَالِكُ لَهُ وَاحِدًا، يَتَصَرَّفُ بِهِ حَيْثُ شَاءَ، فَيَضُمُّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ.[(٥)]

---

(١) راجع: "التمهيد"(ج٤/صـ:٥٩-٦٠)، و"شرح النووي على مسلم"(ج٧/صـ:٥٧)، و"نيل الأوطار"(ج٤/صـ:١٧٩).

(٢) "الشرح الممتع"(ج٦/صـ:٢١٨).

(٣) "المغني"(ج٢/صـ:٤٧١)، و"المجموع"(ج٦/صـ:١٤٦).

(٤) "فتاوى اللجنة الدائمة"(م.الثانية)(ج٨/صـ:٨٤) (رَقْم:١٩٧٢٢).

(٥) راجع: "المغني"(ج٣/صـ:٣٦)، و"مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين"(ج١٨/صـ:١٤١).

وَأَمَّا الْبُرُّ، وَالشَّعِيْرُ، وَالتَّمْرُ، وَالزَّبِيْبُ فَأَقَلُّ نِصَابِهَا خَمْسَةُ أَوْسُقٍ؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَالْأَوْسُقُ جَمْعُ وَسْقٍ، وَالْوَسْقُ: سِتُّونَ صَاعًا، فتكُونُ الْخَمْسَةُ الْأَوْسُقُ ثَلَاثمِائَةِ صَاعٍ، وَقُدِّرَ الصَّاعُ النَّبَوِيُّ كَيْلًا بِمِلْءِ خَمْسِ عُلَبٍ مِنَ الْأَنَاسِ الْمَعْرُوفَةِ مَمْسُوحَةً؛ فتكُونُ الثَّلَاثُمِائَةِ صَاعٍ: مِلْءَ أَلْفٍ وَخَمْسَمِائَةِ عُلْبَةِ أَنَاسٍ كَيْلًا.

وَأَمَّا بِالْوَزْنِ فَإِنَّ الصَّاعَ عَلَى أَقَلِّ تَقْدِيْرٍ: كِيْلُوْهَانِ وَأَرْبَعُونَ جِرَامًا، فتكُونُ الْخَمْسَةُ الْأَوْسُقُ: سِتَّمِائَةٍ وَاثْنَي عَشَرَ كِيْلُو جِرَامٍ، وَعَلَى أَحْوَطِ تَقْدِيْرٍ: ثَلَاثَةُ كِيْلُوْهَاتٍ، فتكُونُ الْخَمْسَةُ الْأَوْسُقُ: تِسْعَمِائَةِ كِيْلُو جِرَامٍ.

وَيُعْتَبَرُ هَذَا النِّصَابُ بَعْدَ تَصْفِيَةِ الْحَبِّ، وَجَفَافِ الثِّمَارِ.

فَإِذَا بَلَغَ صِنفٌ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ هَذَا النِّصَابَ فِي غَلَّةٍ فَفِيْهِ: الْعُشْرُ إِن كَانَ يُسْقَى بِمَاءِ السَّمَاءِ، أَوِ الْعُيُونِ، أَوْ نِصْفُ الْعُشْرِ إِن كَانَ يُسْقَي بِالنَّضْحِ، أَوْ هَذِهِ الْمَضَخَّاتِ الْحَدِيْثَةِ؛ لِحَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا العُشْرُ، وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ العُشْرِ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:١٤٨٣)، وَنَحْوُهُ لِمُسْلِمٍ (رقم:٩٨١) مِنْ حَدِيْثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَإِن كَانَ يُسْقَى بِالطَّرِيْقَتَيْنِ مَعًا فَفِيْهِ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ الْعُشْرِ، قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي "الْمُغْنِي"(ج٣/ صـ:١٠): «وَلَا نَعْلَمُ فِيهِ مُخَالِفًا».

وَأَمَّا مَا عَدَا هَذِهِ الْأَصْنَافَ الْأَرْبَعَةَ فَيُسْتَحَبُّ أَن يَتَصَدَّقَ يَوْمَ حَصَادِهِ بِمَا جَادَتْ بِهِ نَفْسُهُ وَسَمَحَتْ بِهِ؛ لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

---

(١) البخاري (رقم:١٤٠٥، و١٤٨٤)، ومسلم (رقم:٩٧٩).

في ختام شهر رمضان

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيْمِ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران: ١٩٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[النور: ٤٤].

عِبَادَ اللهِ، إِنَّ الْأَيَّامَ وَالْأَعْوَامَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، عَشِيَّةٌ تَمْضِي، وَتَأْتِي بُكْرَةٌ، وَحِسَابٌ يَأْتِي عَلَى مِثْقَالِ الذَّرَّةِ، وَفِي كَرِّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي وَتَعَاقُبِهَا عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ.

أَعْوَامُ وَصْلٍ كَادَ يُنْسِي طِيْبَهَا ... ذِكْرُ النَّوَى فَكَأَنَّهَا أَيَّامُ!
ثُمَّ انْبَرَتْ أَيَّامُ هَجْرٍ أَعْقَبَتْ ... نَحْوِيْ أَسَىً، فَكَأَنَّهَا أَعْوَامُ!
ثُمَّ انقَضَتْ تِلْكَ السِّنُونُ وَأَهْلُهَا ... فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ!

وَالنَّاسُ مُذْ خُلِقُوا لَمْ يَزَالُوا مُسَافِرِيْنَ، وَلَيْسَ لَهُمْ حَطٌّ عَن رِّحَالِهِمْ إِلَّا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾[الشورى: ٧].

عِبَادَ اللهِ، هَاهِيَ أَيَّامُ وَلَيَالِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ تَتَقَلَّبُ وَتَمُرُّ وَتَمْضِي، وَقَدْ أَوْشَكَ الشَّهْرُ عَلَى الرَّحِيْلِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ سِوَى الْقَلِيْلِ، فَمَن كَانَ مُحْسِنًا فَعَلَيْهِ بِالْإِتْمَامِ وَاحْتِسَابِ الثَّوَابِ، وَمَن كَانَ مُسِيْئًا فَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ الرَّحِيْمِ التَّوَّابِ، قَبْلِ غَلْقِ الْبَابِ وَطِيِّ الْكِتَابِ، وَلْيُبَادِرْ بِالْعَمَلِ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجَلِ.

هَا هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي فَرِحْنَا بِقُدُومِهِ قَبْلَ نَيِّفٍ وَعِشْرِيْنَ يَوْمًا يُوْشِكُ أَن يُّوَدِّعَنَا، إِمَّا لَنَا أَوْ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ فَتَقَبَّلْ مِنَّا صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ، وَلَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ بِنَا، اللَّهُمَّ أَعِدْهُ عَلَيْنَا أَعْوَامًا عَدِيْدَةً وَأَزْمِنَةً مَدِيْدَةً، حُقَّ لِعُيُونِ الْعَابِدِيْنَ أَن تَدْمَعَ وَلِقُلُوبِ الْهَاجِدِيْنَ أَن تَحْزَنَ لِوَدَاعِ رَمَضَانَ وَفِرَاقِهِ، كَيْفَ لَا وَفِيْهِ يَجِيءُ النَّشَاطُ لِكُلِّ عَمَلٍ مَلِيْحٍ، وَهُوَ مَوْسِمٌ لِلْمَتْجَرِ الرَّبِيْحِ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾[فاطر: ٢٩ - ٣٠].

فَيَا مَنْ أَظْمَأَ نَهَارَهُ بِالصِّيَامِ وَأَسْهَرَ لَيْلَهُ فِي الْقِيَامِ يَبْتَغِي رِضَا رَبِّ الْأَنَامِ، أَبْشِرْ، فَقَدْ ذَهَبَ نَصَبُ وَتَعَبُ سَالِفِ الْأَيَّامِ، وَبَقِيَ الْأَجْرُ مِنَ الْعَزِيْزِ الْعَلَّامِ.

وَيَا مَنْ أَضَاعَ لَيْلَهُ فِي اللَّهْوِ وَالْمَعْصِيَةِ وَنَهَارَهُ فِي الْغَفْلَةِ، ذَهَبَتِ اللَّذَاذَةُ وَبَقِيَ الْإِثْمُ:

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِمَّن نَّالَ شَهْوَتَهُ ... مِنَ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِهَا ... لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِّن بَعْدِهَا النَّارُ

يَا مَن بَاءَ بِالْحِرْمَانِ! مَتَى تَتُوبُ إِلَى الرَّحْمَنِ، يَا مَن فَرَّطَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؟! مَتَى يُفِيْقُ وَيَصِحُّ مَنْ أُصِيْبَ بِدَاءِ الْغَفْلَةِ وَدَاءِ التَّسْوِيْفِ وَبِئْسَ الْمَرَضَانِ!.

يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انتَبِهْ! ... جَدَّ الرَّحِيْلُ وَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ
سَارَ الرِّفَاقُ وَخَلَّفُوكَ مَعَ الْأُلَى ... قَنِعُوا بِذَا الْحَظِّ الْخَسِيْسِ الْفَانِي

رَوَى أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ**

دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الجَنَّةَ». (١)

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي يَعْلَى وابْنِ حِبَّانَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: **«آمِينَ آمِينَ آمِينَ»**. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ حِينَ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ قُلْتَ: آمِينَ آمِينَ آمِينَ، قَالَ: **«إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَبَرَّهُمَا، فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ».** (٢)

[التَّوْبَةَ التَّوْبَةَ قَبْلَ أَن تَصِلَ إِلَيْكَ النَّوْبَةُ، الْإِنَابَةَ الْإِنَابَةَ قَبْلَ أَن يُغْلَقَ بَابُ الْإِجَابَةِ، الْإِفَاقَةَ الْإِفَاقَةَ فَيَا قُرْبَ وَقْتِ الْفَاقَةِ، إِنَّمَا الدُّنْيَا سُوقٌ لِلتَّجْرِ، وَمَجْلِسُ وَعْظٍ لِلزَّجْرِ، وَلَيْلُ صَيْفٍ قَرِيبُ الْفجْرِ]. (٣)

---

(١) "المسند"(رقم:٧٤٥١)، و"سنن الترمذي"(رقم:٣٥٤٥) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به، **وإسناده حسن**.

وزاد الترمذي: قال عبد الرحمن: وأظنه قال: «أو أحدهما»، ثم قال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه». وصححه ابن حبان (رقم:٩٠٨)، والألباني في "الإرواء"(رقم:٦)، وذكره العلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:١٢٨٢).

وفي الباب عن عدد من الصحابة، راجع: "تحقيق المسند"(ج١٢/ص:٤٢٢-٤٢٣).

وانظر إلى التعليق التالي.

(٢) "مسند أبي يعلى"(رقم:٥٩٢٢)، و"صحيح ابن حبان"(رقم:٩٠٧) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به، وإسناده حسن. ورواه البخاري في "الأدب المفرد"(رقم:٦٤٦) من طريق كثير بن زيد، عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به، وصححه ابن خزيمة (رقم:١٨٨٨). وليس عند الأخير ذكر الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وإسناده حسن أيضًا، وراجع ما قبله.

(٣) "المدهش"(ص:٢٣٢).

بَادِرْ شَمْسَ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْغُرُوبِ، وَايْمُ اللهِ لَقَد تَّرَاكَمَتِ الذُّنُوبُ، وَقَسَتِ الْقُلُوبُ وَعَظُمَتِ الْخُطُوبُ، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[التوبة: ٧٨].

الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ مِن رَّمَضَانَ أَفْضَلُ الزَّمَانِ، وَخَيْرُ لَيَالِي الْعَامِ، وَفِيْهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]، وَلَعَلَّهَا فِيمَا بَقِيَ مِنَ اللَّيَالِي، فَأَيْنَ الْعَامِلُونَ؟! وَأَيْنَ الْمُتَنَافِسُونَ؟! وَأَيْنَ الْمُسَارِعُونَ الْمُسَابِقُونَ؟!

وَلَـوْ أَنَّ عَيْنًـا سَـاعَدتْ لتوَكَّفَـتْ ... سَـحَائِبُهَا بِالـدَّمْعِ دِيْـمًا وَهُطَّـلَا
وَلكِنَّهـا عَـن قَسْـوَةِ الْقَلْـبِ قَحْطُهَـا ... فَيَـا ضَـيْعَةَ الأَعْـمَارِ تَمْشِـي سَـبَهْلَلَا

أَمَا لِلْمُتَخَلِّفِ عَنِ الصَّلَاةِ فِي تَخَلُّفِهِ قَلْبٌ؟! أَمَا لِمَنِ انتَهَكَ حُرْمَةَ نَهَارِ رَمَضَانَ بِالْإِفْطَارِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ قَلْبٌ؟! أَمَا لِمَنِ اتَّخَذَ الْقُرْآنَ مَهْجُورًا قَلْبٌ؟! أَمَا لِلسَّارِقِ حِيْنَ يَسْرِقُ قَلْبٌ؟! أَمَّا لِلْكَذَّابِ وَالْمُغْتَابِ وَالسَّبَّابِ وَالنَّمَّامِ وَآكِلِ السُّحْتِ قَلْبٌ؟! أَمَا لِقَاطِعِ الرَّحِمِ قَلْبٌ؟! أَمَا لِمَنْ أَطْلَقَ بَصَرَهُ فِي الْحَرَامِ قَلْبٌ؟! بَلَى، ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام: ٤٣].

وَاللهِ لَـوْ أَنَّ الْقُلُـوبَ سَـلِيْمَةٌ ... لَتَقَطَّعَـتْ أَسَـفًا مِـنَ الْحِرْمَـانِ
لَكِنَّهَـا سَـكْرَى بِحُـبِّ حَيَاتِهَـا الـدْ ... دُنْيَـا وَسَـوْفَ تُفِيْـقُ بَعْـدَ زَمَـانِ

لِمِثْلِ هَذَا فَلْيُسَرَّ بِالنَّدَامَاتِ، وَلِمِثْلِهِ فَلْتَعْظُمِ الْحَسَرَاتُ، وَلِمِثْلِهِ فَلْتُطْلَقِ الزَّفَرَاتُ تِلْوَ الزَّفَرَاتِ.

لِمِثْـلِ هَـذَا يَـذُوبُ الْقَلْـبُ مِـن كَمَـدٍ ... إِن كَـانَ فِي الْقَلْـبِ إِسْـلَامٌ وَإِيْـمَانُ

شَتَّانَ بَيْنَ غَنِيْمَةِ الْعَامِلِ الْمُجْتَهِدِ وَخَيْبَةِ الْمُفَرِّطِ الْوَانِي!.

مَـن فَاتَـهُ الـزَّرْعُ فِي وَقْـتِ الْبِـدَارِ فَـمَا ... تَـرَاهُ يَحْصُـدُ إِلَّا الْهَـمَّ وَالنَّـدَمَا

هَذِهِ الْعِبَرُ تَمُرُّ بِنَا كُلَّ وَقْت وَّحِيْنٍ، وَكِتَابُ اللهِ يَقُصُّ عَلَيْنَا نَبَأَ الْمُكَذِّبِيْنَ وَالْمُعْرِضِيْنَ، وَيُحَذِّرُنَا مَا نَزَلَ بِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَعَصَى رُسُلَهُ مِنَ الْجَبَّارِيْنَ وَالْمُتَكَبِّرِيْنَ، ﴿وَكَمْ

أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾[القصص: ٥٨].

يَا قَوْم، أَيْنَ القُلُوبُ الْخَاشِعَةُ؟! وَالعُيُونُ الدَّامِعَةُ؟!

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[الحديد: ١٦].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[الحديد: ١٦] إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٣٠٢٧).

يَا مَن يُوَدِّعُ رَمَضَانَ، وَيُرَاقِبُ بِعَيْنَيْهِ رَحِيلَ حَبِيبٍ شَنَّفَ ذِكْرُهُ الْأَسْمَاعَ وَقَرَّتْ بِهِ الْعُيُونُ، وَعُمِرَتْ فِيهِ الْمَسَاجِدُ؟ احْرِصْ عَلَى مَا بَقِيَ مِنْ أَوْقَاتِ الشَّهْرِ، وَاخْتِمْهُ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، لَعَلَّكَ أَن تُعْتَقَ مِنَ النَّارِ.

رَوَى التِّرْمِذِيُّ (رقم:٦٨٢)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم:١٦٤٢) عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن رَّسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ**». يَعْنِي مِن شَهْرِ رَمَضَانَ.

تَرَحَّلْتَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ بِصَوْمِنَا ... وَقَدْ كُنتَ أَنْوَارًا بِكُلِّ مَكَانِ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ كُن شَاهِدًا لَنَا ... بِخَيْرٍ رَعَاكَ اللهُ مِن رَّمَضَانِ

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ اللهِ، إِنَّ اللهَ شَرَعَ لَنَا فِي خِتَامِ هَذَا الشَّهْرِ عِبَادَةً وَّشَعِيْرَةً، وَهِيَ صَدَقَةُ الْفِطْرِ، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا**

مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ؛ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم:١٦٠٩)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم:١٨٢٧).(٢)

وَقَد دَّلَّ هَذَانِ الْحَدِيْثَانِ عَلَى أَنَّ وَقْتَ إِخْرَاجِ زَكَاةِ الْفِطْرِ مِن طُلُوعِ فَجْرِ يَوْمِ الْعِيْدِ، وَيَنتَهِي بِالشُّرُوعِ فِي صَلَاةِ الْعِيْدِ.

وَأَجَازَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ تَقْدِيْمَهَا قَبْلَ الْعِيْدِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ؛ لِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيِّ (رقم: ١٥١١) عَن نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ.

وَتَلْزَمُ الْإِنسَانَ الَّذِيْ يَمْلِكُ مَا يَزِيْدُ عَن قُوتِ يَوْمِ الْعِيْدِ وَلَيْلَتِهِ، وَيُخْرِجُهَا عَن نَفْسِهِ وَعَمَّن تَجِبُ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُ، كَأَوْلَادِهِ، وَزَوْجَتِهِ الْمُسْلِمَةِ غَيْرِ النَّاشِزِ، إِن لَمْ يَكُن لَهُم مَالٌ.

وَهِيَ صَاعٌ مِنْ غَالِبِ قُوْتِ أَهْلِ الْبَلَدِ مِنَ الطَّعَامِ، مِنَ الْبُرِّ، أَوِ الْأَرُزِّ، أَوِ التَّمْرِ، أَوِ الزَّبِيْبِ، أَوِ الْأَقِطِ (الْحَلِيْبِ الْمُجَفَّفِ)، أَوْ غَيْرِهَا.

وَغَالِبُ طَعَامِ النَّاسِ الْآنَ: الْبُرُّ، وَالْأَرُزُّ.

فَفِي حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْآنِفِ الذِّكْرِ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ».

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (رقم:١٥٠٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم:٩٨٥) عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ، أَوْ صَاعًا مِن زَبِيبٍ».

---

(١) البخاري (رقم:١٥٠٣)، ومسلم (رقم:٩٨٤).

(٢) وحسنه الألباني في "الإرواء"(رقم: ٨٤٣)، وفي "صحيح أبي داود"(رقم: ١٤٢٧).

قَالَ أَبُو سَعِيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَمَا فِي صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ (رقم: ١٥١٠)-: «**وَكَانَ طَعَامَنَا الشَّعِيرُ وَالزَّبِيبُ وَالأَقِطُ وَالتَّمْرُ**».

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَخْصِيْصَ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ لَيْسَ لِكَوْنِهَا مَقْصُودَةً لِعَيْنِهَا، وَلَكِن لِأَنَّهَا كَانَت طَعَامَهُمْ ذَلِكَ الْوَقْتَ.

وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى أَنَّهُ لَا يُجْزِئُ فِي زَكَاةِ الْفِطْرِ إِلَّا الطَّعَامُ، وَلَا يُجْزِئُ إِخْرَاجُهَا نُقُودًا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ لَمْ يُخْرِجُوهَا إِلَّا طَعَامًا.

وَمَصْرِفُ زَكَاةِ الْفِطْرِ هُمُ الْفُقَرَاءُ والْمَسَاكِيْنُ؛ لِمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**فَرَضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ؛ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِيْنِ**».

خطبة عيد الفطر

الْحَمْدُ للهِ فَالِقِ الْإِصْبَاحِ، أَمْضَى فِي عِبَادِهِ تَعَاقُبَ الْآلَامِ وَالْآمَالِ وَالْأَتْرَاحِ وَالْأَفْرَاحِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ فَهُوَ مُسْتَحِقُّ الْحَمْدِ، وَهُوَ أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالِامْتِدَاحِ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْعَلِيمُ الْفَتَّاحُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، نَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ، وَرَسُولُ الْمَرْحَمَةِ، ذُو الْكِفَاحِ وَالنِّفَاحِ وَالطِّيبِ وَالسَّمَاحِ، صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّادَةِ الْأَقْحَاحِ، وَمن تَبِعَهُم بِإِحْسَانٍ مَّا غَدَا غَادٍ أَوْ رَاحَ ذُو رَوَاحٍ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاسْتَقِيمُوا إِلَى اللهِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَاسْتَغْفِرُوهُ، وَوَقِّرُوهُ وَاذْكُرُوهُ، وَاحْمَدُوهُ وَاشْكُرُوهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَاجْتَبَاكُمْ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ وَحَبَاكُمْ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢]، وَقَالَ ﷻ: ﴿فَٱذْكُرُواْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

لَا جَرَمَ أَنَّ شُكْرَ اللهِ ﷻ عُنْوَانُ الْفَلَاحِ.

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»**.(١)

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: **«لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ»**.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: أَمَّا فَرْحَتُهُ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ فَبِمَا يَرَاهُ مِنْ جَزَائِهِ وَتَذَكُّرِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ بِتَوْفِيقِهِ لِذَلِكَ، وَأَمَّا عِنْدَ فِطْرِهِ فَسَبَبُهَا تَمَامُ عِبَادَتِهِ».

هَذَا هُوَ سَبَبُ الْفَرَحِ الْمَشْرُوعِ لِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ عِيدِ الْفِطْرِ، وَهُوَ تَمَامُ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾، وَكَذَا فَلْتَكُنْ أَفْرَاحُكَ يَا صَاحِ!.

---

(١) البخاري (رقم: ١٩٠٤، و٧٤٩٢)، ومسلم (رقم: ١١٥١)(١٦٣).

الْزَمُوا تَقْوَى اللهِ ﷻ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّ بِهَا النَّجَاةَ فِي الْحَاضِرِ وَالْمَآلِ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[الزمر: ٦١]، وَقَالَ ﷻ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[مريم: ٧٢].

فَبِتَقْوَى اللهِ ﷻ يُزَاحُ مِنَ الْأَخْطَارِ مَا لَيْسَ بِسِوَاهَا يُزَاحُ.

اجْتَنِبُوا الشِّرْكَ باللهِ ﷻ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ الذَّنبِ، قَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [النساء: ٤٨]، [النساء: ١١٦].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: **«أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»**. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **«ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»**. قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **«ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»**.(١)

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ تَصْدِيقَهَا: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٨].

أَلَا وَإِنَّ مِنَ الشِّرْكِ الْمُخْرِجِ مِنَ الْمِلَّةِ: السِّحْرَ، وَهُوَ مِن جُمْلَةِ الْمُوبِقَاتِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»** قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: **«الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»**.(٢)

فَالسِّحْرُ شِرْكٌ صُرَاحٌ، وَكُفْرٌ بَوَاحٌ.

كُن فِي سَيْرِكَ إِلَى اللهِ ﷻ كَطَائِرٍ رَأْسُهُ الْمَحَبَّةُ وَجَنَاحَاهُ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، فَإِنَّهُ لَا حَيَاةَ لِقَلْبِكَ إِلَّا بِحُبِّ اللهِ، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وَلَا نُهُوضَ لَهُ إِلَّا

(١) البخاري (رقم: ٤٤٧٧، و٤٧٦١، و٦٨٦١)، ومسلم (رقم: ٨٦).
(٢) البخاري (رقم: ٢٧٦٦، و٦٨٥٧)، ومسلم (رقم: ٨٩).

بِرَجَاءِهِ وَالْخَوْفِ مِنْهُ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وَهَلْ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ؟!

أَلَا خَبَرًا لِمُقْتَرِحِ النُّوَاحِ ... أَطِيرُ إِلَيْهِ مَنْشُورَ الْجَنَاحِ

فَأَسْأَلَهُ وَأَلْطُفَهُ عَسَاهُ ... سَيُسْلِي مَا بِقَلْبِي مِن جِرَاحِ

وَيَجْلُو مَا دَجَا مِن لَيْلِ جَهْلِي ... بِنُورِ هُدًى كَمُنسَلَخِ الصَّبَاحِ

اثْبُتْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الْكَرِيمُ عَلَى مَا اعْتَدتَّهُ مِنَ الْخَيْرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، قَالَ ﷻ: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ﴾ [الحجرات: ١١]، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل: ٩٢].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:١١٥٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم:١١٥٩).

فَإِيَّاكَ أَن تَذْهَبَ اسْتِقَامَتُكَ أَدْرَاجَ الرِّيَاحِ!.

حَافِظْ عَلَى أَدَاءِ الصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةٍ، فقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَفِي الْبَابِ سِوَى هَذَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ.

احْرِصْ عَلَى صِيَامِ سِتٍّ مِن شَوَّالٍ، بَعْدَ صِيَامِ رَمَضَانَ؛ فَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١١٦٤).

---

(١) البخاري (رقم: ٦٤٤، و٦٥٧، و٢٤٢٠، و٧٢٢٤)، ومسلم (رقم:٦٥١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَا يَلْزَمُ أَن تَكُونَ مُتَتَابِعَةً، وَلَكِنِ الْأَفْضَلُ الْمُبَادَرَةُ بِصِيَامِهَا عَقِبَ يَوْمِ الْعِيدِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَلْصَقُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ»**؛ وَلِأَنَّهُ مِنَ الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ، الْمَأْمُورِ بِهَا فِي نُصُوصٍ شَرْعِيَّةٍ عِدَّةٍ، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [الحديد: ٢١]، وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا، كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم:١١٨).

وَيَجِبُ التَّنَبُّهُ لِمَسْأَلَةٍ مُهِمَّةٍ، وَهِيَ: أَنَّ صِيَامَ السِّتِّ مِن شَوَّالٍ لَا يُقَدَّمُ عَلَى قَضَاءِ رَمَضَانَ، فَلَوْ قُدِّمَ صَارَ نَفْلًا مُطْلَقًا، لَا يُجْزِئُ عَن قَضَاءِ رَمَضَانَ، وَلَا عَن صِيَامِ السِّتِّ، فَمَن كَانَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ مِّن رَّمَضَانَ فَلْيَبْدَأْ بِهِ.

فَاشْرَحْ بِالْفِقْهِ فِي الدِّينِ صَدْرًا، وَطِبْ نَفْسًا بِهَذَا الِانشِرَاحِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الْكَرِيمُ، كَمَا تَحْرِصُ عَلَى زِينَةِ وَجَمَالِ مَظْهَرِكَ فَاحْرِصْ كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى زِينَةِ وَجَمَالِ مَخْبَرِكَ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِن يَّنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»**. وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٦٤) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ: **«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِن يَّنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»**.

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِخِدْمَتِهِ ... أَتَعْبْتَ نَفْسَكَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانُ

أَقْبِلْ عَلَى الرُّوحِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا ... فَأَنْتَ بِالرُّوحِ لَا بِالْجِسْمِ إِنسَانُ

فَكَمَا أَنَّ لِلْأَجْسَادِ قُوتًا وَّزِينَةً فَإِنَّ لِلْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ قُوتًا وَّزِينَةً، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [الحجرات: ٧].

فَالْإِيمَانُ وَالذِّكْرُ وَالْعِلْمُ النَّافِعُ قُوتُ وَزِينَةُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ.

فَقُـــوتُ الـــرُّوحِ أَرْوَاحُ الْمَعَـــانِي وَلَـــيْسَ بِـــأَن طَعِمْـــتَ وَلَا شَرِبْتَـــا

ثُمَّ إِنَّ لِلتَّجَمُّلِ وَالزِّينَةِ أَحْكَامًا شَرْعِيَّةً دَلَّتْ عَلَيْهَا نُصُوصٌ قَطْعِيَّةٌ، مِنْهَا حُرْمَةُ الْإِسْبَالِ فِي الثِّيَابِ، فَدَعْ عَنكَ الشَّكَّ وَالِارْتِيَابَ؛ فَقَدْ قَالَ سَيِّدُ الْأَبْرَارِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٧٨٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَجَانِبِ الْإِسْبَالَ وَالْخُيَلَاءَ، وَلَازِمِ السَّكِينَةَ وَخَفْضَ الْجَنَاحِ.

أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْمُنكَرَاتِ الشَّائِعَةِ التَّشَبُّهَ بِالْكُفَّارِ فِي اللِّبَاسِ وَقَصَّاتِ الشَّعَرِ، فَنَزِّهْ نَفْسَكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الْكَرِيمُ، وَنَزِّهْ ذَوِيكَ مِنْ أَبْنَائِكَ وَبَنَاتِكَ عَن ذَلِكَ، وَلْتَكُن مُّعْتَزًّا بِدِينِكَ، مُحَافِظًا عَلَى قِيَمِكَ وَشِيَمِكَ، وَقَدْ أَغْنَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْحَرَامِ بِالْوَاجِبِ وَالْمَنْدُوبِ وَالْمُبَاحِ.

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[التحريم: ٦].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**».(١)

فَلِلْآبَاءِ أَعْظَمُ الْأَثَرِ عَلَى الْأَبْنَاءِ فِي الْفَشَلِ وَالنَّجَاحِ وَفِي الْفَسَادِ وَالصَّلَاحِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْغِنَاءَ مِنَ اللَّهْوِ الْمُحَرَّمِ، وَمِنَ الصَّدِّ عَن سَبِيلِ اللهِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [لقمان:٦].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هُوَ - وَاللَّهِ - الْغِنَاءُ».(٢)

---

(١) البخاري (رقم:٧١٣٨، ومواضع)، ومسلم (رقم:١٨٢٩).

(٢) قال الحاكم (رقم: ٣٥٤٢): «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في "تحريم آلات الطرب"(ص:١٤٣): «وهو كما قالا، وصححه ابن القيم».

فَتَجَنَّبُوا الْغِنَاءَ وَسَائِرَ الْمُنْكَرَاتِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْأَعْرَاسِ، وَالَّتِي مِنْهَا التَّصْوِيرُ، وَاخْتِلَاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَتَبَرُّجُهُنَّ، وَكَذَا مُنكَرَاتُ عَقْدِ النِّكَاحِ، وَالَّتِي مِنْهَا الْمُصَافَحَةُ الْبِدْعِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَعَاقِدَيْنِ الْمُصْحُوبَةُ بِوَضْعِ الْغُتْرَةِ عَلَى الْيَدَيْنِ الْمُتَصَافِحَتَيْنِ حَالَ الْعَقْدِ، وَقِرَاءَةُ الْفَاتِحَةِ عَقِيْبَ ذَلِكَ، وَغَيْرُهَا مِن مُّنكَرَاتِ عَقْدِ النِّكَاحِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، أَحْسِنِ الْعَمَلَ، وَلَا تُطِلْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْأَمَلَ، وَاسْعَ لِلْآخِرَةِ سَعْيَهَا وَأَنتَ مُؤْمِنٌ سَعْيَ الرَّمَلِ، وَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَن تَكُونَ مَعَ الْهَمَلِ، فَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَّا الْفَوْتُ، وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا وَالْبَرْزَخِ مِن دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةَ أَوِ النَّارَ، وَإِنَّمَا يَسْتَرِيحُ بِالْمَوْتِ الْمُؤْمِنُ، فَلَيْسَ كُلُّ مَن مَّاتَ اسْتَرَاحَ.

لَـيْسَ مَـن مَّـاتَ فَاسْـتَرَاحَ بِمَيْـتٍ ... إِنَّـمَا الْمَيْـتُ مَيْـتُ الْأَحْيَـاءِ

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْحَارِث بْنِ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: **«مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ»**. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: **«الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ»**.(١)

أَيُّهَا النَّاسُ، مَعَ إِشْرَاقِ هَذَا الصَّبَاحِ وَرِقَّةِ نَسِيمِ هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ الَّذِي يَضُوعُ كَالشَّذَا الْفَيَّاحِ يَرِدُ عَلَى الذِّهْنِ مَا أُثْخِنَتْ بِهِ الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ مِنَ الْجِرَاحِ، بِحَيْثُ صَارَتْ لَا تَقْوَى حَتَّى عَلَى مُجَرَّدِ الْإِنكَارِ وَالصِّيَاحِ!، وَقَدْ أَوْدَى بِجَلَدِهَا وَعَزْمِهَا الْقَدَرُ الْمُتَاحُ، حَالُهَا كَمَا قِيلَ:

قَطَـاةٌ غَرَّهَـا شَرَكٌ فَبَاتَـتْ ... تُجَاذِبُـهُ وَقَـدْ عَلِـقَ الْجَنَـاحُ

لَهَـا فَرْخَـانِ قَـدْ تُرِكَـا بِـوَكْرٍ ... وَعُشُّـهُمَا تُصَـفِّقُهُ الرِّيَـاحُ

(١) البخاري (رقم: ٦٥١٢)، ومسلم (رقم: ٩٥٠).

إِذَا سَـــمِعَا هُبُـــوبَ الـــرِّيْحِ نَصَّـــا وَقَـــدْ أَوْدَى بِهَـــا الْقَـــدَرُ الْمُتَـــاحُ
فَـــلَا فِي اللَّيْـــلِ نَالَـــتْ مَـــا تَمَنَّـــتْ وَلَا فِي الصُّـــبْحِ كَـــانَ لَهَـــا بَـــرَاحُ

وَهَذَا نِتَاجُ الْمُخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْمُحْدَثَاتِ الْبِدْعِيَّةِ وَالآراء الْوَضْعِيَّةِ!.

قَالَ ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

وَفِي لُزُومِ الطَّاعَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مَخْرَجٌ مِّنْ هَذِهِ الْفِتَنِ، وَمَنجَاةٌ مِّن مَّعَرَّةِ الدَّخَنِ وَالْإِحَنِ، وَبِذَلِكَ يُكْبَحُ مِنَ النُّفُوسِ الْجِمَاحُ، وَيَحُلُّ الظَّفَرُ إِذَا كَانَ النِّطَاحُ.

قَالَ ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٢-٥٣].

وَروى أَحْمَدُ (رقم:١٧١٤٢)، وَابْنِ مَاجَه (رقم:٤٣) مِنْ حَدِيْثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»**.

إِنَّ مُقَوِّمَاتِ التَّمْكِينِ فِي مُتَنَاوَلِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ، وَبِحَمْدِ اللهِ لَا تَخْلُو هَذِهِ الْأُمَّةُ فِي زَمَنٍ مِّنْ أَزْمِنَتِهَا، وَلَا فِي جِيلٍ مِّنْ أَجْيَالِهَا مِنَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ وَالطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ: أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالِاتِّبَاعِ، وَقَد تَّوَاتَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ يَخْذُلُهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»**.

وَيَا لَهَا مِن مَّوْعِظَةٍ! لَوْ وَافَقَتْ مِنَ الْقُلُوبِ حَيَاةً!.

قَلِّبْ نَاظِرَيْكَ فِي صَفَحَاتِ التَّأْرِيخِ لِتَرَى الْعَجَبَ الْعُجَابَ، فَكَمْ فِيهِ مِنْ عِبَرٍ وَبَصَائِرَ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

لِكُـــلِّ شَيْءٍ إِذَا مَـــا تَـــمَّ نُقْصَـــانُ فَـــلَا يُغَـــرَّ بِطِيْـــبِ الْعَـــيْشِ إِنسَـــانُ
هِـــيَ الْأُمُـــورُ كَـــمَا شَـــاهَدتُّهَا دُوَلٌ مَـــن سَّرَهُ زَمَـــنٌ سَـــاءَتْهُ أَزْمَـــانُ
وَهَـــذِهِ الـــدَّارُ لَا تُبْقِـــي عَـــلَى أَحَـــدٍ وَلَا يَـــدُومُ عَـــلَى حَـــالٍ لَّهَـــا شَـــانُ

فَمَا صَلَحَ عَلَيْهِ حَالُ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ هُوَ الَّذِي بِهِ صَلَاحُ حَالِ مَن بَعْدَهُمْ، ﴿مَاكَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ [يوسف: ١١١]، فشتَّانَ بَيْنَ الْفَصْلِ وَالْهَزْلِ وَبَيْنَ الْجِدِّ وَالْمِزَاحِ.

لَا تَنسَوُا الدُّعَاءَ عَلَى مَن يُّكَدِّرُ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ أَفْرَاحَهُمْ، وَيُضَاعِفُ عَلَيْهِمْ جِرَاحَهُمْ، فَالدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، وَنِعْمَ السِّلَاحُ.

مضاعفة ثواب الأعمال

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

فِي هَذِهِ الْآيَةِ نَفْيُ الظُّلْمِ عَنِ اللهِ ﷻ، فَإِنَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

وَفِيهَا إِثْبَاتُ كَمَالِ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ لَهُ ﷻ، فَإِنَّهُ يُضَاعِفُ الْحَسَنَاتِ، وَيُعْظِمُ الْأَجْرَ.

وَهَذَا مِن كَرَمِ اللهِ ﷻ وَإِحْسَانِهِ، فَإِنَّهُ يُضَاعِفُ الْحَسَنَةَ إِلَى عَشْرٍ، وَقَدْ يُضَاعِفُهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيْرَةٍ، بِحَسَبِ إِخْلَاصِ الْعَامِلِ وَلُزُومِهِ السُّنَّةَ.

قَالَ ﷻ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٩ - ٩٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [القصص: ٨٤].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: **«إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ ﷻ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:٦٤٩١)، وَمُسْلِمٌ (رقم:١٣١).

فَهَذِهِ الْمُضَاعَفَةُ لِلْحَسَنَاتِ مِن فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، وَكَذَلِكَ تَرْكُ الْعَمَلِ بِسَيِّئَةٍ كَانَ قَدْ هَمَّ بِهَا يَكْتُبُهَا اللهُ عِندَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَكَذَلِكَ مُجَازَاةُ السَّيِّئَةِ بِمِثْلِهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ.

وَالتَّأَمُّلُ فِي هَذَا الْبَابِ يُوقِفُ الْمُؤمِنَ عَلَى مَحَاسِنِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، وَيُرَغِّبُهُ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَيَشْحَذُ هِمَّتَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ، وَيَفْتَحُ بَابَ الرَّجَاءِ عَلَيْهِ.

وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْمُضَاعَفَةُ فِي ثَوَابِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عُمُومًا، كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ الْأَدِلَّةِ.

وَوَرَدَتْ أَيْضًا بِخُصُوصِ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ بِعَيْنِهَا، فَمِنْهَا:

◄ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ أَعْظَمُ حَسَنَةٍ، وَأَوْجَبُ فَرِيضَةٍ، وَأَهَمُّ طَاعَةٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ ﷻ عَمَلًا إِلَّا مِن مُّوَحِّدٍ مُّخْلِصٍ للهِ ﷻ مُتَّبِعٍ لِّرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّ عَمَلَهُ حَابِطٌ، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥ - ٦٦].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَإِنَّ اللهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٨٠٨).

وَفِي رِوَايَةٍ: «**حَتَّى إِذَا أَفْضَى** – أَي: الْكَافِرُ – **إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا**».

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤ – ٢٥].

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: النَّخْلَةُ، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: فِي الْأَرْضِ، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾: مُرْتَفِعَةٌ.

وَكَذَلِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، ويُرْفَعُ بِهَا عَمَلُهُ إِلَى السَّمَاءِ.

وَمِمَّا يُضَاعَفُ بِهِ ثَوَابُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ:

◄ لُزُومُ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بِمُتَابَعَتِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَكُلُّ عَمَلٍ يُخَالِفُ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ غَيْرُ مَقْبُولٍ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٦٩٧)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٧١٨).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**».

وَذُرْوَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَهُمْ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، وَبِصُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ سَبْقُهُمْ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٦٧٣)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٤١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعَدْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَظْهَرُ مِنْ عَدْلِ مُعَاوِيَةَ، وَهُوَ أَزْهَدُ مِنْ مُعَاوِيَةَ، لَكِنَّ الْفَضَائِلَ عِنْدَ اللَّهِ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ الَّذِي فِي الْقُلُوبِ.

ثُمَّ قَالَ: وَلِهَذَا يَقُولُ مَنْ يَقُولُ مِنَ السَّلَفِ: «غُبَارٌ دَخَلَ فِي أَنْفِ مُعَاوِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ».ا.هـ.(١)

وَمِمَّا يُضَاعَفُ ثَوَابُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ:

◄ الصَّلَاةُ، فَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ قَوْلُ اللهِ ﷻ بَعْدَ أَن رَّاجَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْخَمْسِينَ صَلَاةً الَّتِي فَرَضَهَا عَلَى أُمَّتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ يُخَفِّفُهَا حَتَّى عَادَتْ خَمْسًا، قَالَ الْجَبَّارُ ﷻ: **«إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الكِتَابِ، قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الكِتَابِ، وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَهَذِهِ إِحْدَى رِوَايَاتِ الْبُخَارِيِّ (رقم: ٧٥١٧).

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ (رقم: ١٦٢): **«يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»**.

وَفِي فَضْلِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ: إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى، لَمْ تَزَلِ المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَهَذِهِ إِحْدَى رِوَايَاتِ الْبُخَارِيِّ (رقم: ٦٤٧).

وَوَقَعَ فِي : الرِّوَايَةِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا [الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٧٧، و٢١١٩)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٦٤٩)]: **«خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»**.

(١) "منهاج السنة النبوية"(ج٦/صـ: ٢٢٦-٢٢٧).

وَفِي رِوَايَةٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهَا أَيْضًا [الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٤٨)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٦٤٩)(٢٤٥)]: «بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا».

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ أَيْضًا (رقم: ٦٤٩)(٢٤٨): «صَلَاةٌ مَعَ الْإِمَامِ أَفْضَلُ مِنْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ صَلَاةً يُصَلِّيهَا وَحْدَهُ».

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٤٥)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٦٥٠).

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٦٥٦).

وَثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى الغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ».(١)

◄ وَفِي فَضْلِ الصَّدَقَاتِ وَالنَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [الحديد: ١٨].

---

(١) رواه الترمذي (رقم:٥٨٦) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وله شاهد من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، راجع "الصحيحة"(رقم: ٣٤٠٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٤١٠)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٠١٤).

وَفِي رِوَايَةٍ لِّلْبُخَارِيِّ أَيْضًا (رقم: ٧٤٣٠): «**...وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ...**».

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: «**فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ، حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ**».

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ١٨٩٢) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ، كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ**».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَفِي فَضْلِ تَفْطِيرِ الصَّائِمِ: قَول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٧٠٣٣، و٢١٦٧٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٨٠٧)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٧٤٦)، مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(٢)

---

(١) البخاري (رقم: ٥٣٥٣، و٦٠٠٧)، ومسلم (رقم: ٢٩٨٢).

(٢) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

وصححه أيضًا: ابن خزيمة (رقم:٢٠٦٤)، وابن حبان (رقم:٣٤٢٩)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ١٠٧٨).

وراجع: "تحقيق المسند"(ج٢٨/صـ:٢٦١-٢٦٢).

◄ وَفِي فَضْلِ الصَّوْمِ: مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «**يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي**»(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ ﷻ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»(٣).

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصِّيَامَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَأَكْثَرِهَا تَضْعِيفًا.

وَلِمُسْلِمٍ أيضًا (رقم: ١١٦٤) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ؛ لِأَنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَرَمَضَانُ بِعَشَرَةِ أَشْهُرٍ، وَالسِّتَّةُ بِشَهْرَيْنِ.ا.هـ.

وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا يُحْمَلُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**صُمْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَذَلِكَ صَوْمُ الدَّهْرِ**»(٤).

◄ وَفِي فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ: قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٥).

---

(١) البخاري (رقم: ١٩٠٤، و٥٩٢٧)، ومسلم (رقم: ١١٥١).

(٢) البخاري (رقم: ٧٤٩٢)، وهذا لفظه، ومسلم (رقم: ١١٥١)(١٦٤)، ولفظه: «يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي».

(٣) مسلم (رقم: ١١٥١)(١٦٤).

(٤) البخاري (رقم: ١٩٠٤، و٥٩٢٧)، ومسلم (رقم: ١١٥١).

(٥) البخاري (رقم: ١٨٦٣)، ومسلم (رقم: ١٢٥٦).

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلاَ نُجَاهِدُ؟ قَالَ: **«لَا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٥٢٠، و٢٧٨٤).

وَفِي رِوَايَةٍ (رقم: ١٨٦١): قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَغْزُو وَنُجَاهِدُ مَعَكُمْ؟ فَقَالَ: **«لَكِنَّ أَحْسَنَ الجِهَادِ وَأَجْمَلَهُ الحَجُّ، حَجٌّ مَبْرُورٌ»**.

فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «فَلاَ أَدَعُ الحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ».

وَرَوَى أَحْمَدُ (رقم: ٢٥٣٢٢)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٢٩٠١) عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ، لَا قِتَالَ فِيهِ: الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ»**.(١)

◄ وَفِي فَضْلِ الجهاد: قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ (رقم: ١٨٧٨).

◄ وَفِي فَضْلِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ: حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الٓمٓ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»**. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.(٢)

---

(١) وصححه ابن خزيمة (رقم: ٣٠٧٤)، والألباني في "الإرواء" (رقم: ٩٨١).

(٢) "سنن الترمذي" (رقم: ٢٩١٠)، من طريق محمد بن كعب القرظي، قال: سمعت عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: ...، فذكره، وذكر الترمذي أنه يروى من غير وجه عن ابن مسعود، وقال: «رفعه بعضهم، ووقفه بعضهم عن ابن مسعود»، ثم قال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

وصححه أيضًا الحاكم (رقم: ٢٠٤٠، و٢٠٨٠) من طريق أبي الأحوص، عنه. =

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٠١٣، و٦٦٤٣، و٧٣٧٤).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: **«أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟»**، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: **«اللَّهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٠١٥).

وَرَوَى مُسْلِمٌ (رقم:٧٤٧) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فيما بَيْنَ صَلاَةِ الفَجْرِ وصلاة الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»**.

◄ وَفِي فَضْلِ دُعَاءِ دُخُولِ السُّوقِ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ»**. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٤٢٨)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "الصَّحِيحَةِ"(رقم: ٣١٣٩).

وقد جوَّد إسناد الترمذيِّ: الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيحة"(رقم: ٣٣٢٧)، وقال: وَأَقَرَّهُ – يعني الترمذي في تصحيح الحديث – جماعةٌ من الحفاظ، منهم المنذري في "الترغيب"(ج٢/صـ: ٢٠٥)، وابن تيمية في "الفتاوى"(ج١٢/صـ: ١٣، وج٢٣/صـ: ٢٨٢).

وقال: ولست أشكُّ في أصحيَّةِ كثير من الطرق الموقوفة، ولا أرى أي تعارض بين المرفوعات والموقوفات حتى يصار إلى الترجيح؛ لأن الموقوف هنا في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال بمجرد الرأي، كما هو ظاهر، وهذا هو ملحظ الترمذي ومن وافقه حين صححوه، وهم على علم بالطرق الموقوفة دون ريب.ا.هـ.

◄ وَفِي فَضْلِ قَتْلِ الْأَوْزَاغِ: مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٢٤٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ قَتَلَ وَزَغًا فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ كُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَفِي الثَّانِيَةِ دُونَ ذَلِكَ، وَفِي الثَّالِثَةِ دُونَ ذَلِكَ»**.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ التَّوْبَةَ وَالْإِيْمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ عُمُومًا يُضَاعِفُ اللهُ ﷻ الثَّوَابَ لِأَهْلِهَا، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧١].

وَفِي قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾، قَوْلَانِ لِلْمُفَسِّرِيْنَ:

الأول: يُبَدِّلُهُمُ اللهُ بِقَبِيْحِ أَعْمَالِهِمْ فِي الشِّرْكِ مَحَاسِنَ الْأَعْمَالِ فِي الْإِسْلَامِ، فَيُبَدِّلُهُم بِالشِّرْكِ إِيْمَانًا، وَبِقَتْلِ الْمُؤْمِنِيْنَ قَتْلَ الْمُشْرِكِيْنَ، وَبِالزِّنَا عِفَّةً وَّإِحْصَانًا.

الثاني: يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي حَالِ إِسْلَامِهِمْ حَسَنَاتٍ يَّوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَصْلُ الْقَوْلَيْنِ أَنَّ هَذَا التَّبْدِيْلَ هَلْ هُوَ فِي الدُّنْيَا أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَمَن قَالَ: إِنَّهُ فِي الدُّنْيَا قَالَ: هُوَ تَبْدِيْلُ الْأَعْمَالِ الْقَبِيْحَةِ وَالْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ بِأَضْدَادِهَا، وَهِيَ حَسَنَاتٌ، وَهَذَا تَبْدِيْلٌ حَقِيْقَةً.

وَأَمَّا السَّيِّئَةُ فَإِنَّهَا لَا تَنقَلِبُ حَسَنَةً، بَلْ غَايَتُهَا أَن تُمْحَى وَتُكَفَّرَ، وَيَذْهَبُ أَثَرُهَا، فَإِنَّهَا لَمْ تَكُن طَاعَةً، وَإِنَّمَا كَانَتْ بَغِيْضَةً مَّكْرُوهَةً لِّلرَّبِّ، فَكَيْفَ تَنقَلِبُ مَحْبُوبَةً مَّرْضِيَّةً.

وَالَّذِى دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ تَكْفِيْرُ السَّيِّئَاتِ وَمَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾[آل عمران: ١٩٣]، وَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٣٠]، وَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

وَنَظَائِرُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيْرَةٌ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٧٦٨).

وَأَيْضًا فَلَوِ انقَلَبَتِ السَّيِّئَاتُ أَنفُسُهَا حَسَنَاتٍ فِى حَقِّ التَّائِبِ لَكَانَ أَحْسَنَ حَالًا مِّنَ الَّذِى لَمْ يَرْتَكِبْ مِنْهَا شَيْئًا وَأَكْثَرَ حَسَنَاتٍ مِّنْهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ صَاحِبُ السَّيِّئَاتِ أَرْجَحَ مِمَّن لَّا سَيِّئَةَ لَهُ؟

وَأَمَّا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٩٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا»**. فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

فَهُوَ صَرِيْحٌ فِى أَنَّ هَذَا الَّذِى قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُهُ حَسَنَاتٍ قَدْ عُذِّبَ عَلَيْهَا فِى النَّارِ حَتَّى كَانَ آخِرَ أَهْلِهَا خُرُوجًا مِّنْهَا؟ فَهَذَا قَدْ عُوقِبَ عَلَى سَيِّئَاتِهِ فَزَالَ أَثَرُهَا بِالْعُقُوبَةِ، فَبُدِّلَ

مَكَانُ كُلِّ سَيِّئَةٍ مِّنْهَا حَسَنَةً، وَالْكَلَامُ هُنَا إِنَّمَا هُوَ فِي التَّائِبِ مِنَ السَّيِّئَاتِ، لَا فِيْمَن مَّاتَ مُصِرًّا عَلَيْهَا.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَالصَّوَابُ إِن شَاءَ اللهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَن يُّقَالَ: لَا رَيْبَ أَنَّ الذَّنبَ نَفْسَهُ لَا يَنقَلِبُ حَسَنَةً، وَالْحَسَنَةُ إِنَّمَا هِيَ أَمْرٌ وُّجُودِيٌّ يَقْتَضِي ثَوَابًا، وَلِهَذَا كَانَ تَارِكُ الْمَنْهِيَّاتِ إِنَّمَا يُثَابُ عَلَى كَفِّ نَفْسِهِ وَحَبْسِهَا عَن مُّوَاقَعَةِ الْمَنْهِيِّ.

وَأَمَّا مَن لَّمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِ الذَّنبُ أَصْلًا وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، فَهَذَا لَا يُثَابُ عَلَى تَرْكِهِ.

وَالتَّائِبُ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي عَمِلَهَا قَدْ قَرَنَ بِكُلِّ ذَنبٍ مِّنْهَا نَدَمًا عَلَيْهِ، وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنْهُ، وَعَزَمَ عَلَى تَرْكِ مُعَاوَدَتِهِ، وَهَذِهِ حَسَنَاتٌ بِلَا رَيْبٍ، وَقَدْ مَحَتِ التَّوْبَةُ أَثَرَ الذَّنبِ وَخَلَفَهُ هَذَا النَّدَمُ وَالْعَزْمُ، وَهُوَ حَسَنَةٌ، فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِ الْمُفَسِّرِيْنَ: يُجْعَلُ مَكَانَ السَّيِّئَةِ التَّوْبَةُ، وَالْحَسَنَةُ مَعَ التَّوْبَةِ، وَهَذَا مَعْنَى التَّبْدِيْلِ، لَا أَنَّ السَّيِّئَةَ نَفْسَهَا تَنقَلِبُ حَسَنَةً.

وَعَلَى هَذَا فَقَدْ زَالَ بِحَمْدِ اللهِ الْإِشْكَالُ، وَاتَّضَحَ الصَّوَابُ، وَظَهَرَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنَ الطَّائِفَتَيْنِ مَا خَرَجَتْ عَن مُّوجِبِ الْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ.ا.هـ. (١)

هَذَا فَضْلُ اللهِ وَإِحْسَانُهُ وَجُودُهُ، فَأَيْنَ الْمُشَمِّرُونَ وَالْمُسَارِعُونَ، وَأَيْنَ الْمُتَنَافِسُونَ الْمُسَابِقُونَ، ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥].

(١) راجع: "طريق الهجرتين" (صـ: ٢٤٥-٢٥٠).

الدعاء بالبركة

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٥٧٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الْآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ الْمَاءُ، فَقَالَ: «**اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ**». فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «**حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ، وَالبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ**». فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ.

فِي هَذَا الْحَدِيْثِ فَوَائِدُ، مِنْهَا: ذِكْرُ الْبَرَكَةِ، وَالْبَرَكَةُ هِيَ الشَّأْنُ فِي الْأَمْرِ؛ فَإِنَّهَا مَتَى مَا حَلَّتْ فِي الشَّيْءِ الْيَسِيْرِ عَظُمَتْ مَنَافِعُهُ، وَإِذَا نُزِعَتْ مِنَ الشَّيْءِ الْكَثِيْرِ اضْمَحَلَّتْ أَوْ عُدِمَتْ مَنَافِعُهُ.

وَلِالْتِمَاسِ الْبَرَكَةِ مَدَاخِلُ وَأَبْوَابٌ، وَلِتَحْصِيْلِهَا طُرُقٌ وَّأَسْبَابٌ، مِنْ أَعْظَمِهَا: الدُّعَاءُ بِهَا، وَسَنَقِفُ إِن شَاءَ اللهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَعَ جُمْلَةٍ مِّنَ الْأَدِلَّةِ تَضَمَّنَتِ الدُّعَاءَ بِالْبَرَكَةِ.

«فَالبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ»، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَا شَكَّ فِي ذَلِكَ، فَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِهِ، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ عِبَادَهُ بِدُعَاءِهِ وَوَعَدَهُم بِالْإِجَابَةِ إِنِ اسْتَوْفَى الدُّعَاءُ شُرُوطَ الْإِجَابَةِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ إِلَّا النَّسَائِيَّ.(١)

وَالدُّعَاءُ بِالْبَرَكَةِ دُعَاءٌ ذُو شَأْنٍ، وَقَدْ دَعَا بِهِ أَنْبِيَاءُ اللهِ وَرُسُلُهُ.

فَقَدْ دَعَا إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ، فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (رقم: ٣٣٦٤) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قِصَّةِ بِنَاءِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ: وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ. فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ،

(١) أخرجه أحمد (رقم: ١٨٣٥٢، و١٨٣٨٦، و١٨٣٩١، و١٨٤٣٢، و ١٨٤٣٦)، وأبو داود (رقم: ١٤٧٩)، والترمذي (رقم: ٢٩٦٩، و٣٢٤٧، و٣٣٧٢)، وابن ماجة (رقم: ٣٨٢٨)، وصححه ابن حبان (رقم: ٨٩٠)، والحاكم (رقم: ١٨٠٢)، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ١٣٢٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١١٥٩).

جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ. قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ، فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ اللَّحْمُ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ المَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ»**. قَالَ: فَهُمَا لاَ يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ.

وَقَوْلُهُ: «فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ»، يَعْنِي: أَنَّ مَن دَاوَمَ عَلَى أَكْلِ اللَّحْمِ وَالْمَاءِ فِي غَيْرِ مَكَّةَ، وَلَمْ يَأْكُلْ مَعَهُمَا شَيْئًا سِوَاهُمَا إِلَّا ضَرَّهُ ذَلِكَ، وَذَكَرَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ أَنَّ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: «لَيْسَ أَحَدٌ يَخْلُو عَلَى اللَّحْمِ وَالْمَاءِ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا اشْتَكَى بَطْنَهُ».

فَأَمَّا فِي مَكَّةَ فَإِنَّ الْمُدَاوَمَةَ عَلَى أَكْلِهَا لَا يَضُرُّ، وَهَذَا مِن بَرَكَةِ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَفِي رِوَايَةٍ (رقم: ٣٣٦٤): فَقَالَتْ: أَلَا تَنْزِلُ، فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبَ، فَقَالَ: وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: طَعَامُنَا اللَّحْمُ وَشَرَابُنَا المَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ. قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«بَرَكَةٌ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»**.

وَكَمَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ، فَقَد دَّعَا خَيْرُ الرُّسُلِ وَخَاتِمُ النَّبِيِّيْنَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِلْمَدِيْنَةِ وَأَهْلِهَا بِأَعْظَمَ مِمَّا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَإِن كَانَتْ مَكَّةُ أَفْضَلَ مِنَ الْمَدِيْنَةِ، لَكِنِ الدَّاعِي لِلْمَدِيْنَةِ أَفْضَلُ وَأَكْرَمُ.

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم: ١٨٨٥) عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ أَخْدُمُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا وَبَدَا لَهُ أُحُدٌ، قَالَ: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى المَدِينَةِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا، كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا».

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لِأَهْلِهَا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا بِمِثْلَيْ مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢١٢٩)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٣٦٠).

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا (رقم: ٢١٢٩)، بِلَفْظِ: «مِثْلَ مَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَكَّةَ».

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ١٣٧٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ». قَالَ: ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ لَهُ، فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ.

وَلَهُ أَيْضًا (رقم: ١٣٧٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا، أَنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا

---

(١) البخاري (رقم: ١٨٨٥)، ومسلم (رقم: ١٣٦٩).

فِي مُدِّنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنَ الْمَدِينَةِ شِعْبٌ، وَلَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهَا حَتَّى تَقْدَمُوا إِلَيْهَا».

وَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِلشَّامِ وَالْيَمَنِ بِالْبَرَكَةِ، فَرَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٠٣٧، و٧٠٩٤) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا»**. قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا»**. قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: **«هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»**.

وَبِبَرَكَةِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ نَلْمَسُ الْبَرَكَةَ الدِّينِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ فِي الْبِلَادِ الْيَمَانِيَّةِ وَاقِعًا مُعَاشًا، وللهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَعَنْ أَنَسٍ، عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَسٌ خَادِمُكَ، ادْعُ اللَّهَ لَهُ، قَالَ: **«اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: (بَابُ الدُّعَاءِ بِكَثْرَةِ المَالِ مَعَ البَرَكَةِ).

وَبَوَّبَ عَلَيه فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِقَوْلِهِ: (بَابُ الدُّعَاءِ بِكَثْرَةِ الْوَلَدِ مَعَ الْبَرَكَةِ).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ أَيْضًا (رقم: ١٩٨٢) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي خُوَيْصَّةً، قَالَ: **«مَا هِيَ؟»**، قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ، فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلاَ دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ، قَالَ: **«اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ»**، فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مَالًا، وَحَدَّثَتْنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ: أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجٍ البَصْرَةَ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ!.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقُبِضَ الصَّبِيُّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: هُوَ أَسْكَنُ مِمَّا

---

(١) البخاري (رقم: ٦٣٣٤، و٦٣٧٨، و٦٣٨٠)، ومسلم (رقم: ٢٤٨٠).

كَانَ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعَشَاءَ فَتَعَشَّى، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: **«أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟»**. قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **«اللهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا»**. فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَبَعَثَتْ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«أَمَعَهُ شَيْءٌ؟»** قَالُوا: نَعَمْ، تَمَرَاتٌ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَمَضَغَهَا، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ، فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ، ثُمَّ حَنَّكَهُ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٤٧٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢١٤٤).

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ (رقم: ١٣٠١): فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا»**.

قَالَ سُفْيَانُ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلاَدٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ القُرْآنَ.

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢٠٤٢) وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي، فَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ طَعَامًا وَوَطْبَةً، فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ أُتِيَ بِتَمْرٍ، فَكَانَ يَأْكُلُهُ وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، وَيَجْمَعُ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى، ثُمَّ أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ، فَقَالَ أَبِي – وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ –: ادْعُ اللهَ لَنَا، فَقَالَ: **«اللهُمَّ، بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»**.

ذَكَرَ النَّوَوِيُّ مِن فَوَائِدِ هَذَا الْحَدِيْثِ: الدُّعَاءَ بِالضَّيْفِ بِتَوْسِعَةِ الرِّزْقِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، قَالَ: وَقَدْ جَمَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الدُّعَاءِ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَبَوَّبَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِ "الْأَذْكَارِ"(ص: ٢٣٧) بِقَوْلِهِ: (بَابُ دُعَاءِ الْمَدْعُوِّ وَالضَّيْفِ لِأَهْلِ الطَّعَامِ إِذَا فَرَغَ مِنْ أَكْلِهِ).

وَقَد دَّعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ بِالْبَرَكَةِ فِي الْبُكُور، فعَن صَخْرِ بْنِ وَدَاعَةَ الْغَامِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»**. وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ تَاجِرًا،

فَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَأَثْرَى، وَكَثُرَ مَالُهُ. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ إِلَّا النَّسَائِيَّ.(١)

فَلَا تُفَوِّتْ عَلَى نَفْسِكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ هَذِهِ الْبَرَكَةَ، وَأَدِّ صَلَاةَ الْفَجْرِ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ ائْتِ بِأَذْكَارِ الصَّبَاحِ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ عَوْنًا لَّكَ مِنَ اللهِ وَبَرَكَةً؛ فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ. فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»**.(٢)

وَمَن نَّامَ عَن صَلَاةِ الصُّبْحِ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: **«ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ»**، أَوْ قَالَ: **«فِي أُذُنِهِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٣)

وَثَبَتَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **«مَن صَلَّى الغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ»**.(٤)

---

(١) رواه أحمد (رقم:١٥٤٤٣، و١٥٥٥٧، و١٥٥٥٨، و١٩٤٣٠، و١٩٤٨٠، و١٩٤٨١)، وأبو داود (رقم:٢٦٠٦)، والترمذي (رقم: ١٢١٢)، وابن ماجه (رقم:٢٢٣٦).

قال الترمذي: «وفي الباب عن علي، وابن مسعود، وبريدة، وأنس، وابن عمر، وابن عباس، وجابر، وحديث صخر الغامدي حديث حسن».

وصححه أيضًا: ابن حبان (رقم: ٤٧٥٤، و٤٧٥٥)، وقوَّاه ابن عبد البر والمنذري والحافظ ابن حجر، والسخاوي، وكذا صححه الألباني في "صحيح أبي داود"(رقم:٢٣٤٥).

(٢) البخاري (رقم: ١١٤٢، و٣٢٦٩)، ومسلم (رقم: ٧٧٦).

(٣) البخاري (رقم: ١١٤٤، و٣٢٧٠)، ومسلم (رقم: ٧٧٤).

(٤) رواه الترمذي (رقم:٥٨٦) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله شاهد من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، راجع "الصحيحة"(رقم:٣٤٠٣).

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٦٥٧) عَن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»**.

وَقَوْلُهُ: **«فِي ذِمَّةِ اللهِ»**، أَيْ: فِي أَمَانِهِ أَوْ ضَمَانِهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي "الْوَابِلِ الصَّيِّبِ"(صـ:٤٢): وَحَضَرْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ مَرَّةً صَلَى الْفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى إِلَى قَرِيبٍ مِنِ انتِصَافِ النَّهَارِ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ، وَقَالَ: هَذِهِ غُدْوَتِي، وَلَوْ لَمْ أَتَغَدَّ الْغَدَاءَ سَقَطَتْ قُوَّتِي. أَوْ كَلَامًا قَرِيبًا مِنْ هَذَا.ا.هـ.

وَيُسْتَحَبُّ الدُّعَاءُ لِلزَّوْجِ بَعْدَ عَقْدِ النِّكَاحِ أَوْ إِذَا تَزَوَّجَ بِالْبَرَكَةِ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَأَى عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَثَرَ صُفْرَةٍ، فَقَالَ: **«مَا هَذَا؟»**. قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: **«فَبَارَكَ اللهُ لَكَ، أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَّأَ الْإِنْسَانَ إِذَا تَزَوَّجَ، قَالَ: **«بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ إِلَّا النَّسَائِيَّ.(٢)

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ "الْأَذْكَارِ"(صـ: ٢٨٣): وَيُسْتَحَبُّ أَن يُّقَالَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنَ الزَّوْجَيْنِ: بَارَكَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنكُمَا فِي صَاحِبِهِ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ.ا.هـ.

---

(١) البخاري (رقم:٢٠٤٨)، ومسلم (رقم:١٤٢٧).

(٢) رواه أحمد (رقم: ٨٩٥٦، و٨٩٥٧)، وأبو داود (رقم: ٢١٣٠)، والترمذي (رقم: ١٠٩١)، وابن ماجه (رقم: ١٩٠٥)، وصححه الترمذي، وابن حبان (رقم: ٤٠٥٢)، الحاكم (رقم: ٢٧٤٥)، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ١٨٥٠)، وحسنه الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٢٧٩).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَكَمَا أَنَّهُ قَد تَنَوَّعَ دُعَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْبَرَكَةِ فِي أَحْوَالٍ عِدَّةٍ، مَعَ تَنَوُّعِ الْمَدْعُوِّ لَهُ بِهَا، فَقَدْ أَرْشَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ إِلَى الدُّعَاءِ بِهَا، وَمِن ذَلِكَ:

◄ أَمَرَ بِالدُّعَاءِ بِالْبَرَكَةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ، فَعَنْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلاَ أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلاَةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى [إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى] آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى [إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى] آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٣٧٠، و٦٣٥٧)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٤٠٦).

وَالْجُمْهُورُ عَلَى اسْتِحْبَابِ هَذَا الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ، وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى وُجُوبِهِ، وَآخَرُونَ إِلَى رُكْنِيَّتِهِ، فَإِنْ تَرَكَهُ لَمْ تَصِحَّ صَلَاتُهُ، قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ، عِندَ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]: قَدْ رُوِينَا وُجُوبَ ذَلِكَ وَالْأَمْرَ بِالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ، كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ، وَمُفَسَّرٌ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ: ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمِنَ التَّابِعِينَ: الشَّعْبِيُّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ، وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ. وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ، لَا خِلَافَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ وَلَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ أَيْضًا، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَخِيرًا، فِيمَا حَكَاهُ عَنْهُ أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيِّ، بِهِ. وَبِهِ قَالَ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهْوَيْهِ، وَالْفَقِيهُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفُ

بِابْنِ الْمَوَّازِ الْمَالِكِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَ أَئِمَّةِ الْحَنَابِلَةِ أَوْجَبَ أَنْ يُقَالَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ: (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَمَا عَلَّمَهُمْ أَنْ يَقُولُوا لَمَّا سَأَلُوهُ، وَحَتَّى إِنَّ بَعْضَ أَصْحَابِنَا أَوْجَبَ الصَّلَاةَ عَلَى الْآلِ، وَلِلْقَوْلِ بِوُجُوبِهِ ظَوَاهِرُ الْحَدِيثِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.ا.هـ.

◄ وَأَرْشَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ أَيْضًا إِلَى الدُّعَاءِ بِالْبَرَكَةِ عَلَى الطَّعَامِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِلَبَنٍ، فَشَرِبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَإِذَا سُقِيَ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا اللَّبَنُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٩٧٨، و٢٥٦٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣٤٥٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٤٥٥)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٣٢٢).(١)

◄ وَأَرْشَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ أَيْضًا إِلَى الدُّعَاءِ بِالْبَرَكَةِ فِي الِاسْتِخَارَةِ، فعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: **«إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي** - أَوْ قَالَ: **عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي** - أَوْ قَالَ: **فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي»**. قَالَ: **«وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١١٦٢، و٦٣٨٢، و٧٣٩٠).

---

(١) وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف؛ لسوء حفظه، لكن له طريق أخرى إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ ولهذا حسنه الترمذي، وكذا الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٢٣٢٠).

قَالَ النَّوَوِيُّ فِيْ "الْأَذْكَارِ"(صـ:١١٩): الِاسْتِخَارَةُ مُسْتَحَبَّةٌ فِيْ جَمِيْعِ الْأُمُوْرِ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ نَصُّ هَذَا الْحَدِيْثِ الصَّحِيْحِ، وَإِذَا اسْتَخَارَ مَضَى بَعْدَهَا لِمَا يَنشَرِحُ لَهُ صَدْرُهُ.ا.هـ.

◄ وَأَرْشَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا إِلَى الدُّعَاءِ بِالْبَرَكَةِ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ، فَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ: **«اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ.(١)

◄ وَأَرْشَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا إِلَى الدُّعَاءِ بِالْبَرَكَةِ عِندَ رُؤْيَةِ مَا يُعْجِبُ؛ دَفْعًا لِلْعَيْنِ، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ: مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ، وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهُ: أَدْرِكْ سَهْلًا صَرِيعًا، قَالَ **«مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ»**. قَالُوا عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ. قَالَ: **«عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟! إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٥٩٨٠)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٥٠٩).(٢)

---

(١) "المسند"(رقم: ١١٧٨)، و"سنن أبي داود"(رقم: ١٤٢٥)، و"سنن الترمذي"(رقم: ٤٦٤)، و"سنن النسائي"(رقم: ١٧٤٥، و١٧٤٦)، و"سنن ابن ماجه"(رقم: ١١٧٨).
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَلَا نَعْرِفُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي القُنُوتِ فِي الوِتْرِ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا». وصححه الإمامان: الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الإرواء"(رقم: ٤٢٩)، وفي "صحيح أبي داود"(رقم: ١٢٨١)، والوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٣٠٨)، وكذا شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله.

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ٦١٠٥، و٦١٠٦)، والحاكم (رقم: ٥٧٤١، و٥٧٤٢)، ووافقه الذهبي!، وذكره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيحة"(رقم: ٢٥٧٢).

العورات، مواعظ وأحكام [١]

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

رَوَى أَحْمَدُ (رقم: ٤٧٨٥) وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٣٣٨)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٨٧١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِن رَّوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِن بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَن يَّمِينِي وَعَن شِمَالِي، وَمِن فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِن تَحْتِي»**.(١)

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٩٦١)، والحاكم (رقم: ١٩٠٢)، والضياء في "المختارة"(ج١٣/ص: ١٤٨)(رقم:٢٣٨) والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٦٥٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٧٦٥).

تَضَمَّنَ هَذَا الْحَدِيْثُ أَيْضًا ذِكْرًا مِّنْ أَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، فَيُسْتَحَبُّ لِلْمُسْلِمِ حِفْظُ هَذَا الذِّكْرِ، وَالْمُوَاظَبَةُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَّمَسَاءٍ؛ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وَتَضَمَّنَ هَذَا الْحَدِيْثُ أَيْضًا دُعَاءً جَامِعًا مِّنْ أَدْعِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ **«كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ»**. كَمَا عِندَ أَبِي دَاوُدَ (رقم: ١٤٨٢) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فَقَد تَّضَمَّنَ سُؤَالَ اللهِ ﷻ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: الْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَفِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ، وَسَتْرَ الْعَوْرَاتِ وَأَمَانَ الرَّوْعَاتِ، وَالْحِفْظَ كُلَّهُ.

وَحَسْبِي فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ أَقِفَ مَعَ فَقْرَةٍ مِّن فَقَرَاتِ هَذَا الدُّعَاءِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: **«اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي»**.

فَفِيهِ سُؤَالُ اللهِ ﷻ سَتْرَ الْعَوْرَاتِ.

وَفِيهِ أَيْضًا: إِثْبَاتُ صِفَةِ السِّتْرِ للهِ ﷻ، أَيْ: أَنَّهُ يَسْتُرُ مَن شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَمَشِيْئَتُهُ تَابِعَةٌ لِّحِكْمَتِهِ، وَمِنْ أَسْمَاءِهِ الْحُسْنَى: السَّتِيرُ، فَعَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَيِيٌّ سَتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ»**.

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٠١٢)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٤٠٦).[(١)]

وَ(سَتِيرٌ)، بِفَتْحِ السِّينِ وَتَخْفِيفِ التَّاءِ: عَلَى وَزْنِ فَعِيل، مِثْلُ: (رَحِيمٌ).[(٢)]

وَالْمَشْهُورُ ضَبْطُهُ بِالْكَسْرِ وَالتَّشْدِيدِ: (سِتِّيرٌ).[(٣)]

---

(١) وصححه الألباني في "الإرواء"(رقم: ٢٣٣٥).

(٢) "النهاية"(ستر)، و"نيل الأوطار"(ج١/صـ: ٣١٦)، و"مرعاة المفاتيح"(ج٢/صـ: ١٤٤).

(٣) راجع: "فيض القدير"(ج٢/صـ: ٢٢٨)، و"عون المعبود"(ج١١/صـ: ٣٤).

وَأَمَّا السَّتَّارُ فَلَمْ يَرِد دَّلِيلٌ عَلَى ثُبُوتِهِ اسْمًا لله ﷻ، وَإِن كَانَ شَائِعًا بَيْنَ كَثِيرٍ مِّنَ النَّاسِ.

فَاسْأَلِ اللهَ ﷻ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ سَتْرَ عَوْرَاتِكَ، وَمَا أَحْوَجَكَ إِلَى ذَلِكَ، وَالْعَوْرَاتُ: جَمْعُ عَورَةٍ، وَهِيَ: كُلُّ مَا يُسْتَحْيَى مِنْ إِظْهَارِهِ، وَيَسُوءُ صَاحِبَهُ أَن يُّرَى مِنْهُ، وَسَتْرُهَا عَامٌّ لِّعَوْرَةِ الْبَدَنِ وَالدِّينِ وَالْأَهْلِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.(١)

وَيُمْكِنُ تَقْسِيمُ الْعَوْرَةِ إِلَى قِسْمَيْنِ: حِسِّيَّةٍ، وَمَعْنَوِيَّةٍ.

فَأَمَّا الْعَوْرَةُ الْحِسِّيَّةُ فَتَنقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: عَوْرَةِ النَّظَرِ، وَعَوْرَةِ الصَّلَاةِ.(٢)

وَكِلَا هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ يَنقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَعَوْرَةِ الْمَرْأَةِ.

فَأَمَّا عَوْرَةُ النَّظَرِ فِي الرَّجُلِ فَهِيَ مَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ، عَلَى الْمَشْهُورِ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ، وَتَنقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: مُغَلَّظَةٍ، وَهِيَ: الْقُبُلُ وَالدُّبُرُ، وَمُخَفَّفَةٍ: وَهِيَ: الْفَخِذَانِ.

رَوَى أَحْمَدُ (رقم: ٦٧٥٦) مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَن جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«وَإِذَا أَنْكَحَ أَحَدُكُمْ عَبْدَهُ أَوْ أَجِيرَهُ، فَلَا يَنْظُرَنَّ إِلَى شَيْءٍ مِنْ عَوْرَتِهِ، فَإِنَّ مَا أَسْفَلَ مِنْ سُرَّتِهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ مِنْ عَوْرَتِهِ»**.(٣)

ورَوَى أَحْمَدُ (رقم: ١٥٩٢٦، و١٥٩٢٧، و١٥٩٢٩، و١٥٩٣٠، و١٥٩٣١، و١٥٩٣٢، و١٥٩٣٣) أَيْضًا، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٠١٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٧٩٥، و٢٧٩٧، و٢٧٩٨) مِنْ حَدِيثِ جَرْهَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«الفَخِذُ عَوْرَةٌ»**.(٤)

---

(١) "النهاية في غريب الأثر"(مادة: عور)، و"شرح سنن ابن ماجه"(ج١/صـ: ٢٧٦)، و"مرعاة المفاتيح"(ج٨/صـ: ١٣٩)، و"سبل السلام"(ج٢/صـ: ٧١١).

(٢) "إعلام الموقعين"(ج٢/صـ: ٤٧).

(٣) وصححه الألباني في "الإرواء"(رقم: ٢٣٣٥).

(٣) "إعلام الموقعين"(ج٢/صـ: ٤٧).

(٤) وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (رقم: ١٧١٠)، والحاكم (رقم: ٧٣٦٠)، ووافقه الذهبي. =

وَالسُّرَّةُ وَالرُّكْبَةُ حَدَّانِ لِلْعَوْرَةِ، لَا يَدْخُلَانِ فِيهَا عَلَى الْقَوْلِ الصَّحِيحِ؛ لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ، و٧٤٦٢، و١٠٣٩٨) عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلَقِيَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَرِنِي أُقَبِّلْ مِنْكَ حَيْثُ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ، قَالَ: فَقَالَ: بِقَمِيصِهِ، قَالَ: فَقَبَّلَ سُرَّتَهُ.(١)

زَادَ ابْنُ حِبَّانَ (رقم: ٥٥٩٣، و٦٩٦٥) قَوْلَ بَعْضِ الرُّوَاةِ: وَلَوْ كَانَتْ مِنَ الْعَوْرَةِ مَا كَشَفَهَا.

وَأَيْضًا لَمَا قَبَّلَهَا أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَا مَكَّنَهُ الْحَسَنُ مِنْهَا.(٢)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ حَمْزَةَ نَظَرَ - وَهُوَ ثَمِلٌ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتِهِ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَى سُرَّتِهِ.الْحَدِيث.(٣)

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ السُّرَّةَ وَالرُّكْبَةَ لَيْسَا بِعَوْرَةٍ، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَلَوْ كَانَتْ السُّرَّةُ عَوْرَةً لَمَا أَطْلَقَ اللَّهُ حَمْزَةَ وَلَا غَيْرَهُ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهَا.ا.هـ.(٤)

وَذَهَبَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ وَدَاوُدُ، وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى أَنَّ عَوْرَةَ الرَّجُلِ: الْفَرْجَانِ فَقَطْ، أَيِ: الْقُبُلُ وَالدُّبُرُ، وَفِي هَذَا الْقَوْلِ نَظَرٌ.(٥)

وللحديث شواهد، عن علي، وابن عباس، ومحمد بن عبد الله بن جحش، صححه بها الألباني في "الإرواء"(رقم: ٢٦٩).

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٥٥٩٣، و٦٩٦٥)، والحاكم (رقم: ٤٧٨٥)، وقال: «على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في "الثمر المستطاب"(ص: ٢٨١)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٣٨١).

(٢) "التمهيد"(ج٦/ص: ٣٨١)، والاستذكار"(ج٢/ص: ١٩٨).

(٣) البخاري (رقم: ٣٠٩١)، ومسلم (رقم: ١٩٧٩).

(٤)"المحلى"(ج٢/ص: ٢٤٦)، وراجع: "الثمر المستطاب"(ص: ٢٧٤).

(٥) "المغني"(ج١/ص:٤١٣)، و"المجموع شرح المذهب"(ج٣/ص: ١٦٩).

وَاسْتَدَلَّ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ بِحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: غَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ، فَرَكِبَ، فَأَجْرَى فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ حَسَرَ الإِزَارَ عَنْ فَخِذِهِ، حَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ فَخِذِ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٧١)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٣٦٥).

وَأُجِيبَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ بِأَنَّهُ قَضِيَّةُ عَيْنٍ لَا عُمُومَ لَهَا، وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ مَا قَالَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي "تَهْذِيبِ السُّنَنِ"(ج٦/ص: ١٧) – وَاسْتَقْرَبَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الإرواء"(ج١/ص: ٣٠١)-: وَطَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِّنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ: أَنَّ الْعَوْرَةَ عَوْرَتَانِ: مُخَفَّفَةٌ، وَمُغَلَّظَةٌ، فَالْمُغَلَّظَةُ السَّوْأَتَانِ، وَالْمُخَفَّفَةُ الْفَخْذَانِ، وَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ الْأَمْرِ بِغَضِّ الْبَصَرِ عَنْ الْفَخِذَيْنِ؛ لِكَوْنِهِمَا عَوْرَةً وَبَيْنَ كَشْفِهِمَا؛ لِكَوْنِهِمَا عَوْرَةً مُّخَفَّفَةً، واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.ا.هـ.

وَقَرِيبٌ مِّنْ هَذَا الْجَمْعِ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ (كِتَابِ الصَّلَاةِ/ بَاب مَا يُذْكَرُ فِي الْفَخِذِ): «وَحَدِيثُ أَنَسٍ أَسْنَدُ، وَحَدِيثُ جَرْهَدٍ أَحْوَطُ؛ حَتَّى يُخْرَجَ مِنَ اخْتِلاَفِهِمْ».

وَأَمَّا عَوْرَةُ النَّظَرِ فِي الْمَرْأَةِ فَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ: عَوْرَتِهَا مَعَ الرَّجُلِ الْأَجْنَبِيِّ، وَعَوْرَتِهَا مَعَ الْمَرْأَةِ وَمَعَ مَحَارِمِهَا مِنَ الرِّجَالِ.

فَأَمَّا عَوْرَتِهَا مَعَ الرَّجُلِ الْأَجْنَبِيِّ فَجَمِيعُ بَدَنِهَا، مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ؛ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[الأحزاب: ٥٣].

وَهَذِهِ الْآيَةُ تُسَمَّى: (آيَةَ الْحِجَابِ).

وَإِذَا كَانَ هَذَا الْخِطَابُ لِنِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ اللَّاتِي هُنَّ أَطْهَرُ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَبَرُّهُنَّ، وَأَعَفُّهُنَّ، فَمَن دُونَهُنَّ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ مِن بَابِ أَوْلَى.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُخْرِجَهُنَّ فِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، الْعَوَاتِقَ، وَالْحُيَّضَ، وَذَوَاتِ الْخُدُورِ، فَأَمَّا الْحُيَّضُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلَاةَ، وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ، وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِحْدَانَا لَا يَكُونُ لَهَا جِلْبَابٌ؟ قَالَ: «لِتُلْبِسْهَا أُخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا».(١)

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "المحلى"(ج٢/صـ: ٢٤٨): وَالْجِلْبَابُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الَّتِي خَاطَبَنَا بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ مَا غَطَّى جَمِيعَ الْجِسْمِ، لَا بَعْضَهُ.ا.هـ.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾ [النور: ٣١].

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ﴾، أَيْ: كَالْجِلْبَابِ، وَالْخِمَارِ وَنَحْوِهِمَا.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾ [النور: ٣١]، أَخَذْنَ أُزُرَهُنَّ، فَشَقَّقْنَهَا مِنْ قِبَلِ الحَوَاشِي، فَاخْتَمَرْنَ بِهَا».

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ﴾، أَيْ: لَا تَضْرِبُ الْمَرْأَةُ بِرِجْلِهَا إِذَا مَشَتْ؛ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَ خَلْخَالِهَا الرَّجُلُ، فَيَعْلَمَ أَنَّهَا ذَاتُ خَلْخَالٍ.

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الْمُحَلَّى"(ج٢/صـ: ٢٤٧): قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ﴾ [النور: ٣١] نَصٌّ عَلَى أَنَّ الرِّجْلَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ مِمَّا يُخْفَى، وَلَا يَحِلُّ إبْدَاؤُهُ.ا.هـ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (برقم: ٤١١٧)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَالنَّسَائِيُّ (برقم: ٥٣٣٨)، وَأَبُو يَعْلَى (برقم: ٦٨٩١) مِن طَرِيقِ صَفِيَّةَ بِنْتِ أَبِي عُبَيْدٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ ذَكَرَ الْإِزَارَ: فَالْمَرْأَةُ يَا

(١) البخاري (برقم: ٣٢٤، و٣٥١، و٩٧٤، و٩٨٠، و٩٨١، و١٦٥٢)، ومسلم (برقم: ٨٩٠).

رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**تُرْخِي شِبْرًا**»، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: إِذًا يَنْكَشِفَ عَنْهَا، قَالَ: «**فَذِرَاعًا، لَا تَزِيدُ عَلَيْهِ**».(١)

وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ: إِذًا تَبْدُوَ أَقْدَامُهُنَّ.

وَرَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٤٧٧٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ١٧٣١) مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: «**يُرْخِينَ شِبْرًا**»، فَقَالَتْ: إِذًا تَنْكَشِفَ أَقْدَامُهُنَّ، قَالَ: «**فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا، لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ**».

قَالَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الصَّحِيحَةِ"(رقم: ٤٦٠): وَفِي الْحَدِيْثِ دَلِيْلٌ عَلَى أَنَّ قَدَمَيِ الْمَرْأَةِ عَوْرَةٌ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ أَمْرًا مَعْرُوفًا عِندَ النِّسَاءِ فِي عَهْدِ النُّبُوَّةِ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**جُرِّيْهِ شِبْرًا**»، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: «إِذَنْ تَنكَشِفَ الْقَدَمَانِ»، مِمَّا يُشْعِرُ بِأَنَّهَا كَانَت تَعْلَمُ أَنَّ الْقَدَمَيْنِ عَوْرَةٌ لَا يَجُوزُ كَشْفُهُمَا؛ وَلِذَلِكَ أَمَرَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَن تَجُرَّهُ ذِرَاعًا، وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ إِشَارَةٌ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيْقَةِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١].ا.هـ.

وَعِندَ التِّرْمِذِيِّ (رقم: ١١٧٣) وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**المَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**».(٢)

وَهَذَا الْحَدِيْثُ غَايَةٌ فِي الْبَيَانِ وَالتَّصْرِيْحِ بِوُجُوبِ حَجْبِ بَدَنِ الْمَرْأَةِ كَامِلًا وَجْهِهَا وَشَعْرِهَا وَكَفَّيْهَا وَقَدَمَيْهَا وَسَائِرِ بَدَنِهَا؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْتَثْنِ مِنْهَا شَيْئًا، قَالَ ابْنُ الْأَثِيْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "النِّهَايَةِ": «جعلَها نَفْسَها عَوْرَة؛ لِأَنَّهَا إِذَا ظهرت يُسْتَحْيا مِنْهَا، كَمَا يُسْتَحْيا مِنَ العَوْرَة إِذَا ظَهرت».

(١) وصححه ابن خزيمة (رقم: ١٦٨٥، و١٦٨٦)، وابن حبان (رقم: ٥٥٩٨، و٥٥٩٩)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٢٦٨٨).

(٢) وصححه الألباني في "الإرواء"(رقم: ٢٧٣)، وكذا الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٨٦٣) على شرط مسلم.

وَمَعْنَى: «**اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**»، أَيْ: زَيَّنَهَا فِي نَظَرِ الرِّجَالِ، وَقِيلَ: نَظَرَ إِلَيْهَا؛ لِيُغْوِيَهَا وَيُغْوِيَ بِهَا.

وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ (رقم: ٢٠٦١) حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا، وَزَادَ فِيهِ: «**وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا**».(١)

فَالمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ذَكَرَ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ(ج١٤/صـ:٣٩١) فِي تَرْجَمَةِ حُضَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ الرَّقَاشِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُؤْثِرُ عَنْهُ أَنَّ خَتْنَهُ عَلَى ابْنَتِهِ أَوْ أُخْتِهِ كَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ تَنَحَّى لَهُ حُضَيْنٌ عَن مَّجْلِسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَرْحَبًا بِمَن كَفَانَا الْمُؤْنَةَ وَسَتَرَ الْعَوْرَةَ».

وَهَذَا أَثَرٌ جَمِيلٌ، فَالصِّهْرُ أَوِ الْخَتْنُ يَكْفِي مُؤْنَةَ الْأُخْتِ أَوِ الْبِنتِ وَنَحْوِهِمَا، وَيَسْتُرُ الْعَوْرَةَ، فَمَا سُتِرَتْ عَوْرَةُ الْمَرْأَةِ بِمِثْلِ تَزْوِيجِهَا مِن رَّجُلٍ صَالِحٍ.

وَقَدْ رُوِيَ نَحْوُ هَذَا الْأَثَرِ حَدِيثًا مَّرْفُوعًا، لَكِنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ، فَأَخْرَجَ ابْنُ عَدِيٍّ فِي "الْكَامِلِ"(ج١/صـ: ٤٠٩) فِي تَرْجَمَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنا أَبُو أُمَيَّةَ بْنُ يَعْلَى، عَنْ نَافِعٍ، عنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُ بِمَوْتِ ابْنَتِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نِعْمَ الْخَتْنُ خَتْنُكَ، كَفَى الْمُؤْنَةَ وَسَتَرَ الْعَوْرَةَ**».

وَهَذَا الْحَدِيثُ مَوْضُوعٌ، اتُّهِمَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ هَذَا.

وَلِكَبِيرَاتِ السِّنِّ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَطْمَعْنَ فِي النِّكَاحِ وَلَا يُطْمَعُ فِي نِكَاحِهِنَّ أَن يَّضَعْنَ الثِّيَابَ الظَّاهِرَةَ كَالْجِلْبَابِ وَنَحْوِهِ، وَأَن يَّكْشِفْنَ وُجُوهَهُنَّ وَأَكُفَّهُنَّ، مَعَ أَمْنِ الْفِتْنَةِ، بِشَرْطِ عَدَمِ إِبْدَاءِ الزِّينَةِ، وَسَتْرُهُنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ، قَالَ ﷻ: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [النور: ٦٠ - ٦٤].

(١) وذكره الألباني في "الصحيحة"(رقم:٤٦٠).

وَمِمَّا يَنبَغِي التَّنبِيهُ عَلَيْهِ: أَنَّ صَوْتَ الْمَرْأَةِ لَيْسَ عَوْرَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَالْأَصْلُ أَنَّهُ لَيْسَ بِعَوْرَةٍ، وَإِنَّمَا يَكُونُ عَوْرَةً إِذَا كَانَ فِيهِ خُضُوعٌ، أَيْ: رِقَّةٌ وَّلِينٌ، قَالَ ﷻ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢].

فَلَا يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَن تَلِينَ فِي قَوْلِهَا وَتُرَقِّقَهُ عِندَ مُخَاطَبَةِ الرِّجَالِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُطْمِعُ مَن فِي قَلْبِهِ مَرَضُ النِّفَاقِ وَالْفُجُورِ وَشَهْوَةِ الزِّنَا، وَأُمِرَتْ بِالْقَوْلِ الْمَعْرُوفِ، الَّذِي لَا رِقَّةَ فِيهِ وَلَا غِلَظَ، ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.(١)

فَالْخُضُوعُ بِالْقَوْلِ مِنْ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ، قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ:

يَا قَوْمِ أُذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ ... وَالْأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا

وَمِنْ خُضُوعِ الْمَرْأَةِ بِالْقَوْلِ: الزَّغَارِيدُ فِي الْأَفْرَاحِ وَالْمُنَاسَبَاتِ، كَمَا جَاءَ فِي "فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ"(م.١)(ج١٧/صـ:٢٠١) بِرِئَاسَةِ الْإِمَامِ ابْنِ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَأَمَّا عَوْرَةُ الْمَرْأَةِ مَعَ الْمَرْأَةِ وَمَعَ مَحَارِمِهَا من الرِّجالِ فَهُوَ مَا يَظْهَرُ مِنْهَا غَالِبًا وَجَرَتِ الْعَادَةُ بِكَشْفِهِ فِي بَيْتِهَا، وَهُوَ: الْكَفَّانِ، وَالسَّاعِدَانِ، وَالْعَضُدَانِ، وَالْقَدَمَانِ، وَالسَّاقَانِ، وَالرَّقَبَةِ، وَالرَّأْسِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١].

وَأَمَّا مَا يُسْتَرُ غَالِبًا، كَالصَّدْرِ، وَالظَّهْرِ، وَالْبَطْنِ وَالْفَخِذَيْنِ فَلَا يَجُوزُ لَهَا كَشْفُهُ إِلَّا لِزَوْجِهَا فَقَطْ، فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ الزَّوْجَيْنِ النَّظَرُ إِلَى جَمِيعِ بَدَنِ الْآخَرِ وَلَمْسُهُ، فَعَن مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: «**احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا كَانَ الْقَوْمُ

---

(١) "مجموع فتاوى ابن باز"(ج٥/صـ: ٢٣١)، و"مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين"(ج١٢/صـ: ٢٦٩-٢٧٠، وج٢٤/صـ: ٥٢)، و"تفسير السعدي"، عند الآية.

بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: «**إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَّا يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ فَلَا يَرَيَنَّهَا**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: «**اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ إِلَّا النَّسَائِيَّ.(١)

وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّ عَوْرَةَ الْمَرْأَةِ أَمَامَ الْمَرْأَةِ كَعَوْرَةِ الرَّجُلِ أَمَامَ الرَّجُلِ، أَيْ: مَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ، فَقَدْ وَصَفَهُ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِأَنَّهُ مِنَ الْعَجَائِبِ، قَالَ: «وَلَا أَصْلَ لَهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَلْ هُوَ خِلَافُ قَوْلِهِ تَعَالَى: فِي آيَةِ النُّورِ: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ**﴾، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**أَوْ نِسَآئِهِنَّ**﴾؛ فَإِنَّ الْمُرَادَ مَوَاضِعُ الزِّينَةِ، وَهِيَ: الْقُرْطُ، وَالدُّمْلُجُ، وَالْخَلْخَالُ، وَالْقِلَادَةُ، وَهَذَا بِاتِّفَاقِ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ، وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فَهَذَا النَّصُّ الْقُرْآنِيُّ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْمَرْأَةَ لَا يَجُوزُ لَهَا أَن تُبْدِيَ أَمَامَ الْمُسْلِمَةِ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ.ا.هـ.(٢)

وَالْقُرْطُ: مَا يَعْلِقُ فِي شَحْمَةِ الْأُذُنِ مِن دُرٍّ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ نَحْوِهَا، جَمْعُهُ أَقْرَاطٌ، وقِرَاطٌ، وَقُرُوطٌ، وقِرَطَةٌ.

وَالْخَلْخَالُ: حِلْيَةٌ كَالسِّوَارِ، تَلْبَسُهَا النِّسَاءُ فِي أَرْجُلِهِنَّ، جَمْعُهُ: خَلَاخِيلُ.

وَالدُّمْلُجُ: سِوَارٌ يُحِيطُ بِالْعَضُدِ، جَمْعُهُ دَمَالِجُ، وَدَمَالِيجُ.

وَالْقِلَادَةُ: مَا يُجْعَلُ فِي الْعُنُقِ مِنْ حُلِيٍّ وَنَحْوِهِ.

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَا أَعْلَمُ فِي عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ أَمَامَ الْمَرْأَةِ تَفْصِيلًا، وَظَاهِرُ الْقُرْآنِ أَنَّهَا تُبْدِي لِلْمَرْأَةِ مَا تُبْدِيهِ لِمَحَارِمِهَا.

---

(١) أحمد (رقم:٢٠٠٣٤، و٢٠٠٤٠)، وأبو داود (رقم:٤٠١٧)، والترمذي (رقم:٢٧٦٩ و٢٧٩٤)، وابن ماجه (رقم:١٩٢٠)، وصححه: الحاكم (رقم: ٧٣٥٨)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في "الإرواء"(رقم: ١٨١٠).

(٢) "الرد المفحم"(صـ:٧٤).

وَقَالَ – بَعْدَ أَن ذَكَرَ قَوْلَ الْجُمْهُورِ –: وَلَكِنْ هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ النِّسَاءَ يَلْبَسْنَ أَمَامَ النِّسَاءِ ثِيَابًا قَصِيرَةً لَّا تَسْتُرُ إِلَّا مَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَقُولُهُ أَحَدٌ مِّنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.ا.هـ.(١)

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى مِن كَشْفِ الْعَوْرَاتِ وَهَتْكِ الْحُرُمَاتِ فِي الْخَلَوَاتِ وَالْجَلَوَاتِ فِي هَذِهِ الْعُصُورِ الْمُتَأَخِّرَاتِ!.

يُقْضَى عَلَى الْمَرْءِ فِي أَيَّامِ مِحْنَتِهِ ... حَتَّى يَرَى حَسَنًا مَّا لَيْسَ بِالْحَسَنِ

كَانَ الْعُرْيُ مَشْهَدًا حَاضِرًا مِّن مَّشَاهِدِ الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: «كَانَ النَّاسُ يَطُوفُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ عُرَاةً إِلَّا الحُمْسَ، وَالْحُمْسُ قُرَيْشٌ وَمَا وَلَدَتْ، وَكَانَتِ الحُمْسُ يَحْتَسِبُونَ عَلَى النَّاسِ، يُعْطِي الرَّجُلُ الرَّجُلَ الثِّيَابَ يَطُوفُ فِيهَا، وَتُعْطِي المَرْأَةُ المَرْأَةَ الثِّيَابَ تَطُوفُ فِيهَا، فَمَنْ لَمْ يُعْطِهِ الحُمْسُ طَافَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٦٦٥)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٢١٩).

فَجَاءَ اللهُ ﷻ بِالْإِسْلَامِ، فَأُزِيحَتْ بِهِ تِلْكَ الْمَشَاهِدُ الْجَاهِلِيَّةُ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِيمَنْ يُؤَذِّنُ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنًى: **«لَا يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَيَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ يَوْمُ النَّحْرِ»**.(٢)

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٣٠٢٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ، وَهِيَ عُرْيَانَةٌ، فَتَقُولُ: مَن يُّعِيرُنِي تِطْوَافًا؟ تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا، وَتَقُولُ:

(١) "مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين"(ج١٢/صـ: ٢٦٦-٢٦٧).

(٢) البخاري (رقم: ٣١٧٧، و٤٦٥٧)، ومسلم (رقم: ١٣٤٧).

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

وَالْمُرَادُ بِالزِّينَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: سَتْرُ الْعَوْرَةِ عِندَ كُلِّ صَلَاةٍ، نُقِلَ فِيهِ الِاتِّفَاقُ.(١)

وَلَا مَانِعَ أَن يُسْتَدَلَّ بِالْآيَةِ عَلَى الْحَثِّ عَلَى مَا زَادَ عَلَى قَدْرِ سَتْرِ الْعَوْرَةِ مِنَ الزِّينَةِ؛ لِعُمُومِ اللَّفْظِ.

وَقَدِ اسْتُدِلَّ بِالْآيَةِ عَلَى وُجُوبِ سَتْرِ الْعَوْرَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَكَوْنِهِ شَرْطًا مِّن شُرُوطِهَا، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ سَتْرَ الْعَوْرَةِ فَرْضٌ وَّاجِبٌ بِالْجُمْلَةِ عَلَى الْآدَمِيِّينَ.

وَقَالَ: اسْتَدَلَّ مَنْ جَعَلَ سَتْرَ الْعَوْرَةِ مِنْ فَرَائِضِ الصَّلَاةِ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى إِفْسَادِ مَنْ تَرَكَ ثَوْبَهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الِاسْتِتَارِ بِهِ وَصَلَّى عُرْيَانًا.ا.هـ.(٢)

وَعَوْرَةُ الرَّجُلِ فِي الصَّلَاةِ كَعَوْرَةِ النَّظَرِ فِيهِ، مَا بَيْنَ سُرَّتِهِ وَرُكْبَتَيْهِ، فَهَذَا الْقَدْرُ الَّذِي يَلْزَمُهُ سَتْرُهُ مِن بَدَنِهِ فِي صَلَاتِهِ؛ لِكَوْنِهِ عَوْرَةً.

فَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا يُصَلِّي أَحَدُكُمْ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ لَيْسَ عَلَى عَاتِقَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٣)

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ (رقم: ٦٢٦): **«لَيْسَ عَلَى مَنْكِبَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ»**.

وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ (رقم: ٧٦٩): **«لَيْسَ عَلَى عَاتِقِهِ مِنْهُ شَيْءٌ»**.

فَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ أَنَّ مِن وَّاجِبَاتِ الصَّلَاةِ سَتْرَ الْعَاتِقَيْنِ، أَوْ أَحَدَهُمَا فِي الصَّلَاةِ، وَذَلِكَ بِالصَّلَاةِ فِي إِزَارٍ وَّرِدَاءٍ أَوْ فِي قَمِيصٍ، فَإِن صَلَّى فِي ثَوْبٍ وَّاحِدٍ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَن

---

(١) "التمهيد"(ج٦/ صـ: ٣٧٦)، و"الاستذكار"(ج٢/ صـ: ١٩٦)، و"المحلى"(ج٢/ صـ: ٢٤٠).

(٢) "التمهيد"(ج٦/ صـ: ٣٧٦، و٣٧٩)، و"الاستذكار"(ج٢/ صـ: ١٩٦).

(٣) البخاري (رقم: ٣٥٩)، ومسلم (رقم: ٥١٦).

يَضَعَ شَيْئًا مِّنْهُ عَلَى عَاتِقِهِ مَعَ الْقُدْرَةِ، وَإِلَّا اتَّزَرَ بِهِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِجَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِن كَانَ وَاسِعًا فَالْتَحِفْ بِهِ، وَإِن كَانَ ضَيِّقًا فَاتَّزِرْ بِهِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٦١).

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: حِكْمَتُهُ: أَنَّهُ إِذَا ائْتَزَرَ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَى عَاتِقِهِ مِنْهُ شَيْءٌ لَمْ يُؤْمِنْ أَنْ تَنْكَشِفَ عَوْرَتُهُ، بِخِلَافِ مَا إِذَا جَعَلَ بَعْضَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَلِأَنَّهُ قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى إِمْسَاكِهِ بِيَدِهِ أَوْ يَدَيْهِ، فَيُشْغَلُ بِذَلِكَ وَتَفُوتُهُ سُنَّةُ وَضْعِ الْيَدِ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى تَحْتَ صَدْرِهِ وَرَفْعِهِمَا حَيْثُ شُرِعَ الرَّفْعُ وَغَيْرُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ فِيهِ تَرْكَ سَتْرِ أَعْلَى الْبَدَنِ وَمَوْضِعِ الزِّينَةِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾، ثُمَّ قَالَ مَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَالْجُمْهُورُ: هَذَا النَّهْيُ لِلتَّنْزِيهِ لَا لِلتَّحْرِيمِ، فَلَوْ صَلَّى فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ سَاتِرٍ لِعَوْرَتِهِ لَيْسَ عَلَى عَاتِقِهِ مِنْهُ شَيْءٌ صَحَّتْ صَلَاتُهُ مَعَ الْكَرَاهَةِ، سَوَاءٌ قَدَرَ عَلَى شَيْءٍ يَجْعَلُهُ عَلَى عَاتِقِهِ أَمْ لَا، وَقَالَ أَحْمَدُ وَبَعْضُ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: لَا تَصِحُّ صَلَاتُهُ إِذَا قَدَرَ عَلَى وَضْعِ شَيْءٍ عَلَى عَاتِقِهِ إِلَّا بِوَضْعِهِ؛ لِظَاهِرِ الْحَدِيثِ وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى رِوَايَةٌ أَنَّهُ تَصِحُّ صَلَاتُهُ، وَلَكِنْ يَأْثَمُ بِتَرْكِهِ.ا.هـ.

وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ عَنْ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ هِيَ أَصَحُّ الْأَقْوَالِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، واللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا عَوْرَةُ الْمَرْأَةِ فِي الصَّلَاةِ فَجَمِيعُ بَدَنِهَا مَا عَدَا الْوَجْهَ وَالْكَفَّيْنِ، فَإِن كَانَ بِحَضْرَتِهَا رِجَالٌ أَجَانِبُ وَجَبَ عَلَيْهَا تَغْطِيَةُ وَجْهِهَا وَكَفَّيْهَا؛ لِأَجْلِ النَّظَرِ.

وَسَتْرًا لِّلْعَوْرَاتِ وَصِيَانَةً لِّلْحُرُمَاتِ أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْغَضِّ مِنَ الْأَبْصَارِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَإِمَائَهُ الْمُؤْمِنَاتِ، وَأَمَرَ أَيْضًا بِاللِّبَاسِ الشَّرْعِيِّ الَّذِي يَفِي مِن سَتْرِ الْعَوْرَةِ بِالْمَقْصُودِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ الْمَعْبُودُ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢١٥٩) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَن نَّظَرِ الْفُجَاءَةِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي».

وَتَقَدَّمَ قَرِيبًا حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: «**احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ**».

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ - كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى"(ج١٥/صـ: ٤١٤-٤١٥) -: وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ أَمَرَ فِي كِتَابِهِ بِغَضِّ الْبَصَرِ، وَهُوَ نَوْعَانِ: غَضُّ الْبَصَرِ عَنِ الْعَوْرَةِ، وَغَضُّهُ عَنْ مَحَلِّ الشَّهْوَةِ، فَالْأَوَّلُ: كَغَضِّ الرَّجُلِ بَصَرَهُ عَنْ عَوْرَةِ غَيْرِهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٣٣٨) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ النَّظَرِ - كَالنَّظَرِ إِلَى الزِّينَةِ الْبَاطِنَةِ مِنَ الْمَرْأَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ - فَهَذَا أَشَدُّ مِنَ الْأَوَّلِ.

قَالَ: وَكَذَلِكَ النَّظَرُ إِلَى الْأَمْرَدِ بِشَهْوَةٍ هُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَقَدِ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَحْرِيمِ ذَلِكَ، كَمَا اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ النَّظَرِ إِلَى الْأَجْنَبِيَّةِ وَذَوَاتِ الْمَحَارِمِ بِشَهْوَةٍ.ا.هـ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "شَرْحِ مُسْلِمٍ"(رقم: ٣٣٨): يَحْرُمُ عَلَى الرَّجُلِ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الْأَمْرَدِ إِذَا كَانَ حَسَنَ الصُّورَةِ، سَوَاءٌ كَانَ نَظَرُهُ بِشَهْوَةٍ أَمْ لَا، وَسَوَاءٌ أَمِنَ الْفِتْنَةَ أَمْ خَافَهَا، هَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ، نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ وَحُذَّاقُ أَصْحَابِهِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَدَلِيلُهُ أَنَّهُ فِي مَعْنَى الْمَرْأَةِ؛ فَإِنَّهُ يُشْتَهَى كَمَا تُشْتَهَى، وَصُورَتُهُ فِي الْجَمَالِ كَصُورَةِ الْمَرْأَةِ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَحْسَنَ صُورَةً مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ، بَلْ هُمْ فِي التَّحْرِيمِ أَوْلَى؛ لِمَعْنًى آخَرَ، وَهُوَ: أَنَّهُ يَتَمَكَّنُ فِي حَقِّهِم مِّن طُرُقِ الشَّرِّ مالا يَتَمَكَّنُ مِنْ مِثْلِهِ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَحْرِيمِ النَّظَرِ هُوَ فِيمَا إِذَا لَمْ تَكُنْ حَاجَةٌ، أَمَّا إِذَا كَانَتْ حَاجَةٌ شَرْعِيَّةٌ فَيَجُوزُ النَّظَرُ، كَمَا فِي حَالَةِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالتَّطَبُّبِ وَالشَّهَادَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ يَحْرُمُ النَّظَرُ فِي هَذِهِ الْحَالِ بِشَهْوَةٍ؛ فَإِنَّ الْحَاجَةَ تُبِيحُ النَّظَرَ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَأَمَّا الشَّهْوَةُ فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهَا، قَالَ أَصْحَابُنَا: النَّظَرُ بِالشَّهْوَةِ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ غَيْرَ الزَّوْجِ وَالسَّيِّدِ، حَتَّى يَحْرُمَ عَلَى الْإِنْسَانِ النَّظَرُ إِلَى أُمِّهِ وَبِنْتِهِ بِالشَّهْوَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.ا.هـ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "الْمَجْمُوعِ شَرْحِ الْمُهَذَّبِ"(ج٤/صـ: ٢٧٨): «وَأَمَّا الْأَمْرَدُ الْحَسَنُ فَلَمْ أَرَ لِأَصْحَابِنَا – يَعْنِي الشَّافِعِيَّةَ – كَلَامًا فِي الْخَلْوَةِ بِهِ، وَقِيَاسُ الْمَذْهَبِ أَنَّهُ يَحْرُمُ الْخَلْوَةُ بِهِ، كَمَا قَالَ الْمُصَنِّفُ وَالْجُمْهُورُ، وَنَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، أَنَّهُ يَحْرُمُ النَّظَرُ إِلَيْهِ، وَإِذَا حَرُمَ النَّظَرُ فَالْخَلْوَةِ أَوْلَى؛ فَإِنَّهَا أَفْحَشُ وَأَقْرَبُ إِلَى الْمَفْسَدَةِ، وَالْمَعْنَى الْمَخُوفُ فِي الْمَرْأَةِ مَوْجُودٌ.

وَقَالَ أَيْضًا (ج٤/صـ: ٦٣٥): قَالَ أَصْحَابُنَا: كُلُّ مِنْ حُرِّمَ النَّظَرُ إِلَيْهِ حُرِّمَ مَسُّهُ.

وَقَالَ (ج٤/صـ:٦٣٧-٦٣٨): وَأَمَّا الْمُعَانَقَةُ وَتَقْبِيلُ وَجْهِ غَيْرِ الْقَادِمِ مِنْ سَفَرٍ وَنَحْوِهِ غَيْرِ الطِّفْلِ فَمَكْرُوهَانِ، صَرَّحَ بِكَرَاهَتِهِمَا الْبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُ، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا فِي التَّقْبِيلِ وَالْمُعَانَقَةِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ عِنْدَ الْقُدُومِ مِنْ سَفَرٍ وَنَحْوِهِ وَمَكْرُوهٌ فِي غَيْرِهِ هُوَ فِي غَيْرِ الْأَمْرَدِ الْحَسَنِ الْوَجْهِ، فَأَمَّا الْأَمْرَدُ الْحَسَنُ فَيَحْرُمُ بِكُلِّ حَالٍ تَقْبِيلُهُ، سَوَاءٌ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ أَمْ لَا، وَالظَّاهِرُ أَنَّ مُعَانَقَتَهُ قَرِيبَةٌ مِنْ تَقْبِيلِهِ، وَسَوَاءٌ كَانَ الْمُقَبِّلُ وَالْمُقَبَّلُ صَالِحَيْنِ أَوْ غَيْرَهُمَا، وَيُسْتَثْنَى مِنْ هَذَا تَقْبِيلُ الْوَالِدِ وَالْوَالِدَةِ وَنَحْوِهِمَا مِنْ الْمَحَارِمِ عَلَى سَبِيلِ الشَّفَقَةِ.ا.هـ.

وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "الْمُغْنِي"(ج٧/صـ: ١٠٥): فَأَمَّا الْغُلَامُ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ سَبْعًا فَلَا عَوْرَةَ لَهُ يَحْرُمُ النَّظَرُ إلَيْهَا.ا.هـ.

العورات، مواعظ وأحكام [٢]

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:- فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مَظَاهِرَ هَتْكِ أَسْتَارِ الْعَوْرَاتِ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ مُتَكَاثِرَةٌ، وَمَشَاهِدَهَا مُتَكَرِّرَةٌ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ.

فَمِن مَّظَاهِرَ هَتْكِ أَسْتَارِ الْعَوْرَاتِ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ لَدَى الرِّجَالِ: التَّسَاهُلُ فِي سَتْرِهَا حَالَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ فِي الْفَضَاءِ، وَهَذَا خِلَافُ هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا ذَهَبَ الْمَذْهَبَ أَبْعَدَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٨١٧١)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٠)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ١٧)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٣١).[(١)]

(١) قال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه أيضًا: ابن خزيمة (رقم: ٥٠)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ١١٥٩)، وفي "صحيح أبي داود"(رقم:١)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١١٣٦).

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي قُرَادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَتَى حَاجَتَهُ أَبْعَدَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٥٦٦٠)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ١٦)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٣٤).(١)

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَذْهَبُ لِحَاجَتِهِ إِلَى الْمُغَمَّسِ» . قَالَ نَافِعٌ: نَحْوَ مِيلَيْنِ مِنْ مَكَّةَ. رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى (رقم: ٥٦٢٦).(٢)

۞ وَمِن مَّظَاهِرِ هَتْكِ أَسْتَارِ الْعَوْرَاتِ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ لَدَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، عَدَمُ التَّقَيُّدِ بِالضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ لِلِّبَاسِ، فَمِن ذَلِكَ: لُبْسُ الرِّجَالِ الْبِنطَالَ، وَحُرْمَةُ هَذَا اللِّبَاسِ أَكِيدَةٌ، وَذَلِكَ مِن وُّجُوهٍ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا:

◄ أَنَّ فِيهِ تَشَبُّهًا بِالْكَافِرِينَ، وَهُوَ كَبِيرَةٌ مِّن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٥١١٥)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٠٣١)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "الْإِرْوَاءِ"(رقم: ١٢٦٩).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الِاقْتِضَاءِ"(صـ: ٢٧٠): «وَهَذَا الْحَدِيثُ أَقَلُّ أَحْوَالِهِ أَن يَّقْتَضِيَ تَحْرِيمَ التَّشَبُّهِ بِهِمْ».

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ (الْبَقَرَة: [١٠٤]): فَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى النَّهْيِ الشَّدِيدِ وَالتَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ عَلَى التَّشَبُّهِ بِالْكُفَّارِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَلِبَاسِهِمْ وَأَعْيَادِهِمْ، وَعِبَادَاتِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمُ الَّتِي لَمْ تُشْرَعْ لَنَا وَلَا نُقَرُّ عَلَيْهَا. ا.هـ.

وَالْبِنطَالُ مِن لِّبَاسِ الْكُفَّارِ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ، وَلَمْ يَكُن لِّلْمُسْلِمِينَ عَادَةٌ بِلُبْسِهِ، بَلْ كَانَتْ أَلْبِسَتُهُمُ الْقُمُصُ وَالْأُزُرَ، فَسَرَتْ هَذِهِ الْعَادَةُ إِلَى كَثِيرٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ!.

---

(١) وصححه ابن خزيمة (رقم: ٥١)، والألباني في "الإرواء"(ج١/صـ: ٦٧)، وفي "صحيح أبي داود"(ج١/صـ: ٢٣)، وفي "الصحيحة"(رقم: ١١٥٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٨٩٨).

(٢) وهو في "الصحيحة"(رقم: ١٠٧٢)، و"الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٧١٣).

وَكَانَتْ بِدَايَةُ ذَلِكَ قَبْلَ قَرْنَيْنِ وَنَيِّفٍ مِّنَ الزَّمَانِ، حِينَ فَرَضَ بَعْضُ سَلَاطِينِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ نِظَامًا عَسْكَرِيًّا جَدِيدًا، أَدْخَلُوا فِيهِ لُبْسَ الْمَلَابِسِ الْغَرْبِيَّةِ وَالتَّزَيِّي بِزِيِّ النَّصَارَى، فَهَاجَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ الْجُنْدِ، وَحَصَلَتْ مَعَارِكُ سَالَتْ فِيهَا الدِّمَاءُ، انتَهَتْ بِعَزْلِ السُّلْطَانِ سَلِيمِ الثَّالِثِ، كَمَا فِي "تَارِيخِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ"(صـ:٣٩٢-٣٩٣).

جَاءَ فِي فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ"(م.١)(ج٢٤/صـ: ٤٠)(رقم: [٤٢٥٧]) بِرِئَاسَةِ ابْنِ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَنَّ لُبْسَ الضَّيِّقِ مِنْهُ الَّذِي يُحَدِّدُ أَعْضَاءَ الْجِسْمِ حَتَّى الْعَوْرَةَ لَا يَجُوزُ، وَكَذَا إِذَا قُصِدَ بِلُبْسِهِ التَّشَبُّهُ بِمَن يَّلْبَسُهُ مِنَ الْكُفَّارِ.

قُلْتُ: هُوَ مِن لِّبَاسِ الْكُفَّارِ، فَإِذَا لَبِسَهُ الْمُسْلِمُ كَانَ مُتَشَبِّهًا بِهِمْ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَخْلُو فِي الْغَالِبِ الْأَعَمِّ مِن مَّحَاذِيرَ أُخْرَى، مِنْهَا مَا ذُكِرَ مِن كَوْنِهِ يُحَدِّدُ أَعْضَاءَ الْجِسْمِ، وَمِنْهَا كَوْنُهُ لَا يَخْلُو فِي الْأَعَمِّ الْأَغْلَبِ مِنَ الْإِسْبَالِ.

وَمِن وُّجُوهِ حُرْمَةِ لُبْسِ الْبِنطَالِ: أَنَّ فِيهِ تَشَبُّهًا بِالنِّسَاءِ الْكَافِرَاتِ وَالْفَاسِقَاتِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَلْبِسَتِهِنَّ!، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٨٨٥).

وَمِن وُّجُوهِ حُرْمَةِ لُبْسِ الْبِنطَالِ: أَنَّ هَذِهِ الْبَنَاطِيلَ لَا تَخْلُو مِنَ الْإِسْبَالِ - أَيْ: كَوْنُهَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ - إِلَّا فِي أَحْوَالٍ نَّادِرَةٍ، وَقَدْ عُلِمَ بِالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ الْقَطْعِيَّةِ أَنَّ الْإِسْبَالَ فِي حَقِّ الرِّجَالِ كَبِيرَةٌ مِّن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، فَمِنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ:

مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٧٨٧) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ»**.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»**. قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٠٦).

وَهَذِهِ الْبَنَاطِيلُ لَا تَخْلُو مِن تَحْجِيمِ الْعَوْرَةِ، وَإِبْدَاءِ تَقَاطِيعِ الْجِسْمِ إِلَّا فِي أَحْوَالٍ نَّادِرَةٍ.

قَالَ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "الصَّحِيحَةِ"(ج٦/صـ: ٤١٠): فَمِن مَّصَائِبِ الشَّبَابِ الْمُسْلِمِ الْيَوْمَ إِطَالَتُهُ سَرَاوِيْلَهُ (الْبَنطَلُونَ) إِلَى مَا تَحْتَ الْكَعْبَيْنِ؛ فَإِنَّهُ مَعَ هَذِهِ الْآفَةِ الَّتِي فِيهِ، فَهُوَ عَرِيضٌ جِدًّا عِندَ الْكَعْبَيْنِ، وَضَيِّقٌ جِدًّا عِندَ الْفَخِذَيْنِ وَالْأَلْيَتَيْنِ، مِمَّا يَصِفُ الْعَوْرَةَ وَيُجَسِّمُهَا، وَتَرَاهُمْ يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ يُصَلُّونَ وَهُمْ شِبْهُ عُرَاةٍ! فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!. ا.هـ.

قلت: وَنَحْنُ – واللهِ – نَرَى بَعْضَهُمْ إِذَا جَلَسَ أَوْ سَجَدَ فِي الصَّلَاةِ بَدَا مِنْهُ عَجْبُ الذَّنَبِ أَوْ مَا فَوْقَهُ بِقَلِيلٍ، وَأَحْيَانًا جُزْءٌ مِّن سَوْءَتِهِ، أَيْ: عَوْرَتِهِ الْمُغَلَّظَةِ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ!، فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالَهُ فِي صَلَاتِهِ فَهُوَ يُعَرِّضُهَا لِلْبُطْلَانِ!.

وَفِي "فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ"(م.١)(ج٢٤/صـ: ١٧)(رقم: [١٠٤٩٤]) بِرِئَاسَةِ ابْنِ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَا يَجُوزُ لُبْسُ الثَّوْبِ الشَّفَّافِ الَّذِي يَصِفُ الْعَوْرَةَ، وَلَا الثَّوْبِ الضَّيِّقِ الَّذِي يُبَيِّنُ جَمِيعَ مَفَاصِلِ الْجِسْمِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِن مُّخَالَفَةِ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ وَمِنْ حُصُولِ الْمَفَاسِدِ. ا.هـ.

وَقَدِ انتَشَرَتْ فِي هَذِهِ الْآوِنَةِ بَنَاطِيلُ (الْجِينز)!، وَظَهَرَتْ مِنْهَا مَوْضَاتٌ مُّخْزِيَةٌ فِي تَسْمِيَتِهَا وَلِبَاسِهَا، فَعَلَى الْمُسْلِمِينَ، لَا سِيَّمَا الشَّبَاب أَن يَّتَّقُوا اللهَ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

وَأَمَّا التَّبَرُّجُ وَالسُّفُورُ لَدَى النِّسَاءِ فِي هَذَا الزَّمَانِ فَلَا تَسَلْ عَنْهُ، فَقَدْ فُتِحَ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ، وَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى، فَمِن ذَلِكَ:

مَشَاهِدُ الْعُرْيِ وَالْخَنَا وَالرَّذِيلَةِ فِي الْأَفْلَامِ الْإِبَاحِيَّةِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ تَعْهَدْهُ الْبَشَرِيَّةُ مِن قَبْلُ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ، وَهُوَ مُؤْذِنٌ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَسَخَطٍ، فَقد صَارَ الزِّنَا وَاللِّوَاطُ وَمُقَدِّمَاتُهُمَا تُوَثَّقُ بِالصَّوْتِ وَالصُّورَةِ، وَكَذَلِكَ صُوَرُ الْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ، إِن لَّمْ تَكُنْ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ فَفِي التِّلْفَازِ وَالْجَوَّالَاتِ وَعَلَى لَوْحَاتِ الدِّعَايَةِ وَالْإِعْلَانِ وَالْمَقْرُطَسَاتِ وَالْمُعَلَّبَاتِ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ.

قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا...»**، الْحَدِيث، أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٤٠١٩)، وَالْحَاكِمُ (رقم: ٨٦٢٣).(١)

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الرِّبَا وَالزِّنَا، إِلَّا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللَّهِ ﷻ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم:٣٨٠٩)، وَلَهُ شَوَاهِدُ.

وَقَدْ عَظُمَ الْخَطْبُ بِتَشَبُّهِ كَثِيرٍ مِّنَ النِّسَاءِ فِي الْبُلْدَانِ الْمُسْلِمَةِ بالنساء الكافرات.

وَمِن مَّظَاهِرِ هَتْكِ أَسْتَارِ الْعَوْرَاتِ أَيْضًا: تَبَرُّجُ النِّسَاءِ فِي الْأَعْرَاسِ، سَوَاءٌ الْعَرُوسُ (الزَّوْجَةُ)، أَوْ بَعْضُ مَن يَحْضُرُ الْعُرُسَ مِنَ النِّسَاءِ، تَلْبَسُ إِحْدَاهُنَّ إِلَى نِصْفِ فَخِذِهَا، وَتَبْدُو مِنْهَا أَكْثَرُ مَفَاتِنِهَا، وهذا - واللهِ - مُنكَرٌ عَظِيمٌ!.

وَإِذَا كَانَ لَا يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَن تَظْهَرَ بِهَذَا الْمَظْهَرِ الَّذِي تَفْعَلُهُ بَعْضُ النِّسَاءِ فِي الْأَعْرَاسِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ الْأَجْنَبِيِّ أَن يَطَّلِعَ عَلَيْهَا وَهِيَ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ، كَمَا يَحْصُلُ فِي بَعْضِ الْأَعْرَاسِ، مِن دُخُولِ الْعَرُوسُ عَلَى زَوْجَتِهِ، وَبِحَضْرَتِهَا نِسَاءٌ عَلَى هَذَا الْحَالِ، وَهَذَا يُنبِئُ عَن ضَعْفِ الْحَيَاءِ وَقِلَّةِ الدِّيْنِ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ!.

وَكَذَلِكَ تَصْوِيرِ الْمَرْأَةِ فِي حَفْلِ زِفَافِهَا وَهِيَ بِكَامِلِ زِينَتِهَا، قَدْ بَدَا مِنْهَا شَعْرُهَا وَعَضُدَاهَا، وَشَيْءٌ مِن صَدْرِهَا، وَرُبَّمَا تُلْتَقَطُ لَهَا هَذِهِ الصُّوَرُ وَهِيَ بِجَانِبِ رَجُلٍ لَّيْسَ مِن مَّحَارِمِهَا، كَأَخِي زَوْجِهَا، وَابْنِ عَمِّهَا، وَنَحْوِهِمَا، وَرُبَّمَا احْتَفَظَتِ الْمَرْأَةُ بِصُوَرِهَا فِي

(١) وفي إسناد ابن ماجه ضعف، وإسناد الحاكم حسن، كما قال الإمام الألباني في "الصحيحة"(رقم:١٠٦)، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي. ولمعظم الحديث – ومنه موضع الشاهد – شاهد من حديث بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه الحاكم (رقم:٢٥٧٧)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني في "الصحيحة"(رقم:١٠٧).

جَوَّالِهَا وَهِيَ عَلَى هَذَا الْحَالِ، وَرُبَّمَا يَكُونُ الَّذِي تَوَلَّى التَّصْوِيرَ أَجْنَبِيًا مِّنَ الْمَرْأَةِ!، وَتَصِلُ بَعْضُ هَذِهِ الصُّوَرِ إِلَى مُتَنَاوَلِ الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ، وَرُبَّمَا يَعُمُّ نَشْرُهَا عَبْرَ الشَّبَكَاتِ وَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ، إِمَّا عَن طَرِيقِ مَحَلَّاتِ صِيَانَةِ الْجَوَّالِ أَوْ عَن طَرِيقِ بَرَامِجِ اسْتِعَادَةِ الْمَلَفَّاتِ الْمَحْذُوفَةِ، أَوْ عَن طَرِيقِ سُقُوطِ الذَّوَاكِرِ فِي الطُّرُقَاتِ، أَوْ رُبَّمَا بِتَعَمُّدِ نَشْرِهَا مِن قِبَلِ بَعْضِ النِّسَاءِ أَنفُسِهِنَّ، بَلْ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِن ذَلِكَ، مِنَ النِّسَاءِ مِن تَصْوِيرِهَا نَفْسَهَا فِي غُرْفَةِ النَّوْمِ أَوِ الْحَمَّامِ عَارِيَةً أَوْ شِبْهَ عَارِيَةٍ، ثُمَّ تَبْعَثُ بِهَا إِلَى عَشِيقِهَا أَوْ تَنشُرُهَا مِنْ غَيْرِ حَيَاءٍ!، فَأَيْنَ الْغَيْرَةُ؟ وَأَيْنَ حَرَارَةُ الْإِيمَانِ؟ فَإِلَى اللهِ نَشْكُو كَثْرَةَ الْخَبَثِ وَظُهُورَ الْفَسَادِ وَالتَّخَاذُلَ عَنْ حِرَاسَةِ الْفَضِيلَةِ وَصِيَانَةِ الْحُرُمَاتِ!.

وَمِن ذَلِكَ أَيْضًا: مُبَالَغَةُ بَعْضِ النِّسَاءِ أَوْ كَثِيرٍ مِّنْهُنَّ الْآنَ فِي النَّقْشِ، سَوَاءٌ فِي الْأَعْرَاسِ أَوْ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْمُنَاسَبَاتِ، بِنَقْشِ بَعْضِ الْفَخِذِ أو نقشه كُلِّهِ إِلَى قُرْبِ السَّوْءَةِ، وَهَذَا مُحَرَّمٌ بِالْإِجْمَاعِ؛ فَإِنَّ فِيهِ اطِّلَاعَ الْمَرْأَةِ الَّتِي تَقُومُ بِالنَّقْشِ عَلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ الَّتِي تُنقَشُ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ؛ تَعِسَتْ وَانتَكَسَتْ، وَإِذَا شِيكَتْ فَلَا انتَقَشَتْ.

وَمِن ذَلِكَ أَيْضًا: عَدَمُ تَقَيُّدِ كَثِيرٍمِّنَ النِّسَاءِ بِالْحِجَابِ الشَّرْعِيِّ، وَمُجَارَاتُهُنَّ الْمُوضَاتِ الْمُخْزِيَةَ فِي الْعَبَاءَاتِ الضَّيِّقَةِ الَّتِي تُحَجِّمُ الْعَوْرَةَ، وَتُبْدِي تَقَاطِيعَ الْجِسْمِ.

رَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ٢١٢٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَّائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»**.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْبَسُ الْقَصِيرَ، أَوِ الضَّيِّقَ، أَوِ الشَّفَّافَ الَّذِي تُرَى مِن وَرَائِهِ الْبَشَرَةُ فَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ كَاسِيَةٌ عَارِيَةٌ، كَاسِيَةٌ مِّنْ حَيْثُ أَنَّ عَلَيْهَا كِسْوَةً، وَعَارِيَةٌ مِّنْ حَيْثُ أَنَّ الْكِسْوَةَ لَمْ تُفِدْهَا شَيْئًا.ا.هـ.(١)

(١) "مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين"(ج١٢/صـ: ٢٦٨).

۞ وَمِن مَّظَاهِرِ هَتْكِ أَسْتَارِ الْعَوْرَاتِ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ لَدَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ: كَشْفُهَا فِي الطِّبِّ وَالتَّطَبُّب، قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْتَشْفَيَاتِ جَمِيْعًا أَن يَّكُونَ الْمُمَرِّضُونَ لِلرِّجَالِ وَالْمُمَرِّضَاتِ لِلنِّسَاءِ، هَذَا وَاجِبٌ، كَمَا أَنَّ الْوَاجِبَ أَن يَّكُونَ الْأَطِبَّاءُ لِلرِّجَالِ وَالطَّبِيبَاتُ لِلنِّسَاءِ، إِلَّا عِندَ الضَّرُورَةِ الْقُصْوَى إِذَا كَانَ الْمَرَضُ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الرَّجُلُ، فَلَا حَرَجَ أَن يُّعَالِجَ الْمَرْأَةَ؛ لِأَجْلِ الضَّرُورَةِ، وَهَكَذَا لَوْ كَانَ مَرَضُ الرَّجُلِ لَمْ يَعْرِفْهُ إِلَّا امْرَأَةٌ، فَلَا حَرَجَ فِي عِلَاجِهَا لَهُ، وَإِلَّا فَالْوَاجِبُ أَن يَّكُونَ الطَّبِيبُ مِنَ الرِّجَالِ لِلرِّجَالِ، وَالطَّبِيبَةُ مِنَ النِّسَاءِ لِلنِّسَاءِ، هَذَا هُوَ الْوَاجِبُ، وَهَكَذَا الْمُمَرِّضَاتُ وَالْمُمَرِّضُونَ، الْمُمَرِّضُ لِلرِّجَالِ وَالْمُمَرِّضَةُ لِلنِّسَاءِ، حَسْمًا لِّوَسَائِلِ الْفِتْنَةِ، وَحَذَرًا مِّنَ الْخَلْوَةِ الْمُحَرَّمَةِ.ا.هـ.(١)

وَمَا أَكْثَرَ الْإِخْلَالَ بِهَذَا الْوَاجِبِ، فَكَثِيرٌ مِّنَ النِّسَاءِ يَذْهَبْنَ إِلَى الْأَطِبَّاءِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ؛ لِإِمْكَانِهِنَّ الذَّهَابَ إِلَى طَبِيبَاتٍ، وَتُكْشَفُ عَوْرَاتُهُنَّ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ، وَأَحْيَانًا مَّعَ لَمْسِ بَعْضِ أَجْزَاءِ الْمَرْأَةِ!، وَحُصُولِ الْخَلْوَةِ!، وَعَدَمِ أَمْنِ الْفِتْنَةِ!.

وَمِمَّا يَنبَغِي التَّنبِيهُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ: أَنَّ تَرْكِيبَ اللَّوْلَبِ (وَهُوَ شَيْءٌ يُّوضَعُ فِي رَحِمِ الْمَرْأَةِ؛ لِمَنْعِ الْحَمْلِ)، فِيهِ كَشْفٌ لِّعَوْرَةِ الْمَرْأَةِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ؛ لِإِمْكَانِ مَنْعِ الْحَمْلِ عِندَ الْحَاجَةِ أَوِ الضَّرُورَةِ بِشُرُوطِهِ الشَّرْعِيَّةِ بِغَيْرِ تَرْكِيبِ اللَّوْلَبِ، وَلِهَذَا أَفْتَى الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِعَدَمِ جَوَازِهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِن كَانَ الَّذِي يَتَوَلَّى تَرْكِيبَهُ لِلْمَرْأَةِ هُوَ زَوْجَهَا فَلَا بَأْسَ.

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا: الْعَمَلِيَّاتُ الْقَيْصَرِيَّةُ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ، فَإِنَّ مِنَ النِّسَاءِ مَن تُجْرِيهَا هَرَبًا مِّنْ أَوْجَاعِ الطَّلْقِ وَالْآمِ الْوِلَادَةِ، لَيْسَ إِلَّا، وَهَذِهِ لَيْسَتْ ضَرُورَةً.

۞ وَمِن مَّظَاهِرِ هَتْكِ أَسْتَارِ الْعَوْرَاتِ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ لَدَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ: كَشْفُهَا فِي غَسْلِ الْمَيِّتِ، وَغَسْلُ الْمَيِّتِ فَرْضٌ كِفَائِيٌّ عَلَى الْأَحْيَاءِ، وَلَا يَنبَغِي أَن

(١) "مجموع فتاوى ابن باز"(ج٩/صـ: ٤٢٥).

يَتَصَدَّى لَهُ إِلَّا ذُو دِيْنٍ وَأَمَانَةٍ، وَاحْتِسَابٍ، عَالِمٌ بِسُنَّةِ الْغَسْلِ، حَرِيْصٌ عَلَى سَتْرِ عَوْرَتِهِ، وَمَعَايِبِهِ، فعَنْ أَبِي رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ غُفِرَ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً»**. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ (ج١/صـ: ٣١٥)، وَالْحَاكِمُ (رقم: ١٣٠٧، و١٣٤٠)، وَالْبَيْهَقِيُّ (رقم: ٦٦٥٥).(١)

فَيَجِبُ الْحِرْصُ عَلَى سَتْرِ عَوْرَةِ الْمَيِّتِ حَالَ تَجْرِيْدِهِ مِن ثِيَابِهِ، وَغَسْلِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَا يُجَرَّدُ مِن ثِيَابِهِ إِلَّا وَعَوْرَتُهُ مَسْتُورَةٌ، لَا يُرَى مِنْهَا شَيْءٌ، وَعَوْرَةُ الرَّجُلِ مَا بَيْنَ سُرَّتِهِ وَرُكْبَتَيْهِ، وَأَمَّا عَوْرَةُ الْمَرْأَةِ فَجَسَدُهَا عَدَا مَا جَرَتِ الْعَادَةُ بِكَشْفِهِ أَمَامَ النِّسَاءِ، فَلَا يَجُوزُ أَن يَّظْهَرَ مِنْهَا حَالَ تَغْسِيلِهَا إِلَّا: مِثْلُ يَدَيْهَا وَسَاقَيْهَا مِمَّا دُونَ رُكْبَتَيْهَا وَيَحْرُمُ إِظْهَارُ شَيْءٍ مِّن صَدْرِهَا أَوْ بَطْنِهَا أَوْ ظَهْرِهَا، وَالْحِرْصُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَحْتَاجُ إِلَى نَبَاهَةٍ وَّبَذْلِ جَهْدٍ حَالَ تَغْسِيلِ الْمَيِّتِ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي عَوْرَاتِ أَمْوَاتِ الْمُسْلِمِيْنَ!، فَالتَّسَاهُلُ فِي هَذَا الْأَمْرِ شَائِعٌ ذَائِعٌ، لَا سِيَّمَا فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي يَفْشُو فِيْهَا الْجَهْلُ، بَلْ إِنَّهُ لَيَبْلُغُ الْأَمْرُ بِبَعْضِ الْمُغَسِّلِيْنَ أَوِ الْمُغَسِّلَاتِ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ إِلَى تَجْرِيْدِ الْمَيِّتِ أَوِ الْمَيِّتَةِ مِنَ الثِّيَابِ وَاجْتِمَاعِ عَدَدٍ مِّنَ الْأَحْيَاءِ يَنظُرُونَ إِلَيْهِ عَارِيًا، وَهُوَ يُغَسَّلُ عَلَى هَذَا الْحَالِ!، وَرُبَّمَا حَلَقُوا عَانَتَهُ، وَهُمْ يَنظُرُونَ، وَهَذَا مُّنكَرٌ عَظِيْمٌ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ!.

وَيَتَوَلَّى غَسْلَ الذَّكَرِ الرِّجَالُ، وَالْأُنثَى النِّسَاءُ، وَيُسْتَثْنَى مِن ذَلِكَ: الزَّوْجَانِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ لِكُلٍّ مِّنْهُمَا أَن يَّتَوَلَّى غَسْلَ الْآخَرِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **«مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي، فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ، ثُمَّ صَلَّيْتُ عَلَيْكِ، وَدَفَنْتُكِ؟»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٥٩٠٨)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٤٦٥).(٢)

---

(١) وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وتبعهما الألباني في "أحكام الجنائز"(صـ: ٥١)، ونقل عن الحافظ في "الدراية"(رقم: ٤٠١) قوله فيه: «إسناده قوي».

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ٦٥٨٦)، والألباني في: "الإرواء"(رقم: ٧٠٠).

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**لَوْ كُنْتُ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا غَسَّلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا نِسَاؤُه**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٦٣٠٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣١٤١)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٤٦٤).(١)

وَيُسْتَثْنَى أَيْضًا مَّا لَوْ كَانَ الْمَيِّتُ صَغِيرًا لَّا يُشْتَهَى، فَلَا بَأْسَ أَنْ تُغَسِّلَهُ النِّسَاءُ، وَإِن كَانَ خِلَافُ الْأَوْلَى، وَكَذَلِكَ الصَّبِيَّةُ الصَّغِيْرَةُ الَّتِي لَا تُشْتَهَى إِذَا مَاتَتْ، فَلَا بَأْسَ أَنْ يُغَسِّلَهَا الرِّجَالُ؛ لِأَنَّ حُكْمَ الْعَوْرَةِ غَيْرُ ثَابِتٍ فِي حَقِّ الصَّغِيرِ وَالصَّغِيرَةِ.(٢)

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: «الرَّجُلُ يُغَسِّلُ ابْنَتَهُ إِذَا كَانَتْ صَغِيرَةً، وَالْمَرْأَةُ تُغَسِّلُ الصَّبِيَّ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ سَبْعَ سِنِينَ» .

قُلْتُ لِأَحْمَدَ: الصَّبِيُّ يُسْتَرُ كَمَا يُسْتَرُ الْكَبِيرُ، أَعْنِي: الصَّبِيَّ الْمَيِّتَ فِي الْغُسْلِ؟ قَالَ: «أَيُّ شَيْءٍ يُسْتَرُ، وَلَيْسَتْ عَوْرَتُهُ بِعَوْرَةٍ وَيُغَسِّلْنَهُ النِّسَاءُ».

قُلْتُ لِأَحْمَدَ: مَتَى يُسْتَرُ الصَّبِيُّ؟ قَالَ: «إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ».ا.هـ.(٣)

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيَنْبَغِي لِلْغَاسِلِ، وَلِمَنْ حَضَرَ، إِذَا رَأَى مِنْ الْمَيِّتِ شَيْئًا مِمَّا يُحِبُّ الْمَيِّتُ سَتْرَهُ، أَنْ يَسْتُرَهُ، وَلَا يُحَدِّثَ بِهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُسْلِمٍ، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**». وَإِنْ رَأَى حَسَنًا مِثْلَ أَمَارَاتِ الْخَيْرِ، مِنْ وَضَاءَةِ الْوَجْهِ، وَالتَّبَسُّمِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، اُسْتُحِبَّ إظْهَارُهُ؛ لِيَكْثُرَ التَّرَحُّمُ عَلَيْهِ، وَيَحْصُلَ الْحَثُّ عَلَى مِثْلِ طَرِيقَتِهِ، وَالتَّشَبُّهُ بِجَمِيلِ سِيرَتِهِ.

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم:٦٦٢٧)، والحاكم (رقم: ٤٣٩٨) على شرط مسلم، وصححه أيضًا: الألباني في: "أحكام الجنائز"(صـ:٤٩).

(٢) "بدائع الصنائع"(ج١/صـ:٣٠٦) للكاساني الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) "مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني"(صـ: ٢١٣).

قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: وَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي الدِّينِ وَالسُّنَّةِ، مَشْهُورًا بِبِدْعَتِهِ، فَلَا بَأْسَ بِإِظْهَارِ الشَّرِّ عَلَيْهِ، لِتُحْذَرَ طَرِيقَتُهُ، وَعَلَى هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكْتُمَ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنْ أَمَارَاتِ الْخَيْرِ؛ لِئَلَّا يَغْتَرَّ مُغْتَرٌّ بِذَلِكَ، فَيَقْتَدِيَ بِهِ فِي بِدْعَتِهِ.ا.هـ.(١)

❁ وَمِن مَّظَاهِرِ هَتْكِ أَسْتَارِ الْعَوْرَاتِ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ لَدَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ: الاطِّلَاعُ عَلَيْهَا فِي الْبُيُوتِ؛ بِسَبَبِ الْإِخْلَالِ بِأَدَبِ الِاسْتِئْذَانِ.

قَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩ ﴾ [النور: ٢٧ - ٢٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩ ﴾ [النور: ٥٨ - ٥٩].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ اشْتَمَلَتْ عَلَى اسْتِئْذَانِ الْأَقَارِبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَا تقدَّم فِي أَوَّلِ السُّورَةِ فَهُوَ اسْتِئْذَانُ الْأَجَانِبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَن يَّسْتَأْذِنَهُمْ خَدَمُهم مِمَّا ملكت أَيْمَانُهُمْ وَأَطْفَالُهُمُ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْهُمْ فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ: **الْأَوَّلُ**: ﴿ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾؛ لِأَنَّ النَّاسَ إِذ ذَّاكَ يَكُونُونَ نِيَامًا فِي فُرُشِهِمْ، ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ ﴾، أَيْ: فِي وَقْتِ الْقَيْلُولَةِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَضَعُ ثِيَابَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ مَعَ أَهْلِهِ، ﴿ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِ ﴾؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ النَّوْمِ، فيُؤمَرُ الْخَدَمُ وَالْأَطْفَالُ أَلَّا يَهْجُمُوا عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ، لِمَا يُخْشَى مِنْ أَن يَّكُونَ الرَّجُلُ

(١) "المغني"(ج٢/ صـ: ٣٤٠).

عَلَى أَهْلِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ﴾، أَيْ: إِذَا دَخَلُوا فِي حَالٍ غَيْرِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي تَمْكِينِكُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا عَلَيْهِمْ إِنْ رَأَوْا شَيْئًا فِي غَيْرِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْهُجُومِ، وَلِأَنَّهُمْ ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾، أَيْ: فِي الْخِدْمَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيُغْتَفَرُ فِي الطَّوَّافِينَ مَا لَا يُغْتَفَرُ فِي غَيْرِهِمْ.ا.هـ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ هُوَ فِي الْعَوْرَةِ الْحِسِّيَّةِ، وَأَمَّا الْعَوْرَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ فَإِنَّهَا عُيُوبُ الْإِنسَانِ، وَمَا أَكْثَرَ عُيُوبَهُ، وَلَا سَتْرَ لَهَا إِلَّا بِتَقْوَى اللهِ ﷻ؛ وَلِهَذَا كَانَتِ التَّقْوَى خَيْرَ لِبَاسٍ، قَالَ ﷻ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٦-٢٧].

وَفِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ﴾ تَنبِيهٌ لِلْإِنسَانِ عَلَى سَتْرِ عَوْرَتِهِ الْحِسِّيَّةِ فِي الْخَلَاءِ مِنْ أَعْيُنِ الجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٦٠٦)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٢٩٧)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ: إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الخَلَاءَ، أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ»**، وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ، وَحَسَّنَهُ بَعْضُهُم بِشَوَاهِدِهِ.(١)

---

(١) راجع: "الإرواء"(رقم: ٥٠).

فَتَدَرَّعْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ بِلِبَاسِ التَّقْوَى؛ فَإِنَّهُ خَيْرُ لِبَاسٍ.

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى ... تَجَرَّدَ عُرْيَانًا وَإِن كَانَ كَاسِيًا

وَخَيْرُ ثِيَابِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ ... وَلَا خَيْرَ فِيْ مَنْ كَانَ للهِ عَاصِيًا

قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [المدثر: ١ - ٧].

هَذِهِ الْآيَاتُ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ الْآيَاتِ الْأُولَى مِن سُورَةِ الْعَلَقِ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.(١)

وَفِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ أَقْوَالٌ لِّلْمُفَسِّرِينَ، والَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ السَّلَفِ – كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُمُ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ – (ج٢٣/صـ: ٤١٠) – أَنَّ الْمُرَادَ بِالطَّهَارَةِ هُنَا: الطَّهَارَةُ مِنَ الذُّنُوبِ، أَيِ: الطَّهَارَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾، قَالَ: «مِنَ الْإِثْمِ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي "الزُّهْدِ"(رقم: ٣٤٥)، وَابْنُ جَرِيرٍ (ج٢٣/صـ: ٤٠٥)، وَالْحَاكِمُ (رقم: ٣٨٦٩)، وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ»، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ (ج٢٣/صـ: ٤٠٦-٤٠٧) عن قَتَادَةَ وَإِبْرَاهِيمَ، قَالَا: مِنَ الذُّنُوبِ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ (ج٢٣/صـ: ٤٠٦) أَيْضًا، وَابْنُ الْمُنْذِرِ فِي "الْأَوْسَطِ"(ج٢/صـ: ١٣٥)(رقم: ٦٨٦) عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْهُ قَالَ: لَا تَلْبَسْهَا عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَا عَلَى غَدْرَةٍ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ غَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ الثَّقَفِيِّ:

وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا ثَوْبَ فَاجِرٍ ... لَبِسْتُ وَلَا مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (رقم: ٣٤٩١٨) عَنْ أَبِي رَزِينٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾، قَالَ: «عَمَلَكَ أَصْلِحْهُ، فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ حَسَنَ الْعَمَلِ قِيلَ: فُلَانٌ طَاهِرُ الثِّيَابِ».

(١) البخاري (رقم:٤، و٣٢٣٨، و٤٩٢٢، و٤٩٢٤، و٤٩٢٥، و٤٩٢٦، و٤٩٥٤)، ومسلم(رقم: ١٦١).

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ (ج٢٣/صـ: ٤٠٩ - ٤١٠) عَن مُجَاهِدٍ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، قَالَ: «لَسْتَ بِكَاهِنٍ وَلَا سَاحِرٍ، فَأَعْرِضْ عَمَّا قَالُوا».

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُرَادُ بِالثِّيَابِ هُنَا: الْقَلْبُ، وَطَهَارَتُهُ مِن كُلِّ مَا يَشُوبُ سَلَامَتَهُ، مِن شِرْكٍ، وَهَوًى، وَغِلٍّ، وَحِقْدٍ، وَحَسَدٍ، وَغَيْرِهَا مِنْ أَدْرَانِ الْقَلْبِ.

قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ ... فَسُلِّي ثِيَابِي مِن ثِيَابِكِ تَنْسُلِ

أَيْ: إِن سَاءَكِ خُلُقٌ مِنْ أَخْلَاقِي فَرُدِّي عَلَيَّ قَلْبِي أُفَارِقْكِ.

وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا حَمَلَ بَعْضُهُمْ قَوْلَ عَنتَرَةَ:

فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ ... لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ

وَعَن مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، قَالَ: اغْسِلْهَا بِالْمَاءِ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ لَا يَتَطَهَّرُونَ، فَأَمَرَهُ أَن يَتَطَهَّرَ، وَيُطَهِّرَ ثِيَابَهُ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهَذَا الْقَوْلُ أَظْهَرُ مَعَانِيهِ.ا.هـ.

فَالسَّلَامَةُ كُلُّهَا وَسَتْرُ الْعَوْرَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ بِتَقْوَى اللهِ ﷻ، فَمَن تَجَرَّأَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ فَقَدْ هَتَكَ سَتْرَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ ﷻ، فَعَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، قَالَ: دَخَلَ نِسْوَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتُنَّ؟ قُلْنَ: مِنْ أَهْلِ الشَّامِ. قَالَتْ: لَعَلَّكُنَّ مِنَ الْكُورَةِ الَّتِي تَدْخُلُ نِسَاؤُهَا الْحَمَّامَاتِ؟ قُلْنَ: نَعَمْ. قَالَتْ: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«مَا مِنَ امْرَأَةٍ تَخْلَعُ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِهَا إِلَّا هَتَكَتْ [سِتْرَ] مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٥٤٠٧، و٢٥٤٠٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٠١٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٨٠٣)، وَحَسَّنَهُ، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٧٥٠).

وَلَفْظُ التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَهْ: **«فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا»**.(١)

---

(١) وصححه الحاكم (رقم: ٧٧٨٠)، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٣٤٤٢)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٦١٤).

قَالَ صَاحِبُ "عَوْنِ الْمَعْبُودِ"(ج١١/صـ: ٣٣): لِأَنَّهَا مَأْمُورَةٌ بِالتَّسَتُّرِ وَالتَّحَفُّظِ مِنْ أَنْ يَرَاهَا أَجْنَبِيٌّ حَتَّى لَا يَنْبَغِي لَهُنَّ أَنْ يَكْشِفْنَ عَوْرَتَهُنَّ فِي الْخَلْوَةِ أَيْضًا إِلَّا عِنْدَ أَزْوَاجِهِنَّ فَإِذَا كُشِفَتْ أَعْضَاؤُهَا فِي الْحَمَّامِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ فَقَدْ هَتَكَتِ السِّتْرَ الَّذِي أَمَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ.ا.هـ.

هَذَا وَلْيُعْلَمْ أَنَّ الْمُسْلِمَ مَنْهِيٌّ عَن تَتَبُّعِ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَأْمُورٌ بِسَتْرِهِمْ فِيمَا يُشْرَعُ فِيهِ السَّتْرُ، فَعِندَ أَبِي دَاوُدَ (رقم: ٤٨٨٨) عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ»**.

فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «كَلِمَةٌ سَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا».(١)

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرَ، فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: **«يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ، وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»**.

قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الكَعْبَةِ، فَقَالَ: «مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٠٣٢).(٢)

وَهَذِهِ الْأَدِلَّةُ قَدْ يَلْوِي أَعْنَاقَهَا مَن يَّنقَبِضُ وَيَنزَعِجُ مِنَ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، فَيُعَارِضُ هَذَا الْفَنَّ بِهَا، وَلَيْسَ الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ مِن بَابِ تَتَبُّعِ الْعَوْرَاتِ، وَإِنَّمَا هُوَ نَصِيحَةٌ وَّبَيَانٌ،

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٥٧٦٠)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٢٣٤٢)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١١١٦).

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ٥٧٦٣)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٢٣٣٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٧٢٥).
وفي الباب عن صحابة آخرين، فراجع: "تحقيق مسند أحمد"(ج٣٣/صـ: ٢٠-٢١).

وَمَعْذِرَةٌ وَّذِكْرَى، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنكَرِ، وَتَقْرِيرُ هَذَا وَذِكْرُ أَدِلَّتِهِ يَضِيقُ عَنْهُ الْمَقَامِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: قَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، [وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا]، وَإِنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **«إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٣٣٨).

وَفِي رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ مَنصُورٍ فِي التَّفْسِيرِ مِن سُنَنِهِ (رقم: ٨٤٤): إِنَّ النَّاسَ يَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ لَا يَدْرُونَ كَيْفَ مَوْضِعُهَا.

وَرَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٩، و٣٠) أَيْضًا، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢١٦٨، و٣٠٥٧)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٤٠٠٥)، وَلَيْسَ عِندَهُمْ ذِكْرُ الْوَضْعِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِّأَحْمَدَ (رقم: ٥٣): **«إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ بَيْنَهُمْ، فَلَمْ يُنْكِرُوهُ»**.

وَلِأَحْمَدَ (رقم: ١، و١٦)، وَابْنِ مَاجَهْ (رقم: ٤٠٠٥): **«فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ»**.(١)

وَعَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ آنِفًا يُحْمَلُ أَيضًا مَّا يُنسَبُ إِلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إِذَا رُمْتَ أَن تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الْأَذَى ... وَحَظُّكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنُ

لِسَانَكَ لَا تَذْكُرْ بِهِ عَوْرَةَ امْرِئٍ ... فَكُلُّكَ عَوْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ

وَالنُّصُوصُ عَنْ هَذَا الْإِمَامِ مُتَوَافِرَةٌ فِي جَرْحِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَهُوَ مِمَّن قُبِلَ قَوْلُهُ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، قَالَ مُؤَرِّخُ الْإِسْلَامِ الذَّهَبِيُّ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي رِسَالَتِهِ "ذِكْرُ مَن

(١) وصححه الترمذي، وابن حبان (رقم: ٣٠٥)، والضياء في "المختارة"(ج١/صـ: ١٤٣-١٤٩)(رقم: ٥٤-٦١)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ١٥٦٤)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٧٠٧).

يُعْتَمَدُ قَوْلُهُ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ": اعْلَمْ هَدَاكَ اللهُ أَنَّ الَّذِينَ قَبِلَ النَّاسُ قَوْلَهُمْ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

١ - قِسْمٌ تَكَلَّمُوا فِي أَكْثَرِ الرُّوَاةِ، كَابْنِ مَعِينٍ وَأَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ.

٢ - وَقِسْمٌ تَكَلَّمُوا فِي كَثِيرٍ مِّنَ الرُّوَاةِ، كَمَالِكٍ وَّشُعْبَةَ.

٣ - وَقِسْمٌ تَكَلَّمُوا فِي الرَّجُلِ بَعْدَ الرَّجُلِ، كَابْنِ عُيَيْنَةَ وَالشَّافِعِيِّ.ا.هـ.

هَذَا وَإِنَّ فِي الْآخِرَةِ عُرْيًا لَّيْسَ كَعُرْيِ الدُّنْيَا، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»**. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا!، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ!، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَا عَائِشَةُ، الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»**. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٥٢٧)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٨٥٩)، وَهَذَا لَفْظُهُ.

وَلَفْظُ الْبُخَارِيِّ: **«الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ لِّأَحْمَدَ (رقم: ٢٤٥٨٨)، وَالنَّسَائِيِّ (رقم: ٢٠٨٣): فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَيْفَ بِالْعَوْرَاتِ؟ قَالَ: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس: ٣٧].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا، فَقَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا،** ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ [الأنبياء: ١٠٤] **أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى، يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ»**.(١)

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ (رقم: ٣٣٣٢): فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: أَيُبْصِرُ أَوْ يَرَى بَعْضُنَا عَوْرَةَ بَعْضٍ؟ قَالَ: **«يَا فُلَانَةُ!،** ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس: ٣٧]**»**.(٢)

---

(١) البخاري (رقم: ٣٣٤٩، و٣٤٤٧، و٤٦٢٥، و٤٧٤٠، و٦٥٢٦)، ومسلم (رقم: ٢٨٦٠).

(٢) وصححه الحاكم (رقم: ٢٩٩٥)، وقال: «على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الألباني في تعليقه على "سنن الترمذي"، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (رقم: ٦٧٣).

الأسواق، مواعظ وأحكام

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ [الفرقان: ٧].

فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَعَنُّتُ الْمُشْرِكِينَ وَتَزَمُّتُهُمْ تُجَاهَ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ رَسُولًا يَّأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ، فَهَلَّا كَانَ هَذَا الرَّسُولُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ، أَوْ أُوتِيَ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]. أَيْ: يَتَرَدَّدُ فِيهَا وَإِلَيْهَا طَلَبًا لِلتَّكَسُّبِ وَالتِّجَارَةِ.

وَهَذَا مِن تَوَاضُعِ الْمُرْسَلِينَ، وَلَا غِنَى لِلنَّاسِ عَنِ الْأَسْوَاقِ؛ فَإِنَّهَا مِن ضَرُورَاتِهِمْ، حَتَّى الْأَنبِيَاء، كَانُوا يَأْكُلونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي السُّوقِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا القَاسِمِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«سَمُّوا بِاسْمِي، وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢١٢٠).

وَهَكَذَا خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنبِيَاءِ: أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَتْ عُكَاظٌ، وَمَجَنَّةُ، وَذُو المَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الإِسْلاَمُ تَأَثَّمُوا مِنَ التِّجَارَةِ فِيهَا»، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨]، فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ، قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَذَا.

بَوَّبَ عَلَيْهِ الْبُخَارِيُّ: (بَابُ الأَسْوَاقِ الَّتِي كَانَتْ فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَتَبَايَعَ بِهَا النَّاسُ فِي الإِسْلاَمِ).

وَرَوَى (رقم: ٢٠٤٨) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، أَنَّهُ قَالَ لِسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ: هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سُوقُ قَيْنُقَاعٍ، قَالَ: فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ.

وَرَوَى أَيْضًا (رقم: ٢٠٤٩، و٥٠٧٢) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ.

وَرَوَى أَيْضًا (رقم: ١٤١٦، و٢٢٧٣، و ٤٦٦٩) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ، انْطَلَقَ أَحَدُنَا إِلَى السُّوقِ، فَيُحَامِلُ، فَيُصِيبُ المُدَّ، وَإِنَّ لِبَعْضِهِمُ اليَوْمَ لَمِائَةَ أَلْفٍ».

بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ الْبُيُوعِ مِن صَحِيحِهِ: (بَابُ مَا ذُكِرَ فِي الْأَسْوَاقِ)، وَذَكَرَ فِيهِ أَحَادِيثَ، مِنْهَا بَعْضُ مَا قَدَّمْنَاهُ، قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "شَرْحِ الْبُخَارِيِّ"(ج٦/صـ: ٢٤٩): إِنَّمَا أَرَادَ بِذِكْرِ الْأَسْوَاقِ إِبَاحَةَ الْمَتَاجِرِ وَدُخُولِ السُّوقِ، وَالشِّرَاءِ فِيهِ لِلْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ.ا.هـ.

وَمَعَ عِظَمِ حَاجَةِ النَّاسِ إِلَى الْأَسْوَاقِ إِلَّا أَنَّهَا أَبْغَضُ الْبِقَاعِ إِلَى اللهِ، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (رقم: ٦٧١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا**».

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا إِنَّمَا خَرَجَ عَلَى الْأَغْلَبِ؛ لِأَنَّ الْمَسَاجِدَ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ تَعَالَى، وَالْأَسْوَاقُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهَا اللَّغَطُ وَاللَّهْوُ وَالِاشْتِغَالُ بِجَمْعِ الْمَالِ، وَالْكَلَبُ عَلَى الدُّنْيَا مِنَ الْوَجْهِ الْمُبَاحِ وَغَيْرِهِ، وَأَمَّا إِذَا ذُكِرَ اللهُ فِي السُّوقِ فَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ.

ثُمَّ ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ دُعَاءَ دُخُولِ السُّوقِ، وَفِي صِحَّتِهِ خِلَافٌ، وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٤٢٨)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي "الدُّعَاءِ" (رقم: ٧٩٣) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ**».

وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٢٢٣٥) بِلَفْظِ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَدْخُلُ السُّوقَ: ...**».

وَرَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم:)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٤٢٩)، بِلَفْظِ: «**مَنْ قَالَ فِي السُّوقِ: ..**».(١)

فَالْغَالِبُ عَلَى الْأَسْوَاقِ الْغَفْلَةُ وَاللَّهْوُ؛ فَلِهَذَا كَانَتْ أَبْغَضَ الْبِقَاعِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَتْ مَرْتَعًا خِصْبًا لِلشَّيْطَانِ، وَمَسْرَحًا لِّلَّغَطِ وَالْخِصَامِ، قَالَ سَلْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «لَا تَكُونَنَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ، أَوَّلَ مَن يَّدْخُلُ السُّوقَ وَلَا آخِرَ مَن يَّخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٤٥١).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْمَعْرَكَةُ - بِفَتْحِ الرَّاءِ - مَوْضِعُ الْقِتَالِ لِمُعَارَكَةِ الْأَبْطَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فِيهَا وَمُصَارَعَتِهِمْ، فَشَبَّهَ السُّوقَ وَفِعْلَ الشَّيْطَانِ بِأَهْلِهَا وَنَيْلَهُ مِنْهُمْ بِالْمَعْرَكَةِ؛ لِكَثْرَةِ مَا يَقَعُ فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَاطِلِ، كَالْغِشِّ، وَالْخِدَاعِ، وَالْأَيْمَانِ الْخَائِنَةِ، وَالْعُقُودِ الْفَاسِدَةِ، وَالنَّجْشِ، وَالْبَيْعِ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَالشِّرَاءِ عَلَى شِرَائِهِ، وَالسَّوْمِ عَلَى

(١) وقد ذكره الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيحة" (رقم: ٣١٣٩).

سَوْمِهِ، وَبَخْسِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَقَوْلُهُ: «وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ»، إِشَارَةٌ إِلَى ثُبُوتِهِ هُنَاكَ، وَاجْتِمَاعِ أَعْوَانِهِ إِلَيْهِ؛ لِلتَّحْرِيشِ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَمْلِهِمْ عَلَى هَذِهِ الْمَفَاسِدِ الْمَذْكُورَةِ وَنَحْوِهَا، فَهِيَ مَوْضِعُهُ، وَمَوْضِعُ أَعْوَانِهِ، وَالسُّوقُ تُؤَنَّثُ وَتُذَكَّرُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِقِيَامِ النَّاسِ فِيهَا عَلَى سُوقِهِمْ.ا.هـ.

فَمَا أَكْثَرَ النِّزَاعَاتِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الْأَسْوَاقِ، فَلِهَذَا لَا تَكُنْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ سَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ؛ فَإِنَّ مِن صِفَاتِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُن سَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ.

بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْبُيُوعِ مِن صَحِيحِهِ: (بَابُ كَرَاهِيَةِ السَّخَبِ فِي السُّوقِ)، ثُمَّ أَخْرَجَ (رقم: ٢١٢٥) عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا».

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٠١٦) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: **«لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَّلَا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ»**.(١)

وَعِندَ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيهِ (رقم: ١٦١٠، و١٦١١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «وَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَمَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ: لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُجْزِئُ بِالسَّيِّئَةِ سَيِّئَةً وَلَكِن يَّعْفُو أَوْ يَغْفِرْ».

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٦٤٤٣)، والألباني في تعليقه على "المشكاة"(رقم: ٥٨٢٠)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٥٧٢).

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَعْفُو أَوْ يَصْفَحُ».(١)

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَالَ تَسْوِيَتِهِ الصُّفُوفَ يَنْهَى عَنْ هَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ، أَيِ: اخْتِلَاطِهَا وَالْمُنَازَعَةِ وَالْخُصُومَاتِ وَارْتِفَاعِ الْأَصْوَاتِ وَاللَّغَطِ وَالْفِتَنِ الَّتِي فِيهَا، كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لِيَلِنِي مِنْكُمْ، أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ** - ثَلَاثًا -، **وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٤٣٢).

وَالنَّاسُ مَعَ الْأَسْوَاقِ طَرَفَا نَقِيضٍ وَوَسَطٌ:

◄ فَمِنْهُم مَّنْ أَضَاعَ فِيهَا كَثِيرًا مِّن وَّقْتِهِ وَجُهْدِهِ مَعَ غَفْلَتِهِ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ، فَهَذَا الْمَغْبُونُ، وَهَذَا هُوَ حَالُ أَكْثَرِ النَّاسِ مَعَ الْأَسْوَاقِ، وَمِنْ أَجْلِهِ كَانَتِ الْأَسْوَاقُ أَبْغَضَ الْبِقَاعِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

◄ وَمِنْهُم مَّنِ اسْتَنكَفَ عَنْهَا، وَرَأَى فِي مُجَرَّدِ الْمَشْيِ فِيهَا مُذْهِبًا لِّمُرُوءَتِهِ وَهَيْبَتِهِ، وَهَذَا مِنَ الْكِبْرِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَا اسْتَكْبَرَ مَنْ أَكَلَ مَعَهُ خَادِمُهُ، وَرَكِبَ الْحِمَارَ بِالْأَسْوَاقِ، وَاعْتَقَلَ الشَّاةَ، فَحَلَبَهَا»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ"(رقم: ٥٥٠).(٢)

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: تَأَمَّلْتُ الْعُبَّادَ وَالْمُتَزَهِّدِينَ، فَرَأَيْتُ جُمْهُورَهُمْ يَتَعَبَّدُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَيَأْنَسُ إِلَى تَعْظِيمِهِ، وَتَقْبِيلِ يَدِهِ، وَكَثْرَةِ أَتْبَاعِهِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَوِ اضْطُرَّ أَن يَّشْتَرِيَ حَاجَةً مِّنَ السُّوقِ لَمْ يَفْعَلْ؛ لِئَلَّا يَنكَسِرَ جَاهُهُ! ثُمَّ تَتَرَقَّى بِهِمْ رُتْبَةُ النَّامُوسِ إِلَى

---

(١) وصححه الحاكم (رقم: ٤٢٢٤)، وقال: «على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٥٧٣).

(٢) وصححه الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٢٢١٨)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٤١٢).

أَلَّا يَعُودُوا مَرِيضًا، وَلَا يَشْهَدُوا جَنَازَةً، إِلَّا أَن يَكُونَ عَظِيمَ الْقَدْرِ عِندَهُمْ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ، بَل رُبَّمَا ضَنَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِلِقَاءٍ، فَقَدْ صَارَتِ النَّوَامِيسُ كَالْأَوْثَانِ، يَعْبُدُونَهَا وَلَا يَعْلَمُونَ! وَفِيهِم مَّن يُّقْدِمُ عَلَى الْفَتْوَى بِجَهْلٍ؛ لِئَلَّا يُخِلَّ بِنَامُوسِ التَّصَدُّرِ! ثُمَّ يَعِيبُونَ الْعُلَمَاءَ لِحِرْصِهِمْ عَلَى الدُّنْيَا، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَذْمُومَ مِنَ الدُّنْيَا مَا هُمْ فِيهِ، لَا تَنَاوُلُ الْمُبَاحَاتِ!.

وَقَالَ أَيْضًا: وَقَدْ رَأَيْنَا مَن يُّرَائِي وَلَا يَدْرِي، فَيَمْتَنِعُ مِنَ الْمَشْيِ فِي السُّوقِ، وَمِن زِيَارَةِ الْإِخْوَانِ، وَمِنْ أَن يَّشْتَرِيَ شَيْئًا بِنَفْسِهِ! وَتُوْهِمُهُ نَفْسُهُ: أَنِّي أَكْرَهُ مُخَالَطَةَ السُّوْقَةِ! وَإِنَّمَا هَذَا يُرَبِّي جَاهًا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، إِذْ لَوْ خَالَطَهُمْ لَامْتَحَى جَاهُهُ، وَبَطَلَ تَقْبِيلُ يَدِهِ!ا.هـ.(١)

◄ وَأَمَّا الْفَرِيقُ الْوَسَطُ فَقَدْ سَلَكُوا هَدْيًا قَاصِدًا، وَهُمُ الْأَنبِيَاءُ وَأَتْبَاعُ الْأَنبِيَاءِ، وَقَد تَّقَدَّمَ ذِكْرُ أَدِلَّتِهِ، قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي إِيرَادِ الْبُخَارِيِّ أَثَرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: «دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ»، مُعَلَّقًا فِي (بَابِ مَا ذُكِرَ فِي الْبُيُوعِ) مِن كِتَابِ الْبُيُوعِ: «وَالْغَرَضُ مِنْهُ هُنَا ذِكْرُ السُّوقِ فَقَطْ، وَكَوْنُهُ كَانَ مَوْجُودًا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ يَتَعَاهَدُهُ الْفُضَلَاءُ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ لِتَحْصِيلِ الْمَعَاشِ لِلْكَفَافِ؛ وَلِلتَّعَفُّفِ عَنِ النَّاسِ».

إِلَّا أَنَّ الصَّفْقَ فِي الْأَسْوَاقِ قَدْ لَا يَخْلُو مِن تَفْوِيتِ حَظٍّ مِّنْ عِلْمٍ وَتَشْتِيتِ الْهَمِّ.

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حِينَ ذُكِرَ لَهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، فَلْيَرْجِعْ»**: أَخَفِيَ هَذَا عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٠٦٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢١٥٣)(٣٦).

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَاللهُ الْمَوْعِدُ، كُنْتُ رَجُلًا مِسْكِينًا، أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

(١) "صيد الخاطر" (صـ: ٦٩-٧٠، وصـ: ٢٩٢).

«مَن يَّبْسُطْ ثَوْبَهُ فَلَن يَّنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي»، فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى قَضَى حَدِيثَهُ، ثُمَّ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٠٤٧، و٢٣٥٠، و٧٣٥٤)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٤٩٢).

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا: «وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا».

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَا رَأَيْتُ مُشَتِّتًا لِّلْهَمِّ، مُبَدِّدًا لِّلْقَلْبِ مِثْلَ شَيْئَيْنِ:

أحدهما: أَن تُطَاعَ النَّفْسُ فِي طَلَبِ كُلِّ شَيْءٍ تَشْتَهِيهِ، وَذَلِكَ لَا يُوقَفُ عَلَى حَدٍّ فِيهِ، فَيَذْهَبُ الدِّينُ وَالدُّنْيَا، وَلَا يُنَالُ كُلُّ الْمُرَادِ، مِثْلُ أَن تَكُونَ الْهِمَّةُ فِي الْمُسْتَحْسَنَاتِ، أَوْ فِي جَمْعِ الْمَالِ، أَوْ فِي طَلَبِ الرِّئَاسَةِ، وَمَا يُشْبِهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ.

فَيَا لَهُ مِن شَتَاتٍ لَّا جَامِعَ لَهُ! يَذْهَبُ الْعُمُرُ، وَلَا يُنَالُ بَعْضُ الْمُرَادِ مِنْهُ.

والثاني: مُخَالَطَةُ النَّاسِ - خُصُوصًا الْعَوَامَّ - وَالْمَشْيُ فِي الْأَسْوَاقِ، فَإِنَّ الطَّبْعَ يَتَقَاضَى الشَّهَوَاتِ، وَيَنسَى الرَّحِيلَ عَنِ الدُّنْيَا، وَيُحِبُّ الْكَسَلَ عَنِ الطَّاعَةِ وَالْبَطَالَةَ وَالْغَفْلَةَ وَالرَّاحَةَ، فَيَثْقُلُ عَلَى مَنْ أَلِفَ مُخَالَطَةَ النَّاسِ التَّشَاغُلُ بِالْعِلْمِ، أَوْ بِالْعِبَادَةِ، وَلَا يَزَالُ يُخَالِطُهُمْ حَتَّى تَهُونَ عَلَيْهِ الْغِيبَةُ، وَتَضِيعَ السَّاعَاتُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ.

وَقَالَ أَيْضًا: وَلَقَدْ شَاهَدتُّ خَلْقًا كَثِيرًا لَّا يَعْرِفُونَ مَعْنَى الْحَيَاةِ: فَمِنْهُم مَّنْ أَغْنَاهُ اللهُ عَنِ التَّكَسُّبِ بِكَثْرَةِ مَالِهِ، فَهُوَ يَقْعُدُ فِي السُّوقِ أَكْثَرَ النَّهَارِ، يَنظُرُ إِلَى النَّاسِ، وَكَمْ تَمُرُّ بِهِ مِنْ آفَةٍ وَّمُنكَرٍ! وَمِنْهُم مَّن يَّخْلُو بِلَعِبِ الشَّطْرَنجِ! وَمِنْهُم مَّن يَقْطَعُ الزَّمَانَ بِكَثْرَةِ الْحَدِيثِ عَنِ السَّلَاطِينِ، وَالْغَلَاءِ وَالرُّخْصِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَعَلِمْتُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُطْلِعْ عَلَى شَرَفِ الْعُمْرِ وَمَعْرِفَةِ قَدْرِ أَوْقَاتِ الْعَافِيَةِ إِلَّا مَن وَّفَّقَهُ وَأَلْهَمَهُ اغْتِنَامَ ذَلِكَ.

وَقَالَ أَيْضًا: وَأَمَّا مَن يَّمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ الْيَوْمَ، وَيَبِيعُ، وَيَشْتَرِي مَعَ هَذَا الْعَالَمِ الْمُظْلِمِ، وَيَرَى الْمُنكَرَاتِ وَالْمُسْتَهْجَنَاتِ، فَمَا يَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ إِلَّا وَقَدْ أَظْلَمَ الْقَلْبُ![1]

(١) "صيد الخاطر" (ص: ٢٤٠، وص: ٤٠٦-٤٠٧، وص: ٤١٠).

قُلْتُ: هَذَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَصِفُ الْأَسْوَاقَ وَأَهْلَهَا فِي زَمَانِهِ، وَكَانَ فِي زَمَانِهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَى أَسْوَاقَنَا الْيَوْمَ وَكَثِيرًا مِّنْ أَهْلِهَا؟!، فاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

عَظِّمُوا اللهَ يَا أَهْلَ الْأَسْوَاقِ، وَاذْكُرُوهُ وَاشْكُرُوهُ، وَاعْبُدُوهُ وَوَحِّدُوهُ.

رَوَى أَبُو يَعْلَى (رقم: ٦٦١٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ السَّابِعَةَ، وَالْعَرْشُ عَلَى مَنكِبِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ أَيْنَ كُنْتَ؟ وَأَيْنَ تَكُونُ؟»**.

وَفِي رِوَايَةِ الْحَاكِمِ (رقم: ٧٨١٣): **«إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَن دِيكٍ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ وَعُنُقُهُ مَثْنِيَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ!، مَا أَعْظَمَ رَبَّنَا»**. قَالَ: **«فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا»**.(١)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ»**.(٢)

وَفِي رِوَايَةٍ لِّلْبُخَارِيِّ (رقم: ٢٣٥٨): **«وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ العَصْرِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَقَدْ أَعْطَيْتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ»**، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران: ٧٧].

اجْتَنِبُوا الظُّلْمَ وَأَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في "الصحيحة"(رقم: ١٥٠)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٤٣٦).

(٢) البخاري (رقم: ٢٣٥٨، و٢٦٧٢، و٧٢١٢، و٧٤٤٦)، ومسلم (رقم: ١٠٨).

كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النساء: ٢٩ - ٣٠].

لَا تُضِيعُوا الصَّلَاةَ، وَلَا تَتَخَلَّفُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ بِغَيْرِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ، قَالَ ﷻ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩].

يُنَادَى لِلصَّلَاةِ فَلَا يُجِيبُ النِّدَاءَ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَأَكْثَرُ الْمَحَلَّاتِ فِي السُّوقِ مَفْتُوحَةٌ!.

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»**.(١)

أَيُّهَا الْبَاعَةُ، ﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٨٠ - ١٨٤].

وَتَجَنَّبُوا الْغِشَّ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: **«مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟»** قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **«أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ؛ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٠٢).

يَا أَصْحَابَ مَجَازِرِ اللَّحْمِ وَمَسَالِخِ الدِّجَاجِ، حَافِظُوا عَلَى الصَّلَاةِ، وَسَمُّوا اللهَ عَلَى مَا تَذْبَحُونَهُ مِن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ وَمِنَ الدِّجَاجِ، فَمِنَ الْجَزَّارِينَ وَذَابِحِي الدِّجَاجِ مَن لَّا يُصَلِّي، وَلَا يَذْكُرُ اسْمَ اللهِ ﷻ عَلَى الذَّبِيحَةِ، وَمَن كَانَ هَذَا حَالَهُ فَلَا تَحِلُّ ذَبِيحَتُهُ، بَلْ هِيَ مَيْتَةٌ، قَالَ ﷻ: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٨]، وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

---

(١) البخاري (رقم: ٦٤٤، و٦٥٧، و٢٤٢٠، و٧٢٢٤)، ومسلم (رقم: ٦٥١)، واللفظ له.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٥٠٣)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٩٦٨) عَن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ فَكُلْ، لَيْسَ الظُّفُرَ وَالسِّنَّ، أَمَّا الظُّفُرُ فَمُدَى الحَبَشَةِ، وَأَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ»**.

يَا أَصْحَابَ الْمَطَاعِمِ وَشَوَّايَاتِ الدِّجَاجِ، وَيَا أَصْحَابَ ثَلَّاجَاتِ التَّبْرِيدِ، اجْتَنِبُوا الدِّجَاجَ الْمُجَمَّدَ الَّذِي يَأْتِي مِنَ الدُّوَلِ الْكَافِرَةِ، كَفِرَنسَا، وَالْبَرَازِيلِ، فَإِنَّهَا مَيْتَةٌ؛ تُقْتَلُ صَعْقًا بِالْكَهْرَبَاءِ، وَلَا يُذْكَرُ اسْمُ اللهِ عَلَيْهَا، وَبَعْضُهَا تَكُونُ رَقَبَتُهَا مَعَهَا، مَكْفُوتَةً، لَمْ تُقْطَعْ، فَلَا يُغْتَرَّ بِمَا يُكْتَبُ عَلَى غِلَافِهَا الْقِرْطَاسِيِّ: (ذُبِحَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ!).

أَمَّا الدِّجَاجُ الْمُجَمَّدُ الَّذِي يَأْتِي مِن بَلَدٍ مُسْلِمٍ فَلَا بَأْسَ بِهِ؛ بِنَاءً عَلَى الْأَصْلِ، وَهُوَ حِلُّ ذَبِيحَةِ الْمُسْلِمِ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ قَوْمًا قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَا بِاللَّحْمِ، لاَ نَدْرِي: أَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْ لاَ؟ فَقَالَ: **«سَمُّوا عَلَيْهِ أَنْتُمْ وَكُلُوهُ»** قَالَتْ: وَكَانُوا حَدِيثِي عَهْدٍ بِالكُفْرِ.(١)

أَيُّهَا الْمُصَوِّرُونَ، إِنَّ تَصْوِيرَ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ مِن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ»**.

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»**. ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٩٥٣).

---

(١) رواه البخاري (رقم: ٢٠٥٧، و٥٥٠٧، و٧٣٩٨).

(٢) البخاري (رقم: ٢١٠٥، و٥١٨١، و٥٩٥٧، و٥٩٦١)، ومسلم (رقم: ٢١٠٧).

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢١١١) أَيْضًا، وَعِندَهُ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي دَارِ مَرْوَانَ، فَرَأَى فِيهَا تَصَاوِيرَ، وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ: «**أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً، فَإِنَّ اللَّهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَدًا**».

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَن تَصْنَعَ، فَعَلَيْكَ بِهَذَا الشَّجَرِ، كُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٩٦٣).

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢١١٠)(١٠٠): «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا، فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ**».

وَقَالَ: «إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٩٥٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢١٠٩).

وَقَدْ لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمُصَوِّرَ، كما في صحيح الْبُخَارِيِّ (رقم: ٢٠٨٦، و٢٢٣٨، و٥٣٤٧، و٥٩٦٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَنَعُوذُ بِاللهِ مِن لَّعْنَةِ اللهِ وَلَعْنَةِ رَسُولِهِ!.

وَيَا أَصْحَابَ الْبَقَّالَاتِ، اجْتَنِبُوا بَيْعَ الْأَشْيَاءِ الْمُحَرَّمَةِ، مِثْلِ الدُّخَانِ.

وَيَا أَصْحَابَ مَحَلَّاتِ الْحَلَوِيَّاتِ، اجْتَنِبُوا وَضْعَ جَوْزِ الطِّيبِ فِي الْهَرِيسِ؛ فَإِنَّ جَوْزَ الطِّيبِ مُحَرَّمٌ؛ لِأَنَّ كَثِيرَهُ يُسْكِرُ بِلَا شَكٍّ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ، وَبَيْعُهُ وَشِرَاؤُهُ حَرَامٌ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ**».(٢)

---

(١) البخاري (رقم:٥٩٦٣)، ومسلم (رقم:٢١١٠).

(٢) رواه أحمد (رقم:١٤٧٠٣)، وأبو داود (رقم:٣٦٨١)، والترمذي (رقم:١٨٦٥)، وابن ماجه (رقم:٣٣٩٣) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (رقم:٥٣٨٢)، وحسن إسناده=

وَيَا أَصْحَابَ مَحَلَّاتِ بَيْعِ الذَّهَبِ، وَالْمَصَارِفِ وَالْبُنُوكِ، اجْتَنِبُوا التَّعَامُلَ بِالرِّبَا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩].

فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ صُوَرٌ مُحَرَّمَةٌ، يَجِبُ تَجَنُّبُهَا، مِنْهَا: تَلَقِّي الرُّكْبَانِ، وَبَيْعُ الطَّعَامِ بَعْدَ شِرَائِهِ وَقَبْلَ اسْتِيفَائِهِ وَنَقْلِهِ، فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«لَا تَلَقَّوُا السِّلَعَ حَتَّى يُهْبَطَ بِهَا إِلَى السُّوقِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢١٦٥، و٢١٦٧)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٥١٧)(١٤).

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ١٥١٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا تَلَقَّوُا الْجَلَبَ، فَمَنْ تَلَقَّاهُ فَاشْتَرَى مِنْهُ، فَإِذَا أَتَى سَيِّدُهُ السُّوقَ، فَهُوَ بِالْخِيَارِ»**.

وَيَا أَصْحَابَ مَحَلَّاتِ الْخِيَاطَةِ، تَجَنَّبُوا خِيَاطَةَ الثِّيَابِ الْمُسْبَلَةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، لِأَنَّ الْإِسْبَالَ كَبِيرَةٌ مِّن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٧٨٧).

الألباني في "الإرواء"(ج٨/صـ:٤٣)، وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٢١٣).

ورواه أحمد (رقم:٦٥٥٨، و٦٦٧٤)، والنسائي (رقم:٥٦٠٧)، وابن ماجه (رقم:٣٣٩٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأخرجه أحمد (رقم:٥٦٤٨) أيضًا: من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ورواه النسائي (رقم: ٥٦٠٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: **«نَهَى عَنْ قَلِيلِ مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ»**. وحسن إسناده: الضياء في "المختارة"(ج/صـ: ١٨٣-١٨٤)(رقم:٩٧٥، و٩٧٦، و٩٧٧)، وجوده الألباني، وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٣٦٥). وراجع: "الإرواء"(رقم:٢٣٧٥)

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**». قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٠٦).

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢].

وَتَجَنَّبُوا أَيْضًا خِيَاطَةَ الْبَنَاطِيلِ، فَإِنَّهَا مِنْ ضُرُوبِ الْأَبَاطِيلِ، فَفِيهَا تَشَبُّهٌ بِالْكَافِرِينَ، وَلَا تَخْلُو مِنَ الْإِسْبَالِ وَتَحْجِيمِ الْعَوْرَةِ، وَإِبْدَاءِ تَقَاطِيعِ الْجِسْمِ إِلَّا فِي أَحْوَالٍ نَّادِرَةٍ.

وَكَذَلِكَ يَحْرُمُ خِيَاطَةُ الْمُوْضَاتِ الْمُخْزِيَةَ مِنَ الْعَبَاءَاتِ (الْبَالْطُوهَاتِ) الضَّيِّقَةِ الَّتِي تُحَجِّمُ الْعَوْرَةَ، وَتُبْدِي تَقَاطِيعَ الْجِسْمِ، فاللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

وَيَا أَصْحَابَ مَحَلَّاتِ بَيْعِ الثِّيَابِ وَمَا يُعْرَفُ بِـ: (الْمُوْلَاتِ)، لَا دَاعِيَ لِلْمُجَسَّمَاتِ ذَوَاتِ الرُّؤُوسِ، وَالَّتِي تُعْرَضُ عَلَيْهَا الثِّيَابُ، وَالَّتِي هِيَ مِن جِنسِ التَّمَاثِيلِ الْمُحَرَّمَةِ.

وَيَا أَصْحَابَ صَوَالِينِ الْحِلَاقَةِ، لَا تَجْعَلُوا حَلْقَ اللِّحَى وَقَصَّاتِ الشَّعْرِ الْمُتَضَمِّنَةَ لِلْقَزَعِ، وَالَّتِي فِيهَا تَشَبُّهٌ بِالْكُفَّارِ،مِهْنَةً لَّكُمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَحَلْقُ اللِّحْيَةِ حَرَامٌ؛ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ.

وَقَالَ: «**خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَوْفُوا اللِّحَى**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٨٩٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٩) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "مَرَاتِبِ الْإِجْمَاعِ"(صـ:١٥٧): «وَاتَّفَقُوا أَنَّ حَلْقَ جَمِيعِ اللِّحْيَةِ مُثْلَةٌ، لَا تَجُوزُ».

وَكَذَلِكَ الْقَزَعُ مُحَرَّمٌ، وَهُوَ: حَلْقُ بَعْضِ الرَّأْسِ دُونَ الْبَعْضِ الْآخَرِ، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْقَزَعِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

(١) البخاري (رقم: ٥٩٢٠، و٥٩٢١)، ومسلم (رقم: ٢١٢٠).

يَا أَصْحَابَ مَحَلَّاتِ بَيْعِ الْجَوَّالَاتِ وَصِيَانَتِهَا، قَدْ وَقَعَتْ مِن جَرَّاءِ صِيَانَةِ جَوَّالَاتِ النِّسَاءِ وَتَحْمِيلِ بَرَامِجِهَا، كَالْوَاتْس، مَخَازٍ وَّمَآسٍ، فَاحْذَرُوا، وَرَاقِبُوا اللهَ ﷻ.

يَا أَصْحَابَ الْمَدَارِسِ الْأَهْلِيَّةِ، إِيَّاكُمْ وَالْمُتَاجَرَةَ بِجُهُودِ أَجْيَالِ الْمُسْلِمِينَ وَأَوْقَاتِهِمْ.

يَا أَصْحَابَ مَرَاكِزِ الرُّقْيَةِ، اجْتَنِبُوا الطُّرُقَ الْمُعْوَجَّةَ وَالْمُلْتَوِيَةَ الْمُخَالِفَةَ لِلشَّرْعِ، وَاتَّقُوا اللهَ فِي حُرُمَاتِ الْمُسْلِمِينَ، فَالرَّقِيبُ عَلَيْكُمْ عَلِيمٌ قَدِيرٌ، وَالنَّاقِدُ بَصِيرٌ.

يَا أَصْحَابَ الْمَرَافِقِ الصِّحِّيَّةِ، الْزَمُوا النُّصْحَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَالتَّقَيُّدَ بِأَحْكَامِ الشَّرْعِ، وَلَا يَنطَبِقْ عَلَيْكُم مَّا قَالَهُ الْمُتَنَبِّي:

بِذَا قَضَتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِندَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

يَا مَن يَّعْتَقِدُ فِي السِّحْرِ وَالتَّنجِيمِ وَيَتَرَدَّدُ عَلَى السَّحَرَةِ وَالْعَرَّافِينَ، اعْلَمْ أَنَّ السِّحْرَ كُفْرٌ، وَأَنَّ السَّاحِرَ كَافِرٌ، ذَكَرَ الْإِمَامُ النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن جُمْلَةِ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ: السِّحْرَ، قَالَ: «وَمِنْهُ الصَّرْفُ وَالْعَطْفُ، فَمَن فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وَالْعِوَضُ الَّذِي يُؤْخَذُ عَن كُلِّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُحَرَّمَةِ مُحَرَّمٌ.

وَأَمَّا أَسْوَاقُ الْقَاتِ، فَلَا تَسَلْ عَنْ حَالِ أَسْوَاقِ الْقَاتِ!.

فَإِن تَنجُ مِنْهَا تَنجُ مِن ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا

يَا أَهْلَ الْأَسْوَاقِ، تَذَكَّرُوا حُرْمَةَ الْقُبُورِ، فَإِنَّ بَعْضَ الْأَسْوَاقِ أُنشِئَتْ عَلَى مَقَابِرَ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٩٧٢) عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا**».

وَفِيهِ (رقم: ٩٧١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ**».

وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٥٦٧) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَأَنْ أَمْشِيَ عَلَى جَمْرَةٍ، أَوْ سَيْفٍ، أَوْ أَخْصِفَ نَعْلِي بِرِجْلِي، أَحَبُّ إِلَيَّ**

مِنْ أَنْ أَمْشِيَ عَلَى قَبْرِ مُسْلِمٍ، وَمَا أُبَالِي أَوَسْطَ الْقُبُورِ قَضَيْتُ حَاجَتِي، أَوْ وَسْطَ السُّوقِ».(١)

قَالَ السِّنديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "كِفَايَةِ الْحَاجَةِ"(ج١/صـ: ٤٧٤): يُرِيدُ أَنَّهُمَا فِي الْقُبْحِ سِيَّانِ، فَمَنْ أَتَى بِأَحَدِهِمَا فَهُوَ لَا يُبَالِي بِأَيِّهِمَا أَتَى.ا.هـ.

وَاعْلَمُوا يَا أَهْلَ الْأَسْوَاقِ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ فِتَنِ الدُّنْيَا: النِّسَاءَ، فَخُرُوجُهُنَّ إِلَى الْأَسْوَاقِ عَلَى هَذَا الْحَالِ الَّذِي نَعْلَمُهُ، وَاخْتِلَاطُهُنَّ بِالرِّجَالِ فِتْنَةٌ، فِيهَا مِنَ الْمَفَاسِدِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ.

قَالَ ﷻ: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ** ﴾ [الأحزاب:٣٣].

وَعِندَ التِّرْمِذِيِّ (رقم: ١١٧٣) وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ».**(٢)

قَالَ ابْنُ الْأَثِيْرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "النِّهَايَةِ": «جعلَها نَفْسَها عَوْرَة؛ لِأَنَّهَا إِذَا ظهرَت يُسْتَحْيا مِنْهَا، كَمَا يُسْتَحْيا مِنَ العَوْرَة إِذَا ظَهرَتْ».

وَقَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ»**، أَيْ: زَيَّنَهَا فِي نَظَرِ الرِّجَالِ، وَقِيلَ: نَظَرَ إِلَيْهَا؛ لِيُغْوِيَهَا وَيُغْوِيَ بِهَا.

وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ (رقم: ٢٠٦١) حَدِيْثَ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هَذَا، وَزَادَ فِيْهِ: **«وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا».**(٣)

---

(١) وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الإرواء"(رقم:٦٣)، والوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٩٣٢).

(٢) وصححه الألباني في "الإرواء"(رقم:٢٧٣)، وكذا الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٨٦٣) على شرط مسلم.

(٣) وذكره الألباني في "الصحيحة"(رقم:٤٦٠).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَمَتَى مَا اسْتَطَعْتَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ أَن تَسْتَغْنِيَ عَنِ السُّوقِ فَافْعَلْ، لَا سِيَّمَا فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَلَا يُلْهِيَنَّكَ الصَّفْقُ فِي الْأَسْوَاقِ عَنِ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالْفِقْهِ فِي الدِّينِ.

قَالَ ﷻ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝٣٧﴾ [النور: ٣٦ - ٣٧].

لَا يُلْهِيَنَّكَ مَنزِلٌ لَعِبَتْ بِهِ ... أَيْدِي الْبَلَا مِن سَالِفِ الْأَزْمَانِ
فَلَقَد تَّرَحَّلَ عَنْهُ كُلُّ مَسَرَّةٍ ... وَتَبَدَّلَتْ بِالْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ

هَذَا وَإِنَّ مِنْ أَمَارَاتِ السَّاعَةِ: تَقَارُبَ الْأَسْوَاقِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«يُوشِكُ أَنْ لَا تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَتَقَارَبَ الْأَسْوَاقُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ»**، قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: **«الْقَتْلُ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٠٧٢٤)، وابْنُ حِبَّانَ (رقم: ٦٧١٨)، وَهُوَ فِي "الصَّحِيحَةِ" (رقم: ٢٧٧٢).

وَتَقَارُبُ الْأَسْوَاقِ فِي هَذَا الزَّمَانِ بَيِّنٌ جَلِيٌّ، أَكْثَرُ مِنْ أَيِّ زَمَنٍ مَّضَى.

وَمِن نَّعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: سُوقٌ، وَأَيُّ سُوقٍ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٨٣٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ، وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: واللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، واللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا»**.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي وَصْفِ سُوقِ الْجَنَّةِ مِن نُّونِيَّتِهِ:

يَأْتُونَ سُوقًا لَّا يُبَاعُ وَيُشْتَرَى ... فِيهِ فَخُذْ مِنْهُ بِلَا أَثْمَانِ
قَدْ أَسْلَفَ التُّجَّارُ أَثْمَانَ الْمَبِيـ ... ـعِ بِعَقْدِهِمْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
للهِ سُوقٌ قَدْ أَقَامَتْهُ الْمَلَا ... ئِكَةُ الْكِرَامُ بِكُلِّ مَا إِحْسَانِ
فِيهَا الَّذِي واللهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ ... كَلَا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ
كَلَا وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ امْرِئٍ ... فَيَكُونَ عَنْهُ مُعَبِّرًا بِلِسَانِ
فَيَرَى امْرَءًا مِّن فَوْقِهِ فِي هَيْئَةٍ ... فَيَرُوعُهُ مَا تَنظُرُ الْعَيْنَانِ
فَإِذَا عَلَيْهِ مِثْلُهَا إِذْ لَيْسَ يَلْـ ... ـحَقُ أَهْلَهَا شَيْءٌ مِّنَ الْأَحْزَانِ
وَاهَا لِّذَا السُّوقِ الَّذِي مَنْ حَلَّهُ ... نَالَ التَّهَانِيَ كُلَّهَا بِأَمَانِ
يُدْعَى بِسُوقِ تَعَارُفٍ مَّا فِيهِ مِنْ ... صَخَبٍ وَّلَا غِشٍّ وَّلَا أَيْمَانِ
تُجَّارُهُ مَن لَّيْسَ تُلْهِيهِ تِجَا ... رَاتٌ وَّلَا بَيْعٌ عَنِ الرَّحْمَنِ
أَهْلُ الْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ وَالتُّقَى ... وَالذِّكْرِ لِلرَّحْمَانِ كُلَّ أَوَانِ
يَا مَن تَعَوَّضَ عَنْهُ بِالسُّوقِ الَّذِي ... رُكِزَتْ لَدَيْهِ رَايَةُ الشَّيْطَانِ
لَوْ كُنتَ تَدْرِي قَدْرَ ذَاكَ السُّوقِ لَمْ ... تَرْكَنْ إِلَى سُوقِ الْكَسَادِ الْفَانِ

الحرج

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

فَإِنَّ مِمَّا مَنَّ اللهُ ﷻ بِهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ فَأَفْضَلَ، وَأَعْطَاهَا فَأَجْزَلَ: أَن جَعَلَهَا خَيْرَ الْأُمَمِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهَا خَيْرَ الرُّسُلِ، وَأَنزَلَ عَلَيْهِ خَيْرَ الْكُتُبِ، وَجَعَلَ شَرِيعَتَهَا سَمْحَةً مُيَسَّرَةً، وَوَضَعَ عَنْهَا الْحَرَجَ وَالْآصَارَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْأُمَمِ مِن قَبْلِهَا.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾[الحج: ٧٧ - ٧٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ

وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٧].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[البقرة: ٢٨٤]، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»**، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[البقرة:٢٨٦] قَالَ: نَعَمْ. ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. قَالَ: نَعَمْ. ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. قَالَ: نَعَمْ. ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة:٢٨٦]. قَالَ: نَعَمْ.

رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٢٥).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ: **«إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٤٨٥٥، و٢٥٩٦٢).

وَمَظَاهِرُ رَفْعِ الْحَرَجِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

◄ طَهَارَةُ الْبَدَلِ (التَّيَمُّمُ)، قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة: ٦].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ طَهُورُ الْمُسْلِمِ، وَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ عَشْرَ سِنِينَ، فَإِذَا وَجَدَ الْمَاءَ فَلْيُمِسَّهُ بَشَرَتَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢١٣٠٤، و٢١٣٠٥، و٢١٣٧١، و٢١٥٦٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣٣٢، و٣٣٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ١٢٤).(١)

فَشَرَعَ اللهُ لِعِبَادِهِ عِندَ فَقْدِ الْمَاءِ أَوْ عِندَ تَعَذُّرِ اسْتِعْمَالِهِ لِمَرَضٍ وَنَحْوِهِ: التَّيَمُّمَ.

◄ وَمِن مَّظَاهِرِ رَفْعِ الْحَرَجِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَيْضًا: الْعُذْرُ بِشِدَّةِ الْبَرْدِ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجَمَاعَةِ، فَعَنْ نَافِعٍ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَذَّنَ بِالصَّلَاةِ فِي لَيْلَةٍ ذَاتِ بَرْدٍ وَرِيحٍ، فَقَالَ: **«أَلَا صَلُّوا فِي الرِّحَالِ»**، ثُمَّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ الْمُؤَذِّنَ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ بَارِدَةٌ ذَاتُ مَطَرٍ، يَقُولُ: **«أَلَا صَلُّوا فِي الرِّحَالِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

---

(١) وصححه الترمذي، وابن خزيمة (رقم: ٢٢٩٢)، وابن حبان (رقم: ١٣١١، و١٣١٢، و١٣١٣)، والحاكم (رقم: ٦٢٧)، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في "الإرواء"(رقم: ٢٥٨، و٢٥٩) وفي "صحيح أبي داود"(رقم: ٢٥٨، و٢٥٩)، وذكر له شاهدًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البزار (رقم: ١٠٠٦٨) بإسناد صحيح على شرط البخاري.

(٢) البخاري (رقم: ٦٣٢، و٦٦٦)، ومسلم (رقم: ٦٩٧).

وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ (رقم: ١١٦٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ النَّحَّامِ قَالَ: أَذَّنَ مُؤَذِّنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ فِيهَا بَرْدٌ، وَأَنَا تَحْتَ لِحَافِي فَتَمَنَّيْتُ أَنْ يُلْقِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِهِ وَلَا حَرَجَ، قَالَ: «وَلَا حَرَجَ». (١)

◄ وَمِن مَّظَاهِرِ رَفْعِ الْحَرَجِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَيْضًا: التَّيْسِيرُ عَلَى الْحُجَّاجِ فِي أَدَاءِ أَعْمَالِ الْحَجِّ فِي يَوْمِ النَّحْرِ، وَهِيَ الرَّمْيُ وَالنَّحْرُ وَالْحَلْقُ وَطَوَافُ الْإِفَاضَةِ وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، بِعَدَمِ إِيجَابِ التَّرْتِيبِ فِيهَا، فَتَحَرِّي التَّرْتِيبِ فِيهَا أَمْرٌ مُّسْتَحَبٌّ، غَيْرُ وَاجِبٍ.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ بِمِنًى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: لَمْ أَشْعُرْ، فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ؟ فَقَالَ: «**اذْبَحْ وَلاَ حَرَجَ**»، فَجَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: لَمْ أَشْعُرْ، فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ؟ قَالَ: «**ارْمِ وَلاَ حَرَجَ**»، فَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلاَ أُخِّرَ إِلَّا قَالَ: «**افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (٢)

أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْحَرَجِ: الْوُقُوعَ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَجَاءَتِ الْأَعْرَابُ، نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، فَسَكَتَ النَّاسُ لَا يَتَكَلَّمُونَ غَيْرَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَيْنَا حَرَجٌ فِي كَذَا وَكَذَا؟ فِي أَشْيَاءَ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ، لَا بَأْسَ بِهَا، فَقَالَ: «**يَا عِبَادَ اللَّهِ، وَضَعَ اللَّهُ الْحَرَجَ، إِلَّا امْرَءًا اقْتَرَضَ امْرَءًا ظُلْمًا فَذَاكَ الَّذِي حَرِجَ وَهَلَكَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ"(رقم: ٢٩١)، وَأَحْمَدُ (رقم: ١٨٤٥٤)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٤٣٦)، وَزَادَا فِيهِ أَشْيَاءَ.

---

(١) وصححه الحاكم (رقم: ٥١٣٠)، ووافقه الذهبي، وذكره العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١١٦٢).

(٢) البخاري (رقم: ٨٣، و١٢٤، و١٧٣٦، و١٧٣٧، و٦٦٦٥)، ومسلم (رقم: ١٣٠٦).

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ (رقم: ٢٠١٥): قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَاجًّا، فَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَهُ، فَمَنْ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَعَيْتُ قَبْلَ أَنْ أَطُوفَ أَوْ قَدَّمْتُ شَيْئًا أَوْ أَخَّرْتُ شَيْئًا فَكَانَ يَقُولُ: **«لَا حَرَجَ لَا حَرَجَ، إِلَّا عَلَى رَجُلٍ اقْتَرَضَ عِرْضَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ وَهُوَ ظَالِمٌ، فَذَلِكَ الَّذِي حَرِجَ وَهَلَكَ»**.(١)

◄ وَمِن مَّظَاهِرِ رَفْعِ الْحَرَجِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَيْضًا: رَفْعُ الْحَرَجِ عَن ذَوِي الْعَاهَاتِ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَالَ ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح: ١٦ - ١٧].

◄ وَمِن مَّظَاهِرِ رَفْعِ الْحَرَجِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَيْضًا: مَا ذَكَرَهُ اللهُ ﷻ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النور: ٦١].

رَوَى الْبَزَّارُ - كَمَا فِي "كَشْفِ الْأَسْتَارِ"(ج٣/ صـ: ٦١-٦٢) - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرْغَبُونَ فِي النَّفِيرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَدْفَعُونَ

(١) وصححه ابن خزيمة (رقم: ٢٧٧٤، و٢٩٥٥)، وابن حبان (رقم: ٤٨٦، و٦٠٦١)، والحاكم (رقم: ٤١٦، و٧٤٣٠، و٨٢٠٦)، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الضياء في "المختارة"(ج٤/صـ: ١٦٧-١٧٥)(رقم: ١٣٨١ إلى: ١٣٩٠)، والألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ١٧٥٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٢٠).

مَفَاتِيحَهُمْ إِلَى ضُمَنَائِهِمْ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: قَدْ أَحْلَلْنَا لَكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مَا أَحْبَبْتُمْ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّهُ لا يَحِلُّ لَنَا، إِنَّهُمْ أَذِنُوا عَنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾[النور: ٦١].

◄ وَمِن الْحَرَجِ الَّذِي رَفَعَهُ اللهُ ﷻ عَن نَّبِيِّهِ وَعَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَيْضًا: إِبْطَالُ التَّبَنِّي، وَإِبَاحَةُ زَوْجَةِ الدَّعِيِّ، إِذَا طَلَّقَهَا، قَالَ ﷻ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧ - ٤٠].

◄ وَمِن الْحَرَجِ الَّذِي رَفَعَهُ اللهُ ﷻ عَن نَّبِيِّهِ فِي بَابِ النِّكَاحِ مَا ذَكَرَهُ اللهُ ﷻ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٠].

◄ وَمِن مَّظَاهِرِ رَفْعِ الْحَرَجِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَيْضًا: الْإِذْنُ فِي التَّحْدِيثِ عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٤٦١).

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَوْلُهُ: «**وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»، أَيْ: لَا ضِيقَ عَلَيْكُمْ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ تَقَدَّمَ مِنْهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الزَّجْرُ عَنِ الْأَخْذِ عَنْهُمْ وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِهِمْ، ثُمَّ حَصَلَ التَّوَسُّعُ فِي ذَلِكَ، وَكَأَنَّ النَّهْيَ وَقَعَ قَبْلَ اسْتِقْرَارِ الْأَحْكَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْقَوَاعِدِ الدِّينِيَّةِ؛ خَشْيَةَ الْفِتْنَةِ، ثُمَّ لَمَّا زَالَ الْمَحْذُورُ وَقَعَ الْإِذْنُ فِي ذَلِكَ؛ لِمَا فِي سَمَاعِ الْأَخْبَارِ الَّتِي كَانَتْ فِي زَمَانِهِمْ مِنَ الِاعْتِبَارِ، وَقِيلَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: «**لَا حَرَجَ**»: لَا تَضِيقُ صُدُورُكُمْ بِمَا تَسْمَعُونَهُ عَنْهُمْ مِنَ الْأَعَاجِيبِ، فَإِنَّ ذَلِكَ وَقَعَ لَهُمْ كَثِيرًا، وَقِيلَ: لَا حَرَجَ فِي أَنَّ لَا تُحَدِّثُوا عَنْهُمْ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ أَوَّلًا: «**حَدِّثُوا**» صِيغَةُ أَمْرٍ، تَقْتَضِي الْوُجُوبَ، فَأَشَارَ إِلَى عَدَمِ الْوُجُوبِ، وَأَنَّ الْأَمْرَ فِيهِ لِلْإِبَاحَةِ، بِقَوْلِهِ: وَلَا حَرَجَ، أَيْ فِي تَرْكِ التَّحْدِيثِ عَنْهُمْ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ: رَفْعُ الْحَرَجِ عَنْ حَاكِي ذَلِكَ؛ لِمَا فِي أَخْبَارِهِمْ مِنَ الْأَلْفَاظِ الشَّنِيعَةِ، نَحْوَ قَوْلِهِمْ: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة: ٢٤]، وَقَوْلُهُمْ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْلَادُ إِسْرَائِيلَ نَفْسِهِ، وَهُمْ أَوْلَادُ يَعْقُوبَ، وَالْمُرَادُ: حَدِّثُوا عَنْهُمْ بِقِصَّتِهِمْ مَعَ أَخِيهِمْ يُوسُفَ، وَهَذَا أَبْعَدُ الْأَوْجُهِ، وَقَالَ مَالِكٌ: الْمُرَادُ جَوَازُ التَّحَدُّثِ عَنْهُمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ حَسَنٍ، أَمَّا مَا عُلِمَ كَذِبُهُ فَلَا، وَقِيلَ: الْمَعْنَى: حَدِّثُوا عَنْهُمْ بِمِثْلِ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ: جَوَازُ التَّحَدُّثِ عَنْهُمْ بِأَيِّ صُورَةٍ وَقَعَتْ مِنَ انْقِطَاعٍ أَوْ بَلَاغٍ؛ لِتَعَذُّرِ الِاتِّصَالِ فِي التَّحَدُّثِ عَنْهُمْ، بِخِلَافِ الْأَحْكَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَإِنَّ الْأَصْلَ فِي التَّحَدُّثِ بِهَا الِاتِّصَالُ، وَلَا يَتَعَذَّرُ ذَلِكَ لِقُرْبِ الْعَهْدِ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لَا يُجِيزُ التَّحَدُّثَ بِالْكَذِبِ، فَالْمَعْنَى: حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا لَا تَعْلَمُونَ كَذِبَهُ، وَأَمَّا مَا تُجَوِّزُونَهُ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي التَّحَدُّثِ بِهِ عَنْهُمْ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: «**إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ**»(١)، وَلَمْ يَرِدِ الْإِذْنُ وَلَا الْمَنْعُ مِنَ التَّحَدُّثِ بِمَا يُقْطَعُ بِصِدْقِهِ.ا.هـ.

---

(١) البخاري (برقم: ٤٤٨٥، و٧٣٦٢، و٧٥٤٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

◄ وَمِن مَّظَاهِرِ رَفْعِ الْحَرَجِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي بَابِ اللِّبَاسِ: إِبَاحَةُ كَوْنِهِ فِيمَا بَيْنَ أَنصَافِ السَّاقَيْنِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ، لَا جُنَاحَ - أَوْ لَا حَرَجَ - عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ، مَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ، لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١١٠١٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٠٩٣)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٥٧٣).(١)

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَن يَّشْرَحَ بِمَا أَنزَلَهُ اللهُ ﷻ عَلَى رَسُولِهِ صَدْرًا، وَأَن يَّرْضَى بِمَا شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ، وَأَن يَّتَحَاكَمَ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَن يُّسَلِّمَ لِذَلِكَ، مِنْ غَيْرِ كَرَاهَةٍ لَّهُ، وَلَا حَرَجٍ يَّجِدُهُ فِي نَفْسِهِ مِن ذَلِكَ.

قَالَ ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٢ - ٣].

فَضِيقُ الصُّدُورِ وَحَرَجُهَا مِمَّا أَنزَلَهُ اللهُ ﷻ عَلَى رَسُولِهِ ضَلَالٌ مُّبِينٌ، قَالَ ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٥٤٤٦، و٥٤٤٧، و٥٤٥٠)، وذكره العلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (رقم: ٤١٠).

اليد، مواعظ وأحكام

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار:٦-٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين: ٤].

فَمِمَّا امْتَنَّ اللهُ ﷻ بِهِ عَلَى الْإِنسَانِ أَن صَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُوَرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، وَجَعَلَ لَهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَانًا وَّشَفَتَيْنِ، وَيَدَيْنِ، وَرِجْلَيْنِ.

فَالْإِنسَانُ أَحْسَنُ الْمَخْلُوقَاتِ خِلْقَةً؛ بِدَلَالَةِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ.

وَهَذِهِ نِعَمٌ تَسْتَوْجِبُ شُكْرَ اللهِ ﷻ عَلَيْهَا، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَقَدَّرَ فَهَدَى، وَمِن جُمْلَةِ مَا رَكَّبَهُ اللهُ فِي الْإِنسَانِ مِنَ الْأَعْضَاءِ: الْيَدَانِ، وَهُمَا نِعْمَتَانِ جَلِيلَتَانِ.

وَمِمَّا كَرَّمَ اللهُ ﷻ بِهِ آدَمَ أَنْ خَلَقَهُ عَلَى صُورَتِهِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»**.(١)

وَمُجَرَّدُ كَوْنِهِ عَلَى صُورَتِهِ لَا يَقْتَضِي الْمُمَاثَلَةَ، فَكَمَا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، فَقَدْ جَعَلَ فِي الْإِنسَانِ سَمْعًا وَبَصَرًا، وَلَكِن لَّيْسَ سَمْعُ الْمَخْلُوقِ وَبَصَرُهُ كَسَمْعِ اللهِ وَبَصَرِهِ، وَكَمَا أَنَّ للهِ ﷻ يَدَيْنِ، فَقَدْ جَعَلَ لِلْإِنسَانِ يَدَيْنِ، وَلَكِن لَّيْسَتْ أَوْصَافُ الْمَخْلُوقِ الْقَاصِرِ الضَّعِيفِ كَأَوْصَافِ اللهِ ﷻ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَقَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ عِزَّةً وَّحُكْمًا، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فَمِمَّا يَجِبُ الْعِلْمُ بِهِ: أَنَّ للهِ ﷻ يَدَيْنِ، تَلِيقَانِ بِهِ، وَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صِفَاتُ الْكَمَالِ وَنُعُوتُ الْجَلَالِ، قَالَ ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ [الفتح: ١٠]، وَقَالَ ﷻ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣].

وَمِمَّا كَرَّمَ اللهُ بِهِ آدَمَ أَيْضًا أَنَّهُ خَلَقَهُ بِيَدِهِ ﷻ، قَالَ ﷻ لِإِبْلِيسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ﴾ [ص: ٧٥]، بَيْنَمَا خَلَقَ سَائِرَ الْخَلْقِ بِقَوْلِهِ: ﴿كُن﴾.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ: جَاءَ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ، وَالْأَبْيَضُ، وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ، وَالْحَزْنُ، وَالْخَبِيثُ، وَالطَّيِّبُ وَبَيْنَ ذَلِكَ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٩٥٨٢، و١٩٦٤٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤٦٩٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٩٥٥).(٢)

---

(١) البخاري (رقم: ٦٢٢٧)، ومسلم (رقم: ٢٦١٢)(١١٥)، و(رقم: ٢٨٤١).

(٢) قال الترمذي: «حسن صحيح»، وكذا صححه: ابن حبان (رقم: ٦١٦٠، و٦١٨١)، والحاكم (رقم: ٣٠٣٧)، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الألباني في "الصحيحة"(رقم: ١٦٣٠)، وحسنه الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٨١٣).

وَلَا يُعَارَضُ هَذَا بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾[يس: ٧١]، قَالَ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ظَاهِرُهَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْأَنْعَامَ كَمَا خَلَقَ غَيْرَهَا، لَمْ يَخْلُقْهَا بِيَدِهِ، لَكِنْ إِضَافَةُ الْعَمَلِ إِلَى الْيَدِ وَالْمُرَادُ صَاحِبُهَا مَعْرُوفٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم: ٤١]، وَقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، [الأنفال: ٥١]، فَإِنَّ الْمُرَادَ: مَا كَسَبَهُ الْإِنسَانُ نَفْسُهُ وَمَا قَدَّمَهُ وَإِنْ عَمِلَهُ بِغَيْرِ يَدِهِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا قَالَ: عَمِلْتُهُ بِيَدِي، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩]، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مُبَاشَرَةِ الشَّيْءِ بِالْيَدِ.

وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ هَذِهِ الْأَنْعَامَ بِيَدِهِ لَكَانَ لَفْظُ الْآيَةِ: (خَلَقْنَا لَهُم بِأَيْدِينَا أَنْعَامًا)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِالْبَيَانِ لَا بِالتَّعْمِيَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].ا.هـ.

وَمِنْ إِكْرَامِ اللهِ ﷻ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ غَرَسَ كَرَامَتَهُمْ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ بِيَدِهِ، فَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ...»**، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: **«قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»**.

قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، الْآيَةَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٨٩).

وَقَدْ ذُكِرَتِ الْيَدَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيْدِينَآ﴾ بِالْجَمْعِ؛ لِأَنَّ أَقَلَّ الْجَمْعِ اثْنَانِ؛ فَيُحْمَلُ عَلَيْهِ؛ جَمْعًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِثْلِ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، أَوْ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْجَمْعِ التَّعْظِيمُ.

وَذُكِرَتَا بِالْإِفْرَادِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾، وَالْإِفْرَادَ لَا يُنَافِي التَّثْنِيَةَ، وَلَا الْجَمْعَ؛ لِأَنَّ الْمُفْرَدَ الْمُضَافَ يَعُمُّ، فَيَتَنَاوَلُ كُلَّ مَا ثَبَتَ للهِ مِن يَدٍ.

وَلَا يَجُوزُ تَأْوِيلُ صِفَاتِ اللهِ ﷻ، بِتَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَن مَّوَاضِعِهِ، كَتَأْوِيلِ الْيَدَيْنِ بِالْقُدْرَةِ وَالنِّعْمَةِ، بَلْ يَجِبُ إِثْبَاتُهَا، وَإِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ.

وَأَمَّا كَوْنُ الْيَدِ قَدْ يُرَادُ بِهَا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ: الْقُدْرَةُ وَالنِّعْمَةُ، فَنَعَمْ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾ [الذاريات: ٤٧]، ﴿بِأَيۡيْدٖ﴾: أَيْ: بِقُوَّةٍ، وَقُدْرَةٍ عَظِيمَةٍ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩﴾ [الإسراء: ٢٩].

وَقَدْ مَدَحَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ بَعْضَ ذَوِي الْجُودِ - وَلَا يَصْلُحُ أَن يَّكُونَ ذَلِكَ إِلَّا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -:

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوَ انَّهُ ... ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهْ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا ... كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهْ
هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ ... فَلُجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهْ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ ... لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُهْ

وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلاَ يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٧٣١) عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا»**، قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ.(١)

(١) البخاري (رقم: ١٤٢٠)، ومسلم (رقم: ٢٤٥٢).

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: فَأَخَذُوا قَصَبَةً يَذْرَعُونَهَا، فَكَانَتْ سَوْدَةُ أَطْوَلَهُنَّ يَدًا، فَعَلِمْنَا بَعْدُ أَنَّمَا كَانَتْ طُولَ يَدِهَا الصَّدَقَةُ، وَكَانَتْ أَسْرَعَنَا لُحُوقًا بِهِ وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ.

لَكِنَّ هَذَا الْمَعْنَى لَيْسَ هُوَ الْمُرَادَ فِي صِفَةِ الْيَدِ الثَّابِتَةِ للهِ ﷻ فِي نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ أَهْلِ السُّنَّةِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي حَقِّ مَن لَّهُ يَدٌ حَقِيقِيَّةٌ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - كَمَا فِي "مُخْتَصَرِ الصَّوَاعِقِ الْمُرْسَلَةِ"(صـ: ٣٩٨) -: مَتَى أُضِيفَتْ يَدُ الْقُدْرَةِ وَالنِّعْمَةِ إِلَى الْحَيِّ اسْتَلْزَمَتِ الْيَدَ الْحَقِيقِيَّةَ، وَهَذَا اسْتِعْمَالٌ مُطَّرِدٌ، غَيْرُ مُنتَقِضٍ.ا.هـ.

فَإِذَا أُضِيفَتْ إِلَى غَيْرِ الْحَيِّ كَانَتِ الْإِضَافَةُ مِن جِنسِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، كَقَوْلِ لَبِيدٍ:

..... إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

وَقَوْلِ الْمُتَنَبِّي:

وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِندَكَ مِن يَّدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

وَلِأَنَّ صِفَاتِ اللهِ ﷻ صِفَاتُ كَمَالٍ، لَا يَعْتَرِيهَا نَقْصٌ بِوَجْهٍ مِّنَ الْوُجُوهِ فَإِنَّ كِلْتَا يَدَيْهِ ﷻ يَمِينٌ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ١٨٢٧) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَّمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»**.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:٧٥١٣)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٧٨٦).

وَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا (رقم: ٢٦٥٤) عَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»**. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»**.

وَثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **«رَأَيْتُ رَبِّيَ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ، ثُمَّ قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ وَالدَّرَجَاتِ»**، الْحَدِيث.(١)

وَيَمِينُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلْأَى، لَا تَنقُصُهَا نَفَقَةٌ، وَهُوَ يَتَقَبَّلُ بِهَا صَدَقَاتِ عِبَادِهِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الفَيْضُ - أَوِ القَبْضُ - يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٤١٠)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٠١٤).

وَفِي رِوَايَةٍ لِّلْبُخَارِيِّ أَيْضًا (رقم: ٧٤٣٠): **«...وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ...»**.

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: **«فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ، حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ»**.

---

(١) راجع: "الصحيحة"(رقم: ٣١٦٩).

(٢) البخاري (رقم: ٤٦٨٤، و٧٤١١)، ومسلم (رقم: ٩٩٣).

وَهُوَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ لِلْمُسِيئِيْنَ مِنْ عِبَادِهِ؛ لِيَتُوبُوا، فَلمُسْلِمٍ (رقم: ٢٧٥٩) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»**.

وَتَثْنِيَةُ الْيَدَيْنِ، وَاسْتِعْمَالُ لَفْظِ الْيَمِيْنِ، وَذِكْرُ الْهَزِّ وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ، وَذِكْرُ صِفَاتِ الْكَفِّ، وَالسَّاعِدِ، وَالْأَصَابِعِ وَالْأَنَامِلِ لِلرَّحْمَنِ ﷻ، يَقْطَعُ عَلَى أَهْلِ التَّأْوِيلِ تَأْوِيلَهُمْ.(١)

وَمِن كَمَالِ اللهِ ﷻ: أَنَّ كِلْتَا يَدَيْهِ ﷻ يَمِيْنٌ، وَأَمَّا الْمَخْلُوقُ فَلِعَجْزِهِ وَضَعْفِهِ فَإِنَّ يَدَيْهِ يَتَمَيَّزَانِ إِلَى يَمِيْنٍ وَشِمَالٍ.

وَكُرِّمَتْ يَمِيْنُ الْمَخْلُوقِ عَلَى شِمَالِهِ، فَمَا كَانَ مِن بَابِ التَّكْرِيمِ فَالْمَشْرُوعُ مُبَاشَرَتُهُ بِالْيَمِيْنِ، كَالْمُصَافَحَةِ، وَكَذَا يُسْتَحَبُّ الْبَدَاءَةُ بِالْيَمِيْنِ، كَالْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ، وَاللُّبْسِ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا لَبِسْتُمْ، وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ، فَابْدَءُوا بِأَيَامِنِكُمْ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ، (رقم: ٨٦٥٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٤١٤١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(٢)

وَقَالَ فِي غَسْلِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ: **«ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا»**.(٣)

وَكَذَلِكَ فِي تَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، يُبْدَأُ فِيهَا بِالْيَدَيْنِ قَبْلَ الرِّجْلَيْنِ؛ لِأَنَّ الْيَدَيْنِ أَكْرَمُ وَأَشْرَفُ، وَيُبْدَأُ بِالْجِهَةِ الْيُمْنَى قَبْلَ الْيُسْرَى، فَيُبْدَأُ بِخِنصَرِ الْيُسْرَى؛ ثُمَّ السَّبَّابَةِ، ثُمَّ الْوُسْطَى، ثُمَّ الْبِنْصَر، ثُمَّ الْخِنصَر، وَهَكَذَا فِي الرِّجْلَيْنِ؛ لِحَدِيْثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:

---

(١) راجع: "مختصر الصواعق المرسلة"(صـ: ٣٩١-٤٠٧).

(٢) وصححه: ابن خزيمة (رقم: ١٧٨)، وابن حبان (رقم: ١٠٩٠)، والألباني في تعليقه على "المشكاة"(رقم: ٤٠١)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٣٠٣)، وقال: «على شرط البخاري».

(٣) البخاري (رقم: ١٦٧، و١٢٥٤، و١٢٥٥، و١٢٥٦)، ومسلم (رقم: ٩٣٩)(٤٢، و٤٣).

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ، فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَلَا يَجُوزُ تَرْكُ الْأَظْفَارِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: «وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الْإِبِطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، أَن لَّا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (برقم: ٢٥٨).

قَالَ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُٱللَّهُ: وَظَاهِرُ الْأَدِلَّةِ يَقْتَضِي وُجُوبَهَا؛ لِإِطْلَاقِ الْأَحَادِيثِ الْآمِرَةِ بِذَلِكَ؛ وَلِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وَقَّتَ لِلْمُسْلِمِينَ أَن لَّا يَتْرُكُوهَا أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.ا.هـ.(٢)

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ فِي شَرْحِ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا فِي التَّيَمُّنِ: هَذِهِ قَاعِدَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ فِي الشَّرْعِ، وَهِيَ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ بَابِ التَّكْرِيمِ وَالتَّشْرِيفِ كَلُبْسِ الثَّوْبِ وَالسَّرَاوِيلِ وَالْخُفِّ وَدُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالسِّوَاكِ وَالِاكْتِحَالِ وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ وَقَصِّ الشَّارِبِ وَتَرْجِيلِ الشَّعْرِ وَهُوَ مَشْطُهُ وَنَتْفِ الْإِبْطِ وَحَلْقِ الرَّأْسِ وَالسَّلَامِ مِنَ الصَّلَاةِ وَغَسْلِ أَعْضَاءِ الطَّهَارَةِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْخَلَاءِ وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْمُصَافَحَةِ وَاسْتِلَامِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ فِي مَعْنَاهُ يُسْتَحَبُّ التَّيَامُنُ فِيهِ، وَأَمَّا مَا كَانَ بِضِدِّهِ كَدُخُولِ الْخَلَاءِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ وَالِامْتِخَاطِ وَالِاسْتِنْجَاءِ وَخَلْعِ الثَّوْبِ وَالسَّرَاوِيلِ وَالْخُفِّ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَيُسْتَحَبُّ التَّيَاسُرُ فِيهِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِكَرَامَةِ الْيَمِينِ وَشَرَفِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ تَقْدِيمَ الْيَمِينِ عَلَى الْيَسَارِ مِنَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ فِي الْوُضُوءِ سُنَّةٌ، لَوْ خَالَفَهَا فَاتَهُ الْفَضْلُ وَصَحَّ وُضُوءُهُ.ا.هـ.

قُلْتُ: أَمَّا الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ فَالْوَاجِبُ أَن يَّكُونَ بِالْيَمِيْنِ، وَيَحْرُمُ الْأَكْلُ أَوِ الشُّرْبُ بِالشِّمَالِ؛ فعن عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ

(١) البخاري (برقم: ١٦٨، و٤٢٦، و٥٣٨٠، و٥٨٥٤، و٥٩٢٦)، ومسلم (برقم: ٢٦٨).

(٢) "مجموع فتاوى ابن باز" (ج١٠/صـ: ٤٩-٥٠، وج٢٥/صـ: ٣٤٢، وج٢٩/صـ: ٥٠).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٣٧٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٠٢٢).

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢٠٢١) عَن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «**لَا اسْتَطَعْتَ**»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ.

وَلَهُ (رقم: ٢٠٢٠) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ**». وَكَانَ نَافِعٌ يَزِيدُ فِيهَا: «**وَلَا يَأْخُذُ بِهَا، وَلَا يُعْطِي بِهَا**».

وَأَمَّا السِّوَاكُ فَقَدْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْأَفْضَلُ أَنْ يُسْتَاكَ بِالْيُسْرَى؛ نَصَّ عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَد فِي رِوَايَةِ ابْنِ مَنْصُورٍ الْكَوْسَجِ، ذَكَرَهُ عَنْهُ فِي مَسَائِلِهِ، وَمَا عَلِمْنَا أَحَدًا مِنْ الْأَئِمَّةِ خَالَفَ فِي ذَلِكَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الِاسْتِيَاكَ مِنْ بَابِ إمَاطَةِ الْأَذَى فَهُوَ كَالِاسْتِنْثَارِ، وَالِامْتِخَاطِ؛ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ إزَالَةُ الْأَذَى، وَذَلِكَ بِالْيُسْرَى، كَمَا أَنَّ إزَالَةَ النَّجَاسَاتِ كَالِاسْتِجْمَارِ وَنَحْوِهِ بِالْيُسْرَى، وَإِزَالَةُ الْأَذَى وَاجِبُهَا وَمُسْتَحَبُّهَا بِالْيُسْرَى.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنَّ الِاسْتِيَاكَ إنَّمَا شُرِعَ لِإِزَالَةِ مَا فِي دَاخِلِ الْفَمِ، وَهَذِهِ الْعِلَّةُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ؛ وَلِهَذَا شُرِعَ عِنْدَ الْأَسْبَابِ الْمُغَيِّرَةِ لَهُ، كَالنَّوْمِ، وَالْإِغْمَاءِ، وَعِنْدَ الْعِبَادَةِ الَّتِي يُشْرَعُ لَهَا تَطْهِيرٌ، كَالصَّلَاةِ، وَالْقِرَاءَةِ.

وَلَمَّا كَانَ الْفَمُ فِي مَظِنَّةِ التَّغَيُّرِ شُرِعَ عِنْدَ الْقِيَامِ إلَى الصَّلَاةِ، كَمَا شُرِعَ غَسْلُ الْيَدِ لِلْمُتَوَضِّئِ قَبْلَ وُضُوئِهِ؛ لِأَنَّهَا آلَةٌ لِصَبِّ الْمَاءِ.ا.هـ.(١)

وَأَمَّا التَّيَاسُرُ فِي الِاسْتِنجَاءِ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ إِلَّا مِن ضَرُورَةٍ، فَيَحْرُمُ الِاسْتِنجَاءُ بِالْيَمِينِ، وَالتَّمَسُّحُ بِهَا مِنَ الْخَلَاءِ، وَكَذَا يَحْرُمُ مَسُّ الذَّكَرِ بِالْيَمِينِ حَالَ الْبَوْلِ.

(١) "مجموع الفتاوى" (ج٢١/ صـ: ١٠٨-١١١).

فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ، وَلَا يَتَمَسَّحْ مِنَ الْخَلَاءِ بِيَمِينِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَخُرُوجُ الْمُسْتَجْمِرِ بِالْحِجَارَةِ مِنْ هَذَيْنِ النَّهْيَيْنِ يَكُونُ بِإِمْرَارِ الْعُضْوِ بِيَسَارِهِ عَلَى شَيْءٍ يُمْسِكُهُ بِيَمِينِهِ، وَهِيَ قَارَّةٌ غَيْرُ مُتَحَرِّكَةٍ، فَلَا يُعَدُّ مُسْتَجْمِرًا بِالْيَمِينِ وَلَا مَاسًّا بِهَا.(٢)

هَذَا وَإِنَّ غَسْلَ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ أَحَدُ أَرْكَانِ الْوُضُوءِ، بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، فَمِنَ الْكِتَابِ قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[المائدة: ٦].

وَمِنَ السُّنَّةِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّه تَوَضَّأَ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ، فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ قَالَ: «هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٤٦).

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ غَسْلَ الْيَدَيْنِ يَكُونُ مِن رُّؤُوسِ الْأَصَابِعِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ،(٣) وَيَدْخُلُ فِيهِ الْمِرْفَقَانِ، وَكَذَا غَسْلُ الرِّجْلَيْنِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ يَدْخُلُ فِيهِ الْكَعْبَانِ.

وَأَمَّا غَسْلُ الْكَفَّيْنِ أَوَّلَ الْوُضُوءِ فَإِنَّهُ مُسْتَحَبٌّ بِالْإِجْمَاعِ، وَلَا يَجِبُ إِلَّا عِندَ الْقِيَامِ مِنَ النَّوْمِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِن نَّوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي**

---

(١) البخاري (رقم: ١٥٣، و١٥٤، و٥٦٣٠)، ومسلم (رقم: ٢٦٧).

(٢) "فتح الباري"(ج١/ص: ٢٥٤).

(٣) اليد إذا أطلقت لا يُرادُ بها إلا الكف، وإذا قُيِّدَت فعلى ما قُيِّدَت به، قال ابن قدامة في "المغني"(ج١/ص:١١٧): «الحكم المُعَلَّق على مطلق اليد في الشرع لا يتجاوز الكَوْع؛ بدليل قطع السارق، وغسل اليد من نوم الليل، والمسح في التيمم».
وراجع: "الشرح الممتع"(ج١/ص: ١٨٤-١٨٥).

الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٧٨) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٦٢) بِلَفْظِ: **«وَإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاَ يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ»**.

وَالْيَدُ إِذَا أُطْلِقَتْ فَالْمُرَادُ بِهَا الْكَفُّ، وَإِذَا قُيِّدَتْ فَعَلَى مَا قُيِّدَتْ بِهِ، قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الْمُغْنِي"(ج١/صـ:١١٧): «الْحُكْمُ الْمُعَلَّقُ عَلَى مُطْلَقِ الْيَدِ فِي الشَّرْعِ لَا يَتَجَاوَزُ الْكُوعَ؛ بِدَلِيلِ قَطْعِ السَّارِقِ، وَغَسْلِ الْيَدِ مِن نَوْمِ اللَّيلِ، وَالْمَسْحِ فِي التَّيَمُّمِ.ا.هـ.

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ عَلَى رُكْنِيَّةِ غَسْلِ الْيَدَيْنِ فِي الْوُضُوءِ فَقَدْ نَقَلَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنْهُمْ: ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، وَابْنُ حَزْمٍ، وَابْنُ رُشْدٍ، وابْنُ قُدَامَةَ، والنَّوَوِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.(١)

وَلِلْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ أَحْوَالٌ وَشُؤُونٌ، فَيُسْتَحَبُّ رَفْعُهُمَا حَذْوَ الْمَنكِبَيْنِ أَوْ حَذْوَ الْأُذُنَيْنِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلاَةَ، وَإِذَا كَبَّرَ لِلرُّكُوعِ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، رَفَعَهُمَا كَذَلِكَ أَيْضًا، وَكَانَ لاَ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي السُّجُودِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

وَفِي رِوَايَةٍ لِّلْبُخَارِيِّ (رقم: ٧٣٩): وَإِذَا قَامَ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ رَفَعَ يَدَيْهِ.

وَلَهُ (رقم: ٨٢٨) عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: أَنَا كُنْتُ أَحْفَظَكُمْ لِصَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُهُ إِذَا كَبَّرَ جَعَلَ يَدَيْهِ حِذَاءَ مَنْكِبَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ أَمْكَنَ يَدَيْهِ مِنْ رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ هَصَرَ ظَهْرَهُ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ اسْتَوَى حَتَّى يَعُودَ كُلُّ فَقَارٍ مَكَانَهُ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَ يَدَيْهِ غَيْرَ مُفْتَرِشٍ وَلَا قَابِضِهِمَا، وَاسْتَقْبَلَ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ القِبْلَةَ...».

(١) "التمهيد"(ج٤/صـ:٣١)، و"مراتب الإجماع"(صـ: ١٨)، و"بداية المجتهد" (ج١/ صـ: ١٧-١٩)، و"المغني"(ج١/صـ:٩٠)، و"شرح النووي على مسلم"(ج٣/صـ: ١٠٧)، و"المجموع" (ج١/صـ: ٣٨٣).

(٢) البخاري (رقم: ٧٣٦، و٧٣٨)، ومسلم (رقم: ٣٩٠).

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٣٩١) عَن مَّالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا كَبَّرَ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا أُذُنَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا أُذُنَيْهِ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَقَالَ: **«سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»** فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.

وَيُشْرَعُ وَضْعُ الْيَدِ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى حَالَ الْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ قَبْلَ الرُّكُوعِ وَبَعْدَهُ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُؤَخِّرَ سُحُورَنَا، وَنُعَجِّلَ فِطْرَنَا، وَأَنْ نُمْسِكَ بِأَيْمَانِنَا عَلَى شَمَائِلِنَا فِي صَلَاتِنَا»**. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُ.(١)

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ النَّاسُ يُؤْمَرُونَ أَن يَّضَعَ الرَّجُلُ اليَدَ اليُمْنَى عَلَى ذِرَاعِهِ اليُسْرَى فِي الصَّلاَةِ».

وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَصْرِ فِي الصَّلاَةِ»، كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (رقم: ١٢١٩) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٥٤٥) بِلَفْظِ: نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ مُخْتَصِرًا.

وَالِاخْتِصَارُ هُوَ: وَضْعُ الْيَدِ عَلَى الْخَاصِرَةِ.

وَعَنْ زِيَادِ بْنِ صَبِيحٍ الْحَنَفِيِّ، قَالَ: صَلَّيْتُ إِلَى جَنْبِ ابْنِ عُمَرَ، فَوَضَعْتُ يَدَيَّ عَلَى خَاصِرَتَيَّ، فَلَمَّا صَلَّى، قَالَ: «هَذَا الصَّلْبُ فِي الصَّلَاةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) "المعجم الكبير"(ج١١/صـ:١٩٩)(رقم: ١١٤٨٥)، و"صحيح ابن حبان"(رقم: ١٧٧٠)، بإسناد على شرط مسلم، وصححه أيضًا: الضياء المقدسي في "المختارة" (ج١١/صـ:٢٠٩) (رقم:٢٠٠، و٢٠١)، وقال الهيثمي في "المجمع"(ج٢/صـ:١٠٥): «رجاله رجال الصحيح».
وصححه أيضًا: العلامة الألباني في "أصل صفة الصلاة"(ج١/صـ: ٢٠٥-٢٠٧)، وذكر له طرقًا، وشواهد، فراجعها، وراجع أيضًا: "الصحيحة"(رقم: ١٧٧٣).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَنْهَى عَنْهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٤٨٤٩، و٥٨٣٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٩٠٣)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٨٩١).(١)

وَيُسْتَحَبُّ وَضْعُ الْكَفَّيْنِ عَلَى الرُّكْبَتَيْنِ حَالَ الرُّكُوعِ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَبِي حُمَيدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَكَعَ أَمْكَنَ يَدَيْهِ مِنْ رُكْبَتَيْهِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ، كَمَا عِندَ مُسْلِمٍ (رقم: ٣٣٥) مِنْ حَدِيثِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الرُّكَبَ سُنَّتْ لَكُمْ، فَخُذُوا بِالرُّكَبِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٥٨)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ١٠٣٤).(٢)

وَفِي رِوَايَةٍ لِّلْبَيْهَقِيِّ (رقم: ٢٥٤٧): «إِنَّ مِنَ السُّنَّةِ الْأَخْذَ بِالرُّكَبِ».(٣)

وَيُسْتَحَبُّ وَضْعُ الْيَدَيْنِ عَلَى الْأَرْضِ قَبْلَ الرُّكْبَتَيْنِ عِندَ الْخُرُورِ إِلَى السُّجُودِ؛ فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إِذَا قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ لَمْ يَحْنِ أَحَدٌ مِنَّا ظَهْرَهُ، حَتَّى يَقَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا، ثُمَّ نَقَعُ سُجُودًا بَعْدَهُ». رَوَاهُ البخاريُّ (رقم: ٦٩٠، و٨١١)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٤٧٤).

قَالَ شَيْخُنَا حَفِظَهُ اللهُ فِي "الْمَبَادِئِ الْمُفِيدَةِ"(رقم: ٧٧): وَانْحِنَاءُ الظَّهْرِ يَكُونُ فِي النُّزُولِ عَلَى اليَدَيْنِ.ا.هـ.

---

(١) وصححه: الضياء المقدسي في "المختارة"(ج١٣/صـ: ١٨٤)(رقم: ٢٩٢، و٢٩٣)، والألباني في "أصل صفة الصلاة"(ج١/صـ: ٢٢٨-٢٢٩)، وفي "صحيح أبي داود"(رقم: ٨٣٨)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٧٢٩).

(٢) وذكره العلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٩٩١).

(٣) قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في "فتح الباري"(ج٢/صـ: ٢٧٤): وهذا أيضا حكمه حكم الرفع؛ لأن الصحابي إذا قال السنة: «كذا، أو سن كذا»، كان الظاهر انصراف ذلك إلى سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولا سيما إذا قاله مثل عمر.ا.هـ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا سَجَدَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَبْرُكْ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ، وَلْيَضَعْ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ»**. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم: ٨٤٠)، والنسائي (رقم: ١٠٩١).(١)

وَالْيَدَانِ أَحَدُ أَعْضَاءِ السُّجُودِ السَّبْعَةِ الَّتِي أُمِرَ الْمُصَلِّي بالسجود عليها، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ: الْجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرِّجْلَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ، وَلَا نَكْفِتَ الثِّيَابَ، وَلَا الشَّعْرَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٨١٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٤٩٠).

وَأَمَّا فِي الْجِلْسَةِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَفِي جِلْسَةِ التَّشَهُّدِ فَالْمَشْرُوعُ وَضْعُ الْيَدَيْنِ عَلَى الْفَخِذَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَيُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّاحَةِ فِي التَّشَهُّدِ، يَدْعُو بِهَا.

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا جَلَسَ فِي الصَّلَاةِ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَرَفَعَ إِصْبَعَهُ الْيُمْنَى الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ، فَدَعَا بِهَا، وَيَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ بَاسِطَهَا عَلَيْهَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٥٨٠).

وَفِي رِوَايَةٍ: وَضَعَ كَفَّهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى، وَقَبَضَ أَصَابِعَهُ كُلَّهَا وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ، وَوَضَعَ كَفَّهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُسْرَى».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى اسْتِحْبَابِ وَضْعِهَا عِنْدَ الرُّكْبَةِ أَوْ عَلَى الرُّكْبَةِ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ بِعَطْفِ أَصَابِعِهَا عَلَى الرُّكْبَةِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَيُلْقِمُ كَفَّهُ الْيُسْرَى رُكْبَتَهُ»، وَالْحِكْمَةُ فِي وَضْعِهَا عِنْدَ الرُّكْبَةِ مَنْعُهَا مِنَ الْعَبَثِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى»، فَمُجْمَعٌ عَلَى اسْتِحْبَابِهِ.ا.هـ.

---

(١) وصححه عبد الحق الاشبيلي في "الأحكام الكبرى"(ج١/صـ: ٥٤)، وقوَّاه ابن سَيِد الناس، وقال النووي في "المجموع"(ج٣/صـ: ٤٢١)، والزُّرقاني في "شرح المواهب"(ج٧/صـ: ٣٢٠): «إسناده جيد»، وكذا صححه الألباني في "أصل صفة الصلاة"(ج٢/صـ: ٧٢٠-٧٢٤)، وفي "صحيح أبي داود" (رقم: ٧٨٩).

وَمِنْ أَخْطَاءِ بَعْضِ الْمُصَلِّين: أَنَّ تَسْلِيمَهُ مِنَ الصَّلَاةِ يَكُونُ مَصْحُوبًا بِتَلْوِيحِهِ بِأَصَابِعِهِ ضَارِبًا بِهَا عَلَى فَخِذَيْهِ، وَهَذَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْجَانِبَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«عَلَامَ تُومِئُونَ بِأَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟ إِنَّمَا يَكْفِي أَحَدَكُمْ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ ثُمَّ يُسَلِّمُ عَلَى أَخِيهِ مَنْ عَلَى يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٤٣١).

وَمِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ مِّن الْعِبَادَاتِ بِالْيَدَيْنِ: الْمُصَافَحَةُ، وَمَعْنَاهَا فِي اللُّغَةِ: إِلْصَاقُ صَفْحَةِ الْكَفِّ بِالْكَفِّ، مَعَ مُقَابَلَةِ الْوَجْهِ بِالْوَجْهِ.

هَذَا مَعْنَاهَا فِي اللُّغَةِ، وَمَعْنَاهَا شَرْعًا: التَّعَبُّدُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ؛ فَإِنَّهَا عِبَادَةٌ.

وَأَمَّا إِطْلَاقُ الْعَوَامِّ مُسَمَّى: (السَّلَام) عَلَى الْمُصَافَحَةِ فَهُوَ خِلَافُ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ وَالْمَعْنَى الشَّرْعِيِّ لِلْمُصَافَحَةِ، فَلَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ: سَلِّمْ. أَيْ: صَافِحْ!.

وَلِلْمُصَافَحَةِ أَحْكَامٌ، مِنْهَا: أَنَّهَا تَكُونُ بِالْيَدِ الْوَاحِدَةِ مِن كِلَا الْمُتَصَافِحَيْنِ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، الَّذِي يَتَمَشَّى مَعَ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ، وَمَا وَرَدَ فِي الْبَابِ مِنْ أَحَادِيثَ وَآثَارٍ.

وَمِنْهَا: أَنَّهَا تَكُونُ بِالْيَدِ الْيُمْنَى؛ لِأَنَّهَا هُنَا مِن بَابِ التَّكْرِيمِ، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ، وَقَدْ نَقَلَ النَّوَوِيُّ فِي كِتَابِهِ "الْأَذْكَارِ"(صـ: ٢٦٥) الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّهَا سُنَّةٌ عِندَ التَّلَاقِي، وَبَوَّبَ فِي كِتَابِهِ "رِيَاضِ الصَّالِحِيْنَ": (بَاب: اسْتِحْبَابِ الْمُصَافَحَةِ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَبَشَاشَةِ الْوَجْهِ).

وَقَد دَّلَّ عَلَى الْإِجْمَاعِ الْمَذْكُورِ مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٨٥٤٧، و١٨٦٩٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٥٢١٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٧٢٧)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٧٠٣) عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا»**.(١)

(١) وهو في "الصحيحة"(رقم: ٥٢٥) للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٢٦٣) عَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَكَانَتِ الْمُصَافَحَةُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «نَعَمْ».

وَفِي حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ تَوْبَةِ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى صَاحِبَيْهِ، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ، حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، وَاللهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، قَالَ: فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا جَاءَ أَهْلُ اليَمَنِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«قَدْ جَاءَكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ»**. وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِالْمُصَافَحَةِ. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٣٢١٢، و١٣٦٢٤)، وأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٥٢١٣).

وَالْقَائِلُ: (وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِالْمُصَافَحَةِ) هُوَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَمَا جَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ (رقم: ١٢٥٨٢): قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ غَدًا أَقْوَامٌ هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا لِلْإِسْلَامِ مِنْكُمْ»**.

قَالَ: فَقَدِمَ الْأَشْعَرِيُّونَ، فِيهِمْ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ جَعَلُوا يَرْتَجِزُونَ، يَقُولُونَ:

غَدًا نَلْقَى الْأَحِبَّهْ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهْ

فَلَمَّا أَنْ قَدِمُوا تَصَافَحُوا، فَكَانُوا هُمْ أَوَّلَ مَنْ أَحْدَثَ الْمُصَافَحَةَ.

وَهُنَاكَ مُصَافَحَةٌ مُحَرَّمَةٌ، يَجِبُ تَجَنُّبُهَا؛ لِكَوْنِهَا بِدْعَةً أَوْ مَعْصِيَةً.

فَمِنَ الْمُصَافَحَةِ الْبِدْعِيَّةِ: الْمُصَافَحَةُ فِي عَقْدِ النِّكَاحِ بَيْنَ الْمُتَعَاقِدَيْنِ (الرَّجُل وَوَلِيِّ أَمْرِ الْمَرْأَةِ)، الْمَصْحُوبَةُ بِوَضْعِ الْغُتْرَةِ عَلَى الْيَدَيْنِ الْمُتَصَافِحَتَيْنِ حَالَ الْعَقْدِ، وَقِرَاءَةُ الْفَاتِحَةِ عَقِيبَ ذَلِكَ، وَمُنْكَرَاتٌ أُخْرَى سِوَاهَا.

وَمِنْهَا أَيْضًا: تَحَرِّي مُصَافَحَةِ بَعْضِ الْمُصَلِّيْنَ مِن بِجَانِبِهِ عَقِيبَ كُلِّ صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ.

---

(١) البخاري (رقم: ٤٤١٨)، ومسلم (رقم: ٢٧٦٩).

وَمِنَ الْمُصَافَحَةِ الَّتِي هِيَ مَعْصِيَةٌ: مُصَافَحَةُ الْمَرْأَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ، فَعَن مَّعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَأَن يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِّنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ»**. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ (ج٢٠/ص:٢١١)، وَهُوَ فِي "الصَّحِيحَةِ"(رقم: ٢٢٦) لِلْعَلَّامَةِ الْأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَمما يُسْتَحَبُّ فِي النَّوْمِ: أَن يَّكُونَ عَلَى الْجِهَةِ الْيُمْنَى، وَأَن تُوضَعُ الْيَدُ الْيُمْنَى تَحْتَ الْخَدِّ الْأَيْمَنِ، فَعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَامَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قَالَ: **«اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»**.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ قَاهُنَّ ثُمَّ مَاتَ تَحْتَ لَيْلَتِهِ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَفِي رِوَايَةٍ: إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: ...، فَذَكَرَهُ.

وَفِيهَا: **«فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ»**.(٢)

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ (رقم: ٧٤٨٨): **«وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ أَجْرًا»**.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: **«وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيْرًا»**.

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم: ٦٣٢٤) عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: **«بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا»**، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: **«الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»**.

---

(١) البخاري (رقم:٦٣١٥)، ومسلم (رقم:٢٧١٠).

(٢) البخاري (رقم: ٢٤٧، و٦٣١١)، ومسلم (رقم: [٥٦]- ٢٧١٠).

وَمِنَ الْكَرَامَةِ الْأُخْرَوِيَةِ لِلْيَمِيْنِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُؤْتَى كِتَابَهُ بِيَمِيْنِهِ، فَالْمُؤْمِنُونَ أَهْلُ الْيَمِيْنِ، وَالْكَافِرُ يُؤْتَى كِتَابَهُ بِشِمَالِه مِن وَّرَاءِ ظَهْرِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧ ﴾ [الحاقة: ١٩ – ٣٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥ ﴾ [الانشقاق: ٧ – ١٥].

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَلَقَدْ أَجْرَى اللهُ كَرَامَاتٍ عَظِيْمَةً عَلَى أَيْدِي مَن شَاءَ مِنْ أَوْلِيَاءِهِ بِإِظْهَارِ الْحَقِّ، فَجَعَلَ مِن جُمْلَةِ الْآيَاتِ الَّتِي أَيَّدَ بِهَا مُوسَى إِدْخَالُ يَدِهِ فِي جَيْبِهِ فَتَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ.

قَالَ ﷻ: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٠٨ ﴾ [الأعراف: ١٠٨]، و[الشعراء: ٣٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ ﴾ [النمل: ١٢].

وقَالَ ﷻ: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ [القصص: ٣٢].

أَدْخَلَ يَدَهُ فِي دِرْعِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا مِنْهُ بَيْضَاءَ تَتَلَأْلَأُ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ.

وَمِمَّا أَيَّدَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ: تَكْثِيرُ الْقَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، حَتَّى لَقَدْ نَبَعَ الْمَاءُ مِن بَيْنِ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (رقم: ٣٥٧٩) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ المَاءُ، فَقَالَ: **«اطْلُبُوا فَضْلَةً مِن مَّاءٍ»**. فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: **«حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ المُبَارَكِ، وَالبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ»**. فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَصِيبًا مِّنَ الْعَذَابِ الَّذِي تَوَعَّدَ بِهِ أَعْدَاءَهُ وَأَعْدَاءَ رُسُلِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَيْدِي أَوْلِيَاءِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: ١٤ – ١٥].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة: ٥٢].

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ بِطَاعَةِ اللهِ وَاتِّبَاعِ رِضَاهُ يُكْرِمُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَيُصَانُ، وَبِمَعْصِيَتِهِ يُذِلُّهَا وَيُهَانُ، فَمَن ضَيَّعَ فَرَائِضَ اللهِ وَتَعَدَّى حُدُودَهُ فَقَدْ أَلْقَى بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٥١٦) عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي النَّفَقَةِ».

وَعَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ، قَالَ: قَالَ: أَبُو أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ قُلْنَا: هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فَالْإِلْقَاءُ

بِالْأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحَهَا وَنَدَعَ الْجِهَادَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم: ٢٥١٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٩٧٢).(١)

وَالْيَدَانِ مِنَ الْإِنسَانِ إِذَا قُطِعَتَا ظُلْمًا وَّبَغْيًا فَالْقِصَاصُ، أَوِ الدِّيَةُ كَامِلَةٌ، إِن لَّمْ يَكُنْ عَفْوٌ، فَفِي الْيَدَيْنِ دِيَةٌ كَامِلَةٌ، وَفِي إِحْدَاهُمَا نِصْفُ الدِّيَةِ.

لَكِنْ إِذَا سَرَقَ الْإِنسَانُ مَالًا، بِأَنْ أَخَذَهُ خُفْيَةً مِّنْ حِرْزٍ بِغَيْرِ شُبْهَةٍ، وَكَانَتْ قِيْمَتُهُ رُبُعَ دِيْنَارٍ فَصَاعِدًا، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ، بِالِاعْتِرَافِ أَوِ الشَّهَادَةِ عَلَيْهِ فَفِيهِ الْقَطْعُ، حُكْمُ اللهِ ﷻ، قَالَ ﷻ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ البَيْضَةَ، فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ، فَتُقْطَعُ يَدُهُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٧٨٣، و٦٧٩٩)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٦٨٧).

زَادَ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ: قَالَ الأَعْمَشُ: «كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ بَيْضُ الحَدِيدِ، وَالحَبْلُ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْهَا مَا يَسْوَى دَرَاهِمَ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ جَمَاعَةٌ: الْمُرَادُ بِهَا بَيْضَةُ الْحَدِيدِ وَحَبْلُ السَّفِينَةِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُسَاوِي أَكْثَرَ مِنْ رُبْعِ دِينَارٍ، وَأَنْكَرَ الْمُحَقِّقُونَ هَذَا، وَضَعَّفُوهُ، فَقَالُوا: بَيْضَةُ الْحَدِيدِ وَحَبْلُ السَّفِينَةِ لَهُمَا قِيمَةٌ ظَاهِرَةٌ، وَلَيْسَ هَذَا السِّيَاقُ مَوْضِعَ اسْتِعْمَالِهِمَا، بَلْ بَلَاغَةُ الْكَلَامِ تَأْبَاهُ، وَلِأَنَّهُ لَا يُذَمُّ فِي الْعَادَةِ مَنْ خَاطَرَ بِيَدِهِ فِي شَيْءٍ لَهُ قَدْرٌ، وَإِنَّمَا يُذَمُّ مَنْ خَاطَرَ بِهَا فِيمَا

---

(١) قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وصححه أيضًا: ابن حبان (رقم: ٤٧١١)، والحاكم (رقم: ٢٤٣٤، و٣٠٨٨)، وقال: «على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي.
قال الألباني في "الصحيحة"(رقم: ١٣): «وقد وهما؛ فإن الشيخين لم يخرجا لأسلم هذا، فالحديث صحيح فقط». وكذا قال الوادعي في "الصحيح المسند من أسباب النزول" (ص: ٢٧-٢٨).
وذكره الألباني أيضًا في "صحيح أبي داود"(رقم: ٢٢٦٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٣١٥).

لَا قَدْرَ لَهُ، فَهُوَ مَوْضِعُ تَقْلِيلٍ لَا تَكْثِيرٍ، وَالصَّوَابُ أَنَّ الْمُرَادَ التَّنْبِيهُ عَلَى عَظِيمِ مَا خَسِرَ، وَهِيَ يَدُهُ، فِي مُقَابَلَةِ حَقِيرٍ مِنَ الْمَالِ، وَهُوَ رُبْعُ دِينَارٍ، فَإِنَّهُ يُشَارِكُ الْبَيْضَةَ وَالْحَبْلَ فِي الْحَقَارَةِ، أَوْ أَرَادَ جِنْسَ الْبَيْضِ وَجِنْسَ الْحِبَالِ، أَوْ أَنَّهُ إِذَا سَرَقَ الْبَيْضَةَ فَلَمْ يُقْطَعْ جَرَّهُ ذَلِكَ إِلَى سَرِقَةِ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقُطِعَ، فَكَانَتْ سَرِقَةُ الْبَيْضَةِ هِيَ سَبَبُ قَطْعِهِ، أَوْ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ: أَنَّهُ قَدْ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ أَوِالْحَبْلَ، فَيَقْطَعُهُ بَعْضُ الْوُلَاةِ؛ سِيَاسَةً، لَا قَطْعًا جَائِزًا شَرْعًا، وَقِيلَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذَا عِنْدَ نُزُولِ آيَةِ السَّرِقَةِ مُجْمَلَةً مِنْ غَيْرِ بَيَانِ نِصَابٍ، فَقَالَهُ عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.ا.هـ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ إِلَّا فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:٦٧٩١)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٦٨٤).

وَرُبْعُ الدِّينَارِ يُعَادِلُ الْآنَ قِيمَةَ جِرَامٍ وَيَزِيدُ قَلِيلًا مِّنَ الذَّهَبِ (١,٠٦٢٥).

وَقَدِ اعْتَرَضَ بَعْضُ الْمَلَاحِدَةِ، وَهُوَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيُّ عَلَى هَذَا الْحُكْمِ الْإِلَهِيِّ بِقَوْلِهِ:

يَدٌ بِخَمْسِ مِئِيْنٍ عَسْجَدٍ وُّدِيَتْ ... مَا بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارِ
تَنَاقُضٌ مَّا لَنَا إِلَّا السُّكُوتُ لَهُ ... وَنَسْتَجِيرُ بِمَوْلَانَا مِنَ النَّارِ

فَأَجَابَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْغَيْرَةِ عَلَى حُرُمَاتِ الرَّحْمَنِ:

يَدٌ بِخَمْسِ مِئِيْنٍ عَسْجَدٍ وُّدِيَتْ ... لَكِنَّهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارِ
عِزُّ الْأَمَانَةِ أَعْلَاهَا وَأَرْخَصَهَا ... ذُلُّ الْخِيَانَةِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي

ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّ ظُهُورَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ بِذَهَابِ الْبَرَكَاتِ وَقِلَّةِ الْخَيْرَاتِ وَظُهُورِ الْفِتَنِ إِنَّمَا يَكُونُ بِذُنُوبِ الْعِبَادِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ زِنَا الْيَدَيْنِ الْبَطْشُ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٦٥٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَإِذَا دَعَتْكَ قُدْرَتُكَ إِلَى ظُلْمِ النَّاسِ وَالْبَغْيِ عَلَيْهِمْ فَتَذَكَّرْ قُدْرَةَ اللهِ عَلَيْكَ:

وَمَا مِن يَّدٍ إِلَّا يَدُ اللهِ فَوْقَهَا ... وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ

وَالْجَزَاءُ مِن جِنسِ الْعَمَلِ.

فَخَفِ الْقِصَاصَ غَدًا إِذَا وُفِّيتَ مَا ... كَسَبَتْ يَدَاكَ الْيَوْمَ بِالْقِسْطَاسِ

فِي مَوْقِفٍ مَا فِيهِ إِلَّا شَاخِصٌ ... أَوْ مُهْطِعٌ أَوْ مُقْنِعٌ لِلرَّاسِ

أَعْضَاؤُهُمْ فِيهِ الشُّهُودُ وَسِجْنُهُمْ ... نَارٌ وَحَاكِمُهُمْ شَدِيْدُ الْبَاسِ

إِن تُمْطِلِ الْيَومَ الْحُقُوقَ مَعَ الْغِنَى ... فَغَدًا تُؤَدِّيهَا مَعَ الْإِفْلَاسِ

فَمِن جُمْلَةِ الشُّهُودِ عَلَى الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: جَوَارِحُهُ وَأَعْضَاؤُهُ، وَالَّتِي مِنْهَا: الْيَدُ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت: ١٩ - ٢٣]، وَقَالَ ﷻ: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَضَحِكَ، فَقَالَ: **«هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟»**. قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **«مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟»**. قَالَ: **«يَقُولُ: بَلَى»**. قَالَ: **«فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي»**. قَالَ: **«فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا»**. قَالَ: **«فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي»**. قَالَ: **«فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ»**. قَالَ: **«ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ»**. قَالَ: **«فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٩٦٩).

الدخان، مواعظ وأحكام

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الجاثية: ٣].

وَقَدْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا دُخَانًا قَبْلَ أَن يُّسَوِّيَهُنَّ اللهُ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت:٩ – ١٢].

وَالْأَصْلُ فِي الدُّخَانِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ أَنَّهُ مَا تَصَاعَدَ مِن لَهَبِ النَّارِ، لَكِن الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾، هُوَ: بُخَارُ الْمَاءِ، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: وَقَد تَّصَاعَدَ مِنَ الْأَرْضِ حِينَ خَلَقَهَا.

ثُمَّ فَتَقَهُمَا بَعْدَ ذَلِكَ، قَالَ ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ٣٠﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ﴾: أَيْ: كَانَتِ السَّمَاءُ رَتْقًا لَّا تُمْطِرُ، فَفَتَقَهَا بِالْمَطَرِ، وَكَانَتِ الْأَرْضُ رَتْقًا لَّا تُنبِتُ، فَفَتَقَهَا بِالنَّبَاتِ.

فَابْتِدَاءُ أَمْرِ السَّمَاءِ: دُخَانٌ، كَمَا ذَكَرَ اللهُ ﷻ.

وَمُعْظَمُ مَا وَرَدَ فِي النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ مِن ذِكْرِ الدُّخَانِ وَرَدَ فِي سِيَاقِ الْعَذَابِ وَالْعُقُوبَةِ، قَالَ اللهُ ﷻ فِي سُورَةِ الدُّخَانِ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾ [الدخان: ١٠].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: **«إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا»**، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ: **«اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ»**.(١)

وَالدُّخُّ هُوَ: الدُّخَانُ، لُغَةٌ فِيهِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَضْمَرَ لَهُ آيَةَ الدُّخَانِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾.

قَالَ الْقَاضِي: وَأَصَحُّ الْأَقْوَالِ أَنَّهُ لَمْ يَهْتَدِ مِنَ الْآيَةِ الَّتِي أَضْمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا لِهَذَا اللَّفْظِ النَّاقِصِ، عَلَى عَادَةِ الْكُهَّانِ إِذَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ إِلَيْهِمْ بِقَدْرِ مَا يَخْطَفُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ الشِّهَابُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ»**، أَيِ: الْقَدْرَ الَّذِي يُدْرِكُ الْكُهَّانُ مِنَ الِاهْتِدَاءِ إِلَى بَعْضِ الشَّيْءِ وَمَا لَا يَبِينُ مِنْ تَحْقِيقِهِ، وَلَا يَصِلُ بِهِ إِلَى بَيَانٍ وَتَحْقِيقِ أُمُورِ الْغَيْبِ.ا.هـ.

(١) البخاري (برقم: ١٣٥٤، و٣٠٥٥، و٦١٧٣)، ومسلم (برقم: ٢٩٢٤).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا، فَقَالَ: «**اللهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ**». قَالَ: فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ مِنَ الْجُوعِ، وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ أَحَدُهُمْ فَيَرَى كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَبِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللهَ لَهُمْ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١﴾ [الدخان: ١٠-١١]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]، قَالَ: أَفَيُكْشَفُ عَذَابُ الْآخِرَةِ؟ ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝١٦﴾ [الدخان: ١٦]، فَالْبَطْشَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ، وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ، وَآيَةُ الرُّومِ.(١)

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾، أَيْ: بَيِّنٍ وَاضِحٍ، يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ. وَعَلَى مَا فَسَّرَ بِهِ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّمَا هُوَ خَيَالٌ رَأَوْهُ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنْ شَدَّةِ الْجُوعِ وَالْجَهْدِ!. وَهَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾، أَيْ: يَتَغَشَّاهُمْ وَيَعُمُّهُمْ، وَلَوْ كَانَ أَمْرًا خَيَالِيًّا يَخُصُّ أَهْلَ مَكَّةَ الْمُشْرِكِينَ لَمَا قِيلَ فِيهِ: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾.ا.هـ.

وَقَالَ فِي "الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ"(ج١/صـ: ٢٢٤) بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ تَفْسِيرَ ابْنِ مَسْعُودٍ لِلدُّخَانِ: وَهَذَا التَّفْسِيرُ غَرِيبٌ جِدًّا، وَلَمْ يُنْقَلْ مِثْلُهُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ غَيْرِهِ.

وَقَدْ حَاوَلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ رَدَّ ذَلِكَ وَمُعَارَضَتَهُ بِمَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ**»، فَذَكَرَ فِيهِنَّ: «**الدَّجَالَ وَالدُّخَانَ وَالدَّابَّةَ**»، وَكَذَلِكَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا**»، فَذَكَرَ فِيهِنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ، وَالْحَدِيثَانِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مَرْفُوعَانِ، وَالْمَرْفُوعُ مُقَدَّمٌ عَلَى كُلِّ مَوْقُوفٍ.

(١) البخاري (رقم: ١٠٠٧، و٤٨٢٤)، ومسلم (رقم: ٢٧٩٨).

وَفِي ظَاهِرِ الْقُرْآنِ مَا يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ دُخَانٍ مِنَ السَّمَاءِ يَغْشَى النَّاسَ، وَهَذَا أَمْرٌ مُحَقَّقٌ عَامٌّ، وَلَيْسَ كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ خَيَالٌ فِي أَعْيُنِ قُرَيْشٍ مِّن شِدَّةِ الْجُوعِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾، أَيْ: وَاضِحٌ جَلِيٌّ، وليس خَيَالًا مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ.ا.هـ.

هَذَا وَلِنَارِ جَهَنَّمَ دُخَانٌ، نَعُوذُ باللهِ مِنَ النَّارِ وَدُخَانِهَا وَحَرِّهَا وَسَمُومِهَا.

قَالَ ﷻ: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٤١ – ٤٤].

فَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾، أَيْ: مِن دُخَانٍ أَسْوَدَ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ ﴾ [المرسلات: ٢٨ – ٣١].

وَالْمُرَادُ بِالظِّلِّ هُنَا: دُخَان جَهَنَّم، إِذَا ارْتَفَعَ افْتَرَقَ ثَلَاثَ فِرَق؛ لِعِظَمِهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ»**. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (رقم: ١٦٣٣، و٢٣١١)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٣١٠٧، و٣١٠٨، وَمَوَاضِع أُخْرَى)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٢٧٧٤).(١)

وَقَدْ ضُرِبَ بِالدُّخَانِ الْمَثَلُ فِي ضَعَةِ الْمُتَعَالِي عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

تَوَاضَعْ تَكُن كَالنَّجْمِ لَاحَ لِنَاظِرٍ ... عَلَى صَفَحَاتِ الْمَاءِ وَهْوَ رَفِيعُ

وَلَا تَكُ كَالدُّخَانِ يَرْفَعُ نَفْسَهُ ... إِلَى طَبَقَاتِ الْجَوِّ وَهْوَ وَضِيعُ

---

(١) قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه أيضًا: ابن حبان (رقم: ٣٢٥١، و٤٦٠٦، و٤٦٠٧، و٤٦٦٥)، والحاكم (رقم: ٢٣٩٤، و٢٣٩٥، و ٢٣٩٦)، وقال: «على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وتبعهما المنذري في "الترغيب والترهيب"(رقم: ٣٩٣٨).
وصححه أيضًا: الألباني في "صحيح الأدب المفرد"(رقم: ٣٩٣٨).

هَذَا وَإِنَّ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ كَثِيْرٌ مِّنَ النَّاسِ وَحَصَلَ التَّسَاهُلُ فِيهِ فِي أَوْسَاطِ كَثِيْرٍ مِّنَ الْمُسْلِمِيْنَ: شُرْبَ الدُّخَانِ، وَبَيْعَهُ وَشِرَاءَهُ.

وَقِيَامًا بِوَاجِبِ النَّصِيْحَةِ وَالذِّكْرَى؛ هَأَنَذَا أَذْكُرُ فِي هَذَا الْمَقَامِ – إِن شَاءَ اللهُ – الْأَدِلَّةَ الْقَطْعِيَّةَ عَلَى تَحْرِيمِ شُرْبِ الدُّخَانِ، وَكَوْنِهِ مِنَ الْمَحْظُورَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَإِذَا ثَبَتَتْ حُرْمَةُ شُرْبِهِ حَرُمَ بَيْعُهُ وَشِرَاؤُهُ لِلْغَرَضِ الَّذِي حُرِّمَ مِنْ أَجْلِهِ، وَكَذَا حَرُمَتْ زِرَاعَةُ الشَّجَرَةِ الَّتِي يُتَّخَذُ مِنْهَا، وهي: (التُّتُنُ)، أَوِ (التَّبْغُ).

فَأَمَّا تَحْرِيْمُهُ فَإِنَّهُ مِن وُّجُوهٍ:

الأول: أَنَّ الله ﷻ جَعَلَهُ عَذَابًا كَمَا فِي الْأَدِلَّةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَمَا يُعَذَّبُ بِهِ فَإِنَّهُ يَحْرُمُ اسْتِعْمَالُهُ عَلَى الْجِهَةِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا الْعَذَابُ وَالْأَذَى، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللهُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٩٥٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢١١٦) عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: **«لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ»**.

فَأَنكَرَ النَّبِيُّ ﷺ كَوْنَ الْحِمَارِ وُسِمَ فِي الْوَجْهِ؛ لِشَرَفِ الْوَجْهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِّأَحْمَدَ (رقم: ١٤٤٥٩): مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحِمَارٍ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، يُدَخِّنُ مَنْخِرَاهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَن فَعَلَ هَذَا؟ لَا يَسِمَنَّ أَحَدٌ الْوَجْهَ، لَا يَضْرِبَنَّ أَحَدٌ الْوَجْهَ»**.

وَقَوْلُهُ: «يُدَخِّنُ»، أَيْ: أَصَابَهُ دُخَانٌ.

الثَّانِي: أَنَّهُ حَرَامٌ مِّنْ حَيْثُ أَجْزَاؤُهُ، قَالَ الشَّيْخُ خَالِدُ بْنُ أَحْمَدَ مِن فُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ – كَمَا فِي "فَتْحِ الْعَلِيِّ الْمَالِكِ"(ج١/ص: ١٢٣) –: اسْتِعْمَالُ الدُّخَانِ – أَيْ: شُرْبُهُ، بِإِدْخَالِهِ إِلَى الْجَوْفِ – حَرَامٌ كَأَصْلِهِ مِنَ الْخَشَبِ وَالنَّارِ؛ لِأَنَّهُ أَجْزَاءُ الْخَشَبِ، وَهِيَ مَمْزُوجَةٌ بِأَجْزَاءٍ مِّنَ النَّارِ؛ لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]، فَدَلَّ عَلَى تَحْرِيمِ النَّارِ.ا.هـ.

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٦٢٨) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْوُهُ، وَلَفْظُهُ: «**شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللهُ أَجْوَافَهُمْ، وَقُبُورَهُمْ نَارًا**»، أَوْ قَالَ: «**حَشَا اللهُ أَجْوَافَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا**».

والوجه الثالث من وجوه تحريم شرب الدخان: مَا فِيهِ مِنَ الْأَضْرَارِ، قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِيْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُوَ الشَّرَابُ الَّذِي لَا يُنكَرُ مَا فِيهِ مِن ضَرَرٍ فِي الْبَدَنِ وَالْمَالِ وَالْمُجْتَمَعِ وَالدِّينِ.

أَمَّا ضَرَرُهُ فِي الْبَدَنِ فَإِنَّهُ يُضْعِفُ الْبَدَنَ، وَيُضْعِفُ الْقَلْبَ، وَيُحْدِثُ مَرَضَ السَّرَطَانِ وَالسِّلِّ وَالسُّعَالِ، وَيُفْضِي إِلَى الْمَوْتِ كَمَا يُشَاهَدُ ذَلِكَ كَثِيرًا، وَكَمَا قَرَّرَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِّنَ الْمُخْتَصِّينَ، وَشَهِدَ بِهِ الْأَمْرُ الْوَاقِعُ، فَكَم مِّنْ إِنسَانٍ أَنْهَكَ جِسْمَهُ وَأَفْسَدَ صِحَّتَهُ وَقَتَلَ نَفْسَهُ بِمَا تَعَاطَاهُ مِنْ هَذَا الدُّخَانِ، وَلَا تَغْتَرُّوا بِمَا يُرَى مِن بَعْضِ النَّاسِ الَّذِينَ يَشْرَبُونَهُ وَأَجْسَامُهُمْ سَلِيمَةٌ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُدَخِّنِينَ لَيْسُوا بِحَسَبِ مَظْهَرِهِمْ، وَاسْأَلْهُم مَّاذَا يَحْدُثُ لَهُم مِّن قِلَّةِ الشَّهِيَّةِ وَكَثْرَةِ السُّعَالِ وَالنَّزَلَاتِ الصَّدْرِيَّةِ وَالْفُتُورِ الْعَامِّ وَالتَّعَبِ الشَّدِيدِ عِندَ أَقَلِّ عَمَلٍ وَّكُلْفَةٍ، وَلَوْ أَقْلَعُوا عَن شُرْبِهِمْ لَحَصَلَ لَهُم مِّنَ الْقُوَّةِ وَالنَّشَاطِ مَا لَمْ يَكُونُوا عَلَيْهِ حِينَ شُرْبِ الدُّخَانِ.ا.هـ.

قُلْتُ: وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ مُصَنِّعِي الدُّخَانِ (السَّجَائِرِ) يُلْزَمُون بِكِتَابَةِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ عَلَى كُلِّ عُلْبَةٍ مِّنْ عُلَبِ السَّجَائِرِ (بَاكِتْ): التَّدْخِينُ سَبَبٌ رَّئِيسِيٌّ لِّأَمْرَاضِ السَّرَطَانِ وَالْقَلْبِ وَالرِّئَتَيْنِ وَتَصَلُّبِ الشَّرَايِينِ!.

وَرُبَّمَا كَتَبُوا: (التَّدْخِينُ سَبَبٌ لِّلْوَفَاةِ الْمُبَكِّرَةِ!)، فَيَحْكُمُونَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْإِثْمِ!.

(١) البخاري (رقم: ٢٩٣١، و٤٥٣٣، و٦٣٩٦)، ومسلم (رقم: ٦٢٧).

وَبَعْضُ النَّاسِ يُسَمِّي التَّدْخِينَ: (الِانتِحَارَ الْبَطِيءَ)؛ لِأَنَّهُ يُنْهِكُ الْجِسْمَ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَجِسْمُكَ أَمَانَةٌ عِندَكَ، فَلَيْسَ لَكَ أَن تَتَصَرَّفَ فِيهِ بِمَا يُفْسِدُهُ.

وَمِن مَّضَارِّ التَّدْخِينِ عَلَى الْبَدَنِ أَيْضًا: تَأْثِيرُهُ عَلَى الْأَسْنَانِ، بِاصْفِرَارِهَا.

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَأَمَّا ضَرَرُهُ فِي الْمَالِ فَاسْأَلْ مَن يَّشْرَبُهُ مَاذَا يُنفِقُهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي شُرْبِهِ، وَلَوْ كَانَ يُنفِقُ هَذَا الْمَالَ فِيمَا يَعُودُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ بِالنَّفْعِ مِنَ الطَّعَامِ الطَّيِّبِ وَالشَّرَابِ الْحَلَالِ وَاللِّبَاسِ الْمُبَاحِ لَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَّهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَلَكِنَّهُ يُنفِقُ الْكَثِيرَ فِي هَذَا الدُّخَانِ الَّذِي لَا يَعُودُ عَلَيْهِ إِلَّا بِالضَّرَرِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ.ا.هـ.

وَالْإِنسَانُ مَسْؤُولٌ عَن مَّالِهِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»**. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (رقم:٢٤١٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَلَهُ شَوَاهِدُ، وَهُوَ فِي "الصَّحِيحَةِ"(رقم: ٩٤٦).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣١١٨) عَنْ خَوْلَةَ الأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ»**.

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَمَّا مَا انتَفَعَ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الِاتِّجَارِ بِهِ وَالتَّكَسُّبِ فَلَبِئْسَ مَا كَسَبُوا حَرَامًا، وَاكْتَسَبُوا آثَامًا، وَإِنَّهُمْ لَأَغْنِيَاءُ الْمَالِ، فُقَرَاءُ الْقُلُوبِ، وَاجِدُونَ فِي الدُّنْيَا، عَادِمُونَ لِمَا كَسَبُوهُ مِنَ الْحَرَامِ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُمْ إِن تَصَدَّقُوا بِهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُمْ، وَإِنْ أَنفَقُوهُ لَمْ يُبَارَكْ لَهُمْ فِيهِ، وَإِنْ أَخْلَفُوهُ كَانَ زَادًا لَّهُمْ إِلَى النَّارِ، لَا يَدْرُونَ مَتَى يَأْتِيهِمُ الْمَوْتُ، فَيُفَارِقُونَ أَمْوَالَهُمْ أَشَدَّ مَا يَكُونُونَ بِهَا تَعَلُّقًا وَأَعْظَمَ مَا يَكُونُونَ بِهَا طَمَعًا، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَتَلَقَّاهَا الْوَارِثُ، لَهُ غُنْمُهَا وَعَلَى مُخَلِّفِهَا غُرْمُهَا، وَإِنَّ الْفَقْرَ لَخَيْرٌ مِّن مَّالٍ يَكْسِبُهُ الْإِنسَانُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ.

أَمَّا مَضَارُّ الدُّخَانِ الِاجْتِمَاعِيَّةُ: فَإِنَّ تَفَشِّيَ الْأُمُورِ الضَّارَّةِ فِي الْمُجْتَمَعِ تُوجِبُ فَسَادَ الْمُجْتَمَعِ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِّمَّن يَّشْرَبُونَهُ الْآنَ لَا يُبَالُونَ بِانتِشَارِهِ بَيْنَ النَّاسِ، بَل رُّبَّمَا يَفْرَحُ

بَعْضُهُم بِانتِشَارِهِ وَكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ وَتَعَاطِيهِ؛ لِيَتَسَلَّى بِغَيْرِهِ وَتَهُونَ مُصِيبَتُهُ، وَلِذَلِكَ كَانُوا يَشْرَبُونَ أَمَامَ النَّاسِ وَأَمَامَ أَوْلَادِهِمُ الصِّغَارِ، وَهَذَا لَا شَكَّ يُهَوِّنُ شُرْبَهُ عِندَ الصِّغَارِ، وَيُؤَدِّي إِلَى نَتِيجَةٍ حَتْمِيَّةٍ، وَهِيَ أَنَّ الصَّغِيرَ إِذَا اعْتَادَهُ مِن صِغَرٍ فَتَكَ بِهِ فَتْكًا أَعْظَمَ، ثُمَّ لَا يَسْتَطِيعُ الْخَلَاصَ مِنْهُ عِندَ كِبَرِهِ، وَكَمْ حَصَلَ مِنْ أَعْقَابِ السَّجَائِرِ وَهِيَ بَقِيَّةُ السَّجَائِرِ الَّتِي يُلْقُونَهَا فِي الْأَرْضِ كَمْ حَصَلَ بِهَا مِنْ أَضْرَارٍ وَأَمْرَاضٍ مُعْدِيَةٍ لِمَن يَأْخُذُونَهَا وَيَشْرَبُونَهَا.

وَأَمَّا مَضَارُّهُ الدِّينِيَّةُ: فَإِنَّ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ عَرَفُوا مَصَادِرَ الشَّرِيعَةِ وَمَوَارِدَهَا وَسَلِمُوا مِنَ الْهَوَى قَد تَّبَيَّنَ لَهُمْ تَحْرِيمُهُ مِنْ عُمُومَاتِ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ وَقَوَاعِدِ الدِّينِ الْمَرْعِيَّةِ، وَإِذَا كَانَ حَرَامًا كَانَ فِعْلُه مَعْصِيَةً للهِ وَلِرَسُولِهِ، وَكُلُّ مَعْصِيَةٍ للهِ وَلِرَسُولِهِ فَإِنَّهَا ضَرَرٌ فِي الدِّينِ فَإِنَّ الْإِيمَانَ يَنقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، كَمَا يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ.ا.هـ.(١)

وَمِن مَّضَارِّهِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ أَيْضًا: أَنَّهُ يُسَبِّبُ الْإِضْرَارَ بِالْآخَرِينَ، وَهَذَا مَعْلُومٌ عِندَ النَّاسِ، أَنَّ الَّذِي يُجَالِسُ الْمُدَخِّنِينَ يَتَضَرَّرُ بِشَمِّ الدُّخَانِ، حَتَّى وَإِن كَان لَا يُدَخِّنُ.

فَمِن إِيذَاءِ النَّاسِ شُرْبُ الدُّخَانِ، سَوَاءٌ فِي الْبَيْتِ، أَوْ فِي خَارِجِ الْبَيْتِ، فِي الطَّرِيقِ، أَوْ فِي السَّيَّارَةِ، أَوْ فِي الْمَجَالِسِ، أَوْ فِي مَكَانِ الْعَمَلِ، وَسَوَاءٌ أَكَانَ سِيجَارَةً أَوْ مَدَعًا (مَدَاعَةً)، أَوْ شِيشَةً (مُعَسِّلًا)!، أ

وَهَذَا الضَّرَرُ يَشْمَلُ الضَّرَرَ عَلَى صِحَّةِ الْبَدَنِ، وَيَشْمَلُ التَّأَذِّي بِرَائِحَةِ الدُّخَانِ الْكَرِيهَةِ، الَّتِي تَتَأَذَّى مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ، وَيَتَأَذَّى مِنْهَا وغَيْرُ الْمُدَخِّنِ؛ فَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم:٥٦٤).

وَلَا شَكَّ فِي حِلِّ الْبَصَلِ وَالثُّومِ وَالْكُرَّاثِ، فَرَائِحَتُهَا رَائِحَةُ أَشْيَاءَ مُبَاحَةٍ، لَكِنَّهَا مُسْتَقْذَرَةٌ، فَكَيْفَ بِرَائِحَةِ الدُّخَانِ الْمَحْظُورِ؟!.

---

(١) "الضياء اللامع"(ج٢/صـ: ٢٧٩-٢٨٠).

وَرُبَّمَا أَثَّرَتِ السَّجَائِرُ عَلَى الثِّيَابِ بِإِحْرَاقِهَا، أَوْ بِإِضْفَاءِ رَائِحَةِ الدُّخَانِ عَلَيْهَا.

وَكَذَلِكَ أَعْقَابُ السَّجَائِرِ، الَّتِي يُلْقُونَهَا فِي الْأَرْضِ، قَدْ يَحْصُلُ بِهَا ضَرَرٌ، وَذَلِكَ بِنَقْلِ الْأَمْرَاضِ الْمُعْدِيَةِ إِلَى مَن يَّأْخُذُهَا مِنَ الصِّغَارِ وَيَشْرَبُهَا.

هَذَا وَإِنَّ مِن جُمْلَةِ الْمُفَطِّرَاتِ الَّتِي يُفْطِرُ بِهَا الصَّائِمُ: شُرْبَ الدُّخَانِ وَتَعَاطِيَ الشَّمَّةِ، وَهُمَا مُحَرَّمَانِ عَلَى الصَّائِمِ وَغَيْرِهِ، وَمِنَ الْجَهْلِ وَالْهَوَى إِلْحَاقُ الدُّخَانِ بِالْبَخُورِ وَقِيَاسُهُ عَلَيْهِ فِي جَوَازِ اسْتِعْمَالِهِ، وَهُوَ قِيَاسٌ مَعَ الْفَارِقِ.

وَلَا يَلْزَمُ مِن كَوْنِ التَّدْخِينِ مُفَطِّرًا أَن يَّكُونَ اسْتِنشَاقُ الْبَخُورِ كَذَلِكَ، وَذَلِكَ مِن وَّجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: الاخْتِلَافُ فِي اسْتِعْمَالِهِمَا؛ وَلِهَذَا يُقَالُ فِي اسْتِعْمَالِ الدُّخَانِ: (شُرْبُ الدُّخَانِ)، بَيْنَمَا لَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْبَخُورِ؛ والدُّخَانُ يُجْذَبُ فِي الْأَصْلِ عَن طَرِيْقِ الْفَمِ، بِخِلَافِ اسْتِنشَاقِ الْبَخُورِ؛ فَإِنَّ الْأَصْلَ فِيْهِ اسْتِنشَاقُهُ عَن طَرِيْقِ الْأَنفِ.

الثَّانِي: الْبَخُورُ مُبَاحٌ بِالْإِجْمَاعِ، بَلْ يُسْتَحَبُّ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الطِّيْبِ، وَالدُّخَانُ الْمَشْرُوبُ مِنَ الْمُسْتَخْبَثَاتِ الَّتِي تَضُرُّ بِالْبَدَنِ وَالْمَالَ وَالدِّيْنِ وَالْمُجْتَمَعِ، وَهُوَ إِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَ الْأَلْفِ مِنَ الْهِجْرَةِ (عَامَ ١٠١٠هـ تَقْرِيْبًا)؛ وَلِهَذَا لَمْ يَكُن فِيْهِ نصٌّ لِلْمُتَقَدِّمِيْنَ؛ لِعَدَمِ وُجُودِهِ فِي زَمَنِهِمْ، وَأَوَّلُ مَن جَلَبَهُ إِلَى بَرِّ الرُّومِ: الْإِنكِلِيزُ النَّصَارَى، وَأَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَهُ بِأَرْضِ الْمَغْرِبِ رَجُلٌ يَّهُودِيٌّ، ثُمَّ جُلِبَ إِلَى مِصْرَ، وَالْحِجَازِ، وَكَانَ حُدُوثُهُ فِي مِصْرَ فِي زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ اللَّقَّانِيِّ، فَأَفْتَى بِتَحْرِيمِهِ، وَأَلَّفَ فِيهِ، وَنَسَبَ تَحْرِيمَهُ لِلشَّيْخِ سَالِمٍ السَّنْهُورِيِّ، وَتَبِعَهُ الْقُرَشِيُّ وَجَمَاعَاتٌ.[1]

---

(١) "فتح العلي المالك"(ج١/صـ:١٨٩-١٩٠).

وللشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رسالة ماتعة نفيسة في تحريم شرب الدخان، راجعها في: "مجموع فتاواه ورسائله"(ج١٢/صـ: ٧٨-٨٥).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَجَنِّبُوا أَنفُسَكُمْ وَنِسَائَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ شُرْبَ السِّيجَارَةِ وَالْمِدَعِ، وَتَعَاطِيَ الشَّمَّةِ، فَإِنَّ تَعَاطِيَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُحَرَّمَةِ مِنْ أَمَارَاتِ دُنُوِّ الْهِمَّةِ!.

قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[التحريم: ٦].

وَفِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١).

وَنَنصَحُ تُجَّارَ الْمُسْلِمِينَ أَن لَّا يَجْلِبُوا السَّجَائِرَ، وَلَا الشَّمَّةَ، وَلَا التُّتَنَ، وَلَا الْمِدَعَ، وَلَا الْمُعَسَّلَ، وَلَا قِطَعَ غِيَارِهَا، وَلَا مَوَادَّهَا، فَلَا بَرَكَةَ فِي ذَلِكَ، وَالشَّيْءُ إِذَا كَانَ مُحَرَّمًا تَنَاوُلُهُ وَتَعَاطِيهِ، حَرُمَ بَيْعُهُ وَشِرَاؤُهُ، وَسَيُغْنِيهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ بِالْمُبَاحِ الطَّيِّبِ.

وَمَن مَّنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِالسَّلَامَةِ مِنَ التَّدْخِينِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَلْيَسْأَلْهُ الثَّبَاتَ عَلَيْهَا، وَأَن يَّدْعُوَ اللهَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْعِصْمَةِ مِنْهُ.

وَمَنِ ابْتُلِيَ بِشُرْبِ الدُّخَانِ فَلْيَبْذُلِ الْأَسْبَابَ الَّتِي يُعِينُهُ اللهُ ﷻ بِهَا عَلَى الْإِقْلَاعِ عَن شُرْبِهِ، وَذَلِكَ:

- بِالْوُقُوفِ عَلَى أَضْرَارِهِ وَمَفَاسِدِهِ، وَلْيَتَأَمَّلْ ذَلِكَ، لِيَكُونَ حَادِيًا لَهُ إِلَى الْإِقْلَاعِ عَنْهُ.
- وَبِدُعَاءِ اللهِ أَن يُّعِينَهُ عَلَى تَرْكِ الدُّخَانِ.
- وَبِقُوَّةِ الْعَزِيمَةِ وَصِدْقِ النِّيَّةِ.
- وَاجْتِنَابِ الْمَجَالِسِ الَّتِي يُشْرَبُ فِيهَا الدُّخَانُ.

---

(١) البخاري (رقم:٧١٣٨، ومواضع)، ومسلم (رقم:١٨٢٩).

◄ وَالتَّسَلِّي عَنْهُ بِمَا أَبَاحَ اللهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَمَا أَكْثَرَ الطَّيِّبَاتِ وَالْمُبَاحَاتِ، وَلَوْ: بِاللُّبَانِ وَالْفِصْفِصِ (الزَّعْقَةِ)، وَأَيْنَ الدُّخَانُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُبَاحَةِ؟!.

◄ وَبِاسْتِعْمَالِ السِّوَاكِ؛ فَالسِّوَاكُ عِبَادَةٌ وَقُرْبَةٌ، وَفَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ، لَوْ لَمْ يَكُن مِّنْهَا إِلَّا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٤٢٠٣، و٢٤٩٢٥)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٥) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.(١)

فَمَن نَّصَحَكَ بِتَرْكِ الدُّخَانِ فَإِنَّمَا يَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ حُبُّ الْخَيْرِ لَكَ، وَالْحِرْصُ عَلَى إِزَالَةِ الضَّرَرِ وَأَسْبَابِهِ عَنكَ، فَتَقَبَّلْ نُصْحَهُ، حَتَّى وَإِنْ أَغْلَظَ لَكَ فِي النَّصِيحَةِ.

فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِن قَبِلْتَ نَصِيحَتِي ... فَالنُّصْحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

(١) علقه البخاري في صحيحه (كتاب الصوم/ باب سواك الرطب واليابس للصائم)، بصيغة الجزم، وصححه: ابن خزيمة (رقم: ١٣٥)، وابن حبان (رقم: ١٠٦٧)، والألباني رَحِمَهُ اللَّهُ. وفي الباب عن صحابة آخرين، راجع: "الإرواء" (رقم: ٦٧)، و"الصحيحة" (رقم: ٢٥١٧).

الجوع، مواعظ وأحكام

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ [الذاريات: ٢٢].

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾: يَعْنِي: الْمَطَرَ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ جَعَلَهُ سَبَبًا لِّلنَّبَاتِ الَّذِي هُوَ رِزْقٌ لِّلْعِبَادِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ﴾[البقرة: ٢٢]، و[إبراهيم: ٣٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾ [ق: ٩ – ١١].

وَلِهَذَا سَمَّى اللهُ ﷻ الْمَطَرَ رِزْقًا، قَالَ ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ [غافر: ١٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٥].

وَقِيلَ: الْمُرَادُ: فِي السَّمَاءِ تَقْدِيرُ رِزْقِكُمْ.

وَهَذَا حَقٌّ، وَهُوَ لَا يُنَافِي الْقَوْلَ الْأَوَّلَ، فَكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ صَحِيحٌ.

ثُمَّ قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾، يَعْنِي: الْجَنَّةَ؛ فَقَدْ كَانَ بِهَا رِزْقُ أَبِينَا آدَمَ قَبْلَ أَن يُخْرَجَ مِنْهَا، وَفِيهَا أَيْضًا أَرْزَاقُ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَيَاتِهِمُ الْأُخْرَوِيَّةِ الْأَبَدِيَّةِ.

قَالَ ﷻ مُخَاطِبًا آدَمَ وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١١٨ – ١٢٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم: ٦٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر: ٤٠].

وَالشَّيْطَانُ عَدُوٌّ لِّلْإِنسَانِ مُبِينٌ، كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦]، و[الأعراف: ٢٤]، و[طه: ١٢٣]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٥ – ٦].

وَمِنْ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِلْإِنسَانِ صَدُّهُ عَنِ الْهُدَى، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: ٣٧].

وَمِنْ عَدَاوَتِهِ أيضًا أَنَّهُ يَعِدُ الْفَقْرَ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا ﷻ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فَكَمَا أَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لِّلْإِنسَانِ بِصَدِّهِ عَنِ الْهِدَايَةِ فَهُوَ أَيْضًا عَدُوٌّ لَّهُ فِي صَدِّهِ عَنْ أَسْبَابِ تَحْصِيلِ الرِّزْقِ الطَّيِّبِ.

وَقِيلَ فِي مَعْنَى: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: أَيْ: مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَقِيلَ: مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، قَالَ عَطَاءٌ.

وَقِيلَ: مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

وقَالَ ابْنُ سِيرِينَ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: مَا تُوعَدُونَ مِنْ أَمْرِ السَّاعَةِ.

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالْأَوْلَى الْحَمْلُ عَلَى مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ، فَإِنَّ جَزَاءَ الْأَعْمَالِ مَكْتُوبٌ فِي السَّمَاءِ، وَالْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ يَنْزِلُ مِنْهَا، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ فِيهَا».

وَهَذِهِ الْأَرْزَاقُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَالْأُخْرَوِيَّةُ وَالْبَرَكَاتُ اللَّدُنِّيَّةُ لَا تُنَالُ إِلَّا بِطَاعَةِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦].

وَالْمُتَأَمِّلُ فِي أَحْوَالِنَا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ يَجِدُ أَنَّ الْبَرَكَاتِ قَدْ قَلَّتْ وَأَنَّ خَيْرَاتٍ كَثِيرٍ مِّنْ أَرَاضِيهَا الْمَزْرُوعَةِ قَدْ ذَهَبَتْ وَاضْمَحَلَّتْ، فَيَا أَسَفَى عَلَيْهَا إِذْ تَوَلَّتْ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدِ اسْتَهَانَ بِهِمْ أَعْدَاؤُهُمْ، فَاسْتُضْعِفَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَأُذِلَّتْ.

قَدْ تَنَاهَتْ فِي بَلَائِي حِيلَتِي ... وَبَلَائِي كُلُّهُ مِنْ قِبَلِي
كُلَّمَا قُلْتُ تَجَلَّتْ غُمَّتِي ... عُدْتُ فِي ثَانِيَةٍ لا تَنْجَلِي
لَعِبَتْ بِي شَهَوَاتِي وَانْقَضَتْ ... لِي حَيَاتِي فِي غُرُورِ الأَمَلِ
وَأَحَلَّتْ بِي ذُنُوبِي سَقَمًا ... كَيْفَ لِي بِالْبُرْءِ مِنْهُ كَيْفَ لِي

قَلَّتِ الْأَمْطَارُ، وَفَشَتِ الْأَخْطَارُ، وَطَارَ مِن شَرَرِ الْفِتَنِ مَا طَارَ، وَتَعَسَّرَ نَيْلُ الْأَوْطَارِ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ، وَالْمُسْلِمُونَ يَنتَظِرُونَ فَرَجَ اللهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

أَلَا هَلْ مِن رُّجُوعٍ إِلَى الْوَاحِدِ وَالْقَهَّارِ، أَيْنَ اللَّهَجُ بِالِاسْتِغْفَارِ؟!، ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ – ١٢].

كَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مُنتَصَفِ الْقَرْنِ الْمَاضِي تَقْرِيبًا فِي الْمَنَاطِقِ الرِّيفِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ مُعْظَمَ الْبُلْدَانِ فِي نِعَمٍ وَّخَيْرَاتٍ، الْأَمْطَارُ تَنزِلُ عَلَيْهِمْ، حَتَّى إِنَّهَا رُبَّمَا نَزَلَتْ فِي مِثْلِ الْبِلَادِ الْيَمَنِيَّةِ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ، فَيَزْرَعُونَ الذُّرَةَ بِأَنْوَاعِهَا وَالدُّخْنَ وَالْفَاصُولِيَا وَالدُّبَّاءَ، وَرُبَّمَا

مَلَأَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ عِدَّةَ بَرَامِيلَ مِنَ الْحَبِّ، فَيَأْكُلُونَ مِنْ خَيْرِ أَرْضِهِمُ الَّذِي وَهَبَهُ اللهُ لَهُمْ، وَلَهُمْ أَبْقَارٌ وَّأَغْنَامٌ، يَأْكُلُونَ مِن لُّحُومِهَا وَيَشْرَبُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا، وَيَتَحَصَّلُونَ عَلَى السَّمْنِ مِنْهَا، وَلَهُمْ دِجَاجٌ، يَأْكُلُونَ مِن لَّحْمِهَا وَيَتَحَصَّلُونَ عَلَى الْبَيْضِ مِنْهَا.

أَمَّا الْآنَ فَكُلُّ شَيْءٍ مِّنْ هَذَا وَغَيْرِهِ عِندَ أَكْثَرِ النَّاسِ إِنَّمَا يُشْتَرَى بِالْمَالِ!.

نَحْنُ الْآنَ نَلْمَسُ مِن بَرَكَةِ الْأَمْطَارِ الَّتِي تَنزِلُ عَلَى أُسْتُرَالِيَا وَأَمْرِيكَا - وَهِيَ بُلْدَانٌ كَافِرَةٌ - مَا لَا نَلْمَسُهُ مِنَ الْأَمْطَارِ الَّتِي تَنزِلُ عَلَى بِلَادِنَا، هَذَا عَلَى قِلَّتِهَا فِي بِلَادِنَا؛ لِأَنَّ الْبُرَّ يَأْتِينَا مِنْ هُنَاكَ، وَهُوَ غَالِبُ طَعَامِ النَّاسِ الْآنَ.

وَكَذَا يُقَالُ فِي الْأَمْطَارِ الَّتِي تَنزِلُ عَلَى الْهِندِ وَتَايْلَاند وَفِيْتنَامَ وَمَا جَاوَرَهَا؛ فَإِنَّ الْأَرُزَّ الَّذِي أَصْبَحَ مِنَ الْأَطْعِمَةِ الْأَسَاسِيَّةِ، جُلُّهُ يَأْتِينَا مِنْ هُنَاكَ.

رَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ٢٩٠٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا، وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا، وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا»**.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: الْمَعْنَى: أَنَّ الْقَحْطَ الشَّدِيدَ لَيْسَ بِأَنْ لَا يُمْطَرَ، بَلْ بِأَنْ يُمْطَرَ وَلَا يَنْبُتَ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ حُصُولَ الشِّدَّةِ بَعْدَ تَوَقُّعِ الرَّخَاءِ، وَظُهُورِ مَخَائِلِهِ وَأَسْبَابِهِ أَفْظَعُ مِمَّا إِذَا كَانَ الْيَأْسُ حَاصِلًا مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَالنَّفْسُ مُتَرَقِّبَةٌ لِحُدُوثِهَا.ا.هـ.(١)

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ: يَعْنِي: لَيْسَ عَامُ الْقَحْطِ الَّذِيْ لَا تُمْطِرُ السَّمَاءُ فِيْهِ مَعَ وُجُوْدِ الْبَرَكَةِ، بَلْ أَن تُمْطِرُوا وَلَا تُنبِتُ.ا.هـ.(٢)

قُلْتُ: وَهَذَا يَنطَبِقُ فِيْ هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ عَلَى الْأَمْطَارِ الَّتِي تَنزِلُ عَلَى الْمُدُنِ، الَّتِي لَيْسَ فِيْهَا أَرَاضٍ زِرَاعِيَّةٌ، وَالَّتِي أَصْبَحَتْ أَكْثَرَ مَنَاطِقِ الْمَعْمُوْرَةِ ازْدِحَامًا بِالسُّكَّانِ، وَكَذَا عَلَى الْمَنَاطِقِ الزِّرَاعِيَّةِ الَّتِي لَا يُزْرَعُ فِيْهَا شَيْءٌ يَنتَفِعُ بِهِ النَّاسُ مُبَاشَرَةً؛ لِيَكُوْنَ غِذَاءً لَهُمْ، يُسْمِنُهُمْ وَيُطْعِمُهُم مِّن جُوْعٍ، كَالْقَاتِ مَثَلًا، الَّذِي لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ!، وَلَا تَأْكُلُ مِنْهُ الدَّوَابُّ وَلَا الطَّيْرُ وَلَا السِّبَاعُ، لَا جَرَمَ أَنَّ بَرَكَتَهُ مَمْحُوقَةٌ.

---

(١) نقله عنه القاري في "مرقاة المفاتيح"(ج٣/صـ: ١١١٦).

(٢) "فيض القدير"(ج٥/صـ: ٣٩١).

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى المَطَرَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:١٠٣٢) مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَيَدْعُوْ بِالنَّفْعِ.

وَمَعَ أَنَّ تَضَرُّرَ النَّاسِ حَاصِلٌ بِقِلَّةِ الْأَمْطَارِ إِلَّا أَنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَوْ دُعِيَ إِلَى صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ لَتَخَلَّفَ عَنْهَا، فَالْعَجَبُ مِنْ حَالِ النَّاسِ!.

وَلَوْ تَأَمَّلْنَا أَيْضًا فِي حَالِ الْخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ: فَرُبَّمَا احْتَوَى عَلَى الْمَوَادِّ الْمُعَدَّلَةِ وِرَاثِيًا، وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي بَعْضِ مَا يَأْتِينَا مِنَ الْخَارِجِ، أَوْ عَلَى الْمَوَادِّ الْكِيمِيَائِيَّةِ فِي الْأَسْمِدَةِ وَالْمُبِيدَاتِ، وَإِن كَانَ مُعَلَّبًا فَإِنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى الْمَوَادِّ الْحَافِظَةِ.

وَهَذَا كُلُّهُ يُذْهِبُ بَعْضَ بَرَكَةِ الْمَطْعُومِ وَالْمَشْرُوبِ، فَإِلَى اللهِ نَشْكُو قِلَّةَ الْبَرَكَاتِ!.

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ ... وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ الْخَلْقِ بِالنِّعَمِ

وَقَدْ كَانَتِ الْمُجْتَمَعَاتُ الْبَشَرِيَّةُ بَيْنَ الْحِينِ وَالْآخَرِ مِن مَّرَاحِلِ التَّارِيخِ تَعْتَرِيهَا نَوَائِبُ وَأَزْمِنَةُ مَجَاعَةٍ، فَمِمَّا جَرَى لِلْمُسْلِمِينَ مِن ذَلِكَ:

◄ مَا أَصَابَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْجُوعِ، فَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، حَتَّى جَعَلَتِ الْوَحْشُ تَأْوِي إِلَى الْإِنسِ، وَكَانَ ذَلِكَ عَامَ الرَّمَادَةِ، فِي آخِرِ سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ، وَأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ.(١)

◄ وَمِن ذَلِكَ أَيْضًا: مَا أَصَابَ أَهْلَ خُرَاسَانَ وَالرِّيِّ وَأَصْبَهَانَ مِنَ الْمَجَاعَةِ، فَعَزَّ الطَّعَامُ، وَوَقَعَ الْمَوْتُ، وَذَلِكَ سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ.(٢)

◄ وَفِي حَوَادِثِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَّثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ: عَظُمَ الْغَلَاءُ بِبَغْدَادَ فِي شَعْبَانَ، وَأَكَلُوا الْجِيَفَ وَالرَّوْثَ، وَمَاتُوا عَلَى الطُّرُقِ، وَأَكَلَتِ الْكِلَابُ لُحُومَهُمْ، وَبِيعَ الْعَقَارُ بِالرِّغْفَانِ، وَوُجِدَتِ الصِّغَارُ مَشْوِيَّةً مَّعَ الْمَسَاكِينِ، وَهَرَبَ النَّاسُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَوَاسِطَ، فَمَاتَ خَلْقٌ فِي الطُّرُقَاتِ، وَاشْتُرِيَ لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ كُرٌّ دَقِيقٍ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.(٣)

(١) "البداية والنهاية"(ج٧/صـ: ١٠٤).

(٢) "تاريخ الطبري"(ج٨/صـ: ٥٥٦)، و"المنتظم"(ج١٠/صـ: ١٠٠).

(٣) "تاريخ الإسلام"(ج٢٥/صـ: ٢٨).

وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِن شَعْبَانَ: وُجِدَتِ امْرَأَةٌ هَاشِمِيَّةٌ قَدْ سَرَقَتْ صَبِيًّا، فَشَوَتْهُ فِي تَنُّورٍ، وَهُوَ حَيٌّ، وَأَكَلَتْ بَعْضَهُ، وَذَكَرَتْ أَنَّ شِدَّةَ الْجُوعِ حَمَلَهَا عَلَى ذَلِكَ، فَحُبِسَتْ، ثُمَّ أُخْرِجَتْ، وَضُرِبَتْ عُنُقُهَا، وَوُجِدَتْ أُخْرَى هَاشِمِيَّةٌ أَيْضًا قَدْ أَخَذَتْ صَبِيَّةً، فَشَقَّتْهَا بِنِصْفَيْنِ، فَطَبَخَتِ النِّصْفَ سِكْبَاجًا(١)، وَالنِّصْفَ الْآخَرَ بِمَاءٍ وَمِلْحٍ، فَدَخَلَ الدَّيْلَمُ، فَذَبَحُوهَا، ثُمَّ وُجِدَتْ ثَالِثَةٌ قَدْ شَوَتْ صَبِيًّا، وَأَكَلَتْ بَعْضَهُ، فَقُتِلَتْ.

وَأَفْرَطَ الْغَلَاءُ حَتَّى عَدِمَ النَّاسُ الْخُبْزَ الْبَتَّةَ، وَأَكَلَ النَّاسُ الْمَوْتَى وَالْحَشِيشَ وَالْمَيْتَةَ وَالْجِيفَ، وَكَانَتِ الدَّابَّةُ إِذَا رَاثَتِ اجْتَمَعَ عَلَى الرَّوْثِ جَمَاعَةٌ، فَفَتَّشُوهُ، وَلَقَطُوا مَا يَجِدُونَ فِيهِ مِن شَعِيرٍ، وَأَكَلُوهُ، وَكَانَ يُؤْخَذُ بِزْرُ قَطُونَا(٢)، وَيُضْرَبُ بِالْمَاءِ، وَيُبْسَطُ عَلَى طَابِقِ حَدِيدٍ، وَيُجْعَلُ عَلَى النَّارِ، حَتَّى يُقَبَّ وَيُؤْكَلَ، وَلَحِقَ النَّاسَ مِن ذَلِكَ فِي أَحْشَائِهِمْ أَوْرَامٌ، وَمَاتَ أَكْثَرُهُمْ، وَمَن بَقِيَ كَانَ فِي صُورَةِ الْمَوْتَى.

وَكَانَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالصَّبِيُّ يَقِفُ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ وَهُوَ تَالِفٌ ضُرًّا، فَيَصِيحُ: الْجُوعَ! الْجُوعَ!. إِلَى أَن يَّسْقُطَ وَيَمُوتَ.

وَكَانَ الْإِنسَانُ إِذَا وَجَدَ الْيَسِيرَ مِنَ الْخُبْزِ سَتَرَهُ تَحْتَ ثِيَابِهِ، وَإِلَّا اسْتُلِبَ مِنْهُ، وَلِكَثْرَةِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ لَمْ يَكُن يُلْحَقُ دَفْنُهُمْ كَانَتِ الْكِلَابُ تَأْكُلُ لُحُومَهُمْ، وَخَرَجَ الضَّعْفَى إِلَى الْبَصْرَةِ خُرُوجًا مُفْرِطًا، مُتَتَابِعِينَ؛ لِأَكْلِ التَّمْرِ، فَتَلِفَ أَكْثَرُهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَمَن وَّصَلَ مِنْهُم مَّاتَ بَعْدَ ذَلِكَ.(٣)

◄ وَفِي حَوَادِثِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَّسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ: زَادَتِ الْأَسْعَارُ زِيَادَةً مُّفْرِطَةً، وَلَحِقَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ عَظِيمَةٌ، وَبَلَغَ الْكُرُّ الْحِنطَةِ فِي رَمَضَانَ: ثَلَاثَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ تَاجِيَّةٍ، وَبَلَغَ فِي

(١) السِّكْبَاجُ هو: طعام يتخذ من اللحم والخل والتابل والملح والزيت، كما في: "تكملة المعاجم العربية" (ج٤/صـ: ١٥٧).

(٢) هو: حَب، كان يستشفى به.

(٣) "تجارب الأمم"(ج٦/صـ: ١٢٨)، و"المنتظم"(ج١٤/صـ: ٤٦-٤٧)، و"البداية والنهاية" (ج١١/صـ: ٢١٣).

ذِي الْقَعْدَةِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَّثَمَانِمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَضَجَّ النَّاسُ، وَكَسَرُوا مَنَابِرَ الْجَوَامِعِ، وَمَنَعُوا الصَّلَاةَ فِي عِدَّةِ جُمَعٍ، وَمَاتَ خَلْقٌ مِّنَ الضُّعَفَاءِ جُوعًا عَلَى الطَّرِيقِ.(١)

◄ وَفِي حَوَادِثِ سَنَةِ تِسْعٍ وَّثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فِي رَمَضَانَ مِنْهَا: اشْتَدَّ الْغَلَاءُ بِالْمَوْصِلِ، حَتَّى أَكَلُوا الْمَيْتَةَ، وَكَثُرَ الْمَوْتُ، حَتَّى إِنَّهُ أُحْصِيَ جَمِيعُ مَن صَلَّى الْجُمُعَةَ، فَكَانُوا أَرْبَعَمِائَةٍ، وَعُدَّ أَهْلُ الذِّمَّةِ فِي الْبَلَدِ، فَكَانُوا نَحْوَ مِائَةٍ وَّعِشْرِينَ.(٢)

◄ وَفِي حَوَادِثِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَّأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ: كَانَ القَحْطُ عَظِيمًا بِمِصْرَ وَبَالأَنْدَلُس، وَمَا عُهِدَ قَحْطٌ وَلاَ وَبَاءٌ مِثْله بقُرْطُبَة، حَتَّى بَقِيَت المَسَاجِدُ مغلقَة بِلاَ مُصَلٍّ، وَسُمِّيَ عَام الْجُوع الكَبِيْر.

◄ وَفِي السَّنَةِ الَّتِي تَلِيهَا: كَانَ الْجُوعُ الْمُفرِطُ بِبَغْدَادَ وَالفَنَاءُ، وَكَذَلِكَ بِبُخَارَى وَسَمَرْقَنْد، حَتَّى يُقَالَ: هَلَكَ بِمَا وَرَاء النَّهْر أَلفُ أَلفٍ وَسِتُّ مائَةِ أَلْف.(٣)

◄ وَفِي حَوَادِثِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا: وَرَدَ مِن مِّصْرَ وَالشَّامِ عَدَدٌ كَثِيرٌ مِّن رِجَالٍ وَّنِسَاءٍ هَارِبِينَ مِنَ الْجَرْفِ وَالْغَلَاءِ، وَأَخْبَرُوا أَنَّ مِصْرَ لَمْ يَبْقَ بِهَا كَبِيرُ أَحَدٍ مِّنَ الْجُوعِ وَالْمَوْتِ، وَأَنَّ النَّاسَ أَكَلَ بَعْضُهُم بَعْضًا، وَظُهِرَ عَلَى رَجُلٍ قَدْ ذَبَحَ عِدَّةً مِّنَ الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ وَطَبَخَ لُحُومَهُمْ وَبَاعَهَا، وَحَفَرَ حَفِيرَةً دَفَنَ فِيهَا رُءُوسَهُمْ وَأَطْرَافَهُمْ، فَقُتِلَ، وَأُكِلَتِ الْبَهَائِمُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ثَلَاثَةُ أَفْرَاسٍ لِّصَاحِبِ مِصْرَ بَعْدَ أُلُوفٍ مِّنَ الْكُرَاعِ، وَمَاتَتِ الْفِيلَةُ، وَبِيعَ الْكَلْبُ بِخَمْسَةِ دَنَانِيرَ!.

وَخَرَجَ وَزِيرُ صَاحِبِ مِصْرَ إِلَى السُّلْطَانِ، فَنَزَلَ عَن بَغْلَتِهِ وَمَا مَعَهُ إِلَّا غُلَامٌ وَّاحِدٌ؛ لِعَدَمِ مَا يُطْعِمُ الْغِلْمَانَ، فَدَخَلَ وَشُغِلَ الرِّكَابِيُّ عَنِ الْبَغْلَةِ؛ لِضَعْفِ قُوَّتِهِ، فَأَخَذَهَا ثَلَاثَةُ أَنفُسٍ، وَمَضَوْا بِهَا، فَذَبَحُوهَا، وَأَكَلُوهَا، فَأَنْهَى ذَلِكَ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ، فَتَقَدَّمَ بِقَتْلِهِمْ وَصَلْبِهِمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ وُجِدَتْ عِظَامُهُم مَّرْمِيَّةً تَحْتَ خَشَبِهِمْ، وَقَدْ أَكَلَهُمُ النَّاسُ.

(١) "المنتظم"(ج١٤/صـ: ٣٠٢).

(٢) "المنتظم"(ج١٥/صـ: ٣٠٨).

(٣) "سير أعلام النبلاء"(ج١٨/صـ: ٣١١).

وَكَانَتِ الْبَادِيَةُ تَجْلِبُ الطَّعَامَ، فَتَبِيعُ الْحَمْلَ بِثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ خَارِجَ الْبَلَدِ، وَلَا يَتَجَاسَرُونَ أَن يَّدْخُلُوا الْبَلَدَ، وَمَنِ اشْتَرَى مِنْهُ فَرُبَّمَا نَهَبَهُ النَّاسُ مِنْهُ.(١)

◄ وَفِي حَوَادِثِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ مَاتَ النَّاسُ بِبَغْدَادَ جُوعًا، وَأُكِلَتِ الْكِلَابُ وَالسَّنَانِيرُ.(٢)

◄ وَفِي حَوَادِثِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ: كَانَ بِخُرْسَانَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ طَالَتْ مُدَّتُهُ وَعَظُمَ أَمْرُهُ، حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ الْكِلَابَ وَالسَّنَانِيرَ وَغَيْرَهُمَا مِنَ الدَّوَابِّ، وَتَفَرَّقَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْبِلَادِ مِنَ الْجُوعِ.(٣)

◄ وَفِي حَوَادِثِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمَائَةٍ: اشْتَدَّ الْغَلَاءُ بِالْمَوْصِلِ، وَدِيَارِ الْجَزِيرَةِ جَمِيعِهَا، فَأَكَلَ النَّاسُ الْمَيْتَةَ، وَالْكِلَابَ وَالسَّنَانِيرَ.(٤)

وَلَيْسَ عَنْ أَجْيَالِنَا بِبَعِيدٍ مَّا يُعْرَفُ بِـ (سَنَةِ الْجُوعِ)، قَبْلَ أَكْثَرَ مِن مِّائَةِ عَامٍ، فَفِي سَنَةِ ١٣٢٧هـ مَرَّ عَلَى أَهْلِ نَجْدٍ قَحْطٌ وَجَدْبٌ، فَكَانُوا يَقْضُونَ الْأَيَّامَ دُونَ أَكْلٍ أَوْ شُرْبٍ، وَكَانُوا يَتَسَابَقُونَ إِلَى أَكْلِ جُثَثِ الْحَيَوَانَاتِ، وَيَأْكُلُونَ الْحَصَى لِعَدَمِ مَا يَأْكُلُونَهُ.

وَفِي سَنَةِ (١٣٣٤هـ) عَمَّ الْجُوعُ دِمَشْقَ وَمَا جَاوَرَهَا مِن مُّدُنِ الشَّامِ، وَقَدْ وَصَفَ عَلِيٌّ الطَّنطَاوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حَالَ النَّاسِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ بِقَوْلِهِ: ثُمَّ رَأَيْنَا النَّاسَ وَنَحْنُ فِي طَرِيقِنَا إِلَى الْمَدْرَسَةِ يَنبُشُونَ أَكْوَامَ الْقُمَامَةِ؛ لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ بَقَايَا طَعَامٍ!.

قَالَ: وَرَاحَ النَّاسُ يَأْكُلُونَ الْأَعْشَابَ وَوَرَقَ الشَّجَرِ، وَيَطْحَنُونَ مَا يُمْكِنُ طَحْنُهُ؛ لِخَبْزِهِ وَأَكْلِهِ، وَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِّنَ الْجُوعِ وَالْمَرَضِ.(٥)

---

(١) "المنتظم"(ج١٦/صـ: ١١٨).

(٢) "المنتظم"(ج١٧/صـ: ١٥٦).

(٣) "الكامل"(ج٩/صـ: ٩٨).

(٤) "الكامل"(ج١٠/صـ:٤٠٥).

(٥) "ذكريات على الطنطاوي"(ج١/صـ: ٣٩).

وَكَتَبَتْ جَرِيدَةُ التَّايمْزِ اللَّنْدَنِيَّةُ فِي (١٥ سبتمبر/ ١٩١٦م) عَن تِلْكَ الْمَجَاعَةِ قَائِلَةً: وَقَدْ رَأَيْنَا النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ عَلَى جَوَانِبِ الشَّوَارِعِ بِأَعْيُنٍ مُّغْمَضَةٍ، وَوُجُوهٍ شَاحِبَةٍ، وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَن نَّرَى النَّاسَ يُفَتِّشُونَ فِي قُمَامِ الزُّبَالَةِ عَن قِشْرِ الْبُرْتُقَالِ وَالْعِظَامِ الْقَدِيمَةِ، وَالنِّفَايَاتِ الْأُخْرَى، وَكَانُوا يَأْكُلُونَهَا بِشَرَاهَةٍ إِذَا وَجَدُوهَا، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ نَّرَى نِسَاءً يَّبْحَثْنَ عَنْ أَعْشَابٍ لِّلْأَكْلِ عَلَى جَوَانِبِ الطُّرُقِ، وَمَاتَ بِسَبَبِ الْجُوعِ وَالْمَرَضِ وَالْحَرْبِ هُنَاكَ مَا يُقَارِبُ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ نَسَمَةٍ، أَيْ: ثُلُثُ سُكَّانِ تِلْكَ الْبِلَادِ.(١)

وَأَمَّا فِي الْبِلَادِ الْيَمَنِيَّةِ فَقَدْ أَخْبَرَنَا بَعْضُ كِبَارِ السِّنِّ عَن تِلْكَ السَّنَةِ بِأَنَّهُ مَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ بِسَبَبِ الْجُوعِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ إِذَا شَمَّ رَائِحَةَ الْخُبْزِ بَعْدَ شِدَّةِ الْجُوعِ مَاتَ!، وَكَانُوا لَا يَجِدُونَ مَا يُكَفِّنُونَ بِهِ الْمَوْتَى سِوَى قَصَبِ الزَّرْعِ!.

هَذَا كُلُّهُ أَيُّهَا النَّاسُ يَحُثُّ عَلَى تَذَكُّرِ نِعَمِ اللهِ ﷻ، لَعَلَّ الَّذِينَ ابْتُلُوا بِالْبَذَخِ وَالسَّرَفِ فِي هَذَا الزَّمَانِ يَرْعَوُونَ وَيَتَذَكَّرُونَ، وَلَعَلَّ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم بِأَنْوَاعِ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ، مَا لَذَّ مِنْهَا وَطَابَ يَحْمَدُونَ اللهَ وَيَشْكُرُونَ.

احْمَدُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ وَاشْكُرُوهُ، وَأَنْتُمْ تَتَفَنَّنُونَ فِي الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ، لَمْ يُجْوِجْكُمُ اللهُ إِلَى أَكْلِ الْكِلَابِ وَالسَّنَانِيرِ، وَلَا مَاتَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْجُوعِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ سَتُسْأَلُونَ عَن كُلِّ نَعِيمٍ أَنْعَمَ اللهُ ﷻ بِهِ عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، قَالَ ﷻ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨].

وَرَوَى أَحْمَدُ (رقم: ١٤٠٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٣٥٦)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٤١٥٨) عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨]، قَالَ الزُّبَيْرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّ النَّعِيمِ نُسْأَلُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا هُمَا الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالمَاءُ؟ قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ سَيَكُونُ**».(٢)

---

(١) "خطط الشام"(ج٣/ص: ١٣٣) لمحمد كردعلي.

(٢) وحسنه الترمذي، والضياء في "المختارة"(ج٣/ص: ٥٣-٥٤)(رقم: ٨٥٦، و٨٥٧، و٨٥٨). =

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢٠٣٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: **«مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟»** قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **«وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا...»**، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ»**.

وَأَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِن نَّعِيمِ الدُّنْيَا: صِحَّةُ جِسْمِهِ وَشُرْبُهُ الْمَاءَ الْبَارِدَ، فَعِندَ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** - يَعْنِي الْعَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ - **أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ»**.(١)

أَلَا وَإِنَّ مِنْ حَمْدِ اللهِ وَشُكْرِهِ عَلَى نِعْمَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ: التَّأَدُّبَ بِالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَالَّتِي مِنْهَا: التَّسْمِيَةُ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ قَبْلَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَهِيَ وَاجِبَةٌ، فَعن عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»**، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٣٧٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٠٢٢).

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ٢٠٢٠) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»**.

وذكره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيحة"(ج١/ص: ٦٦٥)، وقال: «إسناده جيد».
وذكره الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المسند مما ليس في "الصحيحين"(رقم: ٣٣٦).
(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٧٣٦٤)، والحاكم (رقم: ٧٢٠٣)، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٥٣٩).

وَلَهُ أيضًا (رقم: ٢٠١٧) عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَن لَّا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ»**.

وَلَهُ أيضًا (رقم: ٢٠٣٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ، وَقَالَ: **«إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ»**، وَأَمَرَنَا أَنْ نَسْلُتَ الْقَصْعَةَ، قَالَ: **«فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ»**.

وَلَهُ أيضًا (رقم: ٢٠٣٣) عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمُ اللُّقْمَةُ، فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى، ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ»**.

وَيُسْتَحَبُّ الْحَمْدُ عَقِبَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَهُوَ سَبَبٌ لِّرِضَا اللهِ ﷻ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٧٣٤).

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم: ٥٤٥٨) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلاَ مُوَدَّعٍ وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ، رَبَّنَا»**.

وَفِي رِوَايَةٍ (رقم: ٥٤٥٩): كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ - وَقَالَ مَرَّةً: إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ - قَالَ: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانَا وَأَرْوَانَا، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مَكْفُورٍ»**.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣٨٥١) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ، وَسَقَى وَسَوَّغَهُ وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا»**.(١)

---

(١) وهو في "الصحيحة"(رقم: ٧٠٥، و٢٠٦١)، و"الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (رقم: ٣١٨).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَعَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ قُبَاءٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا طَعِمَ وَغَسَلَ يَدَهُ، أَوْ يَدَيْهِ عَلَيْنَا قَالَ: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، مَنَّ عَلَيْنَا فَهَدَانَا وَأَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكُلَّ بَلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَانَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مُوَدَّعٍ، وَلَا مُكَافَئٍ وَلَا مَكْفُورٍ، وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ مِنَ الطَّعَامِ، وَسَقَى مِنَ الشَّرَابِ، وَكَسَا مِنَ الْعُرْيِ، وَهَدَى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَ مِنَ الْعَمَى، وَفَضَّلَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»**. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي "عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ"(رقم: ٣٠١).(١)

وَمِن بَرَكَةِ الْإِيمَانِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَأْكُلُ كَأَكْلِ الْكَافِرِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْكُلُ أَكْلًا كَثِيرًا، فَأَسْلَمَ، فَكَانَ يَأْكُلُ أَكْلًا قَلِيلًا، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٣٩٧).

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٠٦٣) بِلَفْظِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ضَافَهُ ضَيْفٌ وَهُوَ كَافِرٌ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ، فَحُلِبَتْ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، ثُمَّ أُخْرَى، فَشَرِبَهُ، حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاهٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ، فَأَسْلَمَ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْرَى، فَلَمْ يَسْتَتِمَّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»**.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٥٢١٩)، والحاكم (رقم: ٢٠٠٣) على شرط مسلم، وحسنه على شرط مسلم أيضًا: الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٣١٠).

فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٧٧) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: **«يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ»**.

فَهَذَا أَمْرٌ مِّنَ اللهِ ﷻ لِعِبَادِهِ أَن يَّسْتَطْعِمُوهُ، وَوَعْدٌ مِّنْهُ لَهُمْ أَن يُّطْعِمَهُمْ، فَمَن لَّمْ يُطْعِمْهُ اللهُ فَهُوَ الْجَائِعُ.

فَاسْتَطْعِمِ اللهَ ﷻ، وَحَقِّقِ التَّوَكُّلَ الَّذِي هُوَ صِدْقُ اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَى اللهِ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ، مَعَ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ الْمَشْرُوعَةِ، يَكْفِكَ اللهُ ﷻ فَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **«لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٠٥، و٣٧٠، و٣٧٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٣٤٤)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٤١٦٤).(١)

وَاسْمَعْ إِلَى قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ إِذْ حَاجَّهُ قَوْمُهُ فِي أَوْثَانٍ اتَّخَذُوهَا مِن دُونِ اللهِ: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٧٥ – ٨٢].

وَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الْجُوعِ، كَمَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ»**. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (رقم: ١٥٤٧)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٥٤٦٨، و٥٤٦٩).(٢)

---

(١) وصححه الترمذي، وابن حبان (رقم: ٧٣٠)، والحاكم (رقم: ٧٨٩٤)، والضياء في "المختارة"(ج١/ص: ٣٣٣)(رقم: ٢٢٧)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٣١٠)، وذكره العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٩٨٦).

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ١٠٢٩)، وحسنه الألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ١٣٨٣).

قَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْجُوعُ يُضْعِفُ الْقُوَى، وَيُشَوِّشُ الدِّمَاغَ، فَيُثِيرُ أَفْكَارًا رَدِيَّةً وَخَيَالَاتٍ فَاسِدَةً، فَيُخِلُّ بِوَظَائِفِ الْعِبَادَاتِ وَالْمُرَاقَبَاتِ.

قَالَ الْقَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَدْ يُسْتَدَلُّ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِمَا قِيلَ مِنْ أَنَّ الْجُوعَ الْمُجَرَّدَ لَا ثَوَابَ فِيهِ.ا.هـ.(١)

وَقَدِ اخْتَارَ نَبِيٌّ مِّنَ الْأَنبِيَاءِ لِقَوْمِهِ الْمَوْتَ عَلَى الْجُوعِ، فَفِي "مُسْنَدِ أَحْمَدَ"(رقم: ١٨٩٣٧، و٢٣٩٢٧) عَن صُهَيْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى هَمَسَ شَيْئًا، لَا نَفْهَمُهُ، وَلَا يُحَدِّثُنَا بِهِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«فَطِنْتُمْ لِي؟»** قَالَ قَائِلٌ: نَعَمْ، قَالَ: **«فَإِنِّي قَدْ ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ؟ فَقَالَ: مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلَاءِ، أَوْ مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ؟!»** قَالَ: **«فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوِ الْجُوعَ، أَوِ الْمَوْتَ»**، قَالَ: **«فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ، نَكِلُ ذَلِكَ إِلَيْكَ، فَخِرْ لَنَا»**. قَالَ: **«فَقَامَ إِلَى صَلَاتِهِ»**، قَالَ: **«وَكَانُوا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ»**، قَالَ: **«فَصَلَّى»**، قَالَ: **«أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَا، أَوِ الْجُوعُ فَلَا، وَلَكِنِ الْمَوْتُ»** قَالَ: **«فَسُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَهَمْسِي الَّذِي تَرَوْنَ أَنِّي أَقُولُ: اللهُمَّ يَا رَبِّ، بِكَ أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»**.(٢)

وَفِي رِوَايَةٍ (رقم: ١٨٩٣٣): فَقَالُوا: أَمَّا الْقَتْلُ أَوِ الْجُوعُ، فَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَلَكِنِ الْمَوْتُ.

وَفِي رِوَايَةٍ (رقم: ١٨٩٤٠): أَمَّا الْعَدُوُّ، فَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ، وَأَمَّا الْجُوعُ فَلَا صَبْرَ لَنَا عَلَيْهِ، وَلَكِنِ الْمَوْتُ.

---

(١) "مرقاة المفاتيح"(ج٤/صـ: ١٧١١).

(٢) وصححه: ابن حبان (رقم:١٩٧٥)، والألباني في "الصحيحة"(رقم:١٠٦١)، والوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٥٠٨).

وَالْجُوعُ الَّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْجُوعُ الَّذِي لَا صَبْرَ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ سَيَبْتَلِي عِبَادَهُ بِشَيْءٍ مِّنْهُ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكُلُّ هَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا يَخْتَبِرُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، فَمَنْ صَبَرَ أَثَابَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَنَطَ أَحَلَّ اللَّهُ بِهِ عِقَابَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.ا.هـ.

وَهَذا الِابْتِلَاءُ قَدْ يَكُونُ مَعَ السَّعَةِ وَالْغِنَى، كَمَن بِهِ أَمْرَاضٌ تُحَتِّمُ عَلَيْهِ الْحِمْيَةَ، كَالسُّكَّرِ، وَالضَّغْطِ، وَأَمْرَاضِ الْقَلْبِ وَالشَّرَايِينِ، فَكَمْ يَشْتَهِي كَثِيرٌ مِّنَ الْمُصَابِينَ بِهَذِهِ الْأَمْرَاضِ أَطْعِمَةً وَّأَشْرِبَةً، هُم مَّمْنُوعُونَ مِنْهَا حِمْيَةً!.

جَمَعَتِ الْمَائِدَةُ فَقِيرًا وَغَنِيًّا، فَكَانَ الْفَقِيرُ يَأْكُلُ مِمَّا لَذَّ وَطَابَ مِنْهَا، وَالْغَنِيُّ يَدَعُ كَثِيرًا مِّمَّا فِيهَا؛ لِأَمْرَاضٍ حَتَّمَتْ عَلَيْهِ الْحِمْيَةَ، فَنَظَرَ الْغَنِيُّ إِلَى الْفَقِيرِ، فَأَصَابَهُ بِالْعَيْنِ!.(١)

فَالصَّبْرُ عَلَى الِابْتِلَاءِ بِالْجُوعِ عِبَادَةٌ، عَاقِبَتُهُ حَمِيدَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: مِفْتَاحُ الدُّنْيَا الشِّبَعُ، وَمِفْتَاحُ الآخِرَةِ الْجُوعُ.(٢)

وَقَالَ بِشْرٌ الْحَافِي: الْجُوعُ يُصَفِّي الْفُؤَادَ، وَيُمِيتُ الْهَوَى، وَيُورِثُ الْعِلْمَ الدَّقِيقَ.(٣)

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَعِيشُ فِي نَفْسِهِ عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، فَيَأْتِي عَلَيْهِ الشَّهْرُ وَالشَّهْرَانِ لَا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ.(٤)

---

(١) ذكر هذه القصة: شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري في شرحه على "لامية ابن الوردي".

(٢) رواه أبو نعيم في "الحلية"(ج٩/صـ: ٢٥٩)، والبيهقي في "الشعب"(برقم: ٥٣٢٧)، والخطيب في "تاريخ بغداد"(ج١٠/صـ: ٢٤٨).

(٣) رواه ابن بشران في "الأمالي"(برقم: ١٥٤١)، والخطيب في "تاريخ بغداد"(ج٤/صـ: ٤٦٧).

(٤) رواه البخاري (برقم:٢٥٦٧، و٦٤٥٩)، ومسلم (برقم:٢٩٧٢) عن عروة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت لعروة: «ابْنَ أُخْتِي، إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نار»، فقلت يا خالة: ما كان يعيشكم؟ قالت: «الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جيران من الأنصار، كانت لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من ألبانهم، فيسقينا». =

وَرُبَّمَا رَبَطَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَطْنِهِ الْحَجَرَ مِنَ الْجُوعِ.(١)

وَهَكَذَا صَبَرَ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَعَهُ، وَكَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يُكْرِمُهُ وَإِيَّاهُمْ بِمَا أَجْرَاهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، مِن تَكْثِيرِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ الْقَلِيلِ، وَقَدْ وَقَعَ هَذَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي وَقَائِعَ عِدَّةٍ، فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ وَغَزْوَةِ تَبُوكَ، وَغَيْرِهِمَا.

وَلَبِثَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، مَا كَانَ لَهُ طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ، فَسَمِنَ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِهِ، وَمَا وَجَدَ عَلَى كَبِدِهِ سُخْفَةَ جُوعٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٤٧٣).

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ رَجُلًا مِسْكِينًا، أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٠٤٧، و٢٣٥٠، و٧٣٥٤)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٤٩٢).

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا: «وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا».

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٤٥٢).

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الجَائِي، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي، وَيُرَى أَنِّي مَجْنُونٌ، وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ مَا بِي إِلَّا الجُوعُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٧٣٢٤).

وفي رواية للبخاري (رقم:٦٤٥٨): «إلا أن نؤتى باللُّحَيْمِ».

(١) رواه مسلم (رقم:٢٠٤٠)(٦) عن أنس بن مالك، قال: جئت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يومًا، فوجدته جالسًا مع أصحابه يحدثهم، وقد عصب بطنه بعصابة على حجر، فقلت لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بطنه؟ فقالوا: «من الجوع».

وَقَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَعَثَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِائَةِ رَاكِبٍ، وَأَمِيرُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ، نَرْصُدُ عِيرًا لِقُرَيْشٍ، فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ حَتَّى أَكَلْنَا الخَبَطَ، فَسُمِّيَ جَيْشَ الخَبَطِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٤٣٦١، و٥٤٩٤)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٩٣٥).

وَقَالَ أَيْضًا: «سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ قُوتُ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَمْرَةً، فَكَانَ يَمَصُّهَا، ثُمَّ يَصُرُّهَا فِي ثَوْبِهِ، وَكُنَّا نَخْتَبِطُ بِقِسِيِّنَا وَنَأْكُلُ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَأُقْسِمُ أُخْطِئَهَا رَجُلٌ مِنَّا يَوْمًا، فَانْطَلَقْنَا بِهِ نَنْعَشُهُ، فَشَهِدْنَا أَنَّهُ لَمْ يُعْطَهَا، فَأُعْطِيَهَا فَقَامَ فَأَخَذَهَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٣٠١١).

وَقَالَ سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الحُبْلَةِ، وَهَذَا السَّمُرُ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا يَضَعُ البَعِيرُ أَوِ الشَّاةُ، [مَا لَهُ خِلْطٌ]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٤٥٣)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٩٦٦).

وَقَالَ عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، مَا طَعَامُنَا إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٩٦٧).

وَابْتُلِيَ بِالْجُوعِ أَيْضًا خَلْقٌ مِّمَن بَعْدَ الصَّحَابَةِ، لَا سِيَّمَا فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَطَلَبِ الْحَدِيثِ، أَذْكُرُ مِنْهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ:

◄ الْإِمَامُ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ، فَقَدْ قَالَ ابْنُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ: "الجرح والتعديل"(ج١/ص: ٣٦٣-٣٦٦): **(بَابُ مَا لَقِيَ أَبِي مِنَ الْمُقَاسَاةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ مِنَ الشِّدَّةِ):** سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: بَقِيتُ فِي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ بِالبَصْرَةِ، وَكَانَ فِي نَفْسِي أَنْ أُقِيمَ سَنَةً، فَانْقَطَعَتْ نَفَقَتِي، فَجَعَلْتُ أَبِيعُ ثِيَابِي حَتَّى نَفِدَتْ، وَبَقِيتُ بِلاَ نَفَقَةٍ، وَمَضَيْتُ أَطُوفُ مَعَ صَدِيقٍ لِي إِلَى المَشْيَخَةِ، وَأَسْمَعُ إِلَى المَسَاءِ، فَانْصَرَفَ رَفِيقِي، وَرجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، فَجَعَلْتُ أَشْرَبُ المَاءَ مِنَ الجُوعِ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ، فَغَدَا عَلَيَّ رَفِيقِي، فَجَعَلْتُ أَطُوفُ مَعَهُ فِي سَمَاعِ الحَدِيثِ عَلَى جُوعٍ شَدِيدٍ، وَانصَرَفْتُ جَائِعًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ، غَدَا عَلَيَّ، فَقَالَ: مُرَّ بِنَا إِلَى المَشَايِخِ.

قُلْتُ: أَنَا ضَعِيْفٌ، لَا يُمْكِنُنِي.

قَالَ: مَا ضَعْفُكَ؟

قُلْتُ: لاَ أَكْتُمُكَ أَمْرِي، قَدْ مَضَى يَوْمَان مَا طَعمتُ فِيْهِمَا شَيْئًا.

فَقَالَ: قَدْ بَقِيَ مَعِيَ دِيْنَارٌ، فَنِصْفُهُ لَكَ، وَنَجْعَلُ النِّصْفَ الآخَرَ فِي الكِرَاءِ، فَخَرَجْنَا مِنَ البَصْرَةِ، وَأَخَذْتُ مِنْهُ النِّصْفَ دِيْنَار.

وَسَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ: خَرَجْنَا مِنَ المَدِيْنَةِ، مِنْ عِنْدِ دَاوُدَ الجَعْفَرِيِّ، وَصِرْنَا إِلَى الجَارِ وَرَكِبْنَا البَحْرَ، فَكَانَتِ الرِّيْحُ فِي وَجُوْهِنَا، فَبَقِيْنَا فِي البَحْرِ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ، وَضَاقتْ صُدُوْرُنَا، وَفَنِيَ مَا كَانَ مَعَنَا، وَخَرَجْنَا إِلَى البَرِّ نَمْشِي أَيَّامًا، حَتَّى فَنِيَ مَا تَبَقَّى مَعَنَا مِنَ الزَّادِ وَالمَاءِ، فَمَشَيْنَا يَوْماً لَمْ نَأْكلْ وَلَمْ نَشْرَبْ، وَيَوْمَ الثَّانِي كَمِثْلٍ، وَيَوْمَ الثَّالِثِ، فَلَمَّا كَانَ يَكُوْنُ المَسَاءَ صَلَّيْنَا، وَكُنَّا نُلْقِي بِأَنْفُسِنَا حَيْثُ كُنَّا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ، جَعَلنَا نَمْشِي عَلَى قَدْرِ طَاقَتِنَا، وَكُنَّا ثَلاَثَةَ أَنْفُسٍ: شَيْخٌ نَيْسَابُورِيٌّ، وَأَبُو زُهَيْرٍ المَرْوَزِيُّ، فَسَقَطَ الشَّيْخُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَجِئْنَا نُحَرِّكُهُ وَهُوَ لَا يَعْقِلُ، فَتَرَكْنَاهُ، وَمَشَيْنَا قَدْرَ فَرْسَخٍ، فَضَعُفْتُ، وَسَقَطْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، وَمَضَى صَاحِبِي يَمْشِي، فَبَصُرَ مِنْ بُعْدٍ قَوْمًا، قَرَّبُوا سَفِيْنَتَهُم مِنَ البرِّ، وَنَزَلُوا عَلَى بِئْرِ مُوْسَى، فَلَمَّا عَايَنَهُم، لَوَّحَ بِثَوْبِهِ إِلَيْهِم، فَجَاؤُوهُ مَعَهُم مَاءٌ فِي إِدَاوَةٍ.

فَسَقَوْهُ، وَأَخَذُوا بِيَدِهِ.

فَقَالَ لَهُم: الحَقُوا رَفِيْقَيْنِ لِي، فَمَا شَعَرْتُ إِلاَّ بِرَجُلٍ يَصُبُّ المَاءَ عَلَى وَجْهِي، فَفَتَحْتُ عَيْنِيَّ، فَقُلْتُ: اسقِنِي، فَصَبَّ مِنَ المَاءِ فِي مَشْرَبَةٍ قَلِيْلاً، فَشَرِبْتُ، وَرَجَعَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، ثُمَّ سَقَانِي قَلِيْلاً، وَأَخَذَ بِيَدِي، فَقُلْتُ: وَرَائِي شَيْخٌ مُلْقَى، فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَيْهِ، وَأَخَذَ بِيَدِي، وَأَنَا أَمشِي وَأَجُرُّ رِجْلَيَّ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ إِلَى عِنْدِ سَفِيْنَتِهِم، وَأَتَوا بِالشَّيْخِ، وَأَحْسَنُوا إِلَيْنَا، فَبَقِينَا أَيَّاماً حَتَّى رَجَعَتْ إِلَيْنَا أَنْفُسُنَا، ثُمَّ كَتَبُوا لَنَا كِتَابًا إِلَى مَدِيْنَةٍ، يُقَالُ لَهَا: رَايَة، إِلَى وَالِيهِم، وَزَوَّدُونَا مِنَ الكَعْكِ وَالسَوِيْقِ وَالمَاءِ.

فَلَمْ نَزَلْ نَمْشِي حَتَّى نَفِدَ مَا كَانَ مَعَنَا مِنَ المَاءِ وَالقُوْتِ، فَجَعَلْنَا نَمْشِي جِيَاعًا عَلَى شَطِّ البَحْرِ، حَتَّى دُفِعْنَا إِلَى سُلَحْفَاةٍ مِثْلَ التُّرْسِ، فَعَمَدْنَا إِلَى حَجَرٍ كَبِيْرٍ، فَضَرَبْنَا عَلَى

ظَهْرِهَا، فَانْفَلَقَ، فَإِذَا فِيهَا مِثْلُ صُفْرَةِ البَيْضِ، فَتَحَسَّيْنَاهُ حَتَّى سَكَنَ عَنَّا الجُوْعَ، ثُمَّ وَصَلْنَا إِلَى مَدِيْنَةِ الرَّايَةِ، وَأَوْصَلْنَا الكِتَابَ إِلَى عَامِلِهَا، فَأَنْزَلَنَا فِي دَارِهِ، فَكَانَ يُقَدِّمُ لَنَا كُلَّ يَوْمٍ القَرْعَ، وَيَقُوْلُ لِخَادِمِهِ: هَاتِي لَهُم اليَقْطِيْنَ المُبَارَكِ، فَيُقَدِّمُهُ مَعَ الخُبْزِ أَيَّامًا.

فَقَالَ وَاحِدٌ مِنَّا: أَلاَ تَدْعُو بِاللَّحْمِ المَشْؤُومِ؟! فَسَمِعَ صَاحِبُ الدَّارِ، فَقَالَ: أَنَا أُحْسِنُ بِالفَارِسِيَّةِ، فَإِنَّ جَدَّتِي كَانَتْ هَرَوِيَّةً، وَأَتَانَا بَعْدَ ذَلِكَ بِاللَّحْمِ، ثُمَّ زَوَّدَنَا إِلَى مِصْرَ.ا.هـ.

◄ وَأَخْرَجَ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ (ج٢/صـ: ١٦٢-١٦٣) عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْبَكْرِيِّ، قَالَ: جَمعتِ الرِّحلَةُ بَيْنَ ابْنِ جَرِيْرٍ، وَابْن خُزَيْمَةَ، وَمُحَمَّدِ بنِ نَصْرٍ المَرْوَزِيّ، وَمُحَمَّدِ بنِ هَارُوْنَ الرُّوْيَانِي بِمِصْرَ، فَأَرملُوا وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُم مَا يقُوتُهُم، وَأَضَرَّ بِهِم الْجُوع، فَاجْتَمَعُوا لَيْلَةً فِي مَنْزِلٍ كَانُوا يَأْوونَ إِلَيْهِ، فَاتَّفَقَ رأيُهُم عَلَى أَنْ يَسْتَهِمُوا وَيضربُوا القُرْعَة، فَمَنْ خَرجتْ عَلَيْهِ القُرعَةُ سَأَلَ لأَصْحَابِهِ الطَّعَام، فَخَرَجت القرعَة عَلَى ابْنِ خُزَيْمَة، فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: أَمْهِلونِي حَتَّى أُصَلِّي صَلاَةَ الخِيرَة، قَالَ: فَاندفعَ فِي الصَّلاَةِ، فَإِذَا هُم بِالشُّموع وَخَصِيٍّ مِنْ قِبَل وَالِي مِصر يَدُقُّ البَاب، فَفَتَحُوا، فَقَالَ: أَيُّكُم مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ؟ فَقِيْلَ: هُوَ ذَا، فَأَخْرَجَ صرَّةً فِيْهَا خَمْسُوْنَ دِيْنَارًا، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَيُّكُم مُحَمَّدُ بنُ جَرِيْرٍ؟ فَأَعطَاهُ خَمْسِيْنَ دِيْنَارًا، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُم مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ؟ فَقَالُوا: هُوَ ذَا. فَأَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا خَمْسُونَ دِينَارًا، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُم مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ؟ فَقَالُوا: هُوَ ذَا يُصَلِّي. فَلَمَّا فَرَغَ دَفَعَ إِلَيْهِ الصُّرَّةَ، وَفِيهَا خَمْسُونَ دِينَارًا. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الأَمِيْرَ كَانَ قَائِلًا بِالأَمس، فَرَأَى فِي المَنَامِ أَنَّ المَحَامِدَ جِيَاعٌ قَدْ طَوَوْا كَشْحَهُم، فَأَنفذَ إِلَيْكُم هَذِهِ الصُّرَرَ، وَأَقسَمَ عَلَيْكُم: إِذَا نَفِدَتْ، فَابْعَثُوا إِلَيَّ أَحَدَكُم.ا.هـ.

◄ وَضَاعَتْ نَفَقَةُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ بِمَكَّةَ، فَمَكَثَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا يَسْتَفُّ الرَّمْلَ.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ – كَمَا فِي "تَارِيخِ الْإِسْلَامِ"(ج١٠/صـ: ٥٤-٥٥) -: أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ، أَنَّهُ أَصَابَتْهُ مَجَاعَةٌ بِمَكَّةَ، فَمَكَثَ أَيَّامًا يَأْكُلُ الرَّمْلَ بِالْمَاءِ!.

وَقَالَ شُعَيْبُ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: قَدِمَ ابْنُ أَدْهَمَ مَكَّةَ، فَإِذَا فِي جِرَابِهِ طِينٌ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ طَعَامِي مُنذُ شَهْرٍ.ا.هـ.

◄ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الزَّاهِدُ (ت ٣٤٢هـ) - كَمَا فِي تَرْجَمَتِهِ مِنَ "السِّيَرِ"(ج/صـ:) -: كُنْتُ بِالبَصْرَةِ أَيَّامَ القَحْط، فَلم آكل فِي أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا إِلَّا رغيفًا وَّاحِدًا، كُنْت إِذَا جُعتُ، قَرَأْت يسّ عَلَى نِيَّة الشِّبَع، فكفَانِي اللهُ الْجُوع.

◄ وَقَالَ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجَيْلَانِيُّ - كَمَا فِي تَرْجَمَتِهِ مِنَ "السِّيَرِ"(ج٢٠/صـ:٤٤٤-٤٤٥) -: بَلغَتْ بِي الضَّائِقَةُ فِي الغِلاَءِ إِلَى أَن بَقِيْتُ أَيَّامًا، لَا آكُلُ طَعَامًا، بَلْ أَتَتَبَّعُ المَنبُوذَاتِ، فَخَرَجتُ يَوْمًا إِلَى الشَّطِّ، فَوَجَدْتُ قَدْ سَبَقَنِي الفُقَرَاءُ، فَضَعُفْتُ وَعَجَزْتُ عَنِ التَّمَاسُكِ، فَدَخَلتُ مَسْجِدًا، وَقعدتُ، وَكِدْتُ أُصَافِحُ المَوْتَ، وَدَخَلَ شَابٌّ أَعْجَمِيٌّ وَمَعَهُ خُبْزٌ وَشِوَاءٌ، وَجَلَسَ يَأْكُلُ، فَكُنْتُ أَكَادُ كُلَّمَا رَفَعَ لُقْمَةً أَنْ أَفتحَ فَمِي، فَالْتَفَتَ فَرَآنِي، فَقَالَ: بِاسمِ اللهِ. فَأَبَيْتُ، فَأَقسمَ عَلَيَّ، فَأَكَلتُ مُقَصِّرًا، وَأَخَذَ يَسْأَلُنِي: مَا شُغْلُكَ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: متفقِّهٌ مِنْ جيلاَنَ. قَالَ: وَأَنَا مِنْ جيلاَنَ، فَهَلْ تَعرفُ لِي شَابّاً جَيلاَنِيّاً اسْمُهُ عَبْدُ القَادِرِ، يُعرَفُ بِسِبْطِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصَّوْمعِيِّ الزَّاهِدِ؟ فَقُلْتُ: أَنَا هُوَ.

فَاضْطَرَّبَ لِذَلِكَ، وَتَغَيَّرَ وَجهُهُ، وَقَالَ: وَاللهِ يَا أَخِي! لَقَدْ وَصلتُ إِلَى بَغْدَادَ، وَمعِي بَقِيَّةُ نَفَقَةٍ لِي، فَسَأَلتُ عَنْكَ، فَلَمْ يُرْشِدْنِي أَحَدٌ إِلَى أَنْ نَفِذَتْ نَفَقَتِي، وَبقيتُ بَعْدهَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ أَجِدُ ثَمَنَ قُوتِي إِلاَّ مِنْ مَالِكَ، فَلَمَّا كَانَ هَذَا اليَوْمُ الرَّابِعُ، قُلْتُ: قَدْ تَجَاوَزَتْنِي ثَلاَثُ أَيَّامٍ، وَحَلَّتْ لِي المَيْتَةُ، فَأَخَذتُ مِنْ وَدِيعَتِكَ ثمنَ هَذَا الخبزِ وَالشِّوَاءِ، فَكُلْ طَيِّباً، فَإِنَّمَا هُوَ لَكَ، وَأَنَا ضَيفُكَ الآنَ.

فَقُلْتُ: وَمَا ذَاكَ؟

قَالَ: أُمُّكَ وَجَّهَتْ مَعِي ثَمَانِيَةَ دَنَانِيْرَ، واللهِ مَا خُنْتُكَ فِيْهَا إِلَى اليَوْمِ.

فَسَكَّنْتُهُ، وَطَيَّبْتُ نَفْسَهُ، وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ شَيْئاً مِنْهَا.ا.هـ.

◄ وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ طَاهِرِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ المَقْدِسِيُّ الظَّاهِرِيُّ - كَمَا فِي تَرْجَمَتِهِ مِنَ "السِّيَرِ"(ج١٩/صـ:٣٦٧) -: أَقَمْتُ بِتنِّيس مُدَّةً عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ بنِ الحَدَّادِ وَنُظَرَائِهِ، فَضَاق بِي، فَلَمْ يَبْقَ مَعِي غَيْرُ دِرْهَمٍ، وَكُنْت أَحتَاج إِلَى حبرٍ وَكَاغَدٍ، فَتَرَدَّدتُّ فِي صَرْفِهِ فِي الحَبْرِ أَوِ الكَاغد أَوِ الخبز، وَمَضَى عَلَى هَذَا ثَلاَثَةُ أَيَّام لَمْ أَطْعَمْ فِيْهَا، فَلَمَّا كَانَ بكرَةَ اليَوْم

الرَّابع، قُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ لِي اليَوْمَ كَاغَدٌ، لَمْ يُمكنِي أَنْ أَكْتُب مِنَ الجُوع، فَجَعَلت الدِّرْهَم فِي فَمِي، وَخَرَجتُ لأَشْتَرِي خُبزًا، فَبلعتُهُ، وَوَقَعَ عليّ الضَّحكُ، فَلقيني صَدِيْقٌ وَأَنَا أضحك، فَقَالَ: مَا أَضْحَكَكَ؟ قُلْتُ: خَيْر. فَأَلَحَّ عَلِيَّ، وَأَبَيْتُ أَنْ أُخْبِرَهُ، فَحَلَفَ بِالطَّلَاق لَتَصْدُقَنِّي، فَأَخْبَرتُهُ، فَأَدخلني مَنْزِلَه، وَتَكَلَّفَ أَطْعِمَةً، فَلَمَّا خَرَجْنَا لِصَلاَةِ الظُّهْرِ، اجْتَمَعَ بِهِ بَعْضُ وُكلاَء عَامِلِ تِنِّيس ابْن قَادوس، فَسَأَلَهُ عَنِّي، فَقَالَ: هُوَ هَذَا، قَالَ: إِنَّ صَاحِبِي مُنْذُ شَهرٍ أَمر بِي أَنْ أُوصِلَ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ قِيمتُهَا ربعُ دِيْنَار، وَسهوتُ عَنْهُ، فَأَخَذَ مِنْهُ ثَلاَث مائَة، وَجَاءَ بِهَا.ا.هـ.

وَكَذَلِكَ يَكُونُ الصَّبْرُ عَلَى الْجُوعِ وَالظَّمَإِ عِبَادَةً، إِذَا كَانَ نَاشِئًا عَنِ الصِّيَامِ، وَالصِّيَامُ هُوَ التَعَبُّد للهِ ﷻ بِالْإِمْسَاكِ عَنِ الْمُفطِّرَاتِ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ وَغَيْرِهَا مِن طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[البقرة: ١٨٧].

وَفَضَائِلُ الصِّيَامِ وَأَهْلِهِ مَعْلُومَةٌ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِهَا، لَوْ لَمْ يَكُن مِّنْهَا إِلَّا قَوْلُ اللهِ ﷻ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «**يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي**»(٢).

وَلَيْسَ الْجُوعُ وَالظَّمَأُ وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الشَّهْوَةِ مَقْصُودًا لِّذَاتِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَى مَقْصُودٍ، وَهُوَ: تَعْوِيدُ الْإِنسَانِ عَلَى تَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، [وَلاَ يَجْهَلْ]، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، [مَرَّتَيْنِ]**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (مرقم:١٩٠٤، و٥٩٢٧)، ومسلم (مرقم:١١٥١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فيما يرويه عن ربه ﷻ.

(٢) البخاري (مرقم:٧٤٩٢) وهذا لفظه، ومسلم (مرقم:١١٥١)(١٦٤)، ولفظه: «**يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي**».

(٣) البخاري (مرقم:١٩٠٤)، ومسلم (مرقم:١١٥١)(١٦٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. =

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم:٦٠٥٧) عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ وَالجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**».

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ [فَقَطْ]، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ**». صَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ (رقم:١٩٩٦)، وَابْنُ حِبَّانَ (رقم:٣٤٧٩)، وَالْحَاكِمُ (رقم:١٥٧٠)، وَالْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.(١)

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم:٨٨٥٦، و٩٦٨٥)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم:١٦٩٠)، وَغَيْرُهُمَا.(٢)

وَأَمَّا تَحَرِّي الْجُوعِ الْمُفْرِطِ وَاعْتِقَادُ أَنَّهُ زُهْدٌ وَّعِبَادَةٌ فَمِن ضَلَالَاتِ الصُّوفِيَّةِ أَصْحَابِ الْمُكَاشَفَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ الذَّهَبِيُّ فِي "السِّيَرِ"(ج١٢/صـ: ٩٠): ثُمَّ العَابِدُ العَرِيُّ مِنَ العِلْمِ، مَتَى زَهَدَ وَتبتَّلَ وَجَاعَ، وَخَلاَ بِنَفْسِهِ، وَتَرَكَ اللَّحْمَ وَالثِّمَارَ، وَاقْتَصَرَ عَلَى الدُّقَّةِ وَالكِسْرَةِ، صَفَتْ حَوَاسُّهُ وَلَطُفَتْ، وَلاَزَمَتْهُ خَطَرَاتُ النَّفْسِ، وَسَمِعَ خِطَابًا يَتَوَلَّدُ مِنَ الجُوْعِ وَالسَّهَرِ، لَا وُجُوْدَ لِذَلِكَ الخَطَابِ – واللهِ – فِي الخَارِجِ، وَوَلَجَ الشَّيْطَانُ فِي بَاطِنِهِ وَخَرَجَ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ قَدْ وَصَلَ!، وَخُوْطِبَ!، وَارْتَقَى!، فَيَتَمَكَّنُ مِنْهُ الشَّيْطَانُ، وَيُوَسْوِسُ لَهُ، فَيَنْظُرُ إِلَى المُؤْمِنِيْنَ بِعَيْنِ الازْدِرَاءِ، وَيَتَذَكَّرُ ذُنُوبَهُم، وَيَنْظُرُ إِلَى

وما بين المعكوفين هو في رواية للبخاري (رقم:١٨٩٤).

(١) وما بين المعكوفين هو لابن حبان، وكذا جاء في رواية البيهقي في: "الكبرى"(رقم:٨٣١٢).
وقد صححه على شرط مسلم: الحاكم، والحافظ أبو موسى المديني، كما في "لطائف المعارف" (صـ:١٥٥) لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ، وذكره الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم:١٠٨٢).

(٢) وصححه ابن خزيمة (رقم:١٩٩٧)، وابن حبان (رقم:٣٤٨١)، والحاكم (رقم:١٥٧١) على شرط البخاري، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم:١٠٨٤)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:١٣٧٢).

نَفْسِهِ بِعَيْنِ الكَمَالِ، وَرُبَّمَا آلَ بِهِ الأَمْرُ إِلَى أَن يَّعْتَقِدَ أَنَّهُ وَلِيٌّ، صَاحِبُ كَرَامَاتٍ وَتَمَكُّنٍ، وَرُبَّمَا حَصَلَ لَهُ شَكٌّ، وَتَزَلْزَلَ إِيْمَانُهُ.

فَالخَلْوَةُ وَالجُوْعُ أَبُو جَادِ التَّرهُّبِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ شَرِيْعَتِنَا فِي شَيْءٍ.

وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي مُحَمَّدٍ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الحُسَيْنِ الأَبْهَرِيِّ (ج١٧/صـ: ٥٧٦-٥٧٧): قِيْلَ: إِنَّهُ عَمل لَهُ خلوَةً، فَبَقِيَ خَمْسِيْنَ يَوْماً لاَ يَأْكُلُ شَيْئاً! وَقَدْ قُلْنَا: إِنَّ هَذَا الجوع المُفْرِط لاَ يَسُوغُ، فَإِذَا كَانَ سَرْدُ الصِّيَامِ وَالوِصَالُ قَدْ نُهِي عَنْهُمَا، فَمَا الظَّنُّ، وَقَدْ قَالَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ»**.

ثُمَّ قَلَّ مَنْ عَمِلَ هَذِهِ الخَلَوَاتِ المُبْتَدَعَةَ إِلاَّ وَاضْطَرَبَ، وَفَسَدَ عَقْلُه، وَجَفَّ دِمَاغُهُ، وَرَأَى مَرَائِيَ، وَسَمِعَ خِطَابًا لَّا وُجودَ لَهُ فِي الخَارِج، فَإِن كَانَ مُتَمَكِّنًا مِّنَ العِلْمِ وَالإِيْمَانِ، فَلَعَلَّهُ ينجُو بِذَلِكَ مِنْ تَزَلْزُل توحيدِهِ، وَإِن كَانَ جَاهِلًا بِالسُّنَن وَبقَوَاعِدِ الإِيْمَانِ، تَزَلْزَلَ تَوحِيدُهُ، وَطَمِعَ فِيْهِ الشَّيْطَانُ، وَادَّعَى الوُصُوْلَ، وَبَقِيَ عَلَى مَزلَّةِ قَدِمَ، وَرُبَّمَا تَزَنْدَقَ، وَقَالَ: أَنَا هُو! نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّفسِ الأَمَّارَة، وَمِنَ الهوَى، وَنسأَلُ اللهَ أَن يَّحْفَظَ عَلَيْنَا إِيْمَانَنَا، آمِينَ.ا.هـ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اعْرِفُوا قَدْرَ نِعَمِ اللهِ ﷻ، وَقَدْرَ مَنْ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ يَزِدْكُمْ، وَإِلَّا كَانَتِ الْأُخْرَى، قَالَ ﷻ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾ [النحل: ١١٢].

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: الْقَرْيَةُ مَكَّةُ، أَنْعَمَ اللهُ ﷻ بِالْإِطْعَامِ مِنَ الْجُوعِ وَالْأَمْنِ مِنَ الْخَوْفِ، فَقَالَ: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ [قريش: ١ – ٤].

فَلَمَّا كَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ ﷻ أَبْدَلَهَا اللهُ ﷻ بِالشِّبَعِ جُوعًا، وَبِالْأَمْنِ خَوْفًا.

فَأَرْزَاقُ الْعِبَادِ وَبَرَكَاتُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِيَدِ اللهِ ﷻ، لَا بِيَدِ غَيْرِهِ، ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، فَلَيْسَتْ بِيَدِ الشَّرْقِ وَلَا بِيَدِ الْغَرْبِ، وَلَا فِي أَسْعَارِ عُمُلَاتِهِمْ.

فَمَنْ أَرَادَ الْبَرَكَاتِ وَالْأَرْزَاقَ الطَّيِّبَاتِ فَلْيَسْتَجْلِبْهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ﷻ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ [التوبة: ٢٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

وَعَن مَّعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَقُولُ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ قَلْبَكَ غِنًى وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ رِزْقًا، يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَبَاعَدْ مِنِّي فَأَمْلَأْ قَلْبَكَ فَقْرًا وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ شُغْلًا»**. رَوَاهُ الْحَاكِمُ (رقم: ٧٩٢٦).(١)

وَعِندَ أَبِي دَاوُدَ (رقم: ٣٤٥١)، وَالتِّرْمِذِيِّ (رقم: ١٣١٤)، وَابْنِ مَاجَهْ (رقم: ٢٢٠٠) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، غَلَا السِّعْرُ، فَسَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ»**.(٢)

وَكَمَا أَنَّ لِلْأَبْدَانِ جُوعًا وَشِبَعًا، فَكَذَلِكَ لِلنُّفُوسِ جُوعٌ وَشِبَعٌ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٧٢٢) عَن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِن نَّفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»**.

---

(١) وصححه ووافقه الذهبي، وتبعهما الألباني في "الصحيحة"(رقم: ١٣٥٩).
وصححه أيضًا: الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١١٢٧).

(٢) وصححه الترمذي، والألباني في تعليقه على "المشكاة"(رقم: ٢٨٩٤)، وذكره الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٠٤).

وَعِندَ الْحَاكِمِ (رقم:٣١٢) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ فِي عِلْمٍ لَا يَشْبَعُ، وَمَنْهُومٌ فِي دُنْيَا لَا يَشْبَعُ». (١)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ». (٢)

هَذَا وَإِنَّ هُنَاكَ مَجَاعَةً أُخْرَى، تَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا أَحْكَامٌ شَرْعِيَّةٌ، وَهِيَ الرَّضَاعُ فِي مُدَّةِ الْحَوْلَيْنِ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ المَجَاعَةِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥١٠٢)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٤٥٥).

بَوَّبَ عَلَيْهِ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ: (بَابُ مَنْ قَالَ: لَا رَضَاعَ بَعْدَ حَوْلَيْنِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وَقَوْلُهُ: «مِنَ المَجَاعَةِ»، أَي: مِمَّن يَرْضَعُ لِجُوعِهِ، فَيُغْنِي عَنْهُ الرَّضَاعُ مِنَ الْجُوعِ.

وَأَمَّا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِسَهْلَةَ بِنتِ سُهَيْلٍ امْرَأَةِ أَبِي حُذَيْفَةَ فِي شَأْنِ سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ: «أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ»، (٣) فَقَدْ حَمَلَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ فَمَن بَعْدَهُمْ هَذَا الْحَدِيْثَ عَلَى أَنَّهُ خَاصٌّ بِسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، فَفِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ (رقم: ١٤٥٤) أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كَانَتْ تَقُولُ: أَبَى سَائِرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُدْخِلْنَ عَلَيْهِنَّ أَحَدًا بِتِلْكَ الرَّضَاعَةِ، وَقُلْنَ لِعَائِشَةَ: وَاللهِ مَا نَرَى هَذَا إِلَّا رُخْصَةً أَرْخَصَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِسَالِمٍ خَاصَّةً، فَمَا هُوَ بِدَاخِلٍ عَلَيْنَا أَحَدٌ بِهَذِهِ الرَّضَاعَةِ، وَلَا رَائِينَا.

---

(١) وذكره العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (رقم:٥١).

(٢) البخاري (رقم: ١٤٧٢، و٢٧٥٠، و٣١٤٣، و٦٤٤١)، ومسلم (رقم: ١٠٣٤).

(٣) رواه مسلم (رقم: ١٤٥٣) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَحَمَلَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذَا الْحَدِيْثَ عَلَى مَن كَانَتْ حَالُهُ مِثْلَ حَالِ سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَاخْتَارَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَتِلْمِيْذُهُ ابْنُ الْقَيِّمِ، وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَولَى وَأَحْوَطُ، واللهُ أَعْلَمُ.

الربا

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ﴾[البقرة: ٢٧٥].

هَذَا الْوَعِيدُ عَامٌّ، يَشْمَلُ كُلَّ مُرَابِي، سَوَاءٌ أَكَلَ مِنَ الرِّبَا، أَمْ لَمْ يَأْكُلْ، وَإِنَّمَا خُصَّ الْأَكْلُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ الْمَقْصُودِ غَالِبًا.

﴿لَا يَقُومُونَ﴾: أَيْ: مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وَهَذَا التَّفْسِيرُ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ السَّلَفِ، وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ قَوْلًا آخَرَ، وَهُوَ: أَنَّ الْمُرَادَ: تَشْبِيهُ آكِلِ الرِّبَا فِي طَمَعِهِ وَحِرْصِهِ عَلَى جَمْعِ عَلَى الْمَالِ بِالْمَجْنُونِ حَالَ قِيَامِهِ، كَمَا يُقَالُ لِمَنْ يُسْرِعُ فِي مَشْيِهِ وَيَضْطَرِبُ فِي حَرَكَاتِهِ: إِنَّهُ قَدْ جُنَّ، ذَكَرَهُ الشَّوْكَانِيُّ بِصِيغَةِ التَّمْرِيضِ، وَالسَّعْدِيُّ احْتِمَالًا، واللهُ أَعْلَمُ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: إِنَّمَا جُوزُوا بِذَلِكَ؛ لِاعْتِرَاضِهِمْ عَلَى أَحْكَامِ اللَّهِ فِي شَرْعِهِ، وَلَيْسَ هَذَا قِيَاسًا مِنْهُمْ لِلرِّبَا عَلَى الْبَيْعِ؛ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْتَرِفُونَ بِمَشْرُوعِيَّةِ أَصْلِ الْبَيْعِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مِنْ بَابِ الْقِيَاسِ لَقَالُوا: إِنَّمَا الرِّبَا مِثْلُ الْبَيْعِ، وَإِنَّمَا قَالُوا: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، أَيْ: هُوَ نَظِيرُهُ، فَلِمَ حُرِّمَ هَذَا وَأُبِيحَ هَذَا؟ وَهَذَا اعْتِرَاضٌ مِنْهُمْ عَلَى الشَّرْعِ، أَيْ: هَذَا مِثْلُ هَذَا، وَقَدْ أَحَلَّ هَذَا وَحَرَّمَ هَذَا!.ا.هـ.

قَالَ ﷻ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]،أَيْ: مَن بَلَغَهُ تَحْرِيمُ الرِّبَا، فَانْتَهَى، فَإِنَّهُ يَحِلُّ لَهُ مَا سَلَفَ مِنَ الْمُعَامَلَةِ بِهِ قَبْلَ عِلْمِهِ بِالتَّحْرِيمِ.

وَهَذَا لَا يَخْتَصُّ بِالرِّبَا، بَلْ يَشْمَلُ كُلَّ كَسْبٍ حَرَامٍ، قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ يُسْتَفَادُ مِنْهَا حِلُّ الْكَسْبِ الْمَاضِي مِنَ الْعَمَلِ غَيْرِ الْمَشْرُوعِ إِذَا تَابَ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ وَرَجَعَ عَنْ ذَلِكَ، وَإِنْ تُصُدِّقَ بِهِ أَوْ بِشَيْءٍ مِنْهُ احْتِيَاطًا فَحَسَنٌ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ**».ا.هـ.(١)

وَأَمَّا مَن كَانَ عَالِمًا بِالتَّحْرِيمِ فَلَيْسَ لَهُ أَن يَّتَمَلَّكَ الْمَالَ الْحَرَامَ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ صَرْفُهُ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ، كَإِصْلَاحِ الطُّرُقِ وَالْحَمَّامَاتِ وَتَسْوِيرِ الْمَقَابِرِ، وَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا.(٢)

هَذَا إِن كَانَ قَدْ قَبَضَهُ، فَإِن كَانَ لَمْ يَقْبِضْهُ فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا رَأْسُ مَالِهِ؛ لِقَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾.

وَقَالَ ﷻ مُتَوَعِّدًا مَّن تَهَاوَنَ فِي شَأْنِ الرِّبَا: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾[البقرة: ٢٧٥].

---

(١) "مجموع فتاواه"(ج٤/صـ: ٣٠٦)، والحديث المذكور هو حديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، رواه البخاري (مرقم: ٥٢، و٢٠٥١)، ومسلم (مرقم: ١٥٩٩).

(٢) راجع: "مجموع فتاوى ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ"(ج١٤/صـ: ١٥٤، وج١٩/صـ: ٢٩-١٣٥-١٣٦، وصـ: ٢٦٦-٢٦٨، وصـ: ٢٧٤).

فَإِن كَانَ عَنِ اسْتِحْلَالٍ فَالْخُلُودُ فِي النَّارِ مُؤَبَّدٌ؛ لِأَنَّ اسْتِحْلَالَ مَا حَرَّمَ اللهُ كُفْرٌ أَكْبَرُ.

وَإِن لَّمْ يَكُنْ عَنِ اسْتِحْلَالٍ فَهُوَ كَبِيرَةٌ مِّن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، فَاعِلُهُ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ، قَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨، و١١٦].

ثُمَّ قَالَ ﷻ: ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وَهَذَا كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الروم: ٣٩].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَيْضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا، إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ»**. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٢٢٧٩).(١)

وَقَالَ ﷻ أيضًا مُتَوَعِّدًا أهل الرِّبَا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: **«الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ»**.(٢)

وَعَن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: **«إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا»**، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: **«فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ،**

(١) وصححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ١٨٦٣)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٨٢٧).

(٢) البخاري (رقم: ٢٧٦٦، و٦٨٥٧)، ومسلم (رقم: ٨٩).

وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا»، وَفِيهِ: أَنَّهُمَا قَالَا: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الحَجَرَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٧٠٤٧).

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ»، وَقَالَ: «هُمْ سَوَاءٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٥٩٨).

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الرِّبَا وَالزِّنَا، إِلَّا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٣٨٠٩) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَهُ شَوَاهِدُ.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "مَرَاتِبِ الْإِجْمَاعِ" (صـ: ٨٩): «وَاتَّفَقُوا أَنَّ الرِّبَا حَرَامٌ».

وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَجْمَعَتْ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ الرِّبَا مُحَرَّمٌ».(١)

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَجْمَعُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَحْرِيمِ الرِّبَا، وَعَلَى أَنَّهُ مِنْ الْكَبَائِرِ».(٢)

وَقَالَ الْهَيْتَمِيُّ فِي "الزَّوَاجِرِ" (ج١/ صـ: ٣٨٠): «عَدُّ الرِّبَا كَبِيرَةً هُوَ مَا أَطْبَقُوا عَلَيْهِ».

وَالرِّبَا لُغَةً: الزِّيَادَةُ وَالْكَثْرَةُ، وَالنَّمَاءُ، وَالِارْتِفَاعُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٩٢]، وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥]، وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩]، وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرعد: ١٧].

وَأَقْسَامُ الرِّبَا أَرْبَعَةٌ: رِبَا الْفَضْلِ، وَرِبَا النَّسِيئَةِ، وَرِبَا الْيَدِ، وَرِبَا الْقَرْضِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَفْظُ الرِّبَا يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَا نُهِيَ عَنْهُ مِنْ رِبَا النَّسْأِ وَرِبَا الْفَضْلِ؛ وَالْقَرْضِ الَّذِي يَجُرُّ مَنْفَعَةً وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَالنَّصُّ مُتَنَاوِلٌ لِهَذَا كُلِّهِ.(٣)

---

(١) "المغني" (ج٤/ صـ: ٣).

(٢) "المجموع شرح المهذب" (ج٩/ صـ: ٣٩١).

(٣) "مجموع الفتاوى" (ج١٩/ صـ: ٢٨٣-٢٨٤).

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ فِي "الزَّوَاجِرِ"(ج١/صـ: ٣٦٩): وَكُلٌّ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الْأَرْبَعَةِ حَرَامٌ بِالْإِجْمَاعِ، بِنَصِّ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ، وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي الرِّبَا مِنْ الْوَعِيدِ شَامِلٌ لِلْأَنْوَاعِ الْأَرْبَعَةِ.ا.هـ.

فَأَمَّا رِبَا الْفَضْلِ فَهُوَ: الْبَيْعُ مَعَ زِيَادَةِ أَحَدِ الْعِوَضَيْنِ الْمُتَّفِقَي الْجِنْسِ عَلَى الْآخَرِ، وَقَدْ وَرَدَ النَّصُّ بِتَحْرِيمِهِ فِي سِتَّةِ أَصْنَافٍ، فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ، إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٥٨٧).

وَفِي رِوَايَةٍ: **«إِلَّا سَوَاءً بِسَوَاءٍ، عَيْنًا بِعَيْنٍ، فَمَنْ زَادَ، أَوِ ازْدَادَ، فَقَدْ أَرْبَى»**.

وَلَهُ (رقم: ١٥٨٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْوُهُ، وَزَادَ: **«فَمَنْ زَادَ، أَوِ اسْتَزَادَ، فَقَدْ أَرْبَى، الْآخِذُ وَالْمُعْطِي فِيهِ سَوَاءٌ»**.

وَلَهُمَا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ بِلَالٌ بِتَمْرٍ بَرْنِيٍّ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مِنْ أَيْنَ هَذَا؟»** فَقَالَ بِلَالٌ: تَمْرٌ كَانَ عِنْدَنَا رَدِيءٌ، فَبِعْتُ مِنْهُ صَاعَيْنِ بِصَاعٍ لِمَطْعَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عِنْدَ ذَلِكَ: **«أَوَّهْ! عَيْنُ الرِّبَا، لَا تَفْعَلْ، وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَشْتَرِيَ التَّمْرَ فَبِعْهُ بِبَيْعٍ آخَرَ، ثُمَّ اشْتَرِ بِهِ»**.(١)

وَأَمَّا رِبَا النَّسِيئَةِ فَهُوَ بَيْعُ جِنسَيْنِ رَبَوِيَّيْنِ مَطْعُومَيْنِ أَوْ نَقْدَيْنِ مُتَّفِقَي الْجِنسِ أَوْ مُخْتَلِفَيْنِ مَعَ تَأْخِيرِ قَبْضِهِمَا أَوْ قَبْضِ أَحَدِهِمَا.

---

(١) البخاري (رقم: ١٨٣، و٩٩٢، و١١٩٨، و٤٥٧٠، و٤٥٧١، و٤٥٧٢)، ومسلم (رقم: ٧٦٣).

وَأَمَّا رِبَا الْيَدِ فَهُوَ التَّفَرُّقُ قَبْلَ التَّقَابُضِ، فِيمَا يُشْتَرَطُ فِيهِ التَّقَابُضُ، دُونَ اشْتِرَاطِ أَجَلٍ فِي ذَلِكَ بِنَفْسِ الْعَقْدِ، وَلَكِن يَحْصُلُ التَّأْخِيرُ فِي قَبْضِ الْبَدَلَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا عَن مَّجْلِسِ الْعَقْدِ بِالْفِعْلِ، فَأَمَّا لَوْ حَصَلَ الِاشْتِرَاطُ الْمَذْكُورُ فَإِنَّهُ رِبَا النَّسِيئَةِ.(١)

قَالَ السُّبْكِيُّ فِي "تَكْمِلَةِ الْمَجْمُوعِ"(ج١٠/صـ: ٦٩): وَيَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الْجِنْسُ الْوَاحِدُ وَالْجِنْسَانِ، أَمَّا فِي الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ فَذَلِكَ مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ.

وَنَقَلَ عَنِ ابْنِ الْمُنْذِرِ قَولَهُ: أَجْمَعَ كُلُّ مَنْ أَحْفَظُ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْمُتَصَارِفَيْنِ إِذَا افْتَرَقَا قَبْلَ أَنْ يَتَقَابَضَا أَنَّ الصَّرْفَ فَاسِدٌ.ا.هـ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي "شَرْحِ مُسْلِمٍ": قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَدًا بِيَدٍ**» حُجَّةٌ لِلْعُلَمَاءِ كَافَّةً فِي وُجُوبِ التَّقَابُضِ وَإِنِ اخْتَلَفَ الْجِنْسُ، وَجَوَّزَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُلَيَّةَ التَّفَرُّقَ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْجِنْسِ، وَهُوَ مَحْجُوجٌ بِالْأَحَادِيثِ وَالْإِجْمَاعِ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَبْلُغْهُ الْحَدِيثُ فَلَوْ بَلَغَهُ لَمَا خَالَفَهُ.ا.هـ.

وَأَمَّا رِبَا الْقَرْضِ فَهُوَ النَّفْعُ الْعَائِدُ عَلَى الْمُقْرِضِ بِسَبَبِ الْقَرْضِ، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ كُلَّ قَرْضٍ جَرَّ نَفْعًا فَهُوَ رِبًا.

وَرِبَا الْيَدِ يَرْجِعُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَى رِبَا النَّسِيئَةِ، وَكَذَلِكَ رِبَا الْقَرْضِ يَرْجِعُ إِلَيْهِ وَإِلَى رِبَا الْفَضْلِ؛ لِأَنَّ الْمُقْرِضَ أَقْرَضَ الْقَرْضَ بِمِثْلِهِ مَعَ زِيَادَةِ ذَلِكَ النَّفْعِ الَّذِي عَادَ إِلَيْهِ.(٢)

وَقَدْ يَجْتَمِعُ رِبَا الْفَضْلِ وَرِبَا النَّسِيئَةِ فِي مِثْلِ: بَيْعِ صَاعٍ مِّنَ الْبُرِّ بِصَاعَيْنِ مِنْهُ مَعَ تَأْخِيرِ الْقَبْضِ، وَقَدْ يَنفَرِدُ رِبَا الْفَضْلِ فِي مِثْلِ: بَيْعِ صَاعٍ مِّنَ الْبُرِّ بِصَاعَيْنِ مِنْهُ مَعَ الْقَبْضِ فِي مَجْلِسِ الْعَقْدِ، وَقَدْ يَنفَرِدُ رِبَا النَّسِيئَةِ فِي مِثْلِ: الْمُصَارَفَةِ مَعَ تَأْخِيرِ الْقَبْضِ.

---

(١) راجع: "فتح العزيز بشرح الوجيز"(ج٨/صـ: ١٦٢)، و"أسنى المطالب"(ج٢/صـ: ٢١)، و"تحفة المحتاج"(ج٨/صـ: ٤٠٨)، و"مغني المحتاج"(ج٢/صـ: ٣٦٣)، و"الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي"(ج٦/صـ: ٩٦).

(٢) راجع: "الزواجر"(ج١/صـ: ٣٦٩)، و"فتاوى محمد بن إبراهيم آل الشيخ"(ج٧/صـ: ١٢٤).

وَكُلُّ شَيْءٍ حَرُمَ فِيهِ رِبَا الْفَضْلِ فَإِنَّهُ يَحْرُمُ فِيهِ رِبَا النَّسِيئَةِ، لَا الْعَكْسُ.(١)

وَأَقْسَامُ الْبَيْعِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى وُقُوعِ الرِّبَا مِنْ عَدَمِهِ أَرْبَعَةٌ:

الأول: بَيْعُ جِنسٍ رَبَوِيٍّ بِمِثْلِهِ، كَالذَّهَبِ بِالذَّهَبِ، فَيُشْتَرَطُ فِيهِ أَمْرَانِ اثْنَانِ: التَّمَاثُلُ، وَالتَّقَابُضُ فِي مَجْلِسِ عَقْدِ الْبَيْعِ، بِحَيْثُ لَا يَتَفَرَّقَانِ إِلَّا بَعْدَ التَّقَابُضِ.

فَإِنِ اخْتَلَّ شَرْطُ التَّمَاثُلِ فَهُوَ رِبَا الْفَضْلِ، وَإِنِ اخْتَلَّ شَرْطُ التَّقَابُضِ كَانَ رِبَا النَّسِيئَةِ، وَإِنِ اخْتَلَّ الشَّرْطَانِ مَعًا اجْتَمَعَ رِبَا الْفَضْلِ وَرِبَا النَّسِيئَةِ.

وَالرَّاجِحُ فِي الْأَصْنَافِ الرَّبَوِيَّةِ أَنَّهَا السِّتَّةُ الْمَنصُوصُ عَلَيْهَا فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى جَرَيَانِ الرِّبَا فِيهَا، وَأَلْحَقَ بِهَا الْجُمْهُورُ أَشْيَاءَ سِوَاهَا؛ جَرْيًا عَلَى الْقِيَاسِ، وَاضْطَرَبَتْ أَقْوَالُهُمْ فِي تَعْيِينِ عِلَّةِ الرِّبَا فِيهَا، مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ عَلَى أَيٍّ مِّنْهَا.

الثاني: بَيْعُ جِنسَيْنِ رَبَوِيَّيْنِ مَطْعُومَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، كَالْبُرِّ بِالشَّعِيرِ، أَوْ نَقْدَيْنِ مُخْتَلِفَيِ الْجِنسِ، كَالذَّهَبِ بِالْفِضَّةِ، أَوْ عُمْلَةٍ وَّرَقِيَّةٍ بِأُخْرَى، فَيُشْتَرَطُ فِيهِ التَّقَابُضُ فِي مَجْلِسِ عَقْدِ الْبَيْعِ، بِحَيْثُ لَا يَتَفَرَّقَانِ إِلَّا بَعْدَ التَّقَابُضِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ، إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ**».

فَإِنِ اخْتَلَّ شَرْطُ التَّقَابُضِ فَهُوَ رِبَا النَّسِيئَةِ.

الثالث: بَيْعُ جِنسَيْنِ رَبَوِيَّيْنِ مَطْعُومَيْنِ، بِالنَّقْدَيْنِ، الذَّهَبِ أَوِ الْفِضَّةِ، أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهُمَا مِنَ الْعُمُلَاتِ الْوَرَقِيَّةِ، كَبَيْعِ الْبُرِّ بِالذَّهَبِ مَثَلًا، فَيَجُوزُ فِيهِ الْفَضْلُ وَالنَّسِيئَةُ.

الرابع: بَيْعُ جِنسٍ رَبَوِيٍّ بِآخَرَ غَيْرِ رَبَوِيٍّ، كَبَيْعِ الْبُرِّ بِالثِّيَابِ، فَيَجُوزُ فِيهِ أَيْضًا: الْفَضْلُ وَالنَّسِيئَةُ.

الخامس: بَيْعُ جِنسَيْنِ غَيْرِ رَبَوِيَّيْنِ، كَبَيْعِ الْخَشَبِ بِالثِّيَابِ، فَيَجُوزُ فِيهِ أَيْضًا: الْفَضْلُ وَالنَّسِيئَةُ.(٢)

---

(١) راجع: "الشرح الممتع"(ج٨/ص: ٣٩٣-٣٩٩).

(٢) راجع: "الشرح الممتع"(ج٨/ص: ٤٣٨)، و"مسك الختام"(ج٣/ص: ٤٠٥-٤٠٦).

وَبِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ فَإِنَّ مَا هُوَ شَائِعٌ فِي كَثِيرٍ مِّن مَّحَلَّاتِ الذَّهَبِ مِن بَيعِ الذَّهَبِ مِن صَاحِبِ الْمَحَلِّ، ثُمَّ اسْتِبْدَالِهِ بِذَهَبٍ آخَرَ بِسِعْرٍ أَكْثَرَ أَوْ أَقَلَّ، بِحَيْثُ يُوَفِّي أَحَدُ الْبَائِعَيْنِ الْآخَرَ مَا بَقِيَ لَهُ، دُونَ قَبْضِ قِيْمَةِ الذَّهَبِ الْمَبِيعِ أَوَّلًا، هُوَ مِن رِّبَا النَّسِيئَةِ.(١)

وَكَذَلِكَ مَا هُوَ شَائِعٌ فِي مَّحَلَّاتِ الصِّرَافَةِ عِندَ اسْتِلَامِ الْحَوَالَاتِ الَّتِي تُرْسَلُ بِالْعُمُلَاتِ الْخَارِجِيَّةِ، وَذَلِكَ بِقَبْضِهَا بِالْعُمْلَةِ الْمَحَلِّيَّةِ مِنْ غَيْرِ قَبْضِ الْعُمْلَةِ الْمُرْسَلَةِ بِالْعُمْلَةِ الْخَارِجِيَّةِ أَوَّلًا، فَهَذَا يُعَدُّ رِبًّا؛ لِأَنَّ هَذَا صَرْفٌ اخْتَلَّ فِيهِ شَرْطُ التَّقَابُضِ، وَلَيْسَ لِمَحَلَّاتِ الصِّرَافَةِ أَن تُلْزِمَ بِهِ، فَإِن فَعَلَتْ بَاءَتْ هِيَ بِالْإِثْمِ.

فَيَجِبُ التَّنَبُّهُ لِاشْتِرَاطِ التَّقَابُضِ فِي بَيْعِ الذَّهَبِ بِالْفِضَّةِ أَوِ الْفِضَّةِ بِالذَّهَبِ، أَوْ أَحَدِهِمَا بِالْعُمُلَاتِ الْوَرَقِيَّةِ، أَوْ عُمْلَةٍ وَّرَقِيَّةٍ بِأُخْرَى، كَالرِّيَالِ الْيَمَنِيِّ بِالرِّيَالِ السُّعُودِيِّ أَوْ بِالدُّولَارِ.

وَمَعْنَى التَّقَابُضِ: أَن لَّا يَبْقَى مِنَ الثَّمَنِ شَيْءٌ مُّؤَجَّلًا.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ بَيْعَ وَشِرَاءَ الذَّهَبِ بِالْعُمُلَاتِ الْوَرَقِيَّةِ دَيْنًا هُوَ مِن رِّبَا النَّسِيئَةِ، وَالْوَاجِبُ دَفْعُ قِيمَةِ الذَّهَبِ كَامِلَةً فِي مَجْلِسِ عَقْدِ الْبَيْعِ، وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرُ شَيْءٍ مِّنْهُ.(٢)

وَلَا يَجُوزُ أَيْضًا لِّمُشْتَرِي الذَّهَبِ أَن يَّشْتَرِطَ عَلَى بَائِعِهِ عِندَ شِرَائِهِ الذَّهَبَ مِنْهُ أَن يَّشْتَرِيَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ بَيْعَتَانِ فِي بَيْعَةٍ، وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَن ذَلِكَ.(٣)

---

(١) راجع: "فتاوى اللجنة الدائمة"(ج١٣/ص: ٤٦٦-٤٦٧)(م.١).

(٢) رواه أحمد (رقم: ٩٥٨٤، و١٠١٤٨، و١٠٥٣٥)، والترمذي (رقم: ١٢٣١)، والنسائي (رقم: ٤٦٣٢)، وصححه الترمذي، وابن حبان (رقم: ٤٩٧٣)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٢٣٢٦)، وحسنه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٣٧٠).
وراجع: "فتاوى اللجنة الدائمة"(ج١٣/ص: ٤٦٨، وص: ٤٧٤-٤٧٥)(م.١).

(٣) راجع: "فتاوى اللجنة الدائمة"(ج١٣/ص: ٤٧٨)(م.١).

وَيَجْرِي عَلَى الْعُمُلَاتِ الْوَرَقِيَّةِ النَّقْدِيَّةِ مَا يَجْرِي عَلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مِنْ أَحْكَامٍ؛ فَإِنَّهَا نَقْدٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، وَهِيَ أَجْنَاسٌ، تَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ الدَّوْلَةِ الْمُصْدِرَةِ لَهَا، فَالرِّيَالُ الْيَمَنِيُّ جِنسٌ، وَالرِّيَالُ السُّعُودِيُّ جِنسٌ، وَالدُّولَارُ الْأَمْرِيْكِيُّ جِنسٌ، وَهَكَذَا.(١)

وَلهذا يُشْتَرَطُ التَّمَاثُلُ، وَالتَّقَابُضُ فِي صَرْفِ فِئَاتِ الْعُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى بَيْعِ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ، فَإِنِ تَخَلَّفَ شَرْطُ التَّمَاثُلِ فَهُوَ رِبَا الْفَضْلِ، كَمَا لَوْ صَرَفَ عَشَرَةَ آلَافٍ مِّن فِئَةِ عِشْرِينَ رِيَالًا يَّمَنِيًّا بِأَحَدَ عَشَرَ أَلْفًا مِّن فِئَةِ أَلْفِ رِيَالٍ يَّمَنِيٍّ، فَهَذَا رِبًا، وَكَمَا لَوْ صَرَفَ عَشَرَةَ آلَافٍ مِّن فِئَةٍ مُّقَطَّعَةٍ أَوْ شِبْهِ تَالِفَةٍ بِتِسْعَةِ آلَافٍ مِّن فِئَةٍ سَلِيمَةٍ، وَكَمَا لَوْ صَرَفَ فِئَةً قَدِيمَةَ الْإِصْدَارِ بِفِئَةٍ جَدِيدَةٍ أَوْ حَدِيثَةِ الْإِصْدَارِ بِنَقْصٍ فِي إِحْدَاهُمَا عَنِ الْأُخْرَى.

وَكَذَا لَوْ تَخَلَّفَ شَرْطُ التَّقَابُضِ، فَهُوَ رِبَا النَّسِيئَةِ، كَمَا لَوْ صَرَفَ أَلْفَ رِيَالٍ يَّمَنِيٍّ عِندَ صَاحِبِ بَقَّالَةٍ، وَلَمْ يَكُن مَعَ صَاحِبِ الْبَقَّالَةِ إِلَّا سَبْعُمِائَةِ رِيَالٍ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، عَلَى أَن يُّوَفِّيَهُ الثَّلَاثَمِائَةِ الْبَاقِيَةَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَهَذَا رِبًا.

أَمَّا مَا دَخَلَ فِي الْبَيْعِ، فَلَا بَأْسَ بِهِ، كَمَا لَوِ اشْتَرَى سِلْعَةً بِسَبْعِمِائَةٍ مَّثَلًا، وَدَفَعَ إِلَيْهِ أَلْفَ رِيَالٍ، وَتَرَكَ عِندَهُ الثَّلَاثَمِائَةِ فَلَا حَرَجَ فِيهِ، وَكَذَا لَوْ قَالَ الْبَائِعُ: سِلْعَتِي هَذِهِ بِكَذَا مِنَ الْفِئَةِ الْقَدِيمَةِ، وَكَذَا مِنَ الْفِئَةِ الْجَدِيدَةِ، فَلَا حَرَجَ فِيهِ أَيْضًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وَلَا يَجُوزُ بَيْعُ الرَّبَوِيِّ إِلَّا بِمِعْيَارِهِ الشَّرْعِيِّ، وَهُوَ التَّمَاثُلُ، وَذَلِكَ بِاعْتِبَارِ الْمُسَاوَاةِ فِي الْمَوْزُونَاتِ بِالْوَزْنِ، وَفِي الْمَكِيْلَاتِ بِالْكَيْلِ، نَقَلَ ابْنُ قُدَامَةَ عَدَمَ الْخِلَافِ فِيهِ.(٢)

---

(١) راجع: "فتاوى اللجنة الدائمة"(ج١٣/صـ: ٣٩٨-٣٩٩، وصـ: ٤٣٥)(م.١)، و"أبحاث هيئة كبار العلماء"(ج١/صـ: ٧٦-٨٢).

(٢) "المغني"(ج٤/صـ: ١٣-١٤).

فَالْجَهْلُ بِالتَّمَاثُلِ أَوِ الشَّكُّ فِيهِ كَالْعِلْمِ بِالتَّفَاضُلِ.

وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ مَوْزُونَانِ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ،(١) فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ، وَلَا الْوَرِقَ بِالْوَرِقِ، إِلَّا وَزْنًا بِوَزْنٍ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٥٨٤).

وَلَهُ (رقم: ١٥٨٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَزْنًا بِوَزْنٍ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ وَزْنًا بِوَزْنٍ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، فَمَنْ زَادَ أَوِ اسْتَزَادَ فَهُوَ رِبًا»**.

وَلَهُ أيضًا (رقم: ١٥٩١) عَن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ، نُبَايِعُ الْيَهُودَ الْوُقِيَّةَ الذَّهَبَ بِالدِّينَارَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ، إِلَّا وَزْنًا بِوَزْنٍ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِخَيْبَرَ بِقِلَادَةٍ فِيهَا خَرَزٌ وَذَهَبٌ، وَهِيَ مِنَ الْمَغَانِمِ تُبَاعُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالذَّهَبِ الَّذِي فِي الْقِلَادَةِ، فَنُزِعَ وَحْدَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَزْنًا بِوَزْنٍ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: اشْتَرَيْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ قِلَادَةً بِاثْنَيْ عَشَرَ دِينَارًا، فِيهَا ذَهَبٌ وَخَرَزٌ، فَفَصَّلْتُهَا، فَوَجَدْتُ فِيهَا أَكْثَرَ مِن اثْنَيْ عَشَرَ دِينَارًا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«لَا تُبَاعُ حَتَّى تُفَصَّلَ»**.

وَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ بَيْعُ رَبَوِيٍّ بِجِنسِهِ إِذَا كَانَ مَعَهُمَا أَوْ مَعَ أَحَدِهِمَا شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ جِنسِهِمَا، كَذَهَبٍ وَّخَرَزٍ بِذَهَبٍ، وَمُدِّ عَجْوَةٍ وَدِرْهَمٍ بِمِثْلِهِمَا، أَوْ بِمُدَّيْنِ وَدِرْهَمَيْنِ، أَوْ دِينَارٍ وَّدِرْهَمٍ بِدِينَارٍ.

---

(١) وراجع: "التمهيد"(ج٢/ص: ٢٤٦)، و"مراتب الإجماع"(ص: ٨٥).

وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى أَنَّ عِلَّةَ الرِّبَا فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ هِيَ كَوْنُهُمَا ذَهَبًا وَّفِضَّةً، سَوَاءٌ أَكَانَا نَقْدَيْنِ أَوْ غَيْرَ نَقْدَيْنِ.(١)

وَأَمَّا الْبُرُّ وَالشَّعِيرُ وَالتَّمْرُ وَالْمِلْحُ فَمِعْيَارُ التَّمَاثُلِ فِيهَا: الْكَيْلُ، وَأَمَّا مَا لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ الْكَيْلُ وَالْوَزْنُ فَإِنَّهُ يَجُوزُ بَيْعُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ كَيْلًا وَّوَزْنًا؛ لِتَحَقُّقِ الْمِثْلِيَّةِ فِيهِ.(٢)

وَمَا تَعَذَّرَ كَيْلُهُ، كَالْخُبْزِ وَالتَّمْرِ الْمَكْنُوزِ، وَدِبْسِ التَّمْرِ، فَإِنَّهُ يُعْتَبَرُ بِالْوَزْنِ، وَلَا يُخْرِجُهُ ذَلِكَ عَن كَوْنِهِ مَكِيلًا.(٣)

وَالْمُعْتَبَرُ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْمَكِيلَاتِ: الْوَزْنُ، وَهُوَ الْمُتَعَارَفُ عَلَيْهِ بَيْنَ النَّاسِ الْآنَ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ – كَمَا ذَكَرَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ – أَنَّ الْوَزْنَ أَثْبَتُ؛ لِأَنَّ الْأَصْوَاعَ وَالْأَمْدَادَ تَخْتَلِفُ مِن زَمَنٍ إِلَى آخَرَ، وَمِن مَّكَانٍ لِّآخَرَ، فَلَوِ اعْتَبَرْنَا الْكَيْلَ لَحَصَلَ فِي هَذَا اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ، فَنُقِلَتْ إِلَى الْوَزْنِ؛ لِأَنَّ الْوَزْنَ يُعْتَبَرُ بِالْمَثَاقِيلِ، وَهِيَ ثَابِتَةٌ مِّنْ أَوَّلِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْيَوْمِ، وَهَذَا أَحْفَظُ وَأَسْهَلُ.

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالصَّاعُ النَّبَوِيُّ بِالْوَزْنِ يُسَاوِي كِيْلُوَيْنِ وَأَرْبَعِيْنَ جِرَامًا مِّنَ الْبُرِّ، فَتَأْتِي بِإِنَاءٍ وَتَضَعُ فِيهِ الَّذِي وَزَنتَ، فَإِذَا مَلَأَهُ فَهَذَا هُوَ الصَّاعُ النَّبَوِيُّ.ا.هـ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا – يَعْنِي الْكَيْلَ وَالْوَزْنَ – أَنَّ الْكَيْلَ تَقْدِيرُ الشَّيْءِ بِالْحَجْمِ، وَالْوَزْنَ تَقْدِيرُهُ بِالثِّقَلِ وَالْخِفَّةِ.ا.هـ.(٤)

---

(١) خلافًا لمن زعم أن العلة فيهما مجرد الثمنية، أو غلبتها.

وقد كان فقهاء الشافعية أدق في التعبير عن علة الربا في الذهب والفضة بأنها: (جنس الأثمان)، أو (جوهر الثمنية)، راجع: "الحاوي الكبير"(ج٥/صـ: ٩١)، و"نهاية المطلب"(ج٥/صـ: ٩٥)، و"المجموع شرح المهذب"(ج٩/صـ: ٣٩٥).

وراجع أيضًا: "الشرح الممتع"(ج٨/صـ: ٣٩٧).

(٢) وهو اختيار شيخ الإسلام، وابن عثيمين، راجع: "الاختيارات"(صـ: ٤٧٤)، و"الشرح الممتع"(ج٨/صـ: ٤٠٢).

(٣) "فتاوى محمد بن إبراهيم آل الشيخ"(ج٧/صـ: ١٧٥)، و"الشرح الممتع"(ج٨/صـ: ٤٣٢).

(٤) "الشرح الممتع"(ج٦/صـ: ٧٢، وج٨/صـ: ٤٠٠، وصـ: ٤٣٤).

وَأَمَّا الْعُمُلَاتُ الْوَرَقِيَّةُ فَإِنَّ مِعْيَارَ التَّمَاثُلِ فِيهَا الْعَدَدُ.

وَيَجُوزُ إِقْرَاضُ الذَّهَبِ عَلَى أَن يُقْضَى مِثْلَهُ ذَهَبًا؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ، فَفِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٢٤٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٦٠٤).

وَمَن زَادَ فِي الْقَضَاءِ عَلَى قَدْرِ الدَّيْنِ مِن دُونِ شَرْطٍ وَّلَا تَوَاطُؤٍ عَلَى الزِّيَادَةِ فَلَا بَأْسَ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَفِي رِوَايَةٍ لِّلْبُخَارِيِّ (رقم: ٢٦٠٩): **«أَفْضَلُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»**.

وَيَكُونُ قَضَاءُ الدَّيْنِ بِنَفْسِ الْعُمْلَةِ الَّتِي أَخَذَهَا الْمَدِينُ، سَوَاءٌ زَادَتْ قِيمَتُهَا أَوْ نَقَصَتْ، وَلَا يَجُوزُ قَضَاءُ الدَّيْنِ بِعُمْلَةٍ أُخْرَى، وَلَا رَدُّ قِيمَةِ الذَّهَبِ الْمُقْرَضِ بِالْعُمُلَاتِ الْوَرَقِيَّةِ إِلَّا بِأَرْبَعَةِ شُرُوطٍ:

أولها: أَن لَّا يَكُونَ عَنِ اتِّفَاقٍ أَوِ اشْتِرَاطٍ مُّسْبَقٍ؛ فَإِن كَانَ عَن ذَلِكَ فَإِنَّهُ رِبًا؛ لِأَنَّهُ صَرْفٌ تَخَلَّفَ عَنْهُ شَرْطُ التَّقَابُضِ.

ثانيها: أَن يَّكُونَ بِرِضَا الطَّرَفَيْنِ.

ثالثها: أَن يَّرُدَّهُ بِمَا يُقَابِلُ قِيمَتَهُ وَقْتَ السَّدَادِ، أَيْ: بِالسِّعْرِ الْحَاضِرِ.

رابعها: التَّقَابُضِ فِي الْمَجْلِسِ.

رَوَى النَّسَائِيُّ (رقم: ٤٥٨٥) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ: «كَانَ لَا يَرَى بَأْسًا فِي قَبْضِ الدَّرَاهِمِ مِنَ الدَّنَانِيرِ، وَالدَّنَانِيرِ مِنَ الدَّرَاهِمِ».(٢)

وَأَمَّا بَيْعُ وَشِرَاءُ الذَّهَبِ بِالْعُمُلَاتِ الْوَرَقِيَّةِ دَيْنًا فَهُوَ رِبًا، كَمَا تَقَدَّمَ التَّنبِيهُ عَلَيْهِ.

---

(١) البخاري (رقم: ٢٣٠٥، ٢٣٠٦، و٢٣٩٠، ٢٣٩٢، و٢٣٩٣، و٢٦٠٦)، ومسلم (رقم: ١٦٠١).

(٢) وإسناده حسن، كما قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الإرواء"(ج٥/صـ: ١٧٥).
وراجع: "فتاوى اللجنة الدائمة"(ج١٣/صـ: ٤٣٥-٤٣٦، وج١٤/ صـ: ١١٢-١١٣، وصـ: ١٤٤)(م.١)، و"فتاوى ابن باز"(ج١٩/صـ: ٣٠٨-٣٠٩).

وَلَا يَجُوزُ إِيدَاعُ الْأَمْوَالِ فِي الْمَصَارِفِ وَالْمُؤَسَّسَاتِ الرَّبَوِيَّةِ، سَوَاءٌ كَانَ إِيدَاعُهَا بِفَوَائِدَ أَوْ بِدُونِ فَوَائِدَ؛ لِأَنَّ فِيهِ تَعَاوُنًا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وَمَن لَّمْ يَجِدْ مَصْرِفًا لَّا يَتَعَامَلُ بِالرِّبَا وَخَافَ عَلَى أَمْوَالِهِ الضَّيَاعَ فَلَهُ أَن يُّودِعَهَا فِي الْمَصَارِفِ الرَّبَوِيَّةِ مِنْ غَيْرِ أَخْذِ فَائِدَةٍ، وَذَلِكَ لِضَرُورَةِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْمَالِ.(١)

وَأَمَّا تَحْوِيلُ النُّقُودِ عَن طَرِيقِ الْمَصَارِفِ فَجَائِزٌ، بِلَا شَكٍّ، وَالزِّيَادَةُ الَّتِي يَأْخُذُهَا الْبَنكُ هِيَ أُجْرَةٌ لَّهُ مُقَابِلَ عَمَلِيَّةِ التَّحْوِيلِ.

لَكِن لَّا يَجُوزُ التَّحْوِيلُ عَن طَرِيقِ الْبُنُوكِ الرَّبَوِيَّةِ إِلَّا إِذَا لَمْ يَجِدْ سِوَاهَا.(٢)

وَيَجِبُ أَن يَّكُونَ اسْتِلَامُ الْحَوَالَةِ بِنَفْسِ الْعُمْلَةِ الَّتِي أُرْسِلَتْ بِهَا؛ لِأَنَّ اسْتِلَامَهَا بِعُمْلَةٍ أُخْرَى صَرْفٌ تَخَلَّفَ عَنْهُ شَرْطُ التَّقَابُضِ، وَهُوَ رِبًا، كَمَا تَقَدَّمَ التَّنبِيهُ عَلَيْهِ.

وَيَجُوزُ اسْتِلَامُ الرَّوَاتِبِ الَّتِي تَصْرِفُهَا الدَّوْلَةُ أَوِ الْقِطَاعُ الْخَاصُّ عَن طَرِيقِ الْبُنُوكِ الرَّبَوِيَّةِ؛ مَا دَامَت تُّؤْخَذُ مُقَابِلَ عَمَلٍ مُّبَاحٍ لَّا تَعَلُّقَ لَهُ بِالْبُنُوكِ الرَّبَوِيَّةِ، لَكِن لَّا يَجُوزُ تَرْكُهَا فِي الْبَنكِ الرَّبَوِيِّ بَعْدَ الْأَمْرِ بِصَرْفِهَا؛ لِأَنَّ تَرْكَهَا فِيهِ مُقَابِلَ فَائِدَةٍ هُوَ صَرِيحُ الرِّبَا، وَإِن لَّمْ يَكُن مُّقَابِلَ فَائِدَةٍ فَهُوَ إِعَانَةٌ عَلَى الرِّبَا، كَمَا تَقَدَّمَ التَّنبِيهُ عَلَيْهِ.(٣)

وَمَن كَانَ يَسْتَلِمُ رَاتِبَهُ مِن بَنكٍ، ثُمَّ أَرَادَ أَن يَّسْتَلِمَهُ مِن بَنكٍ آخَرَ؛ بِسَبَبِ الزِّحَامِ مَثَلًا، مُقَابِلَ دَفْعِ عُمُولَةٍ لِّلْبَنكِ الْآخَرِ، فَهَذَا رِبًا؛ لِأَنَّهُ بَيْعُ دَرَاهِمَ بِدَرَاهِمَ مَعَ الزِّيَادَةِ.(٤)

وَلَا يَجُوزُ لِشَخْصٍ التَّنَازُلُ عَنِ مَّبْلَغٍ لَّهُ عَلَى شَخْصٍ لِّشَخْصٍ آخَرَ عَلَى أَن يَّدْفَعَ لَكَ الطَّرَفُ الثَّالِثُ بَعْضَ الْمَبْلَغِ؛ لِأَنَّهُ بَيْعُ مَبْلَغٍ مُّعَيَّنٍ بِأَقَلَّ مِنْهُ نَقْدًا؛ وَهُوَ رِبًا.(٥)

---

(١) "فتاوى اللجنة الدائمة"(ج١٣/صـ: ٢٨٥-٢٨٦، وصـ: ٢٨٨-٢٨٩، وصـ: ٣٤٦-٣٤٧)(م.١)، و"فتاوى ابن باز"(ج١٩/صـ: ١٥٣-١٥٤، وصـ: ٤١٤، و٤١٦-٤٢٠).

(٢) "فتاوى اللجنة الدائمة"(ج١٣/صـ: ٣٧٠، و٣٧٢)(م.١) برئاسة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) "فتاوى اللجنة الدائمة"(ج١٣/صـ: ٢٨٥، وصـ: ٢٨٩)(م.١) برئاسة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) "فتاوى اللجنة الدائمة"(ج١٣/صـ: ٢٨٦-٢٨٧)(م.١) برئاسة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٥) "فتاوى اللجنة الدائمة" (ج١٣/ صـ: ٣٠٧)(م.١) برئاسة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَمِن صُوَرِ الْمُعَامَلَاتِ الرَّبَوِيَّةِ الْعَصْرِيَّةِ أيضًا:مَا فِي النِّظَامِ التِّجَارِيِّ الَّذِي يَتَعَامَلُ وِفْقَهُ التُّجَّارُ الْمُسْتَوْرِدُونَ مِن دُوَلِ الْخَارِجِ، كَالْيَابَانِ، وَالصِّينِ، وَالْهِنْدِ، وَدُوَلِ أُورُبَّا، وَأَمْرِيكَا، وَلَا بُدَّ فِي هَذَا النِّظَامِ مِنَ التَّعَامُلِ مَعَ بَنكٍ مِّنَ الْبُنُوكِ، بَعْدَ الاتِّفَاقِ مَعَ الشَّرِكَةِ الْمُصَنِّعَةِ عَلَى نَوْعِ الْبِضَاعَةِ، وَمُوَاصَفَاتِهَا، وَقِيمَتِهَا وَمُدَّةِ تَسْلِيمِهَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ تُعْطِيهِ الشَّرِكَةُ فَاتُورَةً بِأَوْصَافِ الْبِضَاعَةِ وَقِيمَتِهَا، ثُمَّ يَدْفَعُ الْفَاتُورَةَ لِلْبَنكِ، عَلَى أَن يَّدْفَعَ الْبَنكُ لِلشَّرِكَةِ الْمُصَنِّعَةِ خِطَابَ اعْتِمَادٍ وَّضَمَانٍ بِأَنَّ الْبَنكَ سَوْفَ يَدْفَعُ الْقِيمَةَ كُلَّهَا عِندَ إِيصَالِ هَذِهِ الْبِضَاعَةَ إِلَى شَرِكَةِ الْبَوَاخِرِ، وَتُصَنِّعُ الشَّرِكَةُ الْبِضَاعَةَ حَسَبَ الطَّلَبِ، ثُمَّ تُسَلِّمُهَا إِلَى شَرِكَةِ الْبَوَاخِرِ، وَالَّتِي تُسَلِّمُهَا بَدَوْرِهَا إِلَى جَمَارِكِ الْمِينَاءِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَذْهَبُ التَّاجِرُ إِلَى الْبَنكِ، فَإِن كَانَ الْبَنكُ قَد دَّفَعَ ثَمَنَ الْبِضَاعَةِ كَامِلًا أَخَذَ مِنَ التَّاجِرِ نِسْبَةً مُّعَيَّنَةً عَن كُلِّ مِائَةِ رِيَالٍ، كَرُبُعِ رِيَالٍ مَّثَلًا، وَإِن لَّمْ يَدْفَعْهَا كَامِلَةً أَخَذَ مِنْهُ مِن كُلِّ مِائَةِ رِيَالٍ نِسْبَةً دُونَ الْأُولَى، عَن كُلِّ شَهْرٍ يَمُرُّ عَلَى الدَّيْنِ، ثُمَّ يُعْطِيهِ الْبَنكُ خِطَابَيْنِ أَحَدُهُمَا إِلَى شَرِكَةِ الْبَوَاخِرِ، وَالْآخَرُ إِلَى جَمَارِكِ الْمِينَاءِ بِتَسْلِيمِ الْبِضَاعَةِ لِلتَّاجِرِ بَعْدَ دَفْعِ الرُّسُومِ، وَبِدُونِ خِطَابَيِ الْبَنكِ لَا يُمْكِنُ التَّاجِرَ اسْتِلَامُ الْبِضَاعَةِ، لِأَنَّهَا وَصَلَتْ بِاسْمِ الْبَنكِ، لَا بِاسْمِ التَّاجِرِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَسْتَلِمُ التَّاجِرُ الْبِضَاعَةَ بَعْدَ دَفْعِ الرُّسُومِ الْمُقَرَّرَةِ.

وَلَا يُمْكِنُ لِلتُّجَّارِ اسْتِيرَادُ بِضَاعَةٍ بِكَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةٍ إِلَّا بِوَاسِطَةِ الْبَنكِ؛ لِضَمَانِ وُصُولِهَا سَلِيمَةً، وَحَسَبَ الْمُوَاصَفَاتِ الْمَطْلُوبَةِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا عِندَ طَلَبِ الْبَدْءِ فِي تَصْنِيعِهَا.

فَهَذِهِ الْمُعَامَلَةُ جَمَعَتْ بَيْنَ رِبَا الْفَضْلِ وَبَيْنَ رِبَا النَّسِيئَةِ وَبَيْنَ الضَّمَانِ بِعِوَضٍ.(١)

وَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ فِي بَنكٍ يَّتَعَامَلُ بِالرِّبَا، سَوَاءٌ أَكَانَ هَذَا الْعَمَلُ رَبَوِيًا أَوْ غَيْرَ رَبَوِيٍّ؛ كَالْحِرَاسَةِ، وَتَوْفِيرِ مَا يَحْتَاجُهُ الْمُوَظَّفُونَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي الرَّبَوِيَّاتِ وَيَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الرَّبَوِيَّةِ؛ لِأَنَّ فِيهِ تَعَاوُنًا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢].

---

(١) "فتاوى اللجنة الدائمة" (ج١٣/ صـ: ٣١٤)(م.١) برئاسة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَلَا يَجُوزُ أَيْضًا تَأْجِيرُ الْمَبَانِي لِلْبُنُوكِ وَالْمَصَارِفِ وَالْمُؤَسَّسَاتِ الرَّبَوِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ أَيْضًا مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.

وَمَا يَأْخُذُهُ الْمُوَظَّفُ مِن رَّاتِبٍ أَوْ أُجْرَةٍ مُّقَابِلَ عَمَلِهِ فَإِنَّهُ حَرَامٌ.

وَكَذَا الْإِيجَارُ الَّذِي يَأْخُذُهُ الْمُؤَجِّرُ مِنَ الْبَنكِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُؤَسَّسَاتِ الرَّبَوِيَّةِ حَرَامٌ.(١)

جَاءَ فِي فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ"(ج١٥/ صـ: ٣٧-٣٨)(م.١) بِرِئَاسَةِ ابْنِ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَكْثَرُ الْمُعَامَلَاتِ فِي الْبُنُوكِ الْمَصْرِفِيَّةِ الْحَالِيَّةِ تَشْتَمِلُ عَلَى الرِّبَا، وَالَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبُنُوكِ الْمَصْرِفِيَّةِ أَعْوَانٌ لِّأَرْبَابِ الْبُنُوكِ فِي إِدَارَةِ أَعْمَالِهَا: كِتَابَةً أَوْ تَقْيِيدًا أَوْ شَهَادَةً، أَوْ نَقْلًا لِلْأَوْرَاقِ، أَوْ تَسْلِيمًا لِّلنُّقُودِ، أَوْ تَسَلُّمًا لَّهَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ إِعَانَةٌ لِّلْمُرَابِينَ، وَبِهَذَا يُعْرَفُ أَنَّ عَمَلَ الْإِنسَانِ بِالْمَصَارِفِ الْحَالِيَّةِ حَرَامٌ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَن يَّتَجَنَّبَ ذَلِكَ، وَأَن يَّبْتَغِي الْكَسْبَ مِنَ الطُّرُقِ الَّتِي أَحَلَّهَا اللهُ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ، وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ، وَلَا يُعَرِّضْ نَفْسَهُ لِلَعْنَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ.ا.هـ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَمِن صُوَرِ الرِّبَا الشَّائِعَةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ أَيْضًا: مَا يُعْرَفُ بِـ (التَّأْمِينِ التِّجَارِيِّ)، وَهُوَ عَقْدٌ يَّلْتَزِمُ بِمُوجَبِهِ الْمُؤَمَّنُ لَهُ بِدَفْعِ قِسْطٍ دَوْرِيٍّ مُّحَدَّدٍ وَثَابِتٍ، إِمَّا شَهْرِيًّا أَوْ سَنَوِيًّا إِلَى الْمُؤَمِّنِ، وَهُوَ شَرِكَةُ التَّأْمِينِ مُقَابِلَ تَعَهُّدِ الْمُؤَمِّنِ بِتَعْوِيضِهِ عِندَ تَحَقُّقِ الْخَطَرِ الْمُؤَمَّنِ مِنْهُ.

وَهُوَ عَقْدٌ مِّنْ عُقُودِ الْمُعَاوَضَاتِ الْمَالِيَّةِ الْمُحَرَّمَةِ؛ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى رِبَا الْفَضْلِ وَرِبَا النَّسِيئَةِ، وَالْغَرَرِ الْفَاحِشِ، وَالْمَيْسِرِ - وَهُوَ الْقِمَارُ -، وَعَلَى الرِّهَانِ الْمُحَرَّمِ.

(١) "فتاوى اللجنة الدائمة" (ج١٥/ صـ: ٣٧، و٤١، و٥٢)(م.١) برئاسة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فَأَمَّا اشْتِمَالُهُ عَلَى رِبَا الْفَضْلِ فَلِأَنَّ شَرِكَةَ التَّأْمِينِ تَدْفَعُ لِلْمُسْتَأْمِنِ أَوْ لِوَرَثَتِهِ أَوْ لِلْمُسْتَفِيدِ فِي حَالِ تَلَفِ الْمُؤَمَّنِ عَلَيْهِ أَوْ بعض أَحْوَالِ تَضَرُّرِهِ أَكْثَرَ مِمَّا دَفَعَهُ مِنَ النُّقُودِ لَهَا.

وَأَمَّا اشْتِمَالُهُ عَلَى رِبَا النَّسِيئَةِ فَلِأَنَّ دَفْعَ الْمُسْتَأْمِنَ لِشَرِكَةِ التَّأْمِينِ يَكُونُ بَعْدَ مُدَّةِ الْعَقْدِ.

وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّ الشَّرِكَةَ دَفَعَتْ لِلْمُسْتَأْمِنِ مِثْلَمَا دَفَعَهُ لَهَا فَقَطْ فَإِنَّهُ يَكُونُ رِبَا نَسِيئَةٍ.

فَلَا يَخْلُو عَقْدُ التَّأْمِينِ مِن رِّبَا الْفَضْلِ وَالنَّسِيئَةِ مَعًا أَوْ رِبَا النَّسِيئَةِ فَقَطْ.

وَأَمَّا اشْتِمَالُ عَقْدِ التَّأْمِينِ عَلَى الْغَرَرِ الْفَاحِشِ فَلِأَنَّ الْمُسْتَأْمِنَ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يَّعْرِفَ وَقْتَ الْعَقْدِ مِقْدَارَ مَا يُعْطِي أَوْ يَأْخُذُ، فَقَدْ يَدْفَعُ قِسْطًا أَوْ قِسْطَيْنِ، ثُمَّ تَقَعُ الْكَارِثَةُ، فَيَسْتَحِقُّ مَا الْتَزَمَ بِهِ الْمُؤَمِّنُ، وَقَدْ لَا تَقَعُ الْكَارِثَةُ أَصْلًا، فَيَدْفَعُ جَمِيعَ الْأَقْسَاطِ، وَلَا يَأْخُذُ شَيْئًا، وَكَذَلِكَ الْمُؤَمِّنُ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُّحَدِّدَ مَا يُعْطِي وَيَأْخُذُ بِالنِّسْبَةِ لِكُلِّ عَقْدٍ بِمُفْرَدِهِ، وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ.(١)

وَأَمَّا اشْتِمَالُهُ عَلَى الْمَيْسِرِ ؛ فَلِمَا فِيهِ مِنَ الْمُخَاطَرَةِ فِي مُعَاوَضَاتٍ مَّالِيَّةٍ، وَمِنَ الْغُرْمِ بِلَا جِنَايَةٍ أَوْ تَسَبُّبٍ فِيهَا، وَمِنَ الْغُنْمِ بِلَا مُقَابِلٍ أَوْ مُقَابِلٍ غَيْرِ مُكَافِئٍ، فَإِنَّ الْمُسْتَأْمِنَ قَدْ يَدْفَعُ قِسْطًا مِّنَ التَّأْمِينِ، ثُمَّ يَقَعُ الْحَادِثُ، فَيَغْرَمُ الْمُؤَمِّنُ كُلَّ مَبْلَغِ التَّأْمِينِ، وَزِيَادَةً عَلَيْهِ، وَقَدْ لَا يَقَعُ الْخَطَرُ، فَيَغْنَمُ الْمُؤَمِّنُ أَقْسَاطَ التَّأْمِينِ بِلَا مُقَابِلٍ، فَهَذَا مِنَ الْمَيْسِرِ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة: ٩٠].

وَأَمَّا اشْتِمَالُهُ عَلَى الرِّهَانِ الْمُحَرَّمِ؛ فَلِمَا فِيهِ مِنَ الْجَهَالَةِ وَالْغَرَرِ وَالْمُقَامَرَةِ، وَلَا يُبَاحُ مِنَ الرِّهَانِ إِلَّا مَا كَانَ فِيهِ عَوْنٌ عَلَى الْجِهَادِ وَنَصْرِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ مَحْصُورٌ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ وَمَا كَانَ فِي مَعْنَاهَا؛ وَذَلِكَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا سَبَقَ إِلَّا فِي نَصْلٍ، أَوْ خُفٍّ، أَوْ حَافِرٍ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(٢)

---

(١) مسلم (رقم: ١٥١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ٤٦٩٠)، والألباني في "الإرواء"(رقم:١٥٠٦)، وفي "صحيح أبي داود"(رقم: ٢٣١٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:١٣٩٤).

وَلَيْسَ التَّأْمِينُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَلَا فِي مَعْنَاهَا، بَلْ هُوَ مِنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ ﴾ [النساء: ٢٩].

وَفِي عَقْدِ التَّأْمِينِ التِّجَارِيِّ أَيْضًا: إِلْزَامٌ بِمَا لَا يَلْزَمُ شَرْعًا، فَإِنَّ الْمُؤَمِّنَ لَمْ يَحْدُثِ الْخَطَرُ مِنْهُ، وَلَمْ يَتَسَبَّبْ فِي حُدُوثِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ وُقُوعُ الْعَقْدِ عَلَى ضَمَانِ الْخَطَرِ عَلَى تَقْدِيرِ وُقُوعِهِ، مُقَابِلَ مَبْلَغٍ يَدْفَعُهُ الْمُسْتَأْمِنُ لَهُ.

وَهَذَا التَّأْمِينُ التِّجَارِيُّ هُوَ الَّذِي تَنصَرِفُ إِلَيْهِ كَلِمَةُ التَّأْمِينِ عِندَ إِطْلَاقِهَا، وَيَكُونُ عَلَى الْأَرْوَاحِ، وَعَلَى أَعْضَاءِ الْجِسْمِ، وَمَنَافِعِهَا، وَعَلَى الْمُمْتَلَكَاتِ، وَمِنْهُ: التَّأْمِينُ الصِّحِّيُّ، وَيَكُونُ بِدَفْعِ الْمُؤَمَّنِ عَلَيْهِ مَبْلَغًا شَهْرِيًّا أَوْ سَنَوِيًّا إِلَى شَرِكَةِ التَّأْمِينِ، وَقَدْ يُخْصَمُ هَذَا الْمَبْلَغُ مِن رَّاتِبِ الْمُوَظَّفِ شَهْرِيًّا، مُقَابِلَ قِيَامِ الشَّرِكَةِ بِعِلَاجِ الْمُؤَمَّنِ عَلَيْهِ إِذَا دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَى ذَلِكَ عَلَى حِسَابِهَا، وَإِن لَّمْ تَكُنْ هُنَالِكَ حَاجَةٌ لِّعِلَاجِ الْمُؤَمَّنِ عَلَيْهِ فَإِنَّ الشَّرِكَةَ تَأْخُذُ مَا دَفَعَهُ الْمُؤَمَّنُ عَلَيْهِ مِن تَأْمِينٍ.

وَأَمَّا مَا يُعْرَفُ بِـ: (التَّأْمِينِ التَّعَاوُنِيِّ) فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؛ فَإِنَّ أَصْحَابَهُ لَا يَسْعَوْنَ إِلَى الرِّبْحِ، وَإِنَّمَا غَايَتُهُمُ التَّعَاوُنُ عَلَى تَحَمُّلِ الْمَخَاطِرِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِّنْ أَعْضَائِهِ يُعْتَبَرُ مُؤَمَّنًا لَّهُ وَمُؤَمِّنًا، كَتَعَاوُنِ سَائِقِي سَيَّارَاتِ الْأُجْرَةِ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ بِالِاشْتِرَاكِ فِي دَفْعِ مَبَالِغَ نَقْدِيَّةٍ عَلَى سَبِيلِ الِاشْتِرَاكِ، تُصْرَفُ هَذِهِ الْمَبَالِغُ لِتَعْوِيضِ مَن يُّصِيبُهُ مِنْهُمْ ضَرَرٌ، فَإِن لَّمْ تَفِ الْأَقْسَاطُ الْمَجْمُوعَةُ طُولِبَ الْأَعْضَاءُ بِاشْتِرَاكٍ إِضَافِيٍّ؛ لِتَغْطِيَةِ الْعَجْزِ، وَإِن زَادَتْ كَانَ لِلْأَعْضَاءِ حَقُّ اسْتِرْدَادِ هَذِهِ الزِّيَادَةِ.

وَمِنَ التَّلْبِيسِ عَلَى النَّاسِ، وَقَلْبِ الْحَقَائِقِ مَا تَصْنَعُهُ بَعْضُ الْمُؤَسَّسَاتِ وَالشَّرِكَاتِ مِن تَسْمِيَةِ التَّأْمِينِ التِّجَارِيِّ الْمُحَرَّمِ: (تَأْمِينًا تَعَاوُنِيًّا)!، وَنِسْبَةِ الْقَوْلِ بِإِبَاحَتِهِ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، وَتَغْيِيرُ الِاسْمِ لَا يُغَيِّرُ الْحَقِيقَةَ.(١)

(١) راجع: "فتاوى اللجنة الدائمة"(ج١٥/ صـ: ٢٤٢-٣٢٠)(م.١) برئاسة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و"أبحاث هيئة كبار العلماء"(ج٤/ صـ: ٣٥-١٤٢).

وَكَذَا تَسْمِيَةُ الرِّبَا بِـ: (الْفَوَائِدِ!)، أَوِ (الْقَرْضِ الْحَسَنِ!)، لَا يُغَيِّرُ مِنَ الْحَقِيقَةِ شَيْئًا، كَتَسْمِيَةِ الْخَمْرِ مَشْرُوبَاتٍ رُوحِيَّةً! وَكُحُولِيَّةً!، وَصَدَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ فِي الْخَمْرِ: «**يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، فَيَسْتَحِلُّونَهَا**». رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ (رقم: ٢١٤٥) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.(١)

وَأَمَّا بَيْعُ وَشِرَاءِ الْأَسْهُمِ الَّتِي لَا تُمَثِّلُ نُقُودًا، وَإِنَّمَا تُمَثِّلُ عَقَارًا، أَوْ بِنَاءً، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَجَائِزٌ بِثَمَنٍ حَالٍّ أَوْ مُؤَجَّلٍ، عَلَى دُفْعَةٍ أَوْ دُفُعَاتٍ، لَكِن بِشَرْطِ أَن تَكُونَ هَذِهِ الْأَسْهُمُ مَعْلُومَةً لِّلْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي؛ لِعُمُومِ أَدِلَّةِ جَوَازِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَأَن تَكُونَ شَرِكَاتُ هَذِهِ الْأَسْهُمِ شَرِكَاتِ أَمْلَاكٍ، اسْتِثْمَارِيَّةً، انتَاجِيَّةً، كَشَرِكَاتِ الْإِسْمَنتِ، وَالْأَسْمَاكِ، وَنَحْوِهَا، وَلَا تَتَعَامَلُ بِالرِّبَا، وَأَن تَكُونَ قَائِمَةً بِالْفِعْلِ، وَلَيْسَت تَّحْتَ الْإِنشَاءِ.(٢)

وَأَمَّا بَيْعُ التَّقْسِيطِ فَقَدْ أَجَازَهُ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، بِشُرُوطٍ:

الأول: تَوَفُّرُ الشُّرُوطِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي الْبَيْعِ، وَمِنْهَا:

- التَّرَاضِي مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي.
- وَأَن تَكُونَ السِّلْعَةُ مَمْلُوكَةً لِّلْبَائِعِ وَفِي قَبْضَتِهِ، فَمَن بَاعَ مَا لَا يَمْلِكُ، ثُمَّ اشْتَرَى السِّلْعَةَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَسَلَّمَهَا لِلْمُشْتَرِي، فَبَيْعُهُ غَيْرُ جَائِزٍ، وَكَذَا مَنِ اشْتَرَاهَا ثُمَّ بَاعَهَا وَهِيَ فِي مَحَلِّ الْبَائِعِ قَبْلَ أَن يَّقْبِضَهَا الْقَبْضَ الشَّرْعِيَّ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَحِلُّ سَلَفٌ وَبَيْعٌ، وَلَا شَرْطَانِ فِي بَيْعٍ، وَلَا رِبْحُ مَا لَمْ تَضْمَنْ، وَلَا بَيْعُ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٦٦٢٨، و٦٦٧١، و٦٩١٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٣٥٠٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ١٢٣٤)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٤٦٣١).(٣)

---

(١) وهو في "الصحيحة"(رقم: ٨٩)، و"الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٥٥٥).

(٢) "فتاوى اللجنة الدائمة" (ج١٣/ صـ: ٣٢٠ - ٣٢٣)(م.١) برئاسة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) وصححه الترمذي، والحاكم (رقم: ٢١٨٥)، والألباني في "الإرواء"(رقم: ١٣٠٥)، وفي "الصحيحة"(رقم: ١٢١٢).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنِ ابْتَاعَ طَعَامًا، فَلَا يَبِعْهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢١٢٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٥٢٦).

وَفِيهِمَا أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوُهُ.(١)

وَفِي رِوَايَةٍ: **«فَلَا يَبِعْهُ حَتَّى يَقْبِضَهُ»**.(٢)

وَفِي رِوَايَةٍ: «رَأَيْتُ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ الطَّعَامَ مُجَازَفَةً، يُضْرَبُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَبِيعُوهُ حَتَّى يُؤْوُوهُ إِلَى رِحَالِهِمْ».(٣)

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم: ٢١٦٦): «كُنَّا نَتَلَقَّى الرُّكْبَانَ، فَنَشْتَرِي مِنْهُمُ الطَّعَامَ، فَنَهَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَبِيعَهُ حَتَّى يُبْلَغَ بِهِ سُوقُ الطَّعَامِ».

وَلَهُ أَيْضًا (رقم: ٢١٦٧):«كَانُوا يَبْتَاعُونَ الطَّعَامَ فِي أَعْلَى السُّوقِ، فَيَبِيعُونَهُ فِي مَكَانِهِ، فَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبِيعُوهُ فِي مَكَانِهِ حَتَّى يَنْقُلُوهُ».

وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْمُعَامَلَاتِ السَّائِدَةَ فِيمَا يُعْرَفُ بِالْبُنُوكِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِن بَيْعِ مَا لَيْسَ فِي مِلْكِ الْبِنكِ، ثُمَّ تَوْفِيرِهِ لِلْمُشْتَرِي فِيمَا بَعْدُ، أَوْ بَيْعِ مَا لَمْ يَقْبِضْهُ قَبْضًا شَرْعِيًّا بَعْدَ تَمَلُّكِهِ لَا يَجُوزُ شَرْعًا، قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهَذَا وَاضِحٌ أَنَّهُ رِبًا، وَلَا يَخْفَى إِلَّا عَلَى إِنسَانٍ لَمْ يَتَأَمَّلْ؛ لِأَنَّ حَقِيقَتَهُ أَنَّهُ أَقْرَضَهُ الثَّمَنَ بِزَائِدٍ، فَبَدَلًا مِن أَن يَّقُولَ: أَعْطِنِي قِيمَةَ هَذِهِ السِّلْعَةِ وَأُعْطِيكَ فِيهَا رِبْحًا، قَالَ: اشْتَرِهَا لِي، ثُمَّ بِعْهَا عَلَيَّ، وَالتَّاجِرُ لَمْ يُرِدِ الشِّرَاءَ إِطْلَاقًا، وَلَوْلَا هَذَا مَا اشْتَرَاهَا بِفِلْسٍ وَّاحِدٍ، وَوَاضِحٌ أَنَّ الْمَقْصُودُ هُوَ الرِّبَا.ا.هـ.(٤)

---

(١) البخاري (رقم: ٢١٣٢)، ومسلم (رقم: ١٥٢٥).

(٢) البخاري (رقم: ٢١٣٥)، ومسلم (رقم: ١٥٢٥)(٣٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
وهي أيضًا للبخاري (رقم: ٢١٣٣، و٢١٣٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) البخاري (رقم: ٢١٣١، و٢١٣٧، و٦٨٥٢)، ومسلم (رقم: ١٥٢٧) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) "الشرح الممتع"(ج٨/ صـ: ٣٧٠).

وَكَمَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِجْرَاءُ عَقْدِ الْبَيْعِ مَعَ الْبَائِعِ إِلَّا بَعْدَ مِلْكِهِ السِّلْعَةَ وَقَبْضَهَا، فَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ التَّفَاوُضُ مَعَهُ بِشَأْنِ الْقِيمَةِ إِلَّا بَعْدَ الْأَمْرَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ.(١)

◄ وَمِنَ الشُّرُوطِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي الْبَيْعِ أَيْضًا: أَن لَّا يَبِيعَ السِّلْعَةَ نَقْدًا بِثَمَنٍ أَقَلَّ مِمَّا اشْتَرَاهَا بِهِ عَلَى مَنِ اشْتَرَاها مِنْهُ؛ فَإِنَّ هَذَا يُسَمَّى بَيْعَ الْعِينَةِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ، لَكِنْ إِن بَاعَهُ عَلَى غَيْرِهِ فَلَا بَأْسَ بِهِ عِندَ الْجُمْهُورِ، وَيُسَمَّى حِينَئِذٍ: (التَّوَرُّقَ).(٢)

والشرط الثاني من شروط جواز بيع التقسيط: أَن يَّتَّفِقَا عَلَى الْأَقْسَاطِ وَالْأَجَلِ فِي مَجْلِسِ الْعَقْدِ، فَإِن لَّمْ يَتَّفِقَا عَلَى ثَمَنٍ مُحَدَّدٍ فَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ شَرْعًا، وَكَذَلِكَ لَوْ وَقَعَ الْبَيْعُ مَعَ التَّرَدُّدِ بَيْنَ النَّقْدِ وَالتَّأْجِيلِ لَمْ يَجُزْ.

وَلَا يَجُوزُ إِلْزَامُ الْمُشْتَرِي بِزِيَادَةٍ عَلَى الدَّيْنِ إِذَا تَأَخَّرَ فِي دَفْعِ الْأَقْسَاطِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ رِبًا.

وَأَمَّا اشْتِرَاطُ الْبَائِعِ بِالْأَجَلِ حُلُولَ الْأَقْسَاطِ قَبْلَ مَوَاعِيدِهَا عِندَ تَأَخُّرِ الْمَدِينِ عَنِ أَدَاءِ بَعْضِهَا فَجَائِزٌ مَّا دَامَ الْمَدِينُ قَدْ رَضِيَ بِهَذَا الشَّرْطِ عِندَ التَّعَاقُدِ.

وَمِمَّا يَنبَغِي التَّنبِيهُ عَلَيْهِ: أَنَّ لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ اصْطِلَاحًا فِي الرِّبَا، وَهُوَ: كُلُّ بَيْعٍ مُّحَرَّمٍ شَرْعًا، إِلَّا أَنَّ الِاصْطِلَاحَ الْمَشْهُورَ، الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ فِي الرِّبَا مَا قَدَّمْنَاهُ، وَهُوَ حَصْرُهُ فِي: رِبَا الْفَضْلِ، وَرِبَا النَّسِيئَةِ، وَرِبَا الْيَدِ، وَرِبَا الْقَرْضِ.(٣)

وَمِن جُمْلَةِ الْبُيُوعِ وَالْمُعَامَلَاتِ الْمُحَرَّمَةِ تِلْكَ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى الْقِمَارِ، وَلَهَا صُوَرٌ كَثِيرَةٌ، سَنُفْرِدُهَا بِالْبَيَانِ – إِن شَاءَ اللهُ – فِي غَيْرِ هَذَا الْمَقَامِ.

---

(١) "فتاوى اللجنة الدائمة" (ج١٣/ صـ: ١٦٣)(م.١) برئاسة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) "فتاوى اللجنة الدائمة"(ج/ صـ:)(م.١) برئاسة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و"مجموع فتاوى ابن باز"(ج١٩/صـ: ١٣-١٧، وصـ: ٢٨، وصـ: ٩٥-٩٧).

(٣) راجع: "السنة"(صـ: ٦٠) للمروزي، و"تكملة السبكي على المجموع شرح المهذب"(ج١٠/ صـ: ٢٤-٢٥).

خصائص العدد عشرة

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣].

قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هُوَ الْعَدَدُ، مِنْهُ شَفْعٌ، وَمِنْهُ وَتْرٌ.

وَقَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَعُمَّانِ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، شَفْعَهَا وَوَتْرَهَا، وَالشَّفْعُ: الزَّوْجُ، وَالْوَتْرُ: الْفَرْدُ.

وقَالَ ﷻ: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٤ - ٩٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

وَالْعَدُّ وَالْإِحْصَاءُ ضَرُورَةٌ لِلنَّاسِ مِن جُمْلَةِ الضَّرُورَاتِ، مِن قَدِيمٍ وَحَدِيثٍ، سَوَاءٌ فِي الْعِبَادَاتِ أَوْ فِي الْمُعَامَلَاتِ.

وَالْأَعْدَادُ الزَّوْجِيَّةُ مَا كَانَتْ تَقْبَلُ الْقِسْمَةَ عَلَى اثْنَيْنِ مِنْ غَيْرِ بَاقٍ، وَهِيَ: الِاثْنَانِ وَمُضَاعَفَاتُهَا، أَرْبَعَةٌ، وَسِتَّةٌ، وَثَمَانِيَةٌ، وَهَكَذَا.

وَمِن جُمْلَةِ الْأَعْدَادِ الزَّوْجِيَّةِ: الْعَدَدُ (عَشَرَةٌ)، وَقَدِ اتَّفَقَ لِهَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْخَوَاصِّ قَدَرًا وَشَرْعًا شَيْءٌ كَثِيْرٌ، فَمِنْ خَوَاصِّهِ قَدَرًا وَشَرْعًا:

🏛 مَا لَهَا تَعَلُّقٌ بِالْقُرْآنِ، فَمِن ذَلِكَ:

◄ مَا فِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٨٠٩) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»**.

◄ وَمِنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِن نَّوْمِهِ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ يقْرَأُ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آلِ عِمْرَانَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.(١)

وَهَذِهِ الْآيَاتُ هِيَ آخِرُ عَشْرِ آيَاتٍ مِنْهَا، وَهِيَ مِن قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، إِلَى آخِرِهَا.

◄ وَمِنْهَا: أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ بَرَاءَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِمَّا رَمَاهَا بِهِ أَهْلُ الْإِفْكِ فِي عَشْرِ آيَاتٍ، أَوَّلُهَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١]، كَمَا فِي الصَّحِيْحَيْنِ مِنْ حَدِيْثِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.(٢)

◄ وَمِنْهَا: أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَسْتَقْرِئُونَ مِنه، فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَخْلُفُوهَا حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَتَعَلَّموا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا. أَخْرَجَهُ الْفِرْيَابِيُّ فِي "فَضَائِلِ الْقُرْآنِ"(رقم: ١٦٩).

🏛 وَفِي الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ:

◄ مَا فِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٩٠١) عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: مَا

(١) البخاري (رقم: ١٨٣، و٩٩٢، و١١٩٨، و٤٥٧٠، و٤٥٧١، و٤٥٧٢)، ومسلم (رقم: ٧٦٣).

(٢) البخاري (رقم: ٣٢٠٨)، ومسلم (رقم: ٢٦٤٣).

تَذْكُرُونَ؟ قُلْنَا: السَّاعَةَ، قَالَ: «**إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمُشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ».

🏛 وَفِي عِدَّةِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا:

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وَهَذَا الْحُكْمُ يَشْمَلُ الزَّوْجَاتِ الْمَدْخُولَ بِهِنَّ وَغَيْرَ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ بِالْإِجْمَاعِ.

وَالْأَشْهُرُ الْأَرْبَعَةُ هِيَ مُدَّةُ أَطْوَارِ جَمْعِ خَلْقِ الْجَنِينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١)

ثُمَّ بَعْدَ تَمَامِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ تُنفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، وَهَذِهِ الْعَشْرُ الزَّائِدَةُ؛ احْتِيَاطًا لِمَا قَدْ يَنْقُصُ بَعْضُ الشُّهُورِ، ثُمَّ لِظُهُورِ الْحَرَكَةِ بَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، كَمَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، فَسُبْحَانَ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ.

🏛 وَفِي شَأْنِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ:

قَالَ ﷻ: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢].

🏛 وَفِي تَضْعِيفِ الْحَسَنَاتِ: قَالَ ﷻ: فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ** ﷻ

(١) "المغني"(ج٣/ص:٩٩).

عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً». (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٧٥٠١).

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا (رقم: ١٢٨): «إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ (رقم: ١٢٩): قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا».

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ».

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللهَ».

وَهَذِهِ الْفَقْرَةُ الثَّالِثَةُ قَدْ أَخْرَجَهَا الْبُخَارِيُّ أَيْضًا (رقم: ٤٢).

---

(١) البخاري (رقم: ٦٤٩١)، ومسلم (رقم: ١٣١).

وَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا (رقم: ١١٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ»**.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **«إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»**.

وَذِكْرُ الصَّوْمِ فِي الْحَدِيْثِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا (رقم: ٥٩٢٧).

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصِّيَامَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَمِنْ أَكْثَرِهَا تَضْعِيْفًا.

وفي فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

◄ أَنَّ أَفْضَلَهُمْ عَشَرَةٌ، بُشِّرُوا بِالْجَنَّةِ، وَقَدْ بُشِّرَ صَحَابَةٌ غَيْرُهُمْ بِالْجَنَّةِ، لَكِنَّ هَؤُلَاءِ أَفْضَلُهُمْ، وَقَدْ جُمِعُوا فِي حَدِيْثٍ وَاحِدٍ.

فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٦٧٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٧٤٧).[(١)]

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ فِي "شَرْحِ الطَّحَاوِيَّةِ"(ج٢/صـ: ٧٣٣):وَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى تَعْظِيمِ هَؤُلَاءِ الْعَشَرَةِ وَتَقْدِيمِهِمْ؛ لِمَا اشْتُهِرَ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَنَاقِبِهِمْ، وَمَنْ أَجْهَلُ مِمَّنْ يَكْرَهُ التَّكَلُّمَ بِلَفْظِ الْعَشَرَةِ، أَوْ فِعْلَ شَيْءٍ يَكُونُ عَشَرَةً!؛ لِكَوْنِهِمْ يُبْغِضُونَ خِيَارَ الصَّحَابَةِ، وَهُمُ الْعَشَرَةُ الْمَشْهُودُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَهُمْ يَسْتَثْنُونَ مِنْهُمْ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! فَمِنَ الْعَجَبِ: أَنَّهُمْ يُوَالُونَ لَفْظَ التِّسْعَةِ! وَهُمْ يُبْغِضُونَ التِّسْعَةَ مِنَ الْعَشَرَةِ! وَيُبْغِضُونَ سَائِرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ.ا.هـ.

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٧٠٠٢)، والضياء في "المختارة"(ج٣/صـ: ١٠٢)(رقم:٩٠٣)، والعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على "المشكاة"(رقم: ٦١١١).

وَفِي فَضْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِيْ كَانَ يَهُودِيًا، فَأَسْلَمَ، مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٢١٠٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٨٠٤) عَن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّهُ عَاشِرُ عَشَرَةٍ فِي الجَنَّةِ**».(١)

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَمِمَّا اتَّفَقَ أَيْضًا لِلْعَدَدِ عَشَرَةٍ مِنَ الْخَصَائِصِ قَدَرًا وَشَرْعًا:

◄ أَنَّ أَفْضَلَ أَيَّامِ السَّنَةِ كُلِّهَا: الْعَشْرُ الْأُوْلَى مِن ذِي الْحِجَّةِ، وَأَنَّ أَفْضَلَ لَيَالِي السَّنَةِ كُلِّهَا: لَيَالِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ.

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَلَيَالٍ عَشْرٍ**﴾ [الفجر: ٢].

فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيْهَا أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي غَيْرِهَا، فَفِي "صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ"(رقم: ٩٦٩)، وَ"سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ"(رقم: ٢٤٣٨) – وَاللَّفْظُ لَهُ – مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ**». يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟! قَالَ: «**وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**».

---

(١) وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (رقم: ٧١٦٥)، والحاكم (٣٣٤، و٣٣٥، و٣٣٦، و٥١٨٣، و٥٧٥٨)، وقال: على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على "المشكاة"(رقم: ٦٢٤٠)، والوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١١١٢).

وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ – كَمَا فِي "كَشْفِ الْأَسْتَارِ"(رقم: ١١٢٨) – مِن طَرِيْقِ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَن جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا أَيَّامُ الْعَشْرِ**».

وَفِيْهِ عَنْعَنَةُ أَبِي الزُّبَيْرِ، لَكِن يَعْضُدُهُ مَا تَقَدَّمَ، وَمَا سَيَأْتِي مِنَ الْأَدِلَّةِ فِي فَضْلِ هَذِهِ الْعَشْرِ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ أَفْضَلَ مِنْ أَيَّامِ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ، بَيْنَمَا لَيَالِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِن لَيَالِي الْعَشْرِ الْأُولَى مِن ذِي الْحِجَّةِ.

قَالَ بِهَذَا التَّفْصِيْلِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، فِي "الْفَتَاوَى الْكُبْرَى"(ج٥/صـ:٣٧٩)، وَتَبِعَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي "الزَّادِ"(ج١/صـ:٥٧)، وَعَلَيْهِ أَهْلُ التَّحْقِيْقِ، قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ [الحج: ٢٨]: وَبِهَذَا يَجْتَمِعُ شَمْلُ الْأَدِلَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.ا.هـ.

◄ ومِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِ السَّنَةِ أَيْضًا: يَوْمُ عَاشُورَاءَ، وَهُوَ يَوْمُ الْعَاشِرِ مِن مُحَرَّمٍ، فَعِندَ الْبَزَّارِ فِي "مُسْنَدِهِ"(ج١٨/صـ:١٥٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِصِيَامِ عَاشُوْرَاءَ يَوْمَ الْعَاشِرِ.

قَالَ الطِّيْبِيُّ – كَمَا فِي "الْمِرْقَاةِ "(ج٤/صـ:١٤١١) –: وَعَاشُوْرَاءُ مِن بَابِ صِفَةٍ لَمْ يَرِدْ لَهَا فِعْلٌ، وَالتَّقْدِيْرُ يَوْمٌ مُدَّتُهُ عَاشُوْرَاءُ؛ لِلْمُبَالَغَةِ وَالتَّعْظِيْمِ.

قَالَ صَاحِبُ "الْمِرْقَاةِ": أَيْ: عَاشِرٌ وَأَيُّ عَاشِرٍ!.ا.هـ.

وَمِن فَضَائِلِهِ: أَنَّ صِيَامَهُ مُسْتَحَبٌّ، يُكَفِّرُ اللهُ بِهِ ذُنُوْبَ سَنَةٍ مَاضِيَةٍ، فَعِندَ مُسْلِمٍ (رقم:١١٦٢) عَنْ أَبِيْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ**».

وَفِيْ لَفْظٍ: وَسُئِلَ عَن صَوْمِ يَوْمِ عَاشُوْرَاءَ؟ فَقَالَ: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ**».

وَهَذِهِ الذُّنُوْبُ صَغَائِرُ، أَمَّا الْكَبَائِرُ فَلَا بُدَّ لَهَا مِن تَوْبَةٍ.

وَمِن فَضَائِلِهِ: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَحَرَّى صِيَامَهُ، فَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمٍ فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ، يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَهَذَا الشَّهْرَ. يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ.** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:٢٠٠٦).

وَلِمُسْلِمٍ (رقم:١١٣٢): «يَطْلُبُ فَضْلَهُ عَلَى الْأَيَّامِ».

وَفِي يَوْمِ عَاشُوْرَاءَ ذِكْرَى عَظِيْمَةٌ؛ فَإِنَّهُ يُذَكِّرُنَا بِرَحْمَةِ اللهِ ﷻ مُوْسَى وَمَن مَعَهُ مِن بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ؛ إِذْ أَنجَاهُمْ مِن بَطْشِ فِرْعَوْنَ وَجُنُوْدِهِ.

وَيُذَكِّرُنَا أَيْضًا بِأَنَّنَا أَحَقُّ بِالْأَنبِيَاءِ مِنْ أَقْوَامِهِمُ الَّذِيْنَ خَالَفُوْهُمْ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِيْنَةَ، فَوَجَدَ الْيَهُوْدَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُوْرَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَه؟». فَقَالُوْا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيْمٌ، أَنجَى اللهُ فِيْهِ مُوْسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوْسَى شُكْرًا، فَنَحْنُ نَصُوْمُهُ. فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنكُمْ». فَصَامَهُ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم:١١٣٠).

وَحِرْصًا مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُخَالَفَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، عَزَمَ فِيْ آخِرِ عُمُرِهِ عَلَى صِيَامِ الْيَوْمِ الَّذِيْ قَبْلَهُ، فَلِمُسْلِمٍ (رقم: ١١٣٤) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حِيْنَ صَامَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُوْرَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، قَالُوْا: يَا رَسُوْلَ اللهِ، إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُوْدُ وَالنَّصَارَى. فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ».

قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَفِيْ رِوَايَةٍ: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ».

وَمَّا يَلْزَمُ التَّنبِيْهُ عَلَيْهِ، وَيَجِبُ التَّحْذِيْرُ مِنْهُ: تَجَنُّبُ الْبِدْعَةِ فِي الدِّيْنِ؛ فَهِيَ أَعْظَمُ الذَّنبِ بَعْدَ الشِّرْكِ، وَقَد تُوْصِلُ إِلَيْهِ، وَمِن ذَلِكَ: اتِّخَاذُ يَوْمِ عَاشُوْرَاءَ مَأْتَمًا، قَالَ ابْنُ رَجَبٍ فِي "اللَّطَائِفِ"(صـ:٥٤): فَهَذَا مِنْ عَمَلِ مَنْ ضلَّ سَعْيُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعًا، وَلَمْ يَأْمُرِ اللهُ وَلَا رَسُوْلُهُ بِاتِّخَاذِ أَيَّامِ مَصَائِبِ الْأَنبِيَاءِ وَمَوْتِهِمْ مَأْتَمًا، فَكَيْفَ بِمَن دُوْنَهُمْ!.ا.هـ.

قصة بناء البيت الحرام وفضائله

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ (رقم: ٣٣٦٤): وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، وَكَثِيرِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ المُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ، يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا؛ لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ البَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعَنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ

حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا، وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا»**، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَهٍ - تُرِيدُ نَفْسَهَا -، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ، حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ، وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا، وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ** - أَوْ قَالَ: **لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ** -، **لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا»**.

قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ، يَبْنِي هَذَا الغُلاَمُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ.

وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ، فَأَقْبَلُوا، قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لاَ حَقَّ لَكُمْ فِي المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْأُنْسَ**»، فَنَزَلُوا، وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ، فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ الغُلاَمُ وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ، وَقُولِي لَهُ: يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ اللَّحْمُ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ المَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ**». قَالَ: فَهُمَا لاَ يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ، قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ، ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالوَلَدُ بِالوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ:

وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ، فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، قَالَ: فَجَعَلاَ يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ البَيْتِ وَهُمَا يَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

هَذَا الْحَدِيثُ عَظِيمٌ فِيهِ، جُمَلٌ مِّنَ الْعِلْمِ غَزِيرَةٌ، وَفَوَائِدُ كَثِيرَةٌ،(١) وَقَد تَّضَمَّنَ قِصَّةَ بِنَاءِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ الذي هو أَوَّلُ بَيْت وُضِعَ لِلنَّاسِ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ؟ قَالَ: «**المَسْجِدُ الحَرَامُ**». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟، قَالَ: «**ثُمَّ المَسْجِدُ الأَقْصَى**». قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ [سَنَةً]، ثُمَّ قَالَ: حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ، وَالأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ**».(٢)

فَسُبْحَانَ مَنِ اخْتَارَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ قَفْرًا، لَيْسَ بِهِ أَنِيسٌ، وَلَا زَرْعٌ، وَلَا مَاءٌ؛ لِيَكُونَ أَطْهَرَ وَأَفْضَلَ بِقَاعِ الْأَرْضِ كُلِّهَا.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ الَّذِي بَنَى الْبَيْتَ هُوَ إِبْرَاهِيمُ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ، قَالَ ﷻ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷻ عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فَالْمُرَادُ بِهِ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يُبْنَى فِيهِ الْبَيْتُ الْمُحَرَّمُ، وَهَكَذَا مَا وَرَدَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِن نَّظَائِرِ ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ: (عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ).

---

(١) وقد شرحته في محاضرة صوتية، أسأل الله أن يعين على تفريغها.

(٢) البخاري (برقم: ٣٣٦٦، و٣٤٢٥)، ومسلم (برقم: ٥٢٠).

◄ فَمِن فَضَائِلِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ: أَنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ وُّضِعَ لِلنَّاسِ فِي الْأَرْضِ.

◄ وَمِن فَضَائِلِهِ: أَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي بُنِيَ فِيهِ هُوَ أَفْضَلُ بِقَاعِ الْأَرْضِ كُلِّهَا.

◄ وَمِن فَضَائِلِهِ: أَنَّ الَّذِي بَنَاهُ هُوَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، إِمَامُ الْحُنَفَاءِ وَخَلِيلُ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ، وَهُوَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾ [مريم: ٥٤ – ٥٥].

◄ وَمِن فَضَائِلِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَيْضًا: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ دَعَا لَهُ بِالْأَمْنِ وَلِأَهْلِهِ بِالرِّزْقِ وَالْبَرَكَةِ فِي أَرْزَاقِهِمْ، قَالَ ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٢٦﴾ [البقرة: ١٢٦].

وَقَالَ ﷻ عَنْهُ أَيْضًا وَهُوَ يَدْعُو رَبَّهُ: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وَمِن جُمْلَةِ مَا دَعَا به إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ: الْبَرَكَةُ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ، فَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْآنِفِ الذِّكْرِ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِامْرَأَةِ إِسْمَاعِيلَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ: المَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ»**. قَالَ: فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ.

وَقَوْلُهُ: (فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ)، يَعْنِي: أَنَّ مَن دَاوَمَ عَلَى أَكْلِ اللَّحْمِ وَالْمَاءِ فِي غَيْرِ مَكَّةَ، وَلَمْ يَأْكُلْ مَعَهُمَا شَيْئًا سِوَاهُمَا إِلَّا ضَرَّهُ ذَلِكَ.

وَذَكَرَ الْحَافِظُ فِي "الْفَتْحِ" أَنَّ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: «لَيْسَ أَحَدٌ يَخْلُو عَلَى اللَّحْمِ وَالْمَاءِ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا اشْتَكَى بَطْنَهُ».

فَأَمَّا فِي مَكَّةَ فَإِنَّ الْمُدَاوَمَةَ عَلَى أَكْلِهَا لَا يَضُرُّ، وَهَذَا مِن بَرَكَةِ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَفِي رِوَايَةٍ (رقم: ٣٣٦٤): فَقَالَتْ: أَلَا تَنْزِلُ، فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبَ، فَقَالَ: وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: طَعَامُنَا اللَّحْمُ وَشَرَابُنَا المَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ. قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَرَكَةٌ؛ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ».

◄ وَمِن فَضَائِلِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ: أَنَّ اللهَ جَعَلَهُ حَرَامًا، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفَتْحِ - فَتْحِ مَكَّةَ -: «**إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا**»، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا الْإِذْخِرَ؛ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ، فَقَالَ: «**إِلَّا الْإِذْخِرَ**».(١)

فَلِلْعُشْبِ وَالشَّجَرِ وَالصَّيْدِ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مِيزَةٌ، فَسُبْحَانَ الَّذِي ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لِأَهْلِهَا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا بِمِثْلَيْ مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢١٢٩)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٣٦٠).

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ١٣٧٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، فَجَعَلَهَا حَرَمًا**».

وَلِلْبُخَارِيِّ (رقم: ١٨٨٥) عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا**».

وَمَعْنَى تَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ: إِعْلَانُهُ حُرْمَتَهَا الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَلَمْ يُنشِئْ إِبْرَاهِيمُ التَّحْرِيمَ، وَإِنَّمَا أَعْلَنَهُ وَأَشْهَرَهُ، واللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) البخاري (رقم: ١٣٤٩، و١٨٣٣، و١٨٣٤، و٢٠٩٠، و٣١٨٩)، ومسلم (رقم: ١٣٥٣).

◄ وَمِن فَضَائِلِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَيْضًا: أَنَّ الرِّحَالَ لَا تُشَدُّ إِلَّا إِلَيْهِ وَإِلَّا إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى**».(١)

◄ وَمِن فَضَائِلِهِ أَيْضًا: أَنَّ الصَّلَاةَ تُضَاعَفُ فِيهِ مُضَاعَفَةً عَظِيْمَةً، فَفِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ**».(٢)

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٦١١٧)، وَابْنُ حِبَّانَ (رقم: ١٦٢٠) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَزَادَ فِيهِ بَيَانَ مُضَاعَفَةِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، بِقَوْلِهِ: «**وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي هَذَا**».

فَتَكُونُ الْمُضَاعَفَةُ: مِائَةَ أَلْفِ صَلَاةٍ.

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٤٦٩٤، و١٥٢٧١)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٤٠٦).(٣)

---

(١) أخرجه البخاري (رقم: ١١٨٩)، ومسلم (رقم: ١٣٩٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وأخرجه البخاري (رقم: ١١٩٧، و١٨٦٤، و١٩٩٥)، ومسلم (رقم: ٨٢٧)(٤١٧) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (رقم: ١١٩٠)، ومسلم (رقم: ١٣٩٤).

(٣) وصحح الألباني في "الإرواء"(ج٤/صـ: ١٤٦) سنده على شرط الشيخين، ونقل عن المنذري والبوصيري تصحيحه.
الحديث ذكره العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٢٢٨).

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

◄ فَإِنَّ مِن فَضَائِلِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنَّ اللهَ جَعَلَهُ قِيَامًا لِّلنَّاسِ، وَمَهْوًى لِّأَفْئِدَتِهِمْ، وَجَعَلَ حَجَّهُ أَحَدَ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَمَبَانِيهِ الْعِظَامِ، وَقَد دَّلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ، قَالَ ﷻ: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ﴾ [المائدة: ٩٧].

وَقَالَ ﷻ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ يَدْعُو رَبَّهُ: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦ - ٩٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٦ - ٢٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وَفِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»**.(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»**، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟

(١) البخاري (برقم: ٨، و٤٥١٤)، ومسلم (برقم: ١٦).

فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ»**، ثُمَّ قَالَ: **«ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٣٣٧).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْحَجُّ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً؟ قَالَ: **«بَلْ مَرَّةً وَاحِدَةً، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٣٠٤، و٢٦٤٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ١٧٢١)، وَابن مَاجَهْ (رقم: ٢٨٨٦).(١)

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ عَلَى وُجُوبِ الْحَجِّ فَقَدْ نَقَلَهُ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنْهُمُ: ابْنُ حَزْمٍ، وَابْنُ رُشْدٍ، وَابْنُ قُدَامَةَ، وَالنَّوَوِيُّ، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَالْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.(٢)

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ: «وَأَجْمَعَتْ الْأُمَّةُ عَلَى وُجُوبِ الْحَجِّ عَلَى الْمُسْتَطِيعِ فِي الْعُمْرِ مَرَّةً وَاحِدَةً».

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهُوَ مِنَ الْعِلْمِ الْمُسْتَفِيضِ الَّذِي تَوَارَثَتْهُ الْأُمَّةُ وَتَنَاقَلَتْهُ خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ».(٣)

وَقَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَوُجُوبُ الْحَجِّ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَتَكَرَّرُ إِلَّا لِعَارِضٍ، كَالنَّذْرِ».(٤)

---

(١) وصححه الحاكم (رقم: ١٦٠٩، و١٧٢٧، و١٧٢٨، و٣١٥٥، و٣١٥٦)، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ١٥١٤)، وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٦٦٩).

(٢) "المحلى"(ج٥/صـ:٣)، و"البيان"(ج٤/صـ: ٨)، و"بدائع الصنائع"(ج٢/صـ:١١٨)، و"بداية المجتهد" (ج٢/صـ:٨٣)، و"المغني" (ج٣/صـ: ٢١٣) و"المجموع"(ج٧/صـ: ٧).

(٣) "شرح العمدة"(ج٢/صـ: ٧٦).

(٤) "الفتح"(ج٣/صـ: ٣٧٨).

◄ وَوُجُوبُ الْحَجِّ عَلَى الْفَوْرِ، لَا عَلَى التَّرَاخِي، عَلَى الْقَوْلِ الصَّحِيحِ؛ لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ** - يَعْنِي: الْفَرِيضَةَ - **فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَه**». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٢٨٦٧).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهْ (رقم: ٢٨٨٣): «**مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ**».

وَرَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٩٧٣، و١٩٧٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ١٧٣٢) مِن طَرِيقٍ أُخْرَى إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مُقْتَصِرًا عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ**».(١)

◄ وَشُرُوطُ وُجُوبِ الْحَجِّ خَمْسَةٌ: الْإِسْلَامُ، وَالْعَقْلُ، وَالْبُلُوغُ، وَالْحُرِّيَّةُ، وَالِاسْتِطَاعَةُ، وَهَذِهِ الشُّرُوطُ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا.(٢)

وَالِاسْتِطَاعَةُ تَكُونُ بِتَوَفُّرِ الزَّادِ مِن مَّأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ، وَمَلْبُوسٍ، فِي الذَّهَابِ وَالْإِيَابِ، بِحَيْثُ يَكُونُ فَاضِلًا عَمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَن تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُ، وَبِوُجُودِ الرَّاحِلَةِ، وَأَمْنِ الطَّرِيقِ، وَسَعَةِ الْوَقْتِ، وَصِحَّةِ الْبَدَنِ، وَوُجُودِ مَحْرَمٍ لِلْمَرْأَةِ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحُجُّونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[البقرة: ١٩٧]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٥٢٣).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، يَقُولُ: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا

---

(١) وصحح إسناده الحاكم (رقم: ١٦٤٥)، ووافقه الذهبي!، مع أن فيه أبا صفوان الراوي عن ابن عباس، وهو مجهول، وفي إسناد الطريق الأولى: أبو إسرائيل الملائي، ضعيف.

وحسنه بمجموع طريقيه: الألباني في "الإرواء"(رقم: ٩٩٠)، ونقل تصحيحه عن عبد الحق في "الأحكام".

(٢) راجع: "المغني"(ج٣/صـ:٢١٣)، و"المجموع"(ج٧/صـ: ١٩-١٠٢).

رَسُولَ اللهِ، إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: **«انْطَلِقْ، فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٨٦٢، و٣٠٠٦، و٣٠٦١، و٥٢٣٣)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٣٤١).

وَيُشْرَعُ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ عَنِ الْمُسْلِمِ الْحَيِّ، إِذَا كَانَ عَاجِزًا عَنِ الْقِيَامِ بِذَلِكَ؛ لِكِبَرِ سِنٍّ أَوْ مَرَضٍ لَا يُرْجَى بُرْؤُهُ، سَوَاءٌ كَانَ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوْ غَيْرَهُمَا.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ تَسْتَفْتِيهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ، أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»**، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ.(١)

وَرَوَى أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ عَنْ أَبِي رَزِينٍ العُقَيْلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّه قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ الْحَجَّ وَلَا الْعُمْرَةَ وَلَا الظَّعْنَ، قَالَ: **«حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ»**.(٢)

وَكَذَا مَن مَّاتَ وَلَمْ يَحُجَّ وَلَمْ يَعْتَمِرْ، أَوْ كَانَ قَدْ نَذَرَ أَن يَحُجَّ، فَلَمْ يَحُجَّ حَتَّى مَاتَ، فَيُشْرَعُ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ عَنْهُ، فَعَنِ ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: **«نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللَّهَ؛ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٨٥٢، و٧٣١٥).

---

(١) البخاري (رقم: ١٥١٣، و١٨٥٣، و١٨٥٤، و٤٣٩٩، و٦٢٢٨)، ومسلم (رقم: ١٣٣٤).

(٢) أحمد (رقم:١٦١٨٤، و١٦١٨٥، و١٦١٩٠، و١٦١٩٩، و١٦٢٠٣)، وأبو داود (رقم:١٨١٠)، والترمذي (رقم:٩٣٠)، والنسائي (رقم:٢٦٢١، و٢٦٣٧) وابن ماجه (رقم: ٢٩٠٦)، وصححه الإمام أحمد، والترمذي، وابن خزيمة (رقم:٣٠٤٠)، وابن حبان (رقم:٣٩٩١)، والحاكم (رقم:١٧٦٨) على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في "صحيح أبي داود"(رقم:١٥٨٨)، والوادعي في "الصحيح المسند مما في ليس في الصحيحين"(رقم:١٢٢٦).

وَلَهُ (رقم: ٦٦٩٩): عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أُخْتِي قَدْ نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، وَإِنَّهَا مَاتَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ»** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **«فَاقْضِ اللَّهَ، فَهُوَ أَحَقُّ بِالقَضَاءِ»**.

وَفَضَائِلُ الْحَجِّ فَرْضِهِ وَنَفْلِهِ كَثِيْرَةٌ:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: **«إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»**. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **«الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»**. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **«حَجٌّ مَبْرُورٌ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٦، و١٥١٩)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٨٣).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ»**.(٢)

وَعَن مَّاعِزٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ سُئِلَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **«إِيمَانٌ بِاللهِ وَحْدَهُ، ثُمَّ الْجِهَادُ، ثُمَّ حَجَّةٌ بَرَّةٌ تَفْضُلُ سَائِرَ الْعَمَلِ كَمَا بَيْنَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٩٠١٠).(٣)

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: **«أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٢١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ،**

---

(١) البخاري (رقم: ١٥٢١، و١٨١٩، و١٨٢٠)، ومسلم (رقم: ١٣٥٠).

(٢) البخاري (رقم: ١٧٧٣)، ومسلم (رقم: ١٣٤٩).

(٣) وصححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (رقم: ١١٠٣).

وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الجَنَّةُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٣٦٦٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٨١٠)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٢٦٣١).(١)

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلاَ نُجَاهِدُ؟ قَالَ: **«لَا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»**. رَوَاهُ البُخَارِيُّ (رقم: ١٥٢٠، و٢٧٨٤).

وَفِي رِوَايَةٍ (رقم: ١٨٦١): قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَغْزُو وَنُجَاهِدُ مَعَكُمْ؟ فَقَالَ: **«لَكِنَّ أَحْسَنَ الجِهَادِ وَأَجْمَلَهُ الحَجُّ، حَجٌّ مَبْرُورٌ»**.

فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «فَلاَ أَدَعُ الحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ».

وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ هُوَ مَا خَلَا مِنَ الرَّفَثِ وَالْفُسُوقِ وَالْإِثْمِ، وَكَانَ مِن مَّالٍ حَلَالٍ طَيِّبٍ، فَمَنْ حَجَّ بِمَالٍ حَرَامٍ فَإِنَّ حَجَّهُ لَا يَكُونُ مَبْرُورًا، وَإِن كَانَ يُسْقِطُ عَنْهُ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ عَلَى الْقَوْلِ الصَّحِيحِ، لَكِن لَّا يَكُونُ حَجُّهُ مَبْرُورًا.

إِذَا حَجَجْتَ بِمَالٍ أَصْلُهُ سُحْتٌ ... فَمَا حَجَجْتَ وَلَكِنْ حَجَّتِ الْعِيْرُ

فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَن يَّتَحَرَّى الْحَلَالَ الطَّيِّبَ، سَوَاءٌ فِي مَأْكَلِهِ وَمَشْرَبِهِ، أَوْ مَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ، أَوْ حَجِّهِ وَعُمْرَتِهِ، وَنَفَقَتِهِ وَصَدَقَتِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ، لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِلَّا كَانَ حَالُهُ كَمَا قِيلَ:

---

(١) حسنه الترمذي، وصححه ابن خزيمة (رقم:٢٥١٢)، وابن حبان (رقم:٣٦٩٣)، وحسن إسناده الألباني في "الصحيحة"(رقم:١٢٠٠)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٨٧٥).

وفي الباب عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه النسائي (رقم: ٢٦٣٠)، وصححه الضياء في "المختارة"(ج١٣/صـ:١٦)(رقم: ١٤، و١٥)، وصحح الألباني إسناده على شرط مسلم، وذكره العلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٦٩١).

وفي الباب أيضًا عن عمر وابنه عبد الله وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، راجع تخريجها في "الصحيحة"(رقم: ١٢٠٠).

كَكَافِلَةِ الْأَيْتَامِ مِن رِّبْحِ فَرْجِهَا لَكِ الْوَيْلُ لَا تَزْنِي وَلَا تَتَصَدَّقِي

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَن تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٤١٠)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٠١٤).

وَفِي رِوَايَةٍ لِّلْبُخَارِيِّ أَيْضًا (رقم: ٧٤٣٠): «**...وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ...**».

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١]، **وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٣٧٥).

خطبة عيد الأضحى

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنِا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، هَذِهِ إِطْلَالَةُ يَوْمِ النَّحْرِ الْعَاشِرِ مِن ذِي الْحِجَّةِ، وَهَا هُوَ صُبْحُهُ الْوَضَّاحُ قَدْ أَسْفَرَ، بَعْدَ لَيْلٍ مُّبَارَكٍ أَدْبَرَ، وَهُوَ يَوْمٌ فَضِيلٌ، وَعِيدٌ جَلِيلٌ، عظَّم اللهُ قَدْرَهُ وَأَظْهَرَ، وَأَبَانَ عَن فَضْلِهِ وَأَخْبَرَ، وَسَمَّاهُ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣].

هَذَا الْيَوْمُ أَعْظَمُ الْأَيَّامِ عِندَ اللهِ تَعَالَى، فَعِندَ أَحْمَدَ (رقم: ١٩٠٧٥)، وَأَبِي دَاوُدَ (رقم: ١٧٦٥) مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُرْطٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ»**.(١)

(١) وصححه: ابن خزيمة (رقم: ٢٨٦٦، و٢٩١٧، و٢٩٦٦)، وابن حبان (رقم: ٢٨١١)، والحاكم (رقم: ٧٥٢٢)، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ١٥٤٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٨١٢).

وَيَوْمُ الْقَرِّ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَلِي يَوْمَ النَّحْرِ.

وَفِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ مَا لَا يُعْمَلُ فِي غَيْرِهِ: كَالْوُقُوفِ بِمُزْدَلِفَةَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، وَرَمْيِ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ وَحْدَهَا، وَالنَّحْرِ، وَالْحَلْقِ، وَطَوَافِ الْإِفَاضَةِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِنَّ فِعْلَ هَذِهِ فِيهِ أَفْضَلُ بِالسُّنَّةِ وَاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ (ج٢٤/صـ:٢٢٢): عِيدُ النَّحْرِ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْمَكَانُ وَالزَّمَانُ، وَعِيدَ النَّحْرِ أَفْضَلُ مِنْ عِيدِ الْفِطْرِ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ الْعِبَادَةُ فِيهِ النَّحْرَ مَعَ الصَّلَاةِ، وَالْعِبَادَةُ فِي ذَاكَ الصَّدَقَةَ مَعَ الصَّلَاةِ، وَالنَّحْرُ أَفْضَلُ مِنْ الصَّدَقَةِ؛ لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْعِبَادَتَانِ الْبَدَنِيَّةُ وَالْمَالِيَّةُ، فَالذَّبْحُ عِبَادَةٌ بَدَنِيَّةٌ وَمَالِيَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ وَالْهَدِيَّةُ عِبَادَةٌ مَالِيَّةٌ.ا.هـ.

فَيَوْمُ النَّحْرِ وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ بَعْدَهُ مَنسَكٌ جَعَلَهُ اللهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [الحج: ٣٤].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ»**. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٧٣٧٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٢٤١٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٧٧٣)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٣٠٠٤).(١)

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (رقم: ١١٤١) مِنْ حَدِيثِ نُبَيْشَةَ الهُذَلِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ، وَذِكْرٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»**.

وَوَقْتُ التَّضْحِيَةِ مِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِيدِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَن جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ البَجَلِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ضَحَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أُضْحِيَةً ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا أُنَاسٌ قَدْ ذَبَحُوا ضَحَايَاهُمْ قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، رَآهُمْ

(١) قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وصححه أيضًا: ابن خزيمة (رقم: ٢١٠٠)، وابن حبان (رقم: ٣٦٠٣)، والحاكم (رقم: ١٥٨٦) على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني في "صحيح أبي داود"(رقم: ٢٠٩٠)، وقال العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٩٣٠): «هذا حديث حسن على شرط الشيخين».

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ قَدْ ذَبَحُوا قَبْلَ الصَّلاَةِ، فَقَالَ: «**مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلاَةِ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى، وَمَنْ كَانَ لَمْ يَذْبَحْ حَتَّى صَلَّيْنَا فَلْيَذْبَحْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ**».(١)

وَلَا تَحِلُّ الذَّبِيحَةُ إِلَّا بالتَّسْمِيَةِ، أُضْحِيَّةً كَانَتْ أَوْ غَيْرَهَا؛ لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾، الْآيَة، إِلَى قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: مَا ذُبِحَ فَذُكِرَ عَلَيْهِ اسْمُ غَيْرِ اللَّهِ، فَهُوَ حَرَامٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ أَنْ تُذْبَحَ مَخْلُوقَاتُهُ عَلَى اسْمِهِ الْعَظِيمِ، فَمَتَى عُدِلَ بِهَا عَنْ ذَلِكَ وَذُكِرَ عَلَيْهَا اسْمُ غَيْرِهِ مِنْ صَنَمٍ أَوْ طَاغُوتٍ أَوْ وَثَنٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، مِنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَإِنَّهَا حَرَامٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمَتْرُوكِ التَّسْمِيَةِ عَلَيْهِ، إِمَّا عَمْدًا أَوْ نِسْيَانًا.ا.هـ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج: ٢٨].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَعْنِي بِهِ: ذِكْرَ اللَّهِ عِنْدَ ذَبْحِهَا.ا.هـ.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْمُرَادُ بِذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ ذِكْرُ التَّسْمِيَةِ عِنْدَ الذَّبْحِ وَالنَّحْرِ، مِثْلُ قَوْلِكَ: بِاسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ.

قَالَ: وَكَانَ الْكُفَّارُ يَذْبَحُونَ عَلَى أَسْمَاءِ أَصْنَامِهِمْ، فَبَيَّنَ الرَّبُّ أَنَّ الْوَاجِبَ الذَّبْحُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ.

وَقَالَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾ أَيْ عَلَى ذَبْحِ مَا رَزَقَهُمْ ﴿مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وَالْأَنْعَامُ: الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ.ا.هـ.

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عِنْدَ ذَبْحِ الْهَدَايَا؛ شُكْرًا للهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْهَا، وَيَسَّرَهَا لَهُمْ.ا.هـ.

---

(١) البخاري (رقم: ٥٥٠٠)، ومسلم (رقم: ١٩٦٠)[٢].

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْأَيَّامُ الْمَعْلُومَاتُ هِيَ أَيَّامُ النَّحْرِ، كَمَا يُفِيدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ [الحج: ٣٦].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: قِيَامٌ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمَ، مَعْقُولَةٌ يدُها الْيُسْرَى، يَقُولُ: (بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ).

وَقَالَ ﷻ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨ – ١١٩].

وَقَالَ ﷻ فِي شَأْنِ الْمُشْرِكِيْنَ الَّذِينَ لَا يُسَمُّونَ عَلَى ذَبَائِحِهِمْ: ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأنعام: ١٣٨].

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٥٠٣)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٩٦٨) عَن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ فَكُلْ، لَيْسَ الظُّفُرَ وَالسِّنَّ، أَمَّا الظُّفُرُ فَمُدَى الحَبَشَةِ، وَأَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ»**.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ قَوْمًا قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَا بِاللَّحْمِ، لَا نَدْرِي: أَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْ لاَ؟ فَقَالَ: **«سَمُّوا عَلَيْهِ أَنْتُمْ وَكُلُوهُ»** قَالَتْ: وَكَانُوا حَدِيثِي عَهْدٍ بِالكُفْرِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٠٥٧، و٥٥٠٧، و٧٣٩٨).

وَلَيْسَ فِي الْحَدِيْثِ دَلِيْلٌ عَلَى سُقُوطِ التَّسْمِيَةِ بِالْجَهْلِ، وَلَا عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِشَرْطٍ لِحِلِّ الذَّبِيْحَةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيْهِ أَنَّهُمْ تَرَكُوا التَّسْمِيَةَ فَأَحَلَّ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ اللَّحْمَ، وَإِنَّمَا فِيْهِ أَنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ أَذَكَرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ أَمْ لَا، وَالْأَصْلُ أَنَّ الْفِعْلَ وَقَعَ عَلَى الصِّحَّةِ.

بَلْ قَدْ يُقَالُ: إِنَّ فِي الْحَدِيْثِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ التَّسْمِيَةَ شَرْطٌ لِحِلِّ الذَّبِيْحَةِ، وَأَنَّهُ لَابُدَّ مِنْهَا، وَإِلَّا لَمَا أَشْكَلَ حُكْمُ هَذَا اللَّحْمِ عَلَى الصَّحَابَةِ حَتَّى سَأَلُوا النَّبِيَّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ، ثُمَّ لَوْ كَانَتِ التَّسْمِيَةُ غَيْرَ شَرْطٍ أَوْ كَانَت تَّسْقُطُ فِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ لَمْ يُرْشِدْهُمْ إِلَى مَا يَنبَغِي أَن يَعْتَنُوا بِهِ وَهُوَ التَّسْمِيَةُ عَلَى فِعْلِهِمْ، وَلَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: وَمَا يَضُرُّكُمْ إِذَا تَرَكُوهَا أَوْ نَحْوَهُ؛ لِأَنَّهُ أَبْيَنُ وَأَبْلَغُ فِي إِظْهَارِ الْحُكْمِ وَسُقُوطِ التَّسْمِيَةِ.

فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: أَنتُم تُخَاطَبُونَ بِالتَّسْمِيَةِ عِندَ فِعْلِكُمْ، وَهُوَ الْأَكْلُ، فَسَمُّوا عَلَيْهِ، وَأَمَّا الذَّبْحُ وَالتَّسْمِيَةُ عَلَيْهِ فَمُخَاطَبٌ بِهِ غَيْرُكُمْ، فَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُم وَعَلَيْهِم مَّا حُمِّلُوا، وَلَيْسَ يَعْنِي أَنَّ تَسْمِيَتَكُمْ هَذِهِ تُغْنِي عَنِ التَّسْمِيَةِ عَلَى الذَّبْحِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الذَّبْحَ قَدْ فَاتَ.(١)

وَلِلْبُخَارِيِّ أَيْضًا (رقم: ٣٨٢٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الوَحْيُ، فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سُفْرَةٌ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلاَ آكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللَّهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ المَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ، إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّا بِأَرْضِ صَيْدٍ، أَصِيدُ بِقَوْسِي، وَبِكَلْبِي الَّذِي لَيْسَ بِمُعَلَّمٍ وَبِكَلْبِي المُعَلَّمِ، فَمَا يَصْلُحُ لِي؟ قَالَ: **«أَمَا صِدْتَ بِقَوْسِكَ فَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ، وَمَا صِدْتَ بِكَلْبِكَ المُعَلَّمِ، فَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ، وَمَا صِدْتَ بِكَلْبِكَ غَيْرِ مُعَلَّمٍ فَأَدْرَكْتَ ذَكَاتَهُ فَكُلْ»**.(٢)

فَلَا يَحِلُّ الصَّيْدُ إِلَّا إِذَا كَانَ قَدْ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ.

---

(١) "أحكام الأضحية والذكاة"[مطبوع ضمن: "الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين"(ج٢/صـ: ٢٦٦)].

(٢) البخاري (رقم: ٥٤٧٨، و٥٤٨٨)، ومسلم (رقم: ١٩٣٠).

وَلِمُسْلِمٍ (رقم:٤٥٠) عَنِ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ، فَذَهَبْتُ مَعَهُ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ**». قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا، فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ، وَسَأَلُوهُ الزَّادَ، فَقَالَ: «**لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ**». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا؛ فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ**».

فَلَا يَكُونُ الْعَظْمُ رِزْقًا لِّإِخْوَانِنَا مِنَ الْجِنِّ إِلَّا إِن كَانَ قَدْ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا التَّكْبِيرُ عَقِبَ التَّسْمِيَةِ فَمُسْتَحَبٌّ، وَيُسْتَحَبُّ أَيْضًا أَن يَقُولَ: «**اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي**»؛ لِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم:١٩٦٧) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ كَبْشًا، لِيُضَحِّيَ بِهِ، فَأَضْجَعَهُ، ثُمَّ ذَبَحَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**بِاسْمِ اللهِ، اللهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ**». ثُمَّ ضَحَّى بِهِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَيْضًا: اسْتِحْبَابُ ذَبْحِ الْمُضَحِّي أُضْحِيَتَهُ بِيَدِهِ إِن كَانَ يُحْسِنُ الذَّبْحَ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «ضَحَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى وَكَبَّرَ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا».(١)

وَإِن كُنتَ لَا تُحْسِنُ الذَّبْحَ فَوَكِّل رَّجُلًا مُوَحِّدًا مُّصَلِّيًا؛ لِيَذْبَحَ لَكَ.

وَيُرَاعِي الْإِحْسَانُ إِلَى الذَّبِيحَةِ؛ فَفِيْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ١٩٥٥) عَن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ثِنتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَن رَّسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**».

وَمِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهَا: أَن لَّا يُحِدَّ السَّكين أَمَامَهَا؛ لِحَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا أَضْجَعَ شَاةً يُرِيْدُ أَن يَذْبَحَهَا، وَهُوَ يُحِدُّ شَفْرَتَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ؟! هَلَّا حَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا**». رَوَاهُ الْحَاكِمُ (رقم:٧٥٧٠)، وَهُوَ فِي "الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ مِمَّا لَيْسَ فِي الصَّحِيحَيْنِ"(رقم:٦٥٩).

(١) البخاري (رقم:٥٥٥٨)، ومسلم (رقم:١٩٦٦).

وَاحْرِصْ عَلَى اسْتِيْفَاءِ الشُّرُوْطِ وَانتِفَاءِ الْمَوَانِعِ فِي أُضْحِيَّتِكَ؛ لِتَكُوْنَ مَقْبُوْلَةً عِندَ اللهِ.

فَمِن شُرُوطِهَا: بُلُوغُ السِّنِّ الْمُعْتَبَرِ شَرْعًا، بِأَن تَكُونَ ثَنِيًّا مِنَ الْإِبِلِ أَوِ الْبَقَرِ أَوِ الْمَعْزِ، أَوْ جَذَعًا مِنَ الضَّأْنِ؛ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَذْبَحُوا إِلَّا مُسِنَّةً، إِلَّا أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ، فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّأْنِ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم:١٩٦٣).

وَعِندَ أَحْمَدَ (رقم: ٢٣١٢٣)، وَالنَّسَائِيِّ (رقم: ٤٣٨٤) عَن رَجُلٍ مِن مُّزَيْنَةَ، أَوْ جُهَيْنَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ الْجَذَعَةَ تُجْزِئُ مِمَّا تُجْزِئُ مِنْهُ الثَّنِيَّةُ»**.

وَنَحْوُهُ عِندَ أَبِي دَاوُدَ (رقم: ٢٧٩٩) مِنْ حَدِيْثِ مُجَاشِعِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالثَّنِيُّ مِنَ الْإِبِلِ مَا تَمَّ لَهُ خَمْسُ سِنِيْنَ، وَالثَّنِيُّ مِنَ الْبَقَرِ مَا تَمَّ لَهُ سَنَتَانِ، وَالثَّنِيُّ مِنَ الْغَنَمِ ضَأْنِهَا وَمَعْزِهَا مَا تَمَّ لَهُ سَنَةٌ، وَالْجَذَعُ مِنَ الضَّأْنِ: مَا تَمَّ لَهُ سِتَّةُ أَشْهُرٍ.

وَمِن شُرُوطِهَا أَيْضًا: السَّلَامَةُ مِنَ الْعُيُوبِ الْمَانِعَةِ مِنَ الْإِجْزَاءِ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي حَدِيْثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَرْبَعٌ لَا تُجْزِئُ فِي الْأَضَاحِيِّ: الْعَوْرَاءُ، الْبَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ، الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرْجَاءُ، الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا، وَالْكَسِيرَةُ، الَّتِي لَا تُنْقِي»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٨٥١٠، و١٨٥٤٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٢٨٠٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ١٤٩٧)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٤٣٦٩، و٤٣٧٠)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم:٣١٤٤).

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ (رقم: ١٨٦٦٧): **«وَالْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ عَرَجُهَا»**.

وَلَهُ (رقم: ١٨٦٧٥)، وَلِلنَّسَائِيِّ (رقم: ٤٣٧١): **«وَالْعَجْفَاءُ الَّتِي لَا تُنْقِي»**.

وَظَاهِرُ إِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيْثِ الصِّحَّةُ، وَقَدْ أَعَلَّهُ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ، كَمَا فِي "أَحَادِيْثَ مُعَلَّةٍ" (رقم:٥٥)، لَكِن قَدْ أُجِيْبَ عَنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ، وَلِلْحَدِيْثِ مَا يَشْهَدُ لَهُ.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا الْحَدِيْثِ عِندَ أَهْلِ الْعِلْمِ».

وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي "الْمُغْنِي"(ج٩/ص:٤٤١): «لَا نَعْلَمُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ خِلَافًا فِي أَنَّهَا تَمْنَعُ الْإِجْزَاءَ».

فَهَذِهِ أَرْبَعٌ مَنصُوصٌ عَلَى مَنْعِ الْأُضْحِيَةِ بِهَا وَعَدَمِ إِجْزَائِهَا.

الأولى: الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا، وَهِيَ الَّتِي انخَسَفَتْ عَيْنُهَا أَوْ بَرَزَتْ، فَإِن كَانَتْ لَا تُبْصِرُ بِعَيْنِهَا وَلَكِنَّ عَوَرَهَا غَيْرُ بيِّنٍ أَجْزَأَتْ، وَالسَّلِيمَةُ أَوْلَى.

الثانية: الْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَهِيَ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَيْهِ آثَارُ الْمَرَضِ الْمُفْسِدِ لِلَحْمِهَا أَوِ الْمُؤَثِّرِ فِي صِحَّتِهَا، فَإِن كَانَ يَسِيرًا أَجْزَأَتْ.

الثالثة: الْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ عَرَجُهَا، فَإِن كَانَ الْعَرَجُ يَسِيرًا أَجْزَأَتْ.

الرابعة: الْكَسِيرَةُ أَوِ الْعَجْفَاءُ (الْهَزِيلَةُ) الَّتِي لَا تُنقِي، أَيْ: لَمْ يَبْقَ فِيهَا مُخٌّ فِي عِظَامِهَا مِن شِدَّةِ هُزَالِهَا، فَإِن كَانَ فِيهَا مُخٌّ أَجْزَأَتْ.

وَيَلْحَقُ بِهَذِهِ الْأَرْبَعِ مَا كَانَ بِمَعْنَاهَا أَوْ أَوْلَى، فَيَلْحَقُ بِهَا: الْعَمْيَاءُ الَّتِي لَا تُبْصِرُ بِعَيْنِهَا؛ وَالْمَبْشُومَةُ حَتَّى تَثْلِطَ؛ وَمَا أَخَذَتْهَا الْوِلَادَةُ حَتَّى تَنجُوَ؛ وَمَا أَصَابَهَا سَبَبُ الْمَوْتِ كَالْمُنْخَنِقَةِ وَالْمَوْقُوذَةِ وَالْمُتَرَدِّيَةِ وَالنَّطِيحَةِ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ؛ وَالزَّمْنَى وَهِيَ الْعَاجِزَةُ عَنِ الْمَشْيِ لِعَاهَةٍ؛ وَمَقْطُوعَةِ إِحْدَى الْيَدَيْنِ أَوِ الرِّجْلَيْنِ.

وَيَجُوزُ أَن يُضَحَّى بِالْعَضْبَاءِ، وَهِيَ مَكْسُورَةُ الْقَرْنِ، أَوْ مَقْطُوعَةُ الْأُذُنِ، أَوْ مَشْقُوقَتُهَا، أَوْ مَخْرُوقَتُهَا، أَوِ الْبَتْرَاءِ، وَهِيَ مَقْطُوعَةُ الذَّنَبِ، أَوْ مَا قُطِعَ ذَكَرُهُ، أَوْ مَا سَقَطَ بَعْضُ أَسْنَانِهَا، أَوْ مَا قُطِعَ شَيْءٌ مِنْ حَلَمَاتِ ضَرْعِهَا، وَالسَّلِيمَةُ مِنْ هَذِهِ الْعُيُوبِ أَوْلَى.

وَلَا بَأْسَ بِمَفْقُودَةِ الْقَرْنِ وَالْأُذُنِ أَوِ الذَّنَبِ بِأَصْلِ الْخِلْقَةِ.

وَلَا بَأْسَ أَيْضًا بِالْخَصِيِّ؛ لِأَنَّهُ أَطْيَبُ لَحْمًا فِي الْغَالِبِ مِنْ غَيْرِ الْخَصِيِّ.

وَأَمَّا الْبَتْرَاءُ مِنَ الضَّأْنِ، وَهِيَ الَّتِي قُطِعَتْ أَلْيَتُهَا أَوْ أَكْثَرُهَا؛ فَلَا تُجْزِئُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ نَقْصٌ بيِّنٌ فِي جُزْءٍ مَقْصُودٍ مِنْهَا.

أَيُّهَا النَّاسُ، اعْرِفُوا لِهَذَا الْيَوْمِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ قَدْرَهَا، وَاغْتَنِمُوا أَوْقَاتَهَا بِالذِّكْرِ وَالشُّكْرِ؛ لِتَجِدُوا عِندَ اللهِ ﷻ ذُخْرَهَا، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ، وَذِكْرٍ لِلَّهِ ﷻ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١١٤١) مِنْ حَدِيثِ نُبَيْشَةَ الْهُذَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لاحول ولا قوة إلا بالله

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ، يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، قَالَ رَبُّنَا ﷻ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

أَلَا وَإِنَّ مِنْ خَيْرِ زَادِ الْعِبَادِ فِي هَذِهِ الدَّارِ دَارِ النَّفَادِ، وَأَحْمَدِهِ عَاقِبَةً فِي دَارِ الْإِخْلَادِ، زَادُ ذِكْرِ اللهِ ﷻ، وَنِعْمَ الزَّادُ، سَهْلُ الْمُتَنَاوَلِ، يَسِيرُ الْمَحْمَلِ، عَظِيمُ الْفَائِدَةِ، مَأْمُونُ الْغَائِلَةِ، مَحْمُودُ الْعَاقِبَةِ.

وَكَنزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا ... خَفِيفُ الْحَمْلِ يُوْجَدُ حَيْثُ كُنتَا

وَمِن جُمْلَةِ الذِّكْرِ الْمَشْروع: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، وَفِي هَذَا الذِّكْرِ مِنَ الْبَرَكَةِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيْمٌ، وَيَجِدُ قَائِلُهُ بِهِ الْخَيْرَ الْعَظِيْمَ وَالنَّفْعَ الْعَمِيْمَ وَهُوَ كَنزٌ مِن كُنُوزِ الْجَنَّةِ.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قريبًا، وَهُوَ مَعَكُم»**، ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ: **«يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ»**، أَوْ قَالَ: **«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»**.(١)

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهَا كَلِمَةُ اسْتِسْلَامٍ وَتَفْوِيضٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاعْتِرَافٍ بِالْإِذْعَانِ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا صَانِعَ غَيْرُهُ وَلَا رَادَّ لِأَمْرِهِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ، وَمَعْنَى الْكَنْزِ هُنَا: أَنَّهُ ثَوَابٌ مُدَّخَرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ ثَوَابٌ نَفِيسٌ، كَمَا أَنَّ الْكَنْزَ أَنْفَسُ أَمْوَالِكُمْ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْحَوْلُ الْحَرَكَةُ وَالْحِيلَةُ، أَيْ: لَا حَرَكَةَ وَلَا اسْتِطَاعَةَ وَلَا حِيلَةَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا حَوْلَ فِي دَفْعِ شَرٍّ وَلَا قُوَّةَ فِي تَحْصِيلِ خَيْرٍ إِلَّا بِاللَّهِ، وَقِيلَ: لَا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعِصْمَتِهِ وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَتِهِ إِلَّا بِمَعُونَتِهِ.

فَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى فَضْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، فَمَا أَعْظَمَهَا مِن فَضِيلَةٍ!، وَمَا أَيْسَرَ الْحُصُولَ عَلَيْهَا!، وَلَوْ لَمْ يَكُن فِي فَضْلِهَا إِلَّا مِثْلُ هَذَا الْحَدِيثِ لَكَفَى بِهِ، كَيْفَ وَقَدْ صَحَّ فِي فَضْلِهَا أَحَادِيثُ عِدَّةٍ، سِوَى هَذَا الْحَدِيثِ:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟»**. قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: **«لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»**. قَالَ: أَحْسَبُهُ قَالَ: **«يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٧٩٦٦، و٨٤٢٦، و١٠٧٣٦).(٢)

---

(١) البخاري (رقم: ٤٢٠٥، و٦٣٨٤، و٧٣٨٦)، ومسلم (رقم: ٢٧٠٤).

(٢) وذكره الألباني في "الصحيحة"(رقم: ١٥٢٨)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٣٥١).

وَعِندَ النَّسَائِيِّ فِي "عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ"(رقم: ٣٥٨) عَن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَينا أَنا أَمْشِي مَعَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَة، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنزٍ مِن كُنُوزِ الْجَنَّة: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا مَنجَا مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ**».(١)

وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ بِالْإِكْثَارِ مِن قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وَالْأَمْرُ لَهُمْ أَمْرٌ لِسَائِرِ الْأُمَّةِ مِن بَعْدِهِمْ، فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ (رقم: ٢١٤١٥) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**أَمَرَنِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ: أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ**».(٢)

وَعِندَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ (ج١٣/صـ: ٥١٦)(رقم: ٣٦٤١٠)، وَعَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ (رقم: ٢٣١)، وَالطَّبَرَانِيِّ فِي "الْكَبِيرِ"(ج٤/صـ: ١٣٣)(رقم: ٣٩٠٠) عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لِي: أَلَا آمُرُكَ بِمَا أَمَرَنِي بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْثِرْ مِن قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ فَإِنَّهَا مِن كُنُوزِ الْجَنَّةِ**».(٣)

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٢٦٩٦) عَنْ سَعْد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ، قَالَ: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**». قَالَ: فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: «**قُلْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي**».

---

(١) وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٣٥١).

(٢) وهو في "الصحيحة"(رقم: ٢١٦٦)، و"الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٢٦٧).

(٣) وإسناده حسن، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في "المطالب العالية"(ج٣/صـ: ٢٦١)، والألباني في "صحيح الجامع الصغير"(رقم: ١٢٠٥).

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ): مِن ضِمْنِ الْأَذْكَارِ الَّتِي تُقَالُ عِندَ سَمَاعِ الْأَذَانِ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٣٨٥) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»**.

وَتُقَالُ عِندَ الْخُرُوجِ مِنَ الْبَيْتِ، فَعِندَ أَبِي دَاوُدَ (رقم: ٥٠٩٥)، وَالتِّرْمِذِيِّ (رقم: ٣٤٢٦)، وَغَيْرِهِمَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ، فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ فَيَتَنَحَّى لَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟!»**.

وَقَدْ أُعِلَّ هَذَا الْحَدِيثُ بِالِانقِطَاعِ، لَكِن لَهُ مَا يَشْهَدُ لَهُ.(١)

وَتُقَالُ فِي بَعْضِ أَدْعِيَةِ الِاسْتِفْتَاحِ فِي الصَّلَاةِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: **«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»**، الْحَدِيث.

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ (رقم: ١١٢٠) فِي آخِرِهِ: **«وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»**.

---

(١) ذكره العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "أحاديث معلة ظاهرها الصحة"(رقم: ٢٧)، وقد حسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (رقم: ٨٢٢)، والألباني في تخريج "الكلم الطيب"(رقم: ٥٩)، وفي "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ١٦٠٥).

وَتُجْزِئُ عَن قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي حَقِّ مَن لَمْ يَكُن قَدْ حَفِظَ سُوْرَةَ الْفَاتِحَةِ بَعْدُ، كَمَا لَوْ أَسْلَمَ قَرِيْبًا، وَعَلَيْهِ فَرْضًا أَن يَسْعَى فِي تَعَلُّمِهَا، فَرَوَى أَحْمَدُ (رقم: ١٩١١٠، و١٩٤٠٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٨٣٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا، فَعَلِّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي مِنْهُ، قَالَ: «**قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا لِي، قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي وَاهْدِنِي**»، فَلَمَّا قَامَ قَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ مَلَأَ يَدَهُ مِنَ الْخَيْرِ**».(١)

وَهِيَ مِنَ الْأَذْكَارِ الَّتِي تُقَالُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٥٩٤) عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**». وَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ».

وَهِيَ مِنَ الْأَذْكَارِ الَّتِي تُقَالُ عِندَ النُّزَالِ لِدَفْعِ الْعُجْبِ وَالْأَمْنِ مِن مَعَرَّةِ الِاغْتِرَارِ بِالْكَثْرَةِ، مَعَ حُصُولِ الِاسْتِعَانَةِ، فَفِي "مُسْنَدِ أَحْمَدَ"(رقم: ١٨٩٣٧، و٢٣٩٢٧) عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى هَمَسَ شَيْئًا، لَا نَفْهَمُهُ، وَلَا يُحَدِّثُنَا بِهِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَطِنْتُمْ لِي؟**» قَالَ قَائِلٌ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَإِنِّي قَدْ ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ؟ فَقَالَ: مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلَاءِ، أَوْ مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ؟!**» قَالَ: «**فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوِ الْجُوعَ، أَوِ الْمَوْتَ**»، قَالَ: «**فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ**

(١) وحسنه الألباني في "الإرواء"(رقم: ٣٠٣)، وفي "صحيح أبي داود"(رقم: ٧٨٥).

فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ، نَكِلُ ذَلِكَ إِلَيْكَ، فَخِرْ لَنَا». قَالَ: «فَقَامَ إِلَى صَلَاتِهِ»، قَالَ: «وَكَانُوا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ»، قَالَ: «فَصَلَّى»، قَالَ: «أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَا، أَوِ الْجُوعُ فَلَا، وَلَكِنِ الْمَوْتُ» قَالَ: «فَسُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَهَمْسِي الَّذِي تَرَوْنَ أَنِّي أَقُولُ: اللهُمَّ يَا رَبِّ، بِكَ أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ». (١)

وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَهُ أَيْضًا (رقم: ١٨٩٣٣): أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَيَّامَ حُنَيْنٍ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ بِشَيْءٍ، لَمْ نَكُنْ نَرَاهُ يَفْعَلُهُ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَرَاكَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ، تَفْعَلُهُ فَمَا هَذَا الَّذِي تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ؟ قَالَ: «إِنَّ نَبِيًّا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَعْجَبَتْهُ كَثْرَةُ أُمَّتِهِ...»، فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

وَهِيَ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ، خُذُوا جُنَّتَكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ عَدُوٍّ حَضَرَ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ مِنَ النَّارِ، قُولُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُسْتَقْدِمَاتٍ وَمُعَنِّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ"(رقم: ٤٠٢٧)، وَالْحَاكِمُ (رقم: ١٩٨٥).

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ"(رقم: ٣١٧٩) نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (٢)

وَفِي "مُسْنَدِ أَحْمَدَ"(رقم: ١٧١٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ». قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْمِلَّةُ»، قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْمِلَّةُ»، قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «التَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

---

(١) وصححه: ابن حبان (رقم:١٩٧٥)، والألباني في "الصحيحة"(رقم:١٠٦١)، والوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم:٥٠٨).

(٢) راجع: "الصحيحة"(رقم: ٣٢٦٤).

وَفِيهِ أَيْضًا (رقم: ٥١٣) عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قِيْلَ لَهُ: مَا الْبَاقِيَاتُ يَا عُثْمَانُ؟ قَالَ: هُنَّ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وَهِيَ مِن مُكَفِّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَفِي "مُسْنَدِ أَحْمَدَ"(رقم: ٦٤٧٩) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ»**.

اخْتُلِفَ فِي رَفْعِهِ وَوَقْفِهِ، وَالْمَوْقُوفُ أَصَحُّ، وَقَدْ يُقَالُ: مِثْلُهُ لَا يُقَالُ بِالرَّأْيِ.

وَتُقَالُ عِندَ التَّعَارِّ مِنَ النَّوْمِ، أَيِ: الِاسْتِيْقَاظِ مَصْحُوبًا بِكَلَامٍ مِن ذِكْرٍ، فَفِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»**.

ومَعْنَى (تَعَارَّ): انتبَهَ وَهُوَ يُسَبِّحُ أَوْ يَسْتَغْفِرُ أَوْ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى بِأَيِّ ذِكْرٍ.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَيَنبَغِي لِمَن بَلَغَهُ هَذَا الْحَدِيْثُ أَن يَغْتَنِمَ الْعَمَلَ بِهِ وَيُخْلِصَ نِيَّتَهُ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.(١)

وَقَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **فَائِدَةٌ:** قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَبْرِيُّ الرَّاوِي عَنِ الْبُخَارِيِّ: أَجْرَيْتُ هَذَا الذِّكْرَ عَلَى لِسَانِي عِنْدَ انْتِبَاهِي، ثُمَّ نِمْتُ، فَأَتَانِي آتٍ، فَقَرَأَ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [الحج: ٢٤]، الْآيَةَ.ا.هـ.(٢)

(١) "شرح صحيح البخاري"(ج٣/صـ: ١٤٨).
(٢) "الفتح"(ج٣/صـ: ٤١).

وَهِيَ مِنَ الْأَذْكَارِ الَّتِي تُقَالُ عِندَ الْمَوْتِ وَتَكُونُ سَبَبًا لِلْوِقَايَةِ مِنَ النَّارِ، فَرَوَى التِّرْمِذِيُّ (رقم: ٣٤٣٠) وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ٣٧٩٤) عَنِ الْأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ، أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ، أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ، وَلِيَ الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي»**.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ الْأَغَرُّ شَيْئًا لَمْ أَفْهَمْهُ، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: **«مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ»**.(١)

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ مِمَّا يَنبَغِي أَن يُّعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الْعَظِيْمَةَ (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ)، هِيَ كَلِمَةُ اسْتِعَانَةٍ، وَلَيْسَتْ كَلِمَةَ اسْتِرْجَاعٍ، تَقُولُهَا إِذَا اسْتَصْعَبَ عَلَيْكَ أَمْرٌ، أَوْ كُنتَ تُزَاوِلُ عَمَلًا شَاقًّا، فَهِيَ تُشْعِرُ قَائِلَهَا بِضَعْفِهِ وَعَظِيْمِ افْتِقَارِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَلَكِن يُّقَالُ عِندَ نُزُولِ الْمُصِيْبَةِ مَا أَرْشَدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

---

(١) وصححه: الألباني في "الصحيحة"(رقم: ١٣٩٠)، والوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٤٣٣).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ٩١٨) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**مَا مِن مُّسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾** [البقرة: ١٥٦]**، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، [إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ] وأَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**».

قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ الْكَلِمَةَ كَلِمَةُ اسْتِعَانَةٍ؛ لَا كَلِمَةُ اسْتِرْجَاعٍ وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ يَقُولُهَا عِنْدَ الْمَصَائِبِ بِمَنْزِلَةِ الِاسْتِرْجَاعِ، وَيَقُولُهَا جَزَعًا لَا صَبْرًا .ا.هـ.(١)

وَقَالَ قُرَّةُ: كَانَ هِجِّيرَى الضَّحَّاكِ – يَعْنِي: دَأْبَهُ – إِذَا سَكَتَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.(٢)

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلْيَكُنْ هِجِّيرَاهُ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)؛ فَإِنَّهَا بِهَا تُحْمَلُ الْأَثْقَالُ، وَتُكَابَدُ الْأَهْوَالُ، وَيُنَالُ رَفِيعُ الْأَحْوَالِ.(٣)

وَفِي "إِعْلَامِ الْمُوَقِّعِينَ"(١/ ٦٠) لِابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ: ثَنَا أَبُو مُسْهِرٍ، قَالَ: كَانَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِذَا سُئِلَ لَا يُجِيبُ حَتَّى يَقُولَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، هَذَا الرَّأْيُ، وَالرَّأْيُ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: يُسْتَحَبُّ لِلرَّجُلِ إِذَا دَخَلَ مَنزِلَهُ أَن يَقُولَ: مَا شَاءَ اللَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَهُوَ مِن كِتَابِ اللَّهِ.ا.هـ.(٤)

---

(١) "مجموع الفتاوى"(ج٨/ صـ: ٣٢٩٣).

(٢) ذكره الذهبي في ترجمة الضحاك – وهو ابن مزاحم الهلالي – من "السير"(ج٤/ صـ: ٦٠٠).

(٣) "مجموع الفتاوى"(ج١٠/ صـ: ١٣٧).

(٤) "الموطأ"(ج١/ صـ: ٢٦٣)(رقم: ٤٩)(ت. الأعظمي).

يَعْنِي قَوْلَه ﷻ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[الكهف: ٣٩].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي الطِّبِّ النَّبَوِيِّ مِنَ "الزَّادِ"(ج٤/صـ: ١٩٣): وَأَمَّا تَأْثِيرُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فِي دَفْعِ هَذَا الدَّاءِ – يَعْنِي الْهَمَّ –؛ فَلِمَا فِيهَا مِنْ كَمَالِ التَّفْوِيضِ وَالتَّبَرِّي مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ، وَتَسْلِيمِ الْأَمْرِ كُلِّهِ لَهُ، وَعَدَمِ مُنَازَعَتِهِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، وَعُمُومِ ذَلِكَ لِكُلِّ تَحَوُّلٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، وَالْقُوَّةِ عَلَى ذَلِكَ التَّحَوُّلِ، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، فَلَا يَقُومُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ شَيْءٌ.

قَالَ: وَلَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي طَرْدِ الشَّيْطَانِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.ا.هـ.

وَقَالَ فِي "الْوَابِلِ الصَّيِّبِ"(صـ:٧٧): وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي مُعَالَجَةِ الْأَشْغَالِ الصَّعْبَةِ، وَتَحَمُّلِ الْمَشَاقِّ، وَالدُّخُولِ عَلَى الْمُلُوكِ، وَمَن يُخَافُ، وَرُكُوبِ الْأَهْوَالِ.

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ (رقم:٨) فِي صَحِيحِهِ عَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»**، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: **«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي

عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ مِن جُمْلَةِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى قَوَاعِدِ الدِّينِ، وَعَلَيْهَا مَدَارُ الْإِسْلَامِ، وَمِن فَوَائِدِ هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ الدِّيْنَ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبَ: الْإِسْلَامِ، ثُمَّ الْإِيمَانِ، ثُمَّ الْإِحْسَانِ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ، وَالْإِيمَانُ فَوْقَ مَرْتَبَةِ الْإِسْلَامِ، كَمَا أَنَّ الْإِحْسَانَ فَوْقَ مَرْتَبَةِ الْإِيمَانِ.

فَأَعْلَى هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ: الْإِحْسَانُ، وَلَهُ رُكْنٌ وَاحِدٌ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

وَلَا يَصِلُ الْعَبْدُ إِلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْعَالِيَةِ إِلَّا إِذَا صَارَ الْغَيْبُ فِي حَقِّهِ كَالْعِيَانِ، يَعْبُدُ اللهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، يَسْتَشْعِرُ رَقَابَتَهُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَآنٍ، وَيَسْتَحْضِرُ اطِّلَاعَهُ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ مِّنْ أَمْرِهِ، عَلَى سِرِّهِ وَنَجْوَاهُ، وَقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، فاللهُ يَرَاهُ، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق: ١٤].

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ ... خَلَوْتُ وَلَكِن قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفُلُ سَاعَةً ... وَلَا أَنَّ مَا تُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ

وَهَذَا الِاسْتِشْعَارُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى فِعْلِ الصَّحِيحِ وَالْمَلِيحِ، وَتَرْكِ الْقَبِيحِ، اسْتِحْيَاءً مِّنَ اللهِ وَخَوْفًا مِّنْهُ وَرَغْبَةً فِيمَا عِندَهُ.

فَإِن فُقِدَ هَذَا الِاسْتِشْعَارُ وَزَالَتْ هَذِهِ الْمُرَاقَبَةُ جَرَّ ذَلِكَ إِلَى انتِهَاكِ حُرُمَاتِ اللهِ وَإِهْدَارِ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

رَوَى ابْنِ مَاجَهْ (رقم: ٤٢٤٥) عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**». قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَن

لَّا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا». (١)

وَإِذَا هَمَمْتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ ... وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ

فَاسْتَحْيِ مِن نَّظَرِ الْإِلَهِ وَقُل لَّهَا ... إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

وَمِن كَمَالِ حِكْمَةِ اللهِ ﷻ، وَكَمَالِ عِلْمِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى خَلْقِهِ أَنَّهُ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (رقم: ١٩٥٥) عَن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ثِنتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ».

وَقَدْ كَتَبَ اللهُ ﷻ عَلَى نَفْسِهِ تَفَضُّلًا مِّنْهُ وَرَحْمَةً: مُجَازَاةَ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠].

فَجَازَى أَهْلَ الْإِحْسَانِ مِنْ عِبَادِهِ بِالْحُسْنَى، وَهِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَفِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَّأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَزَادَهُمُ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ ﷻ، وَهُوَ أَعْلَى نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٨١).

وَفِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل: ٨٩]، و[القصص: ٨٤].

---

(١) وصححه الألباني في "الصحيحة"(رقم: ٥٠٥)، وذكره الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٨٩).

وَقَالَ ﷻ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وَيُضَاعِفُ اللهُ ﷻ لِمَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيْرَةٍ، قَالَ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١١٥١).

وَفِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: **«إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ ﷻ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ»**.(١)

وَفِيهِمَا أَيْضًا نَحْوُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٧٥٠١)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٢٨).

وَقَالَ ﷻ: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤﴾ [الأنعام: ١٥٤].

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾، أَيْ: جَزَاءً عَلَى إِحْسَانِهِ فِي الْعَمَلِ، وَقِيَامِهِ بِأَوَامِرِنَا وَطَاعَتِنَا، كَقَوْلِهِ: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾.ا.هـ.

وَكَمَا كَتَبَ اللهُ ﷻ عَلَى نَفْسِهِ مُجَازَاةَ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ تَفَضُّلًا مِّنْهُ وَرَحْمَةً، فَقَدْ كَتَبَ ذَلِكَ عَلَى عِبَادِهِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة: ١٩٥].

فَمُقَابَلَةُ إِحْسَانِ الْمَخْلُوقِ بِمِثْلِهِ مِمَّا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الشَّرَائِعُ الْإِلَهِيَّةُ وَالْفِطَرُ السَّوِيَّةُ، ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن:٦٠].

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ**

(١) البخاري (رقم: ٦٤٩١)، ومسلم (رقم: ١٣١).

مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِن لَّمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٥٣٦٥، و٦١٠٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ١٦٧٢، و٥١٠٩)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٢٥٦٧) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ.(١)

وَعِندَ التِّرْمِذِيِّ (رقم: ٢٠٣٥) عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَن صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ»**.(٢)

وَعِندَ أَحْمَدَ (رقم: ٧٩٣٩، و٨٠١٩، و٩٠٣٤، و٩٩٤٤، و١٠٣٧٧)، وَأَبِي دَاوُدَ (رقم: ٤٨١١)، وَالتِّرْمِذِيِّ (رقم: ١٩٥٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَن لَّا يَشْكُرُ النَّاسَ»**.(٣)

بَوَّبَ عَلَيْهِ الْعَلَّامَةُ الْوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْجَامِعِ الصَّحِيحِ مِمَّا لَيْسَ فِي الصَّحِيحَيْنِ(ج١/صـ: ٨٥) بِقَوْلِهِ: (شُكْرُ الطَّالِبِ مُعَلِّمَهُ، وَمِنْهُ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ).

وَأَعْظَمُ النَّاسِ مِنَّةً عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَبِهِ خَتَمَ اللهُ الرِّسَالَةَ، وَعَلَّمَ بِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ وَأَرْشَدَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا، قَالَ ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم: ٣٤٠٨)، والحاكم (رقم: ١٥٠٢، و٢٣٦٩)، وقال: «على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وتابعهما الألباني في "الإرواء"(رقم: ١٦١٧)، وفي "الصحيحة"(رقم: ٢٥٤)، وفي صحيح أبي داود(رقم: ١٤٦٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ٧٣٦).

(٢) وحسنه الترمذي، والضياء في "المختارة"(ج٤/صـ: ١١٠-١١١) (رقم: ١٣٢١، و١٣٢٢)، وصححه ابن حبان (رقم: ٣٤١٣)، والألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٩٦٩).

وقد نقل الترمذي في "العلل"(رقم: ٥٨٩) عن البخاري قوله في هذا الحديث: «منكر»، وكذا حكم عليه بالنكارة: أبو حاتم، كما في "العلل"(رقم: ٢٥٧٠) لابنه، وذكره الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "أحاديث معلة ظاهرها الصحة"(رقم: ٧)، ثم نقل قول أبي حاتم فيه.

(٣) وصححه الترمذي، وابن حبان (رقم: ٣٤٠٧)، والألباني في "الصحيحة"(رقم: ٤١٦)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١٣٣٠).

ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢١٢٥) عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا».

وَمِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ مِنَّةً عَلَيْكَ: أَبَوَاكَ، بَلْ هُمَا أَحَقُّ النَّاسِ بِصُحْبَتِكَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: **«أُمُّكَ»**. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **«ثُمَّ أُمُّكَ»**. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **«ثُمَّ أُمُّكَ»**. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **«ثُمَّ أَبُوكَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٥٩٧١)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٤٨).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: **«أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»**. أَي: الْأَقْرَبُ مِنكَ فَالْأَقْرَبُ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَهُمَا سَبَبًا لِخُرُوجِكَ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، وَكَثِيرًا مَا يقرنُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ عِبَادَتِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].ا.هـ.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: ١٥ – ١٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ**»، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٨٨).

وَكَمْ يَحْصُلُ الْإِخْلَالُ بِهَذَا الْأَمْرِ مِن قِبَلِ كَثِيرٍ مِّنَ الْأَبْنَاءِ، فَإِذَا شَبَّ وَصَارَ رَجُلًا، تَرَكَ أَبَوَيْهِ، مَعَ حَاجَتِهِمَا إِلَى الرِّعَايَةِ، وَبَنَى لَهُ وَلِزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ الْبَيْتَ الْوَاسِعَ، وَبَعْضُهُمْ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِرْضَاءً لِّزَوْجَتِهِ!.

وَرُبَّمَا بَلَغَ الْكِبَرُ بِالْوَالِدَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا إِلَى أَن يَّصِيرَا مُقْعَدَيْنِ، وَرُبَّمَا رُدَّا إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، فَتَرَى التَّذَمُّرَ وَالتَّأَفُّفَ مِن طُولِ مَا هُمَا عَلَيْهِ، إِذَا طَعَنَا فِي السِّنِّ، وَرُبَّمَا ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى دَارِ الْمُسِنِّينَ وَالْعَجَزَةِ!، كَمَا هُوَ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ!.

وَلَوْ تَذَكَّرَ الْوَلَدُ الْحَالَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ وَمَا قَدَّمَهُ أَبَوَاهُ لَهُ لَرَأَى أَنَّهُ يَعْجِزُ عَن رَّدِّ بَعْضِ الْجَمِيلِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾، قَاسَتْ آلَامَ الْحَمْلِ وَالطَّلْقِ (النِّفَاسِ)، ثُمَّ تَعِبَتْ فِي إِرْضَاعِهِ، وَالْعِنَايَةِ بِهِ فِي الْمَهْدِ، تُطْعِمُهُ وَتَسْقِيهِ، وَتُمِيطُ عَنْهُ الْأَذَى، مِن بَوْلٍ أَوْ غَائِطٍ، وَتَسْهَرُ لِسَهَرِهِ إِذَا مَرِضَ، وَتَتْعَبُ لِتَعَبِهِ، وَتَشْكُو لِشَكْوَاهُ، فَمَن مِّثْلُ الْأُمِّ؟!.

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ"(رقم: ١١) عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، أَنَّهُ شَهِدَ ابْنَ عُمَرَ وَرَجُلٌ يَمَانِيٌّ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، حَمَلَ أُمَّهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، يَقُولُ:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُذَلَّلُ ... إِنْ أُذْعِرَتْ رِكَابُهَا لَمْ أُذْعَرِ

ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ!، أَتُرَانِي جَزَيْتُهَا؟ قَالَ: «لَا، وَلَا بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ».

وَكَذَلِكَ الْأَبُ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا، فَيَشْتَرِيَهُ، فَيُعْتِقَهُ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٥١٠).

وَرُبَّمَا كَانَ سَبَبُ عُقُوقِ الْأَبْنَاءِ إِهْمَالَ الْآبَاءِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "تُحْفَةِ الْمَوْدُودِ"(ص:٢٤٢-٢٤٣): فَمَا أَفْسَدَ الْأَبْنَاءَ مِثْلُ تَغَفُّلِ الْآبَاءِ وَإِهْمَالِهِمْ وَاسْتِهْلَالِهِمْ شَرَرَ النَّارِ بَيْنَ الثِّيَابِ، فَأَكْثَرُ الْآبَاءِ يَعْتَمِدُونَ مَعَ أَوْلَادِهِمْ أَعْظَمَ مَا يعْتَمد الْعَدُوُّ الشَّدِيدُ الْعَدَاوَةِ مَعَ عَدُوِّهِ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، فَكَمْ مِن وَالِد حَرَم وَلَدَهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَعرَّضَهُ لِهَلَاكِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكُلُّ هَذَا عَوَاقِبُ تَفْرِيط الْآبَاءِ فِي حُقُوقِ اللهِ وَإِضَاعَتِهِمْ لَهَا وَإِعْرَاضِهِمْ عَمَّا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، حَرَمَهُمُ الِانْتِفَاعَ بِأَوْلَادِهِمْ، وَحَرَمَ الْأَوْلَادَ خَيْرَهُمْ وَنَفْعَهُمْ لَهُمْ.ا.هـ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

وَمِنَ الْإِحْسَانِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ أَيْضًا: إِحْسَانُ كُلٍّ مِّنَ الزَّوْجَيْنِ لِلْآخَرِ، بِالْمُعَاشَرَةِ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَدَاءِ كُلٍّ مِّنْهُمَا الْحُقُوقَ الَّتِي عَلَيْهِ لِصَاحِبِهِ، وَمِنْ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ: طَاعَتُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَمِنْ حَقِّهَا عَلَيْهِ: السُّكْنَى، وَالنَّفَقَةُ.

وَمِنَ الْحُرْمَةِ الشَّدِيْدَةِ عَلَى الْمَرْأَةِ كُفْرَانُهَا إِحْسَانَ زَوْجِهَا؛ فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أُرِيتُ النَّارَ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ»** قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: **«يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.(١)

---

(١) البخاري (رقم: ١٠٥٢، و٥١٩٧)، ومسلم (رقم: ٩٠٧).

وَحَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ عَظِيْمٌ، وَمِن ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ دَعَاهَا إِلَى فِرَاشِهِ لَمْ يَكُن لَهَا أَن تَمْنَعَهُ مِن ذَلِكَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٢٣٧، و٥١٩٣)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٤٣٦).

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ (رقم: ٥١٩٤): **«إِذَا بَاتَتِ المَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: **«إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا»**.(١)

فَإِذَا رَأَتِ الْمَرْأَةُ مِن نَّفْسِهَا عَجْزًا أَوْ تَقْصِيرًا فِي حَقِّ زَوْجِهَا، كَأَن تَكُونَ مَرِيضَةً، أَوْ بَلَغَتْ سِنَّ الْيَأْسِ مِنَ الْمَحِيضِ، وَلَا رَغْبَةَ لَهَا فِي الْعِشْرَةِ، فَلَهَا أَن تَعْذُرَهُ إِذَا تَزَوَّجَ بِغَيْرِهَا، ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣]، كَمَا أَبَاحَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ذَلِكَ، هَذَا مَعَ وُجُوبِ الْعَدْلِ عَلَيْهِ، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: ٣].

وَالْعَدْلُ أَمْرٌ وَّاجِبٌ، رُبَّمَا أَخَلَّ بِهِ كَثِيْرٌ مِّمَّنْ عَدَدَّ الزَّوْجَاتِ، وَالْإِخْلَالُ بِهِ مُحَرَّمٌ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النساء: ١٢٨ – ١٣٠].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ٧٩٣٦، و٨٥٦٨، و١٠٠٩٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (رقم: ٢١٣٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ١١٤١)، وَالنَّسَائِيُّ (رقم: ٣٩٤٢)، وَابْنُ مَاجَهْ (رقم: ١٩٦٩).(٢)

---

(١) البخاري (رقم: ٣٢٣٧، و٥١٩٣)، ومسلم (رقم: ١٤٣٦).

(٢) وصححه ابن حبان (رقم: ٤٢٠٧)، والحاكم (رقم: ٢٧٥٩)، وقال: «على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الألباني في "الإرواء"(رقم: ٢٠١٧).

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ: «**وَشِقُّهُ سَاقِطٌ**».

وَفِي رِوَايَةٍ لِّأَحْمَدَ وَابْنِ مَاجَهْ: «**وَأَحَدُ شِقَّيْهِ سَاقِطٌ**».

وَفِي رِوَايَةٍ لِّأَحْمَدَ أَيْضًا: «**يَجُرُّ أَحَدَ شِقَّيْهِ سَاقِطًا أَوْ مَائِلًا**».

متاع!

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ رَبُّنَا ﷻ فِيْ كِتَابِهِ الْكَرِيْمِ: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَوْهِينٌ لِّأَمْرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَحْقِيرٌ لِّشَأْنِهَا، فَإِنَّمَا هِيَ: ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ﴾.

وَقَدْ بَيَّنَ الله ﷻ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْمَقَالَ، وضَرَبَ لِعِبَادِهِ بِهَا الْمِثَالَ، فَقَالَ: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾، وَهُوَ: الْمَطَرُ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَ قُنُوطِ النَّاسِ، ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾، أَيْ: أعْجِبَ الزُّرَّاعَ نَبَاتُ ذَلِكَ الزَّرْعِ الَّذِي نَبَتَ بِالْغَيْثِ؛ وَكَذَلِكَ تُعْجِبُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الْكُفَّارَ، فَإِنَّهُمْ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَيْهَا وَأَمْيَلُ النَّاسِ إِلَيْهَا، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ

حُطَٰمٗاۖ﴾، أَيْ: يَيْبَسُ ذَلِكَ الزَّرْعُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا، بَعْدَ مَا كَانَ خَضِرًا نَضِرًا، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلُّهُ حُطَامًا، أَيْ: هَشِيمًا، فُتَاتًا، مُتَكَسِّرًا.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هَكَذَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، تَكُونُ أَوَّلًا شَابَّةً، ثُمَّ تَكْتَهِلُ، ثُمَّ تَكُونُ عَجُوزًا شَوْهَاءَ، وَالْإِنْسَانُ كَذَلِكَ فِي أَوَّلِ عُمْرِهِ وَعُنْفُوَانِ شَبَابِهِ، غَضًّا طَرِيًّا لَيِّنَ الْأَعْطَافِ، بَهِيَّ الْمَنْظَرِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَشْرَعُ فِي الْكُهُولَةِ، فَتَتَغَيَّرُ طِبَاعُهُ، وَيَنْفَدُ بَعْضُ قُوَاهُ، ثُمَّ يَكْبَرُ، فَيَصِيرُ شَيْخًا كَبِيرًا، ضَعِيفَ الْقُوَى، قَلِيلَ الْحَرَكَةِ، يُعْجِزُهُ الشَّيْءُ الْيَسِيرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾ [الرُّوم: ٥٤]، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْمَثَلُ دَالًّا عَلَى زَوَالِ الدُّنْيَا وَانْقِضَائِهَا وَفَرَاغِهَا لَا مَحَالَةَ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ كَائِنَةٌ لَا مَحَالَةَ، حَذَّرَ مِنْ أَمْرِهَا وَرَغَّبَ فِيمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ، فَقَالَ: ﴿ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾.ا.هـ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ أَيْ: هِيَ مَتَاعٌ يَغُرُّ مَنْ رَكَنَ إِلَيْهِ، وَقَدِ اغْتَرَّ بِهَا الْكُفَّارُ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾ [الأنعام: ٧٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾ [الأعراف: ٥٠ – ٥١].

وَقَدْ نَهَى اللهُ ﷻ عِبَادَهُ عَنِ الِاغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا، فَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان: ٣٣].

وَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [فاطر: ٥-٦].

وَالْغَرُورُ هُوَ الشَّيْطَانُ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷻ عَقِبَ ذَلِكَ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦].

الدُّنْيَا - أَيُّهَا النَّاسُ - مَتَاعٌ، وَمَتَاعُهَا غُرُورٌ، قَالَ ﷻ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَمَتَاعُهَا قَلِيلٌ، قَالَ ﷻ: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٦ - ١٩٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرعد: ٢٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل: ١١٦ - ١١٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [غافر: ٣٨ - ٣٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [النساء: ٧٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [التوبة: ٣٨].

الْكَافِرُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يُمَتَّعُ مَتَاعَ الْأَنْعَامِ، وَعَاقِبَةُ مَتَاعِهِ خُسْرٌ وَّبَوَارٌ!، قَالَ ﷻ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يونس: ٥٩ – ٦٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [القصص: ٦١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [لقمان: ٢٣ – ٢٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر: ٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الحجر: ٢ – ٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩﴾ [التوبة: ٦٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ٤٣ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٤٤ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ٤٥﴾ [الذاريات: ٤٣ – ٤٥].

وَقَالَ ﷻ أَيْضًا فِي شَأْنِ نَبِيِّهِ صَالِحٍ وَّهُوَ يُخَاطِبُ قَوْمَهُ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ٦٥﴾ [هود: ٦٥].

وَبَغْيُ الْإِنسَانِ عَلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ الَّذِي يَلْقَى غِبَّ بَغْيِهِ، وَلَا يَنفَعُهُ مَا يُمَتَّعُ بِهِ فِي الدُّنْيَا، قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾ [يونس: ٢٣]، وَقَالَ ﷻ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧﴾ [الشعراء: ٢٠٥ – ٢٠٧]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١﴾ [الأنبياء: ١١١].

وَلَمَّا كَانَتِ النُّفُوسُ مَجْبُولَةً عَلَى حُبِّ الْعَاجِلِ، شَاءَ اللهُ ﷻ أَن يُّنَزِّلَ الْأَرْزَاقَ بِقَدَرٍ، فَلَوْ بَسَطَهُ لَبَغَى النَّاسُ فِي الْأَرْضِ، قَالَ ﷻ: ﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧﴾ [الشورى: ٢٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥﴾ [الزخرف: ٣٣ – ٣٥].

هَذَا وَقَدْ نَهَى اللهُ ﷻ عِبَادَهُ عَنِ التَّعَلُّقِ بِزُخْرُفِ الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا، فَقَالَ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الحجر: ٨٧-٨٨].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾، أَيِ: اسْتَغْنِ بِمَا آتَاكَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْمَتَاعِ وَالزَّهْرَةِ الْفَانِيَةِ.ا.هـ.

وَقَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: لَا تَطْمَحْ بِبَصَرِكَ إِلَى زَخَارِفِ الدُّنْيَا طُمُوحَ رَغْبَةٍ فِيهَا وَتَمَنٍّ لَهَا.ا.هـ.

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: لَا تُعْجَبْ إِعْجَابًا يَحْمِلُكَ عَلَى إِشْغَالِ فِكْرِكَ بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا الَّتِي تَمَتَّعَ بِهَا الْمُتْرَفُونَ، وَاغْتَرَّ بِهَا الْجَاهِلُونَ، وَاسْتَغْنِ بِمَا آتَاكَ اللهُ مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ وَعَدَ اللهُ ﷻ أَهْلَ الْإِيْمَانِ بِالْمَتَاعِ الْحَسَنِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

وَمِن جُمْلَةِ الْإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ: التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ، قَالَ ﷻ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود: ٣].

وَلَيْسَ بِلَازِمٍ أَن يَّكُونَ الْمَتَاعُ الْحَسَنُ بِكَثْرَةِ الْعَرَضِ؛ فَفِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٦٤٤٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٠٥١).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٢٥٨١).

وَعُمْدَةُ مَتَاعِ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ، وَالْمَالُ، وَالْبَنُونَ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤].

ثُمَّ أَرْشَدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِّن ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: ١٥].

فَمِن مَتَاعِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا: النِّسَاءُ، وَخَيْرٌ مِّن ذَلِكَ: الْأَزْوَاجُ الْمُطَهَّرَةُ: الْحُورُ الْعِينُ. رَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٧٩٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَنَصِيفُ إِحْدَاهُنَّ وَهْوَ خِمَارُهَا ... لَيْسَتْ لَهُ الدُّنْيَا مِنَ الْأَثْمَانِ

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي وَصْفِ أَوَّلِ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ: «**لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الحُورِ العِينِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ العَظْمِ وَاللَّحْمِ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٢٤٥، و٣٢٤٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٢٨٣٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلِمُسْلِمٍ (رقم: ١٨٨) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنزِلَةً: قَالَ: «**ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ**

زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَتَقُولَانِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ»، قَالَ: «فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ».

فَاجْمَعْ قُوَاكَ لِمَا هُنَاكَ وَغَمِّضْ الْـ ... عَيْنَيْنِ وَاصْبِرْ سَاعَةً لِّزَمَانِ
مَا هَهُنَا واللهِ مَا يُسْوَى قُلَا ... مَةَ ظُفْرٍ وَاحِدَةٍ تُرَى بِجِنَانِ
مَا هَهُنَا إِلَّا النِّقَارُ وَسَيِّيءُ الْـ ... أَخْلَاقِ مَع عَيْبٍ وَمَعْ نُقْصَانِ
هَمٌّ وَّغَمٌّ دَائِمٌ لَّا يَنتَهِي ... حَتَّى الطَّلَاقِ أَوِ الْفِرَاقِ الثَّانِي
واللهُ قَدْ جَعَلَ النِّسَاءَ عَوَانِيًا ... شَرْعًا فَأَضْحَى الْبَعْلُ وَهْوَ الْعَانِي
لَا تُؤْثِرِ الْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَإِن ... تَفْعَل رَّجَعْتَ بِذِلَّةٍ وَّهَوَانِ

أَلَا وَإِنَّ خَيْرَ مَتَاعِ الدُّنْيَا: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ١٤٦٧).

فَيَا حَبَّذَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، عَوْنًا لِّزَوْجِهَا، تَصْبِرُ عَلَيْهِ وَتَقُومُ بِحَقِّهِ إِذَا قَلَّ مَالُهُ، أَوْ ضَاقَ مَسْكَنُهُ، أَوْ نَزَلَ بِهِ مَرَضٌ، فَهِيَ نِعْمَ الْمَتَاعُ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷻ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: ٣].

وَلَمَّا كَانَ الْجَزَاءُ مِن جِنسِ الْعَمَلِ، كَانَ الْمَتَاعُ مُقَابِلَ الْمَتَاعِ، قَالَ ﷻ: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ﴾ [النساء: ٢٤]، أَيْ: كَمَا تَسْتَمْتِعُونَ بِهِنَّ فَآتُوهُنَّ مُهُورَهُنَّ فِي مُقَابَلَةِ ذَلِكَ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [الأحزاب: ٤٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة: ٢٣٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ [البقرة: ٢٤١].

ذُكِرَ فِي تَرْجَمَةِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَت تَّحْتَهُ امْرَأَةٌ خَثْعَمِيَّةٌ، فَلَمَّا قُتِلَ عَلِيٌّ، وَبُوْيِعَ الحَسَنُ، دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: لِتَهْنِكَ الخِلاَفَةُ.

فَقَالَ: أَظْهَرتِ الشَّمَاتَةَ بِقَتْلِ عَلِيٍّ! أَنْتِ طَالِقٌ ثَلاَثًا.

فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا أَرَدْتُ هَذَا.

ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهَا بِعِشْرِيْنَ أَلْفاً، فَقَالَتْ:

مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيْبٍ مُفَارِقٍ.(١)

(١) "سير أعلام النبلاء"(ج٣/صـ: ٢٦٢).

خطبة الكسوف أو الخسوف [تخويف الله عباده]

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَاْ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

إِنَّ اللهَ ﷻ إِنَّمَا خَلَقَ الْجِنَّ وَالْإِنسَ لِعِبَادَتِهِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ الْمُبَارَكِ الْعَظِيْمِ النَّفْعِ "رياض الصالحين": «وَهَذا تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُمْ خُلِقوا لِلعِبَادَةِ، فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الاعْتِنَاءُ بِمَا خُلِقُوا لَهُ وَالإِعْرَاضُ عَنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا بِالزَّهَادَةِ، فَإِنَّهَا دَارُ نَفَادٍ لَا مَحَلُّ إِخْلَادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لَا مَنْزِلُ حُبُورٍ، ومَشْرَعُ انْقِصَامٍ لَا مَوْطِنُ دَوَامٍ؛ فلِهذا كَانَ الأَيْقَاظُ مِنْ أَهْلِهَا هُمُ الْعُبَّادُ، وَأَعْقَلُ النَّاسِ فيهَا هُمُ الزُّهَّادُ، قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]».

وَالْعِبَادَةُ تَتَضَمَّنُ غَايَةَ الْمَحَبَّةِ مَعَ غَايَةِ التَّذَلُّلِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ ... مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ

وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ ... مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ

وَمَدَارُهُ بِالْأَمْرِ أَمْرِ رَسُولِهِ ... لَا بِالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

وَالتَّذَلُّلُ هُوَ مِن ثِمَارِ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْقَلْبُ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ ﷻ بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ، فَالْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ، فَمَتَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّائِرُ جَيِّدُ الطَّيَرَانِ، وَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ، وَمَتَى فُقِدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ وَكَاسِرٍ، وَلَكِنَّ السَّلَفَ اسْتَحَبُّوا أَنْ يَقْوَى فِي الصِّحَّةِ جَنَاحُ الْخَوْفِ عَلَى جَنَاحِ الرَّجَاءِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا يَقْوَى جَنَاحُ الرَّجَاءِ عَلَى جَنَاحِ الْخَوْفِ.

وَنَقَلَ عَن بَعْضِهِمْ قَوْلَهُ: أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ: اعْتِدَالُ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، وَغَلَبَةُ الْحُبِّ، فَالْمَحَبَّةُ هِيَ الْمَرْكَبُ، وَالرَّجَاءُ حَادٍ، وَالْخَوْفُ سَائِقٌ، وَاللَّهُ الْمُوَصِّلُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.ا.هـ.

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَلَوْلَا الرَّجَاءُ لَمَا سَارَ أَحَدٌ؛ فَإِنَّ الْخَوْفَ وَحْدَهُ لَا يُحَرِّكُ الْعَبْدَ، وَإِنَّمَا يُحَرِّكُهُ الْحُبُّ، وَيُزْعِجُهُ الْخَوْفُ، وَيَحْدُوهُ الرَّجَاءُ.

وَقَالَ أَيْضًا: وَالْخَوْفُ يُثْمِرُ الْوَرَعَ وَالِاسْتِعَانَةَ وَقِصَرَ الْأَمَلِ.ا.هـ.(١)

وَقَدْ خَوَّفَ اللهُ ﷻ عِبَادَهُ؛ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَهُ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْخَوْفِ مِنَ الَّذِيْنَ مِن دُونِهِ، كَالشَّيْطَانِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، وَالْخَوْفُ عِبَادَةٌ، فَمَنْ خَافَ مِنْ غَيْرِ اللهِ ﷻ كَخَوْفِهِ مِنَ اللهِ أَوْ أَشَدَّ، أَوْ خَافَ غَيْرَ اللهِ خَوْفَ السِّرِّ فَقَدْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ الْمُخْرِجِ مِنَ الْمِلَّةِ.

قَالَ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ

(١) "مدارج السالكين"(ج١/صـ: ٢٠)، (ج٢/صـ: ٢٩)، و(ج٢/صـ: ٥١).

﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥].

رَوَى النَّسَائِيُّ فِي "الْكُبْرَى"(رقم: ١١٠١٧)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي "الْكَبِيْرِ"(ج١١/صـ: ٢٤٧)(رقم: ١١٦٣٢) عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ أُحُدٍ وَبَلَغُوا الرَّوْحَاءَ، قَالُوا: لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمُوهُ، وَلَا الْكَوَاعِبَ أَرْدَفْتُمْ، وَبِئْسَ مَا صَنَعْتُمُ ارْجِعُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَنَدَبَ النَّاسَ، فَانْتَدَبُوا، حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الْأَسْدِ وَبِئْرَ أَبِي عِنَبَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: مَوْعِدُكَ مَوْسِمُ بَدْرٍ حَيْثُ قَتَلْتُمْ أَصْحَابَنَا، فَأَمَّا الْجَبَانُ فَرَجَعَ، وَأَمَّا الشُّجَاعُ فَأَخَذَ أَهْبَةَ الْقِتَالِ وَالتِّجَارَةِ، فَلَمْ يَجِدُوا بِهِ أَحَدًا وَتَسَوَّقُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ [آل عمران: ١٧٤].(١)

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٦].

قَرَأَ جُمْهُورُ الْقُرَّاءِ: ﴿عَبْدَهُ﴾، بِالْإِفْرَادِ، وَقَرَأَ حَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ: ﴿عِبَادَهُ﴾ بِالْجَمْعِ.

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَعَلَى الْقِرَاءَةِ الْأُولَى: الْمُرَادُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَوِ الْجِنْسُ، وَيَدْخُلُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دُخُولًا أَوَّلِيًّا، وَعَلَى الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى الْمُرَادُ: الْأَنْبِيَاءُ، أَوِ الْمُؤْمِنُونَ، أَوِ الْجَمِيعُ.ا.هـ.

وَإِذَا كَانَ الْخَوْفُ مَقْرُونًا بِالْعِلْمِ فَهُوَ الْخَشْيَةُ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وَإِذَا كَانَ مَقْرُونًا بِالْعَمَلِ - وَهُوَ الْهَرَبُ مِنَ الْمَخُوفِ - فَهُوَ الرَّهْبَةُ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

---

(١) وذكره العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند من أسباب النزول"(صـ: ٥٦).

وَقَالَ ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝١٥ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٥ - ١٦].

وَعَن سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْطُبُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَخْطُبُ يَقُولُ: **«أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، حَتَّى لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِالسُّوقِ، لَسَمِعَهُ مِنْ مَقَامِي هَذَا، قَالَ: حَتَّى وَقَعَتْ خَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَى عَاتِقِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ»**. رَوَاهُ أَحْمَدُ (رقم: ١٨٣٩٨).

وَفِي رِوَايَةٍ (رقم: ١٨٣٩٩): حَتَّى لَوْ كَانَ رَجُلٌ كَانَ فِي أَقْصَى السُّوقِ، سَمِعَهُ، وَسَمِعَ أَهْلُ السُّوقِ صَوْتَهُ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ.(١)

وَمِمَّا يُخَوِّفُ اللهُ ﷻ بِهِ عِبَادَهُ: إِرْسَالُهُ بِالْآيَاتِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٥٩ - ٦٠].

رَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ٣٨٨٨، و٤٧١٦، و٦٦١٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قَالَ: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أُرِيَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ».

قَالَ: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قَالَ: «هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ».

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْمَعْنَى: إِذَا كَانَ هَذَانِ الْأَمْرَانِ قَدْ صَارَا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ حَتَّى اسْتَلَجَّ الْكُفَّارُ بِكُفْرِهِمْ وَازْدَادَ شَرُّهُمْ، وَبَعْضُ مَن كَانَ إِيمَانُهُ ضَعِيفًا رَجَعَ عَنْهُ؛

(١) وصححه: ابن حبان (رقم: ٦٤٤، و٦٦٧)، والحاكم (رقم: ١٠٥٨)، وقال: «على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا: الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب"(رقم: ٣٦٥٩)، والوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(رقم: ١١٥٧).

بِسَبَبِ أَنَّ مَا أَخْبَرَهُم بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي كَانَتْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَمِنَ الْإِسْرَاءِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى كَانَ خَارِقًا لِّلْعَادَةِ.

وَالْإِخْبَارُ بِوُجُودِ شَجَرَةٍ تَنبُتُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ أَيْضًا مِّنَ الْخَوَارِقِ، فَهَذَا الَّذِي أَوْجَبَ لَهُمُ التَّكْذِيبَ، فَكَيْفَ لَوْ شَاهَدُوا الْآيَاتِ الْعَظِيمَةَ وَالْخَوَارِقَ الْجَسِيمَةَ؟!.ا.هـ.

وَمِنْ آيَاتِ اللهِ ﷻ: خُسُوفُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَزِعًا، يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ، فَصَلَّى بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ، وَقَالَ: **«هَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ، لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَّلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِن يُّخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِن ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٠٥٩)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٩١٢).

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٠٤٨).

وَفِي رِوَايَةٍ (رقم: ٥٧٨٥): خَسَفَتِ الشَّمْسُ وَنَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ يَجُرُّ ثَوْبَهُ مُسْتَعْجِلًا، حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، وَثَابَ النَّاسُ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَجُلِّيَ عَنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، وَقَالَ: **«إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَصَلُّوا، وَادْعُوا اللَّهَ حَتَّى يَكْشِفَهَا»**.

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَصَلُّوا، وَادْعُوا اللهَ حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ»**. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (رقم: ٩١١)، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٠٤١، و١٠٥٧، و٣٢٠٤) بَعْضَهُ.

فَعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَفَّ النَّاسُ وَرَاءَهُ، فَكَبَّرَ، فَاقْتَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً، ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقَامَ وَلَمْ يَسْجُدْ، وَقَرَأَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً هِيَ أَدْنَى مِنَ القِرَاءَةِ الأُولَى، ثُمَّ كَبَّرَ وَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ أَدْنَى مِنَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَاسْتَكْمَلَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ، وَانْجَلَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ، ثُمَّ قَامَ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: **«هُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَافْزَعُوا إِلَى الصَّلاَةِ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٠٤٦)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٩٠١).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: وَلَكِنَّهُمَا مِنْ آيَاتِ اللهِ، يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ كُسُوفًا، فَاذْكُرُوا اللهَ حَتَّى يَنْجَلِيَا».

وَفِيْ رِوَايَةٍ لَهُمَا: **«فَادْعُوا اللَّهَ، وَكَبِّرُوا، وَصَلُّوا، وَتَصَدَّقُوا»**.(١)

وَفِيْهَا أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: **«يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»**.

وَفِيْ رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ (رقم: ١٠٥٠): ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ القَبْرِ.

وَفِيْ رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: فَبَعَثَ مُنَادِيًا: «الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ»، فَاجْتَمَعُوا، وَتَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي رَكْعَتَيْنِ، وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ.

وَفِيْ رِوَايَةٍ لَهُمَا: **«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جَهَرَ فِي صَلَاةِ الْخُسُوفِ بِقِرَاءَتِهِ»**.(٢)

وَعَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ**

---

(١) رواه البخاري (رقم: ١٠٤٤)، ومسلم (رقم: ٩٠١)(١).

(٢) البخاري (رقم: ١٠٦٥)، ومسلم (رقم: ٩٠١)(٥).

لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا، وَادْعُوا اللَّهَ [حَتَّى يَنْجَلِيَ]». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم:١٠٤٣، و١٠٦٠)، وَمُسْلِمٌ (رقم:٩١٥)، وَلَيْسَ عِندَهُ ذِكْرُ قَوْلِ النَّاسِ.

وَلَا يُنَافِي هَذَا التَّخْوِيفَ كَوْنُ كُسُوفِ الشَّمْسِ بِسَبَبِ وُقُوعِ الْقَمَرِ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ، فَيَحْجُبُ الشَّمْسَ أَوْ جُزْءًا مِنْهَا عَنِ الْأَرْضِ، وَكَوْنُ خُسُوفُ الْقَمَرِ بِسَبَبِ وُقُوعِ الْأَرْضِ بَيْنَ الْقَمَرِ وَالشَّمْسِ فِيْ بَعْضِ مَنَازِلِهَا، فَيَحْجُبُ عَنِ الْقَمَرِ أَوْ عَن جُزْءٍ مِنْهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ، فَيُسَبِّبُ خُسُوْفَ الْقَمَرِ أَوْ جُزْءٍ مِنْهُ عَنِ الْأَرْضِ أَوْ عَن جُزْءٍ مِنْهَا؛ لِأَنَّ هَذَا كُلَّهُ يَكُوْنُ بِتَقْدِيرِ اللهِ ﷻ وَتَدْبِيرِهِ، وَهِيَ أَسْبَابٌ يُنشِؤُهَا رَبُّنَا ﷻ، وَتَكُوْنُ آيَاتٍ يُخَوِّفُ اللهُ بِهَا عِبَادَهُ، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَجْرَى اللَّهُ الْعَادَةَ أَنَّ الشَّمْسَ لَا تَكْسِفُ إِلَّا وَقْتَ الِاسْتِسْرَارِ، وَأَنَّ الْقَمَرَ لَا يَخْسِفُ إِلَّا وَقْتَ الْإِبْدَارِ، وَوَقْتُ إبْدَارِهِ هِيَ اللَّيَالِي الْبِيضُ الَّتِي يُسْتَحَبُّ صِيَامُ أَيَّامِهَا: لَيْلَةُ الثَّالِثَ عَشَرَ وَالرَّابِعَ عَشَرَ وَالْخَامِسَ عَشَرَ، فَالْقَمَرُ لَا يَخْسِفُ إِلَّا فِي هَذِهِ اللَّيَالِي، وَالْهِلَالُ يَسْتَسِرُّ آخِرَ الشَّهْرِ: إمَّا لَيْلَةً وَإِمَّا لَيْلَتَيْنِ، كَمَا يَسْتَسِرُّ لَيْلَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِينَ. وَالشَّمْسُ لَا تَكْسِفُ إِلَّا وَقْتَ اسْتِسْرَارِهِ.

قَالَ: وَأَمَّا الْعِلْمُ بِالْعَادَةِ فِي الْكُسُوفِ وَالْخُسُوفِ فَإِنَّمَا يَعْرِفُهُ مَنْ يَعْرِفُ حِسَابَ جَرَيَانِهِمَا، وَلَيْسَ خَبَرُ الْحَاسِبِ بِذَلِكَ مِنْ بَابِ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَلَا مِن بَابِ مَا يُخْبِرُ بِهِ مِنْ الْأَحْكَامِ الَّتِي يَكُونُ كَذِبُهُ فِيهَا أَعْظَمَ مِنْ صِدْقِهِ.

قَالَ: وَأَمَّا تَصْدِيقُ الْمُخْبِرِ بِذَلِكَ وَتَكْذِيبُهُ فَلَا يَجُوزُ أَن يُّصَدَّقَ إِلَّا أَن يُّعْلَمَ صِدْقُهُ، وَلَا يُكَذَّبَ إِلَّا أَنْ يُعْلَمَ كَذِبُهُ.

قَالَ: وَلَكِنْ إِذَا تَوَاطَأَ خَبَرُ أَهْلِ الْحِسَابِ عَلَى ذَلِكَ فَلَا يَكَادُونَ يُخْطِئُونَ، وَمَعَ هَذَا فَلَا يَتَرَتَّبُ عَلَى خَبَرِهِمْ عِلْمٌ شَرْعِيٌّ، فَإِنَّ صَلَاةَ الْكُسُوفِ وَالْخُسُوفِ لَا تُصَلَّى إِلَّا إِذَا شَاهَدْنَا ذَلِكَ.ا.هـ.(١)

---

(١) "مجموع الفتاوى"(ج٢٤/صـ:٢٥٥-٢٥٨).

خطبة الاستسقاء (أفرأيتم الماء الذي تشربون؟)

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَّهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُّضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْـدُ:-

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷻ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

قَالَ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيْمِ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٨ – ٧٠].

هَذِهِ نِعْمَةٌ مِّن نِّعَمِ اللهِ ﷻ عَظِيمَةٌ، امْتَنَّ اللهُ ﷻ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ، وَهِيَ نِعْمَةُ إِنزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾، وَالْمُزْنُ: السَّحَابُ، ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾، أَيْ: بَلْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ.

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾، أَيْ: مَالِحًا، شَدِيدَ الْمُلُوحَةِ، لَا يُمْكِنُ شُرْبُهُ، فَلَا يُنتَفَعُ بِهِ فِي شُرْبٍ وَّلَا زَرْعٍ.

﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أَيْ: فَهَلَّا تَشْكُرُونَ اللهَ ﷻ عَلَى هذه النِّعْمَةِ، نِعْمَةِ إِنزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ، وَنِعْمَةِ شُرْبِ الْمَاءِ الْعَذْبِ السَّائِغِ شَرَابُهُ.

وَقَدْ وَعَدَ اللهُ ﷻ مَن شَكَرَ بِالْمَزِيْدِ، فَقَالَ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٩]، وَتَفَكَّرُوا فِي آيَاتِهِ.

فَمِن جُمْلَةِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ: إِنزَالُ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ؛ لِتَحْيَا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتُغَاثَ بِهِ الْكَائِنَاتُ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [النحل: ٦٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الحديد: ١٧].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية: ٥].

فَسَمَّى اللهُ ﷻ الْمَطَرَ رِزْقًا؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِكُلِّ مَا يَرْزُقُ اللَّهُ الْعِبَادَ بِهِ، قَالَهُ الشَّوْكَانِيُّ.

وقَالَ ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۝٤٨ لِّنُحْيِيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ٤٨ - ٤٩].

وَمِمَّا مَيَّزَ اللهُ ﷻ بِهِ الْمَاءَ، وَأَوْدَعَ فِيهِ مِنَ الْبَرَكَاتِ: أَنَّهُ لَا غِنَى لِلْأَرْضِ، وَلَا لِمَن يَّدُبُّ عَلَيْهَا مِنَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ وَلَا لِمَا يَنبُتُ فِيهَا مِنَ النَّبَاتَاتِ عَنِ الْمَاءِ.

قَالَ ﷻ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وَمِن مَّزَايَا الْمَاءِ أَيْضًا: أَنَّهُ هُوَ وَالْعَرْشُ أَوَّلُ الْمَخْلُوقَاتِ خَلْقًا، وَأَنَّ عَرْشَ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ، وَعَرْشُ الرَّحْمَنِ أَوَّلُ الْمَخْلُوقَاتِ خَلْقًا، وَأَعْلَاهَا وَأَعْظَمُهَا.

قَالَ ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود: ٧].

فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ»**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٧٤١٨).

وَفِي رِوَايَةٍ (رقم: ٣١٩١): **«كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»**.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى القَبْضُ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»**.

فَسُبْحَانَ الَّذِي جَعَلَ فِي الْإِنسِ وَالْجِنِّ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ افْتِقَارًا إِلَى الْمَاءِ، لَا غِنَى لِهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ عَنْهُ، وَجَعَلَ الْمَطَرَ ضَرُورَةً لِّحَيَاتِهَا، وَجَعَلَهُ سَبَبًا لِّأَرْزَاقِ الْعِبَادِ، فَإِذَا أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ أَوْ جَدْبٌ تَضَرَّرُوا.

وَمَا خُرُوجُنَا إِلَى هَذَا الْمَكَانِ لِلِاسْتِسْقَاءِ إِلَّا بِسَبَبِ تَضَرُّرِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ وَالنَّبَاتِ، تَأَسِّيًا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى، فَاسْتَسْقَى، فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، وَقَلَبَ رِدَاءَهُ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ١٠١٤)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ٨٩٧).

وَعِندَ أَبِيْ دَاوُدَ (رقم: ١١٧٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ، فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَدَا

حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَكَبَّرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ﷻ، ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﷻ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ»**، ثُمَّ قَالَ: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ»**. ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبِطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ، أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ ضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: **«أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»**.(١)

هَذَا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا نَزَلَ بِالنَّاسِ جَدْبٌ أَوْ قَحْطٌ إِلَّا بِذُنُوبِهِمْ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: ...»**، وَذَكَرَ مِنْهَا: **«وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا»**. أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالْحَاكِمُ.(٢)

---

(١) وصححه ابن حبان (رقم:٩٩١، و٢٨٦٠)، والحاكم (رقم: ١٢٢٥)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في "الإرواء"(رقم: ٦٦٨)، وفي "صحيح أبي داود"(رقم:١٠٦٤).

(٢) سنن ابن ماجه (رقم:٤٠١٩)، و"المستدرك"(رقم:٨٦٢٣)، وفي إسناد ابن ماجه ضعف، وإسناد الحاكم حسن، كما قال الإمام الألباني في "الصحيحة"(رقم:١٠٦)، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

=

وَالْمُرَادُ بِالسِّنِينَ فِي قَوْلِهِ: «**إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ**»: الْقَحْطُ.

فَالْوَاجِبُ التَّوْبَةُ إِلَى اللهِ ﷻ مِن كُلِّ ذَنبٍ، وَالِاسْتِقَامَةُ عَلَى دِينِ اللهِ ﷻ، وَمَتَى مَا حَصَلَ مِنَ النَّاسِ ذَلِكَ فَلْيُبْشِرُوا بِبَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأعراف: ٩٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[الجن: ١٦ - ١٧].

وَقَالَ ﷻ فِي شَأْنِ نُوحٍ وَهُوَ يُخَاطِبُ قَوْمَهُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[نوح:١١-١٢].

وَقَالَ ﷻ فِي شَأْنِ هُودٍ وَهُوَ يُخَاطِبُ قَوْمَهُ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ.

ولمعظم الحديث – ومنه موضع الشاهد – شاهد من حديث بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه الحاكم (رقم:٢٥٧٧)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني في "الصحيحة"(رقم:١٠٧).

الفهرس

الْمُقَـــدِّمَـــــة..... ٢
ظلمت نفسي ٣
مواعظ وعبر من نبإ موسى وفرعون..... ١٤
النفع ٣٠
سورة الفاتحة ٤٥
فتح الحي القيوم بذكر الأسباب المعينة على حفظ العلوم..... ٥٧
حرمة تصوير ذوات الأرواح..... ٧٦
اللواط ٩٤
خصائص العدد سبعة..... ١٠٦
الغضب..... ١٢٠
الحزن ١٣٥
الصد عن سبيل الله ١٤٤
عيادة المريض..... ١٥٢
أهم أحكام الجنائز [١] ١٦٣
أهم أحكام الجنائز [٢] ١٧٦
الحسد..... ١٩١
من مواعظ وأحكام البرد ٢١٢
التجارة الرابحة مع الله..... ٢٢٤
ثبات الأصل وسمو الفرع في شرح حديث أم زرع..... ٢٣١
حرمة الاختلاط ٢٤٤

ولا تقربوا الزنا ٢٥١
الإرشاد إلى سُبُل وثمار التوفيق والسداد ٢٦٠
الصفوف مواعظ وأحكام..... ٢٧٠
اللون الأبيض، مواعظ وأحكام..... ٢٨٨
قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث..... ٣٠٢
من خوارق العادات في النطق والكلام ٣١٠
وقولوا للناس حسنًا ٣٢١
الخسران..... ٣٢٩
الحسرات..... ٣٣٨
كيف الخلاص وكلهم أعدائي؟ ٣٤٩
أسباب دفع البلاء..... ٣٦٥
العجز ٣٨٢
الإنصاف..... ٣٨٩
الريح مواعظ وأحكام ٣٩٧
القديم والجديد، مواعظ وأحكام..... ٤١٠
الأنف، مواعظ وأحكام ٤٢٢
الكلب، مواعظ وأحكام..... ٤٣٣
الحمار، مواعظ وأحكام ٤٤٧
الخنزير، مواعظ وأحكام..... ٤٦٨
النحلة، مواعظ وأحكام ٤٨٥
خصائص العدد أربعين ٤٩٧
تنبيه أولى الهمم على ما لشهر رمضان من تعلق وأثر في خيرية الأمة على سائر الأمم ... ٥٠٨

أعمال صالحة في رمضان ٥٢٣
قيام رمضان ٥٣٨
الجود الرمضاني ومراتب الجود ٥٤٩
في ختام شهر رمضان ٥٥٩
خطبة عيد الفطر ٥٦٦
مضاعفة ثواب الأعمال ٥٧٤
الدعاء بالبركة ٥٨٦
العورات، مواعظ وأحكام [١] ٥٩٧
العورات، مواعظ وأحكام [٢] ٦١٢
الأسواق، مواعظ وأحكام ٦٢٨
الحرج ٦٤٥
اليد، مواعظ وأحكام ٦٥٣
الدخان، مواعظ وأحكام ٦٧٥
الجوع، مواعظ وأحكام ٦٨٦
الربا ٧١٢
خصائص العدد عشرة ٧٣٢
قصة بناء البيت الحرام وفضائله ٧٤٠
خطبة عيد الأضحى ٧٥٤
لاحول ولا قوة إلا بالله ٧٦٢
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟! ٧٧٢
متاع! ٧٨٢
خطبة الكسوف أو الخسوف [تخويف الله عباده] ٧٩١

خطبة الاستسقاء (أفرأيتم الماء الذي تشربون؟).....٧٩٨

الفهرس.....٨٠٣